

Mugool.com

تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ

تَارِيخُ الْأَمَمِ وَالْمُلُوكِ

لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ
٢٢٤ - ٣١٠ هَجْرِيَّة

المجلد الثاني

مِنْ السَّنَةِ الْأُولَى لِلْهِجْرَةِ لَغَايَةِ السَّنَةِ ٣٥ لِلْهِجْرَةِ

دار النشر العلمي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

طلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص: ١١/٩٤٢٤ تلکس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الوقت الذي عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قديم رسول الله ﷺ المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدثني زكرياء بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن ابن خُريج ، عن أبي سلمة ، عن ابن شهاب ، أن النبي ﷺ لما قدم المدينة - وقدمها في شهر ربيع الأول - أمر بالتأريخ .

قال أبو جعفر : فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إن أول من أمر بالتأريخ في الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا حبان بن علي العنزي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر : إنه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : لمهاجر رسول الله ﷺ ، فقال عمر : لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله ﷺ ، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد الخزاز ، عن فُرات بن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، قال : رفع إلى عمر صك محله في شعبان ، فقال عمر : أي شعبان ؟ الذي هو آت ، أو الذي نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه ، فقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الروم ، فقل : إنهم يكتبون من عهد ذي القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرس ؛ فقل : إن الفرس كلما قام ملك طرح من كان قبله ؛ فاجتمع رأيهم على أن ينظروا : كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتب التأريخ من هجرة رسول الله ﷺ .

حدثت عن أمية بن خالد وأبي داود الطيالسي ، عن قرّة بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : أرخوا ، فقال عمر : ما « أرخوا » ؟ قال : شيء تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حسن ، فأرخوا فقالوا : من أي السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ؛ ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا : بأي الشهر نبدأ ؟ فقالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، فهو منصرف الناس من حجهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا على المحرم .

حدَّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثني سعيد بن أبي مريم . وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدَّثنا أبي ، قالاً جميعاً : حدَّثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، قال : حدَّثني أبو حازم ، عن سهيل بن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدد ؛ ما عدُّوا من مبعث رسول الله ﷺ ، ولا من وفاته ، ولا عدُّوا إلا من مقدّمه المدينة .

حدَّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثنا سعيد بن أبي مريم ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدِم فيها رسول الله ﷺ المدينة ، وفيها وُلِد عبدُ الله بن الزبير .

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي عبّاد ؛ قال : حدَّثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدِم رسولُ الله ﷺ فيها ، فذكر مثله .

حدَّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدَّثنا نوح بن قيس الطاحي ، عن عثمان بن محصن ، أنَّ ابن عباس كان يقول في : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾^(١) ، قال : الفجر هو المحرم ، فُجر السنة .

حدَّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن ، قال : حدَّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ؛ عن الأسود بن يزيد ، عن عُبيد بن عمير ، قال : إنَّ المحرم شهرُ الله عزَّ وجلَّ ، وهو رأس السنة ، فيه يكسَى البيت ، ويؤرَّخ التأريخ ، ويضرب فيه الورق ، وفيه يوم كان تاب فيه قوم ، فتاب الله عزَّ وجلَّ عليهم .

حدَّثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدَّثنا أحمد ، قال : حدَّثنا رَوْح بن عباد ، قال : حدَّثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أنَّ أولَ مَنْ أَرَّخ الكُتُب يعلى بن أمية ، وهو باليمن ، وأنَّ النبي ﷺ قدِم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأنَّ النَّاس أَرَّخُوا لأوَّل السنة ؛ وإنَّما أَرَّخ النَّاس لمقدِّم النبي ﷺ .

وقال علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد بن صالح ، عن الشعبي ، قالوا : أَرَّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السَّلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أَرَّخ بنو إسماعيل من بنيان البيت ؛ حتَّى تفرَّقت ، فكان كلُّما خرج قوم من تهامة أَرَّخُوا بمخرجهم ، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرَّخون من خروج سعد ونَهْد وَجْهَيْه ، بني زيد ، من تهامة ؛ حتَّى مات كعب بن لؤي ، فأرَّخوا من موت كعب بن لؤي إلى الفيل ؛ فكان التأريخ من الفيل ، حتَّى أَرَّخ عمر بن الخطَّاب من الهجرة ؛ وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانٍ عشرة .

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدَّثنا نعيم بن حماد ، قال : حدَّثنا الدراوردي ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيَّب ، يقول : جمع عمرُ بن الخطَّاب النَّاس ، فسألهم ، فقال : من أيَّ يوم نكتب ؟ فقال عليُّ عليه السَّلام : من يوم هاجر رسول الله

ﷺ ، وترك أرض الشُّرك ، ففعله عمر رضي الله عنه .

قال أبو جعفر : وهذا الذي رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، عَمَّنْ رَوَاهُ عَنْهُ فِي تَأْرِيخِ بَنِي إِسْمَاعِيلَ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُؤَرِّخُونَ عَلَى أَمْرٍ مَعْرُوفٍ يَعْمَلُ بِهِ عَامَّتُهُمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمُؤَرِّخُ مِنْهُمْ يُؤَرِّخُ بِزَمَانِ قُحْمَةٍ كَانَتْ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي بِلَادِهِمْ ، وَلُزْبَةٍ أَصَابَتْهُمْ ؛ أَوْ بِالْعَامِلِ كَانَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ ، أَوْ الْأَمْرُ الْحَادِثُ فِيهِمْ يَنْتَشِرُ خَبْرُهُ عَنْدهُمْ ؛ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلَافُ شِعْرَانِهِمْ فِي تَأْرِيخَاتِهِمْ ؛ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ تَأْرِيخٌ عَلَى أَمْرٍ مَعْرُوفٍ ، وَأَصْلٌ مَعْمُولٌ عَلَيْهِ ، لَمْ يَخْتَلَفْ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

ومن ذلك قول الربيع بن ضُبُعِ الْفَزَارِيِّ :

هَأَنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَذْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا
أَبَا أَمْرِي الْقَيْسَ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرَا!

فَأَرَّخَ عُمْرَهُ بِحَجَرِ بْنِ عَمْرٍو أَبِي أَمْرٍءِ الْقَيْسِ .

وقال نابغة بني جَعْدَةَ :

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي مِنَ الشُّبَّانِ أَرْمَانَ الْخُنَانِ

فجعل النَّابِغَةُ تَأْرِيخَهُ مَا أَرَّخَ بِزَمَانٍ عَلَّةٌ كَانَتْ فِيهِمْ عَامَّةً .

وقال آخر :

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مَعَارَ ابْنِ هَمَامٍ عَلَى حَيِّ خُثْعَمَا

فكَلَّ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ تَأْرِيخَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، أَرَّخَ عَلَى قُرْبِ زَمَانٍ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَقُرْبَ وَقْتٍ مَا أَرَّخَ بِهِ مِنْ وَقْتِ الْآخِرِ ؛ بِغَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي أَرَّخَ بِهَا الْآخَرُ ؛ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ تَأْرِيخٌ مَعْرُوفٌ كَمَا لِلْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ وَلِسَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهَا ، كَانُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا يَتَعَدُّونَهُ ؛ وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ كَانَ عَنْدهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ ؛ فَأَمَّا قَرِيشٌ مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ ؛ فَإِنَّ آخِرَ مَا حَصَلَتْ مِنْ تَأْرِيخِهَا قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى التَّأْرِيخِ بِعَامِ الْفِيلِ ؛ وَذَلِكَ عَامٌ وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ بَيْنَ عَامِ الْفِيلِ وَالْفِجَارِ عَشْرُونَ سَنَةً ، وَبَيْنَ الْفِجَارِ وَبِنَاءِ الْكَعْبَةِ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً ، وَبَيْنَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ وَمَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ خَمْسَ سِنِينَ .

قال أبو جعفر : وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقُرْنُ بَنِيوتِهِ - كَمَا قَالَ الشَّعْبِيُّ - ثَلَاثَ سِنِينَ ؛ إِسْرَافِيلُ ؛ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْدَّعَاءِ وَإِظْهَارِهِ عَلَى مَا قَدَّمْنَا الرِّوَايَةَ وَالْإِخْبَارَ بِهِ ، ثُمَّ قُرْنُ بَنِيوتِهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ السِّنِينَ الثَّلَاثِ ، وَأَمْرُهُ بِإِظْهَارِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، فَأَظْهَرَهَا ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ مُقِيمًا بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ مِنْ حِينَ اسْتَنْبَىءَ ، وَكَانَ خُرُوجُهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَيْهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَقُدُومُهُ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ؛ لَمْضِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ ، عَنْ حَنْشِ الصَّنَعَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : وَلِدَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَاسْتَنْبَىءَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَرَفَعَ الْحَجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَقَبِضَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزّهرّي ، قال : قدّم رسولُ الله ﷺ المدينة يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمر في تاريخ المسلمين كالذي وصفت ، فإنّه وإن كان من الهجرة ، فإنّ ابتداءهم إياه قبل مقدّم النبي ﷺ المدينة بشهرين وأيام ؛ هي اثنا عشر ؛ وذلك أنّ أوّل السنّة المحرّم ، وكان قدومُ النبي ﷺ المدينة ، بعد مُضيّ ما ذكرت من السنّة ، ولم يؤرّخ التّاريخ من وقت قدومه ؛ بل من أوّل تلك السنّة .

ذكر ما كان من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا وقت مقدم النبي ﷺ المدينة ، وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها ، وعلى من كان نزوله ، وقدر مكانه في الموضع الذي نزل ، وخبر ارتحاله عنه . ونذكر الآن ما لم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدومه ؛ وهي السنة الأولى من الهجرة .

فمن ذلك تجميعه ﷺ بأصحابه الجمعة ، في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء ؛ وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً المدينة ، فأدركته الصلاة ، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ، ببطن واد لهم - قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً - فيها بلغني - وكانت هذه الجمعة ، أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الإسلام ، فخطب في هذه الجمعة ؛ وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل .

خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة جمعها بالمدينة

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي ، أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف :

الحمد لله ، أحمد وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى والنور والموعظة ، على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ؛ من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ؛ وضلّ ضلالاً بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم ؛ أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ؛ وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل وخافة من ربه ، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة . ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية ، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره ، وذخراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يؤدّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رؤوف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا تخلف لذلك ، فإنه يقول عز وجل : ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ

وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١﴾ . فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويُعظم له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً . وإن تقوى الله يُوفى مقته ، ويوفى عقوبته ، ويوفى سخطه ، وإن تقوى الله يُبَيض الوجه ، ويرضي الرب ، ويرفع الدرجة .

خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا في جنب الله ؛ قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين . فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، ولا قوة إلا بالله . فأكثرُوا ذكرَ الله ، واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ؛ الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله العظيم ! .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن رسول الله ﷺ ركب ناقته ، وأرخى لها الزمام ، فجعلت لا تمرُّ بدار من دُور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم ، وقالوا له : هلم يا رسول الله ! إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمنعة ؛ فيقول لهم ﷺ : خلُّوا زمامها فإنها مأمورة ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده ؛ وهو يومئذ مَرَبَدٌ لَغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ من بني النَّجَارِ في جِجْرٍ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاء ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . فلما بركت لم ينزل عنها رسول الله ﷺ ، ثم وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ؛ ثم التفتت خلفها ، ثم رجعت إلى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مرة ، فبركت فيه ووضعت جرائنها ، ونزل عنها رسول الله ﷺ ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعته الأنصار إلى النزول عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : المرء مع رحله . فتزل على أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب ، في بني غنم بن النجار .

قال أبو جعفر : وسأل رسول الله ﷺ عن المَرَبَدِ لمن هو ؟ فأخبره مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاء ، وقال : هو لِيَتِيمَيْنِ لي ، سأرضيهما . فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبْنَى مسجداً ، ونزل على أبي أيوب ، حتى بنى مسجده ومساكنه . وقيل : إن رسول الله ﷺ اشترى موضعَ مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا في ذلك ، ما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن أبي التَّيَّاح ، عن أنس بن مالك ، قال : كان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النَّجَارِ ، وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ثامنوني به ، فقالوا : لا نبتغي به ثمناً إلا ما عند الله . فأمر رسول الله ﷺ بالنَّخْلِ ففُطِعَ ، وبالحَرثِ فَافْسَدَ ، وبالقُبُورِ فنبشت ، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك يصلي في مرايض الغنم ، وحيث أدركته الصلاة .

قال أبو جعفر : وتولى بناء مسجده ﷺ هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار .

وفي هذه السنة بُني مسجد قباء .

وكان أول من توفي بعد مقدمه المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كُلثوم بن الهدم ، لم يلبث

بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات .

ثم توفي بعده أسعد بن زُرارة في سنة مقدمه ، أبو أمامة . وكانت وفاته قبل أن يفرغ رسول الله ﷺ من بناء مسجده ، بالذَّبْحَةِ والشَّهْقَةِ . فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ؛ أن رسول الله ﷺ قال : بشئ الميت أبو أمامة ليهود ومنافقي العرب ! يقولون : لو كان محمد نبياً لم يمت صاحبه ؛ ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس ، أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زُرارة من الشُّوْكَة .

قال ابنُ حميد : قال سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري أنه لما مات أبو أمامة أسعد بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ - وكان أبو أمامة نقيهم - فقالوا : يا رسول الله ؛ إن هذا الرجل قد كان منّا حيث قد علمت ؛ فاجعل منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : أنتم أخوالي وأنا منكم ، وأنا نقيكم .

قال : وكره رسول الله ﷺ أن يُخصَّ بها بعضهم دون بعض ؛ فكان من فضل بني النجار الذي تعدّ على قومهم ، أن رسول الله ﷺ كان نقيهم .

وفي هذه السنة مات أبو أحيحة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة .

وفيها بنى رسول الله ﷺ بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر ؛ في ذي القعدة في قول بعضهم ، وفي قول بعض : بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر ، في شوال ، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين ، وقد قيل : تزوجها وهي ابنة سبع .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك ، عن رجل من قريش ، عن عبد الرحمن بن محمد ، أن عبد الله بن صفوان وآخر معه أتيا عائشة ؛ فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعت حديث حفصة ؟ قال لها : نعم يا أم المؤمنين ، قال لها عبد الله بن صفوان : وما ذاك ؟ قالت : خلّال في تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما أتى الله مريم بنت عمران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحيبي ، قال لها : وما هن ؟ قالت : نزل الملك بصورتي ، وتزوجني رسول الله ﷺ لسبع سنين ، وأهديت إليه لتسع سنين ، وتزوجني بكرة لم يشركه في أحد من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنت من أحب الناس إليه ، ونزل في آية من القرآن كادت الأمة أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري ، وقُبض في بيتي لم يله أحد غير الملك وأنا .

قال أبو جعفر : وتزوجها رسول الله ﷺ - فيما قيل - في شوال ، وبني بها حين بنى بها في شوال .

ذكر الرواية بذلك :

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمِيَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ . وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ يُبْنَى بِالنِّسَاءِ فِي شَوَّالٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمِيَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ كَانَتْ أَحْظَى عَنْده مِنِّي ! وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ يُدْخَلَ بِالنِّسَاءِ فِي شَوَّالٍ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقِيلَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَنَى بِهَا فِي شَوَّالٍ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، فِي مَنْزِلِ أَبِي بَكْرٍ السُّنْحِ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَنَاتِهِ وَزَوْجَتِهِ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ ، زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَأَبَا رَافِعَ ، فَحَمَلَاهُنَّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَلَمَّا رَجَعَ - فِيهَا ذَكَرَ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْيَظٍ إِلَى مَكَّةَ أَخْبَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بِمَا كَانَ أَبِيهِ أَبِي بَكْرٍ ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بِعِيَالِ أَبِيهِ إِلَيْهِ ، وَصَحِبَهُمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، مَعَهُمْ أُمُّ رُومَانَ ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ ؛ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى قَدَمُوا الْمَدِينَةَ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ زَيْدٌ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ - فِيهَا قِيلَ - رَكَعَتَانِ ، وَكَانَتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ رَكَعَتَيْنِ ؛ وَذَلِكَ بَعْدَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ بِشَهْرٍ ، فِي رَبِيعِ الْآخِرِ ، لَمْ يَضَيَّ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْهُ ، زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْحِجَازِ فِيهِ .

وَفِيهَا - فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ - وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ . وَفِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ : وُلِدَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي شَوَّالٍ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ ، وُلِدَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِعِشْرِينَ شَهْرًا بِالْمَدِينَةِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وَلِدَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي دَارِ الْهِجْرَةِ ، فَكَبَّرَ - فِيهَا ذَكَرَ - أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ وُلِدَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّ الْيَهُودَ يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ سَحَرَوْهُمْ فَلَا يُؤَلِّدُ لَهُمْ ؛ فَكَانَ تَكْبِيرُهُمْ ذَلِكَ سُرُورًا مِنْهُمْ بِتَكْذِيبِ اللَّهِ الْيَهُودَ فِيهِمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ .

وَقِيلَ : إِنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ، هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ .

وَقِيلَ أَيْضًا : إِنَّ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وُلِدَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ؛ وَإِنَّهُ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ لِلْأَنْصَارِ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْوَاقِدِيُّ أَيْضًا .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْوَاقِدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَهْلٍ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ مِنَ الْأَنْصَارِ النَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ؛ وَلِدَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ شَهْرًا ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ ، أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا .

قَالَ : وَوُلِدَ النَّعْمَانُ قَبْلَ بَدْرِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا مُصْعَب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، قال : ذَكَرَ النُّعْمَان بن بشير عند ابنِ الزبير ، فقال : هو أَسْنُ مَنِيَّ بستّة أشهر .
قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزبير على رأس عشرين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ ، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهراً في ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : وقيل : إنّ المختار بن أبي عُبَيْدِ الثَّقَفِيّ وزياد بن سُمَيَّة فيها وُلدا .
قال : وزعم الواقديّ أنّ رسول الله ﷺ عقد في هذه السنّة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض لِعِيرَات قريش ، وأنّ حمزة لقي أبا جهل [بن هشام] في ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مجديّ بن عمرو الجهنيّ فافترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد .

وأنّ رسول الله ﷺ عقد أيضاً في هذه السنّة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في شوال ، لُعْبَيْدَة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لواءً أبيض ، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ ، وأنّ لواءه كان مع مسطح بن أثاثة ، فبلغ ثنية المرة - وهي بناحية الجحفة - في ستين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصاريّ ؛ وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ؛ فكان بينهم الرميّ دون المسابقة .

قال : وقد اختلفوا في أمير السريّة ؛ فقال بعضهم : كان أبو سفيان بن حرب ، وقال بعضهم : كان مُكَرَّز بن حفص .

قال الواقديّ : ورأيت الثبّت على أبي سفيان بن حرب ، وكان في مائتين من المشركين .

قال : وفيها عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص إلى الخُرّار لواءً أبيض يحمله المقداد بن عمرو في ذي القعدة . وقال : حدّثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : خرجت في عشرين رجلاً على أقدامنا - أو قال : واحد وعشرين رجلاً - فكُنّا نكُمّن النهار ، ونسير الليل حتى صَبَحْنَا الخُرّار صُبْحَ خامسة ؛ وكان رسول الله ﷺ ، قد عهد إليّ ألاّ أجاوز الخُرّار ، وكانت العير قد سبقتي قبل ذلك بيوم ، وكانوا ستين ، وكان من مع سعد كلّهم من المهاجرين .

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق في أمر كلّ هذه السرايا التي ذكرت عن الواقديّ قوله فيها غير ما قاله الواقديّ ، وأنّ ذلك كلّهُ كان في السنة الثانية من وقت التاريخ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : قدّم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقي من شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر وَجُمَادِيَيْنِ وَرَجَبَ وشعبان ورمضان وشوالاً وذو القعدة وذو الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم . وخرج في صفر غزياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدّمه المدينة ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل ؛ حتى بلغ ودّان ؛ يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهي غزوة الأبواء ، فوادعته فيها بنو ضمرة ؛ وكان الذي وادعه منهم عليهم سيدهم كان في زمانه ذلك ، تحشيّ بن عمرو ، رجل منهم .

قال : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولم يلقَ كَيْدًا ، فأقام بها بقيةَ صَفَرٍ وصَدْرًا من شهر ربيع الأول .

وبعث في مقامه ذلك عُبيدةَ بن الحارث بن المطلب في ثمانين أو ستين راكباً من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بَلَغَ أحياءَ (ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة) ، فلقِيَ بها جمعاً عظيماً من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ؛ فكان أول سهم رُمي به في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حاميةٌ ، وَفَرَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهْراني حليف بني زُهْرة ، وَعُتْبَةُ بن غَزْوَان بن جابر حليف بني نُوْفَل بن عبد مناف - وكانا مسلمين ؛ ولكنهما خرجا يتوصَّلاَن بالكُفَّار إلى المسلمين - وكان على ذلك الجمع عِكْرَمَة بن أبي جهل .

قال مُحَمَّد : فكانت رايةَ عُبيدة - فيما بلغني - أول راية عقدتها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين .

وحدَّثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني مُحَمَّد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ كان بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المطلب في مقامه ذلك إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ؛ وهي من أرض جُهينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك السَّاحِل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مُجَدِّي بن عمرو الجُهني ، وكان مُوَادِعاً للفریقین جميعاً ، فانصرف القوم بعضهم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدتها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أن بَعَثَهُ وَبَعَثَ عُبيدة بن الحارث كانا معاً ، فشبَّه ذلك على الناس .

قال : والذي سمعنا من أهل العلم عندنا أن راية عُبيدة بن الحارث كانت أول راية عُقدت في الإسلام . قال : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر ، يريد قريشاً ، حتى إذا بلغ بواط من ناحية رَضْوِي رجع ولم يلقَ كَيْدًا ، فلبث بقيةَ شهر ربيع الآخر وبعضَ جُمادى الأولى .

ثم غزا يريد قريشاً ، فسلك على نَقَب بني دينار بن النجار ، ثم على فَيْفَاء الخَبَّار ، فنزل تحت شجرة ببَطْحَاء ابن أَزْهَر ، يقال لها : ذات السَّاق ، فصلَّى عندها ، فثمَّ مسجده . وصُنِعَ له عندها طعامٌ فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثافي البرمة معلوم هنالك . واستقِيَ له من ماء به يقال له المُشِيرِب . ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبةً يقال لها شعبة عبد الله - وذلك اسمها اليوم - ثم صبَّ لیسار ، حتى هبطَ يَلِيل ، فنزل بمجتمعهم ومجتمع الضَّبُوعة ؛ واستقِيَ له من بئر بالضَّبُوعة . ثم سلك الفَرَش ؛ فرش ملل ، حتى لقي الطريق بصُخَيْرَات اليمام . ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبَع ، فأقام بها بقيةَ جُمادى الأولى وليالي من جُمادى الآخرة ، ووَادَعَ فيها بني مُدَلِّج وحلفاءهم من بني ضَمْرَة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلقَ كَيْدًا .

وفي تلك الغزوة قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِم رسولُ الله ﷺ حين قَدِم من غَزوة العُشيرة بالمدينة إلَّا لياليَ قلائِل لا تَبْلُغ العَشر ، حتى أغار كُرُزُ بن جابر الفِهري على سَرَح المدينة ، فخرج رسولُ الله ﷺ في طَلَبه ، حتى بلغ وادياً يقال له سَفَوان من ناحية بَدْر ، وفاتَه كرز فلم يدركه ؛ وهي غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، فأقام بها بقيَّة جُمادى الآخرة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيها بين ذلك سَعْد بن أبي وقَّاص في ثمانية رهط .

وزعم الواقدي أن في هذه السنة - أعني السَّنة الأولى من الهجرة - جاء أبو قيس بن الأسَلَت رسولُ الله ﷺ ، فعرضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلام ، فقال : ما أحسنَ ما تدعوا إليه ! أنظُر في أمري ، ثم أعود إليك . فلقِيه عبدُ الله بن أبيّ ، فقال له : كرهتَ والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسلِم سنة ؛ فمات في ذي القعدة .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسول الله ﷺ - في قول جميع أهل السير - فيها ، في ربيع الأول بنفسه غزوة الأبواء - ويقال ودان - وبينهما ستة أميال هي بحداثها ؛ واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إليها سعد بن عباد بن دليم . وكان صاحب لوائه في هذه الغزاة حمزة بن عبد المطلب ، وكان لواءه - فيما ذكر - أبيض .

وقال الواقدي : كان مقامه بها خمس عشرة ليلة ، ثم قدم المدينة .

قال الواقدي : ثم غزا رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه ؛ حتى بلغ بواط في شهر ربيع الأول ؛ يعترض لغيرات قريش ، وفيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . ثم رجع ولم يلق كيداً .

وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص ، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ في غزوته هذه .

قال : ثم غزا في ربيع الأول في طلب كُرَزين بن جابر الفهري في المهاجرين ، وكان قد أغار على سرح المدينة ، وكان يرعى بالجماء فاستاقه ، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ بدرأ فلم يلحقه ؛ وكان يحمل لواءه علي بن أبي طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال : وفيها خرج رسول الله ﷺ يعترض لغيرات قريش حين أبدأت إلى الشام في المهاجرين - وهي غزوة ذات العُشيرة - حتى بلغ ينبع ؛ واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يزيد بن خثيم ؛ عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : حدثنا أبوك يزيد بن خثيم ، عن عمار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلي رفيقين مع رسول الله ﷺ في غزوة العُشيرة ، فنزلنا منزلاً ، فرأينا رجالاً من بني مُدَلِج يعملون في نخل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غشنا النعاس ، فعمدنا إلى صور من النخل ؛ فنمنا تحته في دفعاء من التراب ، فما أيقظنا إلا رسول الله ﷺ ، أتانا وقد تتربنا في ذلك التراب ، فحرك علياً برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس ؟ أحرثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - فيخضب هذه منها ؛ وأخذ بلحيته .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن

محمد بن خُثَيْم المحاربيّ ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، عن محمد بن خُثَيْم - وهو أبو يزيد - عن عُمَار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعليّ رفيقَيْن ، فذكر نحوه .

وقد قيل في ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدّثني به محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل بن سعد : إنّ بعضُ أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تَسْبُ عليّاً عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سَمَّاهُ بذلك إلّا رسولُ الله ﷺ ، قال : قلتُ : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : دخل عليّ على فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في فيء المسجد . قال : ثم دخل رسولُ الله ﷺ على فاطمة ، فقال لها : أين ابنُ عمِّك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال : فجاءه رسولُ الله ﷺ ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلّص التراب إلى ظهره ؛ فجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سَمَّاهُ به إلّا رسولُ الله ﷺ ؛ ووالله ما كان له اسمٌ أحبّ إليه منه !

قال أبو جعفر : وفي هذه السّنة في صَفَر ، لليال بقيْنَ منه ، تزوّج عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها ؛ حدّثتُ بذلك ، عن محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي قُرّة ، عن أبي جعفر .

قال أبو جعفر الطبريّ : ولمّا رَجَعَ رسولُ الله ﷺ من طلب كُرْز بن جابر الفهريّ إلى المدينة ، وذلك في جُمادى الآخرة ؛ بعث في رجب عبدُ الله بن جَحْش معه ثمانية رهط من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ؛ فيما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني الزهريّ ويّزید بن رومان ؛ عن عُرّة بن الزبير ، بذلك .

وأما الواقديّ فإنه زعم أن رسولَ الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش سرّيةً في اثني عشر رجلاً من المهاجرين .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهريّ ويّزید بن رومان ، عن عُرّة ، قال : وكتب رسولُ الله ﷺ له كتاباً - يعني لعبد الله بن جَحْش - وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ؛ ثم ينظر فيه فيمضي له أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه ، فلمّا سار عبدُ الله بن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه : « وإذا نظرت في كتابي هذا ؛ فسرّ حتى تنزل نخلة بين مكّة والطائف ؛ فترصد بها قريشاً ، وتعلّم لنا من أخبارهم » . فلمّا نظر عبدُ الله في الكتاب ، قال : سمعُ وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسولُ الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة ، فأرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهاني أن استكره أحداً منكم ؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ؛ فأما أنا فمأضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، وسلّك على الحجاز ؛ حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع يقال له بُحران ، أضلّ سعد بن أبي وقاص وعُتْبة بن غَزْوان بغيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلّفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرّت به عير لقريش تحمل زبيلاً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرميّ ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّان ، والحكم بن كيّسان مولى هشام بن المغيرة . فلمّا رآهم القوم هابوهم ؛ وقد

نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما رآوه أمنوا ، وقالوا : عُمَارَ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ . وتشاور القوم فيهم ؛ وذلك في آخر يوم من رجب ؛ فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحَرَمَ ؛ فليمتنعنَّ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام . فتردَّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجَّعوا عليهم ، وأجمعوا على قتل مَنْ قَدَرُوا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ؛ فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعين والأسيرين ؛ حتى قَدِمُوا على رسول الله ﷺ بالمدينة .

قال : وقد ذَكَرَ بعض آل عبد الله بن جحش ، أنَّ عبد الله بن جحش ، قال لأصحابه : إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا غَنِمْتُمُ الْخُمْسَ - وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس - فعزل لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُمُسَ الْغَنِيمَةِ ، وقسم سائرهما بين أصحابه ؛ فَلَمَّا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ ، قال : ما أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . فَوَقَّفَ الْعِيرَ وَالْأَسِيرِينَ ؛ وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، وَعَنَفَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا صَنَعُوا . وقالوا لهم : صَنَعْتُمْ مَا لَمْ تُؤْمَرُوا بِهِ ، وَقَاتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ تُؤْمَرُوا بِقِتَالِ ! وقالت قريش : قد استحلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ ، وَأَسْرُوا فِيهِ الرِّجَالَ . فقال مَنْ يَرَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَن كَانَ بِمَكَّةَ : إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شُعْبَانَ . وقالت يهود ؛ تَفَاءَلُ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : عمرو بن الحضرمي قتل واقد بن عبد الله : « عمرو » عمرت الحرب ، و « الحضرمي » حضرت الحرب ، و « واقد بن عبد الله » وقدت الحرب ؛ فجعل الله عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ .

فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالِ فِيهِ ﴾ (١) الْآيَةِ . فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَذَا مِنَ الْأَمْرِ وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّفَقِ ، قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِيرَ وَالْأَسِيرِينَ .

وبعث إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : لَا نُفْدِيكُمْوهما ؛ حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا ؛ فَإِنْ تَقَتَّلُوهُمَا نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ . فقدم سعد وعُتْبَةُ ، ففاداهما رسول الله ﷺ مِنْهُمْ ؛ فَأَمَّا الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَتَلَ يَوْمَ بَثْرَ مَعُونَةَ شَهِيداً .

قال أبو جعفر : وخالف في بعض هذه القصة محمد بن إسحاق والواقدي جميعاً السدي ؛ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْبَاطُ ، عَنِ السَّدي : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالِ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً سَبْعَةَ نَفَرٍ ؛ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ الْأَسَدِيُّ وَفِيهِمْ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ السُّلَمِيُّ حَلِيفُ لَبْنِي نَوْفَلٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ ، وَعَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَرْبُوعِيُّ ؛ حَلِيفُ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ . وَكُتِبَ مَعَ ابْنِ جَحْشٍ كِتَاباً وَأَمْرُهُ أَلَّا يَقْرَأَهُ حَتَّى يَنْزِلَ بَطْنُ

مَلَكٌ ؛ فَلَمَّا نَزَلَ بِطَرْنِ مَلَكٍ فَتَحَ الْكِتَابَ ؛ فَإِذَا فِيهِ : أَنْ سِرَّ حَتَّى تَنْزِلَ بِطَرْنِ نَخْلَةٍ ؛ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمَوْتَ فَلْيَمُضْ وَلْيُوصِ ؛ فَإِنِّي مُوصٍ وَمَا ضِيءُ لَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَسَارَ وَتَخَلَّفَ عَنْهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، أَضَلَّ رَاحِلَةَ لَهَا ، فَأَتِيَا بُخْرَانَ يَطْلُبَانِهَا ، وَسَارَ ابْنُ جَحْشٍ إِلَى بَطْنِ نَخْلَةٍ ؛ فَإِذَا هُوَ بِالْحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، وَالْمَغِيرَةَ بْنِ عَثْمَانَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ؛ فَاقْتَتَلُوا ، فَأَسْرَوْا الْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَغِيرَةِ ، وَانْفَلَتَ الْمَغِيرَةُ ، وَقُتِلَ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، قَتَلَهُ وَقَدَّ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ . فَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ .

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بِالْأَسِيرِينَ وَمَا أَصَابُوا مِنَ الْأَمْوَالِ ؛ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُفَادُوا الْأَسِيرِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : حَتَّى نَنْظُرَ مَا فَعَلَ صَاحِبَانَا . فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدٌ وَصَاحِبُهُ فَادَى بِالْأَسِيرِينَ ، فَفَجَّرَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ ، وَقَالُوا : مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَتَّبِعُ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَحَلَّ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَقَتْلَ صَاحِبِنَا فِي رَجَبٍ ! فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : إِنَّمَا قَتَلْنَاهُ فِي جُمَادَى - وَقِيلَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ وَآخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى - وَغَمَدَ الْمُسْلِمُونَ سِيوفَهُمْ حِينَ دَخَلَ رَجَبٌ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُعَيِّرُ أَهْلَ مَكَّةَ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ . الْآيَةُ .

قال أبو جعفر : وقد قيل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان انتدب لهذا المسير أبا عبيدة بن الجراح ، ثم بدا له فيه ، فندب له عبد الله بن جحش .

ذكر الخبر بذلك :

حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ؛ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ عَنْ أَبِي السَّوَّارِ ؛ يَحَدِّثُهُ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ بَعَثَ رَهْطًا ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ؛ فَلَمَّا أَخَذَ لِيَنْطَلِقَ بِكَيْ صَبَابَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَبَعَثَ رَجُلًا مَكَانَهُ يَقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمْرُهُ إِلَّا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ كَذَا وَكَذَا : « وَلَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى السَّيْرِ مَعَكَ » . فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ طَاعَةَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ! فَخَبَّرَهُمْ بِالْخَبَرِ ؛ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ ، فَرَجَعَ رَجُلَانِ وَمَضَى بَقِيَّتُهُمْ ، فَلَقُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ ، وَلَمْ يَدْرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ رَجَبٍ أَوْ مِنْ جُمَادَى ! فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ : فَعَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ! فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ ، فَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ، الْفِتْنَةُ هِيَ الشُّرْكُ .

وقال بعض الذين - أظنه قال - : كانوا في السرية : والله ما قتلناه إلا واحداً ؛ فقال : إن يكن خيراً فقد وليت ، وإن يكن ذنباً فقد عملت .

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبلة المسلمين من الشام إلى الكعبة ، وذلك في السنة الثانية من مقدم النبي ﷺ المدينة في شعبان .

واختلف السلف من العلماء في الوقت الذي صُرفت فيه من هذه السنة ؛ فقال بعضهم - وهم الجمهور الأعظم : صُرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .
ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدَّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : كان الناس يصلُّون قبل بيت المقدس ؛ فلما قدِم النبي ﷺ المدينة على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره ، كان إذا صلَّى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر ، وكان يصلي قبل بيت المقدس ؛ فنسختها الكعبة ، وكان النبي ﷺ يحب أن يصلي قبل الكعبة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ . . . ﴾ (١) ، الآية .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .

وحدَّثت عن ابن سعد ، عن الواقدي مثل ذلك . وقال : صُرفت القبلة في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنما صُرفت القبلة إلى الكعبة لسنة عشر شهراً مضت من سني الهجرة .
ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا المثنى بن إبراهيم الأملي ، قال : حدَّثنا الحجاج ، قال : حدَّثنا همام بن يحيى ، قال : سمعت قتادة ، قال : كانوا يصلُّون نحو بيت المقدس ، ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة ، وبعدما هاجر رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام .

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول : استقبل النبي ﷺ بيت المقدس ستة عشر شهراً ، فبلغه أن يهود تقول : والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ! فكَرِهَ ذلك النبي ﷺ ، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ . . . ﴾ (١) الآية .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فرض - فيما ذكر - صوم رمضان . وقيل : إنه فرض في شعبان منها . وكان النبي ﷺ حين قدِم المدينة ، رأى يهود تصوم يوم عاشوراء ؛ فسألهم فأخبروه أنه اليوم الذي غرق الله فيه آل فرعون ، ونجَّى موسى ومن معه منهم ؛ فقال : نحن أحق بموسى منهم . فصام وأمر الناس بصومه ، فلما فرض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .
وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إن النبي ﷺ خطب الناس قبل يوم الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .

وفيهما خَرَجَ إلى المصلَّى فصلَّى بهم صلاة العيد ؛ وكان ذلك أوَّلَ خَرَجَةٍ خرجها بالناس إلى المصلَّى لصلاة العيد .

وفيهما - فيما ذكر - حُمِلَت العَنَزَةُ له إلى المصلَّى فصلَّى إليها ، وكانت للزبير بن العوام - كان النجاشي وهبها له - فكانت تحمَلُ بين يديه في الأعياد ، وهي اليوم فيما بلغني عند المؤذنين بالمدينة .

وفيهما كانت وقعة بدر الكبرى بين رسول الله ﷺ والكفار من قريش ؛ وذلك في شهر رمضان منها . ثم اختلفوا في اليوم الذي فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة ليلة من رمضان ؛ فإنها ليلة بدر .

حدَّثنا محمد بن عُمارة الأسدي ، قال : حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حُجَيْرِ الثعلبي ، عن الأسود عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان ، فإن صبيحتها كانت صبيحة بدر .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا عبيد بن محمد المحاربي ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحِبِّي ليلة من شهر رمضان كما يحبي ليلة تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفرًا من أثر السهر ، فقل له ، فقال : إن الله عز وجل فرَّق في صبيحتها بين الحقِّ والباطل . وقال آخرون : كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدَّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدَّثنا شعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدِّث عن حُجَيْر ، عن الأسود وعَلْقَمَةَ ، أنَّ عبد الله بن مسعود ، قال : التمسوها في سبع عشرة . وتلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ التَّفَى الْجَمْعَانِ ﴾^(١) ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين .

حدَّثنا الحارث ، قال : حدَّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثنا الثوري ، عن الزبير بن عدي ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانت بدر صبيحة تسع عشرة من رمضان .

حدَّثنا الحارث ، قال : حدَّثنا ابنُ سعد ، قال : حدَّثنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله .

قال الحارث : قال ابنُ سعد ، قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن صالح ، فقال : هذا أعجب

الأشياء ؛ ما ظننتُ أنَّ أحداً من أهل الدنيا شكَّ في هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان ، يوم الجمعة .
قال محمد بن صالح : وسمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ، يقولان ذلك . قال لي
محمد بن صالح : يا بن أخي ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال في هذا ! هذا أبينُ من ذلك ؛ ما يجهل هذا النساء
في بيوتهنَّ .

قال الواقدي : فذكرته لعبد الرحمن بن أبي الزناد ، فقال : أخبرني أبي ، عن خارجة بن زيد ، عن
زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْمِي ليلةَ سبعِ عشرة من شهر رمضان ؛ وإن كان ليُصْبِحَ وعلى وجهه أثر السَّهَرِ ،
ويقول : فرَّق الله في صبيحتها بين الحقِّ والباطل ، وأعزَّ في صُبْحها الإسلام ، وأنزل فيها القرآن ، وأذلَّ فيها
أئمة الكفر .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا يحيى بن واضح ، قال : حدَّثني
يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عَوْن محمد بن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي
عبد الله بن حبيب ، قال : قال : قال الحسن بن علي بن أبي طالب : كانت ليلة الفُرْقان يوم التقى الجمعان ،
لسبع عشرة من رمضان .

وكان الذي هاجَ وقعة بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش - فيها قال
عُروَةُ بن الزُّبَيْر - ما كان من قَتْل واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدَّثنا علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث - قال علي : حدَّثنا عبد
الصمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدَّثني أبي - قال : حدَّثنا أبان العطار ، قال : حدَّثنا هشام بن
عُروَةَ ، عن عُروَةَ ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إليَّ في أبي سفيان ومخرجه ،
تَسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أنَّ أبا سفيان بن حَرْب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من
قبائل قريش كلِّها ، كانوا تجاراً بالشَّام ، فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارتهم ، فذكروا لرسول الله ﷺ
وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى ، وقُتِل ابن الحضرمي في ناس بنخلة ، وأسرت
أسارى من قريش ؛ فيهم بعض بني المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد
حليف بني عدي بن كعب ، في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك
الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك
قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام . ثم إنَّ أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومَن معه من رُكبان قريش مقبلين من
الشَّام ، فسلكوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ نَدَب أصحابه وحدَّتهم بما معهم من الأموال ،
وبقَّة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلَّا أبا سفيان والركب معه ؛ لا يرونها إلَّا غنيمة لهم ؛ لا يظنون أن يكون
كبيرُ قتال إذا لقوهم ، وهي التي أنزل الله عزَّ وجلَّ فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ (١) .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله ﷺ معترضون له ، بعث إلى قريش : إنَّ محمدًا وأصحابه معترضون لكم ، فأجبروا وتجارتكم . فلما أتى قريشاً الخبر - وفي غير أبي سفيان ؛ من بطون كعب بن لؤي كلها - نفروا لها أهل مكة ؛ وهي نفرة بني كعب بن لؤي ، ليس فيها من بني عامر أحد إلا من كان من بني مالك بن حسل ؛ ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله ﷺ ولا أصحابه ؛ حتى قدم النبي ﷺ بذرًا - وكان طريق ركبات قريش ؛ من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام - فخفض أبو سفيان عن بذر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرصد على بذر ، وسار النبي ﷺ ، حتى عرس قريباً من بدر ، وبعث النبي ﷺ الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا يحسبون أن قريشاً خرجت لهم ، فبينما النبي ﷺ قائم يصلي ؛ إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ؛ فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله ﷺ مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله ﷺ وهو في مُعرسه ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ؛ لا يحسبون إلا أنه معهم ، فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤوسهم ، ويصدقهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ، وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي ﷺ يصلي ؛ يركع ويسجد يرى ويسمع ما يصنع بالعبد ، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ؛ فجعل العبد إذا أذلقوه بالضرب وسأله عن أبي سفيان وأصحابه - وليس له بهم علم ؛ إنما هو من روايا قريش - قال : نعم ، هذا أبو سفيان ، والركب حينئذ أسفل منهم ، قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ أَنتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلُ مِنْكُمْ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾^(١) ، فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلما رأى صنيعهم النبي ﷺ انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : والذي نفسي بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتتركونه إذا كذب ! قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت ، قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير ركبها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لي بأبي سفيان ، فسأله : كم القوم ؟ فقال : لا أدري ؛ والله هم كثير عددهم . فزعموا أن النبي ﷺ قال : مَنْ أطعمهم أول من أمس ؟ فسَمِيَ رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نحر لهم ؟ قال : تسع جزائر ، قال : فَمَنْ أطعمهم أمس ؟ فسَمِيَ رجلاً ، فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر ؛ فزعموا أن النبي ﷺ قال : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

فانطلق النبي ﷺ فنزل الماء وملاً الحياض ، وصفت عليها أصحابه ، حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله ﷺ بذرًا قال : هذه مصارعهم ؛ فوجدوا النبي ﷺ قد سبقهم إليه ونزل عليه . فلما طلوعوا عليه زعموا أن النبي ﷺ قال : هذه قريش قد جاءت بجلبته وفخرها ؛ تحاذك وتكذب رسولك ! اللهم إني أسألك ما وعدتني .

فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثا في وجوههم التراب ؛ فهزمهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبي ﷺ قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه : أن أرجعوا - والركب الذين يأمرهم قريشاً بالرجعة

بالجُحفة - فقالوا : والله لا نرجع حتى نزل بدرأ ، فنقيم به ثلاث ليال ، ويرانا مَنْ غَشِينا من أهل الحجاز ؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا . وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ ﴾ (١) ؛ فالتقوا هُم والنبي ﷺ ، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكُفر وشفى صدور المسلمين منهم .

حَدَّثني هارون بن إسحاق ، قال : حَدَّثنا مصعب بن المقدام ، قال : حَدَّثنا إسرائيل ، قال : حَدَّثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن عليّ عليه السلام ، قال : لما قَدِمْنَا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتَوَيْنَاهَا ، وأصابنا بها وعكٌ ، وكان رسولُ الله ﷺ يتخَبَّر عن بدر ؛ فلما بلغنا أَنَّ المشركين قد أَقبلُوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بئر - فسَبَقْنَا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين ، منهم رجلٌ من قريش ، ومولى لَعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط ؛ فأما القرشي فأنفلت ، وأما مولى عُقْبَةَ فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ، شديد بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال لهم : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ، شديد بأسهم ، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم ، فأبى . ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ سأله : كم ينحرون من الجُزُر ؟ فقال : عشراً كل يوم ، قال رسولُ الله ﷺ : القوم ألف .

ثم إنه أصابنا من الليل طَشٌّ من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسولُ الله ﷺ يدعو ربَّه : اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هذه العصابة لا تُعْبَد في الأرض . فلما أُنْ طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر والحَجَف ، فصلى بنا رسولُ الله ﷺ ، وحرَّض على القتال ، ثم قال : إنَّ جَمْع قريش عند هذه الضِّلعة من الجبل . فلما أُنْ دنا القوم منا وصافقناهم ؛ إذا رجلٌ من القوم على جَمَلٍ أحمر يسير في القوم ، فقال رسولُ الله ﷺ : يا عليّ ، نادِ لي حمزة - وكان أقربهم إلى المشركين - : مَنْ صاحبُ الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال رسولُ الله ﷺ : إن يكن في القوم مَنْ يأمر بالخير ؛ فعسى أن يكونَ صاحبُ الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عُتْبَةُ بن ربيعة ؛ وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إني أرى قوماً مُسْتَمِيتين لا تصلون إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصِبوها اليوم برأسي ، وقولوا : جَبْنُ عُتْبَةَ بن ربيعة ؛ ولقد علمتم أَنِّي لستُ بأجبنكم .

قال : فسمِعَ أبو جهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضته ! لقد ملئت رثك وجوفك رُعْباً ، فقال عتبة : إِيَّاي تُعَيِّر يا مُصَفِّر استِه ! ستعلم اليوم أينا أجبن !

قال : فبرز عُتْبَةُ بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة ، وابنه الوليد ، حميَّة ، فقالوا : مَنْ يبارز ؟ فخرج فُتَيْة من الأنصار ستة ، فقال عُتْبَةُ : لا نريد هؤلاء ؛ ولكن يبارزنا من بني عَمْنَا من بني عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ : يا عليّ قُم ، يا حمزة قُم ، يا عُبيدة بن الحارث قُم ، فقتل الله عُتْبَةَ بن ربيعة وشيبه بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عُبيدة بن الحارث ؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال : يا رسولَ الله ؛ والله ما هذا أسرنِي ، ولكن أسرنِي رجل أجْلَح من أحسن الناس وجهاً ، على فرس أبلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري ، أنا أسرته ، فقال رسولُ الله ﷺ : لقد آزرَك الله بملكٍ كريم . قال عليّ : فأسير من بني عبد

المطلب العباس وعقيل ونوفل بن الحارث .

حدثني جعفر بن محمد البرزوري ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن علي ، قال : لما أن كان يوم بدر ، وحضر البأس اتقينا برسول الله ، فكان من أشد الناس بأسا ، وما كان منا أحد أقرب إلى العدو منه .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي ، قال : سمعته يقول : ما كان فينا فارس يوم بدر غير مقداد بن الأسود ؛ ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم ، إلا رسول الله ﷺ قائماً إلى شجرة يصلي ، ويدعو حتى الصباح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ؛ وفيها ثلاثون راكباً من قريش - أو أربعون - منهم خزيمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان ؛ عن عروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله أن ينفلكموها ، فانتدب الناس فحفت بعضهم وثقل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان تحوفاً على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد بن رومان ، عن عروة ، قال : وقد رأيت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفرعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم علي ما أحدثك [به] قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح . ثم صرخ بأعلى صوته : أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ! فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبال ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار من دورها إلا دخلت منها فلقمة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا رأيت فاكتموها ولا تذكرها لأحد .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث ؛ حتى تحدّث به قريش [في أنديةها] .

قال العباس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة ؛ فلما رأي أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل ؛ إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . قال : فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ؛ متى حدّثت فيكم هذه النبئة ! قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ؛ نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً . قال : ثم تفرقنا ؛ فلما أمسيت لم تبقى امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غيره شيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ؛ ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأعرضن له ؛ فإن عاد لأكفينكموه .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ؛ فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر - إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : قلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرقاً من أن أشاتم ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدّع بعيره ، وحول رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث !

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فتجهّز الناس سراعاً ، وقالوا : أيطنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ! كلاً والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إمّا خارج ، وإمّا باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد ؛ إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعته ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً ثقيلاً ، فأتاه عقبه بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجمرة يحملها ، فيها نار ومجمر ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا

عليّ ، استجمر ؛ فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهّز ، فخرج مع الناس ، فلمّا فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السّير ؛ ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، وحدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ؛ فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقَة بن جُعْثَم المذَلْجِي - وكان من أشرف كنانة - فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعاً .

قال أبو جعفر : وخرج رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني عن غير ابن إسحاق - لثلاث ليالٍ خلّون من شهر رمضان في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه ؛ فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة .

فقال بعضهم ، كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحابَ بدر يوم بدر كعدّة أصحاب طالوت ، ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً ؛ الذين جاوَزُوا النهر ؛ فسكت .

حدّثني محمد بن عُبَيْد المحاربيّ ، قال : حدّثنا أبو مالك الجُنَيْي ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون يومَ بدر سبعة وسبعين رجلاً ؛ وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان صاحبُ راية رسولِ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعد بن عُبادَة .

وقال آخرون : كانوا ثلاثمائة رجل وأربعة عشر ، مَنْ شهد منهم ، ومن ضُربَ بسهمه وأجره ؛ حدّثنا بذلك ابنُ مُحمّد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلاثمائة وسبعة .

وأما عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلاثمائة رجل وبضعة عشر رجلاً .

ذكر من قال ذلك :

حدّثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصْعَب بن المُقْدَام ، وحدّثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِيّ ، قال : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوَزُوا معه النهر - ولم يَجْزُ معه إلّا مؤمن - ثلاثمائة وبضعة عشر .

حدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا سُفْيَان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ،

قال : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثِمِائَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ ؛ مَنْ جَازَ مَعَهُ النَّهْرَ ؛ وَمَا جَازَ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ؛ عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ ، بِنَحْوِهِ .

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْرَائِيلَ الرَّمْلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ مُسْعَرٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ ، قَالَ : عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسْعَرٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ ، مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ : أَنْتُمْ بَعْدَ أَصْحَابِ طَالُوتَ يَوْمَ لَقِيَ جَالُوتَ ، وَكَانَ أَصْحَابُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثِمِائَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنِ السَّيِّدِيِّ ، قَالَ : خَلَصَ طَالُوتُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ؛ عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثِمِائَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ . قَالَ : وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى السَّاقَةِ قَيْسُ بْنُ أَبِي صَعْصَعَةَ أَخَا بَنِي مَازَنَ بْنِ النَّجَّارِ ، فِي لَيْالٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ فَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الصَّفْرَاءِ ، بَعَثَ بِسَبْسَ بْنِ عَمْرٍو الْجُهَنِيِّ ، حَلِيفَ بَنِي سَاعِدَةَ وَعَدِيَّ بْنِ أَبِي الزَّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّ حَلِيفَ بَنِي النَّجَّارِ إِلَى بَدْرٍ ، يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَعِيره ؛ ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ وَقَدْ قَدَّمَهُمَا ؛ فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ الصَّفْرَاءَ - وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ - سَأَلَ عَنْ جَبَلَيْهِمَا : مَا أَسْمَاؤُهُمَا ؟ فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا : هَذَا مُسْلِحٌ ؛ وَقَالُوا لِلْآخَرِ : هَذَا مُخْرِيٌّ ؛ وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِيهِمَا ، فَقَالُوا : بَنُو النَّارِ وَبَنُو حُرَّاقٍ (بَطْنَانِ مِنْ بَنِي غِفَّارٍ) ، فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُرُورَ بَيْنَهُمَا ، وَتَفَاعَلَ بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسَاءَ أَهْلِيَهُمَا ؛ فَتَرَكَهُمَا وَالصَّفْرَاءَ بَيْسَارَ ، وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَفْرَانٌ ؛ فَخَرَجَ مِنْهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِهِ نَزَلَ .

وَأَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ قَرِيشٍ بِمُسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيَرَهُمْ ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قَرِيشَ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ فَأَحْسَنَ ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ فَأَحْسَنَ ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضُ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، فَنَحْنُ مَعَكَ ؛ وَاللَّهِ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ^(١) ؛ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ . فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرَكِ الْغِمَادِ - يَعْنِي مَدِينَةَ الْحَبْشَةِ - لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُحَارِبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا

المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لقد شهدتُ من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما في الأرض من شيء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه ؛ فأتاه المقداد على تلك الحال ، فقال : أبشّر يا رسول الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكوننّ من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفتّح الله لك .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ أيها الناس - وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله ؛ إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ؛ نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا ؛ فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته ؛ إلا ممن ذمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم - فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ؛ فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ؛ ما تخلف منا رجل واحد ؛ وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ؛ إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ؛ والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من دفران ، فسلك على ثنانيا يقال لها الأصافر ، ثم انحط منها على بلد يقال لها الدبة ، وترك الحنّان بيمين ؛ - وهو كتيب عظيم كالجلبل - ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه - كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتم ! فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك ؛ فقال : وذاك بذاك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدّقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله ﷺ - وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدّثني صدّقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتم ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : « ما من ماء » ، أمّن ماء العراق !

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ؛ فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليه - كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، كما حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير - فأصابوا راوية لريش فيها أسلم ؛ غلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بني العاص بن سعيد ؛ فأتوا بهما

رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فسألوهما ، فقالا : نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، وَرَجَوْا أَنْ يَكُونَا لِأَبِي سَفِيَانٍ ؛ فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ ، وسجد سجدتين ، ثم سلم ، فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صَدَقَا وَاللَّهِ ! إِنْهَا لَقَرِيشٌ ، أَخْبِرَانِي : أَيْنَ قَرِيشٌ ؟ قَالَا : هُم وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى - وَالْكَثِيبُ : الْعَقَنْقَلُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهَا : كَمْ الْقَوْمُ ؟ قَالَا : كَثِيرٌ ، قَالَ : مَا عِدَّتُهُمْ ؟ قَالَا : لَا نَدْرِي ، قَالَ : كَمْ يَنْحَرُونَ كُلُّ يَوْمٍ ؟ قَالَا : يَوْمًا تِسْعًا وَيَوْمًا عَشْرًا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ وَالْأَلْفِ . ثُمَّ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قَرِيشٍ ؟ قَالَ : عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ جَزَامٍ ، وَنُوفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نُوْفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ نُوْفَلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَزُرْمَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَأَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنَبِيَّهُ ، وَمُنْبَهُ ابْنُ الْحَجَّاجِ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحَ كِبْدِهَا .

قالوا : وقد كان بَسْبَسُ بْنُ عَمْرٍو وَعَدِيُّ بْنُ أَبِي الزُّغْبَاءِ مَضِيًّا حَتَّى نَزَلَا بِدْرًا ، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَخَذَا شَنَا يَسْتَقِيَانِ فِيهِ - وَمَجْدِيُّ بْنُ عَمْرٍو الْجُهَنِيُّ عَلَى الْمَاءِ - فَسَمِعَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ ؛ وَهُمَا تَتَلَاظِمَانِ عَلَى الْمَاءِ ؛ وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِصَاحِبَتِهَا : إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَأَعْمَلْ لِهَمْ ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ . قَالَ مَجْدِيُّ : صَدَقَتْ ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا ؛ وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا ، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا .

وأقبل أبو سفيان قد تقدّم العيرَ حَذِرًا حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَقَالَ لِمَجْدِيِّ بْنِ عَمْرٍو : هَلْ أَحْسَسْتَ أَحَدًا ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْكَرُهُ ؛ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَاكِبِينَ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَنْ لَهَا ؛ ثُمَّ انْطَلَقَا . فَأَتَى أَبُو سَفِيَانٍ مَنَاخَهُمَا ، فَأَخَذَ مِنْ أُبْعَارِ بَعِيرَيْهَا فَفَتَّهَ ؛ فَإِذَا فِيهِ نَوًى . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفٌ يَثْرُبُ ! فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا ، فَضَرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَسَاحَلَ بِهَا ، وَتَرَكَ بِدْرًا يَسَارًا ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحْفَةَ رَأَى جُهِيمُ بْنُ الصَّلْتِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ رُؤْيَا ؛ فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ فِيهَا يَرَى النَّائِمَ ، وَإِنِّي لَبِينَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ حَتَّى وَقَفَ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : قُتِلَ عَتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ؛ فَعَدَّدَ رِجَالًا مِمَّنْ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَشْرَافِ قَرِيشٍ ؛ وَرَأَيْتُهُ ضَرَبَ فِي لَبَّةٍ بَعِيرِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ ، فَمَا بَقِيَ خِجَاءٌ مِنْ أُخْبِيَةِ الْعَسْكَرِ إِلَّا أَصَابَهُ نَضْحٌ مِنْ دَمِهِ .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبئ آخر من بني المطلب ؛ سَيَعْلَمُ غَدًا مَنْ الْمَقْتُولُ إِنْ نَحْنُ التَّقِينَا !

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ؛ فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بَدْرًا - وكان بَدْرُ

مَوْسِياً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سُوقُ كُلِّ عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحرُ الجُزْرَ ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونسقي الخُمور ، وَتَعْرِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأَخْنَسُ بن شَرِيْق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زُهْرَةَ وهم بالجُحْفَةِ : يا بني زُهْرَةَ ؛ قد نَجَّى اللهُ لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مَخْرَمَةَ بن نوفل ؛ وإثماً نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَهَا وارجعوا ، فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضَيْعَةٍ ؛ لا ما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجعوا ؛ فلم يَشْهَدْها زهريّ واحدٌ ؛ وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نَفَر منهم ناس ، إلا بني عديّ بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زُهْرَةَ مع الأَخْنَس بن شَرِيْق ، فلم يشهد بديراً من هاتين القبيلتين أحدٌ . ومضى القوم .

قال : وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش مُحَاوَرَةً ، فقالوا : والله لقد عَرَفْنَا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع . قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبي ؛ فإنه قال فيها حَدَّثْتُ عنه : شَخْصَ طَالِبُ بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين ، أخرج كرهاً . فلم يوجَد في الأُسْرَى ولا في القتلى ، ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ؛ وهو الذي يقول :

يَا رَبِّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبَ فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ
فَلْيَكُنِ الْمُسْلُوبُ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبُ غَيْرَ الْغَالِبِ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى من الوادي ؛ خلف العَقَنْقَل ، وبطن الوادي وهو يَلِيل ، بين بدر وبين العَقَنْقَل ؛ الكتيب الذي خلفه قريش ، والقُلْبُ ببدر في العُدْوَةِ الدُّنْيَا من بطن يَلِيل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادي دَهْساً ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لَبَدَ لهم الأرض ؛ ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه ؛ فخرج رسول الله ﷺ يُبَادِرُوهم إلى الماء ؛ حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

حدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : حَدَّثْتُ عن رجال من بني سَلَمَةَ ؛ أنهم ذكروا أَنَّ الْحُبَابَ بن الْمُنْذِر بن الْجُمُوح ، قال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أَمْزَلُ أَنْزَلَكَ اللهُ ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّره ، أم هو الرَّأْيُ والحرب والميكدة ؟ قال : بَلْ هو الرَّأْيُ والحرب والميكدة ؛ فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانفضّ بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نعوّز ما سواه من القُلْب ، ثم نبني عليه حَوْضاً فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتَ بالرأي . فنفض رسول الله ﷺ وَمَنْ معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ؛ فنزل عليه . ثم أمر بالقُلْب فَعُوِّرَتْ ، وبني حَوْضاً على القَلْب الذي نزل عليه فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الأنية .

حدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أَنَّ سَعْدَ بن معاذ قال : يا رسول الله ، نَبْنِي لَكَ عَرِيشاً من جريد فتكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ،

ثم نَلَقَى عَدُوْنَا ؛ فَإِنْ أَعَزَّنَا اللهُ وَأَظْهَرْنَا عَلَى عَدُوْنَا كَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَحْبَبْنَا ، وَإِنْ كَانَتِ الْآخَرَى جَلَسَتْ عَلَى رَكَائِبِكَ ، فَلَحَقَتْ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا ، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ يَا نَبِيَّ اللهِ ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ ؛ وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ . يَمْنَعُكَ اللهُ بِهِمْ ، يَنَاصِحُونَكَ وَيَجَاهِدُونَ مَعَكَ . فَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ خَيْرٌ ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

ثم بُنِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَرِيشٌ ، فَكَانَ فِيهِ ؛ وَقَدْ ارْتَحَلَتْ قَرِيشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ ، فَأَقْبَلَتْ ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَصَوَّبَ مِنَ الْعَقَنْقَلِ - وَهُوَ الْكَثِيبُ الَّذِي مِنْهُ جَاؤُوا إِلَى الْوَادِي قَالَ : اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخَيْلَائِهَا وَفَخَرَهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ؛ اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ؛ اللَّهُمَّ فَأَخْنِهِمُ الْغَدَاةَ !

وقد قال رسول الله ﷺ - ورأى عتبة بن ربيعة في القوم ، على جبل له أحمر : إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ ؛ فعند صاحب الجمل الأحمر ؛ إن يُطِيعوه يَرشُدُوا . وقد كان خُفَافٌ بنِ إِيْمَاءَ بنِ رَحَضَةَ الْغِفَارِيِّ - أو أبوه إِيْمَاءَ بنِ رَحَضَةَ - بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له بجزائر أهداها لهم ، وقال : إن أحببتُم أن أمدّكم بسلاح ورجال فعَلْنَا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أَنْ وَصَلْتِكَ الرَّحْمَ ! فقد قضيت الذي عليك ؛ فَلَعَمْرِي لئن كنّا إغما نقاتل الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنّا نقاتل الله - كما يزعم محمد - فما لأحد بالله من طاقة .

فلَمَّا نَزَلَ النَّاسُ ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ ؛ حَتَّى وَرَدُوا حَوْضَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فِيهِمْ حَكِيمٌ بنِ حِزَامٍ ، عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : دَعُوهُمْ ؛ فَمَا شَرِبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَئِذٍ ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ؛ نَجَا عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْوَجِيهَ ، وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَحَسَنَ إِسْلَامُهُ ؛ فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ : لَا وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بنُ يَسَارٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : لَمَّا أَطْمَأَنَّ الْقَوْمُ ، بَعَثُوا عُمَيْرَ بنَ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ ، فَقَالُوا : احْزُرْ لَنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْعُسْكَرِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ ، يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ ؛ وَلَكِنْ أَمْهَلُونِي حَتَّى أَنْظُرَ ؛ أَلِلْقَوْمُ كَمِينَ أَمْ مَدَدَ ؟ قَالَ : فَضْرَبَ فِي الْوَادِي ؛ حَتَّى أَبْعَدَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا ، وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُ - يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ - الْوَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا ، نَوَاضِحٌ يَثْرِبُ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ ؛ قَوْمٌ لَيْسَ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ إِلَّا سَيُوفُهُمْ ؛ وَاللَّهِ مَا أَرَى [إِنْ] يُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؛ فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ ! فَارَوْا رَأْيَكُمْ .

فلَمَّا سَمِعَ حَكِيمُ بنِ حِزَامٍ ذَلِكَ ، مَشَى فِي النَّاسِ ، فَأَقَى عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؛ إِنَّكَ كَبِيرُ قَرِيشٍ اللَّيْلَةَ وَسَيِّدُهَا ، وَالْمَطَاعُ فِيهَا ؛ هَلْ لَكَ أَلَّا تَزَالَ تَذْكُرُ مِنْهَا بِخَيْرٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمُ ؟ قَالَ : تَرْجِعُ بِالنَّاسِ ، وَتَحْمِلُ دَمَ حَلِيفِكَ عَمْرُو بنِ الْحَضْرَمِيِّ ! قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، أَنْتَ عَلَيَّ بِذَلِكَ ؛ إِنَّمَا هُوَ حَلِيفِي فَعَلِي عَقْلُهُ ، وَمَا أَصِيبُ مِنْ مَالِهِ ؛ فَأَتِ ابْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ ؛ فَإِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ أَمْرُ النَّاسِ غَيْرُهُ - يَعْنِي أَبَا جَهْلَ بنَ هِشَامٍ .

حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِثَامَةُ بْنُ عَمْرِو السَّهْمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُسَوَّرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْيَرْبُوعِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ ، قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، إِذْ دَخَلَ حَاجِبُهُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُو خَالِدٍ حَكِيمُ بْنُ جِزَامٍ ، قَالَ : إِئْذَنْ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ حَكِيمُ بْنُ جِزَامٍ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا خَالِدٍ ! أَذُنٌ ، فَحَالَ لَهُ مَرْوَانُ عَنْ صَدْرِ الْمَجْلِسِ ؛ حَتَّى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَسَادَةِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ مَرْوَانُ ، فَقَالَ : حَدَّثَنَا حَدِيثَ بَدْرٍ ، قَالَ : خَرَجْنَا حَتَّى إِذَا نَزَلْنَا الْجُحْفَةَ رَجَعَتْ قَبِيلَةٌ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ بِأَسْرَهَا ، فَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْ مُشْرِكِيهِمْ بَدْرًا . ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى نَزَلْنَا الْعُدُوَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَجِئْتُ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَذْهَبَ بِشَرَفِ هَذَا الْيَوْمِ مَا بَقِيََتْ ؟ قَالَ : أَفْعَلُ مَاذَا ؟ قُلْتُ : إِنَّكُمْ لَا تَطْلُبُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا دَمَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ؛ وَهُوَ حَلِيفُكَ ، فَتَحْمَلُ دَيْتَهُ وَتَرْجِعَ بِالنَّاسِ . فَقَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ ، وَأَنَا أَتَحْمَلُ بِدَيْتِهِ ، وَاذْهَبْ إِلَى ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ - يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - فَقُلْ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تَرْجَعَ الْيَوْمَ بِمَنْ مَعَكَ عَنْ ابْنِ عَمِّكَ ؟ فَجِئْتُهُ إِذَا هُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ وَرَائِهِ ، وَإِذَا ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : قَدْ فَسَخْتُ عَقْدِي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَعَقْدِي إِلَى بَنِي مَخْزُومٍ . فَقُلْتُ لَهُ : يَقُولُ لَكَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَرْجَعَ الْيَوْمَ عَنْ ابْنِ عَمِّكَ بِمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : أَمَّا وَجَدَ رَسُولًا غَيْرَكَ ! قُلْتُ : لَا ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَكُونَ رَسُولًا لغيره . قَالَ حَكِيمُ : فَخَرَجْتُ مُبَادِرًا إِلَى عُتْبَةَ ؛ لثَلَاثَا يَفُوتَنِي مِنَ الْخَبَرِ شَيْءٌ ، وَعُتْبَةُ مُتَكَيِّئٌ عَلَى إِمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ الْغِفَارِيِّ ؛ وَقَدْ أَهْدَى إِلَى الْمُشْرِكِينَ عَشْرَ جِزَائِرٍ ، فَطَلَعَ أَبُو جَهْلٍ وَالشَّرُّ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ لِعُتْبَةَ : انْتَفِخْ سَحْرُكَ ! فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ : سَتَعْلَمُ ! فَسَلَّ أَبُو جَهْلٍ سَيْفَهُ ، فَضْرَبَ بِهِ مَتَنَ فَرْسِهِ ، فَقَالَ إِمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ : بَشَسَ الْفَأَلُ هَذَا ! فَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَتِ الْحَرْبُ .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ . ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ خَطِيبًا ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُونَ بَأَن تَلْقُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا ؛ وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَبْتُمُوهُ لَا يَزَالُ رَجُلٌ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ أَوْ ابْنَ خَالِهِ أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَارْجِعُوا وَخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ؛ فَإِنْ أَصَابُوهُ فَذَاكَ الَّذِي أُرِدْتُمْ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْفَاكُم وَلَمْ تَعْرِضُوا مِنْهُ مَا تَرِيدُونَ . قَالَ حَكِيمُ : فَانْطَلَقْتُ أَوْمًا أَبَا جَهْلٍ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ نَثَلَ دِرْعًا لَهُ مِنْ جِرَابِهَا ، فَهُوَ يَهْيِيئُهَا . فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحَكَمِ ، إِنَّ عُتْبَةَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا - لِلَّذِي قَالَ - فَقَالَ : انْتَفِخْ وَاللَّهِ سَحْرَهُ حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ؛ كَلَّا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَمَا بَعْتُهُ مَا قَالَ ؛ وَلَكِنَّهُ قَدْ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةَ جَزُورٍ ؛ وَفِيهِمْ ابْنُهُ فَقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا حَلِيفُكَ ، يَرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنَّاسِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ ثَارَكَ بَعِينِكَ ، فَقُمْ فَانْشُدْ خُفْرَتَكَ وَمَقْتَلَ أَخِيكَ . فَقَامَ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَانْكَشَفَ ثُمَّ صَرَخَ : وَاعْمَرَاهُ ! وَاعْمَرَاهُ ! فَحَمَيْتِ الْحَرْبُ ، وَحَقَّبَ أَمْرَ النَّاسِ ؛ وَاسْتَوْسَقُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ الرَّأْيَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ .

فَلَمَّا بَلَغَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ قَوْلَ أَبِي جَهْلٍ : « انْتَفِخْ سَحْرَهُ » ، قَالَ : سَيَعْلَمُ الْمُصَفِّرُ اسْتِئْثَانَهُ مِنْ انْتَفِخِ سَحْرِهِ ، أَنَا أَمْ هُوَ ! ثُمَّ التَّمَسَ بَيْضَةً يُدْخِلُهَا فِي رَأْسِهِ فَمَا وَجَدَ فِي الْجَيْشِ بَيْضَةً تَسَعُهُ مِنْ عِظَمِ هَامَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ اعْتَجَرَ عَلَى رَأْسِهِ بِبُرْدٍ لَهُ .

وَقَدْ خَرَجَ الْأَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ - وَكَانَ رَجُلًا شَرِسًا سَيِّئَ الْخُلُقِ - فَقَالَ : أَعَاهَدُ اللَّهَ لِأَشْرَبِينَ مِنْ حَوْضِهِمْ وَلَا هَدِيمَتَهُ أَوْ لَأُمُوتَنَّ دُونَهُ . فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ لَهُ هَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَلَمَّا اتَّقَا ضَرْبَهُ

حمزة ، فأطعن قدمه بنصف ساقه ؛ وهو دُونَ الحوض ، فوقع على ظهره تشخُبُ رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حَبَا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد - زَعَمَ - أن يُبْرِئَ يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عُتْبَةُ بن ربيعة بين أخيه شَيْبَةَ بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبَةَ ؛ حتى إذا فَصَلَ من الصفِّ دَعَا إلى المبارزة ، فخرج إليه فُتَيْة من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب ؛ فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفأ كِرَام ! فبارز عبيدة بن الحارث - وكان أَسَنَ القوم - عُتْبَةُ بن ربيعة ، وبارز حمزة شَيْبَةُ بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ؛ فأما حمزة فلم يمهل شية أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ؛ واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكُرَّ حمزة وعليّ بأسيا فهما على عُتْبَةَ ، فذففا عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به إلى أصحابه ؛ وقد قطعت رجله ؛ فمُخِّها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال : أَلَسْتُ شهيداً يا رسول الله ! قال : بلى ، فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول :

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّغَ حَوْلَهُ وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفأ كرام ، إنما نريد قومنا ، ثم تراحف الناس ؛ ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ؛ وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ؛ ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، كما حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ؛ كما حدَّثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين . وحدثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْحٌ يعدلُ به القوم ، فمرَّ بسَودَ بن غَزِيَّة ، حليف بني عدي بن النجار ، وهو مُسْتَتِل من الصفِّ ، فطعن رسول الله ﷺ في بطنه بالقِدْح ، وقال : اسْتَوِ يا سَودَ بن غَزِيَّة ؛ قال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق ، فأقِدني . قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ثم قال : استقِدْ ، قال : فاعتنقه وقبّل بطنه ، فقال : ما حملك على هذا يا سَودَ ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى فلم آمن القتل . فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلذك . فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش ، ودخله ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسول الله ﷺ يناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة اليوم - يعني المسلمين - لا تُعَبِّدَ بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك !

فإن الله عز وجل منجز لك ما وعدك .

فحدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : حدثني سماك الحنفي ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعدتهم ، ونظر إلى أصحابه نيّفاً على ثلاثمائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ؛ فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفك يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، مناشدتك ربك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفَلَاحِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا الثقفى - يعني عبد الوهاب - عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ ، قال وهو في قَبته يوم بدر : اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ؛ اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم !

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا نبي الله ، فقد ألححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول : ﴿ سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿ (١) .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خَفَقَ رسولُ الله ﷺ خفقةً وهو في العريش ؛ ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثنياه النقع . قال : وقد رُمي مهجعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ؛ فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رُمي حارثة بن سراقة ، أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الخوض فقتل . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم ، ونفل كل امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدبر ؛ إلا أدخله الله الجنة . فقال عميرُ بن الحُمَام ، أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل وهو يقول :

رَكُضاً إِلَى اللَّهِ بَغِيرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجَهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ الربَّ من عبده ؟ قال : غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِراً . فترع درعاً كانت عليه ، فقذفها ؛ ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ العُذْرِيِّ ، حليف بني زُهرة ، قال : لما التقى الناس ، ودنا

(١) سورة الأنفال : ٩ .

(٢) سورة القمر : ٤٥ - ٤٦ .

بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ ، وآتَانَا بما لَا يُعْرِفُ ؛ فَأَجِنِهُ الغدَاةَ ، فكان هو المستفتح على نفسه .

ثم إنَّ رسول الله ﷺ أخذ حَفْنَةً من الحَصْبَاءِ ، فاستقبل بها قريشاً ، ثم قال : شَاهَتِ الوجوه ! ثم نَفَحَهُم بها ، وقال لأصحابه : شُدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قَتَلَ من صناديد قريش ، وأسیر مَنْ أسیر منهم . فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ، ورسول الله ﷺ في العريش ، وسعد بن مُعَاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ ، متوشحاً السيف ، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوِّ ، ورأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكَرَاهِيَةَ لِمَا يصنع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : لكأنك يا سعد تكره ما يصنع الناس ! قال : أجل والله يا رسول الله ! كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشرَكين ؛ فكان الإِثْحَانُ في القتل أعجَبُ إليَّ من استبقاء الرجال .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدَّثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أنَّ رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخْرِجُوا كَرْهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فَمَنْ لَقِيَ منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، وَمَنْ لَقِيَ أبا البختريَّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، وَمَنْ لَقِيَ العباس بن عبد المطلب عمَّ رسول الله ﷺ فلا يقتله ؛ فإنه إنما أُخْرِجَ مستكرهاً .

قال : فقال أبو حذيفة بن عُتْبَةَ بن ربيعة : أنقُتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخوانَنَا وَعَشِيرَتَنَا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألحِمته السيف . فبلغت رسول الله ﷺ ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة ، يقول : أضرب وجه عمِّ رسول الله ﷺ بالسيف ! فقال عمر : يا رسول الله ، دَعْنِي فلا أضربنَّ عنقه بالسيف ؛ فوالله لقد نافق .

- قال عمر : والله إنه لأوَّلُ يوم كُنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص - .

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفَّرها عني الشهادة . فقُتِلَ يوم اليمامة شهيداً .

قال : وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريِّ ؛ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ؛ وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب ، فلقيه المُجَدَّرُ بن زياد البلوي ، حليف الأنصار من بني عدي ، فقال المجدَّرُ بن زياد لأبي البختريِّ : إنَّ رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلك - ومع أبي البختريِّ زميلٌ له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُلَيْحَة بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسد ، وجُنادة رجل من بني لَيْث . واسم أبي البختريِّ العاص بن هشام بن الحارث بن أسد - قال : وزميلي ؟ فقال : المجدَّرُ : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ؛ ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك ، قال : لا والله إذاً ، لأموتنَّ أنا وهو جميعاً ؛ لا تحدث عني نساء قريش من أهل مكة أني تركتُ زميلي جِرساً على الحياة . فقال أبو البختري حين نازله المجدَّر ، وأبى إلا القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلَمَ ابْنُ حُرَّةٍ أَكْيَلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن ذِياد .

قال : ثم أتى المجذّر بن ذِياد رسولَ الله ﷺ ، فقال : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لقد جَهِدْتُ عليه أَنْ يَسْتَأْصِرَ فَاتِيكَ بِهِ ؛ فَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ ، فقاتلته فقتلته .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قال : قال محمد بن إِسْحَاق : حَدَّثَنِي يَحْيَى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزَّيْبِر ، عن أَبِيهِ ، قال : وَحَدَّثَنِي أَيْضاً عبد الله بن أَبِي بَكْر ، وَغَيْرُهُمَا ، عن عبد الرَّحْمَنِ بن عَوْف ، قال : كان أُمَيَّة بن خَلْف لي صَدِيقاً بِمَكَّةَ - وكان اسمي عبد عمرو ، فَسَمَّيْتُ حِينَ أَسَلَمْتُ : « عبد الرحمن » ، ونحن بِمَكَّةَ - قال : فكان يَلْقَانِي ونحن بِمَكَّةَ ، فيقول : يا عبد عمرو ، أَرِغِبْتُ عن اسم سَمَّاكَ أَبُوكَ ؟ فَأَقُول : نعم ، فيقول : فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ « الرحمن » ؛ فاجعل بيني وبينك شيئاً أَدْعُوكَ بِهِ ؛ أَمَا أَنْتَ فَلَا تَجِيبُنِي بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدْعُوكَ بِمَا لَا أَعْرِفُ . قال : فكان إِذَا دَعَانِي : « يا عبد عمرو » ، لم أَجِبْهُ ، فَقُلْتُ : اجعل بيني وبينك يا أبا عَلِيٍّ مَا شِئْتَ ، قال فَأَنْتَ « عبد الإله » ، فَقُلْتُ : نعم ، فَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ قال : يا عبد الإله ، فَأَجِيبْهُ ، فَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ بَدَر ، مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ واقِفٌ مَعَ ابْنِهِ عَلِيٍّ بن أُمَيَّة ، أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَمَعِيَ أَدْرَاعٌ قَدْ اسْتَلْبِثْتُهَا ، فَأَنَا أَهْمِلُهَا . فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ : يا عبد عمرو ! فلم أَجِبْهُ ، فَقَالَ : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فِيَّ ، فَأَنَا خَيْرُكَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ الَّتِي مَعَكَ ؟ قال : قلت : نعم ، هَلُمَّ إِذَا . قال ؛ فَطَرَحْتُ الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَوَيْدَ ابْنِهِ عَلِيٍّ ، وَهُوَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ! أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي اللَّبَنِ ! قال : ثم خَرَجْتُ أَمْشِي بَهُمَا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عن محمد بن إِسْحَاق ، قال : حَدَّثَنِي عبد الواحد بن أَبِي عَوْفٍ ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف ، عن أَبِيهِ ، عن عبد الرحمن بن عَوْف ، قال : قال لي أُمَيَّة بن خَلْف وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ ، أَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا : يا عبد الإله ، مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ ، الْمُعْلِمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلُ ! قال عبد الرحمن : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَقُودُهُمَا إِذْ رَأَاهُ بِلَالٌ مَعِيَ - وكان هو الذي يَعَذِّبُ بِلَالاً بِمَكَّةَ عَلَى أَنْ يَتْرَكَ الْإِسْلَامَ فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمَضَاءِ مَكَّةَ إِذَا حَمَيْتُ ، فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتَوْضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ ، فيقول بلال : أَحَدٌ أَحَدٌ - فقال بلال حين رَأَاهُ : رَأَسُ الْكُفْرِ أُمَيَّة بن خَلْف ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَّوْتُ ؛ قال : قلت : أَيُّ بِلَالٍ ، أَسِيرِي ! قال : لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَّوْنَا . قال : قلت : تَسْمَعُ يَا بَنَ السُّودَاءِ ! قال : لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَّوْنَا ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا أَنْصَارَ اللَّهِ ، رَأَسُ الْكُفْرِ أُمَيَّة بن خَلْف ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَّوْنَا ! قال : فَأَحَاطُوا بِنَا ، ثُمَّ جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمَسْكَةِ وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ ؛ قال : فَضْرَبَ رَجُلٌ ابْنَهُ فَوْقَ . قال : وصاح أُمَيَّة صَاحَةً مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهَا قَطُّ . قال : قلتُ : انْجُ بِنَفْسِكَ ، وَلَا نَجَاءَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَغْنِي عَنْكَ شَيْئاً . قال : فَهَبُّوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَّغُوا مِنْهَا .

قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِمَ اللَّهُ بِلَالاً ! ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرِي .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عن محمد بن إِسْحَاق ، قال : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي بَكْر ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ، قال : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، قال : أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ ، وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ ، نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ،

فَنتَهَبُ مع من ينتهب . قال : فبينما نحن في الجبل ؛ إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حَمَمَةَ الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أَقْدِمَ حَيْزُوم . قال : فأما ابن عمِّي فانكشف قِنَاعُ قلبه فمات مكانه ؛ وأما أنا فكدتُ أَهْلِكَ ، ثم تماسكت .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحَدَّثني أبي إِسْحَاقُ بن يَسَارٍ ، عن رجال من بني مازن بن النُّجَارِ ، عن أبي داود المازنيّ - وكان شهد بدرًا - قال : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأُضْرِبَهُ ، إِذْ وقع رأسه قبل أن يَصِلَ إِلَيْهِ سيفي ، فعرفت أن قد قتله غيري .

حَدَّثني عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بن بُكَيْرٍ ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن يَحْيَى الإسكندرانيّ عن العلاء بن كثير ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ، عن أبي أُمَامَةَ بن سَهْلٍ بن حُنَيْفٍ ، قال : قال لي أبي : يَا بُنَيَّ ، لقد رأيتنا يوم بدر ؛ وَإِنْ أَحَدُنَا لَيَشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى المِشْرِكِ فيقع رأسه عن جسده قبل أن يَصِلَ إِلَيْهِ السيف .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عن محمد بن إِسْحَاقٍ ، قال : وحَدَّثني الحسن بن عُمَارَةَ ، عن الحَكَمِ بن عَتِيْبَةَ ، عن مِقْسَمِ مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيّاء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراء ، ولم تقا تل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عُدَدًا ومَدَدًا لا يضرّبون .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : قال محمد : وحَدَّثني ثور بن زيد مولى بني الدَّيْلِ ، عن عِكْرَمَةَ مولى ابن عَبَّاسٍ ، عن ابن عَبَّاسٍ قال : وحَدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان مُعَاذُ بن عمرو بن الجُمُوحِ أخو بني سَلَمَةَ يقول : لما فرغ رسول الله ﷺ من عدوّه ، أمرَ بأبي جهل أن يَلْتَمِسَ في القتلى ، وقال : اللَّهُمَّ لَا يَعْجِزَنَّكَ ، قال : فكان أوّل مَنْ لَقِيَ أبا جهل مُعَاذُ بن عمرو بن الجُمُوحِ ، قال : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحَرْجَةِ وهم يقولون : أبو الحَكَمِ لَا يُجْلَسُ إِلَيْهِ . فلما سمعتها جعلته من شأني ، فَصَمَدْتُ نحوه ، فلما أمكنتني حملتُ عليه فضربته ضربة أطنتُ قَدَمَهُ بنصف ساقه ؛ فوالله ما شَبَّهْتُهَا حين طاحت إِلَّا النَّوَاةَ تَطِيحُ من تحت مِرْصَحَةِ النَّوَى حين يُضْرَبُ بها . قال : وضربني ابنُه عِكْرَمَةُ على عاتقي ؛ فطرح يدي ، فتعلقت بجِلْدَةٍ من جنبي ، وأجهضني القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامّة يومي ، وَإِنِّي لَأَسْحِبُهَا خَلْفِي ؛ فلما أدتني جعلت عليها رجلي ، ثم تَمَطَّيْتُ بها ، حتى طرحتها .

قال : ثم عاش مُعَاذُ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبي جهل - وهو عقير - مُعَوِّذُ بن عَفْرَاءٍ ، فضربه حتى أثبتته ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوّذ حتى قتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يَلْتَمِسَ في القتلى وقد قال لهم رسول الله ﷺ : فيما بلغني : انظروا إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ في القتلى إلى أثر جُرْحٍ بركبته ؛ فَإِنِّي أزدحمُ أنا وهو يوماً على مأذبة لعبد الله بن جُدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشف منه بيسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فَجَحَشَ في إحداهما جَحَشًا لم يزل أثره فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَقٍ ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَّتْ بي مرّة بمكة ، فأذاني ولكزني . ثم قلت : هل أخزأك الله يا عدو الله ! قال : وبماذا أخزاني ؟ أَعَمَدُ من رجل قتلتموه ! أخبرني لمن الدُّبْرَةُ اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

حَدَّثَنَا ابْنُ مُهِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : وَزَعَمَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ، كَانَ يَقُولُ : قَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ : لَقَدْ ارْتَقَيْتَ يَا رُوَيْعِي الْغَنَمَ مَرْتَقًى صَعْباً ! ثُمَّ احْتَزَزْتُ رَأْسَهُ ؛ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ! - وَكَانَتْ يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ؛ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، ثُمَّ أَلْقَيْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَحَمَدَ اللَّهَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ مُهِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، عَنْ عُروَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقَتْلِ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ طُرْحًا فِيهِ ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمِّةٍ بَنِ خَلْفٍ ؛ فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ حَتَّى مَلَأَهَا ، فَذَهَبُوا لِيَحْرِكُوهُ ، فَتَزَايَلُ فَأَقْرَوْهُ ؛ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غِيَّبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ ، فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ فِي الْقَلْبِ ، وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبِّكُمْ حَقًّا ! فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا . فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَتَكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتًا ! قَالَ : لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدْتُهُمْ حَقٌّ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : « لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ » ، وَلَئِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ عَلِمُوا » .

حَدَّثَنَا ابْنُ مُهِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ . قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُهِيدُ الطَّوِيلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : سَمِعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَقُولُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ : يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، يَا أُمِّةَ بْنَ خَلْفٍ ، يَا أَبَا جَهْلٍ بْنَ هِشَامٍ - فَعَدَّدَ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ فِي الْقَلْبِ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبِّكُمْ حَقًّا ؛ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ! قَالَ الْمُسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَتَنَادِي قَوْمًا قَدْ جَافُوا ! فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ؛ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجِيبُونِي .

حَدَّثَنَا ابْنُ مُهِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ : قَالَ : يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ، بَشِّرْ عَشِيرَةَ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ! كَذَبْتُمُونِي وَصَدَّقْتُمِي النَّاسَ ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَأَوَانِي النَّاسَ ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرْتُمِي النَّاسَ . ثُمَّ قَالَ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبِّكُمْ حَقًّا ؟ لِلْمَقَالَةِ الَّتِي قَالَ . قَالَ : وَلَمَّا أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُلْقُوا فِي الْقَلْبِ ، أَخَذَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَسَجَبَ إِلَى الْقَلْبِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ ؛ فَإِذَا هُوَ كَثِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا حُذَيْفَةَ ؛ لَعَلَّكَ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ ! - أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ - فَقَالَ : لَا لَا وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي وَلَا فِي مَصْرَعِهِ ؛ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا ؛ فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ ، وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ ، حَزَنَنِي ذَلِكَ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ بِخَيْرٍ ، وَقَالَ لَهُ خَيْرًا .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِمَا فِي الْعَسْكَرِ تَمَاجِيعَ النَّاسِ فَجُمِعَ ؛ فَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ ، فَقَالَ مَنْ جُمِعَهُ : هُوَ لَنَا ؛ قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفَلَ كُلَّ أَمْرٍ مَا أَصَابَ ، فَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يِقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ وَيَطْلُبُونَهُمْ : لَوْلَا نَحْنُ مَا أَصَبْتُمُوهُ ، لَنَحْنُ شَغَلْنَا الْقَوْمَ عَنْكُمْ حَتَّى أَصَبْتُمْ مَا أَصَبْتُمْ . فَقَالَ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَافَةَ أَنْ يَخَالِفَ إِلَيْهِ الْعَدُوُّ ؛ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا ؛ لَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَقْتُلَ الْعَدُوَّ إِذْ

ولأنا الله ، ومنحنا أكتافهم ؛ ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه مَنْ يمنعُه ؛ ولكن خِفْنَا على رسول الله ﷺ كَرَّةَ العدو ؛ فقمنا دونه ؛ فما أنتم بأحقُّ به مِنَّا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وَحَدَّثَنِي عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، قال : سَأَلْتُ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ الْأَنْفَالِ ، فَقَالَ : فِينَا مَعْشَرُ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ ؛ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا ، فَنَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا ، فَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِهِ ، فَقَسَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ - يَقُولُ عَلَى السَّوَاءِ - فَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوَى اللَّهِ ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ، وَصَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ .

قال : ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الْفَتْحِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ بَشِيرًا إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَبَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ .

قال أسامة بن زيد : فَأَتَانَا الْخَبْرَ حِينَ سَوَيْنَا التَّرَابَ عَلَى رَقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلَفَنِي عَلَيْهَا مَعَ عَثْمَانَ .

قال : ثُمَّ قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَجِئْتُهُ وَهُوَ وَقَفَ بِالْمَصْلَى قَدْ غَشِيَهُ النَّاسُ وَهُوَ يَقُولُ : قُتِلَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو جَهْلٌ بْنُ هِشَامٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنَبِيهِ وَمَنْبَهُ ابْنُ الْحَجَّاجِ . قال : قُلْتُ : يَا أَبُهِ أَحَقُّ هَذَا ! قال : نَعَمْ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَاحْتَمَلَ مَعَهُ النَّفْلَ الَّذِي أَصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَجَعَلَ عَلَى النَّفْلِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَوْفٍ بْنُ مَبْذُولٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مَازِنٍ بْنِ النَّجَّارِ . ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ ، نَزَلَ عَلَى كَثِيبٍ بَيْنَ الْمَضِيقِ وَبَيْنَ النَّازِيَةِ - يَقَالُ لَهُ سَيْرٌ - إِلَى سَرْحَةٍ بِهِ ، فَقَسَّمَهُ هُنَاكَ النَّفْلَ الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يَقَالُ لَهُ الْأُرَوَاقُ .

ثم ارتحل رسولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرُّوحَاءِ ، لَقِيَهِ الْمُسْلِمُونَ يُهَنِّتُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَلْمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنُ وَقْشٍ - كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، فَقَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، وَيزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ : وَمَا الَّذِي تُهَنِّتُونَ بِهِ ! فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزَ صُلْعًا كَالْبُذْنِ الْمَعْقَلَةِ ، فَنَحْرَنَاهَا . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، أَوْلَيْكَ الْمَلَأُ . قال : وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا ، وَكَانَ مِنَ الْقَتْلَى مِثْلَ ذَلِكَ - وَفِي الْأَسَارَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ - حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّفْرَاءِ ، قُتِلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ بِعَرْقِ الطَّيْبَةِ ، قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ حِينَ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ : فَمَنْ لِلصَّبِيَةِ يَا مُحَمَّدُ ! قَالَ : النَّارُ ، قَالَ : فَفَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَفْلَحِ الْأَنْصَارِيِّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ .

قال : كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ يَاسِرٍ ، قَالَ : وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَرْقِ

الظبية حين قتل عُقبة لَقِيَه أبو هند مولى قُرْوة بن عمرو البَيَاضِي بِحِمِيَت مملوء حَيْسًا ، وكان قد تَخَلَّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كُلَّهَا مع رسول الله ﷺ ، وكان حِجَام رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أبو هند امرؤ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه ، ففعلوا . ثم مَضَى رسول الله ﷺ حتى قَدِم المدينة قبل الأسارى بيوم .

حَدَّثَنَا ابن حميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارة ، قال : قُدِم بالأسارى حين قُدِم بهم وَسُودَةُ بنت زُمعة زوج النبي ﷺ عند آل عَفْرَاء في مَنَاحَتِهِمْ على عَوْفٍ وَمُعَوِّذِ ابْنِي عَفْرَاء - قال : وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهنَّ الحجاب - قال : تقول سُودَةُ : والله إني لَعندهم إذ أتينا ، فقليل : هؤلاء الأسارى قد أَتَى بهم ، قالت : فرُحْتُ إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحُجْرة ، مجموعة يده إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكْتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتُم بأيديكم ، ألا مَتَم كراماً ! فوالله ما أنبهي إلا قولُ رسول الله ﷺ من البيت : يا سودة ، أعلَى الله وعلى رسوله ! قالت : قلت : يا رسول الله ؛ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما ملكْتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت .

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حَدَّثَنِي نُبَيْه بن وهب ، أخو بني عبد الدَّار ، أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فَرَّقَهُمْ في أصحابه ، وقال : استوصُوا بالأسارى خيراً - قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى - قال : فقال أبو عزيز : مَرَّ بي أخي مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال : شُدَّ يديك به ؛ فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلَّها أن تفتديَهُ منك . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ؛ فكانوا إذا قَدَمُوا غَدَاءَهُمْ وعشاءهم خَصُونِي بالخبز ، وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نَفَحَنِي بها . قال : فاستحي ، فأردَّها على أحدهم فيردَّها علي ما يَمْسُهَا .

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أول مَنْ قَدِم مكة بِمُصَاب قريش الحَيْسُمَان بن عبد الله بن إياس بن ضُبَيْعَةَ بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعي - قال أبو جعفر : وقال الواقدي : الحَيْسُمَان بن حابس الخزاعي - قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ونُبَيْه ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلما جعل يعدد أشراف قريش ، قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحِجْر : والله إن يعقل هذا فسلَّوه عني ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قتلا .

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : قال محمد بن إسحاق : حَدَّثَنِي حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنت غلاماً للعبَّاس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان

العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً ، فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كتبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً .

قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتّها في حِجْرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت القِداح ، وعندني أم الفضل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبلَ الفاسق أبو لهب يجرّ رجله بشرّ ، حتى جلس على طُنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ؛ فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدِم . قال : فقال أبو لهب : هلمّ إليّ يا بن أخي ؛ فعندك الخبر . قال : فجلس إليه ، والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني ؛ كيف كان أمر الناس ؟ قال : لا شيء ؛ والله إن كان إلا أن لقيناهم ، فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا ويأسرون كيف شاؤوا ؛ وإيم الله مع ذلك ما ملّت الناس ؛ لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلّقي بين السماء والأرض ؛ ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنب الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال : فتاورته ، فاحتملني ، فضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني - وكنت رجلاً ضعيفاً - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمود الحجرة ، فأخذته فضربته به ضربة فشجّت في رأسه شجّة منكّرة ، وقالت : تستضعفه أن غاب عنه سيّده ! فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله عزّ وجلّ بالعدّسة فقتلته ، فلقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن في بيته - وكانت قريش تتقي العدّسة وعدوّتها كما يتقي الناس الطاعون - حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تغيّبانه ! فقالا : إنا نخشى هذه القرحة ، قال : فانطلقا فأنّا معكما ، فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ، ما يمسون ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكّة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : لما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبوسون في الوثاق ، بات رسول الله ﷺ ساهراً أوّل ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تصوّر العبّاس في وثاقه ، قال : فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه ، فنام رسول الله ﷺ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتبية بن مقسم ، عن ابن عبّاس ، قال : كان الذي أسر العبّاس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ، وكان العبّاس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر : كيف أسرت العبّاس يا أبا اليسر ؟ فقال : يا رسول الله ؛ لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ؛ هيئته كذا وكذا ، قال رسول الله ﷺ : لقد أعانك عليه ملك كريم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني يحيى بن

عباد ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه ، فيشمت بكم ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم ؛ لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء .

قال : وكان الأسود بن عبد المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ؛ وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ؛ وكان يحب أن يبكي على بنيه ؛ فبينما هو كذلك ؛ إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أجل النحب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعل أبي بكى على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفي قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بغير لها أضلته . قال : فذلك حين يقول :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ	وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ	عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ
عَلَى بَذْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْصٍ	وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ	وَبَكِّي حَارِثاً أَسَدَ الْأُسُودِ
وَبَكْيِهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعاً	فَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رَجَالٌ	وَلَوْلَا يَوْمٌ بَذِرَ لَمْ يَسُودُوا

قال : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي ، فقال رسول الله ﷺ : إن له ابناً تاجراً كيساً ذا مال ؛ وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه ! قال : فلما قالت قريش : لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى - : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم - . ثم انسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعلم من شفته السفلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني محمد بن عمرو بن عطاء بن عياش بن علقمة ، أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله انتزع ثنيتي سهيل بن عمرو . السفليين يدلغ لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل به فيمثل الله بي ؛ وإن كنت نبياً .

قال : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه ؛ فلما قاوهم فيه مكرز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عباس ، افد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن

جَحْدَم ، أَخَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ ؛ فَإِنَّكَ ذُو مَالٍ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا ؛ وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَكْرَهُونِي ، فَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ ؛ إِنْ يَكُنْ مَا تَذْكُرُ حَقًّا فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِهِ ، فَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا ، فَأَفْدِ نَفْسَكَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عَشْرِينَ أَوْقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ - فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، احْسِبْهَا لِي فِي فِدَائِي ، قَالَ : لَا ؛ ذَاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ حَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، لَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ . ثُمَّ قُلْتَ لَهَا : إِنْ أَصِيبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَلِلْفَضْلِ كَذَا وَكَذَا ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا وَكَذَا ، وَلِقُتْمُ كَذَا وَكَذَا ، وَلِعَبِيدِ اللَّهِ كَذَا وَكَذَا ! . قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عَلِمَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرَهَا ؛ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَفَدَى الْعَبَّاسُ نَفْسَهُ وَابْنِي أَخِيهِ وَحَلِيفَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ كَانَ عَمْرُو بْنُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ - وَكَانَ لَابِنَةَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ - أَسِيرًا فِي يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَسَارَى بَدْرٍ ، فَقِيلَ لِأَبِي سَفْيَانَ : أَفْدِ عَمْرًا ، قَالَ : أَجْمَعُ عَلَيَّ دَمِي وَمَالِي ! قَتَلُوا حَنْظَلَةَ وَأَفْدَى عَمْرًا ! دَعُوهُ فِي أَيْدِيهِمْ يَمْسُكُوهُ مَا بَدَأَ لَهُمْ . قَالَ : فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ مُحْبُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، خَرَجَ سَعْدُ بْنُ النَّعْمَانِ بْنِ أَكَّالٍ ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي مُعَاوِيَةَ مُعْتَمِرًا ، وَمَعَهُ مُرَيَّةٌ لَهُ ؛ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مُسْلِمًا فِي غَنَمٍ لَهُ بِالنَّقِيعِ ؛ فَخَرَجَ مِنْ هُنَالِكَ مُعْتَمِرًا ؛ وَلَا يَخْشَى الَّذِي صُنِعَ بِهِ ؛ لَمْ يَظُنْ أَنَّهُ يُجْبَسُ بِمَكَّةَ ؛ إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِرًا ؛ وَقَدْ عَهْدَ قَرِيشًا لَا تَعْتَرِضُ لِأَحَدٍ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا إِلَّا بِخَيْرٍ ؛ فَعَدَا عَلَيْهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَحَبَسَهُ بِمَكَّةَ بِابْنِهِ عَمْرُو بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ :

أَرْهَطُ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا
فَإِنَّ بَنِي عَمْرِوٍ لَنَامُ أَذْلَةً لَنْ لَمْ يُفَكُّوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبْلَا

قَالَ : فَمَشَى بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ عَمْرُو بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فَيُفَكُّوا شَيْخَهُمْ ؛ فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ ، فَخَلَّى سَبِيلَ سَعْدٍ . قَالَ : وَكَانَ فِي الْأَسَارَى أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ خَتَنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ ابْنَتُهُ زَيْنَبُ ، وَكَانَ أَبُو الْعَاصِ مِنْ رِجَالِ مَكَّةَ الْمُعَدُودِينَ مَالًا وَأَمَانَةً وَتِجَارَةً ، وَكَانَ لَهُالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ [وَكَانَتْ] خَدِيجَةَ خَالَتِهِ ، فَسَأَلَتْ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَزَوِّجَهُ ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَخَالِفُهَا ؛ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ ؛ فَزَوِّجَهُ ؛ فَكَانَتْ تَعَدُّهُ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا ؛ فَلَمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ بِنُبُوتِهِ آمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ وَبَنَاتُهُ ، فَصَدَّقَتْهُ وَشَهِدَتْ أَنْ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ؛ وَدَنَّ بِدِينِهِ ؛ وَثَبَتَ أَبُو الْعَاصِ عَلَى شِرْكِهِ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ زَوَّجَ عَتَبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ رُقَيَّةً أَوْ أُمَّ كُلْثُومَ ؛ فَلَمَّا بَادَى قَرِيشًا بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَاعَدُوهُ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ قَدْ فَرَّغْتُمْ مُحَمَّدًا مِنْ هَمِّهِ ؛ فَفَرَدُوا عَلَيْهِ بَنَاتَهُ ، فَاشْغَلُوهُنَّ ، فَمَشَوْا إِلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَقَالُوا لَهُ : فَارِقْ صَاحِبَتَكَ ؛ وَنَحْنُ نَزَوِّجُكَ أَيَّ امْرَأَةٍ شِئْتَ مِنْ قَرِيشٍ ، قَالَ : لَا هَا لِلَّهِ إِذَا ؛ لَا أَفَارِقُ صَاحِبَتِي وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِامْرَأَتِي امْرَأَةً مِنْ قَرِيشٍ ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشِي عَلَيْهِ فِي صَهْرِهِ خَيْرًا - فِيمَا بَلَغَنِي - .

قَالَ : ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْفَاسِقِ ابْنِ الْفَاسِقِ ، عُتَبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ ، فَقَالُوا لَهُ : طَلِّقْ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ

نزَّوجك أي امرأة من قريش شئت ؛ فقال : إن زوّجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقته . فزوّجه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عدوّ الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ؛ فخلف عليها عثمان بن عفّان بعده ؛ وكان رسول الله ﷺ لا يُجَلِّ بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ؛ إلا أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرّق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهم وهو على شركه ؛ حتى هاجر رسول الله ﷺ ؛ فلمّا سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ؛ فأصيب في الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها .

قالت : فلمّا رآها رسول الله ﷺ رق لها رقّةً شديدةً ، وقال : إن رأيتم أن تُطلّقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فاطلّقوه وردّوا عليها الذي لها .

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه - أو وعد رسول الله ﷺ - أن يخلّي سبيل زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ ، فيعلم ما هو ! إلا أنّه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلّي سبيله ، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كونا بطن يابج ؛ حتى تمرّ بكما زينب فتصحبها ، حتى تأتياي بها ، فخرجا مكانها ؛ وذلك بعد بدر بشهر أو شيعه . فلمّا قدّم أبو العاص مكة أمرها بالحق بأبيها ؛ فخرجت تجهّز .

فحدّثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حدّثت عن زينب أنّها قالت : بينا أنا أتجهّز بمكة للحقوق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : أي ابنة محمد ؛ ألم يبلّغني أنّك تريدان الحقوق بأبيك ! قالت : فقلت : ما أردت ذلك ، قالت : أي ابنة عمي ، لا تفعلين ؛ إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تبليغين به إلى أبيك ، فإنّ عندي حاجتك فلا تضطّني مني ؛ فإنّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : ووالله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنني خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهّزت .

فلمّا فرغت ابنة رسول الله ﷺ من جهازها قدّم لها حموها كنانة بن الربيع أخوزوجها بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقودها ، وهي في هودج لها . وتحدّث بذلك رجال قريش ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ونافع بن عبد القيس ، والفهرّي . فروّعها هبار بالرمح وهي في هودجها - وكانت المرأة حاملاً ؛ - فيما يزعمون - فلمّا رجعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حموها ، ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجلٌ إلا وضعت فيه سهماً ، فتكركر الناس عنه ، وأتاه أبو سفيان في جلة قريش ، فقال : أيها الرجل ، كفّ عنا نبلك حتى نكلّمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتّى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تُصّب ، خرجت بالمرأة على رؤوس

الرجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرج بابنته علانية من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووَهْن ؛ لعمري ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها ، وما لنا في ذلك من ثورة ؛ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدا الصوت ، وتحدث الناس أنا قد رددناها ، فسلها سراً فألحقها بأبيها . ففعل حتى إذا هدا الصوت خرج بها ليلاً ؛ حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله ﷺ .

قال : فأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة ، قد فرق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج تاجراً إلى الشام - وكان رجلاً مأموناً بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها معه - فلما فرغ من تجارته - وأقبل قافلاً ؛ لقيته سرية لرسول الله ﷺ ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هرباً ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ ، فاستجار بها ، فأجارته في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح - فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدثني يزيد بن رومان - فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما والذي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك ، فإنك لا تحلين له .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له ؛ فإننا نحب ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحق به . قالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه !

قال : فردوا عليه ماله حتى إن الرجل ليأتي بالحبل ، ويأتي الرجل بالشنة والإداوة ؛ حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ ؛ حتى ردوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئاً . ثم احتمل إلى مكة ؛ فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع معه ، ثم قال : يا معشر قريش ؛ هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً ؛ فقد وجدناك وفياً كريماً ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ؛ والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا إنما أردت أكل أموالكم ؛ فلما آداها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : رد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول ، ولم يُحدث شيئاً بعد ست سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير في الحجر - وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذي

رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهم بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إن في العيش خير بعدهم ، فقال عمير : صدقت والله ! أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلهم علة ، ابني أسير في أيديهم .

فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال : علي دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكتم علي شأني وشأنك : قال : أفعل .

قال : ثم إن عميراً أمر بسيفه فشجذ له وسّم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عز وجل به ، وما أراهم في عدوهم ؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ! وهو الذي حرّش بيننا ، وحزّرتنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه ، قال : فأدخله علي . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبّيه بها ، وقال لرجال من كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ .

فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسله يا عمر ، اذن يا عمير ، فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ؛ بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف في عنقك ! قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقني بالذي جئت له ، قال : ما جئت إلا لذلك ، فقال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدّينك وعيالك ، على أن تقتلني له . والله عز وجل حائل بيني وبينك . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ؛ قد كنّا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ؛ وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق ؛ فقال رسول الله ﷺ ؛ فقهاها أحاكم في دينه ، وأقرئوه وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره .

قال : ففعلوا ، ثم قال : يا رسول الله : إني كنت جاهد في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعل الله أن يهديهم ؛ وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

قال : فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي

مَنْ خَالَفه أذَى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير .

فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها . حدثنا أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عاصم بن علي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ؛ حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسیر سبعون رجلاً ، فلما كان يومئذ شاور رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ؛ فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم ، فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلت : لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكّني من فلان فأضرب عنقه ، وتمكّن حزة من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هَوَاة للكفار ؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهو رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهوما قلت أنا ، فأخذ منهم الفداء ، فلما كان الغد قال عمر : غدوت إلى النبي ﷺ وهو قاعد وأبو بكر ، وإذا هما يكيان ، قال : قلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبيحك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد تبائكيت لبكائكما . فقال رسول الله ﷺ : للذي عرض علي أصحابي من الفداء . لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَخَنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) ؛ ثم أحل لهم الغنائم .

فلما كان من العام القابل في أحد عُوقِبُوا بما صنعوا ، قُتِلَ من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفر أصحاب النبي ﷺ ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) ، ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةٌ ﴾ (٣) .

حدثني سلم بن جُنادة ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر ، وجيء بالأسرى ، قال رسول الله ﷺ : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ؛ لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فضرّب أعناقهم . وقال عبد الله بن رَوَاحَة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قطعتك رجلك ! قال : فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبههم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رَوَاحَة ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إنّ الله

(١) سورة الأنفال : ٦٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٦٥ .

(٣) سورة آل عمران : ١٥٣ - ١٥٤ .

عَزَّوَجَلَّ لِيلَيْنُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلَيْنَ مِنَ اللَّبَنِ ؛ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ ؛ وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ، وَمِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، مِثْلُ عِيسَى ، قَالَ : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) وَمِثْلَكَ يَا عَمْرٍ مِثْلُ نُوحٍ ، قَالَ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٣) ، وَمِثْلَكَ كَمِثْلِ مُوسَى ، قَالَ : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٤) . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنْتُمْ الْيَوْمَ عَالَةٌ فَلَا يَفْلَتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبٍ عُنُقٍ ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بَيْضَاءَ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ . فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا رَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخَوْفُ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ الْحِجَارَةُ مِنَ السَّمَاءِ مِنِّي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بَيْضَاءَ » قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : لَمَّا نَزَلَتْ - يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةُ - : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ، لِقَوْلِهِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَانَ الْإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِينَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْهُ : وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مِنَ الْأَوْسِ مَعَهُ وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا . وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مَعَهُ مِنَ الْخَزْرَجِ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَجَمِيعُ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ .

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - تِسْعِمِائَةً وَخَمْسِينَ مَقَاتِلًا ؛ وَكَانَتْ خَيْلُهُمْ مِائَةً فَرَسٍ .

وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةً اسْتَصْغَرَهُمْ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - فَمِنْهُمْ فِيمَا زَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَسِيدُ بْنُ ظُهَيْرٍ ، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ثُمَّ أَجَازَ عَمِيرًا بَعْدَ أَنْ رَدَّهُ فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بَنَ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ ، إِلَى طَرِيقِ الشَّامِ يَتَحَسَّسَانِ الْأَخْبَارَ عَنِ الْعِيرِ ، ثُمَّ رَجَعَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَدِمَا يَوْمَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَاسْتَقْبَلَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِتُرْبَانٍ ؛ وَهُوَ مُنْحَدِرٌ مِنْ بَدْرِ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : كَانَ خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ وَخَمْسَةٍ ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ أَرْبَعَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا ، وَسَائِرُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَضَرْبُ لَثَمَانِيَةٍ بِأَجُورِهِمْ وَسُهِمَانِهِمْ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ؛ أَحَدُهُمْ

(١) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ : ٣٦ .

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ١١٨ .

(٣) سُورَةُ نُوحٍ : ٢٦ .

(٤) سُورَةُ يُونُسَ : ٨٨ .

عثمان بن عفان كان تخلف على ابنة رسول الله ﷺ حتى ماتت ، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بَعْثُهَا يَتَحَسَّسَانِ الْخَبَرَ عَنِ الْعِيرِ ، وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدي بن العجلان ؛ خلفه على العالية ، والحارث بن حاطب ؛ رده من الرُّوحَاءِ إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن العُصَمَةِ ؛ كُسِرَ بِالرُّوحَاءِ ، وهو من بني مالك بن النَجَّار ، وَخَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ ، كسر من بني عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيراً ، والخيول فرسين : فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمُرثَد بن أبي مَرثَد .

قال أبو جعفر : وروي عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : ورثي رسول الله ﷺ في أثر المشركين يوم بدر مُصْلِتاً السَّيْفَ ، يتلو هذه الآية : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (١) .

قال : وفي غزوة بدر انتقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار ، وكان لمُتَبِّعِ بْنِ الْحَجَّاجِ .

قال : وفيها غنم جمل أبي جهل ؛ وكان مهرياً يغزو عليه ويضرب في لقاحه .

قال أبو جعفر : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرٍ ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها ؛ على أن لا يُعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا ؛ وَإِنَّهُ إِنْ ذَهَبَ بِهَا عَدُوٌّ نَصَرُوهُ . فَلَمَّا قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَتَلَ بِبَدْرٍ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ، أَظْهَرُوا لَهُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحْسِنُ الْقِتَالَ ؛ وَلَوْ لَقِينَا لَأَقَى عِنْدَنَا قِتَالًا لَا يَشْبِهُهُ قِتَالُ أَحَدٍ ؛ وَأَظْهَرُوا نَقْضَ الْعَهْدِ .

غزوة بني قينقاع

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قينقاع ، أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقریش من النُّقْمَةِ ، وأسلموا ؛ فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ؛ إِنَّكَ تَرَى أَنَا كَقَوْمِكَ ! لَا يَغْرُنُكَ أَنْكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً ؛ إِنَّا وَاللَّهِ لَنَحْنُ حَارِبَتُنَا تَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر : عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، أن غزوة رسول الله ﷺ بني القينقاع كانت في شوال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهري عن عروة : نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ (٢) ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسول الله

(١) سورة القمر : ٤٥ .

(٢) سورة الأنفال : ٥٨ .

ﷺ : إني أخاف من بني قينقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله ﷺ بهذه الآية .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصروهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد . ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فكيفوا وهو يريد قتلهم ، فكلمهم فيهم عبد الله بن أبي .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه النبي ﷺ . قال : فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أرسلني ، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا في وجهه ظلالاً - يعني تلوناً - ثم قال : ويحك أرسلني ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي . أربعمائة حاسروا ثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر ؛ تحصدهم في غداة واحدة ! وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر . فقال رسول الله ﷺ : هم لك .

قال أبو جعفر : وقال محمد بن عمر في حديثه عن محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبي ﷺ : خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم . ثم أمر بإجلائهم ، وغنم الله عز وجلّ رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون ؛ إنما كانوا صاغة - فأخذ رسول الله ﷺ لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم ؛ وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت ، فمضى بهم حتى بلغ بهم دباب ؛ وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله ﷺ استخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر .

قال أبو جعفر : وفيها كان أول خمس خمس رسول الله ﷺ في الإسلام ؛ فأخذ رسول الله ﷺ صفيه والخمس وسهمه ، وفَضَّ أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول خمس قبضه رسول الله ﷺ . وكان لواء رسول الله ﷺ يوم بني قينقاع لواء أبيض ، مع حمزة بن عبد المطلب . ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ، فذكر أن رسول الله ﷺ ضحى وأهل اليسر من أصحابه ، يوم العاشر من ذي الحجة ، وخرج بالناس إلى المصلّى فصلّى بهم ، فذلك أول صلاة صلى رسول الله ﷺ بالناس بالمدينة بالمصلّى في عيد ، وذبح فيه بالمصلّى بيده شاتين - وقيل ذبح شاة - .

قال الواقدي : حدثني محمد بن الفضل ، من ولد رافع بن خديج ، عن أبي مُبَشَّر ، قال : سمعتُ جابر بن عبد الله ، يقول : لما رجعنا من بني قينقاع ضحينا في ذي الحجة صبيحة عشر ، وكان أول أضحى رآه المسلمون ، وذبحنا في بني سلمة فعُدَّت في بني سلمة سبع عشرة أضحية .

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق فلم يُوقَّت لغزوة رسول الله ﷺ التي غزاها بني قينقاع وقتاً ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السويق وخروج النبي ﷺ من المدينة يريد غزو قريش ؛ حتى بلغ بني سليم وبحران ، معدناً بالحجاز من ناحية الفرع .

وأما بعضهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله ﷺ بدر الأولى وغزوة بني قينقاع ثلاث غزوات وسريّة أسراها . وزعم أن النبي ﷺ إنما غزاها لتسع ليالٍ خلون من صفر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن رسول الله ﷺ غزا بعدما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانٍ ليالٍ بقيت من رمضان ،

وأنه أقام بها بقية رمضان . ثم غزا قرقرة الكدر حين بلغه اجتماع بني سليم وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعدما ارتفعت الشمس ، غرة شوال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

وأما ابن حميد ، فحدثنا عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر في عقب شهر رمضان - أو في أول شوال - لم يقيم بالمدينة إلا سبع ليالٍ ؛ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ، يقال لها الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفدى في إقامته تلك جُل الأسارى من قريش .

وأما الواقدي ، فزعم أن غزوة النبي ﷺ الكدر كانت في المحرم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن لواءه كان يحمله فيها علي بن أبي طالب ؛ وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم المعيصي على المدينة .

وقال بعضهم : لما رجع النبي ﷺ من غزوة الكدر إلى المدينة ، وقد ساق النعم والرعاء ولم يلق كيداً . وكان قدومه منها - فيما زعم - لعشر خلون من شوال ، بعث غالب بن عبد الله الليثي يوم الأحد لعشر ليال مضين من شوال إلى بني سليم وغطفان في سرية ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا النعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة إلى ذي الحجة ، وإن رسول الله ﷺ غزا يوم الأحد لسبع ليال يقين من ذي الحجة غزوة السويق .

غزوة السويق

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الكدر إلى المدينة ، أقام بها بقية شوال من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة . قال : وولي تلك الحجة المشركون من تلك السنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال : كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة ، ورجع فل قريش إلى مكة من بدر ، نذر ألا يمسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً . فخرج في مائتي راكب من قريش ، ليبري يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدور قناة إلى جبل يقال له تيت ، من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأق حبي بن أخطب ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ، فأبى فانصرف إلى سلام بن مشكم - وكان سيد النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم - فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ، وبطن له خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته ؛ حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض ، فحرقوا في أصوار من نخل لها ، ووجدوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ؛ ونذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم ، حتى بلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا من مزود القوم ما قد طرحوه في الحرث ؛ يتخفون منه للنجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم .

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة أبياتاً من شعر يُحَرِّضُ قُرَيْشاً :

كُورُوا عَلَى يَثْرَبٍ وَجَمْعِهِمْ فَإِنَّ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَفْلٌ
إِنَّ يَكُ يَوْمَ الْقَلِيبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنَّ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دَوْلٌ
آلَيْتُ لَا أَقْرَبُ النِّسَاءَ وَلَا يَمَسُّ رَأْسِي وَجِلْدِي الْغُسْلُ
حَتَّى تُبِيرُوا قِبَائِلَ الْأَوْسِ وَالْ خَزْرَجِ ، إِنَّ الْفُؤَادَ مُشْتَعِلٌ

فأجابه كعب بن مالك :

تَلْهَفُ أُمُّ الْمَسْبُوحِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بِالْحَرَّةِ الْفِشْلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ الرِّجَالَ مِنْ سَيْمِ الطَّيْرِ تَرْقَى لَقْنَةَ الْجَبَلِ
جَاؤُوا بِجَمْعٍ لَوْ قِيسَ مَبْرَكُهُ مَا كَانَ إِلَّا كَمَفْحَصِ الدُّبْلِ
عَارٍ مِنَ النَّصْرِ وَالْثَرَاءِ وَمِنْ أَبْطَالِ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ وَالْأَسْلِ

وأما الواقدي فزعم أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرج رسول الله ﷺ في مائتي رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصّة أبي سفيان نحواً مما ذكره ابن إسحاق ، غير أنه قال : فمرّ - يعني أبا سفيان - بالعريض ، برجل معه أجير له يقال له معبد بن عمرو ، فقتلها وحرّق أبياتاً هناك وتبنّا ، ورأى أن يمينه قد حُلّت ، وجاء الصريخ إلى النبي ﷺ ، فاستنفر الناس ، فخرجوا في أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرب الدقيق ويتخفّفون ، وكان ذلك عامّة زادهم ؛ فلذلك سُميت غزوة السويق .

وقال الواقدي : واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر .

قال أبو جعفر : ومات في هذه السنة - أعني سنة اثنتين من الهجرة - في ذي الحجة عثمان بن مظعون ، فدفنه رسول الله ﷺ بالبقيع ، (وجعل عند رأسه حجراً علامة لقبره) .

وقيل : إن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وُلد في هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن علي بن أبي طالب عليه السلام بنى بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة ، على رأس اثنين وعشرين شهراً .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إن في هذه السنة كتب رسول الله ﷺ المعاقِل فكان معلقاً بسيفه .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السّويق ، أقام بالمدينة بقيّة ذي الحجة والمحرّم ، أو قريباً منه ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ؛ وهي غزوة ذي أمر ، فأقام بنجد صَفْراً كلّهُ أو قريباً من ذلك ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها شهر ربيع الأوّل كلّهُ إلا قليلاً منه .

ثم غزا يريد قريشاً وبني سُليم ، حتى بلغ بَحْران (مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

خبر كعب بن الأشرف

قال أبو جعفر : وفي هذه السّنة سرّى النبي ﷺ سرية إلى كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقديّ أن النبيّ وجّه من وجّه إليه في شهر ربيع الأوّل من هذه السنة .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابنِ الأشرف أنّه لما أصيب أصحاب بدر ؛ وقَدِمَ زيد بن حارثة إلى أهل السّافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين ، بعثهما رسولُ الله ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه وقتل من قُتل من المشركين ؛ كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة بن أسير الظّفريّ ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، قال : كلّ قد حدّثني بعض حديثه ، قال : قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بني نَبهان ، وكانت أمّه من بني النّضير ، فقال حين بلغه الخبر : ويلكم أحقّ هذا ! أترون أنّ محمداً قتل هؤلاء الذين يسمّى هذان الرجلان - يعني زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ؟ وهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمّد أصاب هؤلاء القوم لبَطُنُ الأرض خيرٌ لنا من ظهرها .

فلما تيقن عدوُّ الله الخبر ، خرج حتّى قدم مكّة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضُبيرة السّهميّ ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزله وأكرّمته ؛ وجعل يحرض على رسول الله ﷺ ، وينشد الأشعار ، ويبكي على أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش . ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة ، فشَبَّ بأمّ الفضل بنت الحارث ، فقال :

أَرَأَيْتَ لِمَ تَحُلُّ بِمَنْقَبَةٍ
صَفْرَاءُ رَادِعَةٌ لَوْ تُعَصَّرُ أَنْعَصَرَتْ
يَرْتَجُّ مَا بَيْنَ كَعْبَيْهَا وَمَرْفِقَيْهَا
أَشْبَاهُ أُمَّ حَكِيمٍ إِذْ تُوَاصِلُنَا
إِحْدَى بَنِي عَامِرٍ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا
فَرَعُ النِّسَاءِ وَفَرَعُ الْقَوْمِ وَالْدُّهَا
لَمْ أَرْ شُمْسًا بَلِيلَ قَبْلِهَا طَلَعَتْ

وَتَارَكَ أَنْتَ أُمَّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ !
مَنْ ذِي الْقَوَارِيرِ وَالْحَنَاءِ وَالْكَتَمِ
إِذَا تَأْتَتْ قِيَامًا ثُمَّ لَمْ تَقُمْ
وَالْحَبْلُ مِنْهَا مَتِينٌ غَيْرُ مُنْجِذٍ
وَلَوْ تَشَاءُ شَفَتْ كَعْبًا مِنَ السَّقَمِ
أَهْلُ التَّجَلَّةِ وَالْإِيْفَاءِ بِالذَّمِّ
حَتَّى تَحْلَتْ لَنَا فِي لَيْلَةِ الظُّلَمِ

ثم شَبَّ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم ؛ فقال النبي ﷺ كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة : مَنْ لِي مِنْ ابْنِ الْأَشْرَفِ ! قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رَسُولَ اللَّهِ ، أنا أَقْتَلُهُ . قال : فافعل إن قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ ، فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب . إِلَّا مَا يَلْعَقُ [به] نفسه ، فذكر ذلك لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فدعاه فقال له : لِمَ تَرَكْتَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ؟ قال : يا رَسُولَ اللَّهِ ، قلت قولاً لا أدري أَفِي بِهِ أَمْ لَا ! قال : إِنَّمَا عَلَيْكَ الْجَهْدُ ، قال : يا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَقُولَ . قال : قولوا ما بدا لَكُمْ ، فَأَنْتُمْ فِي حَلٍّ مِنْ ذَلِكَ !

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسيلكان بن سلامة بن وقش - وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرضاعة - وعَبَادُ بن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن مُعَاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عُبَيْس بن جَبْرِ ، أخو بني حارثة . ثم قَدَّمُوا إِلَى ابْنِ الْأَشْرَفِ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ سِلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ أَبَا نَائِلَةَ ، فجاءه فتحدث معه ساعة ، وتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ! إني قد جئتُك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتم عليّ ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرَّجُلِ بِلَاءً عَلَيْنَا عَادَتْنا الْعَرَبُ وَرَمَوْنا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَقُطِعَتْ عَنَّا السُّبُلُ حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ ، وَجُهِدَتِ الْأَنْفُسُ ، وَأَصْبَحْنَا قَدْ جُهِدْنَا وَجُهِدَ عِيَالُنَا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنتُ أَخْبِرْتُكَ يَا بَنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا كُنْتُ أَقُولُ ، فقال سِلْكَانُ : إني قد أردت أن تبيعنا طعماً ونَرْهَنَكَ وَنُوَثِّقَ لَكَ ، وَنُحَسِّنَ فِي ذَلِكَ . قال : ترهونني أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تَفْضَحَنَا ! إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحلقة ما فيه لك وفاء - وأراد سِلْكَانُ أَلَّا يَنْكَرَ السِّلَاحَ إِذَا جَاؤُوا بِهَا - فقال : إِنَّ فِي الْحَلْقَةِ لَوْفَاءً ، قال : فرجع سِلْكَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السِّلَاحَ فَيَنْطَلِقُوا فَيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ ، فاجتمعوا عند رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني ثور بن زيد الدبليّ ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ : انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ أَعِنِّهِمْ . ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فِي لَيْلَةِ مُقَمِّرَةٍ ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى حَصْنِهِ ، فَهَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلَةَ - وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدِ بَعْرُسَ - فَوَثِبَ فِي مِلْحَفَتِهِ ؛ فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ بِنَاحِيَتِهَا ، وَقَالَتْ : إِنَّكَ امْرُؤٌ مُحَارِبٌ ؛ وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَرْبِ لَا يَنْزِلُ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ . قَالَ : إِنَّهُ أَبُو نَائِلَةَ ؛ لَوْ وَجَدَنِي نَائِلًا لَمَا أَقْبَضَنِي ، قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْتِهِ الشَّرَّ . قَالَ : يَقُولُ لَهَا كَعْبٌ : لَوْ دُعِيَ الْفَتَى لَطَعْنَتْهُ أَجَابَ ،

فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشي إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في قود رأسه ، ثم شم يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيب عطر قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ثم مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودي رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ؛ فاختلقت عليه أسياهم ، فلم تغني شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً في سيفي حين رأيت أسيافاً لا تغني شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار . قال : فوضعت في ثنودته ، ثم تحملت عليه حتى بلغت عانتته ، ووقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رأسه أو رجله ، أصابه بعض أسيافاً .

قال : فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ، (ثم على بني قريظة ، ثم على بُعات حتى أسندنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدّم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتاننا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسول الله ﷺ : مَنْ ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيّة - رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله - وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسن من محيصة - فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدو الله ! قتلت ! أما والله لرُب شحم في بطنك من ماله ! قال محيصة : فقلت له : والله لو أمرني بقتلك مَنْ أمرني بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلي لقتلني ! قال : نعم والله ، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ! فأسلم حويصة .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق . قال : حدّثني هذا الحديث مولى لبني حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدي أنهم جاؤوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله ﷺ .

وزعم الواقدي أن في ربيع الأول من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وأدخلت عليه في جمادى الآخرة ، وأن في ربيع الأول من هذه السنة غزا رسول الله ﷺ غزوة أنمار - ويقال لها : ذو أمر - وقد ذكرنا قول ابن إسحاق في ذلك قبل .

قال الواقدي : وفيها ولد السائب بن يزيد ابن أخت النمر .

غزوة القرّة

قال الواقدي : وفي جمادى الآخرة من هذه السنة ، كانت غزوة القرّة وكان أميرهم - فيها ذكر - زيد بن حارثة ، قال : وهي أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً .

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :

سرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله ﷺ فيها حين أصاب عير قريش ، فيها أبو سفيان بن حرب ، على القردة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلخوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب . ومعه فضة كثيرة ؛ وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيّان ، يدّهم على ذلك الطريق ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، فلقبهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فزعم أن سبب هذه الغزوة كان أن قريشاً قالت : قد عور علينا محمد متجرباً وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية : إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا . قال أبو زمعة بن الأسود : فأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدية ، لو سلكها مغمض العينين لاهتدى . قال صفوان : من هو ؟ فحاجتنا إلى الماء قليل ؛ إنما نحن شاتون . قال : فرات بن حيّان ؛ فدعوا فاستأجروا ؛ فخرج بهم في الشتاء ، فسلك بهم على ذات عرق ، ثم خرج بهم على غمرة ، وانتهى إلى النبي ﷺ خبر العير وفيها مال كثير ، وآتية من فضة حملها صفوان بن أمية ؛ فخرج زيد بن حارثة ، فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيان القوم ؛ فكان الخمس عشرين ألفاً ، فأخذ رسول الله ﷺ ، وقسم الأربعة الأخماس على السرية ، وأتي بفرات بن حيّان العجلي أسيراً ، فقيل : إن أسلمت لم يقتلك رسول الله ﷺ ، فلما دعا به رسول الله ﷺ أسلم ، فأرسله .

مقتل أبي رافع اليهودي

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان مقتل أبي رافع اليهودي - فيما قيل - وكان سبب قتله ، أنه كان - فيما ذكر عنه - يظهر كعب بن الأشرف على رسول الله ﷺ ، فوجه إليه - فيما ذكر - رسول الله ﷺ في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة عبد الله بن عتيك ، فحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدثني إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي - وكان بأرض الحجاز - رجالاً من الأنصار ، وأمر عليهم عبد الله بن عقبة - أو عبد الله بن عتيك - وكان أبو رافع يؤدي رسول الله ﷺ ويغي عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم ، قال لهم عبد الله بن عقبة - أو عبد الله بن عتيك : اجلسوا مكانكم ، فإني أنطلق وأتلطف للبواب ، لعلني أدخل ! قال : فأقبل حتى إذا دنا من الباب ، تقنع بثوبه ؛ كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب . قال : فدخلت فكمنت تحت آرتي حمار ؛ فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علّق الأقاليد على ود . قال : فممت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر عنده في علالي ؛ فلما ذهب عنه أهل سمره ، فصعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته عليّ من داخل . قلت : إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله . قال : فانتهمت إليه ؛ فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ؛ لا أدري أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : من هذا ؟ قال : فأهويت نحو الصوت ، فأضربه ضربة بالسيف ،

وأنا دهش فما أغنى شيئاً وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمك الويل ! إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ، فعرفت أني قد قتلت ، فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلي ، وأنا أرى أني انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ؛ فانكسرت ساقِي ، قال : فعصبتها بعمامي ، ثم إني انطلقت حتى جلست عند الباب ، فقلت : والله لا أبرح الليلة حتى أعلم : أقتلته أم لا ؟ قال : فلما صاح الديك ، قام الناعي عليه على السور ، قال : أنعى أبا رافع ربّاح أهل الحجاز ! قال : فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبي ﷺ ، فحدثته فقال : ابسط رجلك ، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ؛ فإنه زعم أن هذه السريّة التي وجهها رسول الله ﷺ إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق إنما وجهها إليه في ذي الحجة من سنة أربع من الهجرة ، وأن الذين توجهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، والأسود بن خزاعيّ وعبد الله بن أنيس .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قصّ من قصّة هذه السريّة ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه : كان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - ممن كان حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قتل كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله ﷺ وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق ؛ وهو بخيبر ، فأذن لهم .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهريّ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ؛ كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ؛ لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون هذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ في الإسلام ؛ فلا يتتهون حتى يوقعوا مثلاً . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج ثم من بني سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعيّ بن الأسود ؛ حليف لهم من أسلم ؛ فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

فخرجوا حتى قدموا خيبر ؛ فاتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ؛ فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهلها ، وكان في عليّة له إليها عجلة رومية ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ فقالوا : نفر من العرب نلتمس الميرة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلما دخلنا أغلقنا عليها وعليها باب الحجرة ، ونحوّنا أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيفنا ؛ والله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ؛ كأنه قُبْطِيّة مُلقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منّا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهي رسول الله

ﷺ ؛ فيكفّ يده ؛ ولولا ذاك فرغنا منها بليلٍ ، فلما ضربناه بأسيافنا ، تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي !

قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر ، فوقع من الدرجة فَوُثَّتْ رجله وَثْثاً شديداً واحتملناه حتى نأتى به منهراً من عيونهم ، فدخل فيه . قال : وأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ؛ حتى إذا يسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه ؛ وهويقضي بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ! فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدته ورجال يهود عنده ، وامراته في يدها المصباح تنظر في وجهه . ثم قالت تحدّثهم وتقول : أما والله لقد عرفت صوت ابن عتيك ؛ ثم أكذبت ، فقلت : أتى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتنظر في وجهه ثم قالت : فاظ وإله يهود ! قال : يقول صاحبنا ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألدّ إلى نفسي منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله ﷺ ، وأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ؛ وكلنا يدّعيه ، فقال رسول الله ﷺ : هاتوا أسيافكم ، فجثنا بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق :

لِلَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ لَأَقِيَتَهُمْ	يَا بْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ	مِرْحاً كَأْسِدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلٍّ بِلَادَكُمْ	فَسَقَوْكُمْ حَتْفاً بَبِيضٍ دُفِّ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ	مُسْتَضْعِفِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجِفِ

حدّثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ وعباس بن عبد العظيم العنبري ، قالا : حدّثنا جعفر بن عون ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، قال : حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن أباه حدّثه عن أمّه ابنة عبد الله بن أنيس ، أنها حدّثته عن عبد الله بن أنيس ، أن الرهط الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى ابن أبي الحقيق ليقتلوه : عبد الله بن عتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبوقتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قدّموا خير ليلاً . قال : فعمدنا إلى أبوابهم فغلّقها من خارج ، ونأخذ المفاتيح ، حتى أغلّقنا عليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها في فقير ، ثم جثنا إلى المشرّبة التي فيها ابن أبي الحقيق ، فظهرت عليها أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا في الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبي الحقيق : إنّ هذا لصوت عبد الله بن عتيك . قال ابن أبي الحقيق : ثكلتك أمك ! عبد الله بن عتيك بيثرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتحي لي ؛ إنّ الكريم لا يردّ عن بابه هذه الساعة . فقامت ففتحت ؛ فدخلت أنا وعبد الله على ابن أبي الحقيق ، فقال عبد الله بن عتيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نهي رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان ، فأكفّ عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبي الحقيق . قال : فأنظر إليه في مشربة مظلمة إلى شدّة بياضه ، فلما رأيته ورأى السيف ، أخذ الوسادة فأتقاني بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزته بالسيف وخزاً . ثم خرج إليّ عبد الله بن أنيس ، فقال : أقتله ؟ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فدفع عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عتيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وا بياتاه و بياتاه ! قال : فسقط عبد الله بن عتيك في الدّرجة ، فقال : و رجلاه و رجلاه ! فاحتمله عبد الله بن أنيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلق ، ليس برجلك

بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسي أني تركتها في الدَّرَجَة ؛ فرجعت إلى قوسي ؛ فإذا أهلٌ خَبِيرٌ يَمْجُجُ بعضهم في بعض ؛ ليس لهم كلام إلا مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ قال : فجعلت لا أنظر في وجه إنسان ، ولا ينظر في وجهي إنسان إلا قلت : مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق ؟ قال : ثم صعدت الدَّرَجَة ؛ والناس يظهرون فيها ؛ وينزلون ؛ فأخذت قوسي من مكانها ، ثم ذهبت فأدركت أصحابي ، فكنَّا نكمنُ النهار ونسير الليل ؛ فإذا كمنَّا بالنهار أقعدنا منَّا ناطوراً ينظر لنا ؛ فإن رأى شيئاً أشار إلينا ؛ فانطلقنا حتى إذا كنَّا بالبيضاء كنت - قال موسى : أنا ناطورهم ، وقال عباس : كنتُ أنا ناطورهم - فأشرت إليهم فذهبوا جَزْأً وخرجت في آثارهم ؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم ، قالوا : ما شأنك ؟ هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لا ، إلا أني قد عرفت أن قد بلغكم الإعياء والوَصْبُ ، فأحببت أن يحملكم الفَزَعُ .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تزوج النبي ﷺ حفصة بنت عمر في شعبان ؛ وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حذافة السَّهْمِي في الجاهلية ، فتوفي عنها .
وفيها كانت غزوة رسول الله ﷺ أُحُدًا ؛ وكانت في شوال يوم السبت لسبع ليالٍ خلون منه - فيما قيل - من سنة ثلاث من الهجرة .

غزوة أُحُد

قال أبو جعفر : وكان الذي هاج غزوة أُحُد بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش وقعة بدر وقتل مَنْ قَتَلَ بَدْر من أشرف قريش ورؤسائهم ؛ فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدَّثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهري ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا ؛ كلُّهم قد حدَّث بعبء هذا الحديث عن يوم أُحُد ، وقد اجتمع حديثهم كلُّهم فيما سَقُت من الحديث عن يوم أُحُد ، قالوا :

لما أصيبت قريش - أو من قاله منهم - يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَلِيب ، فرجع فلهم إلى مكَّة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم ببدر ؛ فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إنَّ محمداً قد وتَرَككم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربِهِ ؛ لعلنا أن ندرك منه ثاراً بمن أصيب منَّا ، ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحايبشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ؛ وكل أولئك قد استعصموا على حرب رسول الله ﷺ .

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمَحِي قد منَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر . وكان فقيراً ذا بنات ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن عليَّ صلَّى الله عليك ! فمنَّ عليه رسول الله ﷺ ، فقال صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، إنَّك امرؤ شاعرٌ ، فأعنا بلسانك ، فخرج معنا . فقال : إنَّ محمداً قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظاهر عليه ، فقال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن

أَغْنِيكَ ، وَإِنْ أَصَبْتَ أَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِكَ مَعَ بَنَاتِي يَصِيهِنَّ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ عَسْرٍ وَيسر . فخرج أبو عزة يسير في تِهَامَةٍ ، ويدعو بني كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمَحْ ؛ إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، ودعا جبير بن مُطْعِمٍ غُلاماً له يقال له وحشي ، كان حبشياً يقذف بحربة له قَذْفَ الْحَبْشَةِ ، قَلَمًا يُخْطِئُ بِهَا ، فقال له : اخرج مع النَّاسِ ، فَإِنْ أَنْتِ قَتَلْتَ عَمَّ مُحَمَّدَ بَعْمِي طُعَيْمَةَ بِنِ عَدِي فَأَنْتِ عَتِيقٌ .

فخرجت قريش بحدّها وحَدّها وأحابيشها ، وَمَنْ مَعَهَا مِنْ بَنِي كِنَانَةٍ وَأَهْلِ تِهَامَةٍ ، وخرجوا معهم بِالطُّعْنِ التَّمَاسِ الحَفِيطَةِ ؛ وَلَثَلًا يَفْرَوُا . فخرج أبو سفيان بن حرب -وهو قائد النَّاسِ ، معه هند بنت عُتْبَةَ بِنِ رِبِيعَةَ - وخرج عِكْرَمَةُ بِنِ أَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامِ بِنِ الْمُغِيرَةِ بِأُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ الْحَارِثِ بِنِ هِشَامِ بِنِ الْمُغِيرَةِ ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة - قال أبو جعفر : وقيل ببرة - بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثَّقَفِيَّةِ ؛ وهي أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ صَفْوَانَ - وخرج عمرو بن العاص بن وائل برِيْطَةَ بِنْتِ مَنبِهِ بِنِ الْحَجَّاجِ ، وهي أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ ، وخرج طلحة بن أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بِنِ شَهِيدٍ - وهي أُمُّ بَنِي طَلْحَةَ مُسَافِعِ الْجَلَّاسِ وَكَلَابِ ؛ قَتَلُوا يَوْمَئِذٍ وَأَبُوهُمْ - وخرجت خنساء بنت مالك بن المضرِبِ إحدى نساء بني مالك بن جَسَلٍ ، مع ابنتها أبي عزيز بن عمير ؛ وهي أُمُّ مُضْعَبِ بِنِ عَمِيرٍ ، وخرجت عَمْرَةُ بِنْتِ عِلْقَمَةَ إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛ وكانت هند بنت عُتْبَةَ بِنِ رِبِيعَةَ كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا قَالَتْ : إِيَّهَ أَبَا دَسَمَةَ ! أَشَفَ وَاشْتَفَ - وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَكْنَى أَبَا دَسَمَةَ . فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَلٍ بِبَطْنِ السَّبْحَةِ ؛ مِنْ قَنَاةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي ثَمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ .

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ : إِنْ قَدْ رَأَيْتَ بَقْرًا فَأَوَّلَتْهَا خَيْرًا ، وَرَأَيْتَ فِي دُبَابٍ سَيْفِي ثَلَمًا ، وَرَأَيْتَ أُنًى أَدَخَلْتَ يَدِي فِي دَرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلَتْهَا الْمَدِينَةَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ؛ فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ؛ وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا . وَنَزَلَتْ قَرِيشٌ مِنْزَلَهَا مِنْ أَحَدِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ . فَأَقَامُوا بِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الْجُمُعَةَ ، فَأَصْبَحَ بِالشَّعْبِ مِنْ أُحُدٍ . فَالْتَقَوْا يَوْمَ السَّبْتِ لِلنَّصَفِ مِنْ شَوَالٍ ؛ وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَرَى رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ : أَلَّا يُخْرِجَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ أَكْرَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ وَحَضْرُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْرِجْ بَنِي أَعْدَائِنَا ، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبْنَا عَنْهُمْ وَضَعْفُنَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بِنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ؛ فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا ، وَلَا دَخَلْهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَابَنَا مِنْهُ ، فَدَعُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَجْلَسٍ ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وُجُوهِهِمْ ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانِ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاؤُوا . فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ ؛ حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَيْسَ لَأَمْتِهِ ؛ وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَّغَ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بِنِ عَمْرٍو ، أَحَدُ بَنِي النَّجَارِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ ، وَقَالُوا : اسْتَكْرَهْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا .

قال أبو جعفر : وأما السديّ ؛ فإنه قال في ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، أن رسول الله ﷺ لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا عليّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عدوّ لنا قطّ أتنا في ديارنا ، فكيف وأنت فينا ! فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أبيّ ابن سلول - ولم يدعه قطّ قبلها - فاستشاره فقال : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ؛ وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاريّ ، فقال : يا رسول الله لا تحرمني الجنة ؛ فواللذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وأنّي لا أفرّ من الرّحف . قال : صدقت ، فقتل يومئذ . ثم إن رسول الله ﷺ دعا بدرعه فلبسها ، فلما رأوه قد لبس السّلاح ندموا وقالوا : بش ما صنعنا ! نشير على رسول الله والوحي يأتيه ! فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسول الله ﷺ : لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل . فخرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلما خرج رجع عبد الله بن أبيّ ابن سلول في ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السلميّ يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالاً ؛ ولئن أطعنا لترجعن معنا ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ ^(١) فهم بنو سَلَمَةَ وبنو حارثة ، همّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبيّ ، فعصمهم الله عزّ وجلّ ، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائه .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ! فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ؛ فخرج رسول الله ﷺ في ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبيّ ابن سلول بثلاث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ؛ والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن أتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الرّيب ، وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيّكم وقومكم عند ما حضر من عدوّهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكننا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغني الله عنكم !

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقديّ : انخزل عبد الله بن أبيّ عن رسول الله ﷺ من الشّيوخين بثلاثمائة ، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائه ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخيّل مائتي فرس ، والظعن خمس عشرة امرأة .

قال : وكان في المشركين سبعمائة دارع ؛ وكان في المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس لرسول الله ﷺ ، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي . فأدلى رسول الله ﷺ من الشّيوخين حين طلعت الحمراء - وهما أطمان ، كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدّثان فلذلك ، سُميّا

(١) سورة آل عمران : ١٢٢ .

الشيخين ؛ وهو في طرف المدينة - قال : وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة بالشيخين بعد المغرب ؛ فأجاز مَنْ أجاز ، وردَّ مَنْ ردَّ ، قال : وكان فيمن ردَّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعَرَّابة بن أوس . قال : وهو الذي قال فيه الشُّمَّاح :

رَأَيْتُ عَرَّابَةَ الْأَوْسِيِّ يَنْمِي إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطَعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَّابَةٌ بِالْيَمِينِ

قال : وردَّ أبا سعيد الخُدْرِيّ ، وأجاز سُمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وكان رسول الله ﷺ ، قد استصغر رافعاً ، فقام على خُفَيْنٍ له فيهما رقا ، وتناول على أطراف أصابعه ؛ فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلَّم أجازَه .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سُمرة بن جندب تحت مُرَيِّ بن سنان بن ثعلبة ، عم أبي سعيد الخُدْرِيّ ، فكان ربيبه ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، وعرض أصحابه ، فردَّ من استصغر ردَّ سُمرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سُمرة بن جندب لربيهِ مُرَيِّ بن سنان : يا أبتِ ، أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج ، وردَّني وأنا أصرع رافع بن خديج ، فقال مُرَيِّ بن سنان : يا رسول الله : رددت ابني ، وأجزت رافع بن خديج وابني يصصره ! فقال النبي ﷺ لرافع وسُمرة : تصارعا ، فصرع سُمرة رافعاً ، فأجازَه رسول الله ﷺ فشهدا مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبي ﷺ أبو حثمة الحارثي .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة ، فذَبَّ فرس بذنبه ، فأصاب كلاب سيف ، فاستلَّه ، فقال رسول الله ﷺ - وكان يُحِبُّ الفأل ولا يعتاف - لصاحب السيف : شِمَّ سيفك ، فإني أرى السيوف ستُسَلُّ اليوم . ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : مَنْ رَجُلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَبٍ ، من طريق لا يُمرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو حثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدَّمه فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سَلَك به في مال المربع بن قبيط - وكان رجلاً منافقاً ضريّر البصر - فلما سمع حسَّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يُخَيِّ في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله ؛ فإني لا أحلُّ لك أن تدخل حائطي ؛ قال : وقد ذكر لي أنه أخذ حَفَنَةً من تراب في يده ، ثم قال : لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نَهَى رسول الله ﷺ عنه ، فضربه بالقوس في رأسه فشجَّه ، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه ؛ حتى نزل الشعب من أحد في عُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد حتى تأمره بالقتال ؛ وقد سَرَحَتْ قريش الظَّهْر والكِرَاع في زروع كانت بالصُّمُغَة من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حين نَهَى رسول الله ﷺ عن القتال : أترعى زروع بني قيلة ولما تُضارب ! وتعباً رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعباً قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ؛ ومعهم مائتا فرس قد جَنَّبُوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمر رسول الله ﷺ على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر ، أخوا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ

معلّم بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، وقال : انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا تؤتيت من قبلك ، وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين .

فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، قال : حدثنا إسرائيل . وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : لما كان يوم أُحُد ، ولقي رسول الله ﷺ المشركين أجلس رسول الله ﷺ رجلاً بإزاء الرماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظهرُوا علينا فلا تعينونا . فلما لقي القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رَفَعْنَ عن سوقهنّ ، وبدت خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلاً ، أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله ﷺ ! فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صَرَفَ الله وجوهمهم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال ، حتى نزل أُحُدًا ، وخرج النبي ﷺ ، فأذن في الناس فاجتمعوا ، وأمر الزبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندي ، وأعطى رسول الله ﷺ اللواء رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسر ، وبعث حمزة بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فبعث رسول الله ﷺ الزبير ، وقال : استقبل خالد بن الوليد ؛ فكن بإزائه حتى أؤذك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحن حتى أؤذك . وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى ، فأرسل النبي ﷺ إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد ؛ فهزمه الله ومن معه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ - إلى قوله - : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا تَجْبُونَ ﴾ ^(١) ؛ وإن الله عز وجل وعد المؤمنين أن ينصرهم ؛ وأنه معهم . وأن رسول الله ﷺ بعث ناساً من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله ﷺ : كونوا ها هنا ، فردوا وجه من فرمنا ، وكونوا حراساً لنا من قبل ظهورنا . وأن رسول الله ﷺ لما هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعلوا من ورائهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصعدات في الجبل ، ورأوا الغنائم : انطلقوا إلى رسول الله ﷺ ؛ فأدركوا الغنيمة قبل أن يسبقونا إليها ؛ وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسول الله ﷺ فنثبت مكاننا ؛ فذلك قوله لهم : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الذين أرادوا الغنيمة ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ الذين قالوا : نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها ؛ حتى كان يومئذ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما برز رسول الله ﷺ إلى المشركين بأحد أمر الرماة ، فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين ؛ وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم أننا قد هزمناهم ، فإننا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم . وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير .

ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام ، فقال : يا معشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون

أَنَّ اللَّهَ يَعَجِّلُنَا بَسِيفِكُمْ إِلَى النَّارِ ، وَيَعَجِّلُكُمْ بَسِيفُنَا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ فهل منكم أحدٌ يعَجِّلُه الله بسيفي إلى الجنة ، أو يعَجِّلني بسيفه إلى النار ! فقام إليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجِّلك بسيفي إلى النار ، أو تعَجِّلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه عليّ فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرحم يا بن عمّ ! فتركه ، فكبر رسولُ الله ﷺ ، وقال لعليّ : ما منعك أن تجهزَ عليه ؟ قال : إنّ ابن عمّي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييتُ منه . ثم شدّ الزير بن العوّام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ؛ وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد - وهو على خيل المشركين - حمل فرمته الرماة فانقمع . فلما نظر الرماة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله ﷺ . وانطلق عامتهم فلاحقوا بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبي ﷺ . فلما رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، تنادوا فشدوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم .

فحدّثني بشر بن آدم ، قال : حدّثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ ، قال : حدّثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزُّبير : عرّض رسولُ الله ﷺ سيفاً في يده يوم أُحد ؛ فقال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقمّت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عنيّ ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقمّت فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عنيّ ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقام أبو دُجّانة سِمَاك بن خَرَشَة ، فقال : أنا آخذه بحقه ؛ وما حقّه ؟ قال : حقه ألا تقتل به مسلماً ، وألا تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة ؛ قال : فقلت : لأنظرن اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ؛ حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل ؛ معهنّ دُفوفُ لهنّ ؛ فيهنّ امرأة تقول :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ
وَنَبْسُطُ النَّمَارِقُ أَوْ تَذْبِرُوا نُفَارِقُ
فِرَاقٌ غَيْرُ وَاثِقٍ

قال : فرفع السيف ليضربها ، ثم كفّ عنها . قال : قلت : كلّ عملك قد رأيت ، أرايت رفعك للسيف عن المرأة بعدما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسولُ الله ﷺ : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ؛ حتّى قام إليه أبو دُجّانة سِمَاك بن خَرَشَة أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتّى ينحني ؛ فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه . وكان أبو دُجّانة رجلاً شجاعاً يمثال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل - فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخذ عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصّفين .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني جعفر بن

عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجَّانة يتبختر : **إِنَّهَا لَمُشِيَّةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ** . وقد أرسل أبو سفيان رسولا ، فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، **خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمَّنَا نَنْصَرِفَ عَنْكُمْ** ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بِقِتَالِكُمْ . فردَّوه بما يكره .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ أَبَا عَامِرٍ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ أُمَةَ ، أَحَدِ بَنِي ضُبَيْعَةَ ؛ وَقَدْ كَانَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُبَاعِداً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَعَهُ خَمْسُونَ غُلَاماً مِنَ الْأَوْسِ ؛ مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ - وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ - فَكَانَ يَعِدُ قَرِيشاً أَنْ لَوْ قَدْ لَقِيَ مُحَمَّدًا لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ ، فَلَمَّا التَقَى النَّاسَ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ أَبُو عَامِرٍ فِي الْأَحَابِيشِ وَعُثْبَانُ أَهْلَ مَكَّةَ ، فَنَادَى : يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ ، أَنَا أَبُو عَامِرٍ ، قَالُوا : فَلَا أُنْعِمُ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقَ - وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ يَسْمَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ « الرَّاهِبَ » ، فَسَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « الْفَاسِقَ » - فَلَمَّا سَمِعَ رَدَّهُمْ عَلَيْهِ ، قَالَ : لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ . ثُمَّ قَاتَلَهُمْ قِتَالاً شَدِيداً ، ثُمَّ رَاضَخَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ لِأَصْحَابِ اللَّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَحْرَضُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ : يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، إِنَّكُمْ وَلَيْتُمْ لَوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأَصَابَنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ؛ وَإِنَّمَا يُؤْتِي النَّاسَ مِنْ قَبْلِ رَايَاتِهِمْ ؛ إِذَا زَالَتْ زَالُوا ؛ فِيمَا أَنْ تَكْفُونَا لَوَاءَنَا ؛ وَإِمَّا أَنْ تَخْلُؤَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَسَنَكْفِيكُمْوه . فَهَمُّوْا بِهِ وَتَوَاعَدُوهُ ، وَقَالُوا : نَحْنُ نَسْلَمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا ، سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا التَقِينَا كَيْفَ نَصْنَعُ ! وَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ . فَلَمَّا التَقَى النَّاسَ ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، قَامَتِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فِي النَّسْوَةِ اللَّوَاتِي مَعَهَا ، وَأَخَذَتِ الدُّفُوفَ يَضْرِبُ خَلْفَ الرِّجَالِ وَيُحَرِّضُهُمْ ، فَقَالَتْ هِنْدُ فِيمَا تَقُولُ :

إِنَّ تَقْبَلُوا نَعَانِقُ وَنَفَرَشِ النَّمَارِقُ
 أَوْ تَذَبَرُوا نُفَارِقُ فِرَاقُ غَيْرِ وَامِقُ
 وَتَقُولُ :

وَيَهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ! وَيَهَا حُمَاةُ الْأَذْبَارِ!
 ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارِ

وَأَقْتَتَلَ النَّاسَ حَتَّى حَمِيَّتِ الْحَرْبُ ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَّانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ ، وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصْرَهُ ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ ، فَحَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرَ إِلَى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتُ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مَشْمَرَاتِ هَوَارِبٍ ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ كَثِيرٌ ؛ إِذْ مَالَتِ الرُّمَاتُ إِلَى الْعَسْكَرِ حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ يَرِيدُونَ النَّهْبَ ، وَخَلُّوا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ ؛ فَاتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا وَصَرَخَ صَارِخٌ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قَتَلَ ! فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ ؛ بَعْدَ أَنْ أَصَابَنَا أَصْحَابُ اللَّوَاءِ حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدَ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ اللَّوَاءَ لَمْ

يزل صريعاً حتى أخذته سمره بنت علقمة الحارثية ، فرفعت له قريش ، فلاثوا به ، وكان اللواء مع صواب ، غلام لبني أبي طلحة ، حبشي ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل حتى قُطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدرة وعُنقه حتى قُتل عليه ؛ وهو يقول : اللهم هل أعذرت ! فقال حسان بن ثابت في قطع يد صواب حين تقاذفوا بالشعر :

لَوَاءٌ حِينَ رُدُّ إِلَى صَوَابٍ	فَخَرْتُمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ
مَنْ أَلَامَ مَنْ وَطِي عَفَرَ التَّرَابِ	جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهَا لَعِبِدٍ
وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصُّوَابِ	ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيَهُ لَهُ ظُنُونٌ
بِمَكَّةَ بَيْعُكُمْ حُمَرَ الْعِيَابِ	بِأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا
وَمَا إِنْ تُعَصَّبَانِ عَلَى خَضَابِ	أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ

حدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدَّثنا جَبَّان بن علي ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما قُتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية ، أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ؛ ففرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحِي . قال : ثم أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ؛ وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي ، فقال جبريل : يا رسول الله ، إنّ هذه للمواساة ، فقال رسول الله ﷺ : إنه مني وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكما ، قال : فسمعوا صوتاً :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَا ر وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِي

قال أبو جعفر : فلمّا أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلث قتل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم ؛ وقد جهده الحرب حتى ما يدري ما يصنع ، وأصبحت رباعية رسول الله ﷺ السفلى ، وشُقَّت شفته ، وكُلِم في وجنتيه وجبهته في أصول شعره ، وعلاه ابن قميث بالسيف على شقه الأيمن ؛ وكان الذي أصابه عُتْبَة بن أبي وقاص . حدَّثنا ابن بشار ، قال : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم أحد ، كُسِرَتْ رباعية رسول الله ﷺ وشُجَّ ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يُفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم . وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ (١) الآية .

قال أبو جعفر : وقال رسول الله ﷺ حين غشيته القوم : مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ !

فحدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن ، قال : فقام زياد بن السَّكَن في نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنّما هو عمارة بن زياد بن السَّكَن ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ، ثم رجلاً ، يقتلون دونه ؛ حتى كان آخرهم زياد - أو عمارة بن زياد بن السَّكَن -

فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فوسد قدمه ؛ فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ ، وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه ؛ حتى كثرت فيه النبل ، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ ، فقال سعد : فلقد رأيته يناولني ويقول : أرم فذاك أبي وأمّي ! حتى إنه ليناولني السهم ما فيه نصل ، فيقول : أرم به !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيّتها ، فأخذها قتادة بن النعمان ؛ فكانت عنده ، وأصبحت يومئذ عين قتادة بن النعمان ؛ حتى وقعت على وجنته .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ ردها بيده ؛ فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

قال أبو جعفر : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل ؛ وكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي . وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ؛ فرجع إلى قريش ، فقال : قتلت محمداً . فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شريحيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ؛ وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزى الغبشاني - وكان يكنى بأبي نيار - فقال له حمزة بن عبد المطلب : هلم إلي يا بن مقطعة البظور - وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختانة بمكة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال وحشي غلام جبير بن مطعم ؛ والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ، ما يليق شيئاً يمرّ به ؛ مثل الجمل الأورق ؛ إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلي يا بن مقطعة البظور ! فضربه ؛ فكأنما أخطأ رأسه ، وهزرت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في لبتة حتى خرجت من بين رجله ، وأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، فأمهله حتى إذا مات جئت فأخذت حربي ؛ ثم تنحيت إلى العسكر ؛ ولم يكن لي بشيء حاجة غيره . وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف مسافع بن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة ؛ كلاهما يشعره سهماً ؛ فيأتي أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها ، فتقول : يا بني ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن الأقلح ! فتقول : أقلحي ! فنذرت لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله ألا يمسه مشركاً أبداً ولا يمسه .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ؛ أخو بني عدي بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ؛ عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمد رسول الله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا [كراماً] على ما مات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل القوم ؛ فقاتل حتى قتل ؛ وبه سمّي أنس بن مالك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حميد الطويل ، عن

أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة وطعنة فما عرفه إلا أخته ، عرفته بحسن بنائه .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتِلَ رسول الله ﷺ » - كما حدَّثني ابن شهاب الزهري - كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، قال : عرفت عينيه تزهران تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا ! هذا رسول الله ﷺ ! فأشار إليّ رسول الله ﷺ : أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض نحو الشعب ، معه علي بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، في رهط من المسلمين . فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين مُحَمَّد ! لا نَجُوتُ إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منّا ؟ قال : دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة - قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لي : فلما أخذها رسول الله ﷺ ، انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها ؛ ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدادأ منها عن فرسه مراراً .

وكان أبي بن خلف - كما حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف - يلقي رسول الله ﷺ بمكة ، فيقول : يا مُحَمَّد إن عندي العود ، أعلفه كل يوم فرقاً من دُرّة أقتلك عليه ! فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ؛ فاحتقن الدم ، قال : قتلتني والله مُحَمَّد . قالوا : ذهب والله فؤادك ؛ والله إن بك بأس . قال : إنه قد كان بمكة قال لي : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق عليّ لقتلني . فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب ، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ دَرَقَتَه من المِهْرَاس . ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ؛ فوجد له ريحاً فعافه ؛ ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ؛ وصَبَّ على رأسه ؛ وهو يقول : اشتد غضب الله على من دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني صالح بن كيسان ، عمَّن حدَّثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يقول : والله ما حَرَصْتُ على قتل رجل قط ما حَرَصْتُ على قتل عُتْبَةَ بن أبي وقاص ؛ وإن كان ما علمتُ لَسِيَّءَ الخلق ، مبغضاً في قومه ؛ ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من دَمَى وجه رسول الله » .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : حدَّثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فرمى رسول الله ﷺ بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجَّه في وجهه ، فأثقله وتفرَّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله ﷺ يَدْعُو الناس : إليّ عباد الله ! إليّ عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة ، فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي ؛ وقد حلف ليقتلن النبي

ﷺ ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذاب ، أين تفرُّ ! فحمل عليه فطعنه النبي ﷺ في جيب الدرع ؛ فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخورُ خوارَ الثور ؛ فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنك » ! لو كانت بجميع ربعة ومضر لقتلتهم ! فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسولَ الله ﷺ قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي ، فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان ! يا قوم ان محمداً قد قُتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، قال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن ربَّ محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد : اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قتل ؛ وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ؛ فلما رأوه وُضع رجلٌ سهماً في قوسه ، فأراد أن يرميه فقال : أنا رسولُ الله ؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسولَ الله ﷺ حياً ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن في أصحابه مَنْ يمتنع به ؛ فلما اجتمعوا وفيهم رسولُ الله ﷺ ذهب عنهم الحزن ؛ فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزَّ وجلَّ للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وأهمهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله ﷺ : ليس لهم أن يعلنوا ؛ اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تُعبَد ! ثم ندب أصحابه ، فرمَوْهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ : اعلُ هُبَل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ بيوم بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جُنُباً فغسلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتل يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسولُ الله ﷺ لعمر : قل : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم محمد ! أما إنها قد كانت فيكم مثله ؛ ما أمرت بها ولا نهيت عنها ؛ ولا سرتني ولا ساءتني ؛ فذكر الله عزَّ وجلَّ إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغمُّ الأول ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغمُّ الثاني إشراف العدو عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ (٢) من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان .

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال - فيما حدَّثنا ابنُ حميد قال : حدَّثنا سلمة عنه - بينا رسولُ الله ﷺ في الشعب ؛ ومعه أولئك النفر من أصحابه إذ علَّتْ عالية من قريش الجبل ، فقال رسولُ الله ﷺ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلنوا ؛ فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدَّن رسول الله ﷺ ، وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ؛ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى استوى عليها .

(١) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٣ .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، قال : قال محمد : قال رسول الله ﷺ ، كما حدَّثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ ، حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) ؛ حتى بلغوا الجَلْعَبَ (جَبَلًا بناحية المدينة مما يلي الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ ، قال لهم : لقد ذهبتُم فيها عريضة .

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل ، التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شَدَّاد بن الأسود - وكان يقال له : ابن شعوب - قد علا أبا سفيان ، فضربه شَدَّاد فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسلهُ الملائكة . فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فسيَّلتُ صاحبتَه ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهائعة ؛ فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسَلته الملائكة ، فقال شَدَّاد بن الأسود في قتله حنظلة :

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْعَنَةٍ مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبرَه ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب شَدَّاد بن الأسود إيَّاه على حنظلة :

ولو شئتُ نَجَتْنِي كُمَيْتُ طِمْرَةً
فما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ
أَقَاتَلُهُمْ وَأَدْعِي يَالَ غَالِبٍ
فَبَكِّي وَلَا تَرْعِي مَقَالَةَ عَاذِلٍ
أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنَّنِي
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا نَجِيًّا وَمُضْعَبًا
وَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشَفْ مِنْهُمْ قَرُونَتِي
فَأَبَوْا وَقَدْ أَوَدَى الْحَلَايِبُ مِنْهُمْ
أَصَابُهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَتَعَجَّبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْرَةَ مِنْهُمْ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ
غَذَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاعَهُ
وَلَسْتُ لَزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبٍ
نَجِيبًا وَقَدْ سَمِيتَهُ بَنَجِيبٍ
وَشَيْئَةً وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ
بِضْرَبَةِ غَضَبٍ بَلَّهَ بِخُضَيْبٍ

وقال شَدَّاد بن الأسود ، يذكر يده عند أبي سفيان بن حرب فيها دفع عنه :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي
لَأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مَجِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرِي الْمُهَرَّ بِالنَّعْفِ قَرَقَرْتُ
ضَبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبٍ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان في قوله :

وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ

وظنَّ أنه يعرّض به إذ فر يوم بدر :

وإِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ
لَدَى صَحْنٍ بَدْرًا أَوْ لِقَامَتْ نَوَائِحُ
جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بِبَدْرٍ كَمِثْلِهِ
لَأَبْتُ بِقَلْبٍ مَا بَقِيَتْ نَخِيبُ
عَلَيْكَ، وَلَمْ تَحْفَلْ مُصَابَ حَبِيبٍ
عَلَى سَابِغٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَبِيبٍ

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة - فيما حدّثنا ابن حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني صالح بن كيسان - والنسوة اللاتي معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ ، يَجْدَعْنَ الْأَذَانَ وَالْأَنُوفَ ؛ حَتَّى اتَّخَذَتْ هِنْدُ مِنْ آذَانِ الرِّجَالِ وَأَنْفِهِمْ خَدَمًا وَقَلَانِدَ ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا وَقَلَانِدَهَا وَقَرِطَتَهَا وَحَشِيئًا ، غَلَامَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَبَقَرَتْ عَنْ كَبْدِ حِمْزَةٍ فَلَاكَتْهَا فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسَيِّغَهَا فَلَفَظَتْهَا . ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مَشْرِفَةٍ ، فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا بِمَا قَالَتْ مِنَ الشَّعْرِ حِينَ ظَفَرُوا بِمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني صالح بن كيسان ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِحَسَّانَ : يَا بَنَ الْفُرَيْعَةِ لَوْ سَمِعْتَ مَا تَقُولُ هِنْدُ وَرَأَيْتَ أَشْرَهَا ، قَائِمَةً عَلَى صَخْرَةٍ تَرْتَجِزُ بِنَا ، وَتَذَكِّرُنَا مَا صَنَعْتَ بِحِمْزَةٍ ! فَقَالَ لَهُ حَسَّانُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الْحَرْبَةِ تَهْوِي وَأَنَا عَلَى رَأْسِ فَارَعٍ - يَعْنِي أُطَمَةَ - فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَسِلَاحُ مَا هِيَ بِسِلَاحِ الْعَرَبِ ؛ وَكَأَنَّهَا إِنَّمَا تَهْوِي إِلَى حِمْزَةٍ ؛ وَلَا أَدْرِي . أَسْمَعُنِي بَعْضَ قَوْلِهَا أَكْفِيكُمْوهَا ؛ قَالَ : فَأَنْشُدُهُ عُمَرُ بَعْضَ مَا قَالَتْ ، فَقَالَ حَسَّانُ يَهْجُو هِنْدًا :

أَشِرْتَ لَكَاعٍ وَكَانَ عَادَتُهَا
لَعَنَ الْإِلَهِ وَزَوْجَهَا مَعَهَا
أَخْرَجْتَ مُرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ
بَكَرٍ ثِفَالٍ لَا حَرَكَ بِهٍ
وَعَصَاكَ إِسْتُكَ تَتَّقِينَ بِهَا
قَرَحْتَ عَجِيزَتَهَا وَمَشْرَجُهَا
ظَلَّتْ تُدَاوِيهَا زَمِيلَتَهَا
أَخْرَجْتَ ثَائِرَةً مَبَادِرَةً
وَبِعَمَلِكَ الْمَسْتُوهُ فِي رَدَعٍ
وَنَسِيتَ فَاخْشَةَ أَتَيْتَ بِهَا
لُؤْمًا إِذَا أَشِرْتَ مَعَ الْكُفْرِ
هِنْدَ الْهُنُودِ عَظِيمَةَ الْبَطْرِ
فِي الْقَوْمِ مُقْتَبَةً عَلَى بَكْرِ
لَا عَنْ مُعَاتَبَةٍ وَلَا زَجَرٍ
دُقِّي الْعُجَايَةَ هِنْدُ بِالْفَهْرِ
مِنْ دَائِبِهَا نَضًا عَلَى الْقَتْرِ
بِالْمَاءِ تَنْضَحُهُ وَبِالسُّدْرِ
بِأَبِيكَ وَابْنِكَ يَوْمَ ذِي بَدْرِ
وَأَخِيكَ مِنْعَفَرَيْنِ فِي الْجَفْرِ
يَا هِنْدُ، وَنَحِكَ سُبَّةَ الدُّهْرِ!

فَرَجَعَتْ صَاغِرَةً بِلَا تَرَةٍ مِنَّا ظَفِرَتْ بِهَا وَلَا نَضِرِ
زَعَمَ الْوَلَايْدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرِ

قال أبو جعفر : ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم - فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدثنا إسرائيل .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثني أبي ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : ثم إن أبا سفيان أشرف علينا ، فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تجيبوه ؛ مرتين ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ : لا تجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ : لا تجيبوه ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : أما هؤلاء فقد قُتِلُوا ، لو كانوا في الأحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ بن الخطاب نفسه أن قال : كذبت يا عدو الله ، قد أبقي الله لك ما يخزيك ! فقال : اعلُ هُبْل ! اعلُ هُبْل ! فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلَى وأجلُّ ! قال أبو سفيان : ألا لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم ! فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ! قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ؛ أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤي .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال في حديثه : لما أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلم يا عمر ، فقال له رسول الله ﷺ : إيتيه فانظر ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ؛ وإنه ليسمع كلامك الآن ، فقال : أنت أضدق عندي من ابن قميئة وأبر ؛ لقول ابن قميئة لهم : إني قتلت محمداً . ثم نادى أبو سفيان ، فقال : إنه قد كان في قتلكم مثلٌ والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نهيت ولا أمرت .

وقد كان الحُلَيْس بن زَبَّان أخو بني الحارث بن عبد مناة ؛ وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مرَّ بأبي سفيان بن حرب ، وهو يضرب في شِدْق حمزة بَزْج الرمح ؛ وهو يقول : دُقْ عَقْقُ ! فقال الحُلَيْس : يا بني كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابين عمه كما ترون لحماً ! فقال : اكتمها ، فلما كانت زَلَّة ؛ فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر للعام المقبل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل نعم هي بيننا وبينك موعد .

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل ، وامتنطوا الإبل ؛ فإنهم يريدون مكة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ؛ فهم يريدون المدينة ؛ فوالذي نفسي بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ فلما اجتنبوا الخيل وامتنطوا الإبل توجهوا إلى مكة ؛ وقد كان رسول الله ﷺ قال : أي ذلك كان فأخفه حتى تأتيني . قال علي عليه السلام : فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح ؛ ما أستطيع أن أكتم الذي أمرني به رسول الله ﷺ لما بي من الفرح ؛ إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة .

وفرغ الناس لقتالهم ، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :

حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخي بني النجار ، أن رسول الله ﷺ ، قال : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ؟ - وسعد أخو بني الحارث بن الخزرج - أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل ؛ فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رَمَقٌ ، قال : فقلت له : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ لَه : أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : فَأَنَا فِي الْأَمْوَاتِ ؛ أَبْلَغُ رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي السَّلَامَ ، وَقُلْ لَه : إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَ مَا جُزِيَ نَبِيٌّ عَنْ أُمَّتِهِ ؛ وَأَبْلَغُ عَنِّي قَوْمَكَ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُمْ : إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ : إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ . ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ ؛ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرَهُ . وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - يَلْتَمِسُ حِمَزةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الْوَادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبَدِهِ ، وَمِثْلَ بِهِ ، فَجَدَعَ أَنْفَهُ وَأَذَنَاهُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله ﷺ حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير ؛ ولئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ؛ فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعل بعمه ، قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ! .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : أخبرني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي . عن ابن عباس . قال ابن حميد : قال سلمة : وحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ .

قال ابن إسحاق : وَأَقْبَلْتُ - فِيمَا بَلَغَنِي - صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَتَنْظُرَ إِلَى حِمَزةَ - وَكَانَ أَخَاهَا لِأَبِيهَا وَأُمِّهَا - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنَتِهَا الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَّامِ : الْقَهَّاءَ فَارْجِعْهَا ، لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا . فَلَقِيَهَا الزَّيْبِرُ فَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّهُ ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَرْجِعِي ، فَقَالَتْ : وَلَمْ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُثِلٌ بِأَخِي وَذَلِكَ فِي اللَّهِ قَلِيلٌ ! فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ! لَأَحْتَسِبَنَّ وَلَأَصْبِرَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا جَاءَ الزَّيْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، قَالَ : خَلَّ سَبِيلَهَا ، فَأَتَتْهُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ ؛ وَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ؛ ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِ فَذَفِنَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : فزعم بعض آل عبد الله بن جحش - وَكَانَ لِأُمِّمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَالَه حِمَزةَ ؛ وَكَانَ قَدْ مُثِلَ بِهِ كَمَا مُثِلَ بِحِمَزةَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُبْقِرْ عَنْ كَبَدِهِ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَفَنَهُ مَعَ حِمَزةَ فِي قَبْرِهِ ؛ وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ قَتَادَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ ، قَالَ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَحُدَ وَقَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ - وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - وَثَابِتُ بْنُ وَقْشِ بْنِ زَعُورَاءَ فِي الْأَطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِمَا صَاحَبَهُ ؛ وَهُمَا شَيْخَانُ كَبِيرَانِ : لَا أَبَا لَكَ ! مَا تَنْتَظِرُ ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ بَقِيَ لَوَاحِدٌ مِنَّا مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا ظِمٌّ جَمَارٍ ؛ إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ ؛ أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا ، ثُمَّ نَلْحَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ! فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا ، ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى دَخَلَا فِي النَّاسِ ، وَلَمْ يُعْلَمْ بِهِمَا ؛ فَأَمَّا ثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ ، الْيَمَانُ ، فَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُ ؛ وَلَا يَعْرِفُونَهُ . فَقَالَ حَذِيفَةُ : أَبِي ! قَالُوا : وَاللَّهِ أَنْ عَرَفْنَاهُ . وَصَدَقُوا ، قَالَ حَذِيفَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ! فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ فَتَصَدَّقَ حَذِيفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَزَادَتْهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ كَانَ يُدْعَى حَاطِبُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ رَافِعٍ ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ حَاطِبٍ ، أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَ أَحُدَ : فَأَتَى بِهِ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ وَهُوَ يَمُوتُ ؛ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الدَّارِ ؛ فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ : أَبْشِرْ يَا بَنَ حَاطِبٍ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ : وَكَانَ حَاطِبُ شَيْخًا قَدِ عَسَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَنَّمَ يَوْمَئِذٍ نَفَاقَهُ ، فَقَالَ : بِأَيِّ شَيْءٍ تَبَشِّرُونَهُ ، أَبَجَنَّةٍ مِنْ حَرَمٍ ! غَرَرْتُمْ وَاللَّهِ هَذَا الْغَلَامُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَفَجَعَلْتُمُونِي بِهِ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَتَى لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ هُوَ ، يُقَالُ لَهُ قُزْمَانُ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ لَهُ : إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحُدَ ، قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَتَلَ هُوَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ تِسْعَةً ؛ وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا ذَا بَأْسٍ ؛ فَأَثَبَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، فَاحْتَمَلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ . قَالَ : فَجَعَلَ رَجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُزْمَانُ ؛ فَأَبْشِرْ ! قَالَ : بِمِ أَبْشِرْ ! فَوَاللَّهِ إِنْ قَاتَلْتُ إِلَّا عَلَى أَحْسَابِ قَوْمِي ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ ؛ فَلَمَّا اسْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ ، أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَقَطَعَ رَوَاهِشَهُ فَتَزَفَهُ الدَّمُ فَمَاتَ ؛ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا !

وَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ أَحُدَ مُخْبِرِيقُ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ أَحَدَ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ الْفُطَيْيُونَ ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ؛ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ نَصَرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لِحَقٍّ . قَالُوا : إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ ، فَقَالَ : لَا سَبْتَ ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ وَعَدَّتْهُ ، وَقَالَ : إِنْ أَصِيبْتُ فَمَالِي لِمُحَمَّدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ . ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَاتَلَ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيهَا بَلْغِي - : مُخْبِرِيقُ خَيْرُ يَهُودَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَقَدْ احْتَمَلَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَدَفَنُوهُمْ بِهَا ، ثُمَّ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَّارٍ ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَئِذٍ حِينَ أُمِرَ بِدَفْنِ الْقَتْلَى : انْظُرُوا عَمْرَوِ بْنِ الْجُمُوحِ

وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد . قال : فلما احتفر معاوية القنطرة أخرجا وهما ينثنيان كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حمزة بنت جحش - كما ذكر لي - فنجي لها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نجي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نجي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحب وولدت ، فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة منها ليمكن ؛ لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال : ومّر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فذرفت عيناه رسول الله ﷺ فبكى ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيّد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحرّمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ؛ قال : مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ؛ فلما نعوها لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خير أيا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحب ؛ قالت : أرنيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! .

قال أبو جعفر : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذه دمه يا بنية ؛ وناولها عليّ عليه السلام سيفه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف ، وأبو دجّانة سماك بن خرشة . وزعموا أن عليّ بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليها السلام سيفه قال :

أَفَاطِمَ هَآكِ السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ	فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ وَلَا بِمُؤَلِّمٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحْمَدٍ	وَطَاعَةَ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمٍ
وَسَيْفِي بِكَفِّي كَالشَّهَابِ أَهْزُهُ	أَجْدَ بِهِ مِنْ عَاتِقٍ وَصَمِيمٍ
فَمَا زِلْتُ حَتَّى فَضَّ رَبِّي جُمُوعَهُمْ	وَحَتَّى شَفَيْنَا نَفْسَ كُلِّ حَلِيمٍ

وقال أبو دجّانة حين أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ فقاتل به قتالاً شديداً - وكان يقول : رأيت إنساناً يخمش الناس خمساً شديداً فصمّدت له ، فلما حملت عليه بالسيف ولّوت ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة - وقال أبو دجّانة :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي	وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَا أَقُومُ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ	أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

وكان رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم السبت ؛ وذلك يوم الوقعة بأحد ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، قال : كان

يوم أحد يوم السبت ؛ للنصف من شوال ؛ فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ؛ وأذن مؤذنه : ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال لي : يا بُني ؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ؛ فتخلف على أخواتك . فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله ﷺ مُرهباً للعدو ؛ وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً ، قال : شهدت مع رسول الله ﷺ أنا وأخي لي ، فرجعنا جريحين ؛ فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ! والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ؛ فخرجنا مع رسول الله ﷺ - وكنت أيسر جرحاً منه - فكننت إذا غلب حملته عُقبة ومشى عُقبة ؛ حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسول الله ﷺ ، حتى انتهى إلى حمراء الأسد ؛ وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - معبد الخزاعي ، وكانت خُزاعة مسلمهم ومشرِكهم عبيّة رسول الله ﷺ بتهامة ، صفقتهم معه ، لا يخفون عليه شيئاً كان بها - ومعبد يومئذ مشرك - فقال : يا محمد ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ؛ ولودّنا أن الله كان أعفأك فيهم ! ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ؛ حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لنكرن على بقيّتهم ؛ فلنفرغنّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط ؛ يتحرّقون عليكم تحرقاً ؛ قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيّتهم ، قال : فإنّي أهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

إِذ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا تُحْرِقُ مَعَاذِيلِ
لَمَّا سَمَوْا بِرئيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ !
لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ

كَادَتْ تُهْذِمَنَّ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي
تَرِدِي بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ
فَظَلْتُ عَذُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً
فَقُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسْلِ صَاحِبَةٍ

من جيشٍ أَحْمَدَ لا وَخَشٍ قَنَابِلُهُ وليس يُوصَفُ ما أُنْذِرْتُ بِالْقِيلِ

قال : فثنى ذلك أبا سفيان وَمَنْ معه . ومَرَّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلَّغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيياً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيَّتهم . فمرَّ الركبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله ﷺ وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل ! قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد الثالثة ؛ فزعم بعضُ أهل الأخبار أن رسول الله ﷺ ظفر في وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبي عزة الجُمَحِيِّ ؛ وكان رسول الله ﷺ خَلَفَ على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابنُ أمِّ مكتوم . وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث من الهجرة - وُلِدَ الحَسَنُ بن عليّ بن أبي طالب في النصف من شهر رمضان .

وفيها عَلِقَتْ فاطمة بالحسين صلوات الله عليهما . وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلاَّ خمسون ليلة .

وفيها حملت - فيما قيل - جميلة بنت عبد الله بن أبيّ بعبد الله بن حنظلة بن أبي عامر في شوال .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرّجيع في صفر . وكان من أمرها ما حدّثني به ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة . قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ قال : قدّم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عَصَل والقارة فقالوا له : يا رسول الله ؛ إن فينا إسلاماً وخيراً ؛ فابعث معنا نفرأ من أصحابك يُفَقِّهوننا في الدين ، ويقرءوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفرأ ستة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنويّ حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير حليف بني عديّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الألقح أخا بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عديّ أخا بني جَحْجَحي بن كُلفَة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفاً لبني ظَفَر من بَلِي .

وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرّجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهذاة) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلاً ، فلم يُرْعِ القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف ، قد غشّوهم . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ؛ ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكّة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألاّ نقتلكم . فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الألقح ، فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ؛ فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً .

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عديّ وعبد الله بن طارق فلائوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكّة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظّهْران ، انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران ، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرمّوه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبّره بالظّهْران .

وأما خبيب بن عديّ وزيد بن الدثنة ، فقدِمُوا بها مكّة ، فباعوهما فابتاع خبيبا حُجَيْرُ بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعُقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حُجَيْر أخا الحارث بن عامر لأمّه - ليقتله بأبيه ، وأما زيد بن الدثنة ، فابتاعه صَفْوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وقد كانت هُذَيْل حين قُتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلَافة بنت سعد بن شُهَيْد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرّبن في قحفه الخمر ، فمنعته الدّبر ، فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فتأخذه فبعث الله الوادي . فاحتمل عاصماً فذهب به ؛ وكان عاصم قد

أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك أبداً ولا يمس مشركاً أبداً، تنجساً منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدّبر منعتة : عجباً ، لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته .

قال أبو جعفر : وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذي قصّه ، والذي قصّه غيره من ذلك ما حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا جعفر بن عون العمريّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو - أو عمر - بن أسيد ، عن أبي هريرة ، أنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة رهط ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحيّ من هذيل ، يقال لهم : بنو لحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل رامياً ؛ فوجدوا مأكّلهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : هذه نوى يثرب ، ثم اتّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصم وأصحابه التجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستنزّلوهم ، وأعطوهم العهد ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر ؛ اللهم أخبر نبيّك عنّا . ونزل إليهم ابن الدّثنة البياضيّ ، وخبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قسيّهم ، ثم أوثقوهم ، فخرجوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّل الغدر ؛ والله لا أتبعكم . فضربوه فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وابن الدّثنة إلى مكّة ، فدفعوا خبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد ؛ فبينما خبيب عند بنات الحارث ؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحدّ بها للقتل ، فما راع المرأة - ولها صبيّ يدرج - إلا بخبيب قد أجلس الصبيّ على فخذه ، والموسى في يده ، فصاحت المرأة ، فقال خبيب : أتخشين أنّي أقتله ! إنّ الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيت أسيراً قطّ خيراً من خبيب ؛ لقد رأيته وما بمكّة من ثمرة ؛ وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله ؛ إن كان إلا زرقاً رزقه الله خبيباً .

وبعث حيّ من قريش إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار بأحد ؛ فبعث الله عليه دبراً ، فحمت لحمه ، فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً ، فلمّا خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه ، قال : ذروني أصلّ ركعتين ، فتركوه فصلّى سجديّتين ، فجرت سنة لمن قتل صبراً أن يصلّي ركعتين . ثم قال خبيب : لولا أن يقولوا جرّع لزدت ، وما أبالي :

عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

ثم قال :

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوِ مُمَزَّعٍ

اللهم أحصهم عدداً ، وخذهم بدداً .

ثم خرج به أبو سِرْوَةَ بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ؛ فضربه فقتله .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال : وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسول الله ﷺ بعثه وحده عينا إلى قريش ، قال : فجنّت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوّف العيون ، فرقيت فيها ، فحللت خبيباً ، فوقع إلى الأرض ، فانتبذت غير بعيد ، ثم التفت فلم أر لخبيب رمة ؛ فكأنما الأرض ابتلعتة ؛ فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة .

قال أبو جعفر : وأما زيد بن الدّثنة ؛ فإنّ صفوان بن أمية بعث به - فيها حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا

سلمة ، عن ابن إسحاق - مع مولى له يقال له نسطاس إلى التَّعِيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع إليه رَهْطٌ من قريش ؛ فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ لِيُقْتَلَ : أنشدك الله يا زيد ، أتحبُّ أن محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ! قال : والله ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيتُ في الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً . ثم قتله نسطاس .

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري إذ وجهه رسول الله ﷺ لقتل أبي سفيان بن حرب

ولما قُتِلَ من وجهه النبي ﷺ إلى عضل والقارة من أهل الرجيع ، وبلغ خبرهم رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار ، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أبيه ، عن جدّه - يعني عمرو بن أمية - قال : قال عمرو بن أمية : بعثني رسول الله ﷺ بعد قتل خبيب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : اثبتا أبا سفيان بن حرب فاقتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعني بعيري ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علة . فكنت أحمله على بعيري ؛ حتى جئنا بطن يأجج ؛ فعقلنا بعيرنا في فناء شعب ، فأسندنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان ؛ فإني محاول قتله . فانظر ؛ فإن كانت مجاورة أو خشيت شيئاً فالحق ببعيرك فاركه ، والحق بالمدينة فات رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، وخل عني ؛ فإني رجل عالم بالبلد ، جريء عليه ، نجيب الساق . فلما دخلنا مكة ومعني مثل خافية النسر - يعني خنجرة - قد أعددت ؛ إن عانقني إنسان قتلته به ، فقال لي صاحبي : هل لك أن نبداً فنطوف بالبيت أسبوعاً ، ونصلي ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهل مكة منك ؛ إنهم إذا أظلموا رشوا أفئدتهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرف بها من الفرس الأبلق .

قال : فلم يزل بي حتى أتينا البيت ، فطفنا به أسبوعاً ، وصلينا ركعتين ، ثم خرجنا فمررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرفني رجل منهم ، فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أمية ! قال : فتبادرتنا أهل مكة وقالوا : تالله ما جاء بعمرو خير ! والذي يُحْلَفُ به ما جاءها قط إلا لشرٍّ - وكان عمرو رجلاً فاتكاً متشيطناً في الجاهلية - قال : فقاموا في طلبي وطلب صاحبي ، فقلت له : النجاء ! هذا والله الذي كنت أحذر ؛ أما الرجل فليس إليه سبيل ، فانج بنفسك ، فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في الجبل ، فدخلنا في غار ، فبتنا فيه ليلتنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترت دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهلني حتى يسكن الطلب عنا ؛ فإنهم والله ليطلبننا ليلتهم هذه ويومهم هذا حتى يمسوا . قال : فوالله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي ، يتخيل بفرس له ، فلم يزل يدنو ويتخيل بفرسه حتى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابن مالك ؛ والله لئن رآنا ليعلمن بنا أهل مكة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثدي ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكاني ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبي : مكانك ! قال : واتبع أهل مكة الصوت يشتدون ، فوجدوه وبه رمق ، فقالوا : ويلك من

ضربك ! قال عمرو بن أمية : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أنه لم يأت لخير ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ؛ ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب . ثم خرجنا إلى التَّعْنِيم ؛ فإذا خشبةٌ خُيب ، فقال لي صاحبي : هل لك في خُيبٍ تُنزله عن خشبته ؟ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلي وتنح عني . قال : وحوله حرس يحرسونه . قال عمرو بن أمية : فقلت للأنصاري : إن خشيت شيئاً فخذ الطريق إلى جَمَلِك فاركبه والحق برسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتلته واحتملته على ظهري ؛ فوالله ما مشيت إلا نحو أربعين ذراعاً حتى نذروا بي ، فطرحته ؛ فما أنسى وجبته حين سقط ؛ فاشتدوا في أثري ، فأخذت طريق الصفراء فأغيروا ، فرجعوا ، وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه ؛ ثم أتى النبي ﷺ فأخبره أمرنا ، وأقبلت أمشي ، حتى إذا أشرفت على الغليل ، غليل ضُجَّان ، دخلت غاراً فيه ، ومعني قوسي وأسهمي ، فبينما أنا فيه إذ دخل عليَّ رجل من بني الدَّيْل بن بكر ، أعورٌ طويل يسوق غنماً له ، فقال : مَنْ الرجل ؟ فقلت : رجل من بني بكر ، قال : وأنا من بني بكر ، ثم أحد بني الدَّيْل . ثم اضطجع معي فيه ، فرفع عقيرته يتغنى ويقول :

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَ

فقلت : سوف تعلم ! فلم يلبث الأعرابي أن نام وغط ، فقممت إليه فقتلته أسوأ قِتْلَةٍ قَتَلَهَا أَحَدٌ أَحَدًا ؛ قمت إليه فجعلت سِيَّةَ قوسي في عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه . قال : ثم أخرج مثل السَّبْع ؛ وأخذت المحجَّة كأي نسر ، وكان النِّحاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على ركوبة ، ثم على النَّقِيع ؛ فإذا رجلاً من أهل مكة بعثتها قريش يتحسَّسان من أمر رسول الله ﷺ ، فعرفتُهما فقلت : استأسرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرمني أحدهما بسهم فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسر ، فاستأسر ، فأوثقته ، فقدمتُ به على رسول الله ﷺ .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أمية ، قال : لما قدمتُ المدينة ، مررتُ بمَشِيخَةٍ من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أمية ، فسمع الصبيان قولهم ، فاشتدوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه ، وقد شددت إهَام أسيري بوتر قوسي ، فنظر النبي ﷺ إليه فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم سألتني فأخبرته الخبر ، فقال لي خيراً ودعاً لي بخير .

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال في شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشاً ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة أربع من الهجرة - كان من أمر السرية التي وجهها رسول الله ﷺ ، فقتلت بئر معونة . وكان سبب توجيه النبي ﷺ إليهم لما وجههم له ، ما حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، قال : وحدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية شَوالٍ وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، وولي تلك الحجة المشركون .

ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ، وكان من حديثهم ما حدَّثني أبي :

إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاًعبً الأسنة - وكان سيّد بني عامر بن صعصعة - على رسول الله ﷺ المدينة ، وأهدى له هديّة فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها ، وقال : يا أبا براء ، لا أقبل هديّة مشرك ، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، إن أمرك هذا الذي تدعو إليه حسنٌ جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعّوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد ! فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعّوا الناس إلى أمرك . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المَعِيقَ ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم الحارث بن الصّمة ، وحرام بن ملحان أخو بني عديّ بن النّجار ، وعُروة بن أسماء بن الصّلت السّلمي ، ونافع بن بُذيل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ؛ في رجال مُسمّين من خيار المسلمين .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في سبعين راكباً ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ، كلاً البلدين منها قريب ، وهي إلى حرة بني سليم أقرب - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل ؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدّا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخفّر أبا براء ؛ قد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم : عُصيّة ، ورِعلاً ، ودُكّوان ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشَوْا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا السيوف ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلّا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النّجار ، فإنهم تركوه وبه رمقٌ ، فارتث من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق .

وكان في سَرَحِ القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف ، فلم يُنبّئها بمُصاب أصحابها إلّا الطّير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن هذه الطير لشأناء ، فأقبلا لينظرا إليه ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاريّ لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال الأنصاريّ : لكني ما كنت لأرغب بنفسني عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال . ثم قاتل القوم حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنّه من مُضَر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أمّه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه ؛ وكان مع العامريّين عقدٌ من رسول الله ﷺ وجوارٌ لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتم ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدّا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنّه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر ، بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ . فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : لقد قتلتَ قتيلين لأدينيهما . ثم قال رسول الله ﷺ : هذا عمل أبي براء ؛ قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخفَارُ عامر إيّاه ، وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره ، وكان فيمن

أصيب عامر بن فهيرة .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنَّ عامر بن الطفيل ، كان يقول : إنَّ الرجل منهم لما قتل رأيته رُفِعَ بين السماء والأرض حتى رأيت السماء منه . قالوا : هو عامر بن فهيرة .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن أحد بني جعفر ، رجل من بني جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، قال : كان جبار فيمن حَضَرها يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممَّا دعاني إلى الإسلام أنِّي طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول حين طعنته : فُزْتُ والله ! قال : فقلت في نفسي : ما فاز ! أليس قد قتل الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعمركم الله ! فقال حسن بن ثابت يُحَرِّضُ بني أبي البراء على عامر بن الطفيل :

وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
لِيُخْفِرَهُ ، وَمَا خَطَأَ كَعْمَدٍ
فَمَا أَحَدْتُ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
وَحَالُكَ مَا جَدَّ حَكْمُ بْنُ سَعْدٍ

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ
أَلَا أَبْلُغُ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي
أَبُوكَ أَبُو الْخُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضاً :

خِفَارَةٌ مَا أَجَارَ أَبُو بَرَاءٍ
بِجَنْبِ الرِّدَّةِ مِنْ كَنْفِي سَوَاءٍ
دُعَاءُ الْمُسْتَعِيثِ مَعَ الْمَسَاءِ !
عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدَقَ اللَّقَاءُ
وَلَا الْقُرْطَاءُ مِنْ دَمِّ الْوَفَاءِ
فَلَا بِالْعَقْلِ فُزْتُ وَلَا السَّنَاءُ
إِلَى السُّوْءَاتِ تَجْرِي بِالْعَرَاءِ !
وَلَا الْأَسَدِيِّ جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ
وَدَاءُ الْغَدْرِ فاعلمْ شَرُّ دَاءٍ

لَقَدْ طَارَتْ شَعَاعاً كُلَّ وَجْهِ
فَمَثُلُ مُسَهَّبٍ وَبَنِي أَبِيهِ
بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ
وَتَنُوبِ الصَّرِيخِ بَلَى وَلَكِنْ
فَمَا صَفَرْتَ عِيَابَ بَنِي كِلَابٍ
أَعَامِرَ عَامِرِ السُّوْءَاتِ قَدْ مَأْ
أَخْفَرْتَ النَّبِيَّ وَكُنْتَ قَدْ مَأْ
فَلَسْتُ كَجَارِ جَارِ أَبِي دُوَادٍ
وَلَكِنْ عَارِكُمْ دَاءً قَدِيمٌ

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي البراء قولَ حسن وقولَ كعب ، حمل على عامر بن الطفيل فطعنه ، فشطب الرَّمْحُ عن مقتله ، فخرَّ عن فرسه . فقال : هذا عمل أبي براء ! إن مت فدمي لعمري ولا يُتَبَعَنَّ به ؛ وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلي .

حدَّثني محمد بن مرزوق ، قال : حدَّثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ، قال : حدَّثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : حدَّثني أنس بن مالك في أصحاب النبي ﷺ الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدري ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري ، فخرج أولئك النفر من

أصحاب النبي ﷺ الذين بُعثوا ؛ حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء قعدوا فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصاري - : أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فخرج حتى أتى جِوَاءَ منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسولُ رسولِ الله إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فأمنوا بالله ورسوله . فخرج إليه من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، فقال : الله أكبر ، فزتُ ورب الكعبة ! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار ، فقتلهم أجمعين عامرُ بن الطفيل .

قال إسحاق : حدثني أنس بن مالك أن الله عز وجل أنزل فيهم قرآناً : « بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا ، فرضي عنا ، ورضينا عنه » ، ثم نسخت ، فرفعت بعدما قرأناه زماناً ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ * فرحين ^(١) .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل الكلابي سبعين رجلاً من الأنصار . قال : فقال أميرهم : مكانكم حتى آتيكم بخبر القوم ! فلما جاءهم قال : أتؤمنوني حتى أخبركم برسالة رسول الله ﷺ ؟ قالوا : نعم ؛ فبينما هو عندهم ؛ إذ وخزه رجلٌ منهم بالسنان . قال : فقال الرجل : فزتُ ورب الكعبة ! فقتل ، فقال عامر : لا أحسبه إلا أن له أصحاباً ، فاقتصوا أثره حتى أتوهم فقتلوهم ، فلم يفلت منهم إلا رجلٌ واحد .

قال أنس : فكنا نقرأ فيما نُسَخ : « بلغوا عنا إخواننا أن قد لقينا ربنا ، فرضي عنا ورضينا عنه » .

وفي هذه السنة - أعني السنة الرابعة من الهجرة - أجلى النبي ﷺ بني النضير من ديارهم .

ذكر خبر جلاء بني النضير

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قتل عمرو بن أمية الضمري الرجلين الذين قتلهما في منصرفه من الوجه الذي كان رسول الله ﷺ وجهه إليه مع أصحاب بئر معونة ، وكان لهما من رسول الله ﷺ جوار وعهد . وقيل إن عامر بن الطفيل كتب إلى رسول الله ﷺ : إنك قتلت رجلين لهما منك جوار وعهد ؛ فابعث بديتيهما . فانطلق رسول الله ﷺ إلى قُباء ، ثم مال إلى بني النضير مستعيناً بهم في ديتيهما ، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي وأسيد بن حضير .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ، يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقده لهما ؛ - كما حدثني يزيد بن رومان - وكان بين بني النضير وبين بني عامر حلف وعقد ؛ فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين ؛ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله

(١) سورة آل عمران : ١٦٩ - ١٧٠ .

هذه - ورسول الله ﷺ إلى جَنْبِ جدار من بيوتهم ، قاعد - فقالوا : مَنْ رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِجاش بن كعب أحدهم ؛ فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه الصخرة - كما قال - ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ؛ فيهم أبو بكر وعمر وعليّ ؛ فأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتى آتيكم ، وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث رسول الله ﷺ أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلًا المدينة ، فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود قد أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالناس إليهم ؛ حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتَّحريق فيها ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها !

قال أبو جعفر : وأما الواقديّ ، فإنه ذكر أن بني النضير لما تأمروا بما تأمروا به س إلقاء الصخرة على رسول الله ﷺ ، نهاهم عن ذلك سَلَام بن مِشْكَم وخوفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوه ، فصعد عمرو بن جِجاش لِيُدْخِرَج الصخرة ، وجاء النبي ﷺ الخبر من السماء ، فقام كأنه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صُورِيا : جاءه الخبر بما همتم به ، قال : ولما رجع أصحابُ رسول الله ﷺ انتهوا إليه وهو جالس في المسجد ، فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيت ، فقال : همّت يهود بقتلي ، وأخبرني الله عز وجل ، ادعوا لي محمد بن مسلمة ، قال : فأتي محمد بن مسلمة ، فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادي فلا تساكُنوني وقد همتم بما همتم به من الغدر .

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمركم أن تظعنوا من بلادهم ، فقالوا : يا محمد ، ما كنا نظنَّ أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيَّرت القلوب ، ومحا الإسلامُ العهد ؛ فقالوا : نتحمَّل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبي يقول : لا تخرجوا ، فإنَّ معي من العرب ومن أنصوى إليّ من قومي ألفين ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بني قُريظة فقال : لا ينقض العهد رجل من بني قُريظة وأنا حيّ ، فقال سَلَام بن مِشْكَم لِحُيَيِّ بن أخطب : حُيَيُّ أقبل هذا الذي قال محمد ؛ فإنما شرفنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شرُّ منه . قال : وما هو شرُّ منه ؟ قال : أخذ الأموال سبيِّ الذرية وقتل المقاتلة ، فأبى حُيَيُّ ، فأرسل جُديّ بن أخطب إلى رسول الله ﷺ : إنا لا نريم دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبر رسول الله ﷺ ، وكبر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جُديّ إلى ابن أبي يستمده . قال : فوجدته جالساً في نفر من أصحابه ، ومنادي النبي ﷺ ينادي بالسلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي ، وأنا عنده ، فأخذ السَّلاح ، ثم خرج يعدُّو ، قال : فأيسست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حُيَيُّ ، فقال : هذه مكيدة من محمد ، فزحف إليهم رسول الله ﷺ ، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر يوماً ؛ حتى صالحوه على أن يحقنَ لهم دماءهم ، وله الأموال والحلقة .

فحدّثني محمد بن سعد ، قال : حدّثني أبي ، قال حدّثني عمّي ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصروهم رسولُ الله ﷺ - يعني بن النّضير - خمسة عشر يوماً حتّى بلغ منهم كلّ مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشّام ، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيراً وسقّاء .

حدّثنا ابنُ عبد الأعلى ، قال : حدّثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزّهري ، قال : قاتلهم النّبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشّام ، على أن لهم ما أقلّت الإبل من شيء إلاّ الحلقة - والحلقة : السّلاح .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي بن سلّول ووديعه ومالك بن أبي قوقل . وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النّضير : أن اثبتوا وتمنّعوا ؛ فإنّا لن نسلمكم ؛ وإن قوتلتهم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتكم خرجنا معكم . تربّصوا فلم يفعلوا ؛ وقذف الله في قلوبهم الرُّعب ، فسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجلبهم ، ويكفّ عن دمائهم ؛ على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلاّ الحلقة . ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرّجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيه ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشّام ؛ فكان أشرافهم ممن سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحُيّي بن أخطب ، فلما نزلوها دانّ لهم أهلها .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنّه حدّث أنّهم استقلّوا بالنّساء والأبناء والأموال ، معهم الدّفوف والمزامير والقيان يعزّفن خلفهم ، وأنّ فيهم يومئذ لأمّ عمرو ، صاحبة عُروة بن الورد العبسيّ ؛ التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار بزهاء وفخر ، ما رُئي مثله من حيّ من الناس في زمانهم ؛ وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار ، إلاّ أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سيمّاك بن خرشة ، ذكرا فقراً فأعطاهما رسولُ الله ﷺ . ولم يسلم من بني النّضير إلاّ رجلان : يامين بن عمير بن كعب ابن عمّ عمرو بن جحاش ، وأبوسعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال أبو جعفر : واستخلف رسولُ الله ﷺ إذ خرج لحرب بني النّضير - فيما قيل - ابن أمّ مكتوم ، وكانت رأيته يومئذ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وفي هذه السنة مات عبدُ الله بن عثمان بن عفّان ، في جمادى الأولى منها ، وهو ابن ستّ سنين ، وصلى عليه رسولُ الله ﷺ ، ونزل في حفرته عثمان بن عفّان .

وفيهما ولد الحسين بن عليّ عليه السلام ، ليلالٍ خلون من شعبان .

واختلف في التي كانت بعد غزوة النّبي ﷺ بني النّضير من غزواته ، فقال ابن إسحاق في ذلك ، ما حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النّضير شهريّ ربيع ، وبعض شهر جمادى . ثم غزا نجداً - يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان -

حتى نزل نَحْلًا ، وهي غزوة ذات الرِّقَاع ؛ فلقيَ بها جمعاً من غَطَفَان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ؛ وقد خاف النَّاس بعضهم بعضاً ، حتى صَلَّى رسولُ الله ﷺ بالمسلمين صلاةَ الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين .
وأما الواقدي ؛ فإنه زَعَم أنَّ غزوة رسولِ الله ﷺ ذات الرِّقَاع ، كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة .
قال : وإنما سُمِّيَتْ ذات الرِّقَاع ؛ لأنَّ الجبل الذي سُميت به ذات الرِّقَاع جبل به سواد وبياض وحمرة ؛ فسُمِّيَتْ الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله ﷺ في هذه الغزوة عثمان بن عفان .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد - يعني ابن عبد الرحمن - عن عروة بن الزبير ، عن أبي هريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى نجد ، حتى إذا كنَّا بذات الرِّقَاع من نَحْل ، لقيَ جمعاً من غطفان ؛ فلم يكن بيننا قتال ؛ إلاَّ أن الناس قد خافوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فَصَدَعَ أصحابه صدعين ، فقامت طائفة مواجهة العدو ، وقامت طائفة خلف رسول الله ﷺ ، فكبر رسولُ الله ﷺ ، فكبروا جميعاً ، ثم ركَعَ بَيْنَ خَلْفِهِ ، وسجد بهم ، فلَمَّا قاموا مشوا القهقري إلى مصافِّ أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلُّوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلُّوا بهم رسولُ الله ﷺ ركعة وجلسوا ، ورجع الَّذِينَ كانوا مواجهين العدو ، فصلُّوا الركعة الثانية ، فجلسوا جميعاً ، فجمعهم رسولُ الله ﷺ بالسلام ، فسَلَّمَ عليهم .

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرواية في صفة صلاة رسول الله ﷺ هذه الصلاة ببطن نَحْل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره في هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله في كتابنا المسمَّى « بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام » في كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : حدَّثنا معاذ بن هشام ، قال : حدَّثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكري ، أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصَّلَاة : أي يوم أنزل ، أو في أي يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نلتقى عيرَ قريش آتية من الشام ؛ حتى إذا كنَّا بنَحْل جاء رجلٌ من القوم إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنحك مني ؟ قال : الله يمنعي منك ، قال فسَلَّ السيفَ ثم تهدده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح . ثم نودي بالصَّلَاة ، فصلَّى نبيُّ الله ﷺ بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرَّسهم ، فصلَّى بالذين يُلُونَهُ ركعتين ، ثم تأخَّر الَّذِينَ يُلُونَهُ على أعقابهم ، فقاموا في مصافِّ أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلُّوا بهم ركعتين ، والآخرون يحرسونهم . ثم سَلَّمَ ، فكانت للنبيِّ ﷺ أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ؛ فيومئذ أنزل الله عزَّ وجلَّ في إقصار الصَّلَاة ، وأمر المؤمنين بأخذ السلاح .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ؛ أنَّ رجلاً من بني محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتكُ به ؛ فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ ، وسيفُ رسولِ الله ﷺ في حجره ، فقال : يا محمد ، انظر إلى سيفك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستلَّهُ ، ثم جعل يهزه ويهيم به ، فيكبه الله عزَّ وجلَّ . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعي الله منك ! قال : ثم غَمَدَ السيف ، فردَّه إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ

قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴿١﴾ .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني صدقة بن يسار ، عن عَقِيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقَاع من نَخل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حَلَف ألا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فقال : مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقال : نحنُ يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب - وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا الشعب ، من بطن الوادي - فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه ؟ أوله أو آخره ؟ قال : بل اكفني أوله ؛ فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأتى زوج المرأة ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه وثبت قائماً يصلي ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أتيت .

قال : فوثب المهاجري ، فلما رآهما الرجل ، عرف أنهم قد نذروا به ؛ ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا ؛ أهبتني أول ما رماك ! قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها ؛ فلما تابعت علي الرمي فاذنكتك ، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها .

ذكر الخبر عن غزوة السويق وهي غزوة النبي ﷺ بذراً الثانية لميعاد أبي سفيان

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قدِم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرِّقَاع ، أقام بها بقيّة جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله ، فأقام عليه ثمانين ليالٍ ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة ، حتى نزل مجنّة من ناحية مرّ الظُّهران - وبعض الناس يقول : قد قطع عُسفان - ثم بدا له الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلّا عامٌ خُصِب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ؛ وإنّ عامكم هذا عام جدب ؛ وإنّي راجع فارجعوا . فرجع ورجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة جيش السويق . يقولون : إنّما خرجتم تشربون السويق .

فأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأناه محشي بن عمرو الضمري ، وهو والذي وادعه على بني ضمرة في غزوة ودّان ، فقال : يا محمد ، أجنث للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة ؛ وإن شئت مع ذلك ردّنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالديك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان ؛ فمرّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به فقال :

قد نَفَرْتُ من رُفَقَتِي مَحَمَّدٍ وَعَجْوَةً من يَثْرِبَ كَالْعُنْجَدِ
تَهْوِي على دِينِ أَبِيهَا الْأَتْلَدِ قد جَعَلَتْ ماءً قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وماءَ ضَجْنانٍ لها ضَحَى الغَدِ

وأما الواقدي ؛ فإنه ذكر أن رسول الله ﷺ نَذَبَ أصحابه لغزوة بدر لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحد رأس الحول للقتال في ذي القعدة . قال : وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : من يثرب ، قال : وهل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، - وذلك قبل أن يسلم نعيم - قال : فقال له أبو سفيان : يا نعيم ، إن هذا عام جذب ، ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمد ، فالحق بالمدينة فثبّطهم وأعلمهم أننا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتي الخلف منهم أحب إلي من أن يأتي من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في يد سهيل بن عمرو يضمنها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أتضمن هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبّطه ؟ فقال : نعم ، فخرج نعيم حتى قدم المدينة ؛ فوجد الناس يتجهّزون ، فتدسّس لهم ، وقال : ليس هذا برأي ، ألم يُجرح محمد في نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فثبّط الناس ؛ حتى بلغ رسول الله ﷺ ، فتكلّم ، فقال : والذي نفسي بيده ، لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي .

ثم أنهج الله عز وجل للمسلمين بصائرهم ؛ فخرجوا بتجاراتهم ، فأصابوا الدرهم درهمين ؛ ولم يلقوا عدوّاً ؛ وهي بدر الموعد ؛ وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية ، يجتمعون إليها في كلّ عام ثمانية أيام .

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن رَوَاحَة .

قال الواقدي : وفي هذه السنة تزوّج رسول الله ﷺ أمّ سلمة بنت أبي أمية في شوال ؛ ودخل بها .

قال : وفيها أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلّم كتاب يهود ؛ وقال : إني لا آمن أن يبدّلوا كتابي . ووليّ الحجّ في هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

ففي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش .

حدثت عن محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة ، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد ، ربما فقد رسول الله ﷺ الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً ؛ فأعرض عنها رسول الله ﷺ ، فقالت : ليس هوها هنا يا رسول الله ، فادخل بأبي أنت وأمي ! فأبى رسول الله ﷺ أن يدخل ؛ وإنما عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله ﷺ على الباب ، فوثبت عجلة ، فأعجبت رسول الله ﷺ ؛ فولى وهو يهيمهم بشيء لا يكاد يفهم ؛ إلا أنه أعلن : سبحان الله العظيم ! سبحان الله مُصْرَفَ القلوب ! قال : فجاء زيد إلى منزله ، فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل ! فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعت يقول شيئاً ؟ قالت : سمعته يقول حين ولى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مُصْرَفَ القلوب ! فخرج زيد حتى أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ بلغني أنك جئت منزلي ؛ فهلاً دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتك فأفارقها ! فقال رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك ، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك ؛ فكان يأتي رسول الله ﷺ فيخبره ، فيقول له رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك ؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلت .

فبينما رسول الله ﷺ يتحدث مع عائشة ؛ إذ أخذت رسول الله ﷺ غشيّة ، فسُرِّي عنه وهو يتبسّم ويقول : مَنْ يذهب إلى زينب يبشرها ، يقول : إِنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِيهَا؟ وتلا رسول الله ﷺ : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ . . .﴾ (١) القصة كلها .

قالت عائشة : فأخذني ما قَرَّبَ وما بَعُدَ لما يبلغنا من جاهها ؛ وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ، ما صنع الله لها ؛ زَوَّجَهَا ، فقلت : تَفَخَّرْ علينا بهذا .

قالت عائشة : فخرجت سلمى خادمة رسول الله ﷺ تخبرها بذلك ، فأعطتها أوصاحاً عليها .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان النبي ﷺ قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته ، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريده ، وعلى الباب سترٌ من شعر ؛

فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حُجرتها حاسرة ، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ ، فلما وقع ذلك كُرِهَتْ إلى الآخر ، قال : فجاء فقال : يا رسول الله ، إني أريد أن أفارق صاحبتني ، فقال : ما لك ! أرايتك منها شيء ! فقال : لا والله يا رسول الله ، ما رايت منها شيء ، ولا رأيت إلا خيراً . فقال له رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله ؛ فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ، تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها .

قال الواقدي : وفيها غزاة دومة الجندل في شهر ربيع الأول ، وكان سببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً تجتمعوا بها ودنوا من أطرافه . فغزاهم رسول الله ﷺ ؛ حتى بلغ دومة الجندل ، ولم يلق كيلاً ، وخلف على المدينة سباع بن عُرْفَطة الغفاري .

قال أبو جعفر : وفيها وادع رسول الله ﷺ عُيَيْنَةَ بن حصن أن يرعى بتغلمين وما والاها .

قال محمد بن عمر - فيما حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه - وذلك أن بلاد عُيَيْنَةَ أجذبت ، فوادع رسول الله ﷺ أن يرعى بتغلمين إلى المراض ؛ وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله ﷺ أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقدي : وفيها توفيت أم سعد بن عبادة وسعد غائب مع رسول الله ﷺ إلى دومة الجندل .

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوة رسول الله ﷺ الخندق في شوال ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : وكان الذي جرّ غزوة رسول الله ﷺ الخندق - فيما قيل - ما كان من إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير عن ديارهم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كعب القرظي ، وعن غيرهم من علمائنا ؛ كل قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض ؛ أنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحبي بن أخطب النضري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ؛ في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ؛ هم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ؛ فدعّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ؛ إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ ^(١) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ما قالوا ونشيطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فأجمعوا لذلك وأتعدوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ؛ وأنّ قريشاً تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسعود بن ربيعة بن نؤيرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة . فحدثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان ، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ ؛ وهو يومئذ حرّ ، وقال : يا رسول الله ؛ إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : فعلم رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون : فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم رجال من المنافقين ، وجعلوا يُورثون بالضعف من العمل ، ويتسلّلون إلى أهاليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة نائبة من الحاجة التي لا بدّ منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللّحوق بحاجته ؛ فيأذن له ؛ فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير ، واحتساباً له ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) . فنزلت هذه الآية في كل من كان من أهل الحسبة من المؤمنين والرغبة في الخير ؛ والطاعة لله ولرسوله ﷺ . ثم قال يعني المنافقين الذين كانوا يتسلّلون من العمل ، ويذهبون بغير إذن رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (١) ، أي قد علم ما أنتم عليه من صدق أو كذب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ؛ وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعيل ، فسمّاه رسول الله ﷺ « عمراً » ، فقالوا :

سَمَاءُ مِنْ بَعْدِ جُعِيلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِسَبَائِسَ يَوْمًا ظَهْرًا

فإذا مروا بعمره ، قال رسول الله ﷺ : « عمراً » ، وإذا قالوا : « ظهراً » ، قال رسول الله ﷺ : « ظهراً » .

فحدّثنا محمد بن باشر ، قال : حدّثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدّثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، قال : خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم الشّيعين طرف بني حارثة ؛ حتى بلغ المذاذ ثم قطعها أربعين ذراعاً بين كل عشرة ، فاحتقّ المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسيّ - وكان رجلاً قوياً - فقالت الأنصار : سلمان منا ، وقالت المهاجرون : سلمان

(١) سورة النور: ٦٢ .

(٢) سورة النور: ٦٣ - ٦٤ .

منا ، فقال رسول الله ﷺ : سلمان منا أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرن المزني ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ذواب حتى بلغنا الندى ، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا ، وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة ، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإما أن يأمرنا فيها بأمره ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطه .

فرقي سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية ؛ فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة ، فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيراً ؛ فمُرنا فيها بأمرك ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطك . فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق ، ورقينا نحن التسعة على شقة الخندق ، فأخذ رسول الله ﷺ المغول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيتها - يعني لابي المدينة - حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح ، وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية ، فصدعها وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيتها ، حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ؛ فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها ، وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيتها ، حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقي ، فقال سلمان : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ! لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط ! فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كاللّج ، فرأيناك تكبر فنكبر ، ولا نرى شيئاً غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمّي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم ؛ أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمّي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثالثة ، فبرق منها الذي رأيتم ؛ أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمّي ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(١) وقال المنافقون : ألا تعجبون ! يحدثكم ويُنَبِّئكم ويَعِدُّكم الباطل ! يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ؛ وأنها تُفتح لكم ؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا ! وأنزل القرآن : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق عمن لا يتهم ، عن أبي هريرة ، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده : افتتحوا ما بدالكُم ! فوالذي نفس أبي هريرة بيده ؛ ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطي محمد مفاتيحها قبل ذلك .

(١) سورة الأحزاب : ٢٢ .

(٢) سورة الأحزاب : ١٢ .

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق قال: كان أهلُ الخندق ثلاثة آلاف. قال: ولما فرغ رسولُ الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجُرف والغابة، في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد؛ حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد.

وخرج رسولُ الله صلى الله تعالى وسلم عليه والمسلمون؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، وأمر بالذراري والنساء. فرفعوا في الآطام. وخرج عدوُ الله حُيَيُّ بن أخطب؛ حتى أتى كعب بن أسد القُرظي صاحب عَقْد بني قُرَيْظَة وعهدهم، كان قد وادع رسولُ الله ﷺ على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده؛ فلما سمع كعب بحَيٍّ بن أخطب، أغلَقَ دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناده حُيَيُّ: يا كعب، افتح لي، قال: ويحك يا حَيٍّ! إنك امرؤ مشثوم، إني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً. قال: ويحك! افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل؛ قال: والله إن أغلقت دوني إلا على جشيشتك أن أكل معك منها؛ فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جئتكَ بعزِّ الدهر وبيحر طام، جئتكَ بقريش على قادتها وسادتها؛ حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد؛ قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذلَّ الدهر! بجَهَامٍ قد هراق ماءه يرعد ويبرق، ليس فيه شيء! ويحك فدعني ومحمداً وما أنا عليه؛ فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً! فلم يزل حُيَيُّ بكعب يفتله في الذروة والغارب؛ حتى سَمَحَ له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً؛ لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسولُ الله ﷺ سعد بن مُعَاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل - وهو يومئذ سيّد الأوس - وسعد بن عباد بن دُلَيْم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيّد الخزرج - ومعهما عبدُ الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج، وخوات بن جُبَيْر، أخو بني عمرو بن عوف؛ فقال: انطلقوا حتى تنظروا: أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً نعرفه، ولا تفتؤا في أعضاء الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس.

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد. فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلاً فيه حد، فقال له سعد بن معاذ: دُع عنك مشاتمهم؛ فما بيننا وبينهم أرب من المشامة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم قالوا: غَضَل والقارة أي كغدر غَضَل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع؛ خبيث بن عدي وأصحابه. فقال رسولُ الله ﷺ: الله أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين، وعظّم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعْتَبُ بن قُشَيْر، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمدٌ يعدُّنا أن نأكل كنوز كسرى

وقيصر ؛ وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن قبيط ، أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا لعورة من العدو - وذلك عن ملأ من رجال قومه - فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنها خارجة من المدينة .

فأقام رسول الله ﷺ ، وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار .

فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله ﷺ - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري - إلى عيينة بن حصن ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري - وهما قائدَا غطفان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ؛ على أن يرجعا بمنّ معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة في ذلك ، ففعلاً ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ؛ أمرُ تحبُّه فنصنعه ، أم شيء أمرك الله عز وجل به ؛ لا بُدُّ لنا من عمل به ، أم شيء نصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتهم لأمر ما ساعة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ؛ قد كُنَّا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة الأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرئى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك ، نعطيههم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك ! فتناول سعدُ الصحيفة ؛ فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ؛ لم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل وهُبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، ونوفل بن عبد الله ، وضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ؛ قد تلبسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومروا على بني كنانة ، فقالوا : تهيتوا يا بني كنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم من الفرسان ! ثم أقبلوا نحو الخندق ؛ حتى وقفوا عليه ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ؛ ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضربوا خيولهم ، فافتحمت منه ؛ فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين ؛ حتى أخذ عليهم الثغرة التي أفتحوا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تُعنى نحوهم . وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر ؛ حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد أحداً ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ؛ فلما وقف هو وخيله ، قال له عليّ : يا عمرو ؛ إنك كنت تعاهد الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه إحداها ! قال : أجل ! قال له علي بن أبي طالب : فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال : فإني أدعوك إلى النزال ، قال : ولم يا بن أخي ؛ فوالله ما أحب أن أقتلك ! قال عليّ : ولكني والله أحب أن أقتلك . قال : فحمي عمرو عند ذلك ، فافتحم عن فرسه فَعَقَرَهُ - أو ضَرَبَ وجهه - ثم أقبل على عليّ ،

فتنازلا وتجاولا ، فقتله عليّ عليه السلام وخرج خيله منهزمة ؛ حتى اقتحمت من الخندق هاربة ، وقُتل مع عمرو رجلاان : مُنَّبَه بن عثمان بن عُبيد بن السُّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ؛ ومن بني مخزوم نوفل بن عبد الله بن المغيرة ؛ وكان اقتحم الخندق فتورط فيه ، فرموه بالحجارة ، فقال : يا معشر العرب ، قُتِلَ أحسن من هذه ! فنزل إليه عليّ فقتله ، فغلب المسلمون على جسده ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه ؛ فشأنكم به . فخلّى بينهم وبينه .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، ثم أحد بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فمر سعدٌ وعليه درعٌ مقلصة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ؛ وفي يده حربته يرقُدُ بها ويقول :

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمْلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت له أمه : الحق يا بُنيّ ، فقد والله أخرت .

قالت عائشة : فقلتُ لها : يا أم سعد ؛ والله لوددتُ أن درع سعد كانت أسبغ مما هي ! قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فَرَمِيَ سعد بن معاذ بسهم ، ففقط منه الأكل ، رماه - فيما حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة - جَبَّانُ بن قيس بن العريقة أحد بني عامر بن لؤي ؛ فلما أصابه قال : خذها وأنا ابن العريقة ؛ فقال سعدٌ : عَرَّقَ الله وجهك في النار ! اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمتنني حتى تقر عيني من بني قريظة .

حدَّثنا سُفيان بن وكيع ، قال : حدَّثنا محمد بن بشر ، قال : حدَّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدَّثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : خرجتُ يوم الخندق أقفوا آثار الناس ؛ فوالله إني لأمشي إذ سمعت وثيد الأرض خلفي - تعني حسَّ الأرض - فالتفتُ فإذا أنا بسعد ؛ فجلست إلى الأرض ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس - شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ ، حدَّثنا بذلك محمد بن عمرو - يحمل مجنّه ، وعلى سعد درع من حديد قد خرجت أطرافه منها .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فانا أتخوَّفُ على أطراف سعد ، فمرّ بي يرتجز ، ويقول :

لَبْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمْلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !

قالت : فلما جاوزني قمتُ فاقتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين ، فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة له - قال محمد : والتسبغة المغفر - لا ترى إلا عيناه ، فقال عمر : إنك لجريرة ؛ ما جاء بك ؟ ما

يدريك لعله يكون تحوُّز أو بلاء ! فوالله ما زال يلومني حتى وددت أن الأرض تنشق لي فأدخل فيها ، فكشف الرجل التسبغة عن وجهه ، فإذا هو طلحة ؛ فقال : إنك قد أكثرت ، أين الفرار ، وأين التحوُّز إلا إلى الله عز وجل !

قالت : فَرُمِيَ سعد يومئذ بسهم ، رماه رجل يقال له ابن العَرَقَة ؛ فقال : خذها وأنا ابنُ العَرَقَة ؛ فقال : سعد : عرَّق الله وجهك في النار ! فأصاب الأكل منه فقطعه . قال محمد بن عمرو : زعموا أنه لم ينقطع من أحد قط إلا لم يزل ييض دماً حتى يموت . فقال سعد : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة ! وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عمن لا يتَّهم ، عن عُبَيْد الله بن كعب بن مالك ، أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجُشمي حليف بني مخزوم ؛ فالله أعلم أي ذلك كان !

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ (حصن حسان بن ثابت) . قالت : وكان حسان مَعناً فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى ، يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقته . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلما قال ذلك لي ، ولم أر عنده شيئاً احتجرت ؛ ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربت بالعمود حتى قتلتها ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ؛ قال : ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

قال ابنُ إسحاق : وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابه ؛ فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدة ؛ لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نُعَيْمَ بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفة بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنِّي قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ؛ فمُرني بما شئت . فقال له رسولُ الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ؛ فخذل عنا إن استطعت ؛ فإن الحرب خدعة . فخرج نُعَيْم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد ، وقد ظاهروهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم ؛ البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونسأؤهم وبلدهم وبغيره ؛ فليسوا كهيتكم ، إن رأوا نهزةً وغنيمةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ،

وخلّو بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ؛ حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأيٍ ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يا معشر قريش ، قد عرفتم ودي إياكم ، وفراقي محمداً ؛ وقد بلغني أمرٌ رأيْتُ حقاً عليّ أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عليّ . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندّمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وعطفان رجلاً من أشرافهم ؛ فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؛ ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ؛ فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى عطفان ، فقال : يا معشر عطفان ؛ أنتم أصليّ وعشيرتي ، وأحبّ الناس إليّ ، ولا أراكم تتهموني ! قالوا : صدقت ، قال : فاكتموا عليّ ، قالوا : نفعل ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّره ما حذّره ؛ فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس ؛ وكان ممّا صنع الله عزّ وجلّ لرسوله أن أرسل أبو سفيان ورؤوس عطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وعطفان ، فقالوا لهم : إنّنا لسنا بدار مقام ؛ قد هلك الخفّ والحافر ، فاعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ ممّا بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت ؛ وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخفّ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ؛ حتى نناجز محمداً ؛ فإننا نخشى إن ضرسّكم الحرب ، واشتدّ عليكم القتال ، أن تشمروا إلى بلادكم وتتركوا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك من محمد . فلما رجعت إليهم الرّسل بالذي قالت بنو قريظة ، قالت قريش وعطفان : تعلمون والله أنّ الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحقّ . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنّنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرّسل إليهم بهذا : إنّ الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ ؛ ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا ؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها ؛ وإن كان غير ذلك تشمروا إلى بلادهم ، وخلّو بينكم وبين الرجل في بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وعطفان : إنّنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً ، فأبوا عليهم ، وحذّل الله بينهم ؛ وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح في ليلٍ شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيّتهم ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيتم رسول الله وصحبتموه ! قال : نعم يا بن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهّد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا بن أخي ؛ والله لقد رأيتمنا مع رسول الله ﷺ بالخذندق ، وصلىّ هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشترط له رسول الله أنه يرجع - أدخله الله الجنة ؟ فما قام رجل . ثم صلىّ رسول الله ﷺ هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منّا رجل ، ثم صلىّ رسول الله ﷺ هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشترط له رسول الله الرجعة -

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ . فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي . فَقَالَ : يَا حَذِيفَةَ ؛ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ ، وَلَا تَحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا ؛ قَالَ : فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرَّيْحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ ؛ لَا تَقْرَأُ لَهُمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً . فَقَامَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لِيَنْظُرَ أَمْرُؤُ جَلِيسِهِ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ . ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفْتُ ، وَأَخْلَفْتُنَا بَنُو قُرَيْظَةَ وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ ؛ وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ؛ وَاللَّهِ مَا تَطْمِئِنُّ لَنَا قِدْرٌ ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ؛ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مَرْتَحِلٌ .

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوُثِبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ ؛ فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ ؛ وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ إِلَّا أَحْدِثُ شَيْئًا حَتَّى آتِيَهُ ، ثُمَّ شَتَّتْ لِقَتْلَتُهُ بِهِمْ . قَالَ حَذِيفَةُ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ قَائِمٌ يَصِلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مَرْحَلٍ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَدْخَلَنِي بَيْنَ رَجُلَيْهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ؛ فَأَذْلَقْتُهُ . فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، سَمِعْتُ غُفْطَانًا بِمَا فَعَلْتُ قُرَيْشٍ ، فَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ عَنِ الْخَنْدَقِ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْمُسْلِمُونَ وَوَضَعُوا السَّلَاحَ .

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

فَلَمَّا كَانَتْ الظُّهْرُ ، أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ - مَعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ ، عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ ، فَقَالَ : أَقْدَ وَضَعْتَ السَّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ جَبْرِيلُ : مَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةُ السَّلَاحَ وَمَا رَجَعْتَ الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ ؛ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ يَا مُحَمَّدُ بِالسَّيْرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَأَنَا عَامِدٌ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : إِنَّ مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يَصِلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ .

وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِرَايَتِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَابْتَدَرَهَا النَّاسُ ، فَسَارَ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحِصُونِ ؛ سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةً قَبِيحَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ؛ فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالطَّرِيقِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَدْنُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخَابِثِ ! قَالَ : لِمَ ؟ أَظُنُّكَ سَمِعْتَ لِي مِنْهُمْ أَذًى ! قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . لَوْ قَدْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُصُونِهِمْ ، قَالَ : يَا إِخْوَانُ الْقِرْدَةِ ، هَلْ أَحْزَاكُمْ اللَّهُ ، وَأَنْزَلَ بِكُمْ نَقْمَتَهُ ! قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مَا كُنْتُ جَهْلًا . وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ بِالصُّورَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَقَالَ : هَلْ مَرَّبَكُمْ أَحَدٌ ؟

فقالوا : نعم يا رسول الله ، قد مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء ، عليها رِحالها عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك جبريل ، بُعثَ إلى بني قريظة يُزَلِّزُ لهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم . فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة ، نزل على بئر من آبارها في ناحية من أمواهم ، يقال لها بئر أنا ، فلاحق به الناس ، فأثاء رجال من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلِّوا العصر ، لقول رسول الله ﷺ : لا يصلِّين أحدُ العصر إلَّا في بني قريظة ، لشيء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوا أن يُصلِّوا ، لقول النبي ﷺ : حتَّى تأتوا بني قريظة ، فصلُّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . فما عابهم الله بذلك في كتابه ؛ ولا عَنَّفَهم به رسول الله ﷺ . والحديث عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدَّثنا محمد بن بشر ، قال : حدَّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدَّثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسول الله ﷺ على سعد قبة في المسجد ، ووضع السلاح - يعني عند منصرف رسول الله ﷺ من الخندق - ووضع المسلمون السلاح ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال : أوضعتم السلاح ! فوالله ما وضعت الملائكة بعدُ السلاح ، أخرج إليهم فقاتلهم ، فدعا رسول الله ﷺ بلامته فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فمرَّ ببني غنم ، فقال : من مَرَّ بكم ؟ قالوا : مرَّ علينا دحية الكلبي - وكان يشبه سُنَّتَه ولحيته ووجهه بجبريل عليه السلام - حتَّى نزل عليهم ، وسعد في قُبَّتِه التي ضرب عليه رسول الله ﷺ في المسجد ؛ فحاصروهم شهراً - أو خمساً وعشرين ليلة - فلما اشتدَّ عليهم الحصار قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لبابة بن عبد المنذر إنَّه الذبيح ، فقالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فقال رسول الله ﷺ : انزلوا على حكمه ، فنزلوا ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بحمار بإكاف من ليف ، فحمل عليه . قالت عائشة : لقد كان برأ كلمه حتَّى ما يرى منه إلَّا مثل الخُرص .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصروهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة ؛ حتَّى جَهِدَهم الحِصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب - وقد كان حُيَّ بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه - فلما أيقنوا أنَّ رسول الله ﷺ غيرُ منصرف عنهم حتَّى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشرَ يهود ، إنَّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خِلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم ! قالوا : وما هنَّ ؟ قال : تابع هذا الرجل ونصِّدَّه ؛ فوالله لقد كان تبين لكم أنَّه لنبي مرسل ، وأنه للذي كنتم تجدونه في كتابكم ، فتأمُّنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم هذه عليَّ فهلمَّ فلنقتل أبنائنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصَلِّتين السيوف ؛ ولم نترك وراءنا ثقلاً يهْمنا ؛ حتَّى يحكم الله بيننا وبين محمد ؛ فإنْ نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه ، وإنْ نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإذا أبيتم هذه عليَّ فإن الليلة ليلة السبت ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرَّة . قالوا : نفْسِد سبَّتنا ، ونُحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه مَنْ كان قبلنا ، إلَّا مَنْ قد علمت . فأصابه من المسخ ما لم يخفَ عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قال : ثم إنَّهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ؛ أخا بني عمرو بن

عوف - وكانوا حلفاء الأوس - نستشير في أمرنا ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ، وبهش إليه النساء والصبيان ييكون في وجهه ؛ فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن نزل على حكم محمد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقة : إنه الذبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني خُنتُ الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمدته ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألا يطأ بني قريظة أبداً . وقال : لا يراني الله في بلد خُنت الله ورسوله فيه أبداً . لما بلغ رسول الله ﷺ خبره ، وأبطأ عليه - وكان قد استبطأه - قال : أما لو جاءني لاستغفرت له ؛ فأما إذ فعل ما فعل ، فإنا أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أن توبة أبي لبابة أنزلت على رسول الله ﷺ : وهو في بيت أم سلمة . قالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك فقلت : مم تضحك يا رسول الله ، أضحك الله سنك ! قال : تيب على أبي لبابة ، فقلت : ألا أبشره بذلك يا رسول الله ! قال : بلى إن شئت ؛ قال : فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت : يا أبا لبابة ، أبشِر فقد تاب الله عليك . قال : فثار الناس إليه ليطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يُطلقني بيده ، فلما مر عليه خارجاً إلى الصبح أطلقه .

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعيّة وأسيد بن سعيّة ، وأسد بن عبيد - وهم نفر من بني هذيل ؛ ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك - هم بنو عَم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ - وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد بن القريظي ، فمرَّ بحرّس رسول الله ﷺ ؛ وعَلِيّه محمد بن مسلمة الأنصاريّ تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أعدير بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني عثرات الكرام . ثم خلى سبيله ؛ فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة . ثم ذهب فلا يُدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا ! فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه .

قال ابن إسحاق : وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رُمته مُلقاة لا يُدرى أين ذهب ، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فوهبهم له . فلما كلمه الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سعد بن معاذ - وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من أسلم يقال لها رُقيدة في مسجده ، كانت تُداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كانت

به ضيعة من المسلمين ؛ وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنديق : اجعلوه في خيمة رُقيدة ، حتى أعوده من قريب - فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة ، أتاه قومه ، فاحتملوه على جمار قد وطئوا له بوسادة من آدم - وكان رجلاً جسيماً - ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ؛ فإن رسول الله ﷺ إنما ولّاك ذلك لتحسين فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد ألا تأخذ في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه .

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ - فيما حدّثنا ابن وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثني أبي ، عن علقمة : في حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخدري : فلما طلع - يعني سعداً - قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيّدكم - أو قال : إلى خيركم - فأنزلوه ، فقال رسول الله ﷺ : احكم فيهم ، قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تسبى ذراريهم ، وأن تقسم أموالهم . فقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال في حديثه : فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمون ؛ قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيّدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إنّ رسول الله ﷺ قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من ها هنا ؟ - في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له - فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار ابنة الحارث ، امرأة من بني النجار . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخنديق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ؛ يُخرج بهم إليه أرسالاً ؛ وفيهم عدوّ الله حُيَيُّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ؛ رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ؛ المكثّر لهم يقول : كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد - وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً - : يا كعب ، بما ترى ما يصنع بنا ! فقال كعب : في كلّ موطن لا تعقلون : ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ ، وأتي بحُيَيِّ بن أخطب عدوّ الله وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كلّ ناحية كموضع الأثملة ، أثملة أثملة ، لثلا يسلبها ، مجموعة يداها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ ، قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ؛ ولكنه من يُخذل الله يُخذل . ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقدره ، وملحمة قد كتبت على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي :

لَعَمْرُكَ مَا لَأَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ آلَهِ يُخْذَلِ
لَجَاهِدَ حَتَّى أَبْلُغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلْ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقَلِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ . قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لِعِنْدِي تَحَدَّثُ مَعِيَ ، وَتَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رَجَالَهُمْ بِالسُّوقِ ؛ إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا : أَيْنَ فُلَانَةُ ؟ قَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ . قَالَتْ : قُلْتُ : وَيْلَكَ مَا لَكَ ! قَالَتْ : أَقْتُلُ ! قُلْتُ : وَلَمْ ؟ قَالَتْ : حَدَّثْتُ أَحَدَهُ . قَالَتْ : فَأَنْطَلَقَ بِهَا فَضْرَبْتُ عُنُقَهَا . فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : مَا أَنْسَى عَجَبَنَا مِنْهَا ، طِيبَ نَفْسٍ وَكَثْرَةَ ضَحْكَ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ !

وكان ثابت بن قيس بن شماس - كما حدَّثنا ابن حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ - أَنَّ الزَّبِيرَ بْنَ بَاطِلَةَ الْقُرْظِيِّ - وَكَانَ يَكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وَكَانَ الزَّبِيرُ قَدْ مَنَّ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ مُحَمَّدٌ : مِمَّا ذَكَرَ لِي بَعْضُ وَلَدِ الزَّبِيرِ ، أَنَّهُ كَانَ مَنْ عَلَيْهِ يَوْمَ بُعَاثَ ؛ أَخَذَهُ فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ - فَجَاءَهُ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : وَهَلْ يَجْهَلُ مِثْلِي مِثْلَكَ ! قَالَ : إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَجْزِيكَ بِيَدِكَ عِنْدِي ، قَالَ : إِنَّ الْكَرِيمَ يَجْزِي الْكَرِيمَ . ثُمَّ أَتَى ثَابِتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَدْ كَانَتْ لِلزَّبِيرِ عِنْدِي يَدٌ ؛ وَلَهُ عَلَيَّ مَنَّةٌ ؛ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَجْزِيَهُ بِهَا ؛ فَهَبْ لِي دَمَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَوِّ لَكَ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَهَبَ لِي دَمَكَ فَهُوَ لَكَ ؛ قَالَ : شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ ؛ فَمَا يَصْنَعُ بِالْحَيَاةِ ! فَأَتَى ثَابِتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ ، قَالَ : هَمِّ لَكَ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَعْطَانِي امْرَأَتَكَ وَوَلَدَكَ فَهَمِّ لَكَ . قَالَ : أَهْلُ بَيْتٍ بِالْحِجَازِ لَا مَالَ لَهُمْ ، فَمَا بَقَاؤُهُمْ ! فَأَتَى ثَابِتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لَهُ ! قَالَ : هَوِّ لَكَ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَعْطَانِي مَالَكَ فَهُوَ لَكَ ، قَالَ : أَيُّ ثَابِتٍ ! مَا فَعَلَ الَّذِي كَأَنَّ وَجْهَهُ مِرَّةً صَيِّئَةً تَتَرَاى فِيهَا عِذَارَى الْحَيِّ ؛ كَعَبُ بْنُ أَسَدٍ ؟ قَالَ : قُتِلَ ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ سَيِّدُ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي ؛ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ ؟ قَالَ : قُتِلَ ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ مَقْدَمَتُنَا إِذَا شَدَدْنَا ، وَحَامِيَتُنَا إِذَا كَرَرْنَا ؛ عَزَّالُ بْنُ شَمُوِيلٍ ؟ قَالَ : قُتِلَ ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ الْمَجْلِسَانُ - يَعْنِي بَنِي كَعْبِ بْنِ قَرِيطَةَ وَبَنِي عَمْرُو بْنِ قَرِيطَةَ - قَالَ : ذَهَبُوا ، قَتَلُوا . قَالَ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِيَدِي عِنْدَكَ يَا ثَابِتُ ، إِلَّا الْحَقَّتَنِي بِالْقَوْمِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ ، فَمَا أَنَا بِصَابِرٍ لِلَّهِ قَبْلَةَ دَلْوِ نَضْحٍ حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّةَ ! فَقَدَّمَهُ ثَابِتُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا بَكْرٍ قَوْلَهُ : « أَلْقَى الْأَحِبَّةَ » قَالَ : يَلْقَاهُمْ وَاللَّهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا مُخْلَدًا أَبَدًا . فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ فِي ذَلِكَ ، يَذْكُرُ الزَّبِيرَ بْنَ بَاطِلَةَ :

وَفَتْ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنْسِي وَصَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَبِيرٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنَّةً عَلَيَّ فَلَمَّا شَدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَيْمَا أَفْكُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَحْرًا لَنَا يَجْرِي

قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ .
فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

عبد الله بن أبي صَعَصعة ، أخى بني عديّ بن النّجار ؛ أنّ سَلَمَى بنت قيس أمّ المنذر أخت سَلَيْط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ، قد صَلَّتْ معه القبليّين ، وبايعته بيعة النساء - سألتَه رفاعَةَ بن شمويل القرظي - وكان رجلاً قد بلغ ولأذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك - فقالت : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمي ! هب لي رفاعَةَ بن شمويل ؛ فإنّه قد زعم أنه سيُصَلِّي ، ويأكل لحم الحمل ؛ فوهبه لها ؛ فاستحيته .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قَسَمَ أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سَهْمَان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخُمُس ؛ فكان للفارس ثلاثة أسهم ؛ للفارس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل مَن ليس له فرس سهم ، وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول فيء وقع فيه السهمان وأخرج منه الخمس ، فعَلَى سُنَّتِها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة في المغازي ؛ ولم يكن يُسهم للخيل إذا كانت مع الرجل إلا لفارسين .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري ، أخا بني عبد الأشهل بسايا من سبايا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً ، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ریحانة بنت عمرو بن خُنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك . فتركها ؛ وقد كانت حين سباها رسول الله ﷺ قد تَعَصَّتْ بالإسلام ، وأبَتْ إلا اليهودية ، فغزها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها ؛ فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعيّة يبشّرني بإسلام ریحانة ، فجاءه فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت ریحانة ، فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا - كما حدّثني ابن وكيع ، قال : حدّثنا ابن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدّثني أبي ، عن علقمة ، في خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ - يعني بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم - فقال : اللهم إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبّ إليّ أن أقاتل أو أجاهد من قوم كذبوا رسولك . اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . فانفجر كلمه ، فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد . قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فوالذي نفس محمد بيده ؛ إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لفي حُجرتي . قالت : وكانوا كما قال الله عز وجل : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(١) قال علقمة : أي أمّه ! كيف كان يصنع رسول الله ﷺ ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ؛ ولكنه كان إذا اشتدَّ وجده على أحد ، أو إذا وجدَ فإنما هو آخذٌ بلحيته .

حدّثنا ابن حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقُتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بني قريظة خلّاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن بلحارث بن الخزرج ، طُرِحَتْ عليه رحى فشدخته شدخاً شديداً . ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان ، أخو بني أسد بن خزيمه ، ورسول الله ﷺ محاصراً بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة . ولما انصرف

رسول الله ﷺ عن الخندق ، قال : الآن نَغْزُوهم - يعني قريشاً - ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله ﷺ مكة .

وكان فتح بني قُريظة في ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة ، في قول ابن إسحاق . وأما الواقدي فإنه قال : غَزَاهم رسول الله ﷺ في ذي القعدة ، لليال بقين منه ؛ وزعم أن رسول الله ﷺ أمر أن يُشَقَّ لبني قُريظة في الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل عليّ والزبير يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أن المرأة التي قتلها النبي ﷺ يومئذ كانت تسمى بُنَّانة ، امرأة الحَكَم القرظي ؛ كانت قتلت خلاد بن سويد ، رمت عليه رَحِيًى ، فدعا له رسول الله ﷺ ، فضرب عنقها بخلاد بن سويد .

واختلف في وقت غزوة النبي ﷺ بني المصطلق ؛ وهي الغزوة التي يقال لها غزوة المُريسيع - والمريسيع اسم ماء من مياه خُزاعة بناحية قديد إلى الساحل - فقال : ابن إسحاق - فيما حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عنه ، أن رسول الله ﷺ غزا بني المصطلق من خُزاعة ، في شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدي : غزا رسول الله ﷺ المريسيع في شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بني المصطلق من خُزاعة .

وزعم ابن إسحاق - فيما حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عنه - أن النبي ﷺ انصرف بعد فراغه من بين قُريظة ؛ وذلك في آخر ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة - فأقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع ، وولي الحجة في سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة غزوة بني لحيان

قال أبو جعفر : وخرج رسول الله ﷺ في جُمادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتح بني قُريظة إلى بني لحيان ، يطلب بأصحاب الرجيع ؛ حُبَيْب بن عديّ وأصحابه ؛ وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرَّةً . فخرج من المدينة ، فسلّك على غُرَاب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام) ثم على نَخِيض ، ثم على البتراء ؛ ثم صفق ذات اليسار ، ثم على يَن ، ثم على صُحَيْرَات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجّة من طريق مكة ، فأغذ السير سريعاً ؛ حتى نزل إلى غُرَان ؛ وهي منازل بني لحيان - وغُرَان وإِيبَن أَمَج وعُسْفَان - إلى بلد يقال له ساية ، فوجدهم قد جَذَرُوا وتمنّعوا في رؤوس الجبال ، فلما نَزَلَهَا رسولُ الله ﷺ وأخطأه من غرَّتْهم ما أراد ، قال : لو أنّا هبطنا عُسْفَان لرأى أهل مكة أنّا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفَان ، ثم بعث فارسين من أصحابه ؛ حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم ، ثم كَرَا وراح قافلاً .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني ابنُ إسحاق ، - قال : والحديث في غزوة بني لحيان - عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبيد الله بن كعب .

قال ابنُ إسحاق : ثم قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فلم يُقَمِّ إلّا لياليَ قلائل حتى أغار عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفازريّ في خيل لغطفان على لِقَاح رسول الله ﷺ بالغابة ؛ وفيها رجلٌ من بني غَفَار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللّقاح .

غزوة ذي قَرَد

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومَنْ لا أتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، كلّ قد حَدَّثَ في غزوة ذي قَرَد بعض الحديث ، أنه أوّل من نَذَرَ بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله ﷺ بعد مقدّمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما رُوي عن سلمة بن الأكوع كان إمّا في ذي الحجّة من سنة ست من الهجرة ، وإمّا في أول سنة سبع ، وذلك أنّ انصراف رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة

عام الحديبية كان في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذي وقته ابن إسحاق لغزوة ذي قرد والوقت الذي روي عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدثنا حديث سلمة بن الأكوع الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة - يعني بعد صلح الحديبية - فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ، وخرجت معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عبيدة قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رباح ؛ خذ هذا الفرس وأبلغه طلحة . وأخبر رسول الله أن المشركين قد أغاروا على سرجه . ثم قمت على أكمة استقبلت المدينة ، فناديت ثلاثة أصوات : يا صباحاه ! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل ، وأرتجز وأقول : « أنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم ، فإذا رجعت إلي فارس منهم أتيت شجرة وقعت في أصلها ، فرميتها ففقرت به ؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا في متضايق علوت الجبل ، ثم أردتهم بالحجارة ؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلق الله بعيراً من ظهر رسول الله ﷺ إلا جعلته وراء ظهري ، وخلوا بيني وبينه وحتى ألقوا أكثر من ثلاثين رُمحاً وثلاثين بُردة ، يستخفون بها لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً حتى يعرفه رسول الله ﷺ وأصحابه ، حتى إذا انتهوا إلى متضايق من ثنية وإذا هم قد أتاهم عبيدة بن جصن بن بدر ممدداً ، ففقدوا يتصحنون ، وقعت على قرن فوقهم ، فنظر عبيدة ، فقال : ما الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَس ، يرمينا حتى استنقذ كل شيء في أيدينا . قال : فليقم إليهم أربعة . فعمد إلي أربعة منهم . فلما أمكنوني من الكلام ، قلت : أنعرفوني ؟ قالوا : مَنْ أنت ؟ قلت : سلمة بن الأكوع ؛ والذي كرم وجه محمد لا أطلب أحداً منكم إلا أدركته ؛ ولا يطلبني رجل منكم فيدركني . قال أحدهم : أنا أظن ، قال : فرجعوا فما برحت مكاني ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر ؛ أوهم الأخرم الأسدي ، وعلى إثره أبو قتادة الأنصاري ، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي ، فأخذت بعنان فرس الأخرم ، [فولوا مدبرين] ، فقلت : يا أكرم ؛ إن القوم قليل ، فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق بنا رسول الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال : فحليته ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عبيدة ، ففقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ، فطعنه عبد الرحمن فقتله ، وتحول عبد الرحمن على فرسه ، ولحق أبو قتادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقر عبد الرحمن بأبي قتادة فرسه ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ؛ فانطلقوا هاربين . قال سلمة : فوالذي كرم وجه محمد ، لتبعهم أعدو على رجلي ؛ حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً .

قال : ويعدلون قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلي أعدو في آثارهم ؛ فحليتهم فما ذاقوا منه قطرة .

قال : ويسندون في ثنية ذي أثير ، ويعطف علي واحد فأرشفه بسهم فيقع في نعض كتفه ، قلت :

حُذِّها وأنا ابن الأكوع واليومَ اليومَ الرُّضْع

فقال : أكوعي غدوة ! قلت : نعم يا عدو نفسي ؛ وإذا فرسان على الثنية ، فجئت بها أفودهما إلى

رسول الله ، ولحقني عامر عمي بعدما أظلمت بسطیحة فيها مذقة من لبن ، وسطیحة فيها ماء ، فتوضأت وصليت وشربت ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حليتهم عنه ، عند ذي قرد ، وإذا رسول الله قد أخذ تلك الإبل التي استنقذت من العدو ، وكل رُمح ، وكل بُردة ؛ وإذا بلال قد نحر ناقة من الإبل التي استنقذت من العدو ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فقلت : يا رسول الله ؛ خلني فلأنتخب مائة رجل من القوم ، فأتبع القوم فلا يبقى منهم عين . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدا . وقد بانت - نواجذه . في ضوء النار . ثم قال : أكنت فاعلاً ! فقلت : إي والذي أكرمك !

فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ إنهم ليقرؤن بأرض غطفان . قال : فجاء رجل من غطفان ، فقال : نحر لهم فلان جزوراً ، فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غباراً ؛ فقالوا : أتيتم ! فخرجوا هارين ، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ : خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع . ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس ، وسهم الراجل ؛ فجمعهما لي جميعاً ، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العصابة ؛ راجعين إلى المدينة . فبينما نحن نسير ؛ وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً فجعل يقول : ألا من مسابق ! فقال ذاك مراراً ؛ فلما سمعته قلت : أما تكرم غريماً ولا تهاب شريفاً ! فقال : لا ؛ إلا أن يكون رسول الله ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! ائذن لي فلاسابق الرجل ! قال : إن شئت ، قال : فطفرت فعدوت ، فربطت شرفاً أو شرفين فألحقه وأصكه بين كتفيه ، فقلت : سبقتك والله ! فقال : إني أظن ، فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله - يعني مع سلمة بن الأكوع - معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلع ، ثم صرخ : وا صباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم - وكان مثل السبع - حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : « خذها مني وأنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

فإذا وجهت الخيل نحوه ، انطلق هارباً ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرمي رمى ، ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع .

قال : فيقول قائلهم : أويكنا هو أول النهار .

قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع ! ؛ فتنامت الخيول إلى رسول الله ﷺ ؛ فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو . ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار ، عبادة بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا ، أخو بني عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظهير أخو بني حارثة بن الحارث - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ، أخو بني أسد بن خزيمة ، ومحرز بن نضلة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، أخو بني سلمة ، وأبو عياش ؛ وهو عبدة بن زيد بن صامت ، أخو بني زريق .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد . ثم قال : أخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس .

وقد قال رسول الله ﷺ - فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق - لأبي عِيَّاش : يا أبا عِيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم ! قال أبو عِيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جَرَى خمسين ذراعاً حتى طرحني ؛ فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بني زُرَيْق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عِيَّاش مُعَاذ بن مَاعِص - أو عَائِذ بن مَاعِص - ابن قيس بن خَلْدَةَ - وكان ثامناً - وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظَهْر أخا بني حارثة ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وكان أول من لحق بالقوم على رجله ؛ فخرج الفرسان في طلب القوم ، حتى تلاحقوا .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : وحدَّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أول فارسٍ لحقَّ بالقوم مُحْرِز بن نُضْلَةَ ، أخو بني أسد بن خزيمة - ويقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له : قمير - وأن الفزع لما كان ، جالَ فرسٌ لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَنِيعاً جاماً ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل حين رأى الفرس يحول في الحائط بجذع من نخل هو مربوط به : يا قُمَيْر ، هل لك في أن تركبَ هذا الفرس - فإنه كما ترى - ثم تلحق رسول الله ﷺ وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم يَنْشَبْ أن يَدْ الخيل بِجَمَامِهِ حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشرَ اللَّكِيعة حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحملَ عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدرُوا عليه ؛ حتى وقف على آريّة في بني عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللَّمة .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، أن مُحْرِزاً إنما كان على فرسٍ لعُكَّاشَةَ بنِ مُحْصَنٍ يقال له الجناح ، فقتل مُحْرِز ، واستُلبَ الجناح . ولما تلاحقت الخيول قَتَلَ أبو قتادة الحارث بن رَبِيعٍ أخو بني سلمة ، حَبِيبَ بن عيينة بن حِصْن ، وغشاه ببرده ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله ﷺ والمسلمون ، فإذا حبيب مسجى ببردة أبي قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قَتَلَ أبو قتادة ، فقال رسول الله ﷺ : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قَتَلَ لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه . وأدرك عُكَّاشَةَ بنِ مُحْصَنٍ أوباراً وابنه عمرو بن أوبار على بعير واحد ، فانتظمهما بالرُمح فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعضَ اللقاح . وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله ﷺ ، وأقام عليه يوماً وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سَرَّحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - : إِنْهُمْ الآنَ لَيَغْبُقُونَ فِي غَطَفَانَ .

وقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كلِّ مائة جُزُوراً ، فأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة .

فأقام بها بعضُ جُمَادَى الآخرة وَرَجَب . ثم غزا بلمصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست .

ذكر غزوة بني المصطلق

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر . وعن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بعض حديث بني المصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أَنَّ بَلْمُصْطَلِقَ يَجْتَمِعُونَ لَهُ ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، أبو جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث ، زوج النبي ﷺ ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم ، يقال له : الْمُرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيْدٍ إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله بني المصطلق ، وقُتِلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، ونَفَلَ رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ؛ فأفاءهم الله عليه .

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بني كَلْبٍ بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له هشام بن صُبَّابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصَّامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غفار يقال له جَهْجَاه بن سعيد ، يقود له فرسه ، فازدحم جَهْجَاه وسنان الجهني حليف بني عَوْف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جَهْجَاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رَهْطٌ من قومه ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن ، فقال : أقْد فعلوها ! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدونا وجلابيب قريش ما قال القائل : « سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذل ! ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه . فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرْ به عَبَادُ بنِ بَشْرٍ بنِ وَقْشٍ فليقتله ، فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدَّث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أَدْنُ بالرحيل - وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها - فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به - وكان عبد الله بن أبي في قومه شريفاً عظيماً - فقال مَنْ حضر رسول الله ﷺ من أصحابه من الأنصار : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حَدِّبْنا على عبد الله بن أبي ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حُضَيْر ، فحياه تحية النبوة ، وسلم عليه ، ثم قال : يا رسول الله ، لقد رُحْتُ في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها ! فقال له رسول الله ﷺ : أَوْماً بلغك ما قال صاحبكم ! قال : وأئي صاحب يا رسول الله ! قال : عبد الله بن أبي ، قال وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذل ، قال أسيد : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الدليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسول الله ، أرفقُ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ؛ فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً .

ثم مَنَّ رسولُ الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتَّى أَمسى ، وليلتهم حتَّى أصبح ، وصَدَرَ يومهم ذلك حتَّى آذَنَهُم الشمس . ثم نَزَلَ بالناس ؛ فلم يكن إلَّا أن وجدوا مَسَّ الأرض وقَعوا نياماً ؛ وإِنَّمَا فَعَلَ ذلك رسولُ الله ﷺ ليشغَلَ الناس عن الحديث الذي كان بالأَمس من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح بالناس ، وسلك الحجاز حتَّى نَزَلَ على ماء بالحجاز فَوَيْقُ النَّفِيع ، يقال له نَقْعاء ، فلَمَّا راح رسولُ الله ﷺ هَبَّتْ على الناس ريحٌ شديدةٌ آذَنَهُمْ ، وتَخَوَّفوها ، فقال رسولُ الله ﷺ : لا تَخَافُوا ، إِنَّمَا هَبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلَمَّا قَدِمُوا المدينة وجدوا رِفاعَةَ بن زَيد بن الثَّابُوت ، أحد بني قَيْنَقاع - وكان من عظماء يهود ، وكَهْفاً للمنافقين - قد مات في ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي بن أسلول وَمَنْ كان معه على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلَمَّا نزلت هذه السورة أخذ رسولُ الله ﷺ بأذن زَيد بن أرقم فقال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بن آدم ، قال : حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل ، عن أبي إِسْحَاق ، عن زَيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عَمِّي في غَزَاةٍ ، فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ ﴾ ، ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ^(١) ؛ فذكرت ذلك لعَمِّي ، فذكره عَمِّي لرسول الله ﷺ ، فأرسل إليَّ فحَدَّثته ، فأرسل إلى عبد الله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ؛ قال : فكذَّبني رسول الله ﷺ وصدَّقه ، فأصابني هَمٌّ لم يصبني مثله قط ، فجلست في البيت ، فقال لي عَمِّي : ما أردتَ إلى أن كَذَبَكَ رسولُ الله ﷺ ومَقَّتَكَ ! قال : حتَّى أنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إليَّ رسولُ الله ﷺ فقرأها ، ثم قال : إِنَّ الله صدَّقك يا زَيد .

رجع الحديث إلى حديث ابن إِسْحَاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . فحَدَّثَنَا ابن حميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن إِسْحَاق ، عن عاصم بن عمر بن قَتَادَةَ ؛ أَنَّ عبدَ الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول أتَى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ، إِنَّه قد بلغني أَنَّكَ تريد قتلَ عبد الله بن أبي - فيما بلغك عنه - فإن كنت فاعلاً فمَرِنِي به ، فأنا أَهْمُ إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرُّ بوالده مِنِّي ؛ وإِنِّي أَخْشَى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ؛ فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسولُ الله ﷺ : بل نرفُق به ، ونحسِن صحبته ما بقيَ معنا . وجعل بعد ذلك إِذَا أُحْدِثَ الْحَدَّثُ ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويُعَفِّونَه ويتوعَّدُونَه ، فقال رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلته يومَ أَمَرْتَنِي بقتله ، لأرْعِدْتَ له أنْفٌ لو أَمَرْتَهَا اليوم بقتله لقتلته . قال : فقال عمر : قد والله علمتُ ، لأمرُ رسولِ الله ﷺ أعظمُ بركة من أَمْرِي .

قال : وقدم مِقْيَس بن صُبابَة من مكة مسلماً فيما يُظهر ، فقال : يا رسولَ الله ، جئتكَ مسلماً وجئت أطلب دية أخي قتل خطأ . فأمر له رسولُ الله ﷺ بديَةِ أخيه هشام بن صُبابَة ، فأقام عند رسولِ الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً ، فقال في شعر :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدْ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرِي، وَأَدْرَكْتُ تُورَتِي
تَأَزَّتْ بِهِ فَهَرَأَ وَحَمَلَتْ عَقْلَهُ
وقال مقيمٌ بن صُبابَة أيضًا :

جَلَلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ، لَهَا وَشَلٌ
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسْرَتُهُ
مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَغْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ
لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا

وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناسٌ كثيرٌ، وقتل عليُّ بن أبي طالب منهم رجلين : مالكاً وابنه ،
وأصاب رسولُ الله ﷺ منهم سبياً كثيراً ، ففشا قَسْمُهُ في المسلمين ؛ ومنهم جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضرار
زَوْج النبي ﷺ .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن
الزبير ، عن عُرْوَة ، عن عائشة زَوْج النبي ﷺ ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سبأيا بني المصطلق ، وقعت
جُوَيْرِيَة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أولابن عمٍّ له - فكاتبته على نفسها - وكانت امرأة
حُلْوَة مُلَاحَة ، لا يراها أَحَدٌ إلا أخذت بنفسه - فأتت رسولَ الله ﷺ تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو
إلا أن رأيته على باب حُجْرَتِي كَرِهْتَهَا ، وعرفت أنه سيرى منها مثل ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا
رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك ؛
فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أولابن عمٍّ له - فكاتبته على نفسي ، فجئتكَ أَسْتَعِينُكَ على
كتابتي ، فقال لها : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضي كتابتك
وأتزوّجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله ﷺ
قد تزوّج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهارُ رسولِ الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ بركة على
قومها منها .

حديث الإفك

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وأقبل رسولُ الله ﷺ من سفره
ذلك - كما حدَّثني أبي إسحاق ، عن الزهري ، عن عُرْوَة ، عن عائشة - حتى إذا كان قريباً من المدينة - وكانت
معه عائشة في سفره ذلك - قال أهل الإفك فيها ما قالوا .

حدَّثنا ابنُ حميد قال : حدَّثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص
الليثي وعن سعيد بن المسيّب ، وعن عُرْوَة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبَة بن مسعود قال
الزهري : كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ كَانَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ . قال : وقد جمعت لك
كُلَّ الَّذِي حَدَّثَنِي الْقَوْمُ .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قال : وكلُّ قد اجتمع حديثه في خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، فكلُّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً ، ويحدّث بعضهم ما لم يحدّث بعضٌ ، وكلُّ كان عنها ثقة ، وكلُّ قد حدّث عنها بما سمع .

قالت عائشة : كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرعَ بين نسائه ، فأَيُّهُنَّ خرج سهمُها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بني المصطلق ، أقرع بين نسائه كما كان صنع ؛ فخرج سهمي عليهنّ ، فخرج بي رسولُ الله ﷺ . قالت : وكان النساءُ إذا كان ذلك إنما يأكلن العُلُقَ لم يهبجنّ اللحم فيثقلن . قالت : وكنت إذا رُحِلَ بعيري جلستُ في هودجِي ، ثمَّ يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري ، ويحملوني فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بخباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من سفره ذلك ، وجّه قافلًا ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلاً ، فبات فيه بعضُ الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فلما ارتحل الناس خرجتُ لبعض حاجتي وفي عنقي عقدٌ لي فيه جزعُ ظفّار ، فلما فرغتُ أنسل من عنقي ولا أدري ؛ فلما رجعتُ إلى الرّحْلِ ذهبتُ ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل . قالت : فرجعتُ عودي على بدئي إلى المكان الذي ذهبتُ إليه ؛ فالتصمت حتى وجدته ، وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنّي فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكوا أنّي فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعتُ إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني الذي ذهبتُ إليه ؛ وعرفت أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إليّ . قالت : فوالله إنّني لمضطجعة ، إذ مرّ بي صفوان بن المُعطّل السُلَميّ ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس في العسكر ؛ فلما رأى سوادِي أقبل حتى وقف عليّ فعرفني - وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب - فلما رآني قال : إنّ الله وإنّا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلّفك رحك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّب البعير فقال : اركبي رحلك الله ! واستأخر عني . قالت : فركبتُ وجاء فأخذ برأس البعير ، فانطلق بي سريعاً يطلب الناس ؛ فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك فيّ ما قالوا . فارتجّ العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك . ثمّ قدمنا المدينة ، فلم أمكثُ أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويّ ، ولا يذكران لي من ذلك قليلاً ولا كثيراً ، إلّا أنّي قد أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعضَ لطفه بي ؛ كنتُ إذا اشتكيتُ رجني ولطف بي ؛ فلم يفعل ذلك في شكواي تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل عليّ وأمّي مُمرّضني ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وَجَدْتُ في نفسي ممّا رأيت من جَفَائِهِ عني ، فقلت له : يا رسولَ الله ، لو أذنت لي فانتقلت إلى أمّي فمرّضتني ! قال : لا عَلَيْكِ ! قالت : فانتقلت إلى أمّي ، ولا أعلم بشيء ممّا كان ، حتى نفهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قومًا عَرَبًا لا نَتَّخِذُ في بيوتنا هذه الكُفَّ التي تتخذها الأعاجم ، نعاफी ونكرها ؛ إنّما كنا نخرُجُ في فُسْحِ المدينة ؛ وإنّما كان النساءُ يخرجنَ كلّ ليلة في حوائجهنّ ؛ فخرجت ليلةً لبعض حاجتي ،

ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبي بكر . قالت : فوالله إنها لتمشي معي ، إذ عثرت في مِرْطِها ، فقالت : تَعِسَ مسطح ! قالت : قلت : بش لعمرك ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أوَمَا بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت فما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي . قالت : وقلت لأمي : يغفر الله لك ! تحدث الناس بما تحدثوا به وبلغك ما بلغك ؛ ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا ! قالت : أي بُنيّة خفّضي الشأن ؛ فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ! والله ما علمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ! وما دخل بيتًا من بيوتي إلا وهو معي . قالت : وكان كُبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج ؛ مع الذي قال مسطح وحمّة بنت جحش - وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المنزل عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمّة بنت جحش] ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارني لأختها زينب بنت جحش - فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير أخو بني عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك ؛ فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عباد - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال : كذبت لعمرك لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! قال أسيد : كذبت لعمرك الله ! ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ! قالت : وتثاوره الناس حتى كاد أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شرّ ، ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل عليّ ، قالت : فدعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد ؛ فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيرًا وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ، ولا نعلم عليهم إلا خيرًا ؛ وهذا الكذب والباطل . وأما عليّ فإنه قال : يا رسول الله ؛ إن النساء لكثير ؛ وإنك لقادر على أن تستخلف ؛ وسل الجارية فإنها تصدّقك . فدعا رسول الله ﷺ بربّة يسألها . قالت : فقام إليها عليّ فضرها ضرباً شديداً ؛ وهو يقول : اصدّقي رسول الله ؛ قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيرًا ، وما كنت أعيب على عائشة ؛ إلا أنني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه ، فيأتي الداجن فيأكله .

ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبوي ، وعندي امرأة من الأنصار ؛ وأنا أبكي وهي تبكي معي ؛ فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ؛ إنه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتقي الله ؛ وإن كنت قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله ؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن قال ذلك ، تقلّص دمي ؛ حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوي أن يجييا رسول الله ﷺ فلم يتكلما . قالت : وإيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنًا من أن ينزل الله عز وجل في قرآنًا يقرأ به في المساجد ، ويصلّى به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني ، لما يعلم من براءتي ، أو

يخبر خبراً ؛ فأما قرآن ينزل فيّ ، فوالله لَنَفْسِي كَانَتْ أَحَقَّرَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ . قالت : فلَمَّا لم أَر أَبَوَي يتكلمان . قالت : قلت : ألا تحبين رسول الله ! قالت : فقال لي : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وإيّم الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام ! قالت : فلما استعجبنا عليّ استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ؛ والله لئن أقررت بما يقول الناس - والله يعلم أي منه بريئة - لتصدّقني ؛ لأقولن ما لم يكن ؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدّقوني . قالت : ثم التمسست اسم يعقوب فما أذكره ؛ ولكنّي أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجّيت بثوبه ، ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فرغت كثيراً ولا باليت ؛ قد عرفت أنّي بريئة ، وأنّ الله غير ظالمي ، وأما أبواي ؛ فواللذي نفس عائشة بيده ، ما سرّني عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سرّني عن رسول الله ﷺ ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشري يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن فيّ . ثم أمر بمسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحنّة بنت جحش - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا حدهم .

حدّثنا ابن حميد ، قال حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . عن أبيه ، عن بعض رجال بني النّجار ، أنّ أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ؛ وذلك الكذب ؛ أكنّ يا أم أيوب فاعلة ذلك ! قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك . قال : فلما نزل القرآن ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ . (١) . الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت في أصحابه الذين قالوا ما قالوا .

ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ (١) الآية ، أي كما قال أبو أيوب وصاحبه . ثم قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّتِيكُم . . . ﴾ (٢) الآية . فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقربته منه وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى . . . ﴾ (٣) الآية .

قالت : فقال أبو بكر : والله لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

ثم إنّ صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه ؛ وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه ويمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

(١) سورة النور : ١١ - ١٢ .

(٢) سورة النور : ١٥ .

(٣) سورة النور : ٢٢ .

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا
 قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ صَاحِبَهُ
 مَا لَقْتِي الَّذِي أَغْدُو فَأَخْذُهُ
 مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهْبُ الرِّيحُ شَامِيَةً
 يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرَنِي
 وَأَبْنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ
 أَوْ كَانَ مُتَشَبِّهًا فِي بُرْتَنِ الْأَسَدِ
 مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ
 فَيَغْطِئُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزُّبْدِ
 مِلْغِظٍ أَفْرِي كَفْرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه ثم قال - كما حدَّثنا ابن حميد - ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن

محمد بن إسحاق :

تَلَقَّ دُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي
 غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن ثابت بن قيس بن الشَّماس أخا بلحارث بن الخزرج ، وثب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان ، فجمع يديه إلى عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقاه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألا أعجبك ضرب حسان بن ثابت بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله . قال : فقال له عبد الله بن رواحة : هل عَلِمَ رسولُ الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجتأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوا رسولَ الله ﷺ ، فذكروا له ذلك ؛ فدعا حسان و صفوان بن المعطل ، فقال ابنُ المعطل : يا رسولَ الله ، آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب فضربته . فقال رسولُ الله ﷺ لحسان : يا حسان أتشوهت على قومي أن هداهم الله للإسلام ! ثم قال : أحسن يا حسان في الذي قد أصابك ؛ قال : هي لك يا رسول الله .

وحدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أن رسولَ الله ﷺ أعطاه عَوْضًا مِنْهَا بَبْرَحًا - وهي قصر بني حُدَيْلَةَ اليوم بالمدينة ؛ كانت مَالًا لِأَبِي طَلْحَةَ بن سهل ، تصدَّق بها إلى رسولِ الله ﷺ ، فأعطاه حسان في ضربته - وأعطاه سييرين ؛ أُمَةً قَبْطِيَّةً ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن صفوان بن المعطل فوجدوه رجلًا حَصُورًا مَا يَأْتِي النِّسَاءَ . ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد بن حمزة ، أن حديث عائشة كان في عُمرَةِ الْقَضَاءِ .

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشَوَّالًا ، وخرج في ذي القعدة من سنة ست معتمرًا .

ذكر الخبر عن عُمرَةِ النَّبِيِّ ﷺ التي صدَّه المشركون فيها عن البيت ، وهي قصَّةُ الحُدَيْبِيَّةِ

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا الحَكَمُ بن بشير ، قال حدَّثنا عمر بن ذرُّ الهمداني ، عن مجاهد ، أن النَّبِيَّ ﷺ اعتمر ثلاث عُمَرٍ ، كلَّها في ذي القعدة يرجع في كلَّها إلى المدينة .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعْتَمِرًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ لَا يَرِيدُ حَرْبًا ، وَقَدْ اسْتَنْفَرَ الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ ، وَهُوَ يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي صَنَعُوا بِهِ أَنْ يَعْرِضُوا لَهُ بِحَرْبٍ ، أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ ، لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، مُعَظِّمًا لَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ؛ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحَدِيثِ ، يَرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ، لَا يَرِيدُ قِتَالًا ، وَسَاقَ مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ ؛ كَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشْرَةِ نَفَرٍ .

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ؛ فَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ .

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَبَارَكٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَعْمَرٌ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحَدِيثِ ، فِي بَضْعَةِ عَشْرٍ وَمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . . . ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ الْيَمَامِيُّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلْمَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَدِمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحَدِيثِ ، وَنَحْنُ أَرْبَعَةُ عَشْرٍ وَمِائَةٍ .

حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسَعِيدُ بْنُ شَرْحِبِيلٍ الْمَصْرِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ الْمَصْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : كُنَّا يَوْمَ الْحَدِيثِ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةً .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةً وَخَمْسَةَ عَشْرِينَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى ، يَقُولُ : كُنَّا يَوْمَ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وَثَلَاثِمِائَةً ، وَكَانَتْ أَسْلَمُ ثَمَنُ الْمُهَاجِرِينَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : كُنَّا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ أَرْبَعَةَ عَشْرٍ وَمِائَةً .

قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُفَانِ لَفِيهِ بَشَرٌ بَنَ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعُوا بِمَسِيرِكَ ، فَخَرَجُوا مَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ ، قَدْ لَبَسُوا جُلُودَ النَّمُورِ ، وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى ، يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا ؛ وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ ، قَدْ قَدَمَوْهَا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمًا .

ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر - يعني ابن أبي المغيرة - عن ابن أبيزَي ، قال : لما خرج النبي ﷺ بالهَدي ، وانتهى إلى ذي الحُلَيْفَة ، قال له عمر : يا رسولَ الله ، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سلاح ولا كُراع ! قال : فبعثَ النبي ﷺ إلى المدينة ، فلم يدع فيها كُراعاً ولا سلاحاً إلا حمَله ، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل ، فسار حتى أتى مِنى ، فنزل بمنى ، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة ، فقال رسولُ الله ﷺ لخالد بن الوليد : يا خالد ، هذا ابنُ عَمِّك ، قد أتاك في الخيل ، فقال خالد : أنا سيفُ الله وسيفُ رسوله - فيومئذ سُمي سيفَ الله - : يا رسولَ الله أرمِ بي حيث شئت . فبعثه على خيل ، فلقي عكرمة في الشَّعب ، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية ، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ - إلى قوله - : ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ ^(١) قال : وكف الله النبي ﷺ عنهم بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلُّوا بيني وبين سائر العرب ؛ فإن هن أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش ! فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمَة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسولَ الله ، قال : فسلك بهم على طريق وعَرِ حَزَن بين شَعَاب ، فلما أن خرجوا منه - وقد شقَّ ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي - قال رسولُ الله ﷺ للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسولُ الله ﷺ : والله إنها للخطئة التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسولُ الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظَهري الحَمْصِ في طريق تُخْرِجه على ثنية المُرَّار ؛ على مهبط الحديدية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قَتَرَةَ الجيش ، وأن رسولَ الله ﷺ قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك في ثنية المُرَّار ، بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت ! فقال : ما خلأت ، وما هو لها بخُلُقٍ ؛ ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة ؛ لا تدعوني قريش اليوم إلى خطئة يسألوني صلة الرِّجَم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقبل : يا رسولَ الله ما بالوادي ماء نزل عليه ! فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قليب من تلك القلب فغرز في جوفه ، فجاش الماء بالري حتى ضرب الناس عليه بَعَطَن .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن رجلاً من أسلم حدثه ، أن الذي نزل في القلب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم ، وهو سائق بُدْنِ رسول الله ﷺ . قال : وقد زعم لي بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ . قال : وأنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذي نزل بسهم رسول الله ﷺ ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية في القلب يبيع على الناس ، فقالت :

يا أيها المائح دُلّوي دُونَكَ إني رأيت الناس يحمدونَكَ
يُثْنُونَ خيراً ويُمجّدونَكَ

وقال ناجية ، وهو في القلب يبيع الناس :

قد علمت جارية يمانيه أني أنا المائح واسمي ناجية
وطعنة ذات رِشاشٍ وإهيه طعنتها تحت صدور العاديه

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعائي ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : نزل رسول الله ﷺ بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ؛ إنما يتبرّضه الناس تبرّضاً فلم يلبثه الناس أن نزعوه ، فشكّي إلى رسول الله ﷺ العطش ، فنزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ؛ فبينما هم كذلك جاء بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عبيّة نُصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلوا أعداد مياه الحديبية ؛ معهم العود المطافيل ؛ وهم مقاتلون وصادوك عن البيت . فقال النبي ﷺ : إننا لم نأت لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاءوا ماددناهم مدّة ويحلّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهروا ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعَلُوا وإلا فقد جئوا ؛ وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، أو ليُنْفَذَن الله أمره . فقال بُدَيْل : سنبلغهم ما تقول .

فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعَلْنَا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نتحدثنا عنه بشيء ، وقال ذو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول ، قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ . فقام عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : أي قوم ؛ ألسنتم بالوالد ! قالوا : بلى ، قال : أو لست بالولد ! قالوا : بلى ، قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا ، قال : ألسنتم تعلمون أي استنفرت أهل عكاظ ؛ فلما بلّحوا عليّ جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني ! قالوا : بلى .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، في حديثه ، قال : كان عروة بن مسعود لسبيعة بنت عبد شمس .

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . قال : فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خُطّة رُشدٍ فاقبلوها ، ودعوني آتِه . فقالوا : آتِه ، فأتاه ، فجعل يكلم النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ نحواً من مقالته لبُديل ، فقال عروة عند ذلك : أيّ محمد ، أرايتَ إن استأصلت قومك ، فهل سمعتَ بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك ! وإن تكن الأخرى ، فوالله إني لأرى وجوهاً وأوشاباً من الناس خُلُقاً أن يَقْرُوا وَيَدْعُوكَ . فقال أبو بكر : أمْصص بَطْرَ اللات - واللات طاغية ثقيف التي كانوا يعبدون - أنحن نَفِرُ ونَدْعُه ! فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو بكر ، فقال : أما والذي نفسي بيده لولا يَدُ كانت لك عندي لم أَجْزِكَ بها لأجبتك ؛ وجعل يكلم النبي ﷺ ، فكلّمه أخذ بلحيته - والمغيرة بن شعبة قائمٌ على رأس النبي ﷺ ، ومعه السيف وعليه المغفر ؛ فكلّمه أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال : آخر يدك عن لحيته ، فرفع عروة رأسه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، قال : أي غَدْرُ ؛ ألسْتُ أَسْعَى في غَدْرَتِكَ ! وكان المغيرة بن شعبة صحب قومًا في الجاهلية ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي ﷺ : أما الإسلام فقد قبلنا ، وأما المال فإنه مال غَدْرٍ ، لا حاجة لنا فيه .

وإن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه . قال : فوالله إن يتنخم النبي ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلّك بها وجهه وجلده ؛ وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ؛ وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يُحدّثون النظر إليه تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أي قوم ، والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي ؛ والله إن رأيتُ ملكاً قط يُعظّمه أصحابه ما يُعظّم أصحاب محمدٍ محمدًا ، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلّك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ؛ وما يُحدّثون النظر إليه تعظيماً له ؛ وإنه قد عرض عليكم خُطّة رُشدٍ فاقبلوها . فقال رجل من كنانة : دعوني آتِه ، فقالوا : آتِه ، فلمّا أشرف على النبي ﷺ وأصحابه ، قال النبي ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم يُعظّمون البُدن فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله قومٌ يلبّون ، فلمّا رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت !

وحَدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ؛ قال في حديثه : ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة - أو ابن زَبَّان - وكان يومئذ سيّد الأحابيش ؛ وهو أحد بلحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتأهّون ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلمّا رأى الهدى يسيل عليه من غُرْض الوادي في قلائده ، قد أكل أوبارَه من طول الحبس ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيتُ ما لا يحل صدّه : الهدى في قلائده ، قد أكل أوبارَه من طول الحبس عن محله ؛ قالوا له : اجلس ، فإنما أنت رجل أعرابي لا علم لك .

وحَدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثنا سلمة ، قال : حَدَّثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أن الحليس غضب عند ذلك ، وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ؛ أن تصدّوا عن بيت الله مَنْ جاءه معظماً له ؛ والذي نفس الحليس بيده لتُخلن بين محمد وبين ما جاء له ؛ أو لأنفِرَن بالأحابيش نفرة رجل واحد ! قال : فقالوا له : مه ! كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص ، فقال لهم : دُعُونِي آتِهِ ، قالوا : آتِهِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَذَا مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ ؛ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ ؛ فَجَاءَ فَجَعَلَ يَكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو .

وقال أيوب عن عكرمة : إِنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلٌ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ .

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ عِمَارَةَ - قَالَا : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ عَنْ إِيَّاسَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : بَعَثْتُ قَرِيشَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَحُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى وَحَفْصَ بْنَ فُلَانٍ ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُصَالِحُوهُ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمُ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : سَهَّلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ ؛ الْقَوْمُ مَأْتُونَ إِلَيْكُمْ بِأَرْحَامِكُمْ ، وَسَأَلُوكُمُ الصَّلَاحَ ، فَابْعَثُوا الْمُهْدِي ، وَأَظْهَرُوا التَّلْبِيَةَ ؛ لَعَلَّ ذَلِكَ يُلْدِنُ قُلُوبَهُمْ . فَلَبَّوْا مِنْ نَوَاحِي الْعَسْكَرِ حَتَّى ارْتَجَّتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ . قَالَ : فَجَاؤُوا فَسَأَلُوهُ الصَّلَاحَ ، قَالَ : فَبَيْنَا النَّاسَ قَدْ تَوَادَعُوا ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَفِي الْمُشْرِكِينَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَفَتَكَ بِهِ أَبُو سَفْيَانَ ، قَالَ : فَإِذَا الْوَادِي يَسِيلُ بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ . قَالَ إِيَّاسُ : قَالَ سَلَمَةُ : فَجِئْتُ بِسِتَّةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُتَسَلِّحِينَ أَسْوَقَهُمْ ، مَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ؛ فَاتَيْتُ بِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمْ يَسْلُبْ وَلَمْ يَقْتُلْ ، وَعَفَا .

وَأَمَّا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى فَإِنَّهُ حَدَّثَنَا قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عِمَارِ الْيَمَامِيِّ ، عَنْ إِيَّاسَ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ ، أَتَيْتُ الشَّجَرَةَ فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا ، ثُمَّ اضْطَجَعْتُ فِي ظِلِّهَا ، فَأَتَانِي أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَبْغَضْتُهُمْ . قَالَ : فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى ، فَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ ، ثُمَّ اضْطَجَعُوا ؛ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ ؛ إِذْ نَادَى مُنَادٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَاغِدِي : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ! قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ ! فَاحْتَرَطْتُ سِيفِي ، فَشَدَدْتُ عَلَى أَوَّلِئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ ؛ فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِعْفًا فِي يَدِي ، ثُمَّ قُلْتُ : وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ . قَالَ : فَجِئْتُ بِهِمْ أَقُودَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَجَاءَ عَمِّي عَامِرُ بْنُ رَجُلٍ مِنَ الْعَبْلَاتِ ، يُقَالُ لَهُ مَكْرَزٌ ؛ يَقُودُهُ مَجْفَفًا ، حَتَّى وَقَفْنَا بِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفَجْرِ ، فَعَفَا عَنْهُمْ . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَ وَجَلٌ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ۖ ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عماره ومحمد بن منصور، عن عبيد الله . قال سلمة : فشددنا على مَنْ فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ مِنَّا ، فَمَا تَرَكْنَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَّا رَجُلًا إِلَّا اسْتَنْقَذْنَاهُ . قَالَ : وَغَلَبْنَا عَلَى مَنْ فِي أَيْدِينَا مِنْهُمْ .

ثُمَّ إِنَّ قَرِيشًا بَعَثُوا سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَحُوَيْطِبًا فَوَلَّوْهُمُ صَلَاحَهُمْ ، وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَلَاحِهِ . حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مَعَاذٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ زُنَيْمٌ ، أَطْلَعَ الثَّنِيَّةَ مِنَ الْحَدِيثِ ، فَرَمَاهُ الْمُشْرِكُونَ فَقَتَلُوهُ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِيَلًا ، فَأَتَوْهُ بِاثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَارِسًا مِنَ الْكُفَّارِ ، فَقَالَ لَهُمُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : هَلْ لَكُمْ عَلَيَّ عَهْدٌ ؟ هَلْ لَكُمْ عَلَيَّ ذِمَّةٌ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَأَرْسَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ۖ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۖ ﴾ .

وأما ابنُ إسحاق، فإنه ذكر أن قريشاً إنما بعثت سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله ﷺ أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان. حدَّثنا ابنُ حميد، قال حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدَّثني بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خِرَاش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمل له يقال له الثغلب؛ ليبُلِّغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعته الأحاديش، فخلَّوا سبيله؛ حتى أتى رسول الله ﷺ.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدَّثني من لا أتهم، عن عكرمة مولى ابن عباس، أن قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم - أو خمسين رجلاً - وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليُصيبوا لهم من أصحابه، فأخذوا أخذاً، فأَتَى بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلَّى سبيلهم - وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبَل - ثم دعا النبي ﷺ عُمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة، فيبُلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له؛ فقال: يا رسول الله؛ إني أخاف قريشاً على نفسي؛ وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني؛ وقد عرفت قريش عدواني إياها، وغلظني عليها، ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني، عثمان بن عفان!

فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمة.

فخرج عثمان إلى مكة، فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة - أو قبل أن يدخلها - فنزل عن دابته، فحمله بين يديه، ثم ردفه وأجاره؛ حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظما قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف به؛ قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ؛ فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل.

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر، أن رسول الله ﷺ حين بلغه أن عثمان قد قُتل، قال: لا نبرح حتى نناجز القوم؛ ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.

حدَّثني ابنُ عمار الأسدي، قال: حدَّثني عبيد الله بن موسى، عن موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة، قال: قال سلمة بن الأكوع: بينما نحن قافلون من الحديبية، نادى منادي النبي ﷺ: أيها الناس؛ البيعة البيعة! نزل رُوح القدس. قال: فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سَمرة، قال: فبايعناه، قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (١).

حدَّثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، قال: كان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من بني أسد، يقال له: أبو سنان بن وهب.

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر، عن

محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله ؛ أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة . قال : فبايعنا رسول الله ﷺ عليه وسلم ، وعمرُ أخذ بيذه تحت الشجرة ، وهي سَمُرَة ، فبايعناه غير الجد بن قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : بايعنا رسول الله على ألا نفرّ ؛ ولم نبايعه على الموت .

وقد قيل في ذلك ما حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبر أبو عامر ، قال : أخبرنا عكرمة اليمامي ؛ عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ دعا الناس للبيعة في أصل الشجرة ، فبايعته في أول الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتى إذا كان في وسط من الناس ، قال : بايع يا سلمة ، قال : قلت : قد بايعتكم يا رسول الله في أول الناس ! قال : وأيضا ؛ ورأني النبي ﷺ أعزّل ، فأعطاني حَجَفَة أو دَرَقَة . قال : ثم إن رسول الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان في آخرهم ، قال : ألا تباع يا سلمة ! قلت : يا رسول الله ، قد بايعتكم في أول الناس وأوسطهم ! قال : وأيضا . قال : فبايعته الثالثة ، فقال رسول الله ﷺ : فأين الدَرَقَة ، والحَجَفَة التي أعطيتك ؟ قلت : لِقِنِي عَمِّي عامر أعزّل فأعطيته إياها ، فضحك رسول الله ﷺ وقال : إنك كالذي قال الأول : اللهم ابغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس ، أخو بني سلمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأني أنظرُ إليه لاصقا بإبط ناقته ، قد ضَبَأَ إليها يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله ﷺ ؛ وقالوا له : أنت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ! قال : بلى ؛ قال : فعَلَامَ نُعْطِي الدنْيَة في ديننا ! قال أبو بكر : يا عمر الزم غَرْزَه ؛ فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ألسنت برسول الله ! قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ! قال : بلى ، قال : فعَلَامَ نعطي الدنْيَة في ديننا ! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعَنِي . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتيق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ؛ حتى رجوت أن يكون خيراً .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن علقمة بن قيس النخعي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : ثم دعاني رسول الله ﷺ ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : « باسمك اللهم » ، فقال رسول الله : اكتب « باسمك اللهم » ، فكتبته . ثم قال : اكتب : « هذا ما صالح

عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». . فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله ﷺ: اكتب: «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو؛ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم تردّه عليه. وأنّ بيننا عيية مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال؛ وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، دخل فيه» - فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد رسول الله وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدها - «وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك؛ فأقمتم بها ثلاثاً، وأن معك سلاح الراكب، السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا».

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسِف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ - قال: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ؛ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا - فلما رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بلبّيه، فقال: يا محمد قد لجأت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا! قال: صدقت، قال: فجعل يَنْتَرُه بلبّيه، ويجرّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أَرُدُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد الناس ذلك شراً إلى ما بهم فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، احتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً؛ إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً، وأعطيناهم على ذلك عهداً، وأعطونا عهداً، وإنّا لا نغدر بهم.

قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل؛ فإنما هم المشركون؛ وإنما دم أحدهم دم كلب!

قال: ويؤذي قائم السيف منه، قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فضنّ الرجل بأبيه.

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين، ورجالاً من المشركين: أبا بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل، ومكرز بن حفص بن الأخيف - وهو مشرك - أخا بني عامر بن لؤي، وعلي بن أبي طالب، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة.

حدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مُصعب بن المقدام، وحدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبي، قالاً جميعاً: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق عن البراء، قال: اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى يقاضيه على أن يقيم بها ثلاثة أيام. فلما كتب الكتاب كتب: «هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله»؛ فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك؛ ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، قال لعلي عليه السلام: أمح «رسول الله»، قال: لا والله لا أمحاك أبداً، فأخذه رسول الله ﷺ - وليس يُحسِن يكتب - فكتب مكان «رسول الله» «محمد»

فكتب: « هذا ما قاضى عليه محمد، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القرباب، ولا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها ». فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا علياً عليه السلام، فقالوا له: قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج رسول الله ﷺ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة. وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا وحديثي يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية: فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضيته قال لأصحابه: قوموا فانحروا، ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات؛ فلما لم يبق منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك! أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك؛ وتدعوا حالقك فيحلقك؛ فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك؛ نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا؛ وجعل بعضهم يحلق بعضاً؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

قال ابن حميد: قال سلمة: قال ابن إسحاق: وكان الذي حلقه - فيما بلغني ذلك اليوم - خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون؛ فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين؛ قالوا: والمقصرين؟ قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: يا رسول الله؛ فلم تظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لأنهم لم يشكوا.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن أبان بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: أهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل؛ في رأسه برة من فضة، ليغيظ المشركين بذلك.

رجع الحديث إلى حديث الزهري الذي ذكرنا قبل. ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة - زاد ابن حميد عن سلمة في حديثه، عن ابن إسحاق عن الزهري، قال: يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه؛ إنما كان القتال حيث التقى الناس - فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فالتقوا؛ وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في دينك الستين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر. وقالوا جميعاً في حديثهم عن الزهري، عن عروة، عن المسور ومروان: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، جاءه أبو بصير؛ - رجل من قريش - قال ابن إسحاق في حديثه: أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية - وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة، فلما قدم على رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبعث رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم. فقدموا على رسول الله ﷺ

بكتاب الأزهر والأخنس، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بصير؛ إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت؛ ولا يصلح لنا في ديننا العُدْر، وإنَّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً.

قال: فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحُلَيْفَة، جلس إلى جدار وجلس معه صاحبه، فقال أبو بصير: أصارمُ سيفك هذا يا أبا بني عامر؟ قال: نعم، قال: انظر إليه؟ قال: إن شئت! فاستلّه أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله طالعاً، قال: إن هذا رجل قد رأى فرعاً، فلما انتهى إلى رسول الله قال: ويلك! مالك! قال: قتل صاحبكم صاحبي؛ فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف، حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وفْتُ ذمتك، وأدّيتُ عنك، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبي ﷺ: ويل أمه مسعرُ حرب! - وقال ابن إسحاق في حديثه: مَحَشَّ حَرْب - لو كان معه رجال! فلما سمع ذلك عرف أنه سيرة إليهم. قال: فخرج أبو بصير حتى نزل بالعِيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام. وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال»، فخرجوا إلى أبي بصير بالعِيص؛ وبنفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فلحق بأبي بصير؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم؛ فكانوا قد ضيقوا على قريش؛ فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ يناشدونه بالله وبالرحم لما أرسل إليهم! فمن أتاه فهو آمن فأواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة.

زاد ابن إسحاق في حديثه: فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري أسند ظهره إلى الكعبة، وقال: لا أؤخر ظهري عن الكعبة؛ حتى يؤدوا هذا الرجل؛ فقال أبو سفيان بن حرب: والله إن هذا لهو السفه! والله لا يؤدى! ثلاثاً.

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما: ثم جاءه - يعني رسول الله - نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ - حتى بلغ: ﴿بِعَصْمِ الْكُوفَرِ﴾^(١). قال: فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك. قال: فنهاهم أن يردوهن، وأمرهم أن يردوا الصداق حينئذ.

قال رجل للزهري: أمن أجل الفروج؟ قال: نعم؛ فتزوج إحداها معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية.

زاد ابن إسحاق في حديثه: وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط في تلك المدة؛ فخرج أخوها عُمارة والوليد ابنا عتبة؛ حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردّها عليهما بالعهد الذي كان بينه وبين قريش في الحديبية؛ فلم يفعل، أبى الله عز وجل ذلك.

وقال أيضاً في حديثه: كان ممن طلق عمر بن الخطاب؛ طلق امرأته قُرَيْبَة بنت أبي أمية بن المغيرة؛

فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان؛ وهما على شركهما بمكة، وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم عبید الله بن عمر؛ فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم، رجل من قومها؛ وهما على شركهما بمكة.

وقال الواقدي: في هذه السنة - في شهر ربيع الآخر منها - بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمر؛ فيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب؛ فأغذ السير، ونذر القوم به فهربوا؛ فنزل على مياههم وبعث الطلائع؛ فأصابوا عينا فدلهم على بعض ماشيتهم؛ فوجدوا مائتي بعير، فحذروها إلى المدينة.

قال: وفيها بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة في عشرة نفر في ربيع الأول منها، فكمّن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه؛ فما شعروا إلا بالقوم؛ فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحاً.

قال الواقدي: وفيها أسرى رسول الله ﷺ سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر في أربعين رجلاً، فساروا ليلتهم مشاة، ووافوا ذا القصة مع عمارة الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصابوا نعاماً وورثه ورجلاً واحداً، فأسلم، فتركه رسول الله ﷺ.

قال: وفيها كانت سرية زيد بن حارثة بالجُموم، فأصاب امرأة من مُزينة؛ يقال لها حليلة، فدلّتهم على محلة بني سليم، فأصابوا بها نعاماً وشاء وأسراء؛ وكان في أولئك الأسراء زوج حليلة، فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزنية زوجها ونفسها.

قال: وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأولى منها.

وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع؛ فاستجار بزينب بنت النبي ﷺ فأجارته.

قال: وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف، في جمادى الآخرة، إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار إليهم، فأصاب من نعيمهم عشرين بعيراً. قال: وغاب أربع ليال.

قال: وفيها سرية زيد بن حارثة إلى حسمى في جمادى الآخرة. قال: وكان أول ذلك - فيما حدثني موسى بن محمد، عن أبيه، قال: أقبل دحية الكلبي من عند قيصر؛ وقد أجاز دحية بمال، وكساه كسي؛ فأقبل حتى كان بحسمى، فلقيه ناس من جذام؛ فقطعوا عليه الطريق، فلم يترك معه شيء؛ فجاء إلى رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بيته فأخبره، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمى.

قال: وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح؛ أخت عاصم بن ثابت، فولدت له عاصم بن عمر؛ فطلقها عمر فتزوجها بعده يزيد بن جارية؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد؛ فهو أخو عاصم لأمه.

قال: وفيها سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب.

قال: وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان؛ وقال له رسول الله ﷺ: إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم؛ فأسلم القوم، فتزوج عبد الرحمن ثماضر بنت الأصبغ؛ وهي أم أبي سلمة؛ وكان أبوها رأسهم وملكهم.

قال: وفيها أجذب الناس جذباً شديداً، فاستسقى رسول الله ﷺ في شهر رمضان بالناس.

قال: وفيها سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى فدك في شعبان.

قال: وحديثي عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن عتبة، قال: خرج علي بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدك، إلى حي من بني سعد بن بكر؛ وذلك أنه بلغ رسول الله أن لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر؛ فسار إليهم الليل وكمن النهار؛ وأصاب عينا؛ فأقر لهم أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر.

قال: وفيها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة في شهر رمضان.

وفيها قتلت أم قرفة؛ وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، قتلها قتلاً عنيفاً؛ ربط برجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين حتى شقها شقاً؛ وكانت عجوزاً كبيرة.

وكان من قصتها ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى وادي القرى؛ فلقى به بني فزارة؛ فأصيب به أناس من أصحابه، وارثت زيد من بين القتلى، وأصيب فيها ورد ابن عمرو أحد بني سعد بني هذيم، أصابه أحد بني بدر؛ فلما قدم زيد نذر ألا يمسه رأسه غسل من جنبه حتى يغزو فزارة؛ فلما استبل من جراحه، بعثه رسول الله ﷺ في جيش إلى بني فزارة، فلقاهم بوادي القرى، فأصاب فيهم؛ وقتل قيس بن المسعر اليعمرى مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وأسر أم قرفة - وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر، عجوزاً كبيرة - وبناتها، وعبد الله بن مسعدة. فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قرفة؛ فقتلها قتلاً عنيفاً، ربط برجليها حبلين ثم ربطهما إلى بعيرين حتى شقها. ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابتة أم قرفة وبعد الله بن مسعدة؛ وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع؛ كان هو الذي أصابها، وكانت في بيت شرف من قومها، كانت العرب تقول: لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت. فسأله رسول الله ﷺ، فوهبها له، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب؛ فولدت له عبد الرحمن بن حزن.

وأما الرواية الأخرى عن سلمة بن الأكوع في هذه السرية، أن أميرها كان أبا بكر بن أبي قحافة؛ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا أبو عامر، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: أمر رسول الله ﷺ علينا أبا بكر؛ فغزونا ناساً من بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا؛ فلما صلينا الصبح، أمرنا أبو بكر فشننا الغارة عليهم. قال: فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا. قال: فأبصرت عنقاً من الناس؛ وفيهم النساء والذراري قد كادوا يسبقون إلى الجبل، فطرحت سهماً بينهما وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر؛ وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع آدم، معها ابنة لها من أحسن العرب. قال: فنقلني أبو بكر ابنتها، قال: فقدمت المدينة، فلقيني رسول الله ﷺ بالسوق، فقال: يا سلمة، الله أبوك! هب لي المرأة! فقلت: يا رسول الله؛ والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً. قال: فسكت عني حتى إذا كان من الغد لقيني في السوق، فقال: يا سلمة، الله أبوك! هب لي المرأة، فقلت: يا رسول الله؛ والله ما كشفت لها ثوباً؛ وهي لك يا رسول الله. قال: فبعث بها رسول الله إلى مكة؛ ففادى بها أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين. فهذه الرواية عن سلمة.

قال محمد بن عمر: وفيها سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ،

واستاقوا الإبل في شَوال من سنة ست؛ وبعثه رسول الله في عشرين فارساً.

قال: وفيها بعث رسول الله ﷺ الرُّسُلَ؛ فبعث في ذي الحجة ستّة نفر: ثلاثة مصطحبين؛ حاطب بن أبي بلتعة من لحَم حليف بني أسد بن عبد العزى إلى المقوقس، وشجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة - حليفاً لحرب بن أمية شهد بدرًا - إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر. وبعث سليط بن عمرو العامريّ عامر بن لؤي إلى هُوذة بن علي الحنفي. وبعث عبد الله بن حُذافة السهمي إلى كسرى. وعمرو بن أمية الضمريّ إلى النجاشي.

وأما ابنُ إسحاق - فإنه - فيما زعم، وحدثنا به ابنُ حميد - قال: حدّثنا سلمة، عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ قد فرّق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم، دعاةً إلى الله عزّ وجلّ فيما بين الحديبية ووفاته.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني ابن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب المصري، أنه وجد كتاباً فيه تسمية من بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الخائبين، وما قال لأصحابه حين بعثهم، فبعث به إلى ابن شهاب الزهريّ، مع ثقة من أهل بلده فعرفه. وفي الكتاب أن رسولَ الله ﷺ خرج على أصحابه ذاتَ غداة، فقال لهم: إني بُعثتُ رحمةً وكافةً؛ فأدّوا عني يرحمكم الله؛ ولا تختلفوا عليّ كاختلاف الحواريين على عيسى بن مريم، قالوا: يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم؟ قال: دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه؛ فأما من قُرب به فأحبّ وسليم، وأما من بُعد به فكره وأبى؛ فشكا ذلك منهم عيسى إلى الله عزّ وجلّ، فأصبحوا من ليلتهم تلك؛ وكلّ رجل منهم يتكلّم بلغة القوم الذين بُعث إليهم. فقال عيسى: هذا أمرٌ قد عزم الله لكم عليه؛ فامضوا.

قال ابنُ إسحاق: ثم فرّق رسولُ الله ﷺ بين أصحابه؛ فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أخا بني عامر بن لؤي إلى هُوذة بن عليّ، صاحب اليمامة. وبعث العلاء بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى أخي بني عبد القيس صاحب البحرين، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر بن جُلندى وعباد بن جُلندى الأزديّين صاحبيّ عُمان. وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية؛ فأدّى إليه كتابَ رسول الله ﷺ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله ﷺ أربع جوار، منهنّ مارية أمّ إبراهيم بن رسول الله ﷺ. وبعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبيّ ثم الخزجيّ إلى قيصر، وهو هرقل ملك الروم؛ فلما أتاه بكتاب رسول الله ﷺ نظر فيه ثم جعله بين فخذيه وخاصرته.

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: حدّثني أبو سفيان بن حرب، قال: كنّا قوماً تجاراً، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا؛ فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ﷺ، لم نأمن ألا نجد أمناً؛ فخرجتُ في نفر من قريش تجار إلى الشام؛ وكان وجه متجرنا منها غزّة، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس؛ وأخرجهم منها، وانتزع له منهم صليبه الأعظم؛ وكانوا قد استلبوه إياه، فلما بلغ ذلك منهم، وبلغه أن صليبه قد استنقذ له - وكانت حصن منزله - خرج منها يمشي على قدميه متشكراً لله حين ردّ عليه ما ردّ، ليصلي في بيت المقدس، تُبسّط له البُسْط، وتلقّى عليها الرياحين، فلما انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته، ومعه بطارقه وأشراف الروم، أصبح ذات غداة مهموماً يقلّب طرفه إلى السماء، فقال له

بطارقه: والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهموماً، قال: أجل، أريت في هذه الليلة أن مُلكَ الختان ظاهرًا! قالوا له: أيها الملك؛ ما نعلم أمةً تحتتن إلا يهود؛ وهم في سلطانك وتحت يدك؛ فابعث إلى كلِّ مَنْ لك عليه سلطان في بلادك، فمره فليضرب أعناقَ ذلك من رأيهم يُديرونه؛ إذ أتاه رسولُ صاحب بُصْرَى برجل من العرب، يقوده - وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها - فقال: أيها الملك؛ إن هذا الرجل من العرب من أهل الشَّاء والإبل؛ يحدث عن أمر حَدَث ببلاده عجب؛ فسأله عنه.

فلما انتهى به إلى هرقل رسول صاحب بُصْرَى، قال هرقل لترجمانه: سلّه، ما كان هذا الحدث الذي كان ببلاده؟ فسأله فقال: خرج بين أظهرنا رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، قد أتبعه ناسٌ وصدّقه، وخالفه ناسٌ؛ وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة؛ فتركتهم على ذلك. قال: فلما أخبره الخبر قال: جرّدوه، فجرّدوه؛ فإذا هو مخنُون، فقال هرقل: هذا والله الذي أريت؛ لا ما تقولون؛ أعطوه ثوبه؛ انطلق عنا. ثم دعا صاحب شرطته، فقال له: قلب لي الشَّام ظهراً وبطناً؛ حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل - يعني النبي ﷺ.

قال أبو سفيان: فوالله إننا لبغزة، إذ هجم علينا صاحب شرطته؛ فقال: أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلنا: نعم، قال: انطلقوا بنا إلى الملك؛ فانطلقنا؛ فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجل؟ قلنا: نعم، قال: فأَيكم أُمسّ به رجماً؟ قلت: أنا.

قال أبو سفيان: وإيم الله ما رأيتُ من رجل أرى أنه كان أنكر من ذلك الأغلف - يعني هرقل - فقال: أدنّه فأقعدني بين يديه، وأقعد أصحابي خلفي، ثم قال: إني سأسأله؛ فإن كَذَبَ فردّوا عليه؛ فوالله لو كذبتُ ما ردّوا عليّ؛ ولكني كنتُ امرأً سيّداً أتكرّم عن الكذب؛ وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوا ذلك عليّ؛ ثم يحدثوا به عني؛ فلم أكذبه، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدّعي ما يدّعي! قال: فجعلتُ أزهدّ له شأنه؛ وأصغرُ له أمره؛ وأقول له: أيها الملك، ما يهّمك من أمره! إن شأنه دون ما يبلغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك، ثم قال: أنبئني عمّا أسألك عنه من شأنه. قلت: سلّ عمّا بدا لك؛ قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: محضٌ؛ أوسطنا نسباً. قال: فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول، فهو يشبّه به؟ قلت: لا. قال: فهل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه؛ فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه؟ قلت: لا؛ قال: فأخبرني عن أتباعه منكم، مَنْ هم؟ قال: قلت الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه؛ فلم يتبعه منهم أحدٌ. قال: فأخبرني عمّن تبعه، أيحبه ويلزمه أم يقلّيه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه. قال: فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: سبّجاًل يُدال علينا وندال عليه؛ قال: فأخبرني هل يَغْدِر؟ فلم أجد شيئاً ممّا سألني عنه أغمره فيه غيرها، قلت: لا، ونحن منه في هُدنة، ولا نأمن غدره. قال: فوالله ما التفت إليها مني، ثم كرّ عليّ الحديث. قال: سألتك كيف نسبُه فيكم، فرعمت أنه محضٌ، من أوسطكم نسباً؛ وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه؛ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً. وسألتك: هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله؛ فهو يشبّه به؛ فرعمت أن لا؛ وسألتك: هل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه؛ فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه؟ فرعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه، فرعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء؛ وكذلك أتباع الأنبياء في كلِّ زمان، وسألتك عمّن يتبعه، أيحبه ويلزمه أم يقلّيه ويفارقه؟ فرعمت أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه. وسألتك: هل يغدر؟ فرعمت أن لا؛ فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبنّي على ما تحت قدميّ هاتين؛ ولوددت

أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك .

قال : فقمْتُ من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى ؛ وأقول : أي عبدَ الله ؛ لقد أمرَ أمرُ ابن أبي كَبْشَةَ ! أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشَّام !

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله ﷺ مع دحية بن خليفة الكلبي : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . السَّلام على من أتبع الهدى . أمَّا بعد : أسلِمَ تَسْلَمَ ، وأسلِمَ يُؤْتِكَ الله أجركَ مرتين ؛ وإن تتولَّ فإنَّ إثمَ الأكافرين عليك - يعني تحمَّلةً .

حدَّثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدَّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدَّثنا عبدالله بن إدريس ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عُتْبَةَ ، عن ابن عَبَّاس ، قال : أخبرني أبو سفيان بن حَرْب ، قال : لما كانت الهُدنة بيننا وبين رسول الله ﷺ عامَ الحديبية ، خرجتُ تاجراً إلى الشَّام . ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، إلا أنه زاد في آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذه وخاصرته .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاق ، قال : قال ابنُ شهاب الزُّهري : حدَّثني أسقفُ للنصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك في أمر رسول الله ﷺ وأمر هرقل وعقله ، قال : فلما قدم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دحية بن خليفة ، أخذه هرقل ، فجعله بين فخذه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويصفُ له شأنه ، ويخبره بما جاء منه ؛ فكتب إليه صاحب رومية : إنَّه للنبيُّ الذي كنا ننتظره ؛ لا شك فيه ؛ فاتَّبعه وصدَّقه .

فأمر هرقل ببطارقة الرُّوم ؛ فجمعوا له في دَسْكَرَة ، وأمر بها فأشْرِجَتْ أبوابها عليهم ؛ ثم أطلع عليهم من علِّيَّة له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إني قد جمعتُكم لخير ؛ إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه ؛ وإنَّه والله للنبيِّ الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا ؛ فهلِّموا فلنُتَبِّعه ونصدِّقه ، فتسلم لنا ديانا وآخرتنا .

قال : فَنَخَرُوا نَخْرَةَ رجل واحد ؛ ثم ابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرَة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت ؛ فقال : كروهم عليّ - وخافهم على نفسه - فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إني قد قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذي قد حَدَث ؛ وقد رأيت منكم الذي أسرُّ به ؛ فوقعوا له سُجْدًا ؛ وأمر بأبواب الدَّسْكَرَة ففتحت لهم ؛ فانطلقوا .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدحية بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ : ويحك ! والله إنِّي لأعلمُ أن صاحبك نبيُّ مرسل ؛ وأنَّه الَّذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا ؛ ولكني أخاف الرُّوم على نفسي ؛ ولولا ذلك لاتبعتُه ؛ فاذهب إلى صغاطر الأسقف فاذكر له أمرَ صاحبكم ؛ فهو والله أعظم في الروم مِنِّي ، وأجوز قولاً عندهم مِنِّي ؛ فانظر ما يقول لك .

قال : فجاءه دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وبما يدعوه إليه ، فقال صغاطر : صاحبك والله نبي مرسل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده في كتبنا باسمه .

ثم دخل فألقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثياباً بيضا ، ثم أخذ عصاه ؛ فخرج على الرُّوم وهم في

الكنيسة، فقال: يا معشر الروم؛ إنه قد جاءنا كتاب من أحمد؛ يدعونا فيه إلى الله عز وجل؛ وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أحمد عبده ورسوله.

قال: فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فضربوه حتى قتلوه. فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال: قد قلت لك: إنا نخافهم على أنفسنا؛ فصغاطر - والله - كان أعظم عندهم وأجور قولاً مني.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن خالد بن يسار، عن رجل من قدماء أهل الشام، قال: لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية، لما بلغه من أمر رسول الله ﷺ، جمع الروم، فقال: يا معشر الروم؛ إني عارض عليكم أموراً، فانظروا فيم قد أردتها! قالوا: ما هي؟ قال: تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل؛ إنا نجده في كتابنا نعرفه بصفته التي وصف لنا، فهلّم فلنتبعه، فتسلم لنا ديانا وآخرتنا، فقالوا: نحن نكون تحت يدي العرب؛ ونحن أعظم الناس ملكاً، وأكثرهم رجالاً، وأفضلهم بلداً!

قال: فهلّم فأعطيه الجزية في كل سنة، اكسروا عني شوكته وأستريح من حربيه بما لا أعطيه إياه، قالوا: نحن نعطي العرب الذل والصغار، بخرج يأخذونه منا؛ ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنعهم بلداً؛ لا والله لا نفعل هذا أبداً.

قال: فهلّم فلا صالحه على أن أعطيه أرض سورية، ويدعني وأرض الشام - قال: وكانت أرض سورية أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب من أرض سورية؛ وكان ما وراء الدرب عندهم الشام - فقالوا له: نحن نعطي أرض سورية؛ وقد عرفت أنها سرّة الشام؛ والله لا نفعل هذا أبداً.

فلما أبوا عليه، قال: أما والله لتروا أنكم قد ظفرتُم إذا امتنعتم منه في مدينتكم، ثم جلس على بعل له؛ فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام، ثم قال: السلام عليكم أرض سورية تسليماً الوداع، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني؛ صاحب دمشق.

وقال محمد بن عمر الواقدي: وكتب إليه معه: سلام على من اتبع الهدى، وآمن به. إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك.

فقدم به شجاع بن وهب، فقرأه عليهم، فقال: من ينزع مني ملكي! أنا سائر إليه؛ قال النبي ﷺ: بادْ مُلكه!

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً.

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت؛ إني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن؛ وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى؛ فخلق الله من روجه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى

الله وحده لا شريك له ؛ والموالاة على طاعته ؛ وأن تتبني وتؤمّن بالذي جاءني ؛ فإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمّي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ؛ فإني أدعوك وجنودك إلى الله ؛ فقد بلغت ونصحت ؛ فاقبلوا نصحي ؛ والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصحم بن أجبر . سلامٌ عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته ، من الله الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني إلى الإسلام . أما بعد ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فربّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُفروفاً ؛ إنه كما قلت ؛ وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ؛ وقد قرّينا ابن عمّك وأصحابه ؛ فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً ؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ؛ وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين ؛ وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أجبر ؛ فإني لا أملك إلا نفسي ؛ وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ؛ فإني أشهد أن ما تقول حقّ ، والسلام عليك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : وذكر لي أنّ النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة ؛ فإذا كانوا في وسط من البحر غرقت بهم سفينتهم ، فهلكوا .

وحُدثت عن محمد بن عمر ، قال : أرسل رسول الله ﷺ إلى النجاشي ليزوجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ؛ ويبعث بها إليه مع مَنْ عنده من المسلمين ، فأرسل النجاشي إلى أمّ حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها جارية له يقال لها أبرهة ؛ فأعطتها أَوْضاحاً لها وفتخاً ؛ سروراً بذلك ، وأمرها أن توكل مَنْ يزوجهها ، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوجها ، فخطب النجاشي على رسول الله ﷺ ، وخطب خالد فأنكح أمّ حبيبة ، ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها ؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد ؛ فلما جاءت أمّ حبيبة تلك الدنانير ، قال : جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالاً ، وقالت : كنت أعطيتكِ ذلك ؛ وليس بيدي شيء ، وقد جاء الله عزّ وجلّ بهذا .

فقال أبرهة : قد أمرني الملك ألاّ آخذ منك شيئاً ؛ وأن أردّ إليك الذي أخذت منك ، فرددته وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه ، وقد صدّقتُ محمداً رسول الله وآمنتُ به ؛ وحاجتي إليك أن تقرّئني مني السّلام .

قال : نعم ؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهنّ من عُود وعنبر ؛ فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكره .

قالت أمّ حبيبة : فخرجنا في سفينتين ؛ وبعث معنا النّوّاق حتى قدمنا الجار ، ثم ركبنا الظّهر إلى المدينة ؛ فوجدنا رسول الله ﷺ بخير ، فخرج مَنْ خرج إليه ، وأقمت بالمدينة حتى قدّم رسول الله ؛ فدخلتُ إليه ، فكان يسألني عن النّجاشي ؛ وقرأت عليه من أبرهة السّلام ، فردّ رسول الله ﷺ عليها ؛ ولما جاء أبا سفيان تزويجُ النبيّ ﷺ أمّ حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقْدَعُ أنفه .

وفيها كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله بن حذافة السهمي ؛ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلامٌ على مَنْ اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّي رسول الله ، إلى الناس كافّة ، لينذِر مَنْ كان حيّاً ؛ أسلِمَ تسلّم ، فإنّ أبيت فعليك إثم المجوس .

فمزَّق كتاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: مُزَّق ملكه!

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن حبيب، قال: وبعث عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، إلى كِسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كِسرى عظيم فارس؛ سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأدعوك بدعاء الله؛ فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت؛ فإن إثم المجوس عليك.

فلما قرأه ومزَّقه، وقال: يكتب إليّ هذا وهو عبدي!

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، عن الزُّهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف؛ أن عبدالله بن حذافة قدّم بكتاب رسول الله ﷺ على كِسرى، فلما قرأه شقّه، فقال رسول الله: مُزَّق ملكه! حين بلغه أنه شقَّ كتابه.

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب. قال: ثم كتب كِسرى إلى باذان؛ وهو على اليمن: أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جَلْدَيْن، فليأتياي به؛ فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفُرس يقال له خُرْحُسر، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كِسرى، وقال لبابويه: أثت بلد هذا الرجل، وكلمه وأتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش بنجب من أرض الطائف فسألاه عنهما، فقالوا: هو بالمدينة، واستبشروا بهما وفرحوا؛ وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصّب له كِسرى ملك الملوك، كُفَيْتُم الرجل!

فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ، فكلّمه بابويه، فقال: إنّ شاهانشاه ملك الملوك كِسرى؛ قد كتب إلى الملك باذان، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك؛ وقد بعثني إليك لتنتقل معي؛ فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّ عنك؛ وإن أبيت فهو من قد علمت! فهو مهلكك ومهلك قومك، ومخرّب بلادك؛ ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما؛ فكره النظر إليهما، ثم أقبل عليهما فقال: ويلكُما! من أمركما بهذا؟ قالوا: أمرنا بهذا ربنا - يعنينا كِسرى - فقال رسول الله: لكنّ ربّي قد أمرني بإعفاء لحيّتي وقصّ شاربي. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياي غداً، وأتى رسول الله الخُبْر من السماء أنّ رسول الله قد سلّط على كِسرى ابنه شيرويه؛ فقتله في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل؛ بعدما مضى من الليل؛ سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله.

- قال الواقدي: قتل شيرويه أباه كِسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها -.

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب. فدعاها فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول! إنا قد نَقَمْنَا عليك ما هو أيسرُ من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك! قال: نعم، أخبراه ذلك عني، وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كِسرى، وينتهي إلى منتهى الخُفّ والحافر؛ وقولا له:

إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك؛ وملكتك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خرّ خسره منطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجوا من عنده حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول؛ ولنتظر ما قد قال؛ فلئن كان هذا حقاً ما فيه كلام؛ إنه لنبي مرسل؛ وإن لم يكن فسرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه؛ أما بعد فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجميرهم في ثغورهم؛ فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك؛ وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لرسول. فأسلم وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم باليمن؛ فكانت حمير تقول لخرّ خسره: ذو المعجزة، للمنطقة التي أعطاه إياها رسول الله ﷺ - والمنطقة بلسان حمير المعجزة - فبنوه اليوم ينسبون إليها خرّ خسره ذو المعجزة.

وقد قال بابويه لباذان: ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه، فقال له باذان: هل معه شرط؟ قال: لا.

قال الواقدي: وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبط، يدعوه إلى الإسلام فلم يُسلم.

قال أبو جعفر: ولما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجة وبعض المحرم - فيما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

قال: وولي الحج في تلك السنة المشركون.

ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع من الهجرة غزوة خيبر

ثم دخلت سنة سبع؛ فخرج رسول الله ﷺ في بقية المحرم إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرفة الغفاري، فمضى حتى نزل بجيشه بوادٍ يقال له الرجيع؛ فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان - فيما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق - ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ.

قال: فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزول رسول الله ﷺ من خيبر، جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه؛ حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهاليهم حساً؛ ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم؛ فأقاموا في أهاليهم وأموالهم؛ وخلصوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر، وبدأ رسول الله ﷺ بالأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً؛ فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم؛ وعنده قتل محمود بن مسلمة؛ ألقيت عليه راحاً منه فقتلته؛ ثم القموص؛ حصن ابن أبي الحقيق، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا؛ منهم صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق؛ وأبنتي عم لها. فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، وكان دحية الكلبي قد سأل رسول الله ﷺ صفية؛ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها؛ وفشت السبايا من خيبر في المسلمين.

قال: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أنه حدثه بعض أسلم؛ أن بني سهم من أسلم، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله؛ واللّه لقد جهدنا وما بأيدينا شيء؛ فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه، فقال النبي: اللهم إني قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة؛ وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه؛ فافتح عليهم أعظم حصونها؛ أكثرها طعاماً وودكاً. فغدا الناس، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ؛ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه.

قال: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم الوطيط والسلايم - وكان آخر حصون خيبر افتتح - حاصرهم رسول الله ﷺ بضعة عشرة ليلة.

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخي بني حارثة، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج مرحب اليهودي من حصنهم؛ قد جمع سلاحه وهو يرتجز؛ ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ
كَانَ جِمَايَ، لِلْجَمَى لَا يُقَرَّبُ

وهو يقول: هَلْ مِنْ مَبَارَزٍ! فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟ فقام محمد بن مسلمة؛ فقال: أنا له يا رسول الله؛ أنا والله الموتور الثائر؛ قتلوا أخي بالأمس! قال: فقم إليه؛ اللهم أعنه عليه.

فلما أن دنا كل واحد منهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْرِيَّة من شجر العُشْرِ؛ فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه؛ فكلما لاذ بها اقتطع بسيفه منها ما دونه منها؛ حتى برز كل واحدٍ منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما بينهما فَنٌّ؛ ثم حمل مرحبٌ على محمد فضربه؛ فاتقاه بالدُرْقَةِ فوق سيفه فيها؛ فعَضَّتْ به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي يَاسِرٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُغَاوِرٌ
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرُ وَأُحْجِمَتْ عَنْ صَوْلَتِي الْمَغَاوِرُ
إِنْ جِمَايَ فِيهِ مَوْتُ حَاضِرٌ

وحدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة؛ أن الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ خرج إلى ياسر، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتلُ ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابني يقتله إن شاء الله. فخرج الزُّبَيْرُ وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي زُبَارٌ قَرَمٌ لِقَوْمٍ غَيْرِ نِكْسٍ فَرَارٌ
ابْنُ حُمَاةِ الْمَجْدِ وَأَبْنُ الْأَخْيَارِ يَاسِرُ لَا يَغْرُرُكَ جَمْعُ الْكُفَّارِ
فَجَمْعُهُمْ مِثْلُ السَّرَابِ الْجَرَارِ

ثم التقيا فقتله الزبير.

حدثنا ابنُ بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عَوْفٌ، عن ميمون أبي عبد الله، أن عبد الله بن بُرَيْدَةَ حَدَّثَ عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قال: لما كان حين نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر، أعطى رسول الله ﷺ اللواءَ عمر بن الخطاب، ونهضَ مَنْ نهضَ معه من الناس؛ فلقوا أهل خيبر؛ فأنكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ؛ يَجِيئُهُ أَصْحَابُهُ وَيَجِبْنَهُمْ، فقال رسول الله ﷺ: لأُعْطِينَ اللِّوَاءَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فلما كان من الغد تطاولَ لها أبو بكر وعمر؛ فدعا عليًّا عليه السلام وهو أَرْمَدٌ، فتنزل في عينيه، وأعطاه اللواءَ؛ ونهضَ معه من الناس مَنْ نهضَ. قال: فلقي أهل خيبر؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ

فاختلف هو وعليٌّ ضربتين؛ فضربه عليٌّ على هامتيه؛ حتى عضَّ السيف منها بأضراسه؛ وسمع أهل

العسكر صوت ضربه؛ فما تنام آخر الناس مع علي عليه السلام حتى فتح الله له ولهم.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا المسيب بن مسلم الأودي، قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة، فلبث اليوم واليومين لا يخرج. فلما نزل رسول الله ﷺ خبير أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس. وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله؛ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً؛ ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول؛ ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله، فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يأخذها عنوة - قال: وليس ثم علي عليه السلام - فتناولت لها قريش، ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك؛ فأصبح فجاء علي عليه السلام على بعيره، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد، وقد عصب عينيه بشقة برد قطري؛ فقال رسول الله ﷺ: مالك؟ قال: رمذت بعد، فقال رسول الله ﷺ: ادن مني، فدنا فتفل في عينيه، فما وجعها حتى مضى لسبيله. ثم أعطاه الراية؛ فهض بها معه وعليه حلة أرجوان حمراء قد اخرج خملها. فأتى مدينة خيبر؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفريمان، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجربُ

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمّني أمي حيدرَ أكيلكم بالسيف كيل السندرة
ليث بغابات شديد قسورة

فاختلفا ضربتين؛ فبدره علي فضربه، فقد الحجر والمغفر ورأسه؛ حتى وقع في الأضراس. وأخذ المدينة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن الحسن؛ عن بعض أهله، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله؛ فقاتلهم فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده؛ فتناول علي رضي الله عنه باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل؛ حتى فتح الله عليه؛ ثم ألقاه من يده حين فرغ؛ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ولما فتح رسول الله ﷺ القموص، حصن ابن أبي الحقيق، أتى رسول الله بصفية بنت حبي بن أخطب، وبأخرى معها؛ فمر بها بلال - وهو الذي جاء بها - على قتل من قتل يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها، وحث التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أغربوا عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقي عليها رداؤه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه فقال رسول الله ﷺ لبلال - فيما بلغني - حين رأى من تلك اليهودية ما رأى: أنزع منك الرحمة يا بلال؛ حيث تمر بأمرأتين على قتلى رجالهما! وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق؛ أن قمرأ وقع في حجرها؛ فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها؛ فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها، فسألها: ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر.

قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق - وكان عنده كنز بني النضير - فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه؛ فأتى رسول الله ﷺ برجل من يهود؛ فقال لرسول الله ﷺ: إني قد رأيت كِنانة يُطِيفُ بهذه الخربة كلَّ غداة. فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرايتَ إن وَجَدناه عندك، أَأَقْتَلَك؟ قال: نعم؛ فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحُفِرَتْ؛ فأخرج منها بعض كنزهم؛ ثم سأله ما بقي، فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، فقال: عذِّبه حتى تستأصل ما عنده؛ فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه؛ ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم، الوطيط والسَّلام؛ حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم؛ ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشَّقَّ ونطاة والكِيبية؛ وجميع حصونهم إلا ما كان من ذِيْنِكَ الحصنين. فلما سمع بهم أهل فَدَكْ قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم لهم، ويخلُّوا له الأموال، ففعل، وكان فيمن مشى بينهم وبين رسول الله ﷺ في ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود؛ أخو بني حارثة؛ فلما نزل أهل خيبر على ذلك؛ سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم بالأموال على النِّصْف، وقالوا: نحن أعلم بها منك؛ وأعمرها؛ فصالحهم رسول الله ﷺ على النِّصْف؛ على أن إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ وصالحه أهل فَدَكْ على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين، وكانت فَدَكْ خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يَجْلِبُوا عليها بخيلٍ ولا ركاب. فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سَلَام بن مشكم شاة مصلية؛ وقد سألت: أيُّ عُضْوٍ من الشاة أحبُّ إلى رسول الله؟ فقيل لها: الذراع؛ فأكثرَتْ فيها السَّم، فسَمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع؛ فأخذها فلاك منها مُضغَةً فلم يُسَغِّها؛ ومعه بشر بن البراء بن معرور؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها؛ وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم؛ ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخفَ عليك، فقلتُ: إن كان نبياً فسيُخبر؛ وإن كان ملكاً استرحتُ منه؛ فتجاوز عنها النبي ﷺ. ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

حدَّثنا ابنُ حميد؛ قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق؛ عن مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى، قال: وقد كان رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي توفّي فيه - ودخلت عليه أم بشر بن البراء تَعُوده: يا أمَّ بشر؛ إنَّ هذا الأوَانُ وجدت انقطاع أبهرِي من الأكلة التي أكلتُ مع ابنك بخيبر.

قال: وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة.

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ذكر غزوة رسول الله ﷺ وادي القرى

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ثور بن زيد، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع، عن أبي هريرة، قال: لما انصرفنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى، نزلنا أصلاً مع مغارب الشمس، ومع رسول الله ﷺ غلامٌ له؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجُدَامي، ثم الضُّبِّيُّ؛ فوالله إنا لنضع رَحْلَ

رسول الله ﷺ إذ أتاه سهمٌ غَرَبَ؛ فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنة! فقال رسول الله ﷺ: كلا والذي نفس محمد بيده، إنَّ شَمْلَتَهُ الآنَ لَتُحْرَقُ عليه في النار. قال: وكان غُلَّها من فيء المسلمين يوم خيبر.

قال: فسمعها رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فأتاه، فقال: يا رسول الله، أصبتُ شِرَاكينَ لنعلين لي، قال: فقال: يُقَدُّ لك مثلها من النار.

وفي هذه السَّفرَةِ نام رسول الله ﷺ وأصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس؛ حَدَّثَنَا ابنُ حميد، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عن ابنِ إسحاق، عن الزهري، عن سعيد بن المسيَّب، قال: لَمَّا انصرف رسول الله ﷺ من خيبر؛ وكان ببعض الطريق، قال من آخر الليل: مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر، لعلنا ننام؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله أحفظ لك؛ فنزل رسول الله ﷺ، ونزل الناس فناموا؛ وقام بلال يصلي، فصَلَّى ما شاء الله أن يُصَلِّي ثم استند إلى بغيره؛ واستقبل الفجر يرمقه؛ فغلبته عينه، فنام فلم يُوقِظْهم إلا مسُّ الشمس؛ وكان رسول الله ﷺ أوَّلَ أصحابه هبَّ من نومه، فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال! فقال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله ﷺ غير كثير، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصَلَّى بالناس، فلَمَّا سَلِمَ أَقبل على الناس، فقال: إذا نسيتم الصلاة، فصلُّوها إذا ذكروها، فإن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(١).

قال ابن إسحاق: وكان فتح خيبر في صفر.

قال: وشهد مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين، فرضخَ لهنَّ رسول الله من الفَيء ولم يضربَ لهنَّ بسهم.

قال: ولما فتحت خيبر قال الحجاج بن علاط السُّلَميُّ ثم البَهْزِيُّ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ إنَّ لي مالاً بمكة عند صاحبتَي أم شيبَةَ بنت أبي طلحة - وكانت عنده، له منها مُعَرَّضُ بن الحجاج - ومال متفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله. فأذن له رسول الله ﷺ، ثم قال: إنه لا بدَّ لي من أن أقول، قال: قل، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة، فوجدت بشيَّةَ البيضاء رجلاً من قريش يتسمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار؛ فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط - ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر! أخبرنا بأمر محمد، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر؛ وهي بلدة يهود وريف الحجاز. قال: قلت: قد بلغني ذلك، وعندي من الخبر ما يسركم. قال: فالتاطوا بجَنِيي نأقي يقولون: إيه يا حجاج! قال: قلت: هُزِمُوا هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط؛ وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسرَ محمدُ أسراً، وقالوا: لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا فصاحوا بمكة وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقَدَّمَ به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة على غرمائي؛ فإنِّي أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من قَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قال: فقاموا فجمعوا مالي كأحَثِّ جَمْعٍ سمعت به. فجئت صاحبتَي فقلت: مالي - وقد كان لي عندها مال

موضوع - لعلي الحق بخير فأصيب من فُرْصِ البيع قبل أن يسبقني إليه التجار. فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي، وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الذي جئت به؟ قال: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم، قلت فاستأجر عني حتى ألقاك على خلاء، فإني في جمع مالي كما ترى؛ فانصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت الخروج، لقيت العباس، فقلت: احفظ علي حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت. قال: أفعل، قال: قلت فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على ابنة ملكهم - يعني صفية بنت حيي بن أخطب - ولقد افتتح خير، وانتثل ما فيها؛ وصارت له ولأصحابه. قال: ما تقول يا حجاج! قال: قلت: إي والله؛ فאתم علي؛ ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك؛ فهو والله على ما تحب. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلق وأخذ عصاه؛ ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها؛ فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلد لحر المصيبة! قال: كلا والذي حلفت به! لقد افتتح محمد خير، وترك عروساً على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحت له ولأصحابه. قالوا: مَنْ جاءك بهذا الخير؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلماً، وأخذ ماله وانطلق ليلحق برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يال عباد الله! أفلت عدو الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم ينشؤوا أن جاءهم الخبر بذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت المقاسم على أموال خير على الشق ونطاة والكثبة؛ فكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين، وكانت الكثبة خمس الله عز وجل وخمس النبي ﷺ؛ وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطعم أزواج النبي، وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فذك بالصُّلح؛ منهم مُحِيصَة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ منها ثلاثين وسق شعير، وثلاثين وسق تمر. وقُسمت خير على أهل الحديبية؛ مَنْ شهد منهم خير ومن غاب عنها، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم مَنْ حضرها.

قال: ولما فرغ رسول الله ﷺ من خير قذف الله الرُّعب في قلوب أهل فذك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خير؛ فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فذك، فقدمت عليه رُسُلهم بخير أو بالطائف، وإما بعد ما قديم المدينة، فقبل ذلك منهم؛ فكانت فذك لرسول الله ﷺ خاصة، لأنه لم يُوجِفْ عليها بخيل ولا ركاب.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كان رسول الله ﷺ يبعث إلى أهل خير عبد الله بن رواحة خارصاً بين المسلمين ويهود، فيخرص عليهم؛ فإذا قالوا: تعديت علينا، قال: إن شئتم فلکم؛ وإن شئتم فلنا؛ فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض.

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة؛ ثم أصيب بمؤتة، فكان جبار بن صخر بن خنساء، أخو بني سلمة؛ هو الذي يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم؛ حتى عدوا في عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق، قال: سألتُ ابنَ شهاب الزُّهري: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النخل على خَرَجِها؟ أبتَ ذلك لهم حتى قبض، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟

فأخبرني ابنُ شهاب أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عَنوةً بعد القتال؛ وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله؛ خمسها رسول الله وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الإجلاء بعد القتال؛ فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم؛ وأقركم ما أقركم الله. فقبلوا، فكانوا على ذلك يعملونها. وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها، ويعدل عليهم في الخرص؛ فلما توفى الله عز وجل نبيه ﷺ أقرها أبو بكر بعد النبي في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفى، ثم أقرها عمر صدراً من إمارته؛ ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبض فيه: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت، فأرسل إلى يهود أن الله قد أذن في إجلائكم؛ فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له؛ ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء؛ فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم.

قال أبو جعفر: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

قال الواقدي: في هذه السنة رد رسول الله ﷺ زينب ابنته على أبي العاص بن الربيع؛ وذلك في المحرم. قال: وفيها قديم حاطب بن أبي بلتعة من عند الموقس بمارية وأختها سيرين وبغلته دُلْدُل وحماره يعفور وكسأ؛ وبعث معهما بخصي فكان معهما، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما؛ فأسلمت هي وأختها، فانزلهما رسول الله ﷺ على أم سليم بنت ملحان - وكانت مارية وضيئة - قال: فبعث النبي ﷺ بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن بن حسان.

قال: وفي هذه السنة اتَّخذ النبي ﷺ منبره الذي كان يخطبُ الناس عليه، واتَّخذ درجتين ومقعده.

قال: ويقال إنه عمل في سنة ثمان. قال: وهو الثبوت عندنا.

قال: وفيها بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عَجَز هوازن بترَبَّة، فخرج بدليل له من بني هلال؛ وكانوا يسيرون الليل، ويكمنون النهار، فأق الخبر هوازن فهربوا؛ فلم يلق كيداً، ورجع.

قال: وفيها سرية أبي بكر بن أبي قحافة في شعبان إلى نجد؛ قال سلمة بن الأكوع: غزونا مع أبي بكر في تلك السنة.

قال أبو جعفر: قد مضى خبرها قبل.

قال الواقدي: وفيها سرية بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك في شعبان في ثلاثين رجلاً، فأصيب أصحابه وأرُتت في القتلى، ثم رجع إلى المدينة.

قال أبو جعفر: وفيها سرية غالب بن عبد الله في شهر رمضان إلى الميِّعة؛ فحدَّثنا ابنُ حميد قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله

الكلبي إلى أرض بني مرة، فأصاب بها مرداس بن نهيك حليفاً لهم من الحرقة من جهينة؛ قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار.

قال أسامة: لما غَشِيناه، قال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرناه الخبر؛ فقال: يا أسامة، مَنْ لك بلا إله إلا الله!

قال الواقدي: وفيها سرية غالب بن عبد الله إلى بني عبد بن ثعلبة؛ ذكر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن ابن أبي عون، عن يعقوب بن عتبة، قال: قال يسار مولى رسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ إني أعلم غيرة من بني عبد بن ثعلبة، فأرسل معه غالب بن عبد الله في مائة وثلاثين رجلاً؛ حتى أغاروا على بني عبد، فاستاقوا النعم والشاء، وحذروها إلى المدينة.

قال: وفيها سرية بشير بن سعد إلى ثَمَن وجَنَاب، في شَوال من سنة سبع، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدثه عن سعد بن عباد، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد، قال: الذي أهاج هذه السرية أن حُسَيْل بن نيرة الأشجعي - وكان دليل رسول الله ﷺ إلى خير - قَدِم على النبي ﷺ، فقال: ما وراءك؟ قال: تركت جمعاً من غطفان بالجَنَاب قد بعث إليهم عيينة بن حِصْن ليسيروا إليكم، فدعا رسول الله بشير بن سعد، وخرج معه الدليل حُسَيْل بن نيرة، فأصابوا نَعْمًا وشَاءً؛ ولقيهم عبدُ لُعينة بن حِصْن فقتلوه، ثم لقوا جمع عيينة؛ فانهزم، فلقيه الحارث بن عوف منهزماً، فقال: قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى.

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خَيْبَر، أقام بها شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان وشهر رمضان وشَوالاً؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه، ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرَةَ القضاء مكان عُمرته التي صدّوه عنها؛ وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عُمرته تلك، وهي سنة سبع؛ فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه؛ وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسر وجُهد وحاجة.

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن عُمارة، عن الحكم بن عُتيبة، عن مِقْسَم، عن ابن عباس، قال: اصطَفُوا رسول الله ﷺ عند دار النَّدوة لينظروا إليه وإلى أصحابه؛ فلما دخل رسول الله المسجد، اضطجع بردائه، وأخرج عَضْدَه اليمنى، ثم قال: رَحِمَ الله أَمراً أراهم اليوم من نفسه قُوَّة! ثم استلم الركن. وخرج يُهْرُولُ ويهرول أصحابه معه حتى إذا وارهأ البيت منهم؛ واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الأسود، ثم هَزُولَ كذلك ثلاثة أطواف؛ ومشى سائرهما.

وكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم؛ وذلك أن رسول الله إنما صنعها لهذا الحَي من قريش للذي بلغه عنهم؛ حتى حج حجة الوداع، فرَمَلَهَا، فمضت السنة بها.

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العُمرة، دخلها وعبد الله بن رواحة أخذُ بِخِطام ناقته؛ وهو يقول:

خَلُّوا بني الكُفَّارِ عن سَبِيلِهِ إِنِّي شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُهُ
خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

أَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء بن رباح ومجاهد، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك؛ وهو حرام؛ وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأثاه حُوَيْطُبُ بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، في نفر من قريش في اليوم الثالث، وكانت قريش وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك فأخرج عنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم فصنعنا لكم طعاماً فحضرتوه! قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فأخرج عنا. فخرج رسول الله ﷺ وخلف أبا رافع موله على ميمونة؛ حتى آثاه بها بسر، فبني عليها رسول الله ﷺ هنالك، وأمر رسول الله ﷺ أن يُبَدِّلُوا الْهُدْيَ وَأَبْدَلْهُمْ مَعَهُمْ، فَعَزَّتْ عَلَيْهِمُ الْإِبِلُ فَرَحَّصَ لَهُمُ فِي الْبَقَرِ؛ ثُمَّ انصرفت رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة، فأقام بها بقية ذي الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفر وشهر ربيع، وبعث في جهادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة.

وقال الواقدي: حدَّثني ابن أبي ذئب، عن الزهري، قال: أمرهم رسول الله ﷺ أن يعتمروا في قابل قضاء لعمرة الحديبية، وأن يهدوا.

قال: وحدَّثني عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: لم تكن هذه العمرة قضاءً، ولكن كان شرط على المسلمين أن يعتمروا قابلاً في الشهر الذي صدَّهم المشركون فيه.

قال الواقدي: قول ابن أبي ذئب أحب إلينا، لأنهم أحصروا ولم يصلوا إلى البيت.

وقال الواقدي: وحدَّثني عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن محمد بن إبراهيم، قال: ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضية ستين بدنة.

قال: وحدَّثني مُعَاذُ بن محمد الأنصاري، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: حمل السلاح والبيض والرماح، وقاد مائة فرس، واستعمل على السلاح بشير بن سعد، وعلى الخيل محمد بن مسلمة، فبلغ ذلك قريشاً فراعهم، فأرسلوا مكرز بن حفص بن الأخيف، فلقية بمر الظهران، فقال له: ما عرفت صغيراً ولا كبيراً إلا بالوفاء؛ وما أريد إدخال السلاح عليهم؛ ولكن يكون قريباً إلي. فرجع إلى قريش فأخبرهم.

قال الواقدي: وفيها كانت غزوة ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم في ذي القعدة؛ بعثه رسول الله ﷺ إليهم بعد ما رجع من مكة في خمسين رجلاً، فخرج إليهم.

قال أبو جعفر: فلقية - فيها حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر - بنو سليم، فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً.

قال أبو جعفر: أما الواقدي فإنه زعم أنه نجا ورجع إلى المدينة، وأصيب أصحابه.

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفيت - فيما زعم الواقدي - زينب ابنة رسول الله ﷺ، عن يحيى بن عبدالله بن أبي قتادة، عن عبدالله بن أبي بكر.

قال: وفيها أغزى رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الليثي في صفر إلى الكديد إلى بني الملوّح .

قال أبو جعفر: وكان من خبر هذه السرية وغالب بن عبدالله؛ ما حدّثني إبراهيم بن سعيد الجوهري وسعيد بن يحيى بن سعيد - قال إبراهيم: حدّثني يحيى بن سعيد، وقال سعيد بن يحيى: حدّثني أبي - وحدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة؛ جميعاً عن ابن إسحاق، قال: حدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة، عن مسلم بن عبدالله بن حبيب الجهني، عن جندب بن مكيث الجهني، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الكلبي؛ كلب ليث، إلى بني الملوّح بالكديد، وأمره أن يُغِيرَ عليهم، فخرج - وكنت في سريره - فمضينا؛ حتى إذا كنا بقديد لقينا بها الحارث بن مالك - وهو ابن البرصاء الليثي - فأخذناه فقال: إني إنما جئت لأسلم؛ فقال غالب بن عبدالله: إن كنت إنما جئت مسلماً، فلن يضرك رباط يوم وليلة؛ وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك. قال: فأوثقه رباطاً ثم خلف عليه رُويلاً أسود كان معنا، فقال: امكث معه حتى نمرّ عليك، فإن نازعك فاحترّ رأسه. قال: ثم مضينا حتى أتينا بطن الكديد، فنزلنا عَشِيرَةً بعد العصر، فبعثني أصحابي رَيْثَةً، فَعَمَدْتُ إلى تلّ يطلعي على الحاضر، فانبطحت عليه - وذلك قُبَيْلَ المغرب - فخرج منهم رجل، فنظر فرآني منبطحاً على التلّ، فقال لامرأته: والله إنّي لأرى على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيته أوّل النهار؛ فانظري لا تكون الكلاب جرّت بعض أوعيتك. فنظرت فقالت: والله ما أفقد شيئاً. قال: فناوليني قوسي وسهمين من نَبْلِي، فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي. قال: فنزعتُه فوضعتُه، ولم أتحرك. ثم رماني بالآخر، فوضعه في رأس منكمي، فنزعتُه فوضعتُه ولم أتحرك. فقال: أما والله لقد خالطه سهماي، ولو كان ربيّة لتحرّك؛ فإذا أصبحت فاتبعي سهمي فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب، قال: فأمهلناهم حتى راحت رائحتهم، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا، وذهبت عَتَمَةٌ من الليل شتّنا عليهم الغارة، فقتلنا مَنْ قتلنا واستقنا النعم؛ فوجّهنا قافلين؛ وخرج صَرِيخُ القوم إلى القوم مُغَوَّثاً. قال: وخرجنا سِراعاً حتى نمرّ بالحارث بن مالك؛ ابن البرصاء، وصاحبه؛ فانطلقنا به معنا، وأتانا صَرِيخُ الناس، فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قُدَيْد، بعث الله عزّ وجلّ من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا خالاً، فجاء بما لا يقدر أحدٌ أن يقدم عليه؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا، ما يقدّر أحدٌ منهم أن يقدم ولا يتقدّم؛ ونحن نحدوها سراعاً؛

حتى أسندناها في المشلل ؛ ثم حدرناها عنها ؛ فأعجزنا القوم بما في أيدينا ، فما أنسى قول راجز من المسلمين ؛ وهو يحدوها في أعقابها ، ويقول :

أَبَى أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزَّبِي فِي خَضَلٍ نَبَاتُهُ مُغْلُولِبٌ
صُفْرٍ أَعَالِيهِ كُلُّونِ الْمُذْهَبِ

حدَّثنا ابنُ حميد، قال : حدَّثنا سلمة، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق، عن رجل من أسلم، عن شيخ منهم، أن شِعَارَ أصحابِ رسول الله ﷺ تلك الليلة كان : أَمِتْ أَمِتْ .

قال الواقدي : كانت سرية غالب بن عبد الله بضعة عشر رجلاً .

قال : وفيها بعث رسولُ الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ؛ وكتب إليه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المنذر بن ساوى . سلامٌ عليك ؛ فإنِّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإنَّ كتابك جاءني ورسلك . وإنه من صليَّ صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا ، واستقبل قبَلتنا فإنه مسلم ؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومنَّ أبى فعلية الجزية . قال : فصالحهم رسولُ الله ﷺ على أنَّ على المجوس الجزية ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نسأؤهم .

قال : وفيها بعث رسولُ الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وَعَبَّاد ابْنِي جُلَنْدَى بَعْمَانَ ، فصدقا النبي ، وأقرأ بما جاء به ، وصدق أموالهما ، وأخذ الجزية من المجوس .

قال : وفيها سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر ، في شهر ربيع الأول في أربعة وعشرين رجلاً ، فشنَّ الغارة عليهم ، فأصابوا نَعْمًا وشاءً ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ؛ لكل رجل .

قال : وفيها كانت سرية عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات أطلاق ، خرج في خمسة عشر رجلاً ؛ حتى انتهى إلى ذات أطلاق ، فوجد جمعاً كثيراً ، فدعَّوهم إلى الإسلام ، فأبوا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحابَ عمرو جميعاً ، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدي : وذات أطلاق من ناحية الشام ، وكانوا من قُضاعة ، ورأسهم رَجُلٌ يقال له سَدُوس .

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله ﷺ ، قد أسلم عند النجاشي ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدري ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ، قدموا المدينة في أوَّل صفر .

قال أبو جعفر : وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى بن أبي أوس ، عن حبيب بن أبي أوس ، قال : حدَّثني عمرو بن العاص من فيه إلى أذني ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعْتُ رجلاً من قريش كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أنَّي لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً مُنْكَراً . وإنِّي قد رأيت رأياً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قلت : رأيتُ أن نلحق بالنجاشي ، فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنَّا عند النجاشي ، فلأن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ؛ وإن يظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ؛ فلا يأتينا منهم إلا خيراً . فقالوا : إنَّ هذا لرأيي . قلت : فاجمعوا له ما يُهدي إليه - وكان أحبُّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم - فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ؛ فوالله إنا لعنده ؛ إذ

جاءه عمرو بن أمية الضمري - وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه - قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه؛ فأعطانيه فضربت عنقه! فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد.

فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي! أهديت لي شيئاً من بلادك؟ قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدماً كثيراً، ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه؛ ثم قلت له: أيها الملك؛ إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك؛ وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب، ثم مَدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره - يعني النجاشي - فلو انشقت الأرض لي لدخلت فيها فرقاً منه. ثم قلت: والله أيها الملك لو ظننت أنك تكبره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، لتقتله! فقلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه؛ فإنه والله لعلّ الحق، وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قال: قلت: فتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي؛ وقد حال رأيي عَمًا كان عليه، وكنمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم؛ فلقيت خالد بن الوليد - وذلك قبل الفتح - وهو مقبل من مكة، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم؛ وإن الرجل لنبي، أذهب والله أسلم؛ فحتي متي! فقلت: والله ما جئت إلّا لأسلم، فقدمنا على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أباعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر! فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو، بايع فإن الإسلام يحب ما قبله، وإن الهجرة تحب ما قبلها. فبايعته ثم انصرفت.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عمن لا أنهم؛ أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معها، أسلم حين أسلمها.

ذكر ما في الخبر عن الكائن كان من الأحداث المذكورة في سنة ثمان من سني الهجرة

فمّا كان فيها من ذلك توجيهُ رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في جُمادى الآخرة إلى السّلاسل من بلاد قُضاة في ثلاثمائة؛ وذلك أن أمّ العاص بن وائل - فيما ذكر - كانت قُضاة، فذكر أن رسول الله ﷺ أراد أن يتألّفهم بذلك، فوجّهه في أهل الشرف من المهاجرين والأنصار ثم استمدّ رسول الله ﷺ، فأمدّه بأبي عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر في مائتين، فكان جميعهم خمسمائة.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى أرض بليّ وعُدّة، يستنفر الناس إلى الشام؛ وذلك أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألّفهم بذلك؛ حتى إذا كان على ماء بأرض جُدام، يقال له

السلاسل - وبذلك سُميت تلك الغزوة ذات السلاسل - فلما كان عليه خاف، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم، وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو بن العاص: إنما جئت مدداً لي، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله قد قال لي: لا تختلفا؛ وأنت إن عصيتني أطعك، قال: فأنا أمير عليك؛ وإنما أنت مدد لي، قال: فدونك! فصلّى عمرو بن العاص بالناس.

قال الواقدي: وفيها كانت غزوة الخبط؛ وكان الأمير فيها أبو عبيدة بن الجراح، بعثه رسول الله ﷺ في رجب منها، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار قبل جُنيّة، فأصابهم فيها أزل شديد وجهد، حتى اقتسموا التمر عدداً.

وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عمّي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدثه أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: خرجنا في بعث ونحن ثلاثمائة، وعلينا أبو عبيدة بن الجراح، فأصابنا جوع، فكنا نأكل الخبط ثلاثة أشهر؛ فخرجت دابة من البحر يقال لها العنبر، فمكثنا نصف شهر، نأكل منها، ونحرق رجل من الأنصار جزائر، ثم نحر من الغد كذلك؛ فنهاه أبو عبيدة، فانتهى.

قال عمرو بن دينار - وسمعت ذكوان أبا صالح قال: إنه قيس بن سعد.

قال عمرو: وحدثني بكر بن سودة الجذامي، عن أبي جرة، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك، إلا أنه قال: جهدوا؛ وقد كان عليهم قيس بن سعد، ونحر لهم تسع ركائب، وقال: بعثهم في بعث من وراء البحر؛ وإن البحر ألقى إليهم دابة؛ فمكثوا عليها ثلاثة أيام يأكلون منها ويقعدون ويغرفون تحمها؛ فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك من أمر قيس بن سعد، فقال رسول الله: إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت، وقال في الحوت: لو نعلم أنا نبلغه قبل أن يُروّج لأحببنا أن لو كان عندنا منه شيء؛ ولم يذكر الخبط ولا شيئاً سوى ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر، قال: زودنا النبي ﷺ جراباً من تمر، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة، ثم تمر تمر، فتمصّها ونشرب عليها الماء إلى الليل؛ حتى نفد ما في الجراب، فكنا نجني الخبط، فجعلنا جوعاً شديداً. قال: فألقي لنا البحر حوتاً ميتاً، فقال أبو عبيدة: جياع كلوا، فأكلنا - وكان أبو عبيدة ينصب الضلع من أضلاعه فيمرّ الراكب على بعيه تحته، ويجلس النفر الخمسة في موضع عينه - فأكلنا وأذهنا حتى صلّحت أجسامنا، وحسنت شحماتنا؛ فلما قدمنا المدينة قال جابر: فذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فقال: كُلُوا رزقاً أخرج الله عزّ وجلّ لكم، معكم منه شيء؟ - وكان معنا منه شيء - فأرسل إليه بعض القوم فأكل منه.

قال الواقدي: وإنما سميت غزوة الخبط، لأنهم أكلوا الخبط حتى كأن أشداقهم أشداق الإبل العضة.

قال: وفيها كانت سرية وجهها رسول الله ﷺ في شعبان، أميرها أبو قتادة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم، عن عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي، قال: تزوّجت امرأة من قومي، فأصدقها مائتي درهم،

فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي، فقال: وكم أصدقت؟ قلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: سبحان الله، لو كنتم إنما تأخذون الدراهم من بطن وادٍ ما زدتم! والله ما عندي ما أعينك به. قال: فلبثت أياماً؛ وأقبل رجلٌ من بني جُشم بن معاوية يقال له رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - في بطنٍ عظيم من جُشم؛ حتى نزل بقومه ومَنْ معه بالغابة؛ يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله ﷺ.

قال: وكان ذا اسمٍ وشرفٍ في جُشم. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين، من المسلمين فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوناه به؛ أو تأتوناه منه بخيرٍ وعلم. قال: وقدم لنا شارفاً عجفاء، فحمل عليها أحدنا؛ فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دَعَمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت. ثم قال: تَبَلَّغُوا على هذه واعتقبوها.

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف؛ حتى جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَّةً مع غروب الشمس، فكنمت في ناحية، وأمرت صاحبي، فكنمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبرت وشدت على العسكر فكبراً وشداً معي.

قال: فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرةً أو نصيب منهم شيئاً، غَشِينَا الليل حتى ذهب فحمة العشاء؛ وقد كان لهم راعٍ قد سَرَحَ في ذلك البلد، فأبطأ عليهم حتى تحوُّفوا عليه.

قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعه بن قيس، فأخذ سيفه، فجعله في عنقه ثم قال: والله لأتبعن أثر راعينا هذا؛ ولقد أصابه شرٌّ. فقال نَفَرٌ مَن معه: والله لا تذهب، نحن نكفيك! فقال: والله لا يذهب إلا أنا، قالوا: فنحنُ معك، قال: والله لا يتبعني منكم أحد.

قال: وخرج حتى مرَّ بي، فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعت في فؤاده، فوالله ما تكلم، ووثبت إليه فاحتزرت رأسه، ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت؛ وشدَّ صاحباي وكبرا؛ فوالله ما كان إلا النجاء مَن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم؛ وما خفَّ معهم من أموالهم.

قال: فاستقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ، وجئت برأسه أحمله معي، قال: فأعاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً، فجمعتُ إليَّ أهلي.

وأما الواقدي، فذكر أن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة، حدّثه عن أبيه، أن النبي ﷺ بعث ابن أبي حذرد في هذه السرية مع أبي قتادة، وأن السرية كانت ستة عشر رجلاً، وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة، وأن سُهْمَانِمْ كانت اثني عشر بعيراً يُعَدِّلُ البعير بعشرٍ من الغنم، وأنهم أصابوا في وجوههم أربع نسوة؛ فيهن فتاة وضيفة، فصارت لأبي قتادة، فكلمَ مُحَمِّمَةَ بن الجزء فيها رسول الله ﷺ، فسأل رسول الله ﷺ أبا قتادة عنها، فقال: اشتريتها من المغنم، فقال: هَبْهَا لي، فوهبها له، فأعطاه رسول الله ﷺ محمية بن جزء الزبيدي.

قال: وفيها أغزى رسول الله ﷺ في سرية أبا قتادة إلى بطن إضم. حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عبدالله بن قُسيط، عن أبي القعقاع بن عبدالله بن أبي حذرد الأسلمي. وقال بعضهم عن ابن القعقاع - عن أبيه، عن عبدالله بن أبي حذرد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربيعٍ ومحلّم بن جثامة بن قيس الليثي، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن

إِضْمَ - وكانت قبل الفتح - مَرَبْنَا عارم بن الأصبط الأشجعي على قعود له، معه مُتَبِّعٌ له ووطب من لبن. فلَمَّا مَرَّ بنا سَلَّمَ علينا بتحيةة الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محَلَم بن جَثَامَة الليثي لشيء كان بينه وبينه؛ فقتله وأخذ بغيره ومتبعه، فلَمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...﴾^(١) الآية.

وقال الواقدي: إنما كان رسول الله ﷺ بعث هذه السرية حين خرج لفتح مكة في شهر رمضان، وكانوا ثمانية نفر.

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه، قال: لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر؛ أقام بها شهرين ربيع، ثم بعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان؛ واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فتجهز الناس، ثم تهيؤوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم وودَّعهم؛ فلَمَّا ودَّع عبد الله بن رواحة مع من ودَّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا له: ما يُبكيك يا بن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صباة بكم؛ ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٢). فلست أدري كيف لي بالصَّدرِ بعد الورود! فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لِكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدِي حَرَّانَ مُجَهِّزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا
حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي أُرْشَدَكَ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا!

ثم إن القوم تهيؤوا للخروج، فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله ﷺ فودَّعه، ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم؛ حتى إذا ودَّعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة:

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَّعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ وَخَلِيلٍ

ثم مضوا حتى نزلوا مُعَانٍ من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة

(١) سورة النساء: ٩٤.

(٢) سورة مريم: ٧١.

ألف من الروم ، وانضمت إليه المستعربة من لحَم وجُذام وبلقيَن وبَهراء وبليّ في مائة ألف منهم ؛ عليهم رجلٌ من بليّ، ثم أحد إراشة، يقال له : مالك بن رافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مُعان ليلتين، ينظرون في أمرهم، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا، فإذا أن يُمدنا برجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال : يا قوم ؛ والله إن الذي تكرهون للذي خَرَجْتُم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلّا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا، فإذا هي إحدى الحسنيين ؛ إما ظهور ؛ وإما شهادة، فقال الناس : قد والله صدّق ابنُ رواحة . فمضى الناس، فقال عبد الله بن رواحة في محبسهم ذلك :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ آجَامٍ قُرَحْ	تَغَرُّمِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سِبْتًا	أَزَلُّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مُعَانٍ	فَاعْقَبَ بَعْدَ فِتْرَتِهَا جُمُومُ
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوِّمَاتُ	تَنْفُسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّمُومُ
فَلَا وَأَبِي، مَأَبٍ لِنَأْتِيْنَهَا	وَلَوْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَبَّأْنَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ	عَوَاسٍ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ	إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
فِرَاضِيَةِ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا	أَسْنَتُنَا فَتَنَكِحَ أَوْ تَتِيمُ

ثم مضى الناس

حدَّثنا ابنُ حميد، قال : حدَّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حدَّث عن زيد بن أرقم، قال : كنتُ يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج في سفره ذلك مُردفي على حَقِيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو يتمثل أبياته هذه :

إِذَا أَذْيَتِنِي وَحَمَلَتْ رَحْلِي	مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْجَسَاءِ
فَشَأْنُكَ أَنْعُمٌ وَخَلَائِكُ دَمٌ	وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادِرُونِي	بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ	إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعُ الْإِخَاءِ
هَنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَعْلٌ	وَلَا نَخْلُ أَسَافِلُهَا رِوَاءِ

قال : فلما سمعتهنّ منه بكيت، فخففتني بالدرة، وقال : ما عليك يا لُكَم ! يرزقي الله الشهادة، وترجع بين شُعْبَتَي الرَّحْلِ ! ثم قال عبد الله في بعض شعره وهو يرتجز :

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ أَلْدُبُلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَاَنْزِلِ

قال : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم البلقاء، لَقِيَتْهُمْ جموع هِرَقل من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارِف . ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُوتة ؛ فالتقى الناس عندها، فتعباً المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة، يقال له قطبة بن قتادة، وعلى يسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عَبَايَة بن مالك، ثم التقى الناس ؛ فاقتلوا ؛ فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط

في رماح القوم؛ ثم أخذها جعفر بن أبي طالب؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قُتل؛ فكان جعفرُ أوَّل رجل من المسلمين عَقَرَ في الإسلام فرسه.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة وأبو ثُمَيْلة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن أبيه، قال: حدَّثني أبي الذي أرضعني - وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة - قال: والله لكأنِّي أنظرُ إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء؛ فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قُتل؛ فلما قتل جعفر أخذ الرايةَ عبدُ الله بن رَواحة؛ ثم تقدَّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويرتدُّ بعض التردد، ثم قال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ فَلَتُكْرَهَنَّهُ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّئَةَ مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِيَنِ الْجَنَّةَ!
قَدْ طَالَمَا قَد كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةِ!

وقال أيضاً:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيَتْ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ

قال: ثم نزل؛ فلما نزل أتاه ابنُ عمٍّ له بعظم من لحم؛ فقال: شدَّ بها صلبك؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت؛ فأخذه من يده؛ فانتهمس منه نهسةً ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، وأخذ سيفه؛ فتقدَّم فقاتل حتى قتل؛ فأخذ الراية ثابت بن أقرم؛ أخو بلعجلان؛ فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد؛ فلما أخذ الراية دافع القوم؛ وحاشى بهم، ثم انحاز وتحيز عنه حتى انصرف بالناس.

فحدَّثني القاسم بن بشر بن معروف، قال: حدَّثنا سلمان بن حرب، قال: حدَّثنا الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير، قال: قدِم علينا عبد الله بن رَبَاح الأنصاري - وكانت الأنصار تُفَقِّهه - فغشيه الناس، فقال: حدَّثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ، قال: بعث رسول الله جيشَ الأمراء، فقال: عليكم زيد بن حارثة؛ فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رَواحة؛ فوثب جعفر فقال: يا رسول الله؛ ما كنت أذهب أن تستعمل زيداً علي! قال: امض؛ فإنك لا تدري أي ذلك خير!

فانطلقوا، فلبثوا ما شاء الله. ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ صعد المنبر، وأمر فنودي: الصَّلَاة جامعة! فاجتمع الناس إلى رسول الله، فقال: باب خير، باب خير، باب خير! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؛ إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيداً - واستغفر له - ثم أخذ اللواء جعفر، فشَدَّ على القوم حتى قتل شهيداً - فشهد له بالشهادة واستغفر له - ثم أخذ اللواء عبد الله بن رَواحة؛ فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد -! ولم يكن من الأمراء؛ هو أمر نفسه - ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم إنه سيف من سيوفك، فأنْتَ تنصره - فمذ يومئذ سمي خالد سيف الله - ثم قال رسول الله: أبكروا فأمُدُّوا إخوانكم ولا يتخلفن منكم أحد، فنفروا مُشاةً وَرُكباناً، وذلك في حرٍّ شديد.

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: لما أتى رسول الله

مصابُ جعفر، قال رسول الله ﷺ: قد مرَّ جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان، مختضب القوادم بالدم، يريدون بيثة؛ أرضاً باليمن.

قال: وقد كان قُطْبَةُ بن قتادة العذريّ الذي كان على ميمنة المسلمين حمل على ملك بن رافلة قائد المستعربة فقتله. قال: وقد كانت كاهنة من حَدَس من سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً قد قالت لقومها من حَدَس - وقومها بطن يقال لهم بنو غنم: أنذِرْكُمْ قوماً خُزْراً، ينظرون شُزْراً، ويقودون الخيل بُتْراً، ويُهْرِيقون دماً عَكْراً. فأخذوا بقولها؛ فاعتزلوا من بين لحم؛ فلم يزالوا بعدُ أثرى حَدَس. وكان الذين صلّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة؛ بطن من حَدَس؛ فلم يزالوا قليلاً بعد؛ ولما انصرف خالد بن الوليد بالناس أقبل بهم قافلاً.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: لما دَنَوْا من دخول المدينة، تلقاهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابنَ جعفر؛ فأتي بعدد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه، قال: وجعل الناس يحشون على الجيش التراب، ويقولون: يا قُرَّار في سبيل الله، فيقول رسول الله: ليسوا بالقُرَّار؛ ولكنهم الكُرَّار؛ إن شاء الله!

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزبير؛ عن بعض آل الحارث بن هشام - وهم أخواله - عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قال: قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين! قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلّمَا خرج صاح الناس: أفرّتم في سبيل الله! حتى قعد في بيته فما يخرج.

وفيهَا غزَا رسول الله ﷺ أهل مكة.

ذكر الخبر عن فتح مكة

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني ابن إسحاق، قال: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعد بعثه إلى مؤتة، جمادى الآخرة ورجب.

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خُزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة؛ يقال له الوثير. وكان الذي هاج ما بين بني بكر وبني خُزاعة رجلٌ من بلحُزرمي، يقال له مالك بن عبّاد - وحلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً، فلما توسّط أرض خُزاعة عدوا عليه فقتلوه؛ وأخذوا ماله؛ فعدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه، فعدت خُزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدليلي؛ وهم منخر بني بكر وأشرافهم: سلمى، وكلثوم، وذؤيب؛ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم.

حدَّثنا ابنُ حميد؛ قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني محمد بن إسحاق، عن رجل من بني الدليل، قال: كان بنو الأسود يُودّون في الجاهلية ديتين ديتين، ونودى ديةً لفضلهم فينا.

فبينما بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به، فلمّا كان صلحُ الحديبية بين

رسول الله ﷺ وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله ﷺ، وشرط لهم - كما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، عن عُروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا - أنه مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخَلَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَقْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخَلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَعَقْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ؛ فَدَخَلْتُ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ، وَدَخَلْتُ خُزَاعَةَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فلما كانت تلك الهدنة اغتنمها بنو الدّيل، من بني بكر من خُزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رزن، فخرج نوفل بن معاوية الدّيلي في بني الدّيل - وهو يومئذ قائدهم؛ ليس كل بني بكر تابعه - حتى بيّت خُزاعة، وهم على الوتير؛ ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً وتحاوزوا واقتتلوا؛ ورفدت قريش بني بكر بالسّلاح؛ وقاتل معهم من قريش مَنْ قاتل بالليل مستخفياً؛ حتى حازوا خُزاعة إلى الحرم.

- قال الواقدي: كان ممن أعان من قريش بني بكر على خُزاعة ليلتئذ بأنفسهم متتكرين صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسُهَيل بن عمرو؛ مع غيرهم وعبيدهم -

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، قال: فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم إلّك إلّك؛ فقال: كلمة عظيمة إنه لا إله له اليوم! يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم؛ أفلا تصيبون ثأركم فيه! وقد أصابوا منهم ليلة بيّتهم بالوتير رجلاً يقال له منبه، وكان منبه رجلاً مفؤوداً خرج هو ورجل من قومه، يقال له تميم بن أسد - فقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك؛ فأما أنا فوالله إني لميت قتلوني أو تركوني؛ لقد انبت فؤادي. فانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبه فقتلوه - فلما دخلت خُزاعة مكة لجؤوا إلى دار بُذيل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع.

قال: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزاعة، وأصابوا منها ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلّوا من خُزاعة - وكانوا في عَقْدِهِ وعَهْدِهِ - خرج عمرو بن سالم الخزاعي، ثم أحد بني كعب؛ حتى قديم على رسول الله ﷺ المدينة؛ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة؛ فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهرائي الناس، فقال:

لا هم إني ناشدُ محمداً	جلف أبينا وأبيه الأثلاًدا
فوالداً كُنّا وكُنْتَ وَلِداً	ثمّت أسلمنا فلم ننزع يداً
فأنصّر رسول الله نصراً أعتداً	وآدع عباد الله يأتوا مدداً
فيهم رسول الله قد تجرداً	أبيض مثل البدر يئمي صعداً
إن سيم خسفاً وجهه تربداً	في فيلق كالبحر يجري مُزبداً
إن قريشاً أخلفوك الموعداً	ونقضوا ميثاقك المؤكداً
وجعلوا لي في كداء رصداً	وزعموا أن لست أدعو أحداً
وهم أذل وأقل عدداً	هم بيّتونا بالوتير هجداً
فقتلونا رُكعاً وسجداً	

يقول: قد قتلونا وقد أسلمنا. فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك: قد نصرت يا عمرو بن سالم! ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب.

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قدموا على رسول الله المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم؛ ثم انصرفوا راجعين إلى مكة. وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد، ويزيد في المدة.

ومضى بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه، فلقوا أبا سفيان بعُسفان، قد بعثه قريش إلى رسول الله ليشدد العقد ويزيد في المدة؛ وقد رهبوا الذي صنعوا؛ فلما لقي أبو سفيان بُدَيْلا، قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله، قال: سرت في خُزاعة في الساحل وفي بطن هذا الوادي. قال: أو ما أتيت محمداً؟ قال: لا، قال: فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى؛ فعمد إلى مبرك ناقته، فأخذ من بعرها ففته؛ فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة؛ فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية؛ والله ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني! قالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شرٌ. ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فكلّمه فلم يردّد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله، فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب، فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله! فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم. ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وعنده فاطمة ابنة رسول الله، وعندها الحسن بن علي؛ غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي؛ إنك أمس القوم بي رجماً، وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة؛ فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لنا إلى رسول الله! قال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزّم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة، فقال: يا ابنة محمد؛ هل لك أن تأمري بئيك هذا فيجيبين الناس، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر! قالت: والله ما بلغ بُني ذلك أن يجيبين الناس، وما يجير على رسول الله أحد. قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحي. فقال له: والله ما أعلم شيئاً يُغني عنك شيئاً، ولكنك سيّد بني كنانة؛ فقم فأجزي بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً! قال: لا والله ما أظن؛ ولكن لا أجد لك غير ذلك؛ فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس؛ إني قد أجزت بين الناس؛ ثم ركب بعيره فانطلق.

فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت ابن الخطاب؛ فوجدته أعدى القوم، ثم جئت علي بن أبي طالب، فوجدته ألين القوم؛ وقد أشار عليّ بشيء صنعتُه؛ فوالله ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا! قالوا: وبماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجيز بين الناس ففعلت؛ قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله إن زاد على أن لعب بك، فما يغني عنا ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك، قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز؛ وأمر أهله أن يجهزوه؛ فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال:

أَيُّ بَنِيَّةٍ، أَمَرَكُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَجْهَظُوا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَتَجْهَظُ، قَالَ: فَأَيْنَ تَرِينَهُ يَرِيدُ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي.
ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ؛ وَأَمَرَهُمْ بِالْجَدِّ وَالتَّهَيُّؤِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ خُذِ الْعَيْنَ
وَالْأَخْبَارَ عَنْ قَرِيشٍ حَتَّى نَبْغَتْهَا فِي بِلَادِهَا.

فَتَجْهَظُ النَّاسَ، فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ يُحَرِّضُ النَّاسَ، وَيَذْكُرُ مَصَابَ رِجَالِ خُزَاعَةَ:

أَتَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِيَطْحَاءِ مَكَّةِ	رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا
بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْلُوكُوا سِيُوفَهُمْ	وَقَتَلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنِّ ثِيَابُهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنَ نُصْرَتِي	سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعَقَابُهَا
وَصَفْوَانُ عَوْدًا حَزَّ مِنْ شُفْرِ اسْتِيهِ	فَهَذَا أَوَّانُ الْحَرْبِ شَدَّ عَصَابُهَا
فَلَا تَأْمَنُنَا يَا بَنَ أُمِّ مُجَالِدٍ	إِذَا احْتَلَبْتَ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا
فَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سِيُوفَنَا	لَهَا وَقْعَةً بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

وقول حسان:

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْلُوكُوا سِيُوفَهُمْ

يعني قريشاً. وابن أم مجالد، يعني عكرمة بن أبي جهل.

حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ،
عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا، قَالُوا: لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ
كِتَابًا إِلَى قَرِيشٍ، يُخَبِّرُهُم بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَمْرِ فِي السَّيْرِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً - يَزْعُمُ مُحَمَّدُ بْنُ
جَعْفَرٍ أَنَّهَا مِنْ مُزَيْنَةٍ؛ وَزَعَمَ غَيْرُهُ أَنَّهَا سَارَةُ، مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ - وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تُبْلِغَهُ
قَرِيشًا. فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ قَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ. وَأَقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ مِنَ السَّيِّئِ بِمَا صَنَعَ
حَاطِبٌ؛ فَبِعِثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ، فَقَالَ: أَذْرِكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ بِكِتَابٍ إِلَى
قَرِيشٍ، يُحَذِّرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ؛ فَخَرَجَا حَتَّى أَذْرَكَاهَا بِالْحُلَيْفَةِ، حُلَيْفَةُ ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ؛ فَاسْتَنْزَلَاهَا،
فَالْتَمَسَا فِي رَحْلِهَا، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِنِّي أَحْلِفُ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا كَذَبْنَا؛
وَلَتُخْرِجَنَّ إِلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنُكْشِفَنَّكَ؛ فَلَمَّا رَأَتْ الْجَدَّ مِنْهُ، قَالَتْ: أَعْرِضْ عَنِّي، فَأَعْرِضَ عَنْهَا، فَحَلَّتْ
قُرُونَ رَأْسِهَا، فَاسْتَخْرَجَتْ الْكِتَابَ مِنْهُ، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبًا؛
فَقَالَ: يَا حَاطِبُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا غَيَّرْتُ وَلَا
بَدَّلْتُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ أَصْلٌ وَلَا عَشِيرَةٌ، وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَهْلٌ وَوَلَدٌ، فَصَانَعْتُهُمْ
عَلَيْهِمْ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: وَمَا يَدْرِيكَ يَا عَمْرُ، لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ إِلَى أَصْحَابِ بَدْرِ يَوْمَ بَدْرٍ؛ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ
لَكُمْ! فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاطِبٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ:
﴿وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ...﴾^(١) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره؛ واستخلف على المدينة أبا رُهم كُثُوم بن حُصَيْن بن خَلْف الغِفَارِيِّ، وخرج لعشر مَضِينَ من شهر رمضان، فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه؛ حتى إذا كان بالكَدِيد ما بين عُسْفَانَ وَأَمَج، أَفْطَرَ رسول الله ﷺ، ثم مضى حتى نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَبَّعْتُ سَلِيمَ؛ وَأَلْفَتْ مُزَيْنَةَ فِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عِدَدَ وَإِسْلَامٍ؛ وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ أَحَدٌ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظُّهْرَانِ، وَقَدْ عُمِّتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قَرِيشٍ فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ؛ وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ؛ فَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ؛ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ!.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ فِيهَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ تَلَقَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ؛ وَقَدْ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيََا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَيْقِ الْعُقَابِ؛ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَ الدُّخُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصَهْرُكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي؛ وَأَمَا ابْنُ عَمَّتِي وَصَهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ بِمَكَّةَ مَا قَالَ.

فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؛ وَمَعَ أَبِي سَفْيَانَ بُنْيٌ لَهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَأُحْذَنَ بِيَدِ بُنْيٍ هَذَا؛ ثُمَّ لِنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ؛ حَتَّى نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا؛ ثُمَّ أَذِنَ لَهَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ؛ فَأَسْلَمَا وَأَنْشَدَهُ أَبُو سَفْيَانَ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ وَاعْتِزَارِهِ مِمَّا كَانَ مَضَى مِنْهُ:

لَعَمْرِي إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً	لَتَغْلِبَ خَيْلَ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَأُمْدَلَجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	فَهَذَا أُوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي
وَهَادٍ هَدَانِي غَيْرَ نَفْسِي وَنَالِنِي	مَعَ آلِهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ
أَصْدُ وَأَنْأَى جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ	وَأُدْعَى وَلَوْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ
هُمْ مَا هُمْ مَنْ لَمْ يَقْلُ بِهِوَاهُمْ	وَأِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَمُّ وَيُفْنَدُ
أُرِيدُ لَأَرْضِيَهُمْ وَلَسْتُ بِلَايِطٍ	مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ
فَقُلْ لثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا	وَقُلْ لثَقِيفٍ تِلْكَ غَيْرِي أَوْعِدِي
وَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا	وَمَا كَانَ عَنْ جَرَى لِسَانِي وَلَا يَدِي
قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ	نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سُهَامٍ وَسُرْدٍ

قال: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: «ونالني مع الله من طردت كل مطرد»؛ ضَرَبَ النبي ﷺ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرِّدٍ!

وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إلى مكة، فقاتل يقول: يريد قريشاً، وقائل يقول: يريد هوازن، وقائل يقول: يريد ثقيفاً؛ وبعث إلى القبائل فتخلفت عنه؛ ولم يعقد الألوية ولم ينشر الرايات حتى قدم قديداً، فلقيته بنو سليم على الخيل وال سلاح التام؛ وقد كان عيينة لحق رسول الله ﷺ بالعرج في نفر من أصحابه، ولحقه

الأقرع بن حابس بالسُّقْيَا، فقال عيينة: يا رسول الله؛ والله ما أرى آلة الحرب ولا تهيئة الإحرام، فأين تتوجه يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: حيث شاء الله. ثم دعا رسول الله ﷺ أن تعمى عليهم الأخبار؛ فنزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظُّهْرَانِ، ولقيه العباس بالسُّقْيَا، ولقيه مخزومة بن نوفل ببنيق العُقَاب.

فلما نزل مَرَّ الظُّهْرَانِ خرج أبو سفيان بن حرب ومعه حكيم بن حزام.

فحدثنا أبو كريب، قال: أخبرنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: لما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظُّهْرَانِ، قال العباس بن عبد المطلب، وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة: يا صباح قريش! والله لئن بَغَتْها رسولُ الله في بلادها؛ فدخل مكة عَنوة؛ إنه هلاكُ قريش آخر الدهر! فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وقال: أخرجُ إلى الأراك لعلِّي أرى حطاباً أو صاحب لَبَن؛ أو داخلاً يدخل مكة؛ فيخبرهم بمكان رسول الله؛ فيأتونه فيستأمنونه. فخرجت؛ فوالله إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له؛ إذ سمعت صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول: والله ما رأيت كالיום قطَّ نيراناً! فقال بديل: هذه والله نيرانُ خُزاعة، حَمَشَتْها الحرب! فقال أبو سفيان: خُزاعة الأُم من ذلك وأذل! فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة! فقال: أبو الفضل! فقلت: نعم، فقال: لبيك فذاك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله ورائي قد دَلَف إليكم بما لا قِيلَ لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركب عَجَز هذه البغلة، فأستأمن لك رسول الله؛ فوالله لئن ظَفِر بك ليضربنَّ عنقك، فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله ﷺ نحور رسول الله ﷺ، فكلما مررت بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إليّ، قالوا: عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فقال أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْدٍ ولا عهد! ثم اشتدَّ نحو النبي ﷺ، وركضت البغلة، وقد أردفتُ أبا سفيان؛ حتى اقتحمتُ على باب القبة، وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء؛ فدخل عمر على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدو الله؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد؛ فدعني أضرب عنقه؛ فقلت: يا رسول الله، إني قد أجزته! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا ينجيه اليوم أحدٌ دوني! فلما أكثر فيه عُمَر، قلت: مهلاً يا عمر! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من بني عبد مناف؛ ولو كان من بني عَدِي بن كعب ما قلت هذا. فقال: مهلاً يا عباس! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم! وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إليّ رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم؛ فقال رسول الله ﷺ: اذهب فقد آمنه حتى تغدو به عليّ بالغداة. فرجع به إلى منزله؛ فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: ويحك أبا سفيان! ألم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله! فقال: بأبي أنت وأمي، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً، فقال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله! فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! أما هذه ففي النفس منها شيء! فقال العباس: فقلت له ويلك! تشهد شهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك؛ قال: فتشهد.

قال: فقال رسول الله ﷺ للعباس حين تشهد أبو سفيان: انصرف يا عباس فاحبسْه عند خَطَمِ الجبل

بمضيّق الوادي، حتى تمرّ عليه جنود الله، فقلت له: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: نعم؛ مَنْ دخل دارَ أبي سفيان فهو آمنٌ، ومَنْ دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ، ومَنْ أغلقَ عليه بابه فهو آمنٌ. فخرجت حتى حبسته عند خُطَمِ الجبل بمضيّق الوادي؛ فمرّت عليه القبائل، فيقول: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي وللسليم! فتمرّ به قبيلة، فيقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: مالي ولأسلم! وتمرّ جُهينة، فيقول: مالي ولجُهينة! حتى مرّ رسولُ الله ﷺ في الخضراء؛ كتيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد؛ لا يُرى منهم إلا الحدق، فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك إنها النبوة! فقال: نعم إذاً. فقلت: الحق الآن بقومك فحدّثهم؛ فخرج سريعاً حتى أتى مكة، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبَل لكم به! قالوا: فمه! فقال: مَنْ دخل داري فهو آمن، فقالوا: ويحك! وما تُغني عَنّا دارك! فقال: ومَنْ دخل المسجد فهو آمن، ومَنْ أغلقَ عليه بابه فهو آمن.

حدّثني عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا، أبان العطار قال: حدّثنا هشام بن عروة، عن عروة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أمّا بعد، فإنك كتبت إليّ تسألني عن خالد بن الوليد: هل أغار يوم الفتح؟ وبأمر مَنْ أغار؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبي ﷺ، فلما ركب النبي بطنَ مَرَّ عامداً إلى مكة، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يلتقيان رسولَ الله ﷺ؛ وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتوجّه النبي ﷺ، إليهم أو إلى الطائف! وذاك أيام الفتح؛ واستتب أبو سفيان وحكيم بن حزام بُدَيْلَ بن ورقاء، وأحبّا أن يصحبهما، ولم يكن غير أبي سفيان وحكيم بن حزام وبُديّل؛ وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله ﷺ: لا تُؤتَيْن من ورائكم، فإننا لا ندرِي مَنْ يريد محمد! إيانا يريد، أو هوازن يريد، أو ثقيفاً! وكان بين النبي ﷺ وبين قريش صلح يوم الحديبية وعَهْد ومَدّة، فكانت بنو بكر في ذلك الصلح مع قريش، فاقتتل طائفة من بني كعب وطائفة من بني بكر؛ وكان بين رسول الله ﷺ وبين قريش في ذلك الصلح الذي اصطلحوا عليه: «لا إغلال ولا إسلال»، فأعانت قريش بني بكر بالسلح، فاتّهمت بنو كعب قريشاً، فمناها غزا رسول الله ﷺ أهل مكة؛ وفي غزوته تلك لقي أبا سفيان وحكماً وبُديلاً بمر الظهران؛ ولم يشعروا أنّ رسولَ الله ﷺ نزل مَرَّ، حتى طلّعوا عليه، فلما رأوه بمرّ، دخل عليه أبو سفيان وبُديّل وحكيم بمنزله بمرّ الظهران فبايعوه، فلما بايعوه بعثهم بين يديه إلى قريش، يدعوهم إلى الإسلام، فأخبرت أنه قال: مَنْ دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن - وهي بأعلى مكة - ومن دخل دارَ حكيم - وهي بأسفل مكة - فهو آمن، ومن أغلقَ بابه وكفّ يده فهو آمن.

وإنّه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبي ﷺ عامدين إلى مكة، بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته، وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون؛ وقال للزبير: لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتى آتيك؛ ومن ثمّ دخل رسولُ الله ﷺ، وأمر خالد بن الوليد - فيمن كان أسلم من قُضاة وبني سليم وأناس، إنما أسلموا قبيل ذلك - أن يدخل من أسفل مكة، وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش، وبنو الحارث بن عبد مناة ومَنْ كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة.

وحُدّث أنّ النبي ﷺ قال لخالد والزبير حين بعثهما: لا تقَاتِلَا إلّا مَنْ قاتلكما؛ فلما قدم خالد على بني بكر

والأحابيش بأسفل مكة، قاتلهم فهزمهم الله عز وجل، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك؛ غير أن كُرُز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وابن الأشعر - رجلاً من بني كعب - كانا في خيل الزبير فسلكا كداء، ولم يسلكا طريق الزبير الذي سلك، الذي أمر به. فقدموا على كتيبة من قريش مهبط كداء فقتلوا؛ ولم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال؛ ومن ثم قدم النبي ﷺ، وقام الناس إليه يبايعونه؛ فأسلم أهل مكة، وأقام النبي ﷺ عندهم نصف شهر، لم يزد على ذلك، حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين.

وحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ فَرَّقَ جَيْشَهُ مِنْ ذِي طُوًى، أَمَرَ الزَّبِيرَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كُدَى؛ وَكَانَ الزَّبِيرُ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيَسْرَى، فَأَمَرَ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كَدَاءَ. فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ سَعْدًا قَالَ حِينَ وَجَّهَ دَاخِلًا: «الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ». فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، وَمَا نَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ لَهُ فِي قَرِيشٍ صَوْلَةٌ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَدْرَكَهُ فَخُذْ الرَّايَةَ، فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ فِي حَدِيثِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَدَخَلَ مِنَ اللَّيْطِ أَسْفَلَ مَكَّةَ، فِي بَعْضِ النَّاسِ؛ وَكَانَ خَالِدٌ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيَمْنَى، وَفِيهَا أَسْلَمَ وَغِفَارٌ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَقِبَائِلٌ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ؛ وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ بِالْصَّفِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْصَبُ لِمَكَّةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَاخِرِ؛ حَتَّى نَزَلَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، وَضُرِبَتْ هُنَالِكَ قُبَّتُهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، وَعِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَسُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانُوا قَدْ جَمَعُوا أَنْاسًا بِالْخَنْدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا؛ وَقَدْ كَانَ جِمَاسُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ خَالِدٍ أَخُو بَنِي بَكْرِ يُعِدُّ سِلَاحًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَيُصْلِحَ مِنْهَا، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: لِمَاذَا تَعْدُّ مَا أَرَى؟ قَالَ: لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ يَقُومُ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَكَ بَعْضَهُمْ، فَقَالَ:

إِنْ تُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عِلَّةٌ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّةٌ
وَدُوٌّ غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوؤوهم شيئاً من قتال، فقتل كُرُز بن جابر بن حِشَل بن الأَجَب بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب بن فهر، وحُبَيْش بن خالد، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضُبَيْس بن حرام بن حَبِشَةَ بن كعب بن عمرو؛ حليف بني منقذ - وكانا في خيل خالد بن الوليد، فشدَّ عنه، وسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً - قُتِلَ حُنَيْسٌ قَبْلَ كُرُزِ بْنِ جَابِرٍ؛ فَجَعَلَهُ كُرُزُ بْنُ جَابِرٍ رَجُلِيَّةً؛ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ صَفْرَاءَ مِنْ بَنِي فَهْرٍ نَقِيَّةُ الْوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدْرِ
لَأُضْرِبَنَّ الْيَوْمَ عَنْ أَبِي صَخْرٍ

وكان خنيس يكنى بأبي صخر، وأصيب من جُهينة سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين أناس قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر. ثم انهزموا، فخرج جاس منزهماً؛ حتى دخل بيته، ثم قال لامراته: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إِنْكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ	إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَابْوَيْزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُؤْتَمَةِ	وَأَسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجُمَةٍ	ضَرْباً فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةُ
لَهُمْ نَهْيَتْ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمُ	لَمْ تَنْطَقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وكان رسولُ الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة؛ ألا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سَمَاهم؛ أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة؛ منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي - وإنما أمر رسولُ الله ﷺ بقتله، لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركاً، ففرّ إلى عُثْمَانَ، وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسولُ الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له رسول الله، فذكر أن رسولَ الله ﷺ صمّت طويلاً، ثم قال: نعم؛ فلما انصرف به عثمان، قال رسول الله لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صمّت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه! فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومأت إليّ يا رسول الله! قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة - وعبد الله بن خطّل، رجل من بني تيم بن غالب - وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصداً، وبعث معه رجلاً من الأنصار؛ وكان معه مولى له ليخذه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتدّ مشركاً؛ وكانت له قينتان: فرتى وأخرى معها، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه - والحويرث بن نُقيذ بن وهب بن عبد بن قصي، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيس بن صُبابَة - وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مرتداً - وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بني عبد المطلب؛ وكانت ممن يؤذيه بمكة. فأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن؛ وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسولُ الله ﷺ فأمنه؛ فخرجت في طلبه حتى أتت به رسولُ الله ﷺ، فكان عكرمة يحدث - فيما يذكرون - أن الذي ردّه إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول: أردت ركوبَ البحر لألحقَ بالحبشة، فلما أتيت السفينة لأركبها قال صاحبها: يا عبد الله، لا تركب سفينتي حتى توحّد الله، وتخلع ما دونه من الأنداد، فإني أخشى إن لم تفعل أن نهلك فيها، فقلت: وما يركبه أحدٌ حتى يوحد الله ويخلع ما دونه! قال: نعم؛ لا يركبه أحدٌ إلا أخلص. قال: فقلت: ففيم أفارق محمداً! فهذا الذي جاءنا به، فوالله إن إلهنا في البحر لإلهنا في البر؛ فعرفت الإسلام عند ذلك، ودخل في قلبي. وأما عبد الله بن خطّل، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتراكاً في دمه، وأما مقيس بن صُبابَة فقتله نُمَيْلَة بن عبد الله؛ رجل من قومه، فقالت أخت مقيس:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْزَى نُمَيْلَةُ رَهْطُهُ	وَفَجَعَ أَضْيَافَ الشَّتَاءِ بِمَقْيَسٍ
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسٍ	إِذَا النَّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرَسِ

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداها، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمنها. وأما سارة، فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح، فقتلها. وأما الحويرث بن نُقيذ، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال الواقدي: أمر رسول الله ﷺ بقتل ستة نفر وأربع نسوة، فذكر من الرجال من سمّاه ابن إسحاق، ومن النساء هند بنت عتبة بن ربيعة، فأسلمت وبايعت، وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، قتلت يومئذ، وقريبة؛ قتلت يومئذ، وفرتى عاشت إلى خلافة عثمان.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمر بن موسى بن الوجيه، عن قتادة السدوسي؛ أن رسول الله ﷺ قام قائماً حين وقف على باب الكعبة، ثم قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا كل مأثرة، أودم، أو مال يدعى؛ فهو تحت قدمي هاتين إلا سِدانة البيت وسقاية الحاج. ألا وقتيل الخطأ مثل العمْد؛ السوط والعصا، وفيهما الدية مغلظة مائة من الأبل، منها أربعون في بطونها أولادها.

يا معشر قريش؛ إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم؛ وآدم خلق من تراب. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ (١) الآية.

يا معشر قريش، ويا أهل مكة؛ ما تُروُن أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. ثم قال: اذهبوا فانتم الطلقاء.

فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيثاً فبذلك يسمّى أهل مكة الطلقاء. ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر ابن الخطاب تحت رسول الله أسفل من مجلسه يأخذ على الناس. فبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة لله ولرسوله - فيما استطاعوا - وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول الله ﷺ من الناس على الإسلام. فلما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال بايع النساء، واجتمع إليه نساء من نساء قريش؛ فيهن هند بنت عتبة، متنبئة متنكرة لحدثها وما كان من صنعها بحمزة، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك، فلما دنون منه لبايعه قال، رسول الله ﷺ - فيما بلغني - تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً! فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه، قال: ولا تسرقن، قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك جلالاً لي أم لا! فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول: أما ما أصبت فيما مضى فانت منه في حل، فقال رسول الله ﷺ: وإنك لهند بنت عتبة! فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعفُ عما سلف عفا الله عنك! قال: ولا تزنين، قالت: يا رسول الله، هل تزني الحرّة! قال: ولا تقتلن أولادكُن، قالت: قد ربيتهن صغاراً، وقتلتهن يوم بدر كباراً، فأنت وهم أعلم! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب. قال: ولا تأتين ببهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن، قالت: والله إن إتيان البهتان لقيح؛ ولبعض التجاوز أمثل. قال: ولا تعصيني في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ

لعمر: بايعهن واستغفرهن رسول الله، فبايعهن عمر، وكان رسول الله ﷺ لا يُصافح النساء، ولا يمس امرأة ولا تمسه إلا امرأة أحلها الله له، أو ذات محرم منه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبان بن صالح، أنبيعة النساء قد كانت على نحوين - فيما أخبره بعض أهل العلم - كان يوضع بين يدي رسول الله ﷺ إناء فيه ماء، فإذا أخذ عليهن وأعطيتهن غمس يده في الإناء، ثم أخرجها. فغمس النساء أيديهن فيه. ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن، فإذا أعطيتهن ما شرط عليهن، قال: اذهبن فقد بايعتكن، لا يزيد على ذلك.

قال الواقدي: فيها قتل خراش بن أمية الكعبي جندب بن الأذلع الهذلي - وقال ابن إسحاق: ابن الأثوع الهذلي - وإنما قتله بذحل، كان في الجاهلية، فقال النبي ﷺ: إن خراشاً قتال؛ إن خراشاً قتال! يعيبه بذلك، فأمر النبي ﷺ خزاعة أن يدوه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير - قال محمد بن إسحاق: ولا أعلمه إلا وقد حدثني عن عروة بن الزبير - قال: خرج صفوان بن أمية يريد جدة، ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب، يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر؛ فأمنه صلى الله عليه وسلم عليك! قال: هو آمن، قال: يا رسول الله، أعطني شيئاً يعرف به أمانك؛ فأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة؛ فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان، فذاك أبي وأمي! أذكرك الله في نفسك أن تهلكها! فهذا أمان من رسول الله قد جئتكم به، قال: ويلك! أغرب عني فلا تكلمني! قال: أي صفوان، فذاك أبي وأمي! أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك! قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم؛ فرجع به معه، حتى قِيم به على رسول الله ﷺ. فقال صفوان: إن هذا زعم أنك قد أمنتني، قال: صدق، قال: فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام وفاخنة بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية، وأم حكيم عند عكرمة بن أبي جهل - أسلمتا، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله لعكرمة بن أبي جهل، فأمنه، فلحقت به باليمن، فجاءت به؛ فلما أسلم عكرمة وصفوان، أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق؛ لما دخل رسول الله ﷺ مكة هرب هبيرة بن أبي وهب المخزومي وعبد الله بن الزبيري السهمي إلى نجران.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري؛ قال: رمى حسان عبد الله بن الزبيري وهو بنجران بيت واحد، ما زاده عليه:

لا تعدمن رجلاً أحلك بغضه نجران في عيش أحد لثيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبيري، رجع إلى رسول الله ﷺ، فقال حين أسلم:

يا رسول المليك إن لسانِي راتق ما فتقت إذ أنا بُور

إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سِنِّي : الرَّيِّ ح وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورٌ
أَمَنْ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثَم نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيٌّ مِنْ لَوْيٍ فَكُلُّهُمْ مَغْرُورٌ

وأما هُبيرة بن أبي وَهْب، فأقام بها كافراً، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانئ بنت أبي طالب وكانت تحته، واسمها هند:

أَشَاقْتُكَ هِنْدُ أَمْ نَاكَ سَوَالُهَا كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَانْفَتَالُهَا

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق، قال: وكان جميعُ مَنْ شهد فتح مَكَّةَ من المسلمين عشرة آلاف؛ من بني غِفَار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مُزينة ألف وثلاثة نفر، ومن بني سُلَيْم سبعمائة، ومن جُهينة ألف وأربعمائة رجل؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بني تميم وقيس وأسد.

قال الواقدي: في هذه السنة تزوج رسولُ الله ﷺ مليكة بنت داود اللثيية، فجاء إليها بعضُ أزواج النبي ﷺ، فقالت لها: ألا تستحيين حين تزوجين رجلاً قتل أباك! فاستعاذت منه؛ وكانت جميلة، وكانت حدثه، ففارقتها رسول الله؛ وكان قتل أبائها يوم فتح مكة.

قال: وفيها هدم خالد بن الوليد العُزَّى ببطن نخلة، لخمس ليالٍ بقيْنَ من رمضان؛ وهو صنمٌ لبني شيبان؛ بطن من سليم حلفاء بني هاشم، وبنو أسد بن عبد العزَّى، يقولون: هذا صنمنا، فخرج إليه خالد، فقال: قد هدمته، قال: أرايت شيئاً؟ قال: لا، قال: فارجع فاهدمه، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيته، وكسر الصنم، فجعل السائدُ يقول: أعزَّى اغضبي بعض غضباتك! فخرجت عليه امرأة حبشية عريانةٌ مؤلوة، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية، ثم أتى رسولُ الله ﷺ، فأخبره بذلك، فقال: تلك العزَّى، ولا تُعبُد العزَّى أبداً.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق، قال: بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزَّى - وكانت بنخلة، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحيُّ من قريش وكنانة ومُضر كلها؛ وكانت سدنتها من بني شيبان، من بني سُلَيْم حلفاء بني هاشم - فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها، علّق عليها سيفه، وأسند في الجبل الذي هي إليه فأصعد فيه، وهو يقول:

أَيَا عَزَّ شُدِّي شَدَّةً لَا شَوَى لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمَّري
وَيَا عَزَّ إِن لَمْ تَقْتُلِي الْيَوْمَ خَالِداً فَبُؤِّي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرِي

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: وفيها هُدم سُوَاع؛ وكان بُرْهَاط هذيل، وكان حَجَرًا؛ وكان الذي هدمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصنم، قال له السائد: ما تريد؟ قال: هُدم سُوَاع، قال: لا تطيق تهممه، قال له عمرو بن العاص: أنت في الباطل بعد! فهدمه عمرو، ولم يجد في خزانته شيئاً، ثم قال عمرو للسائد: كيف رأيت؟ قال: أسلمت والله.

وفيهما هدم مناة بالمشلل، هدمه سعد بن زيد الأشهلي، وكان للأوس والخزرج.

وفيهما كانت غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة، وكان من أمره وأمرهم ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: قد كان رسول الله ﷺ بعث فيها حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل؛ ولم يأمرهم بقتال؛ وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً؛ فوطىء بني جذيمة، فأصاب منهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين، قال: بعث رسول الله ﷺ حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سُلَيْم ومُدْلَج، وقبائل من غيرهم؛ فلما نزلوا على العُمَيْصاء - وهي ماء من مياه بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة - على جماعتهم، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة - وكانا أقبلا تاجر من اليمن - حتى إذا نزل بهم قتلوهما؛ وأخذوا أموالهما، فلما كان الإسلام، وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، سار حتى نزل ذلك الماء؛ فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني بعض أهل العلم، عن رجل من بني جذيمة، قال: لما أمرنا خالد بوضع السلاح، قال رجل منا يقال له جَحْدَم: ويلكم يا بني جذيمة! إنه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار، ثم ما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق؛ والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه، فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تسفك دماءنا! إن الناس قد أسلموا، ووضعت الحرب، وأمن الناس؛ فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد؛ فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم. فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد!

ثم دعا علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم؛ فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه رسول الله ﷺ به، فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال؛ حتى إنه ليدي مبلغ الكلب؛ حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم؟ قالوا، لا، قال: فإني أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسن، ثم قام رسول الله ﷺ، فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه؛ حتى إنه ليرى بياض ما تحت منكبیه؛ وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات!

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً: إنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسول الله قد أمرك بقتلهم لامتناعهم من الإسلام، وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا سلاحهم، ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة: يا بني جذيمة، ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه! حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي سلمة، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك، فقال له: عملت بأمر الجاهلية في

الإسلام! فقال: إنما تأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن بن عوف: كذبت! قد قتلت قاتل أبي، ولكنك إنما تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة؛ حتى كان بينهما شيء، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: مهلاً يا خالد! دع عنك أصحابي؛ فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله؛ ما أدركتَ غَدوةَ رجل من أصحابي ولا رَوْحته.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثنا أبي. وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة؛ جميعاً عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأحنس بن شريق، عن ابن شهاب الزهري، عن ابن عبد الله بن أبي حذَرْد الأسلمي، عن أبيه عبد الله بن أبي حذَرْد، قال: كنتُ يومئذ في خَيْل خالد، فقال لي فتى منهم - وهو في السبي؛ وقد جُمعت يداه إلى عنقه برُمّة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى! قلت: نعم؛ قال: هل أنتَ آخذٌ بهذه الرُمّة فقائدي بها إلى هؤلاء النسوة، حتى أقضيَ إليهن حاجة، ثم تردني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت. والله ليسير ما سألت، فأخذت برُمّته فقذّته بها حتى أوقفته عليهن، فقال: اسلمي حُبَيْش، على نَفْد العيش:

أَرَيْتَكَ إِذْ طَالَبْتَكُمْ فَوَجَدْتُمْكُمْ	بَحْلِيَّةً أَوْ أَلْفَيْتَكُمْ بِالْخَوَانِقِ!
أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقُ	تَكَلَّفَ إِذْ لَاحَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ!
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا	أُثْبِي بُوْدٍ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ!
أُثْبِي بُوْدٍ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى	وَيُنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ
فَأَنْنِي لَا سِرًّا لَدَيَّ أَضَعُّهُ	وَلَا رَاقَ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَائِقِ
عَلَى أَنْ مَا نَابَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلُ	وَلَا ذِكْرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَوَامِقِ

قالت: وأنت فحييتَ عسراً، وسبعا وتراً، وثمانياً تترى! ثم انصرفتُ به، فقدّم فُضِرْتُ عنقه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي فراس بن أبي سُنْبُلَةَ الأسلمي؛ عن أشياخ منهم، عمّن كان حضرها، قالوا: قامت إليه حين ضُربت عنقه، فأكبّت عليه، فما زالت تُقبّله حتى ماتت عنده.

حدثنا ابن حميد؛ قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة.

قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقيّن من شهر رمضان سنة ثمانٍ.

ذكر الخبر عن غزوة

رسول الله ﷺ هوازن بحنين

وكان من أمر رسول الله ﷺ وأمر المسلمين وأمر هوازن ما حدثنا علي بن نصر بن علي الجهضمي وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث - قال علي: حدثنا عبد الصمد، وقال عبد الوارث: حدثنا أبي - قال: حدثنا أبان العطار، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن عروة، قال: أقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح نصف شهر، لم يزد على ذلك؛ حتى جاءت هوازن وثقيف، فزلوا بحنين - وحنين واد إلى جنب ذي المجاز - وهم يومئذ

عامدون يريدون قتال النبي ﷺ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة، وهم يظنون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة، أقبلت هوازن عامدين إلى النبي ﷺ، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال - ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف أحد بني نصر - وأقبلت معه ثقيف؛ حتى نزلوا حُتَيْناً يريدون النبي ﷺ؛ فلما حَدَّثَ النبي ﷺ وهو بمكة أن قد نزلت هوازن وثقيف بحنين، يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر - وهو رئيسهم يومئذ - عمَد النبي ﷺ حتى قَدِمَ عليهم، فوافاهم بَحْنِينَ، فهزمهم الله عز وجل، وكان فيها ما ذكر الله عز وجل في الكتاب؛ وكان الذي ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنمها الله عز وجل رسوله، فقسَّم أموالهم فيمن كان أسلم معه من قريش.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سَلَمَة، عن ابنِ إسحاق، قال: لما سمعتُ هوازنَ برسولِ الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة؛ جمعها مالك بن عوف النَّصْرِي؛ واجتمعت إليه مع هوازن ثَقِيف كُلِّهَا، فُجِعت نصر وجُشَم كُلُّهَا وسعد بن بكر وناس من بني هلال؛ وهم قليل، ولم يشهدا من قَيْس عَيْلان إلَّا هَوْلَاء، وغابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب؛ ولم يشهدا منهم أحدٌ له اسمٌ، وفي جُشَم دُرَيْد بن الصَّمَّة شيخ كبير؛ ليس فيه شيء إلَّا التَّيْمَن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً كبيراً مجرباً؛ وفي ثقيف سيِّدان لهم في الأخلاف: قارب بن الأسود بن مسعود، وفي بني مالك ذو الحِمَار سُبَيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي.

فلما أجمع مالك المِسيرَ إلى رسولِ الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم؛ فلما نزل بأوطاس، اجتمع إليه الناس؛ وفيهم دُرَيْد بن الصَّمَّة في شِجَار له يُقَادُّ به؛ فلما نزل قال: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل! لا حَزَن ضَرَس، ولا سَهْل دَهَس؛ مالي أسمع رُغَاء البعير، ونَهَاق الحمير، ويُعار الشَّاء، وبكاء الصغير! قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم، فقال: أين مالك؟ فقليل: هذا مالك، فدُعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك؛ وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام؛ مالي أسمع رُغَاء البعير، ونَهَاق الحمير، ويعار الشَّاء، وبكاء الصغير! قال: سَقَّت مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولم؟ قال: أردتُ أن أجعل خَلْفَ كُلِّ رجل أهله وماله ليقاتل عنهم؛ قال: فأنقض به ثم قال: راعي ضأنٍ والله! هل يردُّ المنهزم شيء! إنما إن كانت لك لم ينفعك إلَّا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلِكَ ومالك. ما فعلت كعب وكناب؟ قالوا: لم يشهد منهم أحد، قال: غاب الجُدُّ والحدُّ؛ لو كان يوم علاءٍ ورفعَةٍ لم تَغِب عنه كعب وكناب؛ ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكناب؛ فمن شهدا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر؛ قال: ذاك الجدعان من بني عامر! لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البَيِّضَة؛ بيضة هوازن، إلى نُحُور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى مَتَمَنع بلادهم وعُليا قومهم؛ ثم الق الصبَاء على مُتُون الخيل، فإن كانت لك لَحِق بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك أَلْفَاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكَبَر علمك؛ والله لتطيعُنِّي يا معشر هوازن أو لأتَكُنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري! وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكرٌ ورأي. قال دُرَيْد بن الصَّمَّة: هذا يوم لم أشهده؛ ولم يُفْتَنِّي:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعُ أَحَبَّ فِيهَا وَأَضَعُ
أَفُودُ وَطَفَاءُ الزَّمَعُ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ

وكان دُرَيْدُ رَيْسَ بَنِي جُشَمَ وَسَيِّدَهُمْ وَأَوْسَطُهُمْ ؛ وَلَكِنَّ السَّنَّ أَدْرَكَتْهُ حَتَّى فَنِيَ - وَهُوَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ جُدَاعَةَ بْنِ غَزِيَّةَ بْنِ جُشَمَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازَنَ - ثُمَّ قَالَ مَالِكُ لِلنَّاسِ : إِذَا أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ الْقَوْمَ فَاكْسِرُوا جَفُونَ سَيُوفَكُمْ ، وَشُدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَيْهِمْ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أُمِّيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ؛ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عِيُونًا مِنْ رَجَالِهِ لِيَنْظُرُوا لَهُ ، وَيَأْتَوْهُ بِخَبَرِ النَّاسِ ؛ فَرَجَعُوا إِلَيْهِ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَا رَجُلًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ ؛ فَوَاللَّهِ مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ! فَلَمْ يَنْهَ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ ؛ أَنْ مَضَى عَلَى مَا يَرِيدُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَذْرَدٍ الْأَسْلَمِيَّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي النَّاسِ فَيُقِيمَ فِيهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُ بِخَبَرٍ مِنْهُمْ ؛ وَيَعْلَمُ مِنْ عِلْمِهِمْ . فَاَنْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حَذْرَدٍ ، فَدَخَلَ فِيهِمْ ، فَأَقَامَ مَعَهُمْ حَتَّى سَمِعَ وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَعَلِمَ أَمْرَ مَالِكٍ وَأَمْرَ هَوَازَنَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ؛ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ ابْنِ أَبِي حَذْرَدٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : كَذِبُ ! فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَذْرَدٍ : إِنَّ تَكْذِبِي فَطَالَمَا كَذَبْتُ بِالْحَقِّ يَا عُمَرُ ! فَقَالَ عُمَرُ : أَلَا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَذْرَدٍ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ كُنْتُ ضَالًّا فَهَذَاكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ ، قَالَ : لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْرَ إِلَى هَوَازَنَ لِيَلْقَاهُمْ ، ذَكَرَ لَهُ أَنَّ عِنْدَ صَفْوَانَ بْنِ أُمِّيَّةٍ أَدْرَاعًا وَسِلَاحًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أُمِّيَّةَ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ - أَعَرْنَا سِلَاحَكَ هَذَا نَلْقَى فِيهِ عَدُوَّنَا غَدًا . فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ : أَغَضِبُ يَا مُحَمَّدُ ! قَالَ : بَلْ عَارِيَّةٌ مَضمُونَةٌ حَتَّى نُوَدِّيَهَا إِلَيْكَ ، قَالَ : لَيْسَ بِهَذَا بَأْسٌ ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِمَا يَصْلِحُهَا مِنَ السِّلَاحِ ؛ فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ أَنْ يَكْفِيَهُ حَمَلُهَا فَفَعَلَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : فَضَمَّتِ السَّنَةُ أَنَّ الْعَارِيَّةَ مَضمُونَةٌ مُؤَدَّاةٌ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، مَعَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ مَكَّةَ ، فَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ بْنِ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ أُمِّيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ عَلَى مَكَّةَ أَمِيرًا عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ مَضَى عَلَى وَجْهِهِ يَرِيدُ لِقَاءَ هَوَازَنَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ ، انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجُوفٍ حَطُوطٍ ، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا - قَالَ : وَفِي عَمَايَةِ الصَّبْحِ ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُوا إِلَى الْوَادِي ، فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ وَمُضَائِقِهِ ، قَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّؤُوا وَأَعَدُّوا - فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مَنْحَطُونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ وَانْهَزَمَ النَّاسُ أَجْمَعُونَ ، فَانْشَمَرُوا لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ؛ وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ ! هَلَمْ إِلَيَّ ! أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ! قَالَ : فَلَا شَيْءَ ، احْتَمَلْتُ الْإِبِلَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَاَنْطَلَقَ النَّاسُ ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ . وَبِمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ ، وَأَبُو

سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد - وهو أيمن بن أم أيمن - وأسامة بن زيد بن حارثة. قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل، أمام الناس وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمح، وإذا فاته الناس رفع رمح له لمن وراءه؛ فاتبعوه. ولما انهزم الناس، ورأى مَنْ كان مع رسول الله ﷺ من جفأة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر؛ والأزلام معه في كنانته؛ وصرخ كلدة بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية بن خلف وكان أخاه لأمه، وصفوان يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله فقال: ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك! فوالله لأن يرُبني رجلٌ من قريش أحب إليّ من أن يرُبني رجل من هوازن! وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدار: اليوم أدرك ثاري - وكان أبوه قُتل يوم أُحد - اليوم أقتل محمداً. قال: فأردت رسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنه قد مُنع مني.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: إنِّي لمع رسول الله ﷺ أخذ بحكمة بغلته البيضاء، قد شجرتها بها، قال: وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت، قال: ورسول الله ﷺ يقول حين رأى من الناس ما رأى: أين أيها الناس! فلما رأى الناس لا يملكون على شيء قال: يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار! يا أصحاب السمرة! فناديت: يا معشر الأنصار! يا معشر أصحاب السمرة! قال: فأجابوا: أن لبيك لبيك! قال: فيذهب الرجل منهم يريد ليثني بغيره؛ فلا يقدر على ذلك، فيأخذ دُرْعَه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ثم يقتحم عن بغيره فيخلى سبيله في الناس، ثم يؤم الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس، فاقتتلوا، فكانت الدعوى أول ما كانت: يا للأنصار! ثم جعلت أخيراً: يا للخزرج! وكانوا صُبراً عند الحرب؛ فأشرف رسول الله ﷺ في ركابه، فنظر مجتلد القوم وهم يجتلدون، فقال: الآن حمي الوطيس!

حدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، قال: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: كان أبو سفيان بن الحارث يقود بالنبي ﷺ بغلته يوم حنين، فلما غشي النبي ﷺ المشركون، نزل فجعل يرتجز، ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
فما رأيي من الناس أشد منه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع؛ إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار، يريدانه، فيأتيه علي من خلفه، فيضرب عرقوبي الجملة، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه، فانجفع عن رَحْلِهِ. قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين؛ وقد التفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ، وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو أخذ بثغر بغلته - فقال: من هذا؟ قال: ابن أمك يا رسول الله!

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّفَّتَ، فَرَأَى أُمَّ سُلَيْمٍ بِنْتَ مِلْحَانَ - وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ - حَازِمَةً وَسُطْهَا يُرْدُّ لَهَا؛ وَإِنَّمَا لِحَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَعَهَا جَمَلُ أَبِي طَلْحَةَ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَعْزَّهَا الْجَمَلُ، فَأَدْنَتْ رَأْسَهُ مِنْهَا، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي خِزَامَتِهِ مَعَ الْخِطَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمُّ سُلَيْمٍ! قَالَتْ: نَعَمْ؛ بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! اقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْرُونَ عَنْكَ كَمَا تَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكَ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْيَكْفِي اللَّهُ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ! وَمَعَهَا خَنْجَرٌ فِي يَدِهَا، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ: مَا هَذَا مَعَكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟ قَالَتْ: خَنْجَرٌ أَخَذْتَهُ مَعِيَ؛ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ بِهِ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ!.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ سَلْمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَقَدْ اسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ حَنْينَ عَشْرِينَ رَجُلًا وَحَدَّهُ هُوَ قَتْلَهُمْ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَبْلَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ وَالنَّاسِ يَقْتَتِلُونَ مِثْلَ الْجَبَادِ الْأَسْوَدِ، أَقْبَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ؛ فَنَظَرْتُ فَإِذَا غُلٌّ أَسْوَدٌ مَبْثُوثٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِي؛ فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةُ الْقَوْمِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَلَمَّا انْهَزِمَتْ هَوَازَنُ اسْتَحَرَّ الْقَتْلَ مِنْ ثَقِيفَ بَنِي مَالِكٍ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا تَحْتَ رَايَتِهِمْ، فِيهِمْ عَثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبٍ؛ جَدُّ ابْنِ أُمِّ حَكَمٍ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ، وَكَانَتْ رَايَتُهُمْ مَعَ ذِي الْخِمَارِ، فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَهَا عَثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ وَهَبِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ عَثْمَانَ، قَالَ: أَبْعَدَهُ اللَّهُ! فَإِنَّهُ كَانَ يَبْغِضُ قَرِيشًا.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَوْمِلٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ زَادَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ حَنْينَ عَلَى بَغْلَةٍ بِيضَاءٍ، يُقَالُ لَهَا دُلْدُلٌ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبَغْلَتِهِ: الْبُدِّي دُلْدُلًا! فَوَضَعَتْ بَطْنَهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ، فَرَمَى بِهَا فِي وَجُوهِهُمْ، وَقَالَ: «حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ!». فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ مُدْبِرِينَ، مَا ضَرَبَ بِسَيْفٍ وَلَا طَعَنَ بِرُمْحٍ وَلَا رَمَى بِسَهْمٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ، قَالَ: قَتَلَ مَعَ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ غَلَامٌ لَهُ نَصْرَانِيٌّ أَغْرُلٌ. قَالَ: فَبَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَسْتَلِبُ قَتْلَ مَنْ ثَقِيفٍ، إِذْ كَشَفَ الْعَبْدَ لِيَسْتَلِبَهُ، فَوَجَدَهُ أَغْرُلًا، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ ثَقِيفًا أَغْرُلًا مَا تَحْتَنُ! قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَذْهَبَ عَنَّا فِي الْعَرَبِ، فَقُلْتُ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! إِنَّمَا هُوَ غَلَامٌ لَنَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَكْشِفُ لَهُ قَتْلَانَا فَأَقُولُ: أَلَا تَرَاهُم مُخْتَنِينَ! قَالَ: وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَحْلَافِ مَعَ قَارِبِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا هُزِمَ النَّاسُ أَسْنَدَ رَايَتَهُ إِلَى شَجَرَةٍ، وَهَرَبَ هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ وَقَوْمُهُ مِنَ الْأَحْلَافِ، فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلَانِ؛ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غَيْرَةَ يُقَالُ لَهُ وَهَبٌ، وَآخَرُ مِنْ بَنِي كُنَّةَ يُقَالُ لَهُ: الْجَلَّاحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ الْجَلَّاحِ: قُتِلَ الْيَوْمَ سَيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ابْنِ هُنَيْدَةَ - وَابْنُ هُنَيْدَةَ الْحَارِثُ بْنُ

أوس.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال حدَّثنا سَلَمَة، عن ابنِ إسحاق، قال: ولما انهزم المشركون أتوا الطائف، ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة - ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف - فتبع خيلُ رسولِ الله ﷺ مَنْ سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع مَنْ سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يزبوع بن سَمَّال بن عوف بن امرئ القيس - وكان يقال له ابن لُدعة وهي أمّه، فغلبت على نسبه - دريد بن الصّمة، فأخذ بخطام جملة؛ وهو يظنّ أنه امرأة؛ وذلك أنه كان في شجار له، فإذا هو رجل، فأناخ به، وإذا هو بشيخ كبير؛ وإذا هو دريد بن الصّمة، لا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: وَمَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا ربيعة بن ربيع السُّلَمي، ثمّ ضربه بسيفه فلم يُغن شيئا، فقال: بئسما سلّحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل في الشّجار، ثم اضرب به وارفع عن العظام، واخفض عن الدّماغ، فإني كذلك كنت أقتل الرجال، ثمّ إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصّمة؛ فربّ يومٍ والله قد منعت نساءك! فرعمت بنو سليم أنّ ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف الثوب عنه، فإذا عجانه وبطون فخذه مثل القِرطاس من ركوب الخيل أعراء، فلمّا رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: والله لقد أعتق أمّهات لك ثلاثا.

قال أبو جعفر: وبعث رسولُ الله ﷺ في آثار مَنْ توجّه قبلَ أوطاس؛ فحدّثني موسى بن عبد الرحمن الكِنديّ، قال: حدّثنا أبو أسامة، عن بُريد بن عبد الله، عن أبي بُردة، عن أبيه، قال: لما قدّم النبي ﷺ من حُنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقى دريد بن الصّمة، فقتل دريداً، وهزم الله أصحابه.

قال أبو موسى: فبعثني مع أبي عامر، قال: فرُمي أبو عامر في ركبته، رماه رجلٌ من بني جُشم بسهم فأثبته في ركبته، فأنهيت إليه، فقلت: يا عمّ، مَنْ رماك؟ فأشار أبو عامر لأبي موسى، فقال: إنّ ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني!

قال أبو موسى: فقصدت له فاعتمدته، فلجّفته، فلما رآني ولّى عني ذاهباً، فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحي! ألسّت عربياً! ألا تثبت! فكرّ، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فضربته بالسيف، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، فقال: يابن أخي، انطلق إلى رسول الله، فأقرئه مني السلام، وقل له إنه يقول لك: استغفري لي.

قال: واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً. ثمّ إنه مات.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سَلَمَة، عن ابنِ إسحاق، قال: يزعمون أنّ سَلَمَة بن دُرَيْد، هو الذي رمى أبا عامر بسهم فأصاب ركبته، فقتله، فقال سَلَمَة بن دُرَيْد في قتله أبا عامر:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرَ لَمَنْ تَوَسَّمَهُ
أَضْرِبَ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمُسْلِمَةِ

وسمادير أم سَلَمَة، فانتفى إليها.

قال: وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق، وقال

لأصحابه: قِفُوا حَتَّى تَمْضِيَ ضُعَفَاؤُكُمْ وَتَلْحَقَ أَخْرَاكُم؛ فَوَقَفَ هُنَاكَ حَتَّى مَضَى مَنْ كَانَ لِحَقِّ بِهِمْ مِنْ مَنْهَزَةِ النَّاسِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَئِذٍ لَخِيلِهِ الَّتِي بَعَثَ: إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بَجَادٍ - رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ - فَلَا يَفْلَتَنَّكُمْ؛ وَكَانَ بَجَادٌ قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ سَاقُوهُ وَأَهْلَهُ، وَسَاقُوا أُخْتَهُ الشَّيْءَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، أُخْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَعَنَفُوا عَلَيْهَا فِي السِّيَاقِ مَعَهُمْ، فَقَالَتْ لِلْمُسْلِمِينَ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنِّي لَأُخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ؛ فَلَمْ يُصَدِّقُوا حَتَّى أَتَوْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي وَجْزَةَ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى بِالشَّيْءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخْتُكَ، قَالَ: وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ عَضَّةٌ عَضَضْتُهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مَتَوَرِّكُكَ. قَالَ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَلَامَةَ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَا هُنَا، فَاجْلِسْ عَلَيْهَا عَلَيْهِ، وَخَيْرَهَا، وَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتَ فَعِنْدِي مُحَبَّةٌ مَكْرَمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَمْتَعَكَ وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ، قَالَتْ: بَلْ تَمْنَعُنِي وَتَرُدَّنِي إِلَى قَوْمِي، فَمَتَّعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا؛ فَزَعَمَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ أَنَّهُ أَعْطَاهَا غَلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ، وَجَارِيَةٌ؛ فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهَا بَقِيَّةٌ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: اسْتَشْهَدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ: أَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ - وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنٍ، مَوْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ أَسَدٍ - جَمَعَ بِهِ فَرَسٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْجَنَاحُ، فَقُتِلَ - وَمِنْ الْأَنْصَارِ سُراقَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ بُلْعَجَلَانَ، وَمِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ. ثُمَّ جُمِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا؛ وَكَانَ عَلَى الْمَغَانِمِ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو الْقَارِي، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّبَايَا وَالْأَمْوَالِ إِلَى الْجِعْرَانَةِ فَحَبِسَتْ بِهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا قَدِمَ قَلَّ ثَقِيفُ الطَّائِفِ أَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ مَدِينَتِهَا، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ لِلْقِتَالِ؛ وَلَمْ يَشْهَدْ حُنَيْنًا وَلَا حِصَارَ الطَّائِفِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَلَا غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ؛ كَانَا بِجُرَشٍ يَتَعَلَّمَانِ صِنْعَةَ الدَّبَابِ وَالضُّبُورِ وَالْمَجَانِيقِ.

فَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبَانُ الْعِطَارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ - يَعْنِي مَنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ - حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ، فَأَقَامَ نِصْفَ شَهْرٍ يِقَاتِلُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَقَاتَلَهُمْ ثَقِيفٌ مِنْ وَرَاءِ الْحِصْنِ؛ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ؛ وَأَسْلَمَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ؛ وَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفُودُهُمْ؛ ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَحَاصِرْهُمْ إِلَّا نِصْفَ شَهْرٍ حَتَّى نَزَلَ الْجِعْرَانَةَ؛ وَبِهَا السَّبْيُ الَّذِي سَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ - وَيَزْعَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ السَّبْيَ الَّذِي أَصَابَ يَوْمَئِذٍ مِنْ هَوَازِنَ كَانَتْ عِدَّتُهُ سِتَّةَ آلَافٍ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ - فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْجِعْرَانَةِ، قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَفُودُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَأَعْتَقَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ كُلَّهُمْ، وَأَهْلَ بَعْضِهِمْ مِنَ الْجِعْرَانَةِ؛ وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ

يقيم للناس الحج، ويعلم الناس الإسلام، وأمره أن يؤمن مَنْ حجَّ من الناس؛ ورجع إلى المدينة؛ فلما قَدِمها قَدِم عليه وفود ثقيف، فقاضوه على القضية التي ذكرت؛ فبايعوه، وهو الكتاب الذي عندهم كاتبوه عليه.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني ابنُ إسحاق عن عمرو بن شعيب؛ أن رسولَ الله ﷺ سَلَكَ إلى الطائف من حُنين على نخلة اليمانية، ثم على قَرْن، ثم على المُلَيْح، ثم على بَحْرَةِ الرُّغَاء من لَيْة، فابتنى بها مسجداً، فصلى فيه، فأقاد يومئذ ببَحْرَةِ الرُّغَاء حين نزلها بدم - وهو أول دم أُقيد به في الإسلام - رجلاً من بني ليث؛ قتل رجلاً من هُذَيْل، فقتله رسول الله ﷺ؛ وأمر رسول الله وهو بِلَيْة بحصن مالك بن عوف فهُدِم؛ ثم سَلَكَ في طريق يقال لها الضِّيفَة، فلما توجَّه فيها، سأل على اسمها، فقال: ما اسم هذه الطريق؟ فقيل له: الضِّيفَة، فقال: بل هي اليسرى. ثم خرج رسول الله ﷺ على نَخْب؛ حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة، قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: إما أن تخرج؛ وإما أن نُخرب عليك حائطك؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه.

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف؛ فضرب عسكره، فقتل أناس من أصحابه بالنبل؛ وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تناههم، ولم يقدر المسلمون أن يدخلوا حائطهم، غلقوه دونهم؛ فلما أصيب أولئك النَّفَرُ من أصحابه بالنبل، ارتفع، فوضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم؛ فحاصروهم بضعاً وعشرين ليلة؛ ومعه امرأتان من نسائه؛ إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية وأخرى معها - قال الواقدي: الأخرى زينب بنت جحش - فصرَّ لها قَتِين، فصلى بين القَتَيْن ما أقام.

فلما أسلمت ثقيف، بنى على مُصلى رسول الله ﷺ ذلك أبو أمية بن عمرو بن وهب بن مُعْتَب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية - فيما يزعمون - لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر؛ إلا سَمِع لها نقيض؛ فحاصروهم رسول الله ﷺ، وقتلهم قتلاً شديداً، وتراموا بالنبل حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دَبَابَة؛ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد مُحَمَّاةً بالنار، فخرجوا مِنْ تَحْتِهَا، فرمتهم ثقيف بالنبل، وقتلوا رجالاً؛ فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع فيها الناس يقطعون.

وتقدَّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف. فناديا ثقيفاً: أن أَمْنُونَا حتى نكلمكم، فأَمْنُوها؛ فدَعَا نساءً من نساء قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما - وهما يخافان عليهنَّ السَّاء - فأبين؛ منهنَّ أمنة بنت أبي سفيان، كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة وغيرها.

وقال الواقدي: حدَّثني كثير بن زيد، عن الوليد بن زَبَاح، عن أبي هريرة، قال: لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف، استشار رسول الله ﷺ نَوْفَل بن معاوية الدَّيْلِي، وقال: يا نوفل، ما تَرَى في المقام عليهم؟ قال: يا رسول الله؛ ثعلب في جُحْر؛ إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرَّك.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثنا ابنُ إسحاق، قال: قد بلغني أن رسولَ الله ﷺ قال لأبي بكر بن أبي قحافة، وهو محاصرٌ ثقيفاً بالطائف: يا أبا بكر، إني رأيتُ أنه اهْدَيْت لي قَعْبَةً مملوءة زُبْداً، فنقرها ديك فأهراق ما فيها؛ فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يوماً هذا ما تُريد يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

ثم إنَّ حَوْلَةَ بنت حَكِيم بن أُمَيَّة بن حارثة بن الأَوْقَص السُّلَمِيَّة - وهي امرأة عثمان بن مظعون - قالت : يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حُلِيَّ الفارعة بنت عُقَيْل - وكانتا من أحلى نساء ثقيف - قال : فذكر لي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لها : وإن كان لم يؤذَن لي في ثقيف يا خويلة ! فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل عمرُ على رسولِ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدَّثتني خويلة أنك قلتَه ! قال : قد قلتُه ، قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ! قال : لا ، قال : أفلا أودُّن بالرحيل في الناس ! قال : بلى ؛ فأذن عمر بالرحيل ؛ فلما استقلَّ الناس نادى سعيد بن عُبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج الثقفي : ألا إنَّ الحَيَّ مقيم ! قال : يقول عيينة بن حصن : أجل والله مجدة كراما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ! أتمدح قوماً من المشركين بالامتناع من رسول الله ، وقد جئت تنصره ! قال : إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفاً ؛ ولكني أردت أن يفتح محمدُ الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتبطنها لعلها أن تلد لي رجلاً ؛ فإن ثقيفاً قوم مناكير .

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قريش ورجل من بني ليث ، وأربعة من الأنصار .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثمَّ خرجَ رسولُ الله ﷺ حين انصرف من الطائف على دَحْنَا ؛ حتى نزل الجِعْرانة بمن معه من المسلمين ؛ وكان قدَّم سَبِيَّ هوازن حين سار إلى الطائف إلى الجِعْرانة ، فحبس بها ؛ ثم أتته وفود هوازن بالجِعْرانة ؛ وكان مع رسول الله ﷺ من سَبِيَّ هوازن من النساء والذرائع عدد كثير ، ومن الإبل ستة آلاف بعير ، ومن الشاء ما لا يُحصى .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : أتى وفدُ هوازن رسولَ الله ﷺ وهو بالجِعْرانة ؛ وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصلٌ وعشيرة ؛ وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فامنن علينا من الله عليك ! فقام رجل من هوازن - أحد بني سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله ﷺ - يقال له زهير بن صُرد ، وكان يكنى بأبي صُرد - فقال : يا رسول الله ؛ إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنَّ يكفلنك ! ولو أننا ملأنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمثل ما نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته ، وأنت خير المكفولين ! ثم قال :

أُمْنُ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَدْخُرُ
أَمْنٌ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُمَرَّقٌ شَمْلُهَا ، فِي دَهْرٍهَا غَيْرُ

في أبيات قالها ، فقال رسولُ الله ﷺ : أبناؤكم ونسائكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ؛ خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل ترد علينا نساءنا وأبنائنا فهم أحبُّ إلينا ، فقال : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صليت بالناس ، فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ؛ فسأعطيك عند ذلك ؛ وأسأل لكم ؛ فلما صلى رسولُ الله ﷺ بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله . قال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنوتيم فلا ، وقال

عبيدة بن حصن: أما أنا وبنو قزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، قالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله.

قال: يقول العباس لبني سليم: وهتتموني! فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك بحقه من هذا السبي منكم فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن عبيد السعدي أبو وجزة، أن رسول الله ﷺ كان أعطى علي بن أبي طالب جارية من سبي حنين يقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان، وأعطى عمر بن الخطاب جارية، فوهبها لعبد الله بن عمر.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، قال: أعطى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب جارية من سبي هوازن، فوهبها لي، فبعثت بها إلى أخوالي من بني جحج ليصلحوا لي منها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم؛ وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها، قال: فخرجت من المسجد حين فرغت؛ فإذا الناس يشتدون، فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: رد علينا رسول الله نساءنا وأبنائنا، قال: قلت: تلوكم صاحبكم في بني جحج؛ اذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها فأخذوها؛ وأما عبيدة بن جحج فأخذ عجزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجزاً وأرى لها في الحي نسباً؛ وعسى أن يعظم فداؤها! فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض أبي أن يردها، فقال له زهير أبو صرد: خذها عنك؛ فوالله ما فوها ببارد، ولا تديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا ذرها بمأكد، ولا زوجها بواجد. فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال؛ فرعموا أن عبيدة لقي الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: والله إنك ما أخذتها بكراً غريرة، ولا نصفاً وثيرة؛ فقال رسول الله ﷺ لو قد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف: ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال رسول الله: أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل، فأتني مالك بذلك؛ فخرج من الطائف إليه؛ وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر بإحليلته فحيث له، وأمر بفرس له فأتني به الطائف؛ فخرج ليلاً، فجلس على فرسه فركضه؛ حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تجلس له، فركبها، فلحق برسول الله فأدركه بالجرعانة - أو بمكة - فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسناً إسلامه.

واستعمله رسول الله ﷺ على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل حول الطائف: ثماله وسليمة وفهم؛ فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي:

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا	ثُمَّ تَغَزَوْنَا بَنُو سَلِمَةَ
وَأَتَانَا مَالُكَ بِهِمْ	نَاقِضاً لِلْهَيْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا	وَلَقَدْ كُنَّا أُولِي نَقِمَةٍ

وهذا آخر حديث أبي وجزة.

ثم رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب، قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حنين إلى

أهلها، ركب وأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، إقسم علينا فيئنا الإبل والغنم، حتى ألقوه إلى شجرة، فاخبطت الشجرة عنه رداءه، فقال: رُدُّوا عليَّ ردائي أيها الناس؛ فوالله لو كان لي عدد شجرتاهمة نَعْمًا لقسمتها عليكم، ثم ما لقيتموني بخيلاً ولا جَبَانًا ولا كَذَابًا. ثم قام إلى جنب بعير، فأخذ وَبَرَةً من سَنَامه فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها فقال: أيها الناس، إنه والله ليس لي من فيثكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردودٌ عليكم، فأدُّوا الخِيَاطَ والمَخِيطَ؛ فإن الغُلُولَ يكون على أهله عاراً وناراً وشَنَاراً يوم القيامة. فجاءه رجلٌ من الأنصار بكَبَّةٍ من خيوط شَعَرٍ فقال: يا رسول الله أخذتُ هذه الكَبَّةَ أعملُ بها بردعة بعير لي دَبر، قال: أمّا نصيبي منها فَلَكَ، فقال: إنه إذا بلغت هذه فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده.

إلى ها هنا حديث عمرو بن شعيب.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سَلَمَةُ، عن ابنِ إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: أعطى رسولُ الله ﷺ المَوْلَفَةَ قلوبهم - وكانوا أشرفاً من أشرف الناس يتألفهم ويتألف به قلوبهم - فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حَكِيم بن حزام مائة بعير، وأعطى النضير بن الحارث بن كَلْدَةَ بن علقمة أخا بني عبد الدار مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي حليف بني زُهْرَةَ مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى صَفْوَان بن أمية مائة بعير، وأعطى سُهَيْل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيْطَب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير، وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين؛ وأعطى دون المائة رجالاً من قريش؛ منهم مَخْرَمَةُ بن نوفل بن أهيب الزهري، وعمر بن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي - لا يحفظ عدده ما أعطاهم؛ وقد عرف فيما زعم أنها دون المائة - وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكَةَ بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السهمي خمسين من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس السلمي أبا عَرَ فَنَسَخَطَهَا، وعاتب فيها رسول الله ﷺ، فقال:

كانت نهباً تلافيتها	بكرى على المهر في الأجر
وإيقاظي القوم أن يرقدوا	إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبى ونهب العبيد	د بين عينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تذر	فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفائل أعطيتها	عديد قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون أمرى منهما	ومن تضع اليوم لا يرفع

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: اذهبوا فاقطعوا عني لسانه؛ فزادوه حتى رضي؛ فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سَلَمَةُ، عن ابنِ إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، أن قاتلاً قال لرسولِ الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عُيَيْنَةَ بن حِصْن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جُعَيْلَ بن سراقَةَ الضُمَرِيَّ! فقال رسولُ الله ﷺ: أما والذي نفسي بيده، لجُعَيْلَ بن سراقَةَ خيرٌ من طلاع

الأرض، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس؛ ولكني تألفتها لئسلا، ووكلت جُعيل بن سُراقَة إلى إسلامه.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدَّثني أبو عبيدة بن محمد، عن مِقْسَم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقاً نعليه بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم، أقبل رجلٌ من بني تميم يقال له ذو الحُوَيْصرة، فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم! فقال رسول الله: أجل؛ فكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت! فغضب رسول الله ﷺ، ثم قال: ويحك! إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون! فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا نقتله! فقال: لا، دعوه؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، يُنظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدح فلا يوجد شيء، ثم في الفؤاد فلا يوجد شيء؛ سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَم.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك؛ وسماه ذا الحُوَيْصرة التميمي.

قال أبو جعفر: وقد روي عن أبي سعيد الخُدري أن الذي كلم رسول الله ﷺ بهذا الكلام؛ إنما كلمه به في مالٍ كان علي عليه السلام بعثه من اليمن إلى رسول الله، فقسمه بين جماعة؛ منهم عيينة بن حصن، والأقرع، وزيد الخليل؛ فقال حينئذ ما ذكر عن ذي الحُوَيْصرة أنه قاله رجل حضره.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد معه حنيناً، قال: والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقة لي، وفي رجلي نعل غليظة، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله فأوجعه، قال: فقرع قدمي بالسوط، وقال: أوجعتني فتأخر عني، فانصرفت؛ فلما كان من الغد إذا رسول الله يلتمسني، قال: قلت: هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله بالأسس. قال: فجئته وأنا أتوقع، فقال لي: إنك قد أصبت رجلي بالأسس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط، فدعوتك لأعوضك منها؛ فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخُدري، قال: لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة؛ حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله؛ إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد! قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي! قال: فاجمع لي قومك في الحظيرة، قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: فجاءه رجال من المهاجرين، فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال: قد اجتمع

لك هذا الحقي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هوله أهل، ثم قال: يا معشر الأنصار، ما قاله بلغني عنكم، وموجدة وجدتموها في أنفسكم! ألم آتكم ضللاً فهداكم الله؛ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، لله ولرسوله المن والفضل! فقال: ألا تحببوني يا معشر الأنصار! قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولرسوله المن والفضل! قال: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم، ولصدقتم؛ أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك؛ وجذتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم! أفلا ترضون يا معشر الأنصار؛ أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم! فوالذي نفس محمد بيده؛ لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً، لسكنت شعب الأنصار! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار!

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضيينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء، فحبس بمجنة، وهي بناحية مَرَّ الظَّهران، فلما فرغ رسول الله من عمرته وانصرف راجعاً إلى المدينة؛ استخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يُفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وأتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفيء.

وكانت عمرة رسول الله في ذي القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في ذي القعدة أو في ذي الحجة، وحجَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجَّ عليه، وحجَّ تلك السنة بالمسلمين عتاب بن أسيد؛ وهي سنة ثمانٍ؛ وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة، إذ انصرف رسول الله عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع.

قال الواقدي: لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بين المسلمين بالجعرانة، أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة؛ فمن كان منهم فارساً أخذ سهم فرسه أيضاً. وقال أيضاً: قدم رسول الله ﷺ المدينة لليلتين بقيتا من ذي الحجة من سفرته هذه.

قال: وفيها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرُو ابني الجُلْنَدَى من الأزد مُصَدِّقاً، فخليا بينه وبين الصدقة، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم، وأخذ الجزية من المجوس الذين بها، وهم كانوا أهل البلد، والعرب كانوا يكونون حولها.

قال: وفيها تزوّج رسول الله ﷺ الكلابية التي يقال لها فاطمة بنت الصّحّاك بن سفيان، فاخترت الدنيا حين خيّرت. وقيل: إنها استعازت من رسول الله، ففارقها. وذكر أن إبراهيم بن وثيمة بن مالك بن أوس بن الحدثان؛ حدّثه عن أبي وجزة السعدي أن النبي ﷺ تزوّجها في ذي القعدة.

قال: وفيها ولدت مارية إبراهيم في ذي الحجة، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بُردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وزوّجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار؛ فكانت ترضعه.

قال: وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ؛ فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته أنها ولدت غلاماً؛ فبشّر به أبو رافع رسول الله، فوهب له مملوكاً.

قال: وغارت نساء رسول الله ﷺ، واشتدّ عليهنّ حين رزقت منه الولد.

ثم دخلت سنة تسع

وفيها قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ - فيما ذكر - فقالوا: قديمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولاً، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ...﴾^(١) الآية.

وفيها قدم وفد بلقي في شهر ربيع الأول، فنزلوا على رُوَيْفَعِ بْنِ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ.

وفيها قدم وفد الداريين من الحُم، وهم عشرة.

وفيها قدم - في قول الواقدي - عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مسلياً، وكان من خبره - ما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ انصرفت عن أهل الطائف أتبع أثره عروة بن مسعود بن مُعْتَبٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ؛ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَمَا يَتَحَدَّثُ قَوْمُهُمْ: إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ؛ وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةً بِالْإِمْتِنَاعِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ - فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ - وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحِبِّاً مَطَاعاً - فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَرَجَا أَلَّا يَخَالِفُوهُ لِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ؛ فَلَمَّا أَشْرَفَ لَهُمْ عَلَى عُكَيْتِهِ لَهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ؛ فَتَزَعَمَ بَنُو مَالِكٍ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَزَعَمَ الْأَحْلَافُ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي عَتَابِ بْنِ مَالِكٍ، يُقَالُ لَهُ وَهْبُ بْنُ جَابِرٍ. فَقِيلَ لِعُرْوَةَ: مَا تَرَى فِي دَمِكَ؟ قَالَ: كَرَامَةُ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، وَشَهَادَةُ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيَّ، فَلَيْسَ فِيَّ إِلَّا مَا فِي الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ، فَادْفَنُونِي مَعَهُمْ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ. فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيهِ: إِنْ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ يَسَ فِي قَوْمِهِ.

وفيها قدم وفد أهل الطائف على رسول الله ﷺ، قيل: إنهم قدموا عليه في شهر رمضان.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثُمَّ أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهُراً، ثُمَّ إِنَّهُمْ اتَّخَمُوا بَيْنَهُمْ أَلَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَقَدْ بَايَعُوا وَأَسْلَمُوا.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ أَخَا بَنِي عِلَاجٍ كَانَ مُهَاجِراً لِعَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَمْرٍو، الَّذِي بَيْنَهُمَا

سَيِّءٌ - وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب - فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل عليه داره، ثم أرسل إليه: إن عمرو بن أمية يقول لك: اخرج إلي، فقال عبد ياليل للرسول: ويحك! أعمرو أرسلك؟ قال: نعم، وهو ذا واقف في دارك. فقال: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا كُنْتُ أَظُنُّهُ! لَعَمْرُوكَ كَانَ أَمْنَعُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا رَأَى رَحَبَ بِهِ، وقال عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هَجْرَةٌ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، وقد أسلمت العربُ كُلُّهَا، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم. فعند ذلك اثتمرت ثَقِيفُ بَيْنِهَا، وقال بعضهم لبعض: أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ لَكُمْ سِرْبٌ، وَلَا يُخْرِجُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا اقْتُطِعَ بِهِ! فاثتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، كما أرسلوا عروة، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير - وكان في سنِّ عُرْوَةَ بن مسعود - وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصْنَعَ بِهِ إِذَا رَجَعَ كَمَا يُصْنَعُ بِعُرْوَةَ، فقال: لست فاعلاً حتى تبعثوا معي رجلاً، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُثَمَانِ أَخُو بَنِي يَسَارٍ، وأوس بن عوف أخو بني سالم، ومُتَمِرُ بْنُ خَرْشَةَ بن ربيعة أخو بلحارث؛ وبعثوا من الأحلاف مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب وشُرَحْبِيلُ بن غِيلَانَ بن سلمة بن معتب؛ فخرج بهم عبد ياليل - وهو نَابُ الْقَوْمِ وصاحب أمرهم؛ ولم يخرج إلا خَشْيَةً مِنْ مِثْلِ مَا صَنَعَ بِعُرْوَةَ بن مسعود، ليشغل كلَّ رجلٍ منهم إِذَا رَجَعُوا إِلَى الطَّائِفِ رَهْطَهُ - فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة لَقُوا بِهَا الْمَغِيرَةَ بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله، وكانت رَغِيَّتُهَا نُوباً عَلَى أَصْحَابِهِ، فلما رَأَوْهُمُ الْمَغِيرَةَ ترك الركاب وضرب يشدُّ لِيُشَرَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرُ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله، فأخبره عن رُكْبٍ ثَقِيفٍ أَنَّهُمْ قَدِمُوا يريدون البيعة والإسلام، بأن يشترط لهم شروطاً، ويكتبوا من رسول الله كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم. فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا الذي أحدثه! ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر على رسول الله، فأخبره عن رُكْبٍ ثَقِيفٍ بِقَدُومِهِمْ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فَرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم، وعلمهم كيف يُحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهليَّة.

ولما أن قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضرب عليهم قَبَّةٌ فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ - كما يزعمون - وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ؛ حتى اكتتبوا كتابهم؛ وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَاماً يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ؛ حَتَّى أَسْلَمُوا وَبَايَعُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ - وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أَنْ يَدَعَ الطَّاعِيَةَ؛ وَهِيَ اللَّاتُ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سَنِينَ؛ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ فَمَا يَرْحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةَ سَنَةً، فَأَبَى عَلَيْهِمْ حَتَّى سَأَلُوهُ شَهْراً واحداً بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ؛ فَأَبَى أَنْ يَدْعَهَا شَيْئاً يَسْمَى؛ وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَسْلَمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سَفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذُرَارِيِّهِمْ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ يَرَوَعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ - فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سَفْيَانَ بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها؛ وقد كانوا سألوه مع ترك الطَّاعِيَةَ أَنْ يُعْفِيَهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَنْ يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا كَسَرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسُنْعِيكُمْ مِنْهُ؛ وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ؛ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا هَذِهِ فَسُنُوتُكِهَا وَإِنْ كَانَتْ دَعَاءً.

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكُتِبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابَهُمْ؛ أَمَرَ عَلَيْهِمُ عُثْمَانُ بن أَبِي الْعَاصِ - وَكَانَ مِنْ أَحَدِيهِمْ سَنًا -

وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ إني قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن ابنِ إسحاق، عن يعقوب بن عُتبة، قال: فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم؛ حتى إذا قدّموا الطائف أراد المغيرة أن يقدّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: ادخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه دونه - بنو مُعْتَب - خَشْيَةً أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُرْوَة، وخرج نساءٌ ثقيفٌ حُسْرًا يكيّن عليها، ويقلن:

أَلَا أَبْكَيْنَ دُقَاعٌ
أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ
لَمْ يُحْسِنُوا المِصَاعُ

قال: ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهاً لك! واهاً لك! فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحلّيتها وأرسل إلى أبي سفيان وحلّيتها مجموع، ومالها من الذهب والجزع، وكان رسول الله ﷺ أمر أبا سفيان أن يقضي من مال اللات دينَ عُرْوَة والأسود ابني مسعود، فقضى منه دينها. وفي هذه السنة غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك.

ذكر الخبر عن غزوة تبوك

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن محمد بن إسحاق، قال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد منصرفه من الطائف، ما بين ذي الحجة إلى رجب.

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم؛ فحدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهريّ ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم؛ كلٌّ قد حدّث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض، وكلٌّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث. إنّ رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم؛ وذلك في زمن عُسْرة من الناس، وشدة من الحرّ، وجذب من البلاد؛ وحين طابت الثمار وأجبت الظلال؛ فالناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلماً يخرج في غزوة إلّا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الذي يصمّد له؛ إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيّنها للناس لبُعْدِ الشُّقَّةِ وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمّد له، ليتأهّب الناس لذلك أهْبَتَهُ، وأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم.

فتمجّهز الناس على ما في أنفسهم من الكُره لذلك الوجه لما فيه؛ مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم؛ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجَدِّ بن قيس أخي بني سلّمة: هل لك يا جدّ العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني! فوالله لقد عرف قومي ما رجلٌ أشدَّ عجباً بالنساء مني؛ وإني أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألا أصبرَ عنهن. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك؛ ففني

الجد بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا دُعِيَ إِلَى اللَّهِ فِئْتَى . . .﴾^(١) الآية؛ أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر - وليس ذلك به - فما سقط فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم؛ وإن جهنم لمن ورائه.

وقال قائل من المنافقين لبعض: لا تنفروا في الحرّ، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحقّ، وإزجافاً بالرسول، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾. إلى قوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

ثم إن رسول الله ﷺ جدّ في سفره، فأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله، ورغبهم في ذلك، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظم من نفقته.

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكّاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: ﴿لَا أُجِدُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعِينُوا تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾^(٣). قال: فبلغني أنّ يامين بن عمير بن كعب النضريّ لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل، وهما يبيكان، فقال لهما: ما يبيكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضحاً فارتحلاه، وزودهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ.

قال: وجاء المُعَدِّرون من الأعراب، فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله عزّ وجلّ؛ وذكر لي أنهم كانوا من بني غفار، منهم خفاف بن إيماء بن رَحْضَةَ.

ثم استتبّ برسول الله ﷺ سفره، وأجمع السير؛ وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله حتى تخلّفوا عنه من غير شك ولا ارتياب؛ منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلّمة، ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية أخو بني واقف، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف؛ وكانوا نفر صدق لا يَتَّهِمُونَ في إسلامهم، فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي ابن سلّول عسكره على حدة أسفل منه بحذاء دُبَاب؛ جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع. وكان - فيما يزعمون - ليس بأقلّ العسكرين؛ فلما سار رسول الله ﷺ تخلّف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيب - وكان عبد الله بن أبي أخا بني عوف بن الخزرج - وعبد الله بن نَبِيل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قَيْنُقَاع؛ وكانوا من عظماء المنافقين؛ وكانوا ممن يكيد الإسلام وأهله.

قال: وفيهم - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلّمة، عن ابن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن البصريّ - أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ آتَبَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلُّوا لَكَ الْأُمُورَ . . .﴾^(٤)، الآية.

(١) سورة التوبة: ١٤٩.

(٢) سورة التوبة: ٨١، ٨٢.

(٣) سورة التوبة: ٩٢.

(٤) سورة التوبة: ٤٨.

قال ابن إسحاق: وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، واستخلف على المدينة سبأ بن غرْفطة، أخا بني غفار، فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب، وقالوا: ما خلفه إلا استغفلاً له، وتحققاً منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ عليّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجرف فقال: يا نبي الله؛ زعم المنافقون أنك إنما خلفتني؛ أنك استقلتني وتحققت مني! فقال: كذبوا، ولكني إنما خلفتك لما ورائي، فارجع فاحلفني في أهلي وأهلك؛ أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون بن موسى؛ إلا أنه لا نبي بعدي! فرجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

ثم إن أبا خيثمة أخا بني سالم رجع - بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً - إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط، قد رشت كل واحدة منها عريشها وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً؛ فلما دخل فقام على باب العريشين؛ فظفر إلى امرأته وما صنعتا له، قال: رسول الله في الضح والريح، وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء، في ماله مقيم! ما هذا بالنصف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله؛ فهيئت لي زاداً؛ ففعلت. ثم قدم ناضحاً فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ. ففعل، ثم سار حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: يا رسول الله، هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله: كُنْ أبا خيثمة! فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله: أُولَى لك يا أبا خيثمة! ثم أخبر رسول الله الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير.

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحجر نزها واستقى الناس من بشرها، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ: لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا توضعوا منها للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج منكم الليلة إلا ومعه صاحب له؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة؛ خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بغيره، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بغيره فاحتملته الريح حتى طرحته في جبل طيء، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحب له! ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفّيه، وأما الآخر الذي وقع بجبل طيء؛ فإن طيئاً هدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

قال أبو جعفر: والحديث عن الرجلين.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي: فلما أصبح الناس - ولا ماء معهم - شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا الله فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قلت لمحمود بن أبيد: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه

ومن عمّه ومن عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك؛ ثم قال محمود: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجلٍ من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، أقبلنا عليه نقول: ويحك! هل بعد هذا شيء! قال: سحابة مارة.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه، يقال له عُمارة بن حزم، وكان عقيباً بدرياً، وهو عمّ بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُقَاعِي، وكان منافقاً، فقال زيد بن لُصَيْب وهو في رحل عُمارة، وعُمارة عند رسول الله ﷺ: أليس يزعم محمد أنه نبيّ يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله ﷺ: وعُمارة عنده: إن رجلاً قال: إن محمداً هذا يخبركم أنه نبي، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! وإني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في الوادي من شِعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوا بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله، فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله ﷺ أنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا - للذي قال زيد بن اللُصَيْب -. فقال رجلٌ ممن كان في رحل عُمارة، ولم يحضر رسول الله: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عُمارة على زيد ينجأ في عنقه، ويقول: يا عباد الله، والله إن في رحلي لداهية وما أدري! اخرج يا عدوّ الله من رحلي فلا تصحبني! قال: فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك، وقال بعض: لم يزل متهماً بشراً حتى هلك.

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً؛ فجعل يتخلّف عنه الرجل فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: دعوه، فإن يك فيه خير فسيُلحِقْه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه؛ حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره؛ فقال: دعوه، فإن يك فيه خير فسيُلحِقْه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

قال: وتلوّم أبو ذرٍّ على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه، فحمّله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلها، فنظره ناظرٌ من المسلمين، فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذرٍّ! فلما تأمله القوم، قالوا: يا رسول الله، هو أبو ذرٍّ! فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله أبا ذرٍّ! يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَث وحده.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق، عن بُرَيْدة بن سفيان الأسلمي، عن محمّد بن كعب القرظي، قال: لما نفى عثمان أبا ذرٍّ نزل أبو ذرٍّ الرَبْدَةَ، فأصابه بها قدره، ولم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن غسّلاني وكفّناي، ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به، ثم وضعاه على قارعة الطريق، فأقبل عبد الله بن مسعود ورهطٌ من أهل العراق عُمَاراً، فلم يرُعْهم إلا بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطوّها، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه. قال: فاستهلّ عبدُ الله بن مسعود يبيكي، ويقول: صدق رسول الله ﷺ! تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبْعَث وحدك! ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه.

ثمَ حَدَّثَهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة ، يقال له مخشي بن حمير ، يسرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتخسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأنني بكم غداً مقرنين في الحبال ؛ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فقال مخشي بن حمير : والله لوددتُ أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأنا نفلت أن ينزل الله فينا قرآناً لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلت كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك ؛ فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقام وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقيبها : يا رسول الله ، كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾ (١) . وقال مخشي بن حمير : يا رسول الله ، قعد بي اسمي واسم أبي ؛ فكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مخشي بن حمير ؛ فسَمِيَ عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يُعلم مكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه يُحَنِّه بن رُوَيْه ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأهل جرباء وأذرح أعطوه الجزية ، وكتب رسول الله ﷺ لكل كتاباً ، فهو عندهم .

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة - وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدَةَ ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً - فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ! قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسان ، فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم ؛ فلما خرجوا تلقَّتهم خيلُ رسول الله ﷺ فأخذته ، وقتلوا أخاه حسان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مُحَوَّص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيتُ قباء أكيدر حين قُدِمَ به إلى رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ! فوالذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا !

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته .

رجع الحديث إلى حديث يزيد بن رومان الذي في أول غزوة تبوك . قال : فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضعة عشرة ليلة ولم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، فكان في الطريق ماء يخرج من وشلٍ ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادي المُشَقِّق ، فقال رسول الله ﷺ : مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَلَا يَسْتَقِينُ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى نَأْتِيَهُ . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه

شيئاً؛ فقال: مَنْ سبقنا إلى هذا الماء؟ ف قيل له: يا رسول الله، فلان وفلان، فقال: أَوَلَمْ نَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى نَأْتِيَهُمْ؟ ثُمَّ لَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْوَشْلِ، فَجَعَلَ يَصُبُّ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصُبَّ، ثُمَّ نَضَحَهُ بِهِ وَمَسَحَهُ بِيَدِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو، فَانْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ - كَمَا يَقُولُ مَنْ سَمِعَهُ: إِنْ لَهُ حِسًا كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ؛ فَشَرِبَ النَّاسُ وَاسْتَقَوْ حَاجَتَهُمْ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَيْسَمَعَنَّ هَذَا الْوَادِي؛ وَهُوَ أَخْضَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ؛ بَلَدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ؛ وَكَانَ أَصْحَابُ الْمَسْجِدِ الضَّرَارُ قَدْ كَانُوا أَتَوْهُ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لَذِي الْعَلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا فَتَصِلَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ: إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَحَالَ شُغْلٍ - أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ؛ فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ أَتَاهُ خَيْرُ الْمَسْجِدِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالِكَ بْنَ الدُّخَشْمِ، أَخَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ وَمَعْنِ بْنِ عَدِيٍّ - أَوْ أَخَاهُ عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ - فَقَالَ: انْطَلِقَا إِلَى الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ؛ فَخَرَجَا سَرِيعَيْنِ حَتَّى أَتَيَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ؛ وَهُمْ رَهَطُ مَالِكِ بْنِ الدُّخَشْمِ، فَقَالَ مَالِكُ لِمَنْ: أَنْظِرْنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْكَ بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي، فَدَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَخَذَ سَعْفًا مِنَ النَّخْلِ، فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَرَجَا يَشْتَدَّانِ حَتَّى دَخَلَا الْمَسْجِدَ وَفِيهِ أَهْلُهُ، فَحَرَّقَاهُ، وَهَدَمَاهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

وَكَانَ الَّذِينَ بَنَوْهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا: خِذَامُ بْنُ خَالِدٍ، مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ زَيْدٍ؛ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ - وَمِنْ دَارِهِ أَخْرَجَ مَسْجِدَ الشَّقَاقِ - وَثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ مِنْ بَنِي عَبِيدٍ - وَهُوَ إِلَى بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَمُعْتَبٌ بْنُ قُشَيْرٍ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَأَبُو حَبِيبَةَ بْنِ الْأَزْعَرِ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبَادُ بْنُ حُنَيْفٍ، أَخُو سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَجَارِيَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَابْنَاهُ مَجْمَعُ بْنُ جَارِيَةَ وَزَيْدُ بْنُ جَارِيَةَ، وَبَنْتُ بْنُ الْحَارِثِ، مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ، وَبِحَرْجٍ - وَهُوَ إِلَى بَنِي ضُبَيْعَةَ - وَبَجَادُ بْنُ عَثْمَانَ - وَهُوَ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ - وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَهُوَ إِلَى بَنِي أُمِيَّةَ رَهَطُ أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذَرِ.

قَالَ: وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ - وَقَدْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ رَهَطُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَتَخَلَّفَ أَوْلَئِكَ الرَّهَطُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا نِفَاقٍ: كَعَبِ بْنِ مَالِكٍ، وَمِرَارَةَ بْنِ الرَّبِيعِ، وَهَلَالَ بْنِ أُمِيَّةَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَكَلِّمَنَّ أَحَدٌ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَأَتَاهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ، فَصَفَحَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَعْذِرْهُمْ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ، وَاعْتَرَلَ الْمُسْلِمُونَ كَلَامَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ النَّفَرِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢)، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

قَالَ: وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. وَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ وَقَدْ تَقِيفٌ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ خَبَرِهِمْ قَبْلَ.

قَالَ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةَ تِسْعٍ - وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى

(١) سورة التوبة: ١٠٧.

(٢) سورة التوبة: ١١٧ - ١١٩.

بلاد طيء في ربيع الآخر، فأغار عليهم، فسبى وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم، يقال لأحدهما: رُسوب، وللآخر المخدّم؛ وكان لهما ذُكر، كان الحارث بن أبي شمر نذرهما له، وسبى أخت عدي بن حاتم.

قال أبو جعفر: فأما الأخبار الواردة عن عدي بن حاتم عندنا بذلك فبغير بيان وقت، وبغير ما قال الواقدي في سبي عليّ أخت عدي بن حاتم.

حدّثنا محمد بن المثنى، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا شعبة، قال: حدّثنا سماك، قال: سمعت عباد بن حُبَيْش يحدث عن عدي بن حاتم، قال: جاءت خيلُ رسول الله ﷺ - أو قال: رسلُ رسول الله - فأخذوا عمّي وناساً فأتوا بهم النبي ﷺ. قال: فصَفُّوا له. قالت: قلت: يا رسول الله، نأى الوافد، وانقطع الوالد؛ وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة؛ فمنّ عليّ من الله عليك يا رسول الله! قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الذي فرّ من الله ورسوله! قالت: فمنّ عليّ - ورَجُل إلى جنبه ترى أنه عليّ عليه السلام، قال: سليه حُملانا. قال: فسألته، فأمر بها فأتني، فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها! قالت: اتّيه راغباً وراهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه. قال: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان - أو صبي - فذكر قريتهم من النبي ﷺ - فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر، فقال لي: يا عدي بن حاتم، ما أفرك أن يقال لا إله إلا الله! فهل من إله إلا الله! وما أفرك أن يُقال الله أكبر! فهل من شيء هو أكبر من الله! فأسلمتُ فرأيت وجهه استبشر.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن شيبان بن سعد الطائي، قال: كان عدي بن حاتم طيء يقول فيما بلغني: ما رجل من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله حين سمع به مني؛ أمّا أنا فكنتُ أمراً شريفاً، وكنتُ نصرانياً أسير في قومي بالمرباع، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي، لما كان يصنع بي، فلما سمعتُ برسول الله كرهته، فقلت لغلام كان لي عربيّ وكان راعياً لإبلي: لا أبالك! أعدد لي من إبلي اجمالاً ذلاً سماناً مساناً، فاحبسها قريباً مني؛ فإذا سمعتُ بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذني، ففعل. ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عدي؛ ما كنت صانعاً إذا غَشِيَتْكَ خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد، قال: فقلت: قَرَّب لي جمالي، فقربها، فاحتملتُ بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحقُ بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الحوشية وخلفت ابنة حاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها، وتُخالفني خيلُ لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصيب. فقُدِّم بها على رسول الله في سبایا طيء، وقد بلغ رسول الله ﷺ هَرَبِي إلى الشام. قال: فجُعِلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبایا يُجَسِّن بها، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه - وكانت امرأة جَزَلَةً - فقالت: يا رسول الله؛ هلك الوالد، وغاب الوافد، فامننّ عليّ من الله عليك! قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفارّ من الله ورسوله! قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني؛ حتى إذا كان الغد مرّ بي وقد أيسّت، فأشار إليّ رجلٌ من خَلْفه: أن قومي إليه فكلميه، قالت: فقمّت إليه، فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامننّ عليّ من الله عليك، قال: قد فعلتُ فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم أذنبي. قالت: فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلميه فقبل: علي بن أبي طالب. قالت: وأقمت حتى قدم ركب من بلي - أو من قضاة - قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، قالت: فجئت رسول الله ﷺ،

فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي، فوالله، إنني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى طعينة تُصَوَّبُ إليَّ تَوَمَّنا. قال: فقلت: ابنة حاتم! قال: فإذا هي هي؛ فلما وقفت عليَّ انسحلت تقول: القاطع الظالم! احتملت بأهلك وولدك، وتركت بُنيَّة والدك وعورته! قال: قلت: يا أخية، لا تقولي إلا خيراً، فوالله مالي عذر، لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها - وكانت امرأة حازمة -: ماذا تريين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن ملكاً فلن تدل في عز اليمن وأنت أنت! قلت: والله إن هذا للراي. قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. قال: فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك، ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته، فتناول وسادة من آدم محشوة ليفاً، فقذفها إليَّ، فقال لي: اجلس على هذه، قال: قلت: لا بل أنت، فاجلس عليها. قال: لا بل أنت، فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك ركُوسياً! قال: قلت: بلى، قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرِّباع! قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك، قال: قلت: أجل والله - وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل - قال: ثم قال: لعله يا عدي بن حاتم؛ إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم! فوالله ليوشكنَّ المال يفيض فيهم حتى لا يُوجد من يأخذه؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تُخرج من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف إلا الله؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وإيم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت. قال: فأسلمت، فكان عدي بن حاتم يقول: مضت الثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تُخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف شيئاً حتى تخرج هذا البيت. وإيم الله لتكونن الثالثة ليفيضمَّ المال حتى لا يوجد من يأخذه.

قال الواقدي: وفيها قدم على رسول الله ﷺ وفد بني تميم، فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، قالوا: قدم على رسول الله ﷺ عطارذ بن حاجب بن زارة بن عُدس التميمي في أشراف من تميم، منهم الأقرع بن حابس، والزَّبرقان بن بدر التميمي ثم أحد بني سعد، وعمر بن الأهم، والحُتات بن فلان، ونعيم بن زيد، وقيس بن عاصم أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم، معهم عُبينة بن حصن بن حذيفة الفراري - وقد كان الأقرع بن حابس وعُبينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحصار الطائف، فلما وفد وفد بني تميم كانا معهم - فلما دخل وفد بني تميم المساجد، نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحُجرات: أن اخرج إلينا يا محمد. فأذى ذلك من صياحهم رسول الله ﷺ؛ فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك لنفاخرَكَ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: نعم، أذنت لخطيبكم فليقل. فقام إليه عطارذ بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عدداً، وأيسره

عُدَّة، فمن مثلنا في الناس! ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم! فمن يفاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا؛ وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام؛ ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا؛ وإنا نُعرف. أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس أخيه بلحارث بن الخزرج: قم فأجب الرجل في خطبته.

فقام ثابت، فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسّع كُرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله. ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأنزل عليه كتابه، واثمنه على خلقه؛ فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمته؛ أكرم الناس أنساباً، وأحسن الناس وجوهاً؛ وخير الناس فعلاً؛ ثم كان أول الخلق إجابة - واستجاب الله حين دعا رسول الله ﷺ - نحن؛ فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين وللمؤمنات؛ والسلام عليكم.

قالوا: يا محمد، ائذن لشاعرنا، فقال: نعم، فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحنُ الكرامُ فلا حيُّ يُعادلنا	منّا الملوكُ وفيّنا تُنصبُ البيعُ
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النّهابِ وفُضِّل العِزُّ يتبعُ
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا	من الشّواءِ إذا لم يؤنس القزعُ
ثم ترى الناس تأتينا سرّاتهم	من كلّ أرضٍ هويّاً ثم نصطنعُ
فتنحر الكوم عبطاً في أرومتنا	لِلنّازليّين إذا ما أنزلوا شيعوا
فلا ترانا إلى حيّ نفاخرهم	إلا استقادوا وكاد الرأس يُقتطعُ
إنا أبينا ولن يابى لنا أحد	إنا كذّلك عند الفخر نرتفعُ
فمن يُقادرنا في ذاك يعرفنا	فيرجع القول والأخبار تُستمعُ

وكان حسان بن ثابت غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ، قال حسان: فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، خرجت إلى رسول الله، وأنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حلّ وسطننا	على كلّ باغ من معدٍّ وراغمٍ
منعناه لما حلّ بين بيوتنا	بأسيفنا من كلّ عادٍ وظالمٍ
ببيت حريدٍ عزّه وثراؤه	بجايبة الجولان وسط الأعاجمٍ
هل المجد إلا السؤدد العود والندى	وجاء الملوك واحتمال العظام!

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال؛ فلما فرغ الزبرقان بن بدر من قوله قال رسول الله ﷺ لحسان: قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال، قال: فقال حسان:

إن الذوائب من فھر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ
أَعْفَةُ ذِكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبَهَا
لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ
خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
فَإِنْ فِي حَرْبِهِمْ - فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ
أَكْرِمَ بِقَوْمٍ رَسُولَ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ
أَهْدَى لَهُمْ مَذْحِجِي قَلْبٍ يُوَاظِرُهُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ

تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُضْطَنَعُ
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخِلَاقَ فَاعِلِمَ شَرِّهَا الْبِدْعُ
فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَذْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْأَنْدَى مَتَعُوا
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُزْدِيهِمْ طَمَعُ
وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
كَمَا يَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَةِ الذَّرْعُ
إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ
أُسْدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَائِهَا فَدَعُ
وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ
إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
فِيمَا أَحَبَّ لِسَانُ حَائِكٍ صَنَعُ
إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا الرجل لمؤق له! لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم - وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم - فقال قيس بن عاصم - وكان يبغيض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله؛ إنه قد كان منا رجل في رحالنا وهو غلام حدث، وأزري به. فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم؛ فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه ذلك من قول قيس بن عاصم، وهو يهجو:

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشاً هَلْبَاكَ تَشْتِمُنِي
إِنْ تُبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلَكُمْ
عِنْدَ الرُّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ
وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءُ لِلْعَرَبِ
مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان، قال: فأنزل الله فيهم القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ - من بني تميم - ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١)؛ قال: وهي القراءة الأولى.

قال الواقدي: وفيها مات عبد الله بن أبي ابن سلول، مريض في ليالٍ بَقِيْنَ من شوال، ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة.

قال: وفيها قدم على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حمير في شهر رمضان مُقرين بالإسلام؛ مع رسولهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قَيْلَ ذي رُعَيْن.

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حمير مَقْدَمُهُ من تَبُوك ورسولهم إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قَيْلَ ذي رُعَيْن، وهَمْدَان ومَعَاوِر؛ وبعث إليه زُرْعَة ذو يَزَن مَالِك بن مُرَّة الرُّهَاقِيّ بإسلامه، ومفارقتهم الشرك وأهله، فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْلَ ذي رُعَيْن وهَمْدَان ومَعَاوِر؛ أما بعد ذلك؛ فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد؛ فإنه قد وقع بنا رسولكم مَقْفَلَتَنَا من أرض الرُّوم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أُرْسَلْتُمْ، وخبر ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين؛ وإنَّ الله قد هداكم بهدايته، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة؛ وأعطيتم من المغنم مُخَسَّسُ الله، وسهم نبيِّه وصفيِّه؛ وما كُتِبَ على المؤمنين من الصدقة من العَقَار عَشْرُ ما سَقَت العين وما سَقَت السماء، وكلَّ ما سَقِيَ بالغَرْب نصف العُشْر، وفي الإبل في الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابنُ لبون ذكْرٌ، وفي كلِّ خمس من الإبل شاة، وفي كلِّ عشر من الإبل شاتان، وفي كلِّ أربعين من البقر بقرة، وفي كلِّ ثلاثين من البقر تَبِيعٌ؛ جَذَعٌ أو جَذَعَة، وفي كلِّ أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة. وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له، ومن أَدَّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين؛ فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم؛ وله ذمة الله وذمة رسوله. وإنه من أسلم من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ فإنَّ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتنُّ عنها، وعليه الجزية؛ على كلِّ حالم ذكر أو أنثى، حرٌّ أو عبد؛ دينار وافرٍ أو قيمته من المعافر أو عَرْضُهُ ثياباً؛ فمن أَدَّى ذلك إلى رسول الله؛ فإنَّ له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدوٌّ لله ولرسوله.

أما بعد؛ فإنَّ رسولَ الله محمدًا النبيَّ أُرْسِلَ إلى زُرْعَة ذي يَزَن أن إذا أتتكم رُسُلِي فأوصيكم بهم خيراً: مُعَاذ بن جَبَل، وعبد الله بن زيد ومالك بن عُبَادَة، وعُقْبَة بن نَجْر، ومالك بن مُرَّة وأصحابهم؛ وأنَّ اجتمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وبلغوها رُسُلِي، وإنَّ أميرهم مُعَاذ بن جَبَل؛ فلا ينقلبن إلا راضياً. أما بعد؛ فإنَّ محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله؛ ثم إنَّ مالك بن مرة الرُّهَاقِيّ قد حدثني أنك أسلمت من أوَّل حمير، وقتلت المشركين فأبشر بخير، وأمرك بحمير خيراً، ولا تُخُونُوا ولا تخذلوا فإن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم؛ وإنَّ الصدقة لا تحلُّ لمحمد ولا لأهله؛ وإنما هي زكاة يتزكى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل، وإنَّ مالكم قد بلغ الخبر وحفظ الغيب، وأمركم به خيراً، وإني قد بعثت إليكم من صالح أهلِي وأولي ديني، وأولي علمهم، فأمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الواقدي: وفيها قدم وفدٌ بهراء على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلاً، ونزلوا على المقداد بن عمرو. قال: وفيها قدم وفد بني البَكَاء.

وفيها قدم وفد بني فزارة؛ وهم بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن.

قال: وفيها نعى رسولُ الله ﷺ للمسلمين النجاشيَّ، وأنه مات في رجب سنة تسع.

قال: وفيها حجّ أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة في ثلاثمائة، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة، وساق أبو بكر خمس بدنات. وحجّ فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى.

وبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام على أثر أبي بكر رضي الله عنه؛ فأدركه بالعرج، فقرأ عليّ عليه براءة يوم النحر عند العقبة. فحدّثني محمد بن الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن المفضل، قال: حدّثنا أسباط؛ عن السديّ، قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين - يعني من سورة براءة - فبعث بهنّ رسول الله مع أبي بكر، وأمره على الحجّ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعليّ، فأخذها منه؛ فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! أنزل في شأني شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنت صاحبي على الخوض! قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحجّ، وسار عليّ يؤذّن، فقام يوم الأضحى فأذن فقال: لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوفنّ بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده إلى مدّته، وإنّ هذه أيام أكل وشرب، وإن الله لا يدخل الجنة إلّا من كان مسلماً. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلّا من الطعن والضرب.

فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً، وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش! فأسلموا.

حدّثني الحارث بن محمد، قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبان، قال: حدّثنا أبو معشر، قال: حدّثنا محمد بن كعب القرظيّ وغيره، وقالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع، وبعث عليّ بن أبي طالب بثلاثين أو أربعين آية من «براءة»، فقرأها على الناس، يؤجلّ المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة، أجلّ المشركين عشرين يوماً فمن ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر، وقرأها عليهم في منازلهم، ولا يحجّن بعد عامنا هذا مشرك، ولا يطوفنّ بالبيت عريان.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة فرضت الصدقات، وفرّق فيها رسول الله ﷺ عمّاله على الصدقات. وفيها نزل قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾^(١)؛ وكان السبب الذي نزل ذلك به قصة أمر ثعلبة بن حاطب، ذكر ذلك أبو أمامة الباهلي.

قال الواقدي: وفي هذه السنة ماتت أمّ كلثوم ابنة رسول الله ﷺ في شعبان، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب. قال: وقيل غسلتها نسوة من الأنصار، فيهنّ امرأة يقال لها أم عطية، ونزل في حفرتها أبو طلحة.

قال: وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ.

وفيها قدم وفد سعد هذيم. حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدّثني سلمة بن كهيل ومحمد بن الوليد بن نوفع، عن كريب مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس، قال: بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه؛ فأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقّله، ثم

دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام بن ثعلبة رجلاً جَلْدًا أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ قال: رسول الله: أنا ابن عبد المطلب، قال: محمد؟ قال: نعم، قال: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومُعْلِطُ لك في المسألة، فلا تَجِدَنَّ في نفسك! قال: لا أجد في نفسي، فسَلَّ عَمَّا بدا لك، قال: أنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، آله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: اللهم نعم، قال: فأنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، آله أَمَرَكَ أن تأمرنا أن نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، ولا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا تعبد من دونه؟ قال: اللهم نعم، قال: فأنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، آله أَمَرَكَ أن تأمرنا أن نُصَلِّيَ هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم. قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة؛ الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، يناشده عن كل فريضة كما ناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أنقص ولا أزيد. ثم انصرف إلى بعيه راجعاً. فقال رسول الله ﷺ حين ولى: إن صدق ذو العَقِيصَتَيْنِ يدخل الجنة. قال: فأتى بعيه فأطلق عِقَاله، ثم خرج حتى قَدِمَ على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: باستِ اللات والعزى! قالوا: مه يا ضمام! اتقِ البرص، اتقِ الجذام، اتقِ الجنون! قال: ويحكم، إنها والله لا لا ينفعان ولا يضران؛ إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه.

قال: فوالله ما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً. قال: يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

ثم دخلت سنة عشر

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر - وقيل في شهر ربيع الأول، وقيل في جمادى الأولى - سرية في أربعمائة إلى بني الحارث بن كعب .

فحدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثني ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر، أو في جمادى الأولى - من سنة عشر، إلى بلحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا لك فاقبل منهم، وأقم فيهم، وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه، ومعالم الإسلام، فإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون الناس إلى الإسلام، ويقولون يا أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس، ودخلوا فيما دعاهم إليه، فأقام خالد فيهم؛ يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه .

ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك؛ بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام؛ فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركباناً قالوا : يا بني الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم وأمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه؛ وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إلي رسول الله، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد . سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسلك يخبر أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن يقاتلوا، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه؛ فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدوهم؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بلحارث بن كعب؛ فيهم قيس بن الحُصين بن يزيد بن قنّان ذي العُصّة، ويزيد بن عبد المَدان، ويزيد بن المُحجّل، وعبد الله بن قُرَيْظ الزِيَادِيّ؛ وشَدَاد بن عبد الله القَنَانِيّ، وعمرو بن عبد الله الضَّبَائِيّ.

فلما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ، فرآهم قال: مَنْ هَؤُلاءِ القوم الذين كأنهم رجال الهند؟ قيل: يا رسول الله، هَؤُلاءِ بنو الحارث بن كعب؛ فلما وقفوا عند رسول الله ﷺ سلّموا عليه، فقالوا: نشهد أنك رسولُ الله، وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. ثم قال رسولُ الله ﷺ: أنتم الذين إذا رُجِرُوا استقدموا! فسكتوا، فلم يراجعهُ منهم أحد ثم أعادها رسول الله ﷺ الثانية، فلم يراجعهُ منهم أحد، ثم أعادها رسول الله الثالثة فلم يراجعهُ منهم أحد، ثم أعادها رسولُ الله الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعم يا رسولَ الله، نحن الذين إذا رُجِرْنَا استقدمنا، فقالها أربع مرات، فقال رسولُ الله ﷺ: لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إليّ فيكم أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم. فقال يزيد بن عبد المَدان: أمّا والله يا رسول الله، ما حميدناك ولا حميدنا خالدًا، فقال رسول الله: فمن حميدتم؟ قالوا: حميدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله؛ قال: صدقتم؛ ثم قال رسولُ الله ﷺ: بَمَ كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم في الجاهليّة؟ قالوا: لم نكن نغلب أحدًا، فقال رسولُ الله: بلى قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم، قالوا: يا رسولَ الله، كنا نغلب مَنْ قاتلنا، أنا كنا بني عبّيد، وكنا نجتمع ولا نتفرّق، ولا نبداً أحدًا بظلم، قال: صدقتم. ثم أمر رسولُ الله على بلحارث بن كعب قيس بن الحُصين. فرجع وفد بلحارث بن كعب إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذي القعدة، فلم يمشوا بعد أن قَدِمُوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفي رسولُ الله ﷺ.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن ابن إسحاق، قال: حدّثني عبدُ الله بن أبي بكر، قال: وكان رسولُ الله ﷺ يبعث إلى بني الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عَمْرُو بن حزم الأنصاريّ، ثم أحد بني النجار، ليفقّهم في الدين ويعلمهم السنّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم، صدقاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه، وأمره فيه بأمره: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١)؛ عقد من محمد النبيّ لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله وأن يبشّر الناس بالخير، ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن، ويفقّهم في الدين، وينهى الناس ولا يمسّ أحد القرآن إلّا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم؛ وبالذي عليهم؛ ويلين للناس في الحق، ويشدّ عليهم في الظلم؛ فإن الله عزّ وجلّ كره الظلم ونهى عنه وقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها، ويُنذر بالنار وبعملها، ويستألف الناس حتى يتفقّهم في الدين، ويعلم الناس معالم الحجّ وسنّته وفريضته، وما أمر الله به في الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر، وهو العمرة، وينهى الناس أن يصليّ أحد في ثوب واحد صغير؛ إلّا أن يكون ثوباً واحداً يشي طَرَفه على عاتقه، وينهى أن يحتبيّ أحد في ثوب واحد يُفَضِّي بفرجه إلى السماء، وينهى ألا يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هيّج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له؛ فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطّعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا

(١) سورة المائدة: ١.

(٢) سورة هود: ١٨.

شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين، ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل، وأمره بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والخشوع، ويغسل بالفجر، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل؛ لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل. ويأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرواح إليها، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقي البعل وما سقت السماء ومما سقى الغرب نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبع جدع أو جدعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة شاة؛ فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة؛ فمن زاد خيراً فهو خير له، وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه، ودان دين الإسلام فإنه من المؤمنين؛ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم؛ ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يؤمن عنها، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى، حر أو عبد، ديناراً وافٍ أو عرضه ثياباً، فمن أدى ذلك؛ فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً.

قال الواقدي، توفي رسول الله ﷺ وعمر بن حزم عامله بنجران.

قال الواقدي: وفي هذه السنة قدم وفد سلمان في شوال على رسول الله ﷺ، وهم سبعة نفر؛ رأسهم حبيب السلمي.

وفيهما قدم وفد غسان في رمضان.

وفيهما قدم وفد غامد في رمضان.

وفيهما قدم وفد الأزد، رأسهم صرد بن عبد الله في بضعة عشر. فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم فحسن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن، فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ في جيش حتى نزل بجرش؛ وهي يومئذ مدينة مغلقة، وفيها قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين، فحاصروهم بها قريباً من شهر، وامتنعوا منهم فيها. ثم إنه رجع عنهم قافلاً؛ حتى إذا كان إلى جبل يقال له «كشر» ظن أهل جرش أنه إنما ولي عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه؛ حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً؛ وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة يرتادان وينظران؛ فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأي بلاد الله شكر؟ فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله؛ ببلادنا جبل يقال له جبل كشر؛ وكذلك تسميه أهل جرش، فقال: إنه ليس بكشر؛ ولكنه «شكر» قالوا: فما له يا رسول الله؟ قال: إن بदन الله لتتحر عنه الآن. قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان، فقال لهما: ويحكيا! إن رسول الله ﷺ الآن لينعي لكما قومكما، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: اللهم ارفع عنهم؛ فخرجوا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال؛ وفي

الساعة التي ذكر فيها ما ذكر؛ فخرج وفدُ جُرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم جمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس، وللراحلة، وللمثيرة تُثير الحُرث؛ فَمَنْ رعاها من الناس سوى ذلك فمأله سُحْتٌ، فقال رجل من الأزد في تلك الغزوة - وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية وكانوا يغزون في الشهر الحرام :

يا غَزْوَةً مَا غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ فيها البغال وفيها الخيل والحُمُر
حتى أتينا حُمَيْرًا في مَصَانِعِهَا وَجَمَعَ خَثْعَمٌ قَدْ سَاعَتْ لَهَا النُّذُرُ
إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلًا كُنْتُ أَحْمِلُهُ فَمَا أَبَالِي إِذَا نَوَا بَعْدُ أَمْ كَفَرُوا!

قال: وفيها وجه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان. فحدثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيثج، قالا: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأزجي، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكانت فيمن سار معه، فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب، وأمره أن يُقِفِلَ خالدًا ومَنْ معه، فإن أراد أحد من كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه.

قال البراء: فكانت فيمن عقّب معه؛ فلما انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلّى بنا عليّ الفجر، فلما فرغ صفّا واحدًا، ثم تقدّم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خرّ ساجدًا، ثم جلس، فقال: السلام على همدان، السلام على همدان! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام.

قال أبو جعفر: وفيها قديم وفد زُبيد على النبي ﷺ بإسلامهم. فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قديم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زُبيد، فأسلم، وكان عمرو بن معد يكرب قد قال لقيس بن مكشوح المُرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس؛ إنك سيّد قومك اليوم؛ وقد ذكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجازي يقول: إني نبي؛ فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه؛ فإن كان نبياً كما يقول؛ فإنه لا يخفى عليك، إذا لقيناه اتبعناه؛ وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه ذلك قيس بن مكشوح وسفّه رأيه.

فركب عمرو بن معد يكرب حتى قديم على رسول الله ﷺ فصدّقه وآمن به؛ فلما بلغ ذلك قيساً أوعد عمراً، وتحفّظ عليه، وقال: خالفني وترك رأيي! فقال عمرو في ذلك:

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَا ءَ أَمْرًا بِإِدْيَا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ الدِّ هِ وَالْمَعْرُوفِ تَاتِعِدُهُ
خَرَجْتَ مِنَ الْمَنَى مِثْلَ الدِّ حِمَارٍ أَعَارَهُ وَتَدُهُ
تَمَنَّنَانِي عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسْدُهُ
عَلَيَّ مُفَاضَةً كَالنَّهْ يِ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدُّهُ
تَرُدُّ الرُّمَحَ مِثْنِيَّ الدِّ نُسْنَانَ عَوَائِرَ قِصْدُهُ
فَلَوْ لَأَقْبَيْتَنِي لَأَقْبِي تَ لَيْثًا فَوْقَهُ لِبَدُهُ

تَلَاقي شَنْبِثًا شَثْنَ الـ
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنُ
فَيَأْخُذْهُ فَيَرْفَعُهُ
فَيَذْمَعُهُ فَيَحْطِمُهُ
ظَلُومُ الشَّرْكِ فِيمَا أَحـ
مَتَى مَا يَغْدُ أَوْ يُغْدَى
فَيَخْطُرُ مِثْلَ خَطَرِ الْفَحـ
فَأَمْسَى يَعْتَرِبُهُ مِنْ الـ
فَلَا تَتَمَنَّيَنِي وَتَمَنَّ
وَبَوِّئَنِي لَهُ وَطَنًا

قال: فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زُبَيْد؛ وعليهم فِرْوَة بن مُسَيْك المُرَادِي، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدَّ عمرو فقال حين ارتدَّ:

وَجَدْنَا مُلْكَ فِرْوَة شَرًّا مُلْكٍ
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا عُمَيْرٍ
حِمَارًا سَافَ مُنْخَرَهُ بِقَدْرِ
تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خُبْثٍ وَغَدْرِ

وقد كان قدم على رسول الله في هذه السنة - أعني سنة عشر - قبل قدوم عمرو بن معد يكرب، فِرْوَة بن مُسَيْك المُرَادِي مفارقاً للملوك كِنْدَةَ. فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قَدِمَ فِرْوَة بن مُسَيْك المُرَادِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مفارقاً للملوك كِنْدَةَ، ومعانداً لهم؛ وقد كان قبيل الإسلام بين مُرَاد وهَمْدَان وقعة أصابت فيها هَمْدَان من مُرَاد ما أرادوا؛ حتى أئخنوهم في يوم يقال له الرِّزْم؛ وكان الذي قاد هَمْدَان إلى مُرَاد الأجدع بن مالك، ففضحهم يومئذ، وفي ذلك يقول فِرْوَة بن مُسَيْك:

فَإِنْ نَغْلِبَ فَنَغْلَابُونَ قِدْمًا
وَأِنْ نُقْتَلْ فَلَا جُبْنَ وَلَكِنْ
كَذَاكَ أَلْذَّهَرُ دَوْلَتِهِ سِجَالُ
فَبَيْنَاهُ يُسَرُّ بِهِ وَيَرْضَى
إِذْ انْقَلَبَتْ بِهِ كِرَاتٌ دَهْرٍ
وَمَنْ يُغَبِّطَ بَرِيْبَ أَلْذَّهَرِ مِنْهُمْ
فَلَوْ خَلَدَ الْمَلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا
فَأَفْسَنَى ذَاكُمُ سَرَوَاتٍ قَوْمِي

ولما تَوَجَّه فِرْوَة بن مُسَيْك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً كِنْدَةَ قال:

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ
يَمَمْتُ رَاحِلَتِي أَوْمُ مُحَمَّدًا
كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا
أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا

قال: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: فيما بلغني: يا فِرْوَة، هل ساءك ما أصاب قومك

يومك يوم الرّزم، ؟ فقال : يا رسول الله ، وَمَنْ ذا يصيب قَوْمَهُ مثل ما أصاب قومي يوم الرّزم ؛ لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ : أما إِنَّ ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً . فاستعمله رسول الله على مُراد وزُبَيْدٍ ومَذَجَجَ كُلَّهَا ؛ وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، وكان معه في بلاده حتى تُوفِّيَ رسول الله ﷺ .

حدَّثنا أبو كُريب وسفيان بن وكيع ، قالَا : حَدَّثنا أبو أسامة ، قال : أخبرنا مجالد ، قال : حَدَّثنا عامر ، عن فَرَوَةَ بن مُسيك ، قال : قال رسول الله ؛ أكرهت يومك ويوم هَمدان ؟ فقلت : إي والله ! أفنى الأهل والعشيرة ؛ فقال : أما إنه خير لمن بقي .

وفيهما قَدِمَ وفد عبد القيس ، فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ على رسول الله ﷺ الجارودُ بن عمرو بن حَشَش بن المعلّى ، أخو عبد القيس في وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حَدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه ، فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ؛ وإني تارك ديني لدينك ؛ فتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم معه أصحابه ، ثم سألوا رسول الله الحُمَْلان ؛ فقال : والله ما عندي ما أحملكم عليه ، فقالوا : يا رسول الله ، إِنَّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضوَالِ الناس ؛ أفنتبَلِّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : إياكم وإياها ؛ فإنما ذلك حَرَق النار . قال : فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه - وكان حسن الإسلام صُلْباً على دينه - حتى هلك ؛ وقد أدرك الرّدة ، فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغرور ، المنذر بن النعمان بن المنذر ، أقام الجارود فشهد شهادة الحقّ ودعا إلى الإسلام ، فقال : يا أيها الناس ؛ إِنِّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنهى مَنْ لم يشهد .

وقد كان رسول الله بعث العلّاء بن الحضرميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبديّ ، فأسلم فحسّن إسلامه ، ثم هلك بعد وفاة رسول الله ، وقبل ردة أهل البَحْرَيْن ، والعلّاء أميرٌ عنده لرسول الله على البحرين . وفيها قدم وفد بني حنيفة ، حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة ؛ فيهم مُسيلمة بن حبيب الكذاب ، فكان منزلهم في دار ابنة الحارث ؛ امرأة من الأنصار ، ثم من بني النجار .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حَدَّثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة ، أنّ بني حنيفة أتت بمُسيلمة إلى رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله جالس في أصحابه ، ومعه عَسِيْبٌ من سَعَف النَّخْل ، في رأسه خُوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب ، كَلَّمَ رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله : لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك !

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة ، قال : كان حديثُ مُسيلمة على غير هذا ؛ زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مُسيلمة في رحالهم ؛ فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا يحفظهم لنا . قال : فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشركم مكاناً ، يحفظ ضيعة أصحابه ؛ وذلك الذي

يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهى إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني : « أما إنه ليس بشركم مكاناً » ! ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه ؛ ثم جعل يسجّع السجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى » ، ووضع عنهم الصلاة ؛ وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ونحو ذلك . فشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي ، فأصفت بنو حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أيّ ذلك كان .

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفد كندة ؛ رأسهم الأشعث بن قيس الكندي ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : قدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في ستين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله ﷺ ، وقد رجّلوا جمهم ، وتكحلّوا ، عليهم جبّ الحبرة ؛ قد كفّفوها بالحرير ؛ فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ، قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فشقّوه منها فآلقوه ، ثم قال الأشعث : يا رسول الله ؛ نحن بنو آكل المار ، وأنت ابن آكل المار ، فتبسّم رسول الله ، ثم قال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث . قال : وكان ربيعة والعباس تاجرّين ؛ فكانا إذا ساحا في أرض العرب فسثلا منّهما ؟ قال : نحن بنو آكل المار ؛ يتعزّزان بذلك ؛ وذلك أن كندة كانت ملوكاً فقال رسول الله ﷺ : نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ، ولا نتنفي من أبينا . فقال الأشعث بن قيس : هل عرفتم يا معشر كندة ! والله لا أسمع رجلاً قالها بعد اليوم إلا ضربته حدّة ثمانين .

قال الواقدي : وفيها قدم وفد محارب .

وفيها قدم وفد الرهاويين .

وفيها قدم وفد العاقب والسيد من نجران ، فكتب لهما رسول الله ﷺ كتاب الصلح .

قال : وفيها قدم وفد عبس .

وفيها قدم وفد صدف ، وافوا رسول الله ﷺ في حجة الوداع .

قال : وفيها قدم عدي بن حاتم الطائي ، في شعبان .

وفيها مات أبو عامر الراهب عند هرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلاتة في ميراثه ، فقضيّ به لكنانة بن عبد ياليل . قال : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

قال وفيها قدم وفد حوّلان ، وهم عشرة .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، قال : حدّثني يزيد بن أبي حبيب ، قال : قدّم على رسول الله ﷺ في هذنة الحديدية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيي ، فأهدى لرسول الله غلاماً ، وأسلم فحسّن إسلامه ، وكتب له رسول الله ﷺ إلى قومه كتاباً ، في كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ؛ إني بعثته إلى قومه عامّة ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمن أقبل فمن حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين . فلما قدم رفاعة على قومه ، أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة ؛ حرّة الرّجاء فترّلوها .

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عمن لا يتهم، عن رجال من جُذام كانوا بها علماء، أن رفاعه بن زيد، لما قدم من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبث أن أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه رسول الله ومعه تجارة له؛ حتى إذا كان بوادي من أوديتها، يقال له: سنار، أغار على دحية الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد، الضليعيان - والضليع بطن من جُذام - فأصابا كل شيء كان معه؛ فبلغ ذلك نفراً من بني الضبيي قوم رفاعه ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهنيد وابنه، فيهم من بني الضبيي النعمان بن أبي جعال، حتى لقوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاري ثم الضليعي، فقال: أنا ابن لُبَيّ؛ ورمى النعمان بن أبي جعال بسهم فأصاب رُكْبَتَهُ، فقال حين أصابه: خُذْهَا وأنا ابن لُبَيّ - وكانت له أم تدعى لُبَيّ - قال: وقد كان حسان بن ملة الضبيي قد صحب دحية بن خليفة الكلبي قبل ذلك؛ فعلمه أم الكتاب؛ فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه عوص، فردوه على دحية؛ فسار دحية حتى قدم على رسول الله، فأخبره خبره، واستسقاءه دم الهنيد وابنه؛ فبعث إليهم رسول الله زيد بن حارثة - وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذاماً، وبعث معه جيشاً - وقد وجهت غطفان من جُذام كلها ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم حين جاءهم رفاعه بن زيد بكتاب رسول الله؛ فنزلوا بالحرّة؛ حرّة الرجلاء، ورفاعة بن زيد بكرّاع ربة ولم يعلم، ومعه ناس من بني الضبيي وسائر بني الضبيي بوادي من ناحية الحرّة مما يسيل مُشْرِقاً، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج؛ فأغار بالفُضَافِض من قِبَل الحرّة، وجمعوا ما وجدوا من مال وأناس، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف، ورجلاً من بني خَصِيب؛ فلما سمعت بذلك بنو الضبيي والجيش بقاء مَدَان، ركب حسان بن ملة على فرس لسويد بن زيد يقال لها العجاجة، وأنيف بن ملة على فرس لملة، يقال لها رِغَال، وأبوزيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِير؛ فانطلقوا حتى إذا دَنَوْا من الجيش، قال أبو زيد لأنيف بن ملة: كفّ عنا وانصرف؛ فإننا نخشى لسانك، فانصرف فوقها، فلم يبعدها منه؛ فجعل فرسه تبحث بيدها وتوثب؛ فقال: لأنا أضنُّ بالرجلين منك بالفرسين؛ فأرعى لها حتى أدركهما، فقالا له: أما إذ فعلت ما فعلت، فكفّ عنا لسانك ولا تشأنا اليوم، وتواطؤوا ألا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة؛ وكانت بينهم كلمة في الجاهلية؛ قد عرفوها؛ بعضهم من بعض؛ إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: «ثوري».

فلما برزوا على الجيش أقبل القوم يتدرونهم؛ فقال حسان: إنا قوم مسلمون؛ وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم بائع راحته يقول معرّضه: كأنما ركزه على منسج فرسه جدّ وأعتق؛ فأقبل يسوقهم، فقال أنيف: «ثوري»، فقال حسان: مهلاً! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقرأ أم الكتاب، فقراها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش، إن الله قد حرّم علينا ثغرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر؛ وإذا أخت لحسان بن ملة - وهي امرأة أبي وبر بن عدي بن أمية بن الضبيي - في الأسارى. فقال له زيد: خذها، فأخذت بحقوقه، فقالت أم الفُزْرِ الضليعية: أتنتلقون بيناتكم، وتذرون أمهاتكم! فقال أحد بني خصيب: إنها بنو الضبيي! وسحرت ألسنتهم سائر اليوم؛ فسمعها بعض الجيش؛ فأخبر بها زيد بن حارثة؛ فأمر بأخت حسان؛ ففكت يداها من حقيقه، فقال لها: اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه؛ فرجعوا؛ ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه؛ فأمسوا في أهلهم؛ واستعتموا دوداً لسويد بن زيد؛ فلما شربوا عتّمتهم ركبوا إلى رفاعه بن زيد؛ وكان ممن ركب إلى رفاعه تلك

الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد، وبعدة بن زيد، وبرذع بن زيد، وثعلبة بن عمرو، ونخربة بن عدي، وأنيف بن ملة، وحسان بن ملة؛ حتى صبّحوا رفاعة بن زيد بكراع ربة بظهر الحرة على بئر هنالك من حرة ليل، فقال له حسان بن ملة: إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام يجزرن أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به! فدعا رفاعة بن زيد بجمل له؛ فجعل يشكل عليه رحله؛ وهو يقول:

هل أنت حيّ أو تُنادي حيّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخي الخصيي المقتول مبكرين من ظهر الحرة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليل؛ فلما دخلوا انتهوا إلى المسجد، ونظر إليه رجل من الناس، فقال لهم: لا تتيخوا إبلكم فتقطع أيديهم، فنزلوا عنها وهن قيام؛ فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم، ألح إليهم بيده: أن تعالوا من وراء الناس؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قام رجل من الناس، فقال: إن هؤلاء يا نبي الله قوم سحرة؛ فرددها مرتين؛ فقال رفاعة: رحم الله من لم يجزنا في يومنا هذا إلا خيراً! ثم دفع رفاعة كتابه إلى رسول الله الذي كان كتبه له، فقال: دونك يا رسول الله قديماً كتابه، حديثاً غدره. فقال رسول الله ﷺ: اقرأ يا غلام وأعلن؛ فلما قرأ كتابهم واستخبرهم فأخبروه الخبر، قال رسول الله: كيف أصنع بالقتلى؟ ثلاث مرات؛ فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرم عليك حلالاً، ولا نحل لك حراماً؛ فقال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حيّاً، ومن كان قد قُتل فهو تحت قدمي هاتين. فقال رسول الله: صدق أبو زيد، اركب معهم يا علي، فقال علي: يا رسول الله؛ إن زيدا لن يطيعني، قال: خذ سيفي، فأعطاه سيفه، فقال علي: ليس لي راحلة يا رسول الله أركبها، فحملة رسول الله على جمل لثعلبة بن عمرو، يقال له المكحال؛ فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وبر، يقال لها الشمر؛ فأنزلوه عنها، فقال: يا علي ما شأني؟ فقال له علي: ما لهم عرفوه فأخذوه. ثم ساروا حتى لقوا الجيش بفيفاء الفحلّتين، فأخذوا ما في أيديهم من أموالهم؛ حتى كانوا ينزعون لبدة المرأة من تحت الرحل.

وفد بني عامر بن صعصعة

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر؛ فيهم عامر بن الطفيل؛ وأربد بن قيس بن مالك بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر؛ وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم.

فقدم عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدرة؛ وقد قال له قومه: يا عامر؛ إن الناس قد أسلموا فأسلم قال: والله لقد كنت أليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقيبي؛ أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمت على الرجل فإني شاغل عنك وجهه؛ فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالتي، قال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده، قال: يا محمد خالتي، قال: وجعل يكلمه فينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئاً، فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال: يا محمد خالتي، قال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له. فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً حمراً ورجالاً، فلما ولي قال رسول الله: اللهم اكفني عامر بن الطفيل، فلما

خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أوصيتك به! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسيّ عندي منك، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا تعجل عليّ لا أبالك! والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف! قال عامر بن الطفيل:

بَعَثَ الرَّسُولُ بِمَا تَرَى فَكَأَنَّمَا عَمْدًا نَشَنَ عَلَى الْمَقَانِبِ غَارًا
وَلَقَدْ وَرَدَنَّا الْمَدِينَةَ شُرْبًا وَلَقَدْ قَتَلْنَا بِجَوْهَا الْأَنْصَارَا

وخرجوا راجعين إلى بلادهم؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله؛ وإنه في بيت امرأة من بني سلول؛ فجعل يقول: يا بني عامر؛ أغدّة كغدّة البكر؛ وموت في بيت امرأة من بني سلول! ثم خرج أصحابه حين واروه؛ حتى قدموا أرض بني عامر؛ فلما قدموا أتاهاهم قومهم، فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بتبلي هذه حتى أقتله؛ فخرج بعد مقاتله هذه بيوم أو يومين، معه جملٌ له يبيعه؛ فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهم. وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه.

وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء؛ فيهم زيد الخيل، وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلموه وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن رجال من طيء: «ما ذكر لي رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل؛ فإنه لم يُبلغ فيه كل ما فيه». ثم سمّاه زيد الخير؛ وقطع له فيداً وأرضين معه؛ وكتب له بذلك. فخرج من عند رسول الله راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله: إن يُنَجِّ زيدٌ من حمى المدينة! سمّاها رسول الله باسم غير الحمى وغير أمّ ملّدم فلم يُبَيِّثه - فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فرّدة أصابته الحمى؛ فمات بها، فلما أحسّ زيد بالموت قال:

أُمِّرْتُ لِحُلِّ قَوْمِي الْمَشَارِقِ غُدْوَةً وَأُتْرِكَ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مُنْجِدٍ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لِعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرِ مِنْهُمْ يَجْهَدُ

فلما مات عمّدت امرأته إلى ما كان معها من كتبه التي قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار.

وفي هذه السنة كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ يدّعي أنه أشرك معه في النبوة. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق؛ عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كان مسيلمة بن حبيب الكذاب كتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك؛ فإني قد أشركت في الأمر معك؛ وإن لنا نصف الأرض ولقریش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن شيخ من أشجع قال ابن حميد: أمّا علي بن مجاهد فيقول: عن أبي مالك الأشجعي، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرآ كتاب مسيلمة: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال؛ فقال: أما والله

لولا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكم.

ثم كتب إلى مسيلمة: بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى مُسَيْلِمَةَ الكَذَابِ. سَلَامٌ عَلَى من اتَّبَعَ الهدى؛ أما بعد، فَإِنَّ الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. قال: وكان ذلك في آخر سنة عشر.

قال أبو جعفر: وقد قيل: إِنَّ دَعْوَى مُسَيْلِمَةَ وَمَنْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ من الكذابين في عهد النَّبِيِّ ﷺ، إنما كانت بعد انصراف النَّبِيِّ من حَجَّةِ المسمى حَجَّةِ الوداع؛ ومَرْضَتُهُ التي مَرَضَهَا التي كانت منها وفاته ﷺ.

حَدَّثَنَا عبيد الله بن سعيد الزُّهْرِيُّ، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي يعقوب بن إبراهيم قال: حَدَّثَنِي سيف بن عمر - وكتب بذلك إلى السريِّ يقول: حَدَّثَنَا شُعَيْب بن إبراهيم التَّمِيمِيُّ، عن سَيْف بن عمر التَّمِيمِيِّ الأَسَدِيِّ - قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجُدْعِ الأنصاري، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ عن أَبِي مُوَيْهَبَةَ مولى رسول الله، قال: لما انصرف النَّبِيُّ ﷺ إلى المدينة بعد ما قَضَى حَجَّةَ التمام، فتَحَلَّلَ به السيرُ، وطارَتْ به الأخبارُ لتحلُّلِ السيرِ بالنَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قد اشتكى؛ فوثب الأسود باليمن ومسيلمةُ باليمامة؛ وجاء الخبرُ عنهما للنَّبِيِّ ﷺ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعد ما أفاق النَّبِيُّ، ثم اشتكى في المحرمَ وجعه الذي توفاه الله فيه.

قال أبو جعفر: وَفَرَّقَ رسول الله ﷺ في جميع البلاد التي دخلها الإسلامُ عُمَلاً على الصدقات. فَحَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كان رسولُ الله ﷺ قد بعث أمراءه وعُمَاله على الصَّدَقَاتِ، على كُلِّ ما أوطأ الإسلامُ من البلدان؛ فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء؛ فخرج عليه العُتَيْبِيُّ وهو بها، وبعث زياد بن لُبَيْد أَخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت على صدقتها، وبعث عدي بن حاتم على الصدقة؛ صدقة طيء وأسد، وبعث مالك بن نُؤَيْرَةَ على صدقات بني حنظلة، وفَرَّقَ صدقة بني سعد على رجلين منهم، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى نَجْرَانَ ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم...

فلَمَّا دخل ذو القعدة من هذه السنة - أعني سنة عشر - تَجَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ إلى الحجِّ، فأمر الناس بالجهاز له. فَحَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عن ابن إسحاق؛ عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة زوج النَّبِيِّ ﷺ، قالت: خرج النَّبِيُّ ﷺ إلى الحجِّ لخمس ليالٍ بَقِيْنَ من ذي القعدة، لا يَذْكُرُ ولا يَذْكُرُ الناس إلا الحجَّ، حتى إذا كان بِسَرِفٍ، وقد ساق رسول الله معه الهدْيَ وأشرافُ من أشراف الناس، أمر الناس أن يُحَلُّوا بِعُمْرَةٍ إِلَّا من ساق الهدْيَ، وَحَضَّتْ ذلك اليوم؛ فدخل علي وأنا أبكي؛ فقال: مالك يا عائشة؟ لعلك نَفِسْتِ! فقلت: نعم، لوددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في السفر، قال: لا تفعلِي؛ لا تقولن ذلك؛ فَإِنَّكَ تَقْضِينَ كُلَّ ما يَقْضِي الحاجُّ؛ إِلَّا أَنَّكَ لا تطوفين بالبيت. قالت: ودخل رسولُ الله ﷺ مكة؛ فَحَلَّ كُلُّ مَنْ كان لاهدي معه، وحلَّ نِسَاؤُهُ بِعُمْرَةٍ؛ فلَمَّا كان يوم النحر أُتِيَ بلحم بقر كثير، فَطُرِحَ في بيتي، قلت: ما هذا؟ قالوا: ذَبَحَ رسول الله عن نِسَائِهِ البقر؛ حتى إذا كانت ليلة الحَضْبَةِ، بعثني رسولُ الله مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر، لأَقْضِيَ عُمرتي من التَّعْنِيمِ مكان عُمرتي التي فَاتَتْني.

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نَجِيحٍ، قال: بعث رسولُ الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى نَجْرَانَ، فَلَقِيَهُ بِمَكَّةَ؛ وقد أحرم؛ فدخل عليُّ على فاطمة ابنة رسول الله، فوجدها قد حَلَّتْ

وتحيات، فقال: مالك يا ابنة رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله أن نحل بعمره، فأحللنا، قال: ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله: انطلق فطُف بالبيت، وحل كما حل أصحابك، فقال: يا رسول الله، إني قد أهلت بما أهلت به؛ قال: ارجع فأحلل كما حل أصحابك، قال: قلت: يا رسول الله، إني قلت حين أحرمت، اللهم إني أهلت بما أهل به عبدك ورسولك؛ قال: فهل معك من هدي؟ قال: قلت: لا، قال: فأشركه رسول الله ﷺ في هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله؛ حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله الهدي عنها.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لما أقبل علي بن أبي طالب من اليمن ليلقى رسول الله بمكة تعجل إلى رسول الله، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل، فكسا رجالاً من القوم حُللاً من البر الذي كان مع علي بن أبي طالب؛ فلما دنا جيشه؛ خرج علي ليلقاهم؛ فإذا هم عليهم الحُلل، فقال: ويحك ما هذا! قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، فقال: ويلك! انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول الله. قال: فانتزع الحُلل من الناس، وردّها في البر؛ وأظهر الجيش شكايه لما صنع بهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد، قال: شكّا الناس علي بن أبي طالب، فقام رسول الله فينا خطيباً، فسمعتة يقول: يا أيها الناس؛ لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشى في ذات الله - أو في سبيل الله - من أن يشكى.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجّه؛ فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجّهم؛ وخطب الناس خطبته التي بين للناس فيها ما بين، فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال:

أيها الناس، اسمعوا قولي؛ فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، وبهذا الموقف أبداً. أيها الناس؛ إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام؛ إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا؛ وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإنّ كلّ رباً موضوع، ولكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا. وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كلّ، وإنّ كلّ دم كان في الجاهلية موضوع، وإنّ أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته بنو هذيل - فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية.

أيها الناس؛ إنّ الشيطان قد يش من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً؛ ولكنه رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ (١)، ويحرّموا ما أحلّ الله وإنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله

السموات والأرض؛ و﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (١)، ثلاثة متوالية؛ ورجب مُضَرُّ الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس؛ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُؤِثْنَنَّ فَرَشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرَّجٍ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَاثٍ لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ مِنَ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ؛ فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاسْمَعُوا قَوْلِي؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَتَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ.

أيها الناس، اسمعوا قولي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ، وَاعْقِلُوهُ. تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أُعْطِيَ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ؛ فَلَا تَظْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ! قَالَ: فَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ اشْهَد.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ الَّذِي يَصْرُخُ فِي النَّاسِ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى عَرَفَةَ، رِبِيعَةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خُلْفٍ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: قُلْ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ شَهْرٍ هَذَا! فَيَقُولُونَ: الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَيَقُولُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا. ثُمَّ قَالَ: قُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَهَلْ تَدْرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالَ: فَيَصْرُخُ بِهِ، فَيَقُولُونَ، الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قَالَ: فَيَقُولُ: قُلْ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ، كَحَرَمَةِ بَلَدِكُمْ هَذَا. ثُمَّ قَالَ: قُلْ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ، فَقَالُوا: يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَقَالَ: قُلْ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ وَقَفَ بِعَرَفَةَ، قَالَ: هَذَا الْمَوْقِفُ - لِلْجَبَلِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ - وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ. وَقَالَ حِينَ وَقَفَ عَلَى قُرْحٍ صَبِيحَةَ الْمَزْدَلِفَةِ: هَذَا الْمَوْقِفُ، وَكُلُّ الْمَزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ. ثُمَّ لَمَّا نَحَرَ بِالْمَنْحَرِ، قَالَ: هَذَا الْمَنْحَرُ، وَكُلُّ مَنًى مَنًى مَنْحَرٌ؛ فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَجَّ وَقَدْ أَرَاهُمْ مَنَاسِكَهُمْ، وَعَلَّمَهُمْ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي حَجَّتِهِمْ فِي الْمَوَاقِفِ وَرُمِي الْجِمَارَ وَالطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، وَمَا أَحَلَّ لَهُمْ فِي حَجَّتِهِمْ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ؛ فَكَانَتْ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَحَجَّةَ الْبَلَاغِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَحِجَّ بَعْدَهَا.

قال أبو جعفر: وكانت غزواته بنفسه ستًّا وعشرين غزوة؛ ويقول بعضهم: هنَّ سبع وعشرون غزوة؛ فمن قال: هي ست وعشرون، جعل غزوة النبي ﷺ خير وغزوته من خير إلى وادي القرى غزوة واحدة؛ لأنه لم يرجع من خير حين فرغ من أمرها إلى منزله؛ ولكنه مضى منها إلى وادي القرى؛ فجعل ذلك غزوة واحدة. ومن قال: هي سبع وعشرون غزوة، جعل غزوة خير غزوةً، وغزوة وادي القرى غزوةً أخرى؛ فيجعل العدد سبعاً وعشرين.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: كَانَ جَمِيعُ

ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه ستاً وعشرين غزوة. أول غزوة غزاها ودَّان؛ وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بُواط إلى ناحية رَضُوى، ثم غزوة العُشيرة من بطن يَنْبُع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كُرْز بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى التي قتل بها صناديد قريش وأشرافهم، وأسَر فيها مَنْ أسَر، ثم غزوة بني سُليم حتى بلغ الكُدْر؛ ماء لبني سُليم، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدْر، ثم غزوة غطفان إلى نجد؛ وهي غزوة ذي أَمْر؛ ثم غزوة بَحْران؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرع، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دُومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُريظة، ثم غزوة بني لُحيان من هُدَيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المصطلق من خُزاعة، ثم غزوة الحديبية - لا يريد قتالاً، فصَدَّه المشركون - ثم غزوة خيبر، ثم اعتمر عُمره القضاء، ثم غزوة الفتح، فتح مكة، ثم غزوة حُنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك. قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأُحُد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخبير، والفتح، وحُنين، والطائف.

حدَّثنا الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: حدَّثنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثمَة، عن أبيه، عن جدّه، قال: غزا رسولُ الله ﷺ ستاً وعشرين غزوة. ثم ذكر نحو حديث ابن حميد، عن سَلَمَة.

قال محمد بن عمر: مغازي رسول الله ﷺ معروفة مجتمعة عليها، ليس فيها اختلاف بين أحد في عددها؛ وهي سبع وعشرون غزوة؛ وإنما اختلفوا بينهم في تقديم مغزاة قبل مغزاة.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: حدَّثني محمد بن عمر، قال: حدَّثنا مُعاذ بن محمد الأنصاري، عن محمد بن ثابت الأنصاري، قال: سئل ابنُ عمر: كم غزا رسول الله ﷺ؟ قال: سبعا وعشرين غزوة، فقبيل لابن عمر: كم غزوت معه؟ قال: إحدى وعشرين غزوة؛ أولها الخندق، وفاتني ست غزوات، وقد كنت حريصاً، قد عرضت على النبي ﷺ؛ كل ذلك يردني فلا يجيزني حتى أجازني في الخندق.

قال الواقدي: قاتَلَ رسولُ الله ﷺ في إحدى عشرة، ذكر من ذلك التسع التي ذكرتها عن ابن إسحاق؛ وعدَّ معها غزوة وادي القرى، وأنه قاتل فيها فقتل غلامه مدْعَم، رُمي بسهم. قال: وقاتل يوم الغابة، فقتل من المشركين، وقتل مُحَرَّرُ بن نضلة يومئذ.

واختلف في عدد سراياه ﷺ، حدَّثنا محمد بن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت سرايا رسول الله ﷺ وبعوته - فيما بين أن قديم المدينة وبين أن قبضه الله - خمساً وثلاثين بعثاً وسريّة: سريّة عُبيدة بن الحارث إلى أحياء من ثنية المَرّة، وهو ماء بالحجاز، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص - وبعض الناس يقدّم غزوة حمزة قبل غزوة عبدة - وغزوة سعد بن أبي وقاص إلى الحَرَّار من أرض الحجاز، وغزوة عبد الله بن جحش إلى نخلة، وغزوة زيد بن حارثة الفَرْدَة، ماء من مياه نجد؛ وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرّجيع، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَعُونَة، وغزوة أبي عبيد بن الجراح إلى ذي القصة من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخطاب تُرْبَة من أرض بني عامر، وغزوة عليّ بن أبي طالب اليمن، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - الكَدِيد، وأصاب بلُمْلُوح، وغزوة عليّ بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فَدَك، وغزوة ابن أبي العوّاء السُّلَمي أرض بني سُليم؛ أصيب بها هو وأصحابه جميعاً، وغزوة عَكاشة بن مُحْصَن الغُمرة، وغزوة أبي سَلَمَة بن عبد الأسد قُطْناء؛

ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد قُتل فيها مسعود بن عروة، وغزوة محمد بن مسلمة؛ أخيه بني الحارث إلى القُرطاء من هوازن، وغزوة بشير بن سعد إلى بني مُرة بقدك، وغزوة بشير بن سعد أيضاً إلى يَمَن وجَنَاب؛ بلد من أرض خيبر - وقيل يَمَن وجَبَار؛ أرض من أرض خيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجُموم؛ من أرض بني سليم، وغزوة زيد بن حارثة أيضاً جَذَام من أرض حِسَمَى - وقد مضى ذكر خبرها قبل - وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادي القُرى، لقي بني فزارة.

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبرَ مَرَّتَيْن: إحداهما التي أصاب الله فيها يُسير بن رزام - وكان من حديث يُسير بن رزام اليهودي أنه كان بخيبر يجمع غَطَفَان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه؛ منهم عبد الله بن أنيس حليف بني سلمة، فلما قَدِمُوا عليه كَلَمُوهُ وواعدوه وقربوا له، وقالوا له: إنك إن قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود؛ فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره وردفه حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على سِتَّة أميال ندِم يُسير بن رزام على سيره إلى رسول الله، ففَطِنَ له عبد الله بن أنيس وهو يريد السَّيف؛ فاقتحم به؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه يُسيرَ بِمِخْرَش في يده من شَوْحَط، فأثَمَ في رأسه، وقتل الله يُسيراً؛ ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته؛ فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته فلم تَقِح ولم تؤذِه.

وغزوة عبد الله بن عتيك إلى خيبر؛ فأصاب بها أبا رافع؛ وقد كان رسول الله ﷺ بعث محمد بن مسلمة وأصحابه - فيما بين بدر وأحد - إلى كعب بن الأشرف فقتلوه، وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي - وهو بنخلة أو بَعْرَنَة - يجمع لرسول الله ليغزوَه، فقتله.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن أنيس، قال: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: إنه بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوَنِي - وهو بنخلة أو بَعْرَنَة - فأثَمَ فاقْتَلَهُ، قال: قلت: يا رسول الله؛ انعتني لي حتى أعرفه، قال: إذا رأيته أذكرك الشيطان! إنه آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشْعْرِيرَة. قال: فخرجت متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في طُغْن يرتاد لَهْ منزلاً حيث كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القُشْعْرِيرَة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بيني وبينه محاولة تشغلي عن الصلوة، فصلَّيت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي إيماء؛ فلما انتهيت إليه قال: مَنْ الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وجمعك لهذا الرجل؛ فجاءك لذلك، قال: أجل، أنا في ذلك؛ فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته؛ ثم خرجت وتركت طعائنه مكبات عليه. فلما قَدِمْتُ على رسول الله وسلمت عليه ورآني، قال: أفلح الوجه! قال: قلت: قد قتلته. قال: صدقت! ثم قام رسول الله فدخل بيته، فأعطاني عصا، فقال: أمْسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله، وأمرني أن أمسكها عندي، قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله فتسأله لم ذلك؟ فرجعتُ إلى رسول الله، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية ما بيني وبينك يوم القيامة؛ إنَّ أقلَّ الناس المتخَصِّرون يومئذ؛ فقرنها عبد الله بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فُضِّمَتْ معه في كفنه، ثم دفنا جميعاً.

ثم رجع الحديث إلى حديث عبد الله بن أبي بكر. قال: وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام، وغزوة كعب بن عمير الغفاري بذات أطلاق من أرض الشام، فأصيب بها هو وأصحابه، وغزوة عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم؛ وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم؛ فأغار عليهم، فأصاب منهم ناساً، وسبى منهم سبياً.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ إن علي رقبته من بني إسماعيل، قال: هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فنعطيك إنساناً فتعتقينه. قال ابن إسحاق: فلما قدم سبيهم على رسول الله ﷺ ركب فيهم وفد من بني تميم، حتى قدموا على رسول الله ﷺ؛ منهم ربيعة بن ربيع، وسبرة بن عمرو، والقعقاع بن معبد، ووردان بن محرز، وقيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وحنظلة بن دارم، وفراس بن حابس. وكان ممن سبي من نسائهم يومئذ أسهاء بنت مالك، وكأس بنت أري، ونجوة بنت نهذ وجميعه بنت قيس، وعمرة بنت مطر.

ثم رجع إلى حديث عبد الله بن أبي بكر. قال: وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - أرض بني مرة؛ فأصاب بها مرداس بن نهيك؛ حليفاً لهم من الحرة من جهينة، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لأسامة: مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل، وغزوة ابن أبي حذرد وأصحابه إلى بطن إضم، وغزوة ابن أبي حذرد الأسلمي إلى الغابة، وغزوة عبد الرحمن بن عوف.

وبعث سرية إلى سيف البحر، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح؛ وهي غزوة الخط.

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا ابن سعد، قال: قال محمد بن عمر: كانت سرايا رسول الله ﷺ ثمانية وأربعين سرية.

قال الواقدي: في هذه السنة قدم جرير بن عبد الله البجلي على رسول الله ﷺ مسلماً في رمضان، فبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخلصة فهدمها.

قال: وفيها قدم وبر بن يحنس على الأبناء باليمن، يدعوهم إلى الإسلام فنزل على بنات النعمان بن بزرج فأسلمن، وبعث إلى فيروز الديلمي فأسلم، وإلى مركبود وعطاء ابنه، ووهب بن منبه، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه.

قال: وفيها أسلم باذان، وبعث إلى النبي ﷺ بإسلامه.

قال أبو جعفر: وقد خالف في ذلك عبد الله بن أبي بكر من قال: كانت مغازي رسول الله ﷺ ستاً وعشرين غزوة، من أنا ذاكره.

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا زهير؛ عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: سمعت منه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وحج بعد ما هاجر حجة، لم يحج غير حجة الوداع. وذكر ابن إسحاق حجة بمكة.

قال أبو إسحاق: فسألت زيد بن أرقم: كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ؛ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّ خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، قَالَ:

فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اسْتَسْقَى. قَالَ: فَلَقِيتُ يَوْمَئِذٍ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، قَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَيْرُ رَجُلٍ - أَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَجُلٌ - قَالَ: فَقُلْتُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةِ غَزْوَةً، فَقُلْتُ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةِ غَزْوَةً، فَقُلْتُ: فَمَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَا؟ قَالَ: ذَاتُ الْعُسَيْرِ - أَوِ الْعُسَيْرِ.

وَزَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ خَطَأً؛ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةِ غَزْوَةً، قُلْتُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةِ غَزْوَةً. قَالَ الْحَارِثُ: قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ، فَقَالَ: هَذَا إِسْنَادُ أَهْلِ الْعِرَاقِ؛ يَقُولُونَ هَكَذَا؛ وَأَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا زَيْدُ بْنُ الْأَرْقَمِ الْمُرْسِيعِ؛ وَهُوَ غِلَامٌ صَغِيرٌ، وَشَهِدَ مُؤْتَةَ رَدِيفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ؛ وَمَا غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا ثَلَاثَ غَزَوَاتٍ أَوْ أَرْبَعًا.

وَرَوَى عَنْ مَكْحُولٍ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِيَّ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَاتِلٌ مِنْ ذَلِكَ فِي ثَمَانٍ غَزَوَاتٍ أَوَّلَهُنَّ بَدْرٌ وَأَحَدُ الْأَحْزَابِ وَقَرِظَةُ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ: حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ الْأَرْقَمِ، وَحَدِيثُ مَكْحُولٍ جَمِيعًا غَلَطَ.

ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ حَجِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَجَّ ثَلَاثَ حَجَجٍ: حَجَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَهَاجِرَ، وَحِجَّةً بَعْدَ مَا هَاجَرَ، مَعَهَا عُمْرَةٌ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يَوْسُفَ، عَنْ شَرِيكَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَحْجَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ؛ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، مِنْهُنَّ عُمْرَةٌ مَعَ حَجَّتِهِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ عُمَرٍ. فَبَلَغَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: لَقَدْ عَلِمَ ابْنُ عَمْرٍو أَنَّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ، مِنْهَا عُمَرَتُهُ الَّتِي قَرَنَ مَعَهَا الْحِجَّةَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ هُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ؛ فَإِذَا ابْنُ عَمْرٍو جَالِسٌ عِنْدَ حَجْرَةِ عَائِشَةَ، فَقُلْنَا: كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ؟ فَقَالَ: أَرْبَعًا؛ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ، فَكَرِهْنَا أَنْ نَكْذِبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا اسْتِنَانًا عَائِشَةَ فِي الْحُجَّةِ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: يَا أُمَّةُ، يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ! فَقَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ:

إحداهنَّ في رجب، فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن! ما اعتمر النبيَّ عمرةً إلا وهو شاهد، وما اعتمر في رجب.

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله ﷺ

وَمَنْ مِنْهُنَّ عاش بعده ومن منهنَّ فارقه في حياته، والسبب الذي فارقه من أجله، ومن منهنَّ مات قبله.

فحدثني الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، قال: أخبرني أبي أن رسول الله ﷺ تزوّج خمس عشرة امرأة؛ دخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي عن تسع.

تزوّج في الجاهليّة، وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، وهي أول مَنْ تزوّج، وكانت قبله عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حَجَر بن مَعِيص بن لُؤي. فولدت لعتيق جارية، ثم توفي عنها وخلف عليها أبو هالة بن زُرارة بن نَبَاش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة بن عُذَي بن جُرُوة بن أَسَد بن عمرو بن تميم؛ وهو في بني عبد الدار بن قصي. فولدت لأبي هالة هند بن أبي هالة؛ ثم توفي عنها فخلف عليها رسول الله، وعندها ابنُ أبي هالة هند، فولدت لرسول الله ثمانية: القاسم، والطيب، والظاهر، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأمّ كلثوم، وفاطمة.

قال أبو جعفر: ولم يتزوّج رسول الله ﷺ في حياتها على خديجة حتى مضت لسبيلها؛ فلما توفيت خديجة تزوّج رسول الله بعدها؛ فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهن بعد خديجة، فقال بعضهم: كانت التي بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبي بكر الصديق. وقال بعضهم: بل كانت سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر. فأما عائشة فكانت يوم تزوّجها صغيرة لا تصلح للجماع؛ وأما سودة فإنها كانت امرأةً ثيباً، قد كان لها قبل النبي ﷺ زَوْج؛ وكان زوجها قبل النبي السّكران بن عمرو بن عبد شمس، وكان السّكران من مهاجرة الحبشة فتنصّر ومات بها؛ فخلف عليها رسول الله ﷺ وهو بمكة.

قال أبو جعفر: ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بنى بسودة قبل عائشة.

ذكر السبب الذي كان في خطبة رسول الله ﷺ عائشة وسودة والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقد النكاح:

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عائشة، قالت: لما توفيت خديجة، قالت: خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص، امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة: أي رسول الله، ألا تزوّج؟ فقال: ومن؟ فقالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة بن قيس، قد آمنت بك واتبعك على ما أنت عليه. قال: فاذهبي فاذكريهما علي. فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، فوجدت أمّ رومان؛ أمّ عائشة، فقالت: أي أمّ رومان؟ ماذا أدخل الله عليكم

من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: وددت! انتظري أبا بكر، فإنه آتٍ، فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة! أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه! فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له ذلك، فقال: ارجعي إليه، فقولي له: أنت أخي في الإسلام، وأنا أخوك، وابتنتك تصلح لي؟؟ فأنت أبا بكر فذكرت ذلك له، فقال: انتظريني حتى أرجع، فقالت أم رومان: إن المطعم بن عدي كان ذكرها على ابنه، ولا والله ما وعد شيئاً قط فأخلف. فدخل أبو بكر على مطعم، وعنده امرأته أم ابنه الذي كان ذكرها عليه، فقالت العجوز: يا ابن أبي قحافة، لعلنا إن زوجنا ابنتك أن تصبته وتدخله في دينك الذي أنت عليه! فأقبل على زوجها المطعم، فقال: ما تقول هذه؟ فقال: إنها تقول ذاك. قال: فخرج أبو بكر، وقد أذهب الله العدة التي كانت في نفسه من عدته التي وعداها إياه، وقال لحولة: ادعي لي رسول الله، فدعته فجاء فأنكحه؛ وهي يومئذ ابنة ست سنين. قالت: ثم خرجت فدخلت علي سودة فقالت: أي سودة، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ يخطبك عليه، قالت: فقالت: وددت! ادخلي على أبي فاذكري له ذلك، قالت: وهو شيخ كبير قد تحلف عن الحج، فدخلت عليه فحيته بتحية أهل الجاهلية! ثم قلت: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سودة، قال: كفاء كريم؛ فماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك، قال: ادعها إلي، فدعيت له، فقال: أي سودة، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك وهو كفاء كريم، فتحيين أن أزوجه؟ قالت: نعم، قال: فادعيه لي، فدعته، فجاء فزوجه، فجاء أخوها من الحج؛ عبد بن زمعة، فجعل يثني في رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه يوم أحيي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ بنت زمعة! قال: قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فنزل أبو بكر السُّنح في بني الحارث بن الخزرج، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة بين عذقين يرجح بي، فأنزلتني ثم وقفت جُميمة كانت لي ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني، حتى إذا كنت عند الباب وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي ثم أدخلت ورسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا. قالت: فأجلستني في حجره، فقالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك! ووثب القوم والنساء، فخرجوا، فبني بي رسول الله ﷺ في بيتي، ما نَحَرْتُ جَزُوراً ولا دُبَحْتُ علي شاة، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادَة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ.

حدَّثنا علي بن نصر، قال: حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث - وحدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: حدَّثني أبي - قال: حدَّثنا أبان العطار، قال: حدَّثنا هشام بن عروة، عن عروة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: إنك كتبت إلي في خديجة بنت خويلد تسألني: متى توفيت؟ وإنها توفيت قبل مخرج رسول الله ﷺ من مكة بثلاث سنين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة متوفى خديجة، كان رسول الله ﷺ رأى عائشة مرتين، يقال له: هذه امرأتك، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين.

ثم إن رسول الله ﷺ بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهي يوم بنى بها ابنة تسع سنين. رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد. ثم تزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر - واسمه عتيق بن أبي قحافة، وهو عثمان - ويقال عبد الرحمن بن عثمان - بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي ابنة سبع سنين؛ وجمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهي ابنة تسع سنين.

في سؤال؛ فتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرة غيرها، ثم تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن كعب - وكانت قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم. وكان بدرأ، شهد بدرأ مع رسول الله ﷺ - فلم تلد له شيئاً، ولم يشهد من بني سهم بدرأ غيره.

ثم تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وشهد بدرأ مع رسول الله ﷺ، وكان فارس القوم، فأصابته جراحة يوم أحد فمات منها؛ وكان ابن عمه رسول الله ﷺ ورضيعه، وأمه برة بنت عبد المطلب ولدت له عمر، وسلمة، وزينب، ودرة، فلما مات كبر رسول الله ﷺ على أبي سلمة تسع تكبيرات، فلما قيل: يا رسول الله، أسهوت أم نسيت؟ قال: لم أسه ولم أنس؛ ولو كبرت على أبي سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك؛ ودعا النبي ﷺ لأبي سلمة بخلفه في أهله. فتزوجها رسول الله ﷺ قبل الأحزاب سنة ثلاث، وزوج سلمة بن أبي سلمة ابنة حمزة بن عبد المطلب.

ثم تزوج رسول الله ﷺ عام المريسيع جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جذيمة - وهو المصطلق بن سعد بن عمرو - سنة خمس، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذي الشفرين بن أبي سرح بن مالك بن المصطلق؛ لم تلد له شيئاً؛ فكانت صفية رسول الله ﷺ يوم المريسيع، فأعتقها وتزوجها، وسألت رسول الله ﷺ عتق ما في يده من قومها، فأعتقهم لها.

ثم تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب؛ وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبر بن غنم بن دودان بن أسد - وكانت من مهاجرات الحبشة هي وزوجها، فتنصر زوجها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها، ومات زوجها على النصرانية، فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فيها، فقال النجاشي لأصحابه: من أولاكم بها؟ قالوا: خالد بن سعيد بن العاص، قال: فزوجها من نبيكم، ففعل وأمهرها أربعمائة دينار. ويقال: بل خطبها رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان، فلما زوجه إياها بعث إلى النجاشي فيها، فساق عنه النجاشي، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ.

ثم تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة؛ وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله ﷺ، فلم تلد له شيئاً، وفيها أنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾^(١) إلى آخر الآية، فزوجها الله عز وجل إياه، وبعث في ذلك جبريل؛ وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: أنا أكرمكم ولياً، وأكرمكم سفيراً.

ثم تزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حبي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير؛ وكانت قبله تحت سلام بن مشكم بن الحكم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج؛ وتوفي عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبي ﷺ، ضرب عنقه صبراً، فلما تصفح النبي ﷺ السبي يوم خيبر، ألقى رداءه على صفية، فكانت صفية يوم خيبر؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها؛ وذلك سنة ست.

ثم تزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزيم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال؛ وكانت قبله عند عمير بن عمرو، من بني عُقْدَة بن عوف بن قمي - وهو ثقيف - لم تلد له شيئاً، وهي أخت أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، فتزوجها رسول الله ﷺ بسرف في عمرة القضاء؛ زوجها إياه العباس بن عبد المطلب؛ فتزوجها رسول الله .

وكل هؤلاء اللواتي ذكرنا أن رسول الله ﷺ تزوجهن إلى هذا الموضع، توفي رسول الله وهن أحياء، غير خديجة بنت خويلد.

ثم تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بني كلاب بن ربيعة؛ يقال لها النشاة بنت رفاعه، وكانوا حلفاء لبني رفاعه من قريظة. وقد اختلف فيها، وكان بعضهم يسمي هذه سنا وينسبها، فيقول: سنا بنت أسماء بن الصلت السلمي. وقال بعضهم: هي سبا بنت أسماء بن الصلت من بني حرام من بني سليم. وقالوا: توفيت قبل أن يدخل بها رسول الله ﷺ، ونسبها بعضهم فقال: هي سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمّال بن عوف السلمي.

ثم تزوج رسول الله ﷺ الشنبا بنت عمرو الغفارية. وكانوا أيضاً حلفاء لبني قريظة، وبعضهم يزعم أنها قريظة، وقد جهل نسبها لهلاك بني قريظة، وقيل أيضاً إنها كنانية، فعزّت حين دخلت عليه؛ ومات إبراهيم قبل أن تطهر، فقالت: لو كان نبياً ما مات أحب الناس إليه؛ فسرّحها رسول الله ﷺ.

ثم تزوج رسول الله ﷺ غزية بنت جابر من بني أبي بكر بن كلاب، بلغ رسول الله عنها جمالاً وبسطة، فبعث أبا أسيد الأنصاري، ثم الساعدي، فخطبها عليه. فلما قدمت على النبي ﷺ! وكانت حديثه عهد بالكفر، فقالت: إني لم أستأمر في نفسي، إني أعوذ بالله منك! فقال النبي ﷺ: امتنع عائذ الله. وردّها إلى أهلها؛ يقال: إنها من كندة.

ثم تزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان بن الأسود بن شراحيل بن الجون بن حنجر بن معاوية الكندي، فلما دخل بها وجد بها بياضاً فمتّعها وجهّزها وردّها إلى أهلها؛ ويقال: بل كان النعمان بعث بها إلى رسول الله فسرّحته، فلما دخلت عليه استعاذت منه أيضاً، فبعث إلى أبيها، فقال له: أليست ابنتك؟ قال: بلى، قال لها: أليست ابنتك؟ قالت: بلى، قال النعمان: عليكها يا رسول الله، فإنها وإنها... وأظنّ في الشاء فقال: إنها لم تيجع قط، ففعل بها ما فعل بالعامرية، فلا يُدرى: ألقوها أم لقول أبيها: «إنها لم تيجع قط». وأفاء الله عز وجلّ على رسوله ربحانة بنت زيد، من بني قريظة.

وأهدى لرسول الله ﷺ مارية القبطية، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، فولدت له إبراهيم بن رسول الله .

فهؤلاء أزواج رسول الله ﷺ، منهن ست قرشيات.

قال أبو جعفر: ومن لم يذكر هشام في خبره هذا ممن روى عن رسول الله ﷺ أنه تزوجه من النساء: زينب بنت خزيمة - وهي التي يقال لها أم المساكين - من بني عامر بن صعصعة، وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبل رسول الله عند الطفيل بن

الحارث بن المطلب، أخي عبدة بن الحارث، توفيت عند رسول الله ﷺ بالمدينة .
وقيل إنه لم يمت عند رسول الله في حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة وشراف بنت خليفة، أخت
دحية بن خليفة الكلبي، والعالية بنت ظبيان .

حدثني ابن عبد الله بن عبد الحَكَم ، قال : حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ :
تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَالِيَةَ ؛ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كَلَابٍ فَمَتَّعَهَا ، ثُمَّ فَارَقَهَا ، وَقُتِلَتْ بِنْتُ قَيْسٍ مِنْ مَعَدٍ
يَكْرِبُ أَخْتُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ، فَتَوَقَّيْ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، فَارْتَدَّتْ عَنِ الْإِسْلَامِ مَعَ أَخِيهَا ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ
شُرَيْحٍ .

وَذَكَرَ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : غَزِيَّةُ بِنْتُ جَابِرٍ ، هِيَ أُمُّ شَرِيكِ ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ زَوْجٍ كَانَ
لَهَا قَبْلَهُ ؛ وَكَانَ لَهَا مِنْهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ شَرِيكِ ، فَكُنِيَتْ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَهَا مَسْنَةً ، فَطَلَّقَهَا ، وَكَانَتْ
قَدْ أَسْلَمَتْ ؛ وَكَانَتْ تَدْخُلُ عَلَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ فَتَدْعُوهُنَّ إِلَى الْإِسْلَامِ .

وقيل : إنه تزوج خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث ؛ روي ذلك عن الكلبي ، عن أبي
صالح ، عن ابن عباس .

وهذا الإسناد أن ليلي بنت الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن الخزرج ، أقبلت
إلى النبي ﷺ وهو مولى ظهره الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : مَنْ هذه ؟ قالت : أنا ابنة مباري الرياح ، أنا
ليلي بنت الخطيم ، جئتكم أعرض عليكم نفسي فتزوجني ، قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد
تزوجني رسول الله ، فقالوا : بشما صنعت ! أنت امرأة غیری ؛ والنبي صاحب نساء ، استقيليه نفسك ، فرجعت
إلى النبي ﷺ ، فقالت : ألقني ، قال : قد أقلتك .

وبغير هذا الإسناد أن النبي ﷺ تزوج عمرة بنت يزيد ، امرأة من بني رؤاس بن كلاب .

ذكر مَنْ خطب النبي صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهن

منهن أم هانئ بنت أبي طالب ، واسمها هند ، خطبها رسول الله ﷺ ولم يتزوجها ؛ لأنها ذكرت أنها ذات
ولد .

وخطب ضباعة بنت عامر بن قُرْط بن سلمة بن قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها
سلمة بن هشام بن المغيرة ، فقال : حتى استأمرها ، فأناهاها فقال : إن النبي ﷺ خطبك ، فقالت : ما قلت له ؟
قال : قلت له حتى استأمرها ! قالت : وفي النبي يُستأمر ! أرجع فزوجهُ ؛ فرجع فسكت عنه النبي ﷺ ، وذلك أنه
أخبر أنها قد كبرت .

وخطب - فيما ذكر - صفية بنت بشامة أخت الأعور العنبري ، وكان أصابها سبأ ، فخيرها ، فقال : إن
شئت أنا وإن شئت زوجك ، قالت : بل زوجي ؛ فأرسلها .

وخطب أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب، فوجد العباس أخاه من الرضاعة، أرضعتها ثوية.
وخطب جمة بنت الحارث بن أبي حارثة، فقال أبوها - فيما ذكر: بها شيء، ولم يكن بها شيء، فرجع
فوجدها قد برصت.

ذكر سراري رسول الله ﷺ

وهي مارية بنت شمعون القبطية، وريحانة بنت زيد القرظية. وقيل: هي من بني النضير. وقد مضى ذكر
أخبارهما قبل.

ذكر موالي رسول الله ﷺ

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد، وقد ذكرنا خبره فيما مضى. وثوبان - مولى رسول الله، فأعتقه،
ولم يزل معه حتى قبض، ثم نزل جخص وله بها دار وقف؛ ذكر أنه توفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية. وقال
بعضهم: بل كان سكن الرملة، ولا عقب له.

وشُقران - وكان من الحبشة، اسمه صالح بن عدي؛ اختلف في أمره. قد ذكر عن عبد الله بن داود
الحزبي أنه قال: شُقران ورثه رسول الله ﷺ عن أبيه. وقال بعضهم: شُقران من الفرس، ونسبه فقال: هو
صالح بن حول بن مهر بود.

نسب شُقران مولى رسول الله ﷺ في قول من نسبته إلى عجم الفرس. زعم أنه صالح بن حول بن
مهر بود بن آذر جُشنس بن مهربان بن فيران بن رستم بن فيروز بن ماي بن بهرام بن رشتيري، وزعم أنهم
كانوا من دهاقين الرّي.

وذكر عن مصعب الزبيري أنه قال: كان شُقران لعبد الرحمن بن عوف. فوهبه للنبي ﷺ وأنه أعقب؛
وأن آخرهم مؤبا، رجل كان بالمدينة من ولده، كان له بالبصرة بقية.

ورؤيف - وهو أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، اسمه أسلم. وقال بعضهم: اسمه إبراهيم. واختلفوا في
أمره؛ فقال بعضهم: كان للعباس بن عبد المطلب، فوهبه لرسول الله ﷺ، فأعتقه رسول الله. وقال بعضهم:
كان أبو رافع لأبي أحيحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه، فأعتق ثلاثة منهم أنصاءهم منه، وقتلوا يوم بدر
جميعاً؛ وشهد أبو رافع معهم بدرًا، ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه لرسول الله ﷺ فأعتقه رسول الله.
وابنه البهي - اسمه رافع.

وأخو البهي عبيدة الله بن أبي رافع - وكان يكتب لعلي بن أبي طالب، فلما ولي عمرو بن سعيد المدينة دعا
البهي، فقال: من مولاك؟ فقال: رسول الله، فضربه مائة سوط، وقال: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول
الله، فضربه مائة سوط؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلما سأل: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول الله؛ حتى ضربه

خمسائة سوط، ثم قال: مَوْلَى مَنْ أَنْتَ؟ قال: مولاكم، فلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ قَالَ الْبُهَيَّ بْنَ أَبِي رَافِعٍ:

صَحَّحْتُ وَلَا شَلَّتْ وَضَرْتُ عَدُوَّهَا يَمِينُ هَرَاقَتْ مُهَجَّةَ ابْنِ سَعِيدٍ
هُوَ ابْنُ أَبِي الْعَاصِي مِرَارًا وَيَنْتَمِي إِلَى أُسْرَةٍ طَابَتْ لَهُ وَجُدُودِ

وسَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ - وكنيته أبو عبدالله من أهل قرية أصبهان؛ ويقال: إنه من قرية رامهرمز؛ فأصابه أسرٌ من بعض كَلْبٍ، فبيع من بعض اليهود بناحية وادي القُرى؛ فكاتب اليهودي، فأعانه رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتى عَتَقَ. وقال بعضُ نَسَابَةِ الْفُرس: سَلْمَانُ من كورسابور، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره. وسَفِينَةُ - مَوْلَى رسولِ الله ﷺ، وكان لَأَمِّ سلمة فأعتقته؛ واشترطت عليه خِدْمَةَ رسولِ الله ﷺ حَيَاتِهِ، قيل: إنه أَسْوَدُ؛ واختَلِفَ في اسمه، فقال بعضهم: اسمه مهران، وقال بعضهم: اسمه رَبَّاحٌ، وقال بعضهم: هو من عجمِ الفرس؛ واسمه سبيه بن مارقيه، وأنسَة. يكنى أبا مُسَرَّحٍ، وقيل: أبا مَسْرُوحٍ. كان من مَوْلَدِي السَّراة؛ وكان يأذن على رسولِ الله ﷺ إذا جلس، وشهد بَدْرًا وأحَدًا والمُشَاهِدَ كُلَّهَا مع رسولِ الله ﷺ. وقال بعضهم: أصله من عَجَمِ الْفُرس؛ كانت أمه حبشيَّةً وأبوه فارسيًّا. قال: واسم أبيه بالفارسية كردوي بن أشرنیده بن أدوهر بن مهادر بن كحنكان من بني مهجوار بن يوماست.

وأبو كَبْشَةَ - واسمه سُلَيْمٌ، قيل إنه كان من مَوْلَدِي مَكَّة، وقيل: من مَوْلَدِي أَرْضِ دَوْسٍ، ابتاعه رسولُ الله ﷺ فأعتقه، فشهِد مع رسولِ الله ﷺ بَدْرًا وأحَدًا والمُشَاهِدَ. تُوُفِّيَ فِي أَوَّلِ يَوْمِ اسْتُخْلِفَ فِيهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

وأبو مُوَيْبَةَ - قيل: إنه كان من مَوْلَدِي مُزَيْنَةَ، فاشتراه رسولُ الله ﷺ فأعتقه.

ورَبَّاحُ الْأَسْوَدِ - كان يأذن لرسولِ الله ﷺ.

وفَضَّالَةُ - مولى رسولِ الله ﷺ نَزَلَ - فيما ذكر - الشَّامُ.

ومِدْعَمٌ - مولى رسولِ الله ﷺ، كان عبدًا لرفاعة بن زيد الجُدَامِيِّ، فوهبه لرسولِ الله، فقتل بوادي القُرى، يوم نزل بهم رسولُ الله، أتاه سهم غَرَبَ فقتله.

وأبو ضُمَيْرَةَ - كان بعضُ نَسَابَةِ الْفُرس زعم أنه من عجمِ الْفُرس، من وَلَدِ كَشْتَا سَبِ الْمَلِكِ، وأنَّ اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه بن ماهوش بن باكمبر. وذكر بعضهم أنه كان ممن صار في قَسَمِ رسولِ الله ﷺ في بعض وقائعهم، فأعتقه، وكتب له كتابًا بالوصية؛ وهو جَدُّ حَسِينِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ضُمَيْرَةَ، وأنَّ ذلك الْكِتَابَ فِي أَيْدِي وَلَدِ وَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وأنَّ حَسِينِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا قَدِمَ عَلَى الْمُهَدِّيِّ وَمَعَهُ ذَلِكَ الْكِتَابُ، فَأَخَذَهُ الْمُهَدِّيُّ فَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَصَلَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ.

وَيَسَارٌ - وكان فيما ذكر نوبيا؛ كان فيما وقع في سهم رسولِ الله ﷺ في بعض غزواته فأعتقه؛ وهو الذي قَتَلَهُ الْعُرَيْثِيُّونَ الَّذِينَ أَغَارُوا عَلَى لِقَاحِ رسولِ الله.

ومِهْرَانُ - حَدَّثَ عَنْ رسولِ الله ﷺ.

وكان له خَصِيٌّ يُقَالُ لَهُ مَابُورٌ - كان المقوقس أهدها إليه مع الجاريتين اللتين يُقَالُ لِأَحَدَاهُمَا مَارِيَّةٌ، وهي

التي تَسْرَى بها والأخرى سيرين وهي التي وَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لحسان بن ثابت، لما كان من جنابة صفوان بن المعطل عليه، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن بن حسان. وكان المقوقس بعث بهذا الخصي مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسول الله ﷺ ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتى تَصِلَا إليه. وقيل: إنه الذي قُذِفَتْ مارية به، فبعث رسول الله ﷺ علياً وأمره بقتله، فلما رأى علياً وما يريد به تكشف حتى تبين لعلي أنه أجب لا شيء معه مما يكون مع الرجال، فكف عنه علي. وخرج إليه من الطائف - وهو محاصرٌ أُمْلَهَا - أعبد لهم أربعة، فأعتقهم ﷺ، منهم أبو بكر.

ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ

ذُكِرَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ كان يكتب له أحياناً، وأحياناً علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي.

قيل: أول من كتب له أبي بن كعب؛ وكان إذا غاب أبي كتب له زيد بن ثابت.

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد عن الإسلام، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة.

وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحنظلة الأسدي.

أسماء خيل رسول الله ﷺ

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَهْلٍ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَوَّلُ فَرَسٍ مَلَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَسٌ ابْتَاعَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ بِعَشْرِ أَوَاقٍ، وَكَانَ اسْمُهُ عِنْدَ الْأَعْرَابِيِّ الضَّرْسُ، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّكْبُ؛ وَكَانَ أَوَّلَ مَا غَزَا عَلَيْهِ أَحَدٌ، لَيْسَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فَرَسٌ غَيْرُهُ، وَفَرَسٌ لِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ، يُقَالُ لَهُ مُلَاوَحٌ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنُ سَهْلٍ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ عَنِ الْمَرْحُومِ، فَقَالَ: هُوَ الْفَرَسُ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي شَهِدَ لَهُ فِيهِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ؛ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ مِنْ بَنِي مَرَّةٍ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي بْنُ عَبَّاسٍ بْنُ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ: لِرَازٍ، وَالظَّرِبِ، وَاللَّخِيفِ؛ فَأَمَّا لِرَازٍ فَأَهْدَاهُ لَهُ الْمَقُوقِسُ، وَأَمَّا اللَّخِيفُ فَأَهْدَاهُ لَهُ رِبِيعَةُ بْنُ أَبِي الْبَرَاءِ؛ فَأَثَابَهُ عَلَيْهِ فَرَائِضُ مَنْ نَعِمَ بَنِي كِلَابٍ، وَأَمَّا الظَّرِبُ فَأَهْدَاهُ لَهُ فُرُوءُ بْنُ عَمْرٍو الْجُدَامِيُّ. وَأَهْدَى تَمِيمُ الدَّارِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَساً يُقَالُ لَهُ: الْوَرْدُ، فَأَعْطَاهُ عَمْرٍو؛ فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَمْرٍو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَوَجَدَهُ يَنْبَاعُ.

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْخَيْلِ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْيَعْسُوبُ.

ذكر أسماء بغال رسول الله ﷺ

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتْ دُلْدُلُ بَغْلَةَ النَّبِيِّ ﷺ أَوَّلَ بَغْلَةٍ رُئِيتُ فِي الْإِسْلَامِ، أَهْدَاهَا لَهُ الْمَقُوقِسُ وَأَهْدَى لَهُ

معها حماراً يقال له عُفَيْرٌ؛ فكانت البغلة قد بقيت حتى كان زمن معاوية.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: دُلِّلَ أهداها له فرّوة بن عمرو الجذامي.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي سبرة، عن زامل بن عمرو، قال: أهدى فرّوة بن عمرو إلى النبي ﷺ بغلة يقال لها فضة؛ فوهبها لأبي بكر، وحماره يعفور؛ فنفق منصرفه من حجة الوداع.

ذكر أسماء إبله

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كانت القصواء من نَعَم بني الحريش، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بشمانائة درهم، وأخذها منه رسول الله ﷺ بأربعمائة؛ فكانت عنده حتى نفقت؛ وهي التي هاجر عليها؛ وكانت حين قدم رسول الله المدينة ربابية، وكان اسمها القصواء والجذعاء والعضباء.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني ابن أبي ذئب، عن يحيى بن يعلى، عن ابن المسيب، قال: كان اسمها العضباء؛ وكان في طرف أذنها جَدَع.

ذكر أسماء لقاح رسول الله ﷺ

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني معاوية بن عبدالله بن عبيدالله بن أبي رافع، قال: كانت لرسول الله ﷺ لقاح، وهي التي أغار عليها القوم بالغابة، وهي عشرون لقحة، وكانت التي يعيش بها أهل رسول الله ﷺ يراح إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن فيها لقاح غِزَارًا: الحناء، والسّمراء، والعريس، والسّعدية، والبغوم، واليسيرة، والرّيا.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني هارون بن محمد، عن أبيه، عن نُبّهان؛ مولى أم سلمة، قال: سمعتُ أم سلمة، تقول: كان عيشنا مع رسول الله اللّبن - أو قالت أكثر عيشنا - كانت لرسول الله لقاح بالغابة كان قد فرّقها على نسائه، فكانت فيها لقحة تدعى العريس؛ وكنا منها فيما شئنا من اللّبن، وكانت لعائشة لقحة تدعى السّمراء غزيرة، لم تكن كلقحتي، فقرب راعيها اللّقاح إلى مرعى بناحية الجوانية، فكانت تروح على أبياتنا فنوّقَ بهما فتحلبان، فتوجدُ لقحته أغزر منها بمثل لبنها أو أكثر.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا عبد السلام بن جبّير، عن أبيه، قال: كانت لرسول الله ﷺ لقائح تكون بذي الجُدُر، وتكون بالجماء، فكان لبنها يؤوب إلينا؛ لقحة تدعى مهرة، أرسل بها سعد بن عبادة من نَعَم بني عُقيل وكانت غزيرة؛ وكانت الرّيا والشقراء ابتاعها بسوق النبط من بني عامر، وكانت بردة، والسّمراء، والعريس، واليسيرة، والحناء، يُحلبن ويراح إليه بلبنهن كل ليلة؛ وكان فيها غلام للنبي ﷺ اسمه يسار، فقتلوه.

ذكر أسماء منائح رسول الله ﷺ

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني زكريا بن يحيى، عن إبراهيم بن عبد الله، من ولد عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ، قال: كانت منائحُ رسول الله ﷺ سبْعاً: عَجْوَةٌ، وَزَمْزَمٌ، وَسُقْيَا، وَبَرْكَةٌ، وَوَرَسَةٌ، وَأَطْلَالٌ، وَأَطْرَافٌ.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد، قال: حدَّثني أبو إسحاق، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت منائحُ رسول الله ﷺ سبع أعز منائح، يرعاهنَّ ابنُ أمِّ أيمن.

ذكر أسماء سيوف رسول الله ﷺ

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَةَ، عن مَرْوَانَ بن أبي سعيد بن المعلّى، قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أسياف: سيفاً قَلْعِيّاً، وسيفاً يُدْعَى بَتَّاراً، وسيفاً يدعى الحُتَفُ؛ وكان عنده بعد ذلك المِخْدَمُ وَرَسُوبٌ، أصابها من الفِلس. وقيل إنه قدم رسول الله ﷺ المدينةَ ومعه سيفان، يقال لأحدهما: القضيبي، شهد به بدرًا، وسيفه ذو الْفَقَارِ غَنِمَهُ يوم بدر، كان لمنبه بن الحجاج.

ذكر أسماء قسيه ورماحه ﷺ

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَةَ، عن مَرْوَانَ بن أبي سعيد بن المعلّى، قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أرماح وثلاث قسي: قَوْسُ الرُّوحَاءِ، وقَوْسُ شَوْحَطٍ، تدعى البِيضَاءِ، وقَوْسُ صَفْرَاءٍ تدعى الصَّفْرَاءِ من نَبَعٍ.

ذكر أسماء دروعه ﷺ

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَةَ، عن مَرْوَانَ بن أبي سعيد بن المعلّى، قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قَيْنُقَاع درعين؛ درع يقال لها السَّعْدِيَّةُ، ودرع يقال لها فَضَّةٌ.

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثني ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني موسى بن عمر، عن جعفر بن محمود، عن محمد بن مسلمة، قال: رأيتُ على رسول الله ﷺ يومَ أُحُدٍ درعين: درعُهُ ذَاتُ الْفُضُولِ ودرعُهُ فَضَّةٌ، ورأيتُ عليه يومَ خَيْبَرٍ درعين: ذَاتُ الْفُضُولِ وَالسَّعْدِيَّةُ.

ذكر ترسه ﷺ

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا عَتَّابُ بن زياد، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا عبدُ الرَّحْمَنِ بن يزيد بن جابر، قال: سمعتُ مكحولاً يقول: كان لرسول الله ﷺ ترس فيه تمثال رأس كبشٍ، فكره رسول الله ﷺ مكانه، فأصبح يوماً وقد أذهب الله عز وجل.

ذكر أسماء رسول الله ﷺ

حدثني محمد بن المثني، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن عبد الرحمن - يعني المسعودي - عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى، قال: سَمِيَ لنا رسولُ الله ﷺ نفسه أسماء، منها ما حفظنا. قال: أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة والمَلَحَمَة.

حدثني ابن المثني، قال: حدثنا أبو داود، قال: أخبرنا إبراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري، قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: إن لي أسماء؛ أنا محمد، وأحمد، والعاقب، والمأحي. قال الزهري: العاقب: الذي ليس بعده أحد، والمأحي: الذي يحو الله به الكفر.

حدثني ابن المثني، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سفيان بن حسين، قال: حدثني الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: أنا محمد، وأحمد، والمأحي، والعاقب، والحاشر؛ الذي يحشر الناس على قدمي. قال يزيد: فسألت سفيان: ما العاقب؟ قال: آخر الأنبياء.

ذكر صفة النبي ﷺ

حدثني ابن المثني، قال: حدثني ابن أبي عدي، عن المسعودي، عن عثمان بن عبد الله بن هُرْمَز، قال: حدثني نافع بن جبير، عن علي بن أبي طالب، قال: كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضَخْمُ الرأس واللحية، شُنَّ الكفين والقدمين، ضَخْمُ الكراديس، مُشْرَباً وجهه الحُمرة، طويل المُسْرَبَة إذا مشى تَكْفُؤاً كأنما ينحط من صَبَب، لم أر قبله ولا بعده مثله؛ ﷺ.

حدثنا ابن المثني، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا مجمع بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن عمران، عن رجل من الأنصار - لم يسمه - أنه سأل علي بن أبي طالب وهو في مسجد الكوفة مُحْتَبٍ بِحِمَالَة سيفه، فقال: انعت لي نعت رسولِ الله ﷺ، فقال له علي: كان رسولُ الله أبيض اللون مُشْرَباً حُمرةً، أدعج سَبَط الشعر، دقيق المُسْرَبَة، سَهْلُ الخَدَّين، كَثُّ اللحية، ذَا وَفْرَة؛ كأن عنقه إبريقُ فِضَّة؛ كان له شعر من لَبَتَة إلى سُرَّتِه يجري كالقضيب؛ لم يكن في إبطه ولا صدره شعر غيره، شُنَّ الكف والقدم؛ إذا مشى كأنما ينحدر من صَبَب؛ وإذا مشى كأنما ينقلع من صَخْر، وإذا التفت التفت جميعاً؛ ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا العاجز ولا اللثيم؛ كأن العرق في وجهه اللؤلؤ؛ ولرَيْحُ عَرَقِه أطيب من المسك؛ لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

حدثنا ابنُ المقدمي، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن قيس الذي يقال له أبو زُكَيْر. قال: سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أن رسولَ الله ﷺ بُعث على رأس أربعين؛ فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً، وتوفي على رأس ستين؛ ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء؛ ولم يكن رسولُ الله ﷺ بالطويل البائن، ولا القصير؛ ولم يكن بالأبيض الأمهق؛ ولا الآدم، ولم يكن بالجعد القَطَط ولا السَّبَط.

حدثني ابن المثني قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن الجريري، قال: كنت مع أبي الطفيل نطوف بالبيت؛

فقال: ما بقي أحد رأى رسول الله ﷺ غيري؛ قال: وقلت: رأيته؟ قال: نعم، قلت: كيف كان صفته؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً.

ذكر خاتم النبوة التي كانت به ﷺ

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا الضحاك بن مخلد، قال: حدثنا عَزْرَةَ بن ثابت، قال: حدثنا علباء، قال: حدثنا أبو زيد، قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا زيد، اذُنْ مني امسحْ ظهري - وكشف عن ظهره - قال: فمسست ظهره، ثم وضعت أصبعي على الخاتم فغمزتها، قال: قلت: وما الخاتم؟ قال: شعرٌ يجمعُ كان على كتفيه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا بشر بن الوضاح أبو الهيثم، قال: حدثنا أبو عقيل الدُّورقي عن أبي نضرة، قال: سألت أبا سعيد الخدري عن الخاتم التي كانت للنبي ﷺ، قال: كانت بضعة ناشزة.

ذكر شجاعته وجوده ﷺ

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا حماد بن واقد، عن ثابت، عن أنس، قال: كان نبي الله ﷺ من أحسن الناس، وأسمح الناس، وأشجع الناس؛ لقد كان فرعاً بالمدينة، فانطلق أهل المدينة نحو الصوت، فإذا هم قد تلقوا رسول الله ﷺ على فرسٍ عُريٍّ لأبي طلحة، ما عليه سرج، وعليه السيف. قال: وقد كان سبقهم إلى الصوت، قال: فجعل يقول: يا أيها الناس، لم تُراعوا، لم تُراعوا! مرتين، ثم قال: يا أبا طلحة، وجدناه بحرأ؛ وقد كان الفرس يبطأ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأجود الناس؛ كان فرعاً بالمدينة فخرج الناس قبل الصوت، فاستبرأ الفرع على فرسٍ لأبي طلحة عُريٍّ، ما عليه سرج، في عنقه السيف. قال: وجدناه بحرأ - أو قال: وإنه لبحرٌ.

ذكر صفة شعره ﷺ وهل كان يخضب أم لا

حدثني ابن المثنى، قال: حدثنا مُعَاذُ بن معاذ، قال: حدثنا حَرِيزُ بن عثمان، قال أبو موسى: قال مُعَاذُ: وما رأيْتُ من رجل قط من أهل الشام أفضلهُ عليه، قال: دخلنا على عبد الله بن بُسرٍ، فقلت له من بين أصحابي: رأيْتُ رسول الله ﷺ؟ أشيخاً كان؟ قال: فوضع يده على عنقه، وقال: كان في عنقه شعر أبيض.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، قال: رأيْتُ رسول الله ﷺ عنقه بيضاء، قيل: مثل مَنْ أنت يومئذ يا أبا جحيفة؟ قال: أبري النبل وأريشها.

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، قَالَ: سِئِلَ أَنَسٌ: أَخْضَبَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: لَمْ يَشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ الشَّيْبُ، وَلَكِنْ خَضِبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحَنَاءِ وَالكَتَمِ، وَخَضِبَ عُمَرُ بِالْحَنَاءِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سِئِلَ أَنَسٌ: هَلْ خَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَمْ يُرَ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا نَحْوُ مِنْ تِسْعِ عَشْرَةٍ أَوْ عَشْرِينَ شَعْرَةً بِيضَاءً فِي مَقْدَمِ لَحْيَتِهِ. قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُشْنِ بِالشَّيْبِ، فَقِيلَ لَأَنَسٍ: وَشَيْنٌ هُوَ! قَالَ: كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ؛ وَلَكِنْ خَضِبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحَنَاءِ وَالكَتَمِ، وَخَضِبَ عُمَرُ بِالْحَنَاءِ. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمْ يَكُنِ الشَّيْبُ الَّذِي بِالنَّبِيِّ ﷺ عَشْرِينَ شَعْرَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: مَا كَانَ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا شَعْرَاتٌ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ؛ وَكَانَ إِذَا دَهَنَهُ غَطَّاهُنَّ. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ أَبِي مَطِيعٍ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: دَخَلْتُ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَخْضُوبًا بِالْحَنَاءِ وَالكَتَمِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرِ بْنِ الْكَرْدِيِّ الْوَاسِطِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ هُرْمَةَ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَامِعٍ، عَنْ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ، عَنْ أَبِي رَمْثَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْضِبُ بِالْحَنَاءِ وَالكَتَمِ؛ وَكَانَ يَبْلُغُ شَعْرَهُ كَيْفِيَّةً أَوْ مَنْكِبِيَّةً - الشَّكُّ مِنْ أَبِي سَفْيَانَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي ابْنَ نَافِعٍ - عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أُمِّ هَانِءٍ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَهُ ضَفَائِرُ أَرْبَعٍ.

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعت إليه نفسه ﷺ

قال أبو جعفر: يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (١). قد مضى ذكرنا قبل ما كان من تعليم رسول الله ﷺ أصحابه - في حجته التي حجها المسماة حجة الوداع، وحجة التمام، وحجة البلاغ - مناسكهم ووصيته إياهم، بما قد ذكرت قبل في خطبته التي خطبها بهم فيها.

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من سفره ذلك بعد فراغه من حجّه إلى منزله بالمدينة في بقية ذي الحجة، فأقام بها ما بقي من ذي الحجة والمحرم والصفر.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ذكر الأحداث التي كانت فيها

قال أبو جعفر: ثم ضرب في المحرم من سنة إحدى عشرة على الناس بعثاً إلى الشام، وأمر عليهم مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة - أن يوطيء الخيل نخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون.

فبينما الناس على ذلك ابتدئ ﷺ شكواه التي قبضه الله عز وجل فيها إلى ما أراد به من رحمته وكرامته. في ليالٍ بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول.

حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري، قال: حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرنا سيف بن عمر، قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجزع الأنصاري، عن عبيد بن حنين مولى النبي ﷺ، عن أبي مؤهبة مولى رسول الله، قال: رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما قضى حجة التمام، فتحلل به السير، وضرب على الناس بعثاً، وأمر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطيء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، وردّ عليهم النبي ﷺ: «إنه لخليق لها - أي حقيق بالإمارة - وإن قلت فيهم فيه لقد قلت في أبيه من قبل وإن كان لخليقاً لها». فطارت الأخبار بتحلل السير بالنبي ﷺ أن النبي قد اشتكى، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة؛ وجاء الخبر عنهما للنبي ﷺ. ثم وثب طليحة في بلاد أسد بعد ما أفاق النبي ﷺ، ثم اشتكى في المحرم وجعه الذي قبضه الله تعالى فيه.

حدثنا ابن سعد، قال: حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرنا سيف، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: اشتكى رسول الله ﷺ وجعه الذي توفاه الله به في عقب المحرم.

وقال الواقدي: بُدئ رسول الله ﷺ وجعه لليلتين بقيتا من صفر.

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: حدثني عمي، قال: حدثنا سيف بن عمر، قال: حدثنا المستنير بن يزيد النخعي، عن عروة بن غزية الدثيني، عن الضحاك بن فيروز بن الديلمي، عن أبيه، قال: إن أول ردة كانت في الإسلام باليمن كانت على عهد رسول الله ﷺ على يدي ذي الخمار عبهلة بن كعب - وهو الأسود - في عامه مذبح. خرج بعد الوداع؛ كان الأسود كاهناً شعباً، وكان يريهم الأعاجيب، ويسبي قلوب من سمع منطقته، وكان أول ما خرج أن خرج من كهف حبان؛ وهي كانت داره، وبها ولد ونشأ؛ فكاتبته مذبح،

وواعدته نَجْران فوثبوا بها وأخرجوا عَمْرُو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص وأنزلوه منزلها، ووثب قيس بن عبد يغوث على فَرَوَة بن مُسَيك وهو على مُراد، فأجلاه ونزل منزله؛ فلم يَنْشَبْ غَبْلَةً بنَجْران أن سارَ إلى صنعاء فأخذها، وكتب بذلك إلى النبي ﷺ من فعله ونزوله صنعاء؛ وكان أول خبر وقع به عنه من قِبَل فَرَوَة بن مُسَيك، ولحق بفروة من تَمَّ على الإسلام من مُذْجِج، فكانوا بالأحسيّة، ولم يكاثبه الأسود ولم يرسل إليه، لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه، وصفا له مُلْك اليمن.

حدَّثنا عبيدُ الله، قال: أخبرني عمِّي يعقوب، قال: حدَّثني سيف، قال: حدَّثنا طَلْحَة بن الأَعم، عن عِكْرَمَة، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ قد ضرب بَعَثَ أسامة فلم يستتب لوجع رسول الله ولخلع مسيلمة والأسود؛ وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة، حتى بلغه؛ فخرج النبي ﷺ على الناس عاصباً رأسه من الصُّداع لذلك الشأن وانتشاره، لرؤيا رآها في بيت عائشة: فقال: إني رأيت البارحة - فيما يرى النائم - أن في عضديّ سوارين من ذهب؛ فكرهتهما فنفختهما، فطارا، فأولتهما هذين الكذابين - صاحب اليمامة وصاحب اليمن - وقد بلغني أن أقواماً يقولون في إمارة أسامة! ولعمري لئن قالوا في إمارته، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله! وإن كان أبوه خليفاً للإمارة، وإنه لخليق لها؛ فأنفذوا بعثَ أسامة. وقال: لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجدًا!

فخرج أسامة فضربَ بالجُرْف؛ وأنشأ الناس في العسكر، ونجمَ طليحة وتمهل الناس، وثقل رسولُ الله ﷺ فلم يستتم الأمر؛ ينظرون أولهم آخرهم، حتى توفى الله عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ.

كتب إليّ السريّ بن يحيى، يقول: حدَّثنا شُعيب بن إبراهيم التميمي، عن سيف بن عمر، قال: حدَّثنا سعيد بن عبيد أبو يعقوب، عن أبي ماجد الأسدي، عن الحضرمي بن عامر الأسدي، قال: سألتُه عن أمر طُليحة بن خُوَيْلِد؛ فقال: وقع بنا الخبر بوجع النبي ﷺ، ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على اليمامة، وأن الأسود قد غلب على اليمن؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادَّعى طُليحة النبوة، وعسكر بِسَمِيرَاء، واتَّبعه العوام؛ واستكثف أمره؛ وبعث جبال ابن أخيه إلى النبي ﷺ يدعوه إلى المواجهة، ويخبره خبره. وقال جبال: إن الذي يأتيه ذو النون؛ فقال: لقد سمى ملكاً، فقال جبال: أنا ابن خُوَيْلِد، فقال النبي ﷺ: قتلك الله وحرملك الشهادة!

وحدَّثني عبيدُ الله بن سعد، قال: أخبرنا عمِّي يعقوب، قال: أخبرنا سيف، قال: وحدَّثنا سعيد بن عبيد، عن حُرَيْث بن المعلّى: أن أول مَنْ كتب إلى النبي ﷺ بخبر طُليحة سِنَان بن أبي سنان، وكان على بني مالك؛ وكان قُضَاعِي بن عمرو على بني الحارث.

حدَّثنا عبيدُ الله بن سعد، قال: أخبرنا عمِّي، قال: أخبرنا سيف، قال: أخبرنا هِشَام بن عُروة، عن أبيه، قال: حاربهم رسولُ الله ﷺ بالرسَل، قال: فأرسل إلى نفرٍ من الأبناء رسولاً، وكتب إليهم أن يحاولوه، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً - قد سمَّاهم - من بني تميم وقيس؛ وأرسل إلى أولئك النَّفَر أن ينجدوهم، ففعلوا ذلك؛ وانقطعت سُبُل المرتدة، وطعنوا في نقصان وأغلقهم، واشتغلوا في أنفسهم، فأصيب الأسود في حياة رسول الله ﷺ وقبل وفاته بيوم أو ليلة، ولظَّ طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرسَل؛ ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله عزَّ وجلَّ والذب عن دينه، فبعث وِبر بن يُحْنَس إلى فيروز وجُشَيْش الديلمي وداؤويه

الإصطخري؛ وبعث جرير بن عبدالله إلى ذي الكلاع وذي ظُلَيْم، وبعث الأقرع بن عبدالله الحميري إلى ذي رُود وذي مُرَّان، وبعث فرات بن حَيَّان العجلي إلى ثُمَامَة بن أثال، وبعث زياد بن حنظلة التميمي ثم العمري إلى قيس بن عاصم والزُّبْرَقَان بن بدر، وبعث صلصل بن شُرَحْبِيل إلى سَبْرَة العنبري ووَكَيْع الدارمي وإلى عمرو بن المحجوب العامري، وإلى عمرو بن الحَفَّاجي من بني عامر، وبعث ضرار بن الأزور الأسدي إلى عَوْف الزرقاني من بني الصُّيْدَاء وِسنان الأسدي ثم الغنمي، وقضاعي الدُّثَيْلي، وبعث نعيم بن مسعود الأشجعي إلى ابن ذي اللحية وابن مشيمصة الجبيري.

وَحَدَّثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي خُثَيْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّقْعَبُ بْنُ زَهْرٍ، عَنْ فَهَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَجَعَ وَجَعَهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فِي آخِرِ صَفَرٍ فِي أَيَّامِ بَقِيَّةٍ مِنْهُ؛ وَهُوَ فِي بَيْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ وَعَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ، مَوْلَى الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ أَبِي مُوَيْبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا مُوَيْبَةَ، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ؛ فَاذْطَلِقْ مَعِيَ، فَاذْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْمَقَابِرِ؛ لَيْهَنَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ! أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، يَتَّبِعُ آخِرَهَا أَوَّلُهَا، الْآخِرَةُ شَرُُّ مِنَ الْأُولَى. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةُ، خَيْرُتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ، فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ. قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! فَخَذْتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْبَةَ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبَدِءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَتْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَقِيعِ، فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجْدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهُ! قَالَ: بَلْ أَنَا وَاللَّهِ يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاهُ! ثُمَّ قَالَ: مَا ضَرَّكَ لَوْ مِتُّ قَبْلِي فَقِمْتُ عَلَيْكَ وَكَفَنْتُكَ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكَ، وَدَفَنْتُكَ! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكَ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَنَامَ بِهِ وَجَعُهُ؛ وَهُوَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ حَتَّى اسْتَعَزَّ بِهِ وَهُوَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَدَعَا نِسَاءَهُ فَاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرِّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَ لَهُ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ: أَحَدُهُمَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٌ آخَرٌ نَخَطَ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ، عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتِي.

- قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ؟ قُلْتُ:

لَا، قَالَ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَذْكُرَهُ بِخَيْرٍ وَهِيَ تَسْتَطِيعُ -

ثُمَّ غَمِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ الْوَجَعُ؛ فَقَالَ: أَهْرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ مِنْ آبَارِشَتِي؛ حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعَاهَدَ إِلَيْهِمْ، قَالَتْ: فَأَقْعَدْنَاهُ فِي مَخْضَبٍ لِحَفْصَةَ بِنْتُ عَمْرِ، ثُمَّ صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْمَاءَ حَتَّى طَفِقَ يَقُولُ:

حَسْبُكُمْ، حَسْبُكُمْ!

فحدَّثني حميد بن الربيع الخزاز، قال: حدَّثنا معن بن عيسى، قال: حدَّثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثي؛ ثم الأشجعي، عن القاسم بن يزيد، عن عبد الله بن قُسيط، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس، عن أخيه الفضل بن عباس، قال: جاءني رسول الله ﷺ، فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عَصَبَ رأسه، فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذتُ بيده؛ حتى جلس على المنبر، ثم قال: نادِ في الناس. فاجتمعوا إليه، فقال: أما بعدُ أيها الناس، فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو؛ وإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، فمن كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستَقِدْ منه، ومن كنتُ شتمتُ له عِرْضاً فهذا عِرْضي فليستَقِدْ منه؛ ألا وإنَّ الشحناء ليست من طبعي ولا من شأني، ألا وإنَّ أحبَّكم إليَّ مَنْ أخذ مني حقاً إن كان له، أو حلَّلي فلقيت الله وأنا أطيبُ النفس؛ وقد أرى أن هذا غير مُعْنٍ عني حتى أقوم فيكم مراراً.

قال الفضل: ثم نزل فصلِّي الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، فعاد لمقاتته الأولى في الشحناء وغيرها، فقام رجل فقال: يا رسول الله؛ إنَّ لي عندك ثلاثة دراهم، قال: أعطه يا فضل، فأمرته فجلس، ثم قال: أيها الناس، مَنْ كان عنده شيء فليؤدِّه ولا يقلْ فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا أيسرُ من فضوح الآخرة. فقام رجل فقال: يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله، قال: ولم غللتها؟ قال: كنت إليها محتاجاً، قال: خُذْها منه يا فضل. ثم قال: يا أيها الناس، مَنْ خشي من نفسه شيئاً فليقم أدعُ له. فقام رجل فقال: يا رسول الله، إنِّي لكذاب، إنِّي لفاحش، وإنِّي لنؤوم؛ فقال: اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً، وأذهب عنه النوم إذا أراد. ثم قام رجل فقال: والله يا رسول الله، إنِّي لكذاب وإنِّي لمناق، وما شيء - أو إن شيء - إلا قد جنيته. فقام عمر بن الخطاب، فقال: فضحت نفسك أيها الرجل! فقال النبي ﷺ: يا بن الخطاب، فضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة، اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وصبراً أمره إلى خير.

فقال عمر كلمة، فضحك رسول الله، ثم قال: عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان.

حدَّثنا ابنُ حميد قال: حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزَّهري، عن أيوب بن بشير، أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه؛ حتى جلس على المنبر؛ ثم كان أوَّل ما تكلم به أن صليَّ على أصحاب أحد، واستغفر لهم؛ وأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: إنَّ عبداً من عباد الله خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. قال: ففهمها أبو بكر، وعلم أن نفسه يُريد؛ فبكى، وقال: بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: على رُسلك يا أبا بكر! انظروا هذه الأبواب الشوارع الالافظة في المسجد فسُدُّوها؛ إلَّا ما كان من بيت أبي بكر؛ فإني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة يداً منه.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد بن المعلّى، أن رسول الله قال يومئذ في كلامه هذا: فإني لو كنت متَّخذاً من العباد خليلاً لا تتَّخذت أبا بكر خليلاً؛ ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده.

وحدَّثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدَّثني عمِّي عبد الله بن وهب، قال: حدَّثنا مالك، عن أبي النضر، عن عُبَيْد بن حنين، عن أبي سعيد الخُدري أن رسول الله ﷺ جلس يوماً على المنبر، فقال: إنَّ عبداً

خيرَه الله بين أن يؤتِيَه من زُهرَةِ الدنيا ما شاء، وبين ما عند الله؛ فاختار ما عند الله؛ فبكى أبو بكر ثم قال: فدينك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله! قال: فتعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد يخبر. ويقول: فدينك بآبائنا وأمهاتنا! قال: فكان رسول الله هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به؛ فقال رسول الله ﷺ: إن آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر؛ ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً؛ ولكن أخوة الإسلام؛ لا تبق خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر.

حدّثني محمد بن عمر بن الصباح الهمداني، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن، قال: حدّثنا مسلم بن جعفر البجلي، قال: سمعتُ عبد الملك بن الأصبهاني عن خلّاد الأسدي، قال: قال عبد الله بن مسعود: نعمي إلينا نبينا وحبينا نفسه قبل موته بشهر؛ فلما دنا الفراق جمّعنا في بيت أمتنا عائشة، فنظر إلينا وشدّد، فدمعت عينه، وقال: مرحباً بكم! رحمكم الله! أواكم الله، حفظكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، وفقكم الله، نصركم الله! سلّمكم الله! رحمكم الله! قبلكم الله! أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأودّيكُم إليه؛ إني لكم نذير وبشير، لا تعلوا على الله في عباده وبلاده؛ فإنه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١). وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢). قلنا: متى أجلك؟ قال: قد دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، وإلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. قلنا: فمن يغسلك يا نبيّ الله؟ قال: أهلي الأذى فالأذى، قلنا: ففيم نكفّنك يا نبيّ الله؟ قال: في ثيابي هذه إن شئتم؛ أو في بياض مصر، أو حلّة يمانية، قلنا: فمن يصليّ عليك يا نبيّ الله؟ قال: مهلاً غفر الله لكم، وجزاكم عن نبيّكم خيراً! فبكينا وبكى النبيّ ﷺ، وقال: إذا غسلتموني وكفّتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا، على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإنّ أوّل من يصليّ عليّ جليسي وخليلي جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، فصلوا عليّ وسلموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة ولا صيحة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم أنتم بعد. أقرئوا أنفسكم مني السلام؛ فإنّي أشهدكم أنّي قد سلّمت على من بايعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة. قلنا: فمن يدخلك في قبرك يا نبيّ الله؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرؤنكم من حيث لا ترونهم.

حدّثنا أحمد بن حمّاد الدؤلابي، قال: حدّثنا سُفيان، عن سليمان بن أبي مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فقال: ائتوني أكتب كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً. فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع - فقالوا: ما شأنه؟ أهجر! استفهموه؛ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خيراً مما تدعونني إليه؛ وأوصى بثلاث؛ قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم؛ وسكت عن الثالثة عمداً - أو قال: فنسيتها.

حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: حدّثنا ابنُ عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حمّاد، غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع.

(١) سورة القصص: ٨٣.

(٢) سورة الزمر: ٦٠.

حدَّثنا أبو كريب وصالح بن سَمَّال، قال: حدَّثنا وكيع، عن مالك بن مِغْوَل، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: ثم نظرتُ إلى دموعه تسيل على خَدَّيه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسولُ الله ﷺ: اثْنُونِي باللَّوْحِ والدَّوَاةِ - أو بِالْكِتَافِ والدَّوَاةِ - أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّونَ بعده. قال: فقالوا: إن رسول الله ﷺ يَهْجُر.

حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدَّثني عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يونس، عن الزُّهْرِيُّ، قال: أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك؛ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوْفِيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَقَالَ: أَلَا تَرَى أَنَّكَ بَعْدَ ثَلَاثِ عِبْدُ الْعَصَا! وَإِنِّي أَرَى رَسُولَ اللَّهِ سَيُتَوَفَّى فِي وَجَعِهِ هَذَا؛ وَإِنِّي لِأَعْرِفُ وَجْهَ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ فَاذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَسَلِّهِ فِيمَنْ يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ؟ فَإِنْ كَانَ فِينَا عِلْمُنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا أَمْرٌ بِهِ فَأَوْصِي بِنَا. قَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولُ اللَّهِ فَمَنْعَهَا لَا يَعْطِينَاهَا النَّاسُ أَبَدًا؛ وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولُ اللَّهِ أَبَدًا.

حدَّثنا ابنُ مُهِيد، قال: حدَّثنا سَلَمَةُ، قال: حدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ يَوْمَئِذٍ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ؛ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِهِ: أَحْلِفَ بِاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ الْمَوْتَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ فِي وَجْهِ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ؛ فَاذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؛ فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِينَا عِلْمُنَا، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا أَمْرٌ فَأَوْصِي بِنَا النَّاسَ؛ وَزَادَ فِيهِ أَيْضًا: فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الضُّحَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

حدَّثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدَّثنا أبي، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال لنا رسولُ الله ﷺ: أفرغوا عليَّ من سبعِ قَرَبٍ من سبعِ آبارِ شَتَّى، لعلِّي أخرج إلى الناسِ فأعْهَدَ إِلَيْهِمْ.

قال محمد، عن محمد بن جعفر، عن عروة، عن عائشة، قالت: فصَبَّنا عليه من سبعِ قَرَبٍ، فوجد راحةً، فخرج فصلَّى بالناسِ، وخطبهم، واستغفر للشهداء من أصحابِ أُحُدٍ، ثم أوصى بالأنصار خيرًا، فقال: أما بعد يا معشر المهاجرين، إنكم قد أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، والأنصار عيبتني التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مُسيئتهم. ثم قال: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدْ خَيْرَ بَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَبَيْنَ الدُّنْيَا فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؛ فَلَمْ يَفْقَهْهَا إِلَّا أَبُو بَكْرٍ؛ ظَنَّ أَنَّهُ يَرِيدُ نَفْسَهُ، فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ! سَدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّوَارِعَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَمْرًا أَفْضَلَ يَدُ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ.

حدَّثنا عمرو بن علي، قال: حدَّثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: حدَّثنا سُفْيَانُ، قال: حدَّثنا موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ، عن عائشة، قالت: لَدُنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ: لَا تَلْدُونِي! فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ الدَّوَاءِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: لَا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا لَدُنِّي؛ غَيْرَ الْعَبَّاسِ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ.

حدَّثنا ابنُ حُمَيْد، قال: حدَّثنا سَلَمَةُ، عن ابنِ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْهُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ، وَتَنَامَ بِهِ وَجَعُهُ حَتَّى غُمِرَ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ نِسَائِهِ: أُمُّ سَلَمَةَ، وَمَيْمُونَةُ، وَنِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؛ مِنْهُنَّ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَعِنْدَهُ

عُمُه العباس بن عبد المطلب، وأجمعوا على أن يُلْدُوهُ، فقال العباس: لأُلْدِنَهُ، قال: فُلْدٌ، فلما أفاق رسولُ الله ﷺ، قال: مَنْ صنع بي هذا؟ قالوا: يا رسول الله، عمّك العباس، قال: هذا دواء أقي به نساء من نحو هذه الأرض - وأشار نحو أرض الحبشة - قال: ولم فعلتم ذلك؟ فقال العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك وجع ذات الجنب، فقال: إن ذلك لداء ما كان الله ليعذّبني به، لا يبقى في البيت أحدٌ إلّا لُدَّ إلّا عمّي. قال: فلقد لدّت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله ﷺ؛ عقوبة لهم بما صنعوا.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، أنّ عائشة حدّثته أنّ رسول الله ﷺ حين قالوا: خشينا أن يكون بك ذات الجنب، قال: إنّها من الشيطان؛ ولم يكن الله ليسلّطها عليّ.

حدّثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدّثني الصّقّعب بن زهير، عن فقهاء أهل الحجاز، أنّ رسول الله ﷺ نُقِلَ في وجعه الذي تُوْفِّي فيه حتى أغمي عليه؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهل بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب وجميعهم؛ وإنّ أسماء بنت عميس قالت: ما وجعه هذا إلّا ذات الجنب، فُلْدُوهُ، فلددناه، فلما أفاق، قال: مَنْ فعل بي هذا؟ قالوا: لدّتك أسماء بنت عميس؛ ظنّنت أنّ بك ذات الجنب. قال: أعوذ بالله أن يُبْلِيَنِي بذات الجنب؛ أنا أكرم على الله من ذلك.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن محمد بن إسحاق، عن سعيد بن عُبيد بن السّباق، عن محمد بن أسامة بن زيد، عن أبيه أسامة بن زيد، قال: لما نُقِلَ رسولُ الله ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلنا على رسول الله ﷺ، وقد أصمّت فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فعرفت أنه يدعوني.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة، قالت: كان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما أسمع، وهو يقول: إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبياً حتى يخيره.

حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا يونس بن بكير، قال: حدّثنا يونس بن عمرو، عن أبيه، عن الأرقم بن شُرحبيل، قال: سألتُ ابنَ عباس: أوصى رسولُ الله ﷺ؟ قال: لا، قلت: فكيف كان ذلك؟ قال: قال رسول الله: ابعثوا إلى عليّ فادعوه، فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر! وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر! فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسولُ الله ﷺ: انصرفوا، فإنّ تك لي حاجة أبعث إليكم؛ فانصرفوا، وقال رسولُ الله ﷺ: آّن الصلاة؟ قيل: نعم، قال: فأمرُوا أبا بكر ليُصَلِّيَ بالناس، فقالت عائشة: إنه رجلٌ رقيق، فمُرّ عمر، فقال: مُرّوا عمر، فقال عمر: ما كنت لأتقدّم وأبو بكر شاهد، فتقدّم أبو بكر، ووجد رسولُ الله خِفَّةً، فخرج، فلمّا سَمِعَ أبو بكر حرّكته تأخّر، ف جذب رسولُ الله ﷺ ثوبه، فأقامه مكانه، وقعد رسول الله، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر.

حدّثنا ابنُ وكيع، قال: حدّثنا أبي، عن الأعمش، قال: وحدّثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدّثنا أبو معاوية ووكيع، قالوا: حدّثنا الأعمش، وحدّثنا عيسى بن عثمان بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: لما مرض رسولُ الله ﷺ المرض الذي مات فيه، أذنّ بالصلاة، فقال: مُرّوا أبا بكر أن يصليّ بالناس، فقلت: إنّ أبا بكر رجلٌ رقيق، وإنه متى يقوم مقامك لا يطيق! قال: فقال: مُرّوا أبا بكر

يُصَلِّي بالناس، فقلت مثل ذلك، فغضب، وقال: إنكَن صواحبُ يوسف - وقال ابن وكيع: «صواحبات يوسف» - مُروا أبا بكر يصلي بالناس، قال: فخرج يُهادي بين رجلين وقدماه تُخَطَّان في الأرض؛ فلما دنا من أبي بكر، تأخر أبو بكر؛ فأشار إليه رسول الله ﷺ أن قُم في مقامك، فقعده رسول الله ﷺ، فصلى إلى جنب أبي بكر جالساً. قالت: فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبي، وكان الناس يصلون بصلاة أبي بكر. اللفظ لحديث عيسى بن عثمان.

حدثت عن الواقدي، قال: سألت ابن أبي سبرة: كم صلى أبو بكر بالناس؟ قال: سبع عشرة صلاة، قلت: مَنْ أخبرك؟ قال: أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ. قال: وحدثنا ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عكرمة، قال: صلى بهم أبو بكر ثلاثة أيام.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا شعيب بن الليث، عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن موسى بن سرجس، عن القاسم، عن عائشة، قالت: رأيت رسول الله ﷺ يموت، وعنده قدح فيه ماء يُدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعني على سكرة الموت!

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن ابن الهاد، عن موسى بن سرجس، عن القاسم بن محمد عن عائشة، قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت. ثم ذكر مثله؛ إلا أنه قال: أعني على سكرات الموت.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، قال: حدثنا أنس بن مالك، قال: لما كان يوم الاثنين، اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ، خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ؛ حتى قام بباب عائشة، فكاد المسلمون أن يفتتوا في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه؛ فرحاً به، وتفرجوا. فأشار بيده: أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسم رسول الله ﷺ فرحاً لما رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة؛ ثم رجع وانصرف الناس، وهم يظنون أن رسول الله ﷺ قد أفاق من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى الصُّبح؛ وأبو بكر يصلي بالناس؛ فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: صل بالناس. وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه؛ فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر؛ فلما فرغ من الصلاة، أقبل على الناس وكلمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد؛ يقول: يا أيها الناس، سُعِرَت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم! وإني والله لا تمسكون علي شيئاً؛ إني لم أجل لكم إلا ما أحل لكم القرآن، ولم أحرم عليكم إلا ما حرم عليكم القرآن. فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر: يا نبي الله ﷺ؛ إني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب، واليوم يوم ابنة خارجة، فأتيها. ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عُتبة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: رجع رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجرٍ، فدخل

عليّ رجل من آل بكر في يده سواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله ﷺ إلى يده نظراً عرفت أنه يريد، فأخذته فمضغته حتى ألثته، ثم أعطيته إياه، قالت: فاستنّ به كأشد ما رأيته يستنّ بسواك قبله، ثم وضعه؛ ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري. قالت: فذهبت أنظر في وجهه، فإذا نظره قد شخّص، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة! قالت: قلت: خيّرْتَ فاخترتَ والذي بعثك بالحق! قالت: وقبض رسول الله ﷺ.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عبّاد بن الزبير، عن أبيه عبّاد، قال: سمعتُ عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وفي دوري؛ ولم أظلم فيه أحداً، فمن سَفَهي وحدائتي سنيّ أن رسول الله ﷺ قبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة؛ وقمت ألثمتُ مع النساء، وأضرب وجهي.

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته

قال أبو جعفر: أما اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ؛ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، غير أنه اختلف في أيّ الاثنين كان موته ﷺ؟ فقال بعضهم في ذلك ما حدّث عن هشام بن محمد بن السائب، عن أبي مخنف، قال: حدّثنا الصّقعب بن زهير، عن فقهاء أهل الحجاز، قالوا: قبض رسول الله ﷺ نصفَ النهار يوم الاثنين، لليلتين مضتاً من شهر ربيع الأول، وبويع أبو بكر يوم الاثنين في اليوم الذي قبض فيه النبي ﷺ.

وقال الواقدي: تُوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ودفن من الغد نصفَ النهار حين زاغت الشمس، وذلك يوم الثلاثاء.

قال أبو جعفر: تُوفي رسول الله ﷺ وأبو بكر بالسُّنح وعمر حاضر. فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزُّهري، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: لما تُوفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب، فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ تُوفي وإن رسول الله ﷺ ما مات؛ ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة؛ ثم رجع بعد أن قيل قد مات؛ والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله ﷺ مات.

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس؛ فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة؛ ورسول الله ﷺ مُسجى في ناحية البيت، عليه بُرد جبرة، فأقبل حتى كشف عن وجهه، ثم أقبل عليه فقَبَله، ثم قال: بأبي أنت وأمي! أما المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد دُفِنَتْ، ثم لن يصيبك بعدها مَوْتَةٌ أبداً. ثم رَدَّ الثَّوبَ على وجهه، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رِسْلِكَ يا عمر! فانصت، فأبى إلا أن يتكلّم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصِتُ أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس؛ إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات؛ ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾ (١) إلى

آخر الآية . قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذ .
قال : وأخذها الناس عن أبي بكر فلما هي في أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ؛ ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله قد مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر زياد بن كليب ، عن أبي أيوب ، عن إبراهيم ، قال : لما قبض النبي ﷺ كان أبو بكر غائبا ، فجاء بعد ثلاث ، ولم يجترأ أحد أن يكشف عن وجهه ؛ حتى اربد بطنه ؛ فكشف عن وجهه ، وقبل بين عينيه ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ! طبت حيا وطبت ميتا ! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) . وكان عمر يقول : لم يمت ؛ وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك .

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليباعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منّا الأمراء ومنكم الوزراء .

ثم قال أبو بكر : إني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر أو أبا عبيدة ، إن النبي ﷺ جاءه قوم فقالوا : ابعت معنا أمينا فقال : لأبعثن معكم أمينا حق أمين ؛ فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ وأنا أرضى لكم أبا عبيدة . فقام عمر ، فقال : أيكم تطيب نفسه أن يخلف قدامين قدمهما النبي ﷺ ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت الأنصار - أو بعض الأنصار ؛ لا نبايع إلا عليا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن كليب ، قال : أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة . فخرج عليه الزبير مضللا بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه .

حدثنا زكريا بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا أبو عوانة ، قال : حدثنا داود بن عبد الله الأودي ، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، قال : توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر في طائفة من المدينة ، فجاء فكشف الثوب عن وجهه فقبله ، وقال : فداك أبي وأمي ! ما أطيبك حيا وميتا ! مات محمداً ورب الكعبة ! قال : ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر بن الخطاب قائما يؤعد الناس ، ويقول : إن رسول الله ﷺ حي لم يمت ؛ وإنه خارج إلى من أرجف به ، وقاطع أيديهم ، وضارب أعناقهم ، وصالبهم . قال : فتكلم أبو بكر ، وقال : أنصت . قال : فأبى عمر أن ينصت ، فتكلم أبو بكر ، وقال : إن الله قال لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ^(٢) . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . . . ﴾ ^(٣) ؛ حتى ختم الآية ، فمن كان يعبد محمداً فقد ملت إله الذي كان يعبد ، ومن كان يعبد الله

(١) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(٢) سورة الزمر : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) سورة آل عمران : ١٤٤ .

لا شريك له، فإن الله حي لا يموت.

قال: فحلف رجال أدركناهم من أصحاب محمد ﷺ: ما علمنا أن الآيتين نزلتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ؛ إذ جاء رجل يسعى فقال: هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلة بني ساعدة، يبايعون رجلاً منهم، يقولون: منا أمير ومن قريش أمير، قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتياهم؛ فأراد عمر أن يتكلم، فنهاه أبو بكر، فقال: لأعصي خليفة النبي ﷺ في يوم مرتين.

قال: فتكلم أبو بكر، فلم يترك شيئاً نزل في الأنصار، ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا وذكره. وقال: لقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. قال: فقال سعد: صدقت، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء. قال: فقال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر فلا يبايعك؛ فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر، فأنت أقوى لها مني. قال: وكان عمر أشد الرجلين، قال: وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها، ففتح عمر يد أبي بكر وقال: إن لك قوتي مع قوتك. قال: فبايع الناس واستثبتوا للبيعة، وتحلف علي والزبير، واختار الزبير سيفه، وقال: لا أغمده حتى يبايع علي، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر، فقال عمر: خذوا سيف الزبير، فاضربوا به الحجر. قال: فانطلق إليهم عمر، فجاء بهما تعباً، وقال: لتبايعان وأنتما طائعان، أو لتبايعان وأنتما كارهان! فبايعا.

حديث السقيفة

حدثني علي بن مسلم، قال: حدثنا عباد بن عباد، قال: حدثنا عباد بن راشد، قال: حدثنا عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن، قال: فحج عمر وحججنا معه، قال: فإني لفي منزل بمنى إذ جاءني عبد الرحمن بن عوف، فقال: شهدت أمير المؤمنين اليوم، وقام إليه رجل فقال: إني سمعت فلاناً يقول: لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً. قال: فقال أمير المؤمنين: إني لقائم العشية في الناس فمحدثهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرهم. قال: قلت: يا أمير المؤمنين؛ إن الموسم يجمع رعاي الناس وغوغاءهم؛ وإنهم الذين يغلبون على مجلسك، وإني لخائف إن قلت اليوم مقالة ألا يعوها ولا يحفظوها، ولا يضعوها على مواضعها، وأن يطيروا بها كل مطير؛ ولكن أمهل حتى تقدم المدينة، تقدم دار الهجرة والسنة، وتخلص بأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فتقول ما قلت متمكناً فيعوا مقاتلتك، ويضعوها على مواضعها. فقال: والله لأقومن بها في أول مقام أقوم به بالمدينة.

قال: فلما قدمنا المدينة، وجاء يوم الجمعة هجرت للحديث الذي حدثنيه عبد الرحمن؛ فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير، فجلست إلى جنبه عند المنبر، ركبتني إلى ركبته؛ فلما زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرج، فقلت لسعيد وهو مقبل: ليقولن أمير المؤمنين اليوم على هذا المنبر مقالة لم تقل قبله. فغضب وقال: فأني مقالة يقول لم تقل قبله! فلما جلس عمر على المنبر أذن المؤذنون، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر،

فحميد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإنني أريد أن أقول مقالة قد قُدر أن أقولها، مَنْ وعابها وعَقَلها وحفظها، فليحدِّث بها حيث تنتهي به راحلته، وَمَنْ لم يعها فإني لا أحل لأحد أن يكذب علي: إن الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب؛ وكان فيما أنزل عليه آية الرُّجْم، فرجم رسول الله ورجلنا بعده، وإني قد خشيتُ أن يطول بالناس زمان، فيقول قائل: والله ما نجد الرُّجْم في كتاب الله، فيضُّلُّوا بترك فريضة أنزلها الله، وقد كنا نقول: لا ترغبوا عن آباءكم؛ فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آباءكم. ثم إنه بلغني أن قائلًا منكم يقول: لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً! فلا يُغرَّنَّ امرأ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة؛ فقد كانت كذلك؛ غير أن الله وقى شرَّها؛ وليس منكم من تَقَطُّعَ إليه الأعناق مثل أبي بكر! وإنه كان من خَبرنا حين توفى الله نبيَّه ﷺ أن علياً والزبير ومَنْ معهما تحلَّفوا عنا في بيت فاطمة، وتحلَّفت عنا الأنصار بأسرها، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم؛ فلقينا رجلاً صالحاً قد شهدا بدرًا، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. قالوا: فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم. فقلنا: والله لنأتينهم، قال: فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة. قال: وإذا بين أظهرهم رجلٌ مُزْمَلٌ، قال: قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: سعد بن عباد، فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وجَّع، فقام رجلٌ منهم، فحمد الله، وقال: أما بعد، فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهطٌ نبينا؛ وقد دَفَّت إلينا من قومكم دَافَّةٌ قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر. وقد كنت زوّرت في نفسي مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر، وقد كنت أداري منه بعض الحدّ، وكان هو أوقرَ مني وأحلم؛ فلما أردت أن أتكلّم، قال: على رِسْلِكَ! فكرهت أن أعصيه؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه، فما ترك شيئاً كنت زوّرت في نفسي أن أتكلّم به لو تكلمت؛ إلا قد جاء به أو بأحسن منه. وقال: أما بعدُ يا معشر الأنصار؛ فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم له أهلٌ؛ وإنَّ العربَ لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش؛ وهم أوسط العرب داراً ونسباً، ولكن قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح. وإني والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غيرَ هذه الكلمة؛ إن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقرّني إلى إثم أحبُّ إليّ من أن أوامر على قوم فيهم أبو بكر. فلما قضى أبو بكر كلامه، قام منهم رجلٌ، فقال: أنا جديّلُها المُحكِّك، وعُديّقُها المُرجَّب؛ منّا أميرٌ ومنكم أمير؛ يا معشر قريش.

قال: فارتفعت الأصوات، وكثر اللَّغَط، فلما أشفقت الاختلاف، قلت لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار. ثم نزونا على سعد، حتى قال قائلهم: قتلتم سعد بن عباد! فقلت: قتل الله سعداً! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدِّثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على ما نرضى، أو نخالفهم فيكون فساد.

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن عروة بن الزبير، قال: إن أحدَ الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة، عُويم بن ساعدة والآخر معن بن عدي؛ أخو بني العجلان، فأما عُويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ: مَنْ الذين قال الله لهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١)؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم المرء منهم عُويم بن ساعدة!

وأما معن فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله، وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبله؛ إنا نخشى أن نفتتن بعده. فقال معن بن عدي: والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً. فقتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر يوم مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب.

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهري، قال: أخبرنا عمي يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرني سيف بن عمر، عن الوليد بن عبد الله بن أبي ظبية البجلي، قال: حدثنا الوليد بن جميع الزهري، قال: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويج أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة. قال: فخالف عليه أحد؟ قال: لا إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد، لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الأنصار. قال: فهل قعد أحد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير أن يدعوهم.

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرني عمي، قال: أخبرني سيف، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كان علي في بيته إذ أتى فقيلاً له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء، عجلًا، كراهية أن يبطيء عنها، حتى بايعه. ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله، ولزم مجلسه.

حدثنا أبو صالح الضراري، قال: حدثنا عبد الرزاق بن همام، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك، وسهमे من خيبر، فقال لهما أبو بكر: أما إنني سمعت رسول الله يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال. وإني والله لا أدعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته. قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر. وكان لعل وجهه من الناس حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة انصرف وجوه الناس عن علي؛ فمكنت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ﷺ، ثم توفيت.

قال معمر: فقال رجل للزهري: أفلم يبايعه علي ستة أشهر! قال: لا؛ ولا أحد من بني هاشم؛ حتى بايعه علي. فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر، فأرسل إلى أبي بكر: أن آتتنا ولا يأتنا معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر، فقال عمر: لا تأتهم وحدك، قال أبو بكر: والله لا تبنيهم وحدي، وما عسى أن يصنعوا بي! قال: فانطلق أبو بكر، فدخل على علي، وقد جمع بني هاشم عنده، فقام علي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً، فاستبددتم به علينا. ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقهم. فلم يزل علي يقول ذلك حتى بكى أبو بكر.

فلما صمت علي تشهد أبو بكر. فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ فوالله لقرابة رسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي؛ وإني والله ما ألوت في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غير الخير؛ ولكني سمعت رسول الله يقول: «لا نورث؛ ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال»؛ وإني أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلا صنعته فيه إن شاء الله.

ثم قال علي: موعذك العشي للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس، ثم عذر علياً ببعض ما

اعتذر، ثم قام عليٌّ فعظم من حقّ أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقتها، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه. قالت: فأقبل الناس إلى عليٍّ فقالوا: أصبت وأحسن، قالت: فكان الناس قريباً إلى عليٍّ حين قارب الحق والمعروف.

حدّثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي، قال: حدّثنا أبو قتيبة، قال: حدّثنا مالك - يعني ابن مِغُول - عن ابن الحرّ، قال: قال أبو سفيان لعليٍّ: ما بال هذا الأمر في أقلّ حيٍّ من قريش! والله لئن شئت لأملأها عليه خيلاً ورجالاً! قال: فقال عليٌّ: يا أبا سفيان، طالما عادت الإسلام وأهلّه فلم تضرّه بذلك شيئاً! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

حدّثني محمد بن عثمان الثقفي، قال: حدّثنا أمية بن خالد، قال: حدّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، قال: لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصّيل: إنما هي بنو عبد مناف! قال: فقليل له: إنه قد وليّ ابنك، قال: وصلّته رَجَم!

حدّث عن هشام، قال: حدّثني عوّانة، قال: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان؛ وهو يقول: والله إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم! أين المستضعفان! أين الأذلان عليّ والعباس! وقال: أبا حسن! ابسط يدك حتى أبايعك. فأبى عليٌّ عليه، فجعل يتمثل بشعر المتلمّس:

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

قال: فزجره عليٌّ، وقال: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة؛ وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً! لا حاجة لنا في نصيحتك.

قال هشام بن محمد: وأخبرني أبو محمد القرشي، قال: لما بويع أبو بكر، قال أبو سفيان لعليٍّ والعباس: أنتم الأذلان! ثم أنشد يتمثل:

إِنَّ الْهَوَانَ جَمَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ وَالْحُرُّ يَنْكَرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ
وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: حدّثنا أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة؛ وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس؛ إنّي قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي؛ وما وجدتها في كتاب الله؛ ولا كانت عهداً عهده إليّ رسول الله ﷺ؛ ولكني قد كنت أرى أنّ رسول الله سيدبر أمرنا؛ حتى يكون آخرنا؛ وإنّ الله قد أبقي فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله؛ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له؛ وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم؛ صاحب رسول الله، وثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوا. فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس؛ فإنّي قد وليتُ

عليكم ولست بخيركم؛ فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف. فيكم قويٌ عندي حتى أريح عليه حقّه إن شاء الله، والقويُّ منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله. لا يدع أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله؛ فإنه لا يدعُه قومٌ إلّا ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلّا عمّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛ فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله!

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن محمد بن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته؛ وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدّرة، وما معه غيري. قال وهو يحدث نفسه، ويضرب وحثي قدمه بذرته، قال إذ التفت إليّ فقال: يا بنَ عباس، هل تدري ما حملني على مقالتي هذه التي قلت حين توفّي الله رسوله؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين؛ أنت أعلم، قال: والله إن حملني على ذلك إلّا أنّي كنتُ أقرأ هذه الآية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١)، فوالله إني كنت لأظنّ أنّ رسول الله سيقي في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها؛ فإنه للذي حملني على أن قلتُ ما قلتُ.

قال أبو جعفر: فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء؛ وذلك الغد من وفاته ﷺ.

وقال بعضهم: إنما دُفن بعد وفاته بثلاثة أيام، وقد مضى ذكر بعض قائل ذلك.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر وكثير بن عبد الله وغيرهما من أصحابه، عن عمن يحدثه، عن عبد الله بن عباس، أنّ عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذين ولّوا غسله، وإنّ أوس بن خويلد أحد بني عوف بن الخزرج؛ قال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ؛ وحظنا من رسول الله! وكان أوس من أصحاب بدر، وقال: ادخل؛ فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ؛ فأسنده عليّ بن أبي طالب إلى صدره؛ وكان العباس والفضل وقثم هم الذين يقلّبونه معه؛ وكان أسامة بن زيد وشقران موليّه هما اللذان يصبّان الماء، وعليّ يغسله قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يذّلكه من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ وعليّ يقول: بأبي أنت وأمي! ما أطيبك حيّاً وميتاً! ولم ير من رسول الله شيء مما يرى من الميت.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عبّاد، عن أبيه عبّاد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا أن يغسلوا النبي ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري أنجرّد رسول الله من ثيابه كما نجرّد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه! فلما اختلفوا ألقي عليهم السنّة حتى ما منهم رجل إلّا وذقنه في صدره، ثم كلّهم متكلم من ناحية البيت لا يُدرى من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه؛ قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبّون عليه الماء فوق القميص، ويدلّكونه والقميص دون أيديهم.

قال: فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن جعفر بن محمد بن علي بن حسين، عن أبيه، عن جده علي بن حسين. قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، عن علي بن حسين، قال: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب: ثوبين صَحَارِيْن وُرد جَبَرَة؛ أدرج فيها إدراجاً.

حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ - وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة، وكان يلحد - فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة، وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة؛ اللهم خير لرسولك؛ قال: فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ. فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وُضع على سريرته في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه؛ فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: يدفن مع أصحابه؛ فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا يدفن حيث قبض»؛ فرفع فراش رسول الله الذي توفي عليه؛ فحفر له تحته؛ ودخل الناس على رسول الله يصلون عليه أرسالا؛ حتى إذا فرغ الرجال أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان؛ ثم أدخل العبيد؛ ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد، ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن فاطمة بنت محمد بن عمار، امرأة عبد الله - يعني ابن أبي بكر - عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن عائشة أم المؤمنين، قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء.

قال ابن إسحاق: وكان الذي نزل قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ؛ وقد قال أوس بن خولي: أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله! فقال له: انزل، فنزل مع القوم؛ وقد كان شقران مولى رسول الله ﷺ حين وُضع رسول الله ﷺ في حفرته، وبني عليه؛ قد أخذ قطيفة كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها؛ فقفدها في القبر وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً. قال: فدفنت مع رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان المغيرة بن شعبة يدعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ، ويقول: أخذت خاتمي فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي قد سقط، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله، فأكون آخر الناس به عهداً.

حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق بن يسار، عن مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاة عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع علي بن أبي طالب في زمان عمر - أو زمان عثمان - فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب، فلما فرغ من عمرته رجع وسكب له غسلًا فاغتسل؛ فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق؛ فقالوا، يا أبا الحسن؛ جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا به! فقال: أظن المغيرة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ! قالوا: أجل عن ذا جئنا نسألك! قال: كذب؛ كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْصَةٌ سَوْدَاءَ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَتْ: فَهُوَ يَضَعُهَا مَرَّةً عَلَى وَجْهِهِ، وَمَرَّةً يَكْشِفُهَا عَنْهُ، وَيَقُولُ قَاتِلِ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ! يَحْذَرُ ذَلِكَ عَلَى أُمَّتِهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ آخِرَ مَا عَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ.

قَالَتْ: وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ ربيعِ الأولِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ الْمَدِينَةَ مَهَاجِرًا فَاسْتَكْمَلَ فِي هِجْرَتِهِ عَشْرَ سِنِينَ كَوَامِلٍ.

وَاخْتَلَفَ فِي مَبْلَغِ سَنَةِ يَوْمِ تَوَفَّى ﷺ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ: كَانَ لَهُ يَوْمُئِذٍ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمُهَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ - يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ - عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا؛ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمُهَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: عَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَتَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ الضُّبَعِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ لَهُ يَوْمُئِذٍ خَمْسٌ وَسِتُّونَ.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ دَعْغَلٍ - يَعْنِي ابْنَ حَنْظَلَةَ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

وقال آخرون : بل كان له يومئذ ستون سنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنثي، قال : حدثنا حجاج، قال : حدثنا حماد، قال : حدثنا عمرو بن دينار، عن عروة بن الزبير، قال : بُعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، ومات وهو ابن ستين .
حدثنا الحسين بن نصر، قال : أخبرنا عبيد الله، قال : أخبرنا شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، قال : حدثني عائشة وابن عباس، أن رسول الله ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشراً .

ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفي فيهما رسول الله ﷺ

قال أبو جعفر : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني، قال : حدثنا أحمد بن أبي طيبة، قال : حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع، فأراهم مناسكهم، فلما كان العام المقبل حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر، وصدر إلى المدينة، وقُبض في ربيع الأول .
حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال : حدثنا موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنّس الصنعاني، عن ابن عباس، قال : وُلد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنّبى يوم الاثنين، ورفع الحجر يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين .
حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال : حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال : حدثني أبي، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال : توفي رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء .
حدثني أحمد بن عثمان، قال : حدثنا عبد الرحمن، قال : حدثنا أبي، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه دخل عليه فقال لامرأته فاطمة : حدثني محمد ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن . فقالت : سمعت عمرة تقول : سمعت عائشة تقول : دفن نبي الله ﷺ ليلة الأربعاء ؛ وما علمنا به حتى سمعنا صوت المساجي .

ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة

حدثنا هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، أن النبي ﷺ لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا : نُؤي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عباد، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ؛ فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه : إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ؛ ولكن تلقّ مني قولي فأسمِعهموه ؛ فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع صوته فيسمع أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ؛ يا معشر الأنصار ؛ لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ إنّ محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة

الرَّحْمَنُ وَخَلَعَ الْأُنْدَادَ وَالْأَوْتَانَ؛ فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجُلًا قَلِيلٌ؛ وَكَانَ مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَلَا أَنْ يُعْزُوا دِينَهُ، وَلَا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضَيْمًا عُمُوا بِهِ؛ حَتَّى إِذَا أَرَادَ بِكُمْ الْفَضِيلَةَ، سَاقَ إِلَيْكُمْ الْكِرَامَةَ وَخَصَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ، فَرَزَقَكُمْ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْمَنْعَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ، وَالْإِعْزَازَ لَهُ وَلِدِينِهِ؛ وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ؛ فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عَدُوِّهِ مِنْكُمْ، وَأَثْقَلَهُ عَلَى عَدُوِّهِ مِنْ غَيْرِكُمْ؛ حَتَّى اسْتَقَامَتِ الْعَرَبُ لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا؛ وَأَعْطَى الْبَعِيدُ الْمَقَادَةَ صَاحِرًا دَاخِرًا؛ حَتَّى أَتَخَنَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِكُمْ الْأَرْضَ، وَدَانَتْ بِأَسْيَافِكُمْ لَهُ الْعَرَبُ؛ وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَهُوَ عَنكُمْ رَاضٍ؛ وَبِكُمْ قَرِيرَ عَيْنٍ. اسْتَبَدَّوْا بِهَذَا الْأَمْرِ فَإِنَّهُ لَكُمْ دُونَ النَّاسِ.

فَأَجَابُوهُ بِأَجْمَعِهِمْ: أَنْ قَدْ وَفَّقْتَ فِي الرَّأْيِ وَأَصَبْتَ فِي الْقَوْلِ، وَلَنْ نَعُدَّوْا مَا رَأَيْتَ، وَنُوَلِّيكَ هَذَا الْأَمْرَ، فَإِنَّكَ فِينَا مَقْنَعٌ وَلِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ رِضًا. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَادَّوْا الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: فَإِنْ أَبَتْ مِهَاجِرَةُ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ الْمِهَاجِرُونَ وَصَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ الْأَوَّلُونَ؛ وَنَحْنُ عَشِيرَتُهُ وَأَوْلِيَائُوهُ، فَعَلَّامٌ تَنَازَعُونَا هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَهُ! فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّا نَقُولُ إِذَا: مَنْ أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ؛ وَلَنْ نَرْضَى بِدُونِ هَذَا الْأَمْرِ أَبَدًا. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ حِينَ سَمِعَهَا: هَذَا أَوَّلُ الْوَهْنِ!

وَأَتَى عَمْرَ الْخَبْرُ، فَأَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ فِي الدَّارِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَائِبٌ فِي جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ أَخْرَجْ إِلَيَّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ؛ إِنِّي مُشْتَغَلٌ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ أَمْرًا لَا يَدَّ لَكَ مِنْ حُضُورِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، يَرِيدُونَ أَنْ يُوَلُّوا هَذَا الْأَمْرَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ؛ وَأَحْسَنُهُمْ مَقَالَةً مَنْ يَقُولُ: مَنْ أَمِيرٌ وَمِنْ قُرَيْشٍ أَمِيرٌ! فَمُضِيًا مَسْرِعِينَ نَحْوَهُمْ؛ فَلَقِيَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَتَمَاشَوْا إِلَيْهِمْ ثَلَاثَتُهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَعُؤَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، فَقَالَا لَهُمْ: ارْجِعُوا فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مَا تَرِيدُونَ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَ لَنَا، فَجَاءُوا وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ. فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْنَاهُمْ - وَقَدْ كُنْتُ زَوَّرْتُ كَلَامًا أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ بِهِ فِيهِمْ - فَلَمَّا أَنْ دَفَعْتُ إِلَيْهِمْ ذَهَبْتُ لِأَبْتَدِئِ الْمُنَاطِقَ، فَقَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ: رُوَيْدًا حَتَّى أَتَكَلَّمَ ثُمَّ انْطِقْ بَعْدَ مَا أَحْبَبْتُ. فَتَنَطَّقُ، فَقَالَ عَمْرُ: فَمَا شَيْءٌ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهُ إِلَّا وَقَدْ أَتَى بِهِ أَوْزَادُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَبَدَأَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا رَسُولًا إِلَى خَلْقِهِ، وَشَهِيدًا عَلَى أُمَّتِهِ، لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُوحِّدُوهُ وَهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً شَتَّى، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ عِنْدَهُ شَافِعَةٌ، وَلَهُمْ نَافِعَةٌ؛ وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ حَجَرٍ مَنْحُوتٍ، وَخَشَبٍ مَنْجُورٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١)، وَقَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (٢)؛ فَعَظُمَ عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يَتْرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ، فَخَصَّ اللَّهُ الْمِهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ. مِنْ قَوْمِهِ بِتَصَدِيقِهِ، وَالْإِيمَانَ بِهِ، وَالْمُؤَاسَاةَ لَهُ، وَالصَّبْرَ مَعَهُ عَلَى شِدَّةِ أَذَى قَوْمِهِمْ لَهُمْ؛ وَتَكْذِيبَهُمْ إِيَّاهُمْ؛ وَكُلُّ النَّاسِ لَهُمْ مُخَالَفٌ، زَارٍ عَلَيْهِمْ؛ فَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ وَشَنَفِ النَّاسِ لَهُمْ؛ وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ؛ فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَأَمَنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ؛ وَهُمْ أَوْلِيَائُوهُ وَعَشِيرَتُهُ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ؛ وَلَا يَنَازِعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَنْ لَا يَنْكُرُ فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ، وَلَا سَابِقَتَهُمْ الْعَظِيمَةَ فِي الْإِسْلَامِ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ

(١) سورة يونس: ١٨.

(٢) سورة الزمر: ٣.

أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جَلَّةُ أزواجه وأصحابه؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحدٌ بمنزلتكم؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تُفتاتون بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور.

قال: فقام الحُبَابُ بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشرَ الأنصار، امْلِكُوا عليكم أمركم؛ فإنَّ الناس في فيثكم وفي ظَلِّكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم؛ ولن يُصدِرَ الناس إلَّا عن رأيكم، أنتم أهل العزِّ والثروة، وأولو العَدَدِ والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة؛ وإنَّا ينظر الناس إلى ما تصنعون؛ ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم؛ وينتقض عليكم أمركم؛ فإن أبي هؤلاء إلَّا ما سمعتم؛ فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبهها من غيركم؛ ولكن العرب لا تمنع أن تولي أمرها مَنْ كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم؛ ولنا بذلك على مَنْ أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين؛ مَنْ ذا ينازعنا سلطانَ محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلَّا مُدْلٍ بباطل، أو مُتَجَانِفٍ لِاثْمٍ، ومتورط في هَلَكَةٍ!

فقام الحُبَابُ بن المنذر فقال: يا معشرَ الأنصار، امْلِكُوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر؛ فإن أبوا عليكم ما سألتموه، فاجلُوهم عن هذه البلاد، وتولَّوا عليهم هذه الأمور؛ فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم؛ فإنه بأسيا فكم دانَ لهذا الذين مَنْ دانَ مَنْ لم يكن يدين؛ أنا جُذَيْلُهَا المُحَكِّك، وعُدَيْقُهَا المُرَجَّب! أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذَعَةً؛ فقال عمر: إذا يقتلك الله! قال: بل إياك يقتل!

فقال أبو عبيدة: يا معشرَ الأنصار؛ إنكم أول مَنْ نصر وآزر؛ فلا تكونوا أول مَنْ بدَّلَ وغيرَ.

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشرَ الأنصار؛ إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهادِ المشركين، وسابقة في هذا الدين؛ ما أردنا به إلَّا رضا ربنا وطاعة نبينا، والكَدْحَ لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضاً؛ فإن الله وليُّ المنة علينا بذلك؛ ألا إنَّ محمداً ﷺ من قريش، وقومُه أحقُّ به وأولى. وإيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم!

فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأبيها شئتم فبايعوا. فقالوا: لا والله لا نتولَّى هذا الأمر عليك؛ فإنك أفضلُ المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفةُ رسول الله على الصَّلَاة؛ والصَّلَاة أفضلُ دين المسلمين؛ فمن ذا ينبغي له أن يتقدَّمك أو يتولَّى هذا الأمر عليك! ابسُط يدك نبايعك.

فلما ذهباً لبياعه، سبقها إليه بشير بن سعد، فبايعه، فناداه الحُبَابُ بن المنذر: يا بشير بن سعد: عَقَّتْكَ عَقَاقٍ؛ ما أحوجك إلى ما صنعت، أنفست على ابن عمك الإمارة! فقال: لا والله؛ ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم.

ولما رأت الأوسُ ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلبُ الخزرجُ من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، وفيهم أسيد بن حُضير - وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة؛ ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر. فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني أبو بكر بن محمد الخراعي، أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبا بكر؛ فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم، فأيقنت بالنصر.

قال هشام: عن أبي مخنف: قال عبد الله بن عبد الرحمن: فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عباد، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداً لا تطؤوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله! ثم قام على رأسه، فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تُنذر عُضدك، فأخذ سعد يلحيه عمر، فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة؛ فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر! الرِّفقُ ها هنا أبلغ. فأعرض عنه عمر. وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما، أقوى على النهوض، لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يُجْجرك وأصحابك؛ أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع! احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه في داره، وترك أياماً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك؛ فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب سنان رُحْي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي؛ فلا أفعل، وإني والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم، حتى أعرض على ربي، وأعلم ما حسابي.

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع. فقال له بشير بن سعد: إنه قد لجّ وأبى، وليس بمبايعكم حتى يُقتل، وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته؛ فتركوه فليس تركه بضاركم؛ إنما هو رجل واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه؛ فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم، ولا يجمع معهم ويحجّ ولا يُفيض معهم بإفاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله.

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: حدثنا عمي، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن سهل وأبي عثمان، عن الضحّاك بن خليفة، قال: لما قام الحُبَابُ بن المنذر انتضى سيفه؛ وقال: أنا جُذَيْلُها المحكّك وعُذَيْقُها المرجّب، أنا أبو شبل في عريسة الأسد، يعزى إلى الأسد، فحامله عمر فضرب يده، فنذر السيف، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد؛ وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد؛ وكانت فلتة كفّلتات الجاهلية، قام أبو بكر دونها. وقال قائل حين أوطىء سعد: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله! إنه منافق، واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه.

حدثنا عبيد الله بن سعيد، قال: حدثني عمي يعقوب، قال: حدثنا سيف، عن مبشر، عن جابر، قال: قال سعد بن عباد يومئذ لأبي بكر: إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة؛ وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة، فقالوا: إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة؛ ولكننا أجبرنا على الجماعة، فلا إقالة فيها؛ لئن نزعنا يداً من طاعة، أو فرقنا جماعة، لنضربن الذي فيه عينك.

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمي، قال: حدثنا سيف - وحدثني السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر - عن أبي ضمرة، عن أبيه، عن عاصم بن عدي، قال: نادى منادي أبي بكر، من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ: ليتم بعث أسامة؛ ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا أخرج إلى عسكره بالجُرف. وقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس، إنما أنا مثلكم؛ وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق؛ إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من

الآفات؛ وإنما أنامتجُ ولست بمبتدع؛ فإن استقممت فتابعوني، وإن زغت فقوموني؛ وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها؛ ألا وإن لي شيطاناً يعتريني؛ فإذا أتاني فاجتنبوني؛ لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غيَّب عنكم علمه؛ فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلّا وأنتم في عمل صالح فافعلوا؛ ولن تستطيعوا ذلك إلّا بالله؛ فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال؛ فإن قوماً نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم؛ فإياكم أن تكونوا أمثالهم. الجذّ الجذّ! والوحا الوحّا! والنّجاء النّجاء! فإن وراءكم طالباً حثيثاً، أجلاً مرّه سريع. احذروا الموت. واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلّا بما تغبطون به الأموات.

وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل من الأعمال إلّا ما أريد به وجهه؛ فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أنّ ما أخلصتم الله من أعمالكم فطاعة أتيتموها، وخطأ ظفرت به، وضرائب أدّيتموها، وسلّفت قدّمتموه من أيام فانية لأخرى باقية؛ حين فقركم وحاجتكم. اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكّروا فيمن كان قبلكم. أين كانوا أمس، وأين هم اليوم! أين الجبارون! وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب! قد تضعضع بهم الدّهر، وصاروا رميماً؛ قد تركت عليهم القالات؛ الحبيثات للحبيثين، والحبيثون للحبيثات. وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمرّوها؛ قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلاً شيء. ألا إنّ الله قد أبقي عليهم التّبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا غيرهم، وبقينا خلفاً بعدهم؛ فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا؛ وإن اغتررنا كنّا مثلهم! أين الوُضّاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم! صاروا تراباً، وصار ما فرطوا فيه حَسرة عليهم! أين الذين بنوا المدائن وحصّنها بالحوائط، وجعلوا فيها لأعاجيب! قد تركوها لمن خلّفهم؛ فتلك مساكنهم خاوية، وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً! أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؛ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلّوا عليه وأقاموا للشّقوة والسعادة فيما بعد الموت. ألا إنّ الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً، إلّا بطاعته واتباع أمره واعلموا أنكم عبيدٌ مديّونون، وإنّ ما عنده لا يُدرك إلّا بطاعته؛ أما أنه لا خير بخير بَعْدَه النَّارُ، ولا شرّ بشرٍ بَعْدَه الجَنَّةُ.

حدّثني عبيد الله بن سعد، قال: أخبرني عمّي، قال: أخبرني سيف - وحدّثني السّري، قال: حدّثنا شعيب، قال: أخبرنا سيف - عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما بويج أبو بكر رضي الله عنه وجمع الأنصار في الأمر الذي افرقوا فيه، قال: ليتمّ بعث أسامة؛ وقد ارتدت العرب؛ إمّا عامة وإمّا خاصّة في كلّ قبيلة ونجم النفاق، وأشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ وقلّتهم، وكثرة عدوّهم. فقال له الناس: إن هؤلاء جُلّ المسلمين والعرب - على ما ترى - قد انتقضت بك؛ فليس ينبغي لك أن تفرّق عنك جماعة المسلمين. فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السّباع تحطّطني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته!

حدّثني عبيد الله، قال: حدّثني عمّي، قال: أخبرني سيف - وحدّثني السّري، قال: حدّثنا شعيب، قال: حدّثنا سيف - عن عطية، عن أبي أيوب عن عليّ، وعن الضّحّاك عن ابن عباس، قال: ثم اجتمع من حول المدينة من القبائل التي غابت في عام الحديبية، وخرجوا وخرج أهل المدينة في جُند أسامة؛ فحبس أبو بكر من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، فصاروا مسالّح حول قبائلهم وهم قليل.

حَدَّثَنَا عبيدُ الله ، قال حَدَّثَنِي عمي ، قال : أَخْبَرَنِي سيف - وَحَدَّثَنِي السريّ ، قال : حَدَّثَنَا شعيب ، قال : حَدَّثَنَا سَيْف - عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ وَأَبِي عمرو وغيرهما ؛ عَنْ الحسن بن أبي الحسن البصريّ ، قال : ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ قبل وفاته بَعَثًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ ؛ وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؛ وَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ . فَلَمْ يَجَاوِزْ آخِرَهُمُ الْخَنْدَقَ ، حَتَّى قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ، فَوَقَفَ أَسَامَةُ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ : ارْجِعْ إِلَى خَلِيفَةِ رسولِ الله ﷺ فَاسْتَأْذِنْهُ ؛ يَأْذَنُ لِي أَنْ أَرْجِعَ بِالنَّاسِ ؛ فَإِنَّ مَعِيَ وَجُوهَ النَّاسِ وَحَدَّهِمْ ؛ وَلَا أَمِنْ عَلَى خَلِيفَةِ رسولِ الله ﷺ وَتَقُلُّ رسولُ الله ﷺ وَأَثْقَالُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَخَطَّفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ . وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : فَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ نَمُضِيَ فَأَبْلُغَهُ عَنَّا ، وَاطْلُبْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَلِّيَ أَمْرَنَا رَجُلًا أَقْدَمَ سَنًا مِنْ أَسَامَةَ . فَخَرَجَ عُمَرُ بِأَمْرِ أَسَامَةَ ، وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ أَسَامَةَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَوْ خَطَفْتَنِي الْكِلَابُ وَالذَّنَابُ لَمْ أَرُدَّ قِضَاءَ قَضَى بِهِ رسولُ الله ﷺ ، قَالَ : فَإِنَّ الْأَنْصَارَ أَمْرُونِي أَنْ أَبْلُغَكَ ، وَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ إِلَيْكَ أَنْ تُوَلِّيَ أَمْرَهُمْ رَجُلًا أَقْدَمَ سَنًا مِنْ أَسَامَةَ ؛ فَوُثِبَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ جَالِسًا - فَأَخَذَ بِلَحْيَةِ عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ : ثَكَلْتُكَ أَمَّكَ وَعَدَمْتُكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ ! اسْتَعْمَلَهُ رسولُ الله ﷺ وَتَأْمَرَنِي أَنْ أَنْزِعَهُ ، فَخَرَجَ عُمَرُ إِلَى النَّاسِ فَقَالُوا لَهُ : مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : امْضُوا ، ثَكَلْتُكُمْ أَمَّهَاتِكُمْ ! مَا لَقِيتُ فِي سَبِيكُمْ مِنْ خَلِيفَةِ رسولِ الله ﷺ !

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَتَاهُمْ ، فَأَشْخَصَهُمْ وَشَيَّعَهُمْ وَهُوَ مَاشٍ وَأَسَامَةُ رَاكِبٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَقُودُ دَابَّةَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ : يَا خَلِيفَةَ رسولِ الله ﷺ ، وَاللهُ لَتُرَكِبَنَّ أَوْ لَا تُنْزَلَنَّ ! فَقَالَ : وَاللهُ لَا تُنْزَلُ وَواللهُ لَا أُرْكَبُ ! وَمَا عَلَيَّ أَنْ أَغْبَرَ قَدَمِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً ، فَإِنَّ لِلْغَازِي بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبْعِمِائَةَ حَسَنَةٍ تَكْتُبُ لَهُ ، وَسَبْعِمِائَةَ دَرَجَةٍ تَرْتَفِعُ لَهُ ، وَتَرْفَعُ عَنْهُ سَبْعِمِائَةَ خَطِيئَةٍ ! حَتَّى إِذَا انْتَهَى قَالَ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَعِينَنِي بِعَمْرٍ فافْعَلْ ! فَأَذِنَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قِفُوا أَوْصِيْكُمْ بِعَشْرِ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي : لَا تُحُونُوا وَلَا تُغْلُوا ، وَلَا تُغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا ، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَعْقِرُوا نَخْلًا وَلَا تَحْرِقُوا ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمَرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِلْمَأْكَلَةِ ؛ وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِ ؛ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بَأَنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا . وَتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُؤُوسِهِمْ وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ ، فَاخْفِقُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفَقًا . ائْتَدِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ ، أَفْنَاكُمْ اللَّهُ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ .

حَدَّثَنِي السريّ ، قال : حَدَّثَنَا شعيب ، قال : حَدَّثَنَا سيف - وَأَخْبَرَنَا عبيدُ الله ، قال : أَخْبَرَنِي عمي قال : حَدَّثَنَا سيف - عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْجُرُفِ ، فَاسْتَقْرَى أَسَامَةَ وَبَعَثَهُ ، وَسَأَلَهُ عُمَرَ فَأَذِنَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : اصْنَعْ مَا أَمَرَكَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، ابْدَأْ بِلَادِ قُضَاعَةَ ثُمَّ إِيَّاتِ آبِلَ ، وَلَا تَقْصِرَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ رسولِ الله ﷺ ، وَلَا تَعْجَلَنَّ لِمَا خَلَفْتَ عَنْ عَهْدِهِ . فَمَضَى أَسَامَةُ مُغْدًا عَلَى ذِي الْمُرَّةِ وَالْوَادِي ، وَانْتَهَى إِلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَثِّ الْخِيُولِ فِي قِبَائِلِ قُضَاعَةَ وَالْغَارَةِ عَلَى آبِلَ ، فَسَلِمَ وَغَنِمَ ، وَكَانَ فَرَاغُهُ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا سَوَى مَقَامِهِ وَمُنْقَلَبِهِ رَاجِعًا .

فَحَدَّثَنِي السريّ بن يحيى ، قال : حَدَّثَنَا شعيب ، عَنْ سيف - وَحَدَّثَنَا عبيدُ الله ، قال : أَخْبَرَنَا عمي ، قال : أَخْبَرَنَا سيف - عَنْ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ .

وَعَنْهَا ، عَنْ سيف ، عَنْ عمرو بن قيس ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَاسَانِيِّ مِثْلَهُ .

بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي

كان رسول الله ﷺ جَمَعَ - فيما بلغنا - لبازام حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلها، وأمره على جميع مخاليفها، فلم يزل عامل رسول الله ﷺ أيام حياته، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات بازام، فلما مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه.

فحدثني عبيد الله بن سعد الزهري، قال: حدثنا عمي، قال: حدثنا سيف - وحدثني السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف - قال: حدثنا سهل بن يوسف، عن أبيه، عن عبيد بن صخر بن لؤذان الأنصاري السلمي - وكان فيمن بعث النبي ﷺ مع عمال اليمن في سنة عشر بعد ما حج حجة التمام: وقد مات بازام، فلذلك فرّق عملها بين شهر بن بازام، وعامر بن شهر الهمداني، وعبدالله بن قيس أبي موسى الأشعري، وخالد بن سعيد بن العاص، والطاهر بن أبي هالة، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وعلى بلاد حضرموت زياد بن ليبيد البياضي وعكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي؛ على السكاسك والسكون ومعاوية بن كندة، وبعث معاذاً بن جبل معلماً لأهل البلدين: اليمن وحضرموت.

حدثني عبيد الله، قال: أخبرني عمي، قال: أخبرني سيف - يعني ابن عمر - عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة، عن عبادة بن قُرض بن عبادة، عن قُرض الليثي، أن النبي ﷺ رجع إلى المدينة بعد ما قضى حجة الإسلام، وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين رجال، وأفرد كل رجل بحيزه، ووجه إمارة حضرموت وفرقها بين ثلاثة، وأفرد كل واحد منهم بحيزه، واستعمل عمرو بن حزم على نجران، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد، وعامر بن شهر على همدان، وعلى صنعاء ابن بازام، وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري، وعلى الجند يعلى بن أمية. وكان معاذ معلماً ينتقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت؛ واستعمل على أعمال حضرموت؛ على السكاسك والسكون وعكاشة بن ثور، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله - أو المهاجر - فاشتكى فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر. وعلى حضرموت زياد بن ليبيد البياضي، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر؛ فمات رسول الله ﷺ وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت، إلا من قُتل في قتال الأسود أو مات؛ وهو بازام، مات ففرّق النبي ﷺ العمل من أجله. وشهر ابنه - يعني ابن بازام - فسار إليه الأسود فقاتله فقتله.

وحدثني بهذا الحديث السري، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف. فقال فيه: عن سيف، عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة. ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزهري.

قال: حدثني السري، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أول من اعترض على العنسي وكأثره عامر بن شهر الهمداني في ناحيته وفيروز ودأوئه في ناحيتهما، ثم تتابع الذين كتب إليهم على ما أمروا به.

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرني سيف، قال: وحدثنا السري، قال: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف، عن أبيه عن عبيد بن صخر، قال: فبينما نحن بالجند قد أقمناهم على ما ينبغي، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب، إذ جاءنا كتاب من الأسود: أيها المتوردون علينا، أمسكو

علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم؛ فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه. فقلنا للرسول: من أين جئت؟ قال: من كهف خُبَان. ثم كان وجهه إلى نَجْران؛ حتى أخذها في عشرٍ لمخرجه، وطابقه عوامَ مذحج. فبينما نحن ننظر في أمرنا، ونجمع جمعنا، إذ أتينا فقيلاً: هذا الأسود بشعوب، وقد خرج إليه شهر بن باذام؛ وذلك لعشرين ليلة من منجمه. فبينما نحن ننتظر الخبر على من تكون الدُّبْرَة، إذ أتانا أنه قتل شهراً، وهزم الأبناء، وغلب على صنعاء لخمس وعشرين ليلة من منجمه. وخرج معاذ هارباً، حتى مرَّ بأبي موسى وهو بمأرب، فاقتحما حضرموت، فأما معاذ فإنه نزل في السُّكون؛ وأما أبو موسى فإنه نزل في السُّكاسك مما يلي المُفُور والمفازة بينهم وبين مأرب، وانحاز سائر أمراء اليَمَن إلى الطَّاهر إلَّا عمرًا وخالدًا؛ فإنها رجعا إلى المدينة؛ والطَّاهر يومئذ في وسط بلاد عَكَّ بحِجالِ صنعاء. وغلب الأسود على ما بين صَهِيد - مفازة حضرموت - إلى عمل الطائف إلى البحرين قِبَل عَدَن، وطابقت عليه اليمن، وعكَّ بتهمامة معترضون عليه؛ وجعل يستطير استطاره الحريق، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً سوى الرُّكبان؛ وكان قُوَّاده قيس بن عبد يغوث المُرادِي ومعاوية بن قيس الجَنْبِيّ ويزيد بن محرم ويزيد بن حُصَيْن الحارثِيّ ويزيد بن الأَفْكَل الأزدي. وثبت ملكه واستغلظ أمره؛ ودانت له سواحل من السواحل، حاز عَثْرَ والشَّرْجَة والحَرْدَة وغَلَفَقَة وعَدَن، والجَنَد، ثم صنعاء إلى عَمَل الطائف، إلى الأحسية وعُلب؛ وعامله المسلمون بالبقية، وعامله أهل الرِّدَّة بالكفر والرجوع عن الإسلام. وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب، وأسند أمره إلى نفر؛ فأما أمرُ جنده فإلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداؤويه.

فلما أثنى في الأرض استخفَّ بقيس وبفيروز وداؤويه، وتزوَّج امرأة شهر؛ وهي ابنة عمِّ فيروز، فبينما نحن كذلك بحضرموت - ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود، أو يبعث إلينا جيشاً، أو يخرج بحضرموت خارج يدَّعي بمثل ما ادَّعى به الأسود، فنحن على ظهر، تزوَّج مُعَاذ إلى بني بكرة؛ حي من السُّكون، امرأة أخوالها بنو زَنْكَبِيل يقال لها رَمْلَة، فحدِّبوا لصهره علينا، وكان معاذ بها معجباً، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به: اللهم ابعثني يوم القيامة مع السُّكون، ويقول أحياناً: اللهم اغفر للسُّكون - إذ جاءتنا كتبُ النَّبِيِّ ﷺ يأمرنا فيها أن نبعث الرِّجالَ لمحاولته أو لمصاولته؛ ونُبلِّغَ كُلَّ مَنْ رجا عنده شيئاً من ذلك عن النَّبِيِّ ﷺ. فقام معاذ في ذلك بالذي أمر به، فعرفنا القوَّة ووثقنا بالنصر.

حدَّثنا السري، قال: أخبرنا شُعَيْب، قال: حدَّثنا سَيْف - وحدَّثني عُبيد الله، قال: أخبرنا عَمِّي، قال: أخبرنا سيف - قال: أخبرنا المستنير بن يزيد، عن عروة بن غزِيَّة الدَّثِينِي، عن الضَّحَّاك بن فيروز - قال السري: عن جُشَيْش بن الديلمي، وقال عبيد الله: عن جشنس بن الديلمي - قال: قديم علينا وِبر بن يُحْنَس بكتاب النَّبِيِّ ﷺ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا، والنهوض في الحرب، والعمل في الأسود: إمَّا غيلة وإمَّا مصادمة؛ وأن نبلغ عنه مَنْ رأينا أن عنده نجدة ودينًا. فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً كثيفاً، ورأينا قد تغير لقيس بن عبد يغوث - وكان على جنده - فقلنا: يُخَاف على دمه، فهو لأوَّل دعوة: فدعونا وأنبأناه الشَّانَ، وأبلغنا عن النَّبِيِّ ﷺ؛ فكأنما وقعنا عليه من السَّاء، وكان في غَمٍّ وضيقٍ بأمره؛ فأجابنا إلى ما أحببنا من ذلك، وجاءنا وبر بن يُحْنَس، وكاتبنا الناس ودعوناهم؛ وأخبره الشيطان بشيء، فأرسل إلى قيس وقال: يا قيس، ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: عَمَدت إلى قيس فأكرمته؛ حتى إذا دخل منك كلَّ مدخل، وصار في العَرِّ مثلك؛ مال ميل عدوك، وحاول ملكك وأضمر على الغدر، إنه يقول: يا أسود يا أسود! يا سوء يا

سوءة، اقطف قُتْنَه، وخذ من قيس أعلاه؛ وإلا سلبك أو قطف قُتْنَك. فقال قيس - وحلف به: كَذَبَ وذِي الخِمار؛ لَأَنْتَ أعظمُ في نفسي وأجلُّ عندي من أنْ أحدث بك نفسي؛ فقال: ما أجفاك: أتكذب الملك! قد صدق الملك؛ وعرفت الآن أنك تائب مما أطلع عليه منك.

ثم خرج فأتانا، فقال: يا جُشيش، ويا فيروز، ويا داذويه، إنه قد قال وقلت؛ فما الرأي؟ فقلنا: نحن على حذر؛ فإننا في ذلك؛ إذ أرسل إلينا، فقال: ألمْ أشرّفْكم على قومكم، ألمْ يبلغني عنكم! فقلنا: أقلنا مرّتنا هذه، فقال: لا يبلغني عنكم فأقتلكم؛ فنجونا ولم نكد، وهو في ارتياب من أمرنا وأمر قيس؛ ونحن في ارتياب وعلى خطر عظيم؛ إذ جاءنا اعتراض عامر بن شَهْرٍ وذِي زود وذِي مُرّان وذِي الكَلّاع وذِي طُلَيْم عليه؛ وكتابونا وبذلوا لنا النّصر؛ وكتابناهم وأمرناهم ألا يحركوا شيئاً حتى نُبرم الأمر - وإنما احتاجوا لذلك حين جاء كتاب النبي ﷺ؛ وكتب النبي ﷺ إلى أهل نَجْران؛ إلى عربهم وساكني الأرض من غير العرب؛ فثبتوا ففتحوا وانضمّوا إلى مكان واحد - وبلغه ذلك، وأحسّ بالهلاك، وفرق لنا الرّأي، فدخلت على آداد، وهي امرأته، فقلت: يا ابنة عمّ؛ قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك؛ قتل زوجك؛ وطأطأ في قومك القتل، وسفل بمن بقي منهم؛ وفضح النساء؛ فهل عندك من ممالأة عليه! فقالت: على أيّ أمره؟ قلت: إخراجها، قالت: أو قتله، قلت: أو قتله، قالت: نعم والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه؛ ما يقوم الله على حقّ، ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بما أتى هذا الأمر. فأخرج فإذا فيروز وداذويه ينتظراني، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه، فقال له رجل قبل أن يجلس إلينا: الملك يدعوك، فدخل في عشرة من مدحج وهمدان، فلم يقدر على قتله معهم - قال السريّ في حديثه - فقال: يا عيهلة بن كعب بن غوث، وقال عبيد الله في حديثه: يا عيهلة بن كعب بن غوث - أميني تحصن بالرجال! ألم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذابة! إنه يقول: يا سوءة يا سوءة! إلا تقطع من قيس يده يقطع قُتْنك العُلّيا؛ حتى ظنّ أنه قاتله؛ فقال: إنه ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله، فمربي بما أحببت؛ فأما الخوف والفرع فأنا فيها مخافة أن تقتلني - قال الزهري: فإما قتلتي فموتة، وقال السريّ: اقتلني فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كل يوم - فرق له فأخرجه، فخرج علينا فأخبرنا وواطأنا، وقال: اعملوا عملكم؛ وخرج علينا في جمع، فقمنا مثولاً له، وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخط خطاً فأقيمت من ورائه، وقام من دونها، فنحراها غير محبسة ولا معقلة، ما يقتحم الخط منها شيء، ثم خلّاها فجالت إلى أن زهقت؛ فما رأيت أمراً كان أظف من هذا، ولا يوماً أوحش منه. ثم قال: أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ وبوأ له الحرية - لقد هممت أن أنحرّك فأتبّعك هذه البهيمة، فقال: اخترت أن لصهرك وفضلتنا على الأبناء؛ فلو لم تكن نبياً ما بعنا نصيبنا منك بشيء؛ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر آخره ودنيا؛ لا تقبلن علينا أمثال ما يبلغك؛ فإننا بحيث تحب. فقال: اقسّم هذه؛ فأنت أعلم بمنّ ها هنا؛ فاجتمع إليّ أهل صنعاء، وجعلت أمر للرهط بالجزور، ولأهل البيت بالبقرة، ولأهل الحلة بعدة، حتى أخذ أهل كل ناحية بقسطهم. فلحق به قبل أن يصل إلى داره - وهو واقف عليّ - رجل يسعى إليه بفيروز؛ فاستمع له، واستمع له فيروز وهو يقول: أنا قاتله غداً وأصحابه؛ فاعُد عليّ، ثم التفت فإذا به، فقال: مه! فأخبره بالذي صنع، فقال: أحسنت، ثم ضرب دابته داخلًا، فرجع إلينا فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس، فجاءنا؛ فأجمع ملوهم أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا لتخبرنا بما تأمر؛ فأتيت المرأة وقلت: ما عندك؟ فقالت: هو متحرّز متحرّس؛ وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت؛ فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق؛ فإذا أمسيت فأنقبوا عليه؛ فإنكم من دون الحرس؛

وليس دون قتله شيء. وقالت: إنكم ستجدون فيه سراجاً وسلاحاً. فخرجت فتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازلهم. فقال لي: ما أدخلك علي؟ ووجأ رأسي حتى سقطت - وكان شديداً - وصاحت المرأة فأدهشته عني؛ ولولا ذلك لقتلني. وقالت: ابن عمي جاءني زائراً، فقصرت بي! فقال: اسكتي لا أبالك، فقد وهبته لك! فتزايلت عني، فأتيت أصحابي فقلت: النجاء! الهرب! وأخبرتهم الخبر، فإننا على ذلك خياراً إذ جاءني رسولها: لا تدعن ما فارقتك عليه؛ فإني لم أزل به حتى اطمأن؛ فقلنا لفيروز: اثبتا فتثبت منها؛ فأما أنا فلا سبيل لي إلى الدخول بعد النهي. ففعل، وإذا هو كان أفطن مني، فلما أخبرته قالت: وكيف ينبغي لنا أن ننقب على بيوت مبطنة! ينبغي لنا أن نقلع بطانة البيت؛ فدخلنا فاقتلنا البطانة، ثم أغلقاه؛ وجلس عندها كالزائر، فدخل عليها الأسود فاستخففته غيرة، وأخبرته برضاع وقرابة منها عنده محمر، فصاح به وأخرجه. وجاءنا بالخبر؛ فلما أمسينا عملنا في أمرنا؛ وقد واطأنا أشياعنا، وعجلنا عن مراسلة الهمدانين والحميريين؛ فنقبت البيت من خارج، ثم دخلنا وفيه سراج تحت جفنة؛ وأتقينا بفيروز، وكان أنجدنا وأشدنا - فقلنا: انظر ماذا ترى! فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه في مقصورة؛ فلما دنا من باب البيت سمع غطيظاً شديداً وإذا المرأة جالسة، فلما قام على الباب أجلسه الشيطان فكلمه على لسانه - وإنه ليغط جالساً. وقال أيضاً: مالي ولك يا فيروز! فخشيت إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله فخالطه وهو مثل الجمل؛ فأخذ برأسه فقتله؛ فذق عنقه، ووضع ركبته في ظهره فذقه، ثم قام ليخرج، فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله، فقالت: أين تدعني! قال: أخبر أصحابي بمقتله؛ فأتانا فقمنا معه؛ فأردنا حز رأسه؛ فحركه الشيطان فأضطرب فلم يضبطه؛ فقلت: اجلسوا على صدره؛ فجلس اثنان على صدره، وأخذت المرأة بشعره وسمعنا بربرة فألجمته بمثالة؛ وأمر الشفرة على حلقه فخار كأشد خوار ثور سمعته قط؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة، فقالوا: ما هذا، ما هذا! فقالت المرأة: النبي يوحى إليه! فحمد. ثم سمروا ليلتنا ونحن نأتمر كيف نخبر أشياعنا، ليس غيرنا ثلاثتنا: فيروز ودادويه وقيس؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا، ثم ينادى بالأذان، فلما طلع الفجر نادى دادويه بالشعار، ففرغ المسلمون والكافرون، وتجمع الحرس فأحاطوا بنا، ثم ناديت بالأذان، وتوافت خيولهم إلى الحرس، فناديتهم: أشهد أن محمداً رسول الله؛ وأن عبه كذاب! وألقينا إليهم رأسه، فأقام وبر الصلاة، وشنها القوم غارة، وناديننا: يا أهل صنعاء، من دخل عليه داخل فتعلقوا به، ومن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به. وناديننا بمن في الطريق: تعلقوا بمن استطعتم! فاخطفوا صبياناً كثيرين، وانهبوا ما انتهبوا، ثم مضوا خارجين، فلما برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركبانا؛ وإذا أهل الدور والطرق وقد وافونا بهم؛ وفقدنا سبعمائة عيل فراسلونا وراسلناهم أن يتركوا لنا ما في أيديهم، ونترك لهم ما في أيدينا؛ ففعلوا فخرجوا لم يظفروا منّا بشيء؛ فترددوا فيما بين صنعاء ونجران؛ وخلصت صنعاء والجند، وأعز الله الإسلام وأهله؛ وتناسنا الإمارة؛ وتراجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم؛ فاصطلحنا على معاذ بن جبل، فكان يصلي بنا، وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بالخبر؛ وذلك في حياة النبي ﷺ. فأتاه الخبر من ليلته، وقدمت رسلنا؛ وقد مات النبي ﷺ صبيحة تلك الليلة؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله.

حدثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف - وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف - عن أبي القاسم السنوي، عن العلاء بن زياد، عن ابن عمر، قال: أتى الخبر النبي ﷺ من السماء

الليلة التي قتل فيها العنسي ليشيرنا فقال: قُتِل العنسي البارحة، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيت مباركين، قيل: ومن هو؟ قال: فيروز، فاز فيروز؟

حدثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرني سيف - وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف - عن المستنير، عن عروة، عن الضحاك، عن فيروز، قال: قتلنا الأسود، وعاد أمرنا كما كان؛ إلا أنا أرسلنا إلى مُعَاذٍ، فتراضينا عليه؛ فكان يصلي بنا في صُنْعَاءَ؛ فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثاً ونحن راجعون مؤملون؛ لم يبق شيء نكرهه إلا ما كان من تلك الخيول التي تتردد بيننا وبين نَجْرَانَ؛ حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله ﷺ، فانتقضت الأمور؛ وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرف، واضطربت الأرض.

حدثني السري، قال: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف، عن أبي القاسم وأبي محمد، عن أبي زُرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني، من جُند فلسطين؛ عن عبد الله بن فيروز الديلمي؛ أن أباه حدثه أن النبي ﷺ بعث إليهم رسولاً، يقال له: وَبَر بن يُحْنَس الأزدي؛ وكان منزله على داذويه الفارسي، وكان الأسود كاهناً معه شيطان وتابع له، فخرج فنزل على ملك اليمن؛ فقتل ملكها ونكح امرأته وملك اليمن، وكان باذام هلك قبل ذلك، فخلف ابنه على أمره، فقتله وتزوجها، فاجتمعت أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المرادي عند وَبَر بن يُحْنَس رسول نبي الله ﷺ نأتمر بقتل الأسود. ثم إنَّ الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رَحْبَةٍ من صنعاء، ثم خرج حتى قام في وسطهم، ومعه حربة الملك، ثم دعا بفَرَس الملك فأوجره الحربة، ثم أرسل فجعل يجري في المدينة ودماؤه تسيل حتى مات. وقام وسط الرحبة؛ ثم دعا بجُزُر من وراء الخط فأقامها، وأعناقها ورؤوسها في الخط ما يُجْزَنه. ثم استقبلهن بحرته فنحرهن فتصدعن عنه؛ حتى فرغ منهن؛ ثم أمسك حربته في يده؛ ثم أكب على الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: إنه يقول - يعني شيطانه الذي معه: إِنَّ ابْنَ الْمَكْشُوح من الطغاة، يا أسود اقطع قُتَّة رأسه العليا. ثم أكب رأسه أيضاً ينظر، ثم رفع رأسه، فقال: إنه يقول: إِنَّ ابْنَ الدِيلَمِيِّ من الطغاة؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى؛ فلما سمعت قوله قلت: والله ما آمنت أن يدعو بي فينحني بحرته كما نحر هذه الجُزُر، فجعلت أستر بالناس لثلا يراني، حتى خرجت ولا أدري من حذري كيف آخذ! فلما دنوت من منزلي لقيني رجلٌ من قومه، فدق في رقبتي، فقال: إِنَّ الملك يدعوك وأنت تروغ! ارجع؛ فردني، فلما رأيت ذلك خشيت أن يقتلني. قال: وكنا لا يكاد يفارق رجلاً منا أبداً خنجره، فأدس يدي في خفي، فأخذت خنجره، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه، فأطعنه به حتى أقتله، ثم أقتل من معه، فلما دنوت منه رأى في وجهي الشر، فقال: مكانك! فوقفت، فقال: إِنَّكَ أَكْبَرُ مَنْ هَاهُنَا وَأَعْلَمُهُمْ بِأَشْرَافِ أَهْلِهَا، فاقسم هذه الجُزُر بينهم، وركب فانطلق وعَلِقْتُ أقسم اللحم بين أهل صنعاء، فأتاني ذلك الذي دق في رقبتي، فقال: أعطني منها، فقلت: لا والله ولا بضعة واحدة؛ أَلَسْتُ الذي دقت في رقبتي! فانطلق غضبان حتى أتى الأسود؛ فأخبره بما لقي مني وقلت له. فلما فرغت أتيتُ الأسود أمشي إليه، فسمعت الرجل وهو يشكوني إليه، فقال له: الأسود: أما والله لأذبحنه ذبحاً! فقلت له: إني قد فرغت مما أمرتني به، وقسمته بين الناس. قال: قد أحسنت فانصرف. فانصرفت، فبعثنا إلى امرأة الملك: إنا نريد قتل الأسود، فكيف لنا! فأرسلت إلي: أن هلم. فأتيتها، وجعلت الجارية على الباب لتؤذنا إذا جاء؛ ودخلت أنا وهي البيت الآخر، فحفرنا حتى نقبنا نقباً، ثم خرجنا إلى البيت، فأرسلنا الستر، فقلت: إنا نقتله الليلة، فقالت: ففعالوا؛ فما شعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت؛ وإذا هو معنا؛ فأخذته غيرة شديدة، فجعل يدق في رقبتي، وكفكفته عني، وخرجت فأتيت أصحابي

بالذي صنعت، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنا فيه؛ إذ جاءنا رسول المرأة؛ ألا يكسرن عليكم أمركم ما رأيتم؛ فإني قد قلت له بعد ما خرجت: ألتستم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحساب! قال: بلى، فقلت: جاءني أخي يُسلم عليّ ويكرمني، فوقعت عليه تدق في رقبته، حتى أخرجته، فكانت هذه كرامتك إياه! فلم أزل ألومه حتى لام نفسه، وقال: أهو أخوك؟ فقلت: نعم فقال: ما شعرت؛ فأقبلوا الليلة لما أردتم.

قال الديلمي: فاطمأنت أنفسنا، واجتمع لنا أمرنا؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتى ندخل البيت الأقصى من النقب الذي نقبنا، فقلت: يا قيس، أنت فارس العرب، ادخل فاقتل الرجل، قال: إني تأخذني رعدة شديدة عند البأس؛ فأخاف أن أضرب الرجل ضربة لا تُغني شيئاً؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز، فإنك أشبنا وأقوانا، قال: فوضعت سيفي عند القوم، ودخلت لأنظر أين رأس الرجل، فإذا السراج يزهو؛ وإذا هوراقد على فُرش قد غاب فيها لا أدري أين رأسه من رجليه! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رماناً حتى رقد، فأشرت إليها: أين رأسه؟ فأشارت إليه، فأقبلت أمشي حتى قمت عند رأسه لأنظر، فما أدري أنظرت في وجهه أم لا! فإذا هو قد فتح عينيه؛ فنظر إليّ، فقلت: إن رجعت إلى سيفي خفت أن يفوتني ويأخذ عدة يمتنع بها مني؛ وإذا شيطانه قد أذره بمكاني وقد أيقظه، فلما أبطأ كلمني على لسانه، وإنه لينظر ويغط، فأضرب بيدي إلى رأسه، فأخذت رأسه بيد ولحيته بيد، ثم ألوي عنقه فدققته؛ ثم أقبلت إلى أصحابي، فأخذت المرأة بثوبي، فقالت: أختكم نصيحتكم، قلت: قد والله قتلت وأرحتك منه. قال: فدخلت على صاحبي فأخبرتها، قالا: فارجع فاحتر رأسه واثتابه، فدخلت فبربر فألجمته فحرزت رأسه، فأتيتها به، ثم خرجنا حتى أتينا منزلنا؛ وعندنا وبر بن يحسن الأزدي؛ فقام معنا حتى ارتقينا على حصن مرتفع من تلك الحصون؛ فأذن وبر بن يحسن بالصلاة، ثم قلنا: ألا إن الله عز وجل قد قتل الأسود الكذاب، فاجتمع الناس إلينا فرمينا برأسه، فلما رأى القوم الذين كانوا معه أسرجوا خيولهم؛ ثم جعل كل واحد منهم يأخذ غلاماً من أبنائنا معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم؛ فأبصرتهم في الغلس مُردفي الغلمان، فناديت أخي وهو أسفل مني مع الناس: أن تعلقوا بمن استطعتم منهم؛ ألا ترون ما يصنعون بالأبناء! فتعلقوا بهم؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً، وذهبوا منا بثلاثين غلاماً، فلما برزوا إذا هم يفتقدون سبعين رجلاً حين تفقدوا أصحابهم، فأتونا فقالوا: أرسلوا إلينا أصحابنا، فقلنا لهم: أرسلوا إلينا أبنائنا، فأرسلوا إلينا الأبناء، وأرسلنا إليهم أصحابهم.

قال: وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إن الله قد قتل الأسود الكذاب العنسي، قتله بيد رجل من إخوانكم، وقوم أسلموا وصدقوا؛ فكنا كأننا على الأمر الذي كان قبل قدوم الأسود علينا وأمن الأمراء وتراجعوا، واعتذر الناس وكانوا حديثي عهد بالجاهلية.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا عمي، قال: أخبرنا سيف - وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف، عن أبيه، عن عبيد بن صخر، قال: كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر.

وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف - وحدثنا عبيد الله قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف - عن جابر بن يزيد، عن عروة بن غزية، عن الضحاك بن فيروز، قال: كان ما بين خروجه بكهف خبان ومقتله نحواً من أربعة أشهر، وقد كان قبل ذلك مستسراً بأمره، حتى بادى بعد.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وغسان بن

عبد الحميد وجُويرية بن أسماء، عن مشيختهم، قالوا: أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول، وأتى مقتل العنسي في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة، وكان ذلك أول فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة.

وقال الواقدي: في هذه السنة - أعني سنة إحدى عشرة - قدم وفد النخع في النصف من المحرم على رسول الله ﷺ، رأسهم زُرارة بن عمرو، وهم آخر من قدم من الوفود.

وفيها: ماتت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ في ليلة الثلاثاء، لثلاث خلون من شهر رمضان؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها. وذكر أن أبا بكر بن عبد الله، حدثه عن إسحاق بن عبد الله، عن أبان بن صالح بذلك. وزعم أن ابن جريج حدثه عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال: توفيت فاطمة عليها السلام بعد النبي ﷺ بثلاثة أشهر.

قال: وحدثنا ابن جريج، عن الزهري، عن عروة، قال: توفيت فاطمة بعد النبي ﷺ بستة أشهر.

قال الواقدي: وهو أثبت عندنا.

قال: وغسلها علي عليه السلام وأساء بنت عُميس.

قال: وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن عمرة ابنة عبد الرحمن قالت: صلى عليها العباس بن عبد المطلب.

وحدثنا أبو زيد، قال: حدثنا علي، عن أبي معشر، قال: دخل قبرها العباس وعلي والفضل بن العباس.

قال: وفيها توفي عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة، وكان أصابه بالطائف سهم مع النبي ﷺ، رماه أبو مجن، ودمل الجرح حتى انتقض به في شوال؛ فمات.

وحدثني أبو زيد، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو معشر ومحمد بن إسحاق وجُويرية بن أسماء بإسناده الذي ذكرت قبل، قالوا: في العام الذي بُيع فيه أبو بكر ملك أهل فارس عليهم يزدرج.

قال أبو جعفر: وفيها كان لقاء أبي بكر رحمه الله خارجة بن حصن الفزاري، حدثني أبو زيد، قال: حدثنا علي بن محمد بإسناده الذي ذكرت قبل، قالوا: أقام أبو بكر بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ وتوجيهه أسامة في جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة من أرض الشام، وهو الموضع الذي كان رسول الله ﷺ أمره بالسير إليه؛ لم يحدث شيئاً، وقد جاءته وفود العرب مرتدين يُقرُّون بالصلاة، ويمنعون الزكاة. فلم يقبل ذلك منهم وردهم، وأقام حتى قدم أسامة بن زيد بن حارثة بعد أربعين يوماً من شيوخه - ويقال: بعد سبعين يوماً - فلما قدم أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر على المدينة وشخص - ويقال استخلف سناناً الضمري على المدينة - فسار ونزل بذي القصة في جمادى الأولى؛ ويقال في جمادى الآخرة؛ وكان نوفل بن معاوية الديلي بعثه رسول الله ﷺ، فلقبه خارجة بن حصن بالشربة؛ فأخذ ما في يديه، فردّه على بني فزارة؛ فرجع نوفل إلى أبي بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبي بكر. فأول حرب كانت في الردة بعد وفاة النبي ﷺ حرب العنسي؛ وقد كانت حرب العنسي باليمن، ثم حرب خارجة بن حصن ومنظور بن زبّان بن سبار في غطفان، والمسلمون غارون، فانحاز أبو بكر إلى أجمة فاستتر بها، ثم هزم الله المشركين.

وحدثني عبيد الله، قال: حدثنا عمي، قال: أخبرنا سيف - وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب،

قال: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عن المجالد بن سعيد، قال: لما فَصَلَ أسامة كُفِرَت الأرض وتضرَّمت، وارتدَّت من كلِّ قبيلة عامَّة أو خاصَّة إلا قريشاً وثقيفاً.

وحدَّثني عُبيد الله، قال: حَدَّثَنَا عَمِّي، قال: أَخْبَرَنَا سيفٌ - وحدَّثني السَّريُّ، قال: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قال: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما مات رسولُ الله ﷺ، وفَصَلَ أسامة ارتدَّت العرب عواماً أو خواصاً وتَوَخَّى مسيلمة وطليحة، فاستغلظ أمرهما؛ واجتمع على طليحة عوامٌ طييء وأسد، وارتدَّت غطفان إلى ما كان من أشجع وخواص من الأفاء فبايعوه، وقَدَّمت هوازن رجلاً وأخَرَت رجلاً أَمْسَكُوا الصَّدَقَةَ إِلَّا ما كان من ثَقِيف وَلَقِهَا؛ فإنهم اقتدى بهم عوامٌ جَدِيلَة والأعجاز، وارتدَّت خواص من بني سُلَيْم؛ وكذلك سائر الناس بكلِّ مكان.

قال: وقَدَّمت رُسُلُ النَّبِيِّ ﷺ من اليمَن واليمامة وبلاد بني أسد ووفود من كان كاتبه النَّبِيُّ ﷺ، وأمرُهم في الأسود ومسيلمة وطلحة بالأخبار والكتب؛ فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر، وأخبروه الخبر، فقال لهم أبو بكر: لا تبرحوا حتى تجيء رُسُلُ أمرائكم وغيرهم بأدهى ممَّا وصفتم وأمر؛ وانتقاض الأمور. فلم يلبثوا أن قَدَّمت كتبُ أمراء النَّبِيِّ ﷺ من كلِّ مكان بانتقاض عامَّة أو خاصَّة، وتبسُّطهم بأنواع الميل على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله ﷺ حاربهم بالرُّسُل. فردَّ رسلهم بأمره، وأتبع الرُّسُل رسلاً؛ وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة؛ وكان أول من صادم عَبَسَ وذُبيان، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة.

حدَّثني عُبيد الله، قال: أَخْبَرَنَا عَمِّي، قال: أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - وحدَّثني السَّريُّ، قال: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، قال: حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عن أبي عمرو، عن زيد بن أسلم، قال: مات رسولُ الله ﷺ وعُمَّاله على قضاة، وعلى كُلب امرؤ القيس بن الأصبع الكلبي من بني عبد الله، وعلى القَيْن عمرو بن الحكم، وعلى سعد هُذَيْم معاوية بن فلان الوائلي.

وقال السَّريُّ الوائلي: فارتدَّ وديعة الكلبي فيمن آزره من كُلب، وبقي امرؤ القيس على دينه، وارتدَّ زُمَيْل بن قُطَبَة القَيْن فيمن آزره من بني القَيْن وبقي عمرو، وارتدَّ معاوية فيمن آزره من سعد هُذَيْم. فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان - وهو جدُّ سُكَيْنَة ابنة حسين - فسار لوديعة، وإلى عمرو فأقام لزميل، وإلى معاوية العذري. فلما توسَّط أسامة بلاد قضاة، بَثَّ الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه؛ فخرجوا هُرَّاباً؛ حتى أرزوا إلى دُومَة؛ واجتمعوا إلى وديعة، ورجعت خيول أسامة إليه؛ فمضى فيها أسامة. حتى أغار على الحَمَقَتَيْن، فأصاب في بني الضَّيِّب من جُذام، وفي بني خيليل من لَحْم وَلَقِهَا من القبيلين، وحازهم من آبل وانكفأ سالماً غانماً.

فحدَّثني السَّريُّ، قال: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: مات رسولُ الله ﷺ؛ واجتمعت أسد وغطفان وطييء على طليحة؛ إلا ما كان من خواص أقوام في القبائل الثلاث؛ فاجتمعت أسد بسَمِيرَاء، وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة، وطييء على حدود أرضهم. واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مُرَّة وَعَبَسَ بالأبرق من الرَّبَذَة، وتأشَّب، إليهم ناس من بني كنانة؛ فلم تحملهم البلاد؛ فافترقوا فرقتين؛ فأقامت فرقة منهم بالأبرق، وسارت الأخرى إلى ذي القَصَّة، وأمدَّهم طليحة بجبال فكان جبال على أهل ذي القَصَّة من بني أسد ومن تأشَّب من ليث والدَّيْل ومُدْلِج. وكان على مُرَّة

بالأبرق عوف بن فلان بن سنان، وعلى ثعلبة وعبس الحارث بن فلان؛ أحد بني سبيع، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة، فنزلوا على وجوه الناس، فأنزلوهم ما خلا عباساً فتحملوا بهم على أبي بكر؛ على أن يقيموا الصلاة، وعلى ألا يؤتوا الزكاة؛ فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه - وكانت عقل الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة - فردهم فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدة إليهم، فأخبروا عشائرهم بقلّة من أهل المدينة، وأطمعهم فيها؛ وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً؛ علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود؛ وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: إن الأرض كافرة؛ وقد رأى وفدكم قلة؛ وإنكم لا تدرون أليلاً تُؤتون أم نهاراً! وأدناهم منكم على بريد. وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونواديهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدّوا وأعدّوا. فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرّقوا المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذئ حسي، ليكونوا لهم رداءً فوافق الغوار ليلاً الأنقاب؛ وعليها المقاتلة، ودونهم أقوام يدرجون، فنبهوهم؛ وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنكم، ففعلوا. وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفش العدو، فاتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حسي؛ فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم دَهِدوها بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده كل نحى في طوله، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها - ولا تنفر الإبل من شيء نفارها من الأنحاء - فعاجت بهم ما يملكونها؛ حتى دخلت بهم المدينة؛ فلم يُصرع مسلمٌ ولم يُصب؛ فقال في ذلك الخطيل بن أوس أخو الخطيئة بن أوس:

فَدَى لِنَبِي دُيَّانَ رَحْلِي وَنَاقَتِي عَشِيَّةٌ يُحْدِي بِالرَّمَاكِ أَبُو بَكْرٍ
وَلَكِنْ يُدْهَدِي بِالرَّجَالِ فَهَيْبُهُ إِلَى قَدَرٍ مَا إِنْ يَزِيدُ وَلَا يَحْرِي
وَلِلَّهِ أَجْنَادٌ تُدَاقُ مَذَاقُهُ لُتَحَسَبَ فِيمَا عُدَّ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ!

وأنشده الزهري: « من حسب الدهر ».

وقال عبد الله الليثي، وكانت بنو عبد مناة من المرتدة - وهم بنو دُيَّان - في ذلك الأمر بذئ القصة وبذئ حسي:

أَطْعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَيَا لَعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ!
أَيُورِثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظُّهْرِ
فَهَلَّا رَدَدْتُمْ وَقَدْ نَا بَزْمَانِهِ وَهَلَّا خَشِيتُمْ حِسَّ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ!
وَإِنَّ الَّتِي سَالُوكُمْ فَمَنْعْتُمْ لَكَالْتَمَرِ أَوْ أَحْلَى إِلَيَّ مِنَ التَّمْرِ!

فظنّ القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر، فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم، وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي أراده، وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر ليلته يتهياً، فعبى الناس، ثم خرج على تعبئة من أعجاز ليلته يمشي، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب؛ فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم؛ فما ذر قرن الشمس حتى ولّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم؛ وقتل جبال أتبعهم أبو بكر؛ حتى نزل بذئ القصة - وكان أول

الفتح - ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة فذل بها المشركون؛ فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين، فقتلوه كل قتل؛ وفعل من وراءهم فعلهم. وعز المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين كل قتل؛ وليقتلن في كل قبيلة من قتلوا من المسلمين وزيادة، وفي ذلك يقول زيادة بن حنظلة التميمي:

غَدَاة سَعَى أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِمْ كَمَا يَسْعَى لِمَوْتِهِ جَلَالُ
أَرَاخَ عَلَى نَوَاهِقِهَا عَلِيًّا وَمَجَّ لَهَنَ مُهْجَتُهُ جِبَالُ

وقال أيضاً:

أَقَمْنَا لَهُمْ عُرْضَ الشَّمَالِ فَكُبْكِبُوا كَكَبَكَبَةِ الْغُرَى أَنَاخُوا عَلَى الْوَفْرِ
فَمَا صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِنْدَ قِيَامِهَا صَبِيحَةَ يَسْمُو بِالرَّجَالِ أَبُو بَكْرٍ
طَرَفْنَا بَنِي عَبْسٍ بِأَذْنَى نَبَاجِهَا وَذُيَّانَ نَهْنَهْنَا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

ثم لم يُصْنَعْ إِلَّا ذَلِكَ: حتى ازداد المسلمون لها ثباتاً على دينهم في كل قبيلة، وازداد لها المشركون انعكاساً من أمرهم في كل قبيلة؛ وطرفت المدينة صدقات نقر: صفوان، الزبرقان، عدي؛ صفوان، ثم الزبرقان، ثم عدي؛ صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث في آخره. وكان الذي بشر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف، والذي بشر بعدي عبد الله بن مسعود. وقال غيره: أبو قتادة.

قال: وقال الناس لكلهم حين طلع: نذير، وقال أبو بكر: هذا بشير، هذا حام وليس بوان، فإذا نادى بالخير، قالوا: طالما بشرت بالخير! وذلك لتمام ستين يوماً من تخرج أسامة. وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم.

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر؛ فقال له المسلمون: نَشُدُّكَ اللَّهُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَكَ! فَإِنَّكَ إِنْ تَصَبَّ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ نِظَامٌ، وَمَقَامُكَ أَشَدُّ عَلَى الْعَدُوِّ؛ فَابْعَثْ رَجُلًا، فَإِنْ أَصِيبَ أَمَرْتَ آخَرَ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ وَلَا وَأَسِئْتُكُمْ بِنَفْسِي؛ فخرج في تعبيته إلى ذي حسي وذي القصة، والنعمان وعبد الله وسويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الرُبْدَةِ بالأبرق؛ فاقتتلوا، فهزم الله الحارث وعوفاً، وأخذ الحَطِيطَةَ أسيراً، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً، وقد غلب بني ذبيان على البلاد. وقال: حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله! وأجلاها. فلما غلب أهل الردة؛ ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه؛ وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة؛ وهي كانت منازلهم لينزلوها، فمنعوا منها فأتوه في المدينة، فقالوا: عَلَامَ تُنَمِّعُ مِنْ نَزُولِ بِلَادِنَا! فقال: كذبتهم، ليست لكم ببلاد، ولكنّها مَوْهَبِي وَنَقْدِي، وَلَمْ يُعْطِيَهُمْ، وَحَمَى الْأَبْرَقَ لَخِيُولِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَرَعَى سَائِرَ بِلَادِ الرُّبْدَةِ النَّاسَ عَلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ، ثُمَّ حَمَاهَا كُلُّهَا لَصَدَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِقِتَالِ كَانَ وَقَعَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَصْحَابِ الصَّدَقَاتِ، فَمَنَعَ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

ولما فضت عبس وذبيان أرزوا إلى طليحة وقد نزل طليحة على بُرَاخَةَ، وارتحل عن سَمِيرَاءَ إِلَيْهَا، فَأَقَامَ عَلَيْهَا؛ وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويومٍ بالأبارق قد شهدنا على ذُبيانَ يُلتهب التَّهابا
أتَيْنَاهُمْ بِدَاهِيَةٍ نُسُوفٍ مَعَ الصَّدِيقِ إِذ تَرَكَ الْعِتَابَا

حَدَّثَنِي السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ ثَابِتٍ بْنِ الْجَذْعِ وَحَرَامِ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى الرَّبَذَةِ يَلْقَى بَنِي عَبْسٍ وَذُبْيَانَ وَجَمَاعَةً مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَلَقِيَهُمْ بِالْأَبْرَقِ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَقَتْلَهُمْ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا جَمَعَ جُنْدَ أَسَامَةَ، وَثَابَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ إِلَى ذِي الْقَصَةِ فَتَزَلَّ بِهِمْ - وَهُوَ عَلَى بَرِيدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ تَلْقَاءَ نَجْدٍ - فَقَطَّعَ فِيهَا الْجَنْدَ، وَعَقَدَ الْأُلُويَةَ، عَقَدَ أَحَدُ عَشَرَ لَوَاءً عَلَى أَحَدِ عَشَرَ جَنْدًا، وَأَمْرَ امِيرَ كُلِّ جَنْدٍ بِاسْتِنْفَارِ مَنْ مَرَّ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ أَهْلِ الْقُوَّةِ لَمَنْعِ بِلَادِهِمْ.

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلٍ بْنِ يَوْسُفٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَاهُ أَسَامَةَ وَجَنْدَهُ ظَهَرَهُمْ وَجَّهًا، وَقَدْ جَاءَتْ صَدَقَاتُ كَثِيرَةٍ تَفْضُلُ عَنْهُمْ، قَطَعَ أَبُو بَكْرٍ الْبُعُوثَ وَعَقَدَ الْأُلُويَةَ، فَعَقَدَ أَحَدُ عَشَرَ لَوَاءً: عَقَدَ لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَمْرَهُ بِطَلِيحَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ؛ فَإِذَا فَرَّغَ سَارَ إِلَى مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ بِالْبُطْحِ إِنْ أَقَامَ لَهُ، وَلِعُكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَأَمْرَهُ بِمُسَيْلَمَةَ، وَلِلْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَمْرَهُ بِجُنُودِ الْعَنْسِيِّ وَمَعُونَةِ الْأَبْنَاءِ عَلَى قَيْسِ بْنِ الْمَكْشُوحِ وَمَنْ أَعَانَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَمْضِي إِلَى كُنْدَةَ بِحَضْرَمَوْتَ، وَلِحَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ - وَكَانَ قَدِمَ عَلَى تَفِيئَةِ ذَلِكَ مِنَ الْيَمَنِ وَتَرَكَ عَمَلَهُ - وَبَعَثَهُ إِلَى الْحَمَقَتَيْنِ مِنْ مَشَارِفِ الشَّأَمِ، وَلِعُمُرِ بْنِ الْعَاصِ إِلَى جَمَاعِ قُضَاعَةَ وَوَدِيعَةَ وَالْحَارِثِ، وَلِحَذِيفَةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْغُلَفَانِيِّ وَأَمْرَهُ بِأَهْلِ دَبَا وَلِعَرْفَجَةَ بْنِ هَرِثَةَ وَأَمْرَهُ بِمُهْرَةَ؛ وَأَمْرَهُمَا أَنْ يَجْتَمِعَا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي عَمَلِهِ عَلَى صَاحِبِهِ، وَبَعَثَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ فِي أَثَرِ عُكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَقَالَ: إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْيَمَامَةِ فَالْحَقْ بِقُضَاعَةَ، وَأَنْتَ عَلَى خَيْلِكَ تَقَاتِلُ أَهْلَ الرَّدَّةِ، وَلَطُرِيفَةَ بْنِ حَاجِزٍ وَأَمْرَهُ بِبَنِي سُلَيْمٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ، وَلِسُوَيْدِ بْنِ مَقْرُونٍ وَأَمْرَهُ بِبِتْهَامَةَ الْيَمَنِ، وَلِلْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَأَمْرَهُ بِالْبَحْرَيْنِ.

فَفَصَلَتْ الْأُمَرَاءُ مِنْ ذِي الْقَصَةِ، وَنَزَلُوا عَلَى قَصْدِهِمْ، فَلَحِقَ بِكُلِّ أَمِيرٍ جُنْدُهُ، وَقَدْ عَهْدَ إِلَيْهِمْ عَهْدُهُ، وَكَتَبَ إِلَى مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْمُرْتَدَّةِ.

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ؛ وَشَارَكَهُ فِي الْعَهْدِ وَالْكِتَابِ قَحْدَمٌ؛ فَكَانَتْ الْكُتُبُ إِلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ الْمُرْتَدَّةِ كِتَابًا وَاحِدًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ؛ أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نُقِرُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَنَكْفُرُ مَنْ أَبِي وَنُجَاهِدُهُ. أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ. فَهَدَى اللَّهُ بِالْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ. وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِذْنِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ؛ حَتَّى صَارَ إِلَى الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا. ثُمَّ تَوَقَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَقَدْ نَفَّذَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَنَصَحَ لِأَمْتِهِ؛ وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدِيرًا لَهُ ذَلِكَ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي

أنزل؛ فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١) وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٢) وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣)؛ فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد؛ حيٌّ قيومٌ لا يموت؛ ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقمٌ من عدوه، يجزيه. وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدِين الله، فإن كلَّ مَنْ لم يهده الله ضالٌّ، وكل مَنْ لم يعافه مبتلى، وكلَّ مَنْ لم يُعِنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مُهْتَدِياً، ومن أضله كان ضالاً؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً﴾^(٤)، ولم يُقْبَلْ منه في الدنيا عَمَلٌ حتى يقرَّ به؛ ولم يُقْبَلْ منه في الآخرة صَرْفٌ ولا عَدْلٌ. وقد بلغني رجوعٌ من رجوع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به؛ اغتراراً بالله، وجهالةً بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٥). وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٦)؛ وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله؛ فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحاً قبلَ منه وأعانه عليه؛ ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك؛ ثم لا يبقني على أحد منهم قدر عليه، وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كلَّ قَتْلِهِ، وأن يسيِّي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام؛ فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله. وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كلِّ مجمع لكم؛ والداعية الأذان؛ فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كفوا عنهم؛ وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم؛ وإن أذّنوا أسألوهم ما عليهم؛ فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبلَ منهم؛ وحملهم على ما ينبغي لهم.

ففذت الرُّسُل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم اليهود:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهدٌ من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سرّه وعلايته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يُعذّر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام؛ فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقرّوا له؛ ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم؛ ويعطيهم الذي لهم؛ لا يُنظرهم، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عزّ وجلّ وأقرّ له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف؛ وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله؛ فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسرّ به، ومن لم يجب داعية الله قُتِل وقُوتل

(١) سورة الزمر: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٤) سورة الكهف: ١٧.

(٥) سورة الكهف: ٥٠.

(٦) سورة فاطر: ٦.

حيث كان؛ وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام؛ فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله؛ فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم؛ لا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول.

ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة

حدّثنا عبيد الله بن سعد، قال: حدّثنا عمي، قال: أخبرنا سيف - وحدّثني السري، قال: حدّثنا شعيب، قال: حدّثنا سيف - عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة، قالوا: لما أَرَزَتْ عَبَسَ وَذُبْيَان وَلَفُّهَا إِلَى الْبُرَاخَةِ، أُرْسِلَ طَلِيحَةُ إِلَى جَدِيلَةَ وَالْغَوَثُ أَنْ يَنْضَمُوا إِلَيْهِ، فَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ أَنْاسٌ مِنَ الْحَيِّينَ، وَأَمَرُوا قَوْمَهُمْ بِاللِّحَاقِ بِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَى طَلِيحَةَ، وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ عَدِيًّا قَبْلَ تَوْجِيهِ خَالِدٍ مِنْ ذِي الْقَصَّةِ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَذْرِكُهُمْ لَا يُؤْكَلُوا. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ، وَخَرَجَ خَالِدٌ فِي أَثَرِهِ، وَأَمَرَهُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَبْدَأَ بِطَيِّءٍ عَلَى الْأَكْنَفِ، ثُمَّ يَكُونُ وَجْهَهُ إِلَى الْبُرَاخَةِ، ثُمَّ يَثْلُثُ بِالْبُطَاحِ، وَلَا يَرِيمُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ قَوْمٍ حَتَّى يَحْدِثَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُهُ بِذَلِكَ. وَأَظْهَرَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ خَارِجٌ إِلَى خَيْبَرٍ وَمَنْصَبٍ عَلَيْهِ مِنْهَا حَتَّى يَلَاقِيَهُ بِالْأَكْنَفِ، أَكْنَفٌ سَلَمَى؛ فَخَرَجَ خَالِدٌ فَازْوَارَ عَنْ الْبُرَاخَةِ، وَجَنَحَ إِلَى أَجَا، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ خَارِجٌ إِلَى خَيْبَرٍ، ثُمَّ مَنْصَبٍ عَلَيْهِمْ، فَقَعَدَ ذَلِكَ طَيِّئًا وَبَطَّاهُمْ عَنْ طَلِيحَةَ؛ وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عَدِيٌّ؛ فَدَعَاهُمْ فَقَالُوا: لَا نَبَايَعُ أَبَا الْفَصِيلِ أَبَدًا، فَقَالَ: لَقَدْ أَتَاكُمْ قَوْمٌ لِيُبَيِّحَنَّ حَرِيمَكُمْ، وَلِتُكْنِتَنَّهُ بِالْفَحْلِ الْأَكْبَرِ؛ فَشَأْنَكُمْ بِهِ. فَقَالُوا لَهُ: فَاسْتَقْبِلِ الْجَيْشَ فَهَنَّهُ عَنَّا حَتَّى نَسْتَخْرِجَ مِنْ لَحِقٍ بِالْبُرَاخَةِ مِنَّا، فَإِنَّا إِنِ خَالَفْنَا طَلِيحَةَ وَهُمْ فِي يَدَيْهِ قَتَلَهُمْ أَوْ ارْتَهَنَهُمْ. فَاسْتَقْبَلَ عَدِيٌّ خَالِدًا وَهُوَ بِالسُّنْحِ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ، أَمْسِكْ عَنِّي ثَلَاثًا يَجْتَمِعُ لَكَ خَمْسَمِائَةِ مُقَاتِلٍ تَضْرِبُ بِهِمْ عَدُوَّكَ؛ وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعْجِلَهُمْ إِلَى النَّارِ؛ وَتَشَاغَلَ بِهِمْ؛ فَفَعَلَ. فَعَادَ عَدِيٌّ إِلَيْهِمْ وَقَدْ أُرْسِلُوا إِخْوَانَهُمْ؛ فَأَتَوْهُمْ مِنْ بُرَاخَةِ كَالْمَدَدِ لَهُمْ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَتْرَكُوا؛ فَعَادَ عَدِيٌّ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى خَالِدٍ، وَارْتَحَلَ خَالِدٌ نَحْوَ الْأَنْسَرِ يَرِيدُ جَدِيلَةَ، فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ: إِنِ طَيِّئًا كَالطَّائِرِ، وَإِنْ جَدِيلَةَ أَحَدُ جَنَاحَيْ طَيِّءٍ فَأَجْلِنِي أَيَّامًا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْقُذَ جَدِيلَةَ كَمَا انْتَقَذَ الْغَوَثُ؛ فَفَعَلَ، فَأَتَاهُمْ عَدِيٌّ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى بَايَعُوهُ؛ فَجَاءَهُ بِإِسْلَامِهِمْ، وَلَحِقَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ أَلْفٌ رَاكِبٌ؛ فَكَانَ خَيْرَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي أَرْضِ طَيِّءٍ وَأَعْظَمَهُ عَلَيْهِمْ بَرَكَةٌ.

وأما هشام بن الكلبي؛ فإنه زعم أن أبا بكر لما رَجَعَ إِلَيْهِ أَسَامَةُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ؛ جَدَّ فِي حَرْبِ أَهْلِ الرَّدَةِ، وَخَرَجَ بِالنَّاسِ وَهُوَ فِيهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِذِي الْقَصَّةِ؛ مِنْزَلًا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ، فَعَبَّى هُنَالِكَ جُنُودَهُ، ثُمَّ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى النَّاسِ، وَجَعَلَ ثَابِتَ بَنِ قَيْسٍ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُ إِلَى خَالِدٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْمُدَ لَطَلِيحَةَ وَعُيَيْنَةَ بَنِ حَصْنٍ، وَهَمَّا عَلَى بُرَاخَةٍ؛ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي أَسَدٍ؛ وَأَظْهَرَ أَنِّي أَلَايِكُ بَيْنَ مَعِي مِنْ نَحْوِ خَيْبَرٍ، مَكِيدَةٌ؛ وَقَدْ أَوْعَبَ مَعَ خَالِدِ النَّاسَ؛ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ عَدُوَّهُ فِيرْعَبُهُمْ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَسَارَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ؛ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ بَعَثَ عُكَّاشَةَ بْنَ مُحْصَنٍ، وَثَابِتَ بْنَ أَقْرَمٍ - أَحَدَ بَنِي الْعَجْلَانِ

حليفاً للأنصار - طليعة؛ حتى إذا دنوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة، ينظران ويسألان: فأما سلمة فلم يمهل ثابتاً أن قتله، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعني على الرجل؛ فإنه آكل؛ فاعتونا عليه، فقتلاه ثم رجعا، وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً، فلم يفظنوا له حتى وطئته المطي بأخفافها، فكبر ذلك على المسلمين، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن محصن صريعاً؛ فجزع لذلك المسلمون، وقالوا: قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم؛ فانصرف خالد نحو طييء.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني سعد بن مجاهد، عن المجل بن خليفة، عن عدي بن حاتم، قال: بعثت إلى خالد بن الوليد أن سير إلي فأقم عندي أياماً حتى أبعث إلى قبائل طييء، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك، ثم أصحبك إلى عدوك. قال: فسار إلي.

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثنا عبد السلام بن سويد أن بعض الأنصار حدثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة، قال لهم: هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حي من أحياء العرب؛ كثير عددهم، شديدة شوكتهم، لم يرتد منهم عن الإسلام أحد! فقال له الناس: ومن هذا الحي الذي تعني؟ فنعم والله الحي هو! قال لهم: طييء؛ فقالوا: وفقك الله، نعم الرأي رأيت! فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طييء.

قال هشام: حدثني جدي بن خباب النبهاني من بني عمرو بن أبي، أن خالداً جاء حتى نزل على أرك؛ مدينة سلمى.

قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني إسحاق أنه نزل بأجأ، ثم تبعى لحربه، ثم سار حتى التقيا على بزاخة، وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً يستمعون ويتربصون على من تكون الدبرة.

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني سعد بن مجاهد، أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون: سألنا خالداً أن نكفيه قيساً فإن بني أسد حلفاؤنا، فقال: والله ما قيس بأوهن الشوكتين، اصمّدوا إلى أي القبليتين أحببتهم؛ فقال عدي: لو ترك هذا الدين أسرتي الأدنى فالأدنى من قومي لجاهدتهم عليه، فأنا أمتنع من جهاد بني أسد لجلفهم! لا لعمر الله لا أفعل! فقال له خالد: إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد؛ لا تخالف رأي أصحابك، امض إلى أحد الفريقين، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط.

قال هشام، عن أبي مخنف: فحدثني عبد السلام بن سويد، أن خيل طييء كانت تلقى خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامون ولا يقتتلون، فتقول أسد وفزارة: لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبداً. فتقول لهم خيل طييء: أشهد ليقاتلتكم حتى تكتنوه أبا الفحل الأكبر!

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة! عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: حدثت أن الناس لما اقتتلوا، قاتل عيينة مع طليحة في سبعمائه من بني فزارة قتالا شديداً، وطليحة متلفف في كساء له بفناء بيت له من شعر، يتبأ لهم، والناس يقتتلون، فلما هزّت عيينة الحرب، وضرّس القتال، كرّ على طليحة، فقال: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: لا، قال: فرجع فقاتل حتى إذا ضرّس القتال وهزّت الحرب كرّ عليه فقال: لا أباك! أجاءك جبريل بعد؟ قال: لا والله، قال: يقول عيينة حليفاً: حتى متى! قد والله بلغ منا! قال: ثم رجع فقاتل، حتى إذا بلغ كرّ عليه، فقال: هل جاءك جبريل

بعد؟ قال: نعم، قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: «إِنَّ لَكَ رَحاً كَرَحَاهُ، وحديثاً لا تنساه»، قال: يقول عيينة: أظن أن قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه؛ يا بني فزارة هكذا؛ فانصرفوا؛ فهذا والله كَذَاب. فانصرفوا وانهمز الناس فغَشَوْا طليحة يقولون: ماذا تأمرنا؟ وقد كان أعد فرسه عنده، وهياً بغيراً لامرأته النّوار، فلما أن غَشَوْه يقولون: ماذا تأمرنا؟ قام فوثب على فرسه، وحمل امرأته ثم نجا بها، وقال: مَنْ استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل؛ ثم سلك الحوشية حتى لحق بالشأم وارفَضَ جمعه؛ وقتل الله مَنْ قتل منهم، وبنو عامر قريباً منهم على قادتهم وسادتهم؛ وتلك القبائل من سُليم وهوازن على تلك الحال؛ فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع، أقبل أولئك يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، ونُسَلِّمَ لحُكمه في أموالنا وأنفسنا.

قال أبو جعفر: وكان سبب ارتداد عيينة وغطفان وَمَنْ ارتدَّ من طيء ما حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرني عمي، قال: أخبرني سيف - وحدثني السريّ قال: حدثنا شعيب عن سيف - عن طلحة بن الأعمى عن حبيب بن ربيعة الأسديّ، عن عُمارة بن فلان الأسديّ، قال: ارتدَّ طُليحة في حياة رسول الله ﷺ، فادّعى النبوة، فوجّه النبي ﷺ ضرار بن الأزور إلى عماله على بني أسد في ذلك؛ وأمرهم بالقيام في ذلك على كلِّ مَنْ ارتدَّ، فأشجّوا طليحة وأخافوه، ونزل المسلمون بواردات، ونزل المشركون بسَمِيرَاء، فما زال المسلمون في ثَمَاء والمشركون في نقصان؛ حتى همَّ ضرار بالمسير إلى طليحة، فلم يبق أحد إلا أخذه سلماً، إلا ضربة كان ضربها بالجرّاز، فنبأ عنه، فشاعت في النَّاس. فأتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موت نبيهم ﷺ، وقال ناس من الناس لتلك الضربة: إنَّ السلاح لا يُحْيِيك في طليحة؛ فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان، وارفَضَ الناس إلى طليحة واستطار أمره، وأقبل ذو الخمارين عوفُ الجذميّ حتى نزل بإزائنا، وأرسل إليه ثُمَامَةُ بن أَوْس بن لأم الطائي: إنَّ معي من جديلة خمسمائة، فإنَّ دهمكم أمر فنحن بالقرْدُودَة والأنسر دُوَيْنَ الرمل. وأرسل إليه مُهَلْهَلُ بن زيد: إنَّ معي حدَّ الغوث؛ فإنَّ دهمكم أمر فنحن بالأكثاف بحيال فيد. وإنما تحدّبت طيء على ذي الخمارين عوف؛ أنه كان بين أسد وغطفان وطيء حِلْفٌ في الجاهلية، فلما كان قبل مبعث النبي ﷺ اجتمعت غطفان وأسد على طيء، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية: غوثها وجديلتها، فكره ذلك عوف؛ فقطع ما بينه وبين غطفان، وتتابع الحيّان على الجلاء، وأرسل عوف إلى الحيّين من طيء، فأعاد حلفهم، وقام بنصرتهم، فرجعوا إلى دُورهم، واشتدَّ ذلك على غطفان؛ فلما مات رسول الله ﷺ قام عيينة بن حصن في غطفان، فقال: ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد؛ وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة؛ والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحبُّ إلينا من أن نتبع نبياً من قريش؛ وقد مات محمد، وبقي طليحة. فطابُ قُوه على رأيه، ففعل وفعلوا.

فلما اجتمعت غطفان على المطابقة لطليحة هرب ضرار وقُضَاعِيّ وِسْنَان وَمَنْ كان قام بشيء من أمر النبي ﷺ في بني أسد إلى أبي بكر، وارفَضَ مَنْ كان معهم، فأخبروا أبا بكر الخبر، وأمره بالخذر، فقال ضرار بن الأزور: فما رأيتُ أحداً - ليس رسول الله ﷺ - أملاً بحرب شعواء من أبي بكر؛ فجعلنا نخبره، ولكأنما نخبره بما له ولا عليه. وقدمت عليه وفود بني أسد وغطفان وهوازن وطيء، وتلقّت وفود قضاة أسامة بن زيد، فحوّزها إلى أبي بكر؛ فاجتمعوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين؛ لعاشر من مُتَوَفَى رسول الله ﷺ، فعرضوا الصلاة على أن يُعْفُوا من الزكاة، واجتمع ملاً مَنْ أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما

يريدون؛ فلم يبق من وجوه المسلمين أحد إلا أنزل منهم نازلاً إلا العباس. ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما أجمع عليه ملوهم، إلا ما كان من أبي بكر، فإنه أبي إلا ما كان رسول الله ﷺ يأخذ، وأبوا، فردهم وأجلهم يوماً وليلة؛ فتطايروا إلى عشائرهم.

حدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف عن الحجاج، عن عمرو بن شعيب، قال: كان رسول الله ﷺ قد بعث عمرو بن العاص إلى جيفر، منصرفه من حجة الوداع، فمات رسول الله ﷺ وعمرو بعمان، فأقبل حتى إذا انتهى إلى البحرين وجد المنذر بن ساوى في الموت. فقال له المنذر: أشير عليّ في مالي بأمر لي ولا عليّ، قال: صدّق بعقار صدقة تجري من بعدك، ففعل. ثم خرج من عنده، فسار في بني تميم، ثم خرج منها إلى بلاد بني عامر، فنزل على قرّة بن هبيرة، وقرّة يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً؛ وعلى ذلك بنو عامر كلّهم إلا خواص، ثم سار حتى قدم المدينة، فأطافت به قريش، وسألوه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى حيث انتهت إليكم، فتفرقوا وتحلقوا حلقاً، وأقبل عمر بن الخطاب يريد التسليم على عمرو، فمرّ بحلقة، وهم في شيء من الذي سمعوا من عمرو في تلك الحلقة: عثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد؛ فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه، فقال: ما أعلمني بالذي خلوتم عليه! فغضب طلحة، وقال: تالله يابن الخطاب لتخبرنا بالغيب! قال: لا يعلم الغيب إلا الله؛ ولكن أظنّ قلت: ما أخوفنا على قريش من العرب وأخلقهم ألا يقرؤا بهذا الأمر! قالوا: صدقت، قال: فلا تخافوا هذه المنزلة، أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم؛ والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلت العرب في آثارك؛ فاتقوا الله فيهم. ومضى إلى عمرو فسلم عليه، ثم انصرف إلى أبي بكر.

حدثنا السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: نزل عمرو بن العاص منصرفه من عمان - بعد وفاة رسول الله ﷺ - بقرّة بن هبيرة بن سلمة بن قشير، وحوله عسكر من بني عامر من أفنائهم، فذبح له وأكرم مثواه، فلما أراد الرحلة خلا به قرّة، فقال: يا هذا، إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع؛ وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم. فقال عمرو: أكفرت يا قرّة! وحوله بنو عامر؛ فكره أن ييوح بمتابعتهم فيكفروا بمتابعته، فينفر في شرّ، فقال: لنردنكم إلى فيئتكم - وكان من أمره الإسلام - اجعلوا بيننا وبينكم موعداً. فقال عمرو: أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بها! موعدك حفش أمك؛ فوالله لأوطئن عليك الخيل. وقدم على أبي بكر والمسلمين فأخبرهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ خالد من أمر بني عامر وبيعتهم على ما بايعهم عليه، أوثق عيينة بن حصن وقرّة بن هبيرة، فبعث بهما إلى أبي بكر، فلما قدما عليه قال له قرّة: يا خليفة رسول الله، إني قد كنت مسلماً، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة؛ قد مرّ بي فأكرمته وقربته ومنعته. قال: فدعا أبو بكر عمرو بن العاص، فقال: ما تعلم من أمر هذا؟ فقص عليه الخبر، حتى انتهى إلى ما قال له من أمر الصدقة، قال له قرّة: حسبك رحمك الله! قال: لا والله؛ حتى أبلغ له كلّ ما قلت. فبلغ له، فتجاوز عنه أبو بكر، وحقن دمه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: أخبرني من نظر إلى عيينة بن حصن مجموعة يده إلى عنقه بحبل، ينخسه غلمان المدينة بالجريد، يقولون: أيّ عدوّ الله، أكفرت بعد إيمانك! فيقول: والله ما كنت آمنت

بالله قط. فتجاوز عنه أبو بكر وحقن له دمه.

حدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، قال: أخذ المسلمون رجلاً من بني أسد، فأتي به خالد بالغمر - وكان عالماً بأمر طليحة - فقال له خالد: حدثنا عنه وعما يقول لكم، فزعم أن مما أتى به: «والحمام واليمام، والصُرد الصَّوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليلغنن مَلُكُنَا العراق والشام».

حدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد، قال: لما أرزى أهل الغمر إلى البزاجة، قام فيهم طليحة، ثم قال: «أمرت أن تصنعوا رَحاً ذات عُراً، يرمي الله بها مَنْ رَمَى، يهوي عليها من هوى»، ثم عبى جنوده، ثم قال: «ابعثوا فارسين، على فرسين أدهمين، من بني نصر بن قعين، يأتياكم بعين». فبعثوا فارسين من بني قعين، فخرج هو وسلمة طليعتين.

حدثنا السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن عبدالله بن سعيد بن ثابت بن الجذع، عن عبد الرحمن بن كعب، عمّن شهد بزاجة من الأنصار، قال: لم يُصب خالد على البزاجة عيلاً واحداً، كانت عيالات بني أسد مُحَرَّزة - وقال أبو يعقوب: بين مَثَقَب وفَلَج، وكانت عيالات قيس بين فُلَج ووَاسِط! - فلم يَعد أن انهزموا، فأقروا جميعاً بالإسلام خشية على الذراري، واتقوا خالداً بطلبته، واستحقوا الأمان؛ ومضى طليحة؛ حتى نزل كلب على النقع، فأسلم، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر؛ وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان وعامراً قد أسلموا؛ ثم خرج نحو مكة معتمراً في إمارة أبي بكر، ومرّ بجَنَابَات المدينة، فقبل لأبي بكر: هذا طليحة، فقال: ما اصنع به! خلّوا عنه، فقد هداه الله للإسلام. ومضى طليحة نحو مكة فقبض عمرته، ثم أتى عمر إلى البيعة حين استخلف، فقال له عمر: أنت قاتل عكاشة وثابت! والله لا أحبك أبداً. فقال: يا أمير المؤمنين، ما تهم من رجلين أكرمهما الله بيدي، ولم يهني بأيديها! فبايعه عمر ثم قال له: يا خُدَع، ما بقي من كهانتك؟ قال: نفخة أو نفختان بالكير. ثم رجع إلى دار قومه؛ فأقام بها حتى خرج إلى العراق.

ذكر ردة هوازن وسليم وعامر

حدثنا السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل وعبدالله، قالوا: أمّا بنو عامر فإنهم قدّموا رجلاً وأخروا أخرى، ونظروا ما تصنع أسد وغطفان؛ فلما أحيط بهم وبنو عامر على قاديهم وسادتهم، كان قُوة بن هُبيرة في كعب ومن لافها، وعلقمة بن عُلاثة في كلاب ومن لافها؛ وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في أزمان النبي ﷺ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام؛ فلما توفّي النبي ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب، مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى؛ وبلغ ذلك أبا بكر، فبعث إليه سرية، وأمر عليها القعقاع بن عمرو، وقال: يا قعقاع، سِرْ تُغير على علقمة بن عُلاثة، لعلك أن تأخذه لي أو تقتله؛ واعلم أن شفاء الشقّ الحوص، فاصنع ما عندك. فخرج في تلك السرية؛ حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة؛ وكان لا يبرح أن يكون على رجل؛ فسابقهم على فرسه؛ فسبقهم مراكضة، وأسلم أهله وولده، فانتسف امرأته وبناته ونساءه، ومن أقام من الرجال؛ فاتقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبي بكر، فجدد ولده وزوجته أن يكونوا ملؤوا علقمة، وكانوا مقيمين في الدار، فلم يبلغه إلا ذلك، وقالوا: ما ذنبنا فيما صنع علقمة من ذلك! فأرسلهم ثم أسلم، فقبل ذلك منه.

حدَّثنا السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو وأبي ضَمْرَةَ، عن ابن سيرين مثل معانيه .

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بُزَاخَةَ يقولون: ندخلُ فيها خرجنا منه؛ فبايعهم على ما بايع عليه أهل البُزَاخَةَ من أسد وغطفان وطىء قبلهم، وأعطوه بأيديهم على الإسلام، ولم يقبل من أحد من أسد ولا غطفان ولا هوازن ولا سليم ولا طىء إلا أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثّلوا وعدّوا على أهل الإسلام في حال ردّتهم . فأتوه بهم، فقبل منهم إلا قرّة بن هُبيرة ونفراً معه أوثقهم، ومثّل بالذين عدّوا على الإسلام؛ فأحرقهم بالنيران ورضّخهم بالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكسهم في الآبار، وخزّق بالنبال . وبعث بقرّة وبالأسارى، وكتب إلى أبي بكر: إنّ بني عامر أقبلت بعد إعراض، ودخلت في الإسلام بعد تريض؛ وإنّي لم أقبل من أحد قاتلي أو سالمي شيئاً حتى يحيثوني بمنّ عدا على المسلمين؛ فقتلتهم كلّ قتلّة، وبعثت إليك بقرّة وأصحابه .

حدَّثنا السريّ، قال: حدَّثنا شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن نافع، قال: كتب أبو بكر إلى خالد: ليزدك ما أنعم الله به عليك خيراً؛ واتّق الله في أمرك؛ فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين همّ محسنون جدّ في أمر الله ولا تبنيّن، ولا تظفرون بأحد قتل المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره؛ ومن أحببت ممن حادّ الله أو ضادّه؛ ممّن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله . فأقام على البُزَاخَةَ شهراً يُصعد عنها ويُصوب، ويرجع إليها في طلب أولئك؛ فمنهم من أحرق، ومنهم من قمطه ورضّخه بالحجارة؛ ومنهم من رمى به من رؤوس الجبال . وقدم بقرّة وأصحابه، فلم ينزلوا ولم يُقلّ لهم كما قيل لعُيينة وأصحابه؛ لأنهم لم يكونوا في مثل حالهم؛ ولم يفعلوا فعلهم .

قال السريّ: حدَّثنا شعيب، عن سيف، عن سهل وأبي يعقوب، قالوا: واجتمعت فُلّال غطفان إلى ظفر، وبها أم زمل سلمى ابنة مالك بن حذيفة بن بدر؛ وهي تشبّه بأمّها أم قرّة بنت ربيعة بن فلان بن بدر؛ وكانت أمّ قرّة عند مالك بن حذيفة، فولدت له قرّة، وحكّمة، وجُراشة، وزملاً، وحصيناً، وشريكاً، وعبداً، وزفر، ومعاوية، وحَمَلَة، وقيساً، ولأياً؛ فأما حَكَمَة فقتله رسولُ الله ﷺ يوم أغار عُيينة بن حصن على سرح المدينة، قتله أبو قتادة؛ فاجتمعت تلك الفُلّال إلى سلمى؛ وكانت في مثل عزّ أمّها، وعندها جمل أمّ قرّة؛ فنزلوا إليها فذمّرتهم، وأمرتهم بالحرب، وصعدت سائرة فيهم وصوبت، تدعوهم إلى حرب خالد، حتى اجتمعوا لها، وتشجّعوا على ذلك، وتأشّب إليهم الشُرداء من كلّ جانب - وكانت قد سبّت أيام أمّ قرّة، فوقع لعائشة فأعتقتها، فكانت تكون عندها، ثم رجعت إلى قومها؛ وقد كان النبي ﷺ دخل عليهن يوماً، فقال: إنّ إحداكن تستنجح كلاب الحوَب؛ ففعلت سلمى ذلك حين ارتدّت؛ وطلبت بذلك الثأر، فسيرت فيما بين ظفر والحوَب؛ لتجمع إليها، فتجمع إليها كلّ فلّ ومُضَيّق عليه من تلك الأحياء من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطىء، فلما بلغ ذلك خالداً - وهو فيما هو فيه من تتبع الثأر، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم - سار إلى المرأة وقد استكتشف أمرها، وغلظ شأنها؛ فنزل عليها وعلى جماعها، فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ وهي واقفة على جمل أمّها، وفي مثل عزّها، وكان يقال: من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزّها، وأبيرت يومئذ بيوتات من جاس - قال أبو جعفر: جاس حيّ من غنم - وهاربة، غنم، وأصيب في أناس من كاهل، وكان قتالهم شديداً؛ حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوا . وقتل حول جملها مائة رجل؛ وبعث بالفتح، فقدم على أثر قرّة بنحو من عشرين ليلة .

قال السري: قال شعيب، عن سيف، عن سهل وأبي يعقوب، قالا: كَانَ من حديث الجَوَاءِ وناعِر، أن الفجاءة إياس بن عبد ياليل قَدِمَ على أبي بكر، فقال: أَعْنِي بِسِلَاح، ومُرْنِي بِمَن شئتَ من أَهْلِ الرِّدَّةِ؛ فأعطاه سِلَاحًا، وأمره أمره، فخالَفَ أمره إلى المسلمين؛ فخرج حتى ينزل بالجَوَاءِ، وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشَّريد، وأمره بالمسلمين؛ فشَنَّها غَارَةً على كُلِّ مسلم في سُلَيْم وعامر وهوازن؛ وبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طُريقَةَ بن حَاجز يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه؛ وبعث إليه عبدالله بن قيس الجاسي عوناً؛ ففعل، ثم نهضوا إليه وطلباه، فجعل يلوذ منها حتى لَقِيَاه على الجَوَاءِ؛ فاقتتلوا، فقتل نجبة، وهرب الفجاءة، فلحقه طُريقَةُ فأسرَه. ثم بعث به إلى أبي بكر، فقدم به على أبي بكر، فأمر فأوقد له ناراً في مصلى المدينة على حطب كثير، ثم رمي به فيها مقموطاً.

قال أبو جعفر: وأما ابنُ حميد؛ فإنه حَدَّثنا في شأنِ الفُجاءة عن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، قال: قَدِمَ على أبي بكر رجلٌ من بني سُلَيْم، يقال له الفجاءة؛ وهو إياس بن عبدالله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُفاف، فقال لأبي بكر: إني مسلم؛ وقد أردت جهادَ مَنْ ارتدَّ من الكُفَّار، فأحملي وأعني؛ فحملة أبو بكر على ظُهر، وأعطاه سِلَاحًا، فخرج يستعرض الناس: المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم، ويصيب مَنْ امتنع منهم؛ ومعه رجلٌ من بني الشَّريد، يقال له: نجبة بن أبي الميثاء، فلما بلغ أبا بكر خبره، كتب إلى طُريقَةَ بن حَاجز: إنَّ عدو الله الفجاءة أتاني يزعمُ أنه مسلم، ويسألني أن أقويه على مَنْ ارتدَّ عن الإسلام، فحملته وسلَّحته، ثم انتهى إليّ من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس: المسلم والمرتد يأخذ أموالهم، ويقتل مَنْ خالفه منهم، فسُرَّ إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله، أو تأخذه فتأتيه به. فسار طُريقَةُ بن حَاجز، فلما التقى الناس كانت بينهم الرِّمِّيَّ بالنبيل، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجدَّ قال لطُريقَةَ: والله ما أنت بأولى بالأمر مِنِّي، أنت أميرُ لأبي بكر وأنا أميره. فقال له طُريقَةُ: إن كنت صادقاً فضع السِلَاح، وانطلق معي إلى أبي بكر. فخرج معه، فلما قدما عليه أمر أبو بكر طُريقَةَ بن حَاجز، فقال: اخرج به إلى هذا البقيع فحرِّقه فيه بالنار؛ فخرج به طُريقَةُ إلى المصلى فأوقد له ناراً، فحرقه فيها، فقال خُفاف بن نُدْبَةَ - وهو خُفاف بن عمير - يذكر الفُجاءة، فيما صنع:

لَمْ يَأْخُذُونَ سِلَاحَهُ لِقِتَالِهِ وَلِذَاكُمُ عِنْدَ الْإِلَهِ أَثَامُ
لَا دِينَهُمْ دِينِي وَلَا أَنَا مِنْهُمْ حَتَّى يَسِيرَ إِلَى الصَّرَاةِ شَمَامُ

حَدَّثنا ابنُ حميد، قال: حَدَّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، قال: كانت سُلَيْم بن منصور قد انتقض بعضهم، فرجعوا كُفَّاراً، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم، يقال له معن بن حَاجز، أحد بني حارثة، فلما سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه، كتب إلى معن بن حَاجز أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سُلَيْم مع خالد، فسار واستخلف على عمله أخاه طُريقَةَ بن حَاجز، وقد كان لحقَ فيمن لحق من بني سُلَيْم بأهل الرِّدَّةِ أبو شجرة بن عبد العزى، وهو ابن الخنساء، فقال:

فَلَوْ سَأَلْتُ عَنَّا غَدَاةَ مُرَامِرٍ كَمَا كُنْتُ عَنْهَا سَائِلًا لَو نَأَيْتُهَا
لِقَاءَ بَنِي فَهْرٍ وَكَانَ لِقَاؤُهُمْ غَدَاةَ الْجَوَاءِ حَاجَةً فَقَضَيْتُهَا
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي وَعَرَّجْتُ مُهْرَتِي عَلَى الطَّعْنِ حَتَّى صَارَ وَرْدًا كُمَيْتُهَا

إذا هي صَدَّتْ عن كميَّ أريده

عَدَلْتُ إليه صدرَها فهدَيْتُها

فقال أبو شجرة حين ارتدَّ عن الإسلام :

صَحَا القلبُ عن مَيِّ هواه وأَقْصَرا
وأَصْبَحَ أدنى رائِدِ الجَهْلِ والصِّبا
وأَصْبَحَ أدنى رائِدِ الوصلِ منهمُ
ألا أَيُّها المُدْلِي بكثرةِ قومه
سَلِّ الناسَ عَنَّا كُلَّ يومٍ كَرِيهَةٍ
أَلَسْنَا نُعَاطِي ذا الطَّمَحِ لجامَهُ
وعَاضِرَةٌ شهباءُ تَخْطُرُ بالقنا
فَرَوَيْتُ رُمَحِي من كَتِيبَةِ خَالِدٍ

وطَاوَعَ فيها العاذِلينَ فأَبْصَرا
كما وُدُّها عَنَّا كذاك تَغْيِيرًا
كما حَبْلُها من حبلنا قد تَبَتَّرا
وحِظُّك منهم أن تُضَامَ وتُقَهَّرَا
إذا ما التَقينا: دارِعينَ وحُسْرا
ونَطْعنَ في الهيجا إذا الموتُ أَقْفَرا!
تَرى البُلُقُ في حافاتِها والسَّنُورَا
وإنِّي لأَرْجُو بَعْدَها أن أَعْمَرا

ثم إنَّ أبا شجرة أسلم، ودخل فيما دخل فيه الناس؛ فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة. فحدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن أنس السُّلَميِّ، عن رجال من قومه. وحدَّثنا السَّري قال: حدَّثنا شعيب، عن سيف، عن سهل وأبي يعقوب ومحمد بن مرزوق، وعن هشام، عن أبي مُخَنَف، عن عبد الرحمن بن قيس السُّلَميِّ، قالوا: فأناخ ناقته بصعيد بني قريظة. قال: ثم أتى عمر وهو يعطي المساكين من الصدقة ويقسِّمها بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني فإني ذو حاجة، قال: ومَنْ أنت؟ قال: أبو شجرة بن عبد العزى السُّلَميِّ، قال: أبو شجرة! أيَّ عدوِّ الله، أَلَسْتَ الذي تقول:

فَرَوَيْتُ رُمَحِي من كَتِيبَةِ خَالِدٍ وإنِّي لأَرْجُو بَعْدَها أن أَعْمَرا

قال: ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدوًّا، فرجع إلى ناقته فارتحلها، ثم أسندها في حرة شُورَان راجعاً إلى أرض بني سليم، فقال:

ضَنَّ علينا أبو حفص بنائِلِه
ما زال يُرْهَقُنِي حتى خَذِيتَ لَهُ
لَمَّا رَهَبْتُ أبا حفصٍ وشُرْطَتُهُ
ثُمَّ ارْعَوَيْتُ إِلَيْهَا وَهِيَ جَانِحَةٌ
أوردتها الخُلَّ من شُورَان صَادِرَةٌ
تَطِيرُ مَرُوءَابَانٍ عن مناسمِها
إذا يعارضها خَرْقٌ تعارضه
ينوءُ آخرها منها بأولِها

وكلُّ مُخْتَبِطٍ يَوْمًا لَهُ وَرَقُ
وحال من دون بعض الرَغْبَةِ الشَّفَقُ
والشَّيْخُ يَفْزَعُ أحياناً فيُنْحِمِقُ
مِثْلَ الطَّرِيْدَةِ لم يَنْبِتْ لَهَا وَرَقُ
إنِّي لأُزْرِى عَلَيْهَا وَهِيَ تَنْطَلِقُ
كما تُنَوِّدُ عند الجِهْدِ الورقُ
ورَّهَاءٌ فِيهَا إذا استعجلتها خُرْقُ
سُرْحُ اليدين بها نَهَاضَةُ العُنُقِ

ذكر خبر بني تميم وأمر سَجَاح بنت الحارث بن سُوَيْد

وكان من أمر بني تميم، أن رسول الله ﷺ تُوْفِيَ وقد فرّق فيهم عماله؛ فكان الزُّبْرُقَان بن بدر على الرِّبَاب وعوف والأبناء - فيما ذكر السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية بن بلال، عن أبيه وسهم بن منجذب - وقيس بن عاصم على مُقَاعِس والبُطُون، وصفوان بن صفوان وسَبْرَةُ بن عمرو على بني عمرو؛ هذا على بَهْدَى وهذا على خَضَم - قبيلتين من بني تميم - ووکیع بن مالك ومالك بن نُؤيرة على بني حنظلة؛ هذا على بني مالك، وهذا على بني يربوع. فضرب صفوان إلى أبي بكر حين وقّع إليه الخبر بموت النبي ﷺ بصدقات بني عمرو، وما ولى منها وبما ولى سبرة، وأقام سبرة في قومه لحدث إن ناب القوم، وقد أطرق قيس ينظر ما الزبرقان صانع. وكان الزبرقان متعباً عليه، وقلماً جامله إلا مَرَقَه الزبرقان بحظوته وجَدَه. وقد قال قيس وهو ينتظر لينظر ما يصنع ليخالفه حين أبطأ عليه: واويلنا من ابن العُكْلِيَّة! والله لقد مَرَّقني فما أدري ما أصنع! لئن أنا تابعت أبا بكر وأتيت به الصَّدقة لينحرنها في بني سعد فليسودني فيهم، ولئن نحرتها في بني سعد لياتين أبا بكر فليسودني عنده. فعزم قيس على قسمها في المقاعس والبطن، ففعل. وعزم الزبرقان على الوفاء، فاتبع صفوان بصدقات الرِّبَاب وعوف والأبناء حتى قَدِم بها المدينة، وهو يقول ويُعرِّض بقيس:

وفيت بأذواد الرسول وقد أبت سعاة فلم يردد بغيراً مُجبرها

وتحلل الأحياء ونشب الشر، وتشاغلوا وشغل بعضهم بعضاً. ثم ندم قيس بعد ذلك، فلما أظله العلاء بن الحضرمي أخرج صدقتها؛ فتلقاه بها؛ ثم خرج معه، وقال في ذلك:

ألا أبلغاً عني قريشاً رسالةً إذا ما أتتها بينات الودائع

فتشاغلت في تلك الحال عوف والأبناء بالبُطُون، والرِّبَاب بمقاعس، وتشاغلت خَضَم بمالك وبَهْدَى بربوع؛ وعلى خَضَم سبرة بن عمرو، وذلك الذي حلّفه عن صفوان والحسين بن نيار على بَهْدَى، والرِّبَاب؛ عبدالله بن صفوان على ضبة، وعصمة بن أبيير على عبد مناة، وعلى عوف والأبناء عوف بن البلاد بن خالد من بني غنم الجُشمي، وعلى البطون سِعر بن خفاف؛ وقد كان ثمامة بن أثال تأتيه أمداد من بني تميم؛ فلما حدث هذا الحدث فيما بينهم تراجعوا إلى عشائهم، فأصر ذلك بثمامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة وأنضه؛ فلم يصنع شيئاً؛ فبينما الناس في بلاد تميم على ذلك، قد شغل بعضهم بعضاً؛ فمُسِّلُهم بإزاء من قدّم رجلاً وآخر أخرى وتربّص، وإبزاء من ارتاب، فجئتهم سَجَاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة، وكانت ورهطها في بني تغلب تقود أفناء ربيعة، معها الهذيل بن عمران في بني تغلب، وعقّة بن هلال في النمر، وتاد بن فلان في إياد، والسليل بن قيس في شيبان، فأتاهم أمرٌ دهّي، هو أعظم مما فيه الناس، لهجوم سَجَاح عليهم، ولما هم فيه من اختلاف الكلمة، والتشاغل بما بينهم. وقال عُفَيْف بن المنذر في ذلك:

الم يأتيك والأنباء تسري بما لاقت سراً بني تميم
تداعى من سراتهم رجال وكانوا في الذوائب والصميم
والجؤهم وكان لهم جناب إلى أحياء خالية وخيم

وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفان - هي وبنو أبيها عُقْفان - في بني تغلب. فتنبّت بعد موت رسول الله ﷺ بالجزيرة في بني تغلب، فاستجاب لها الهذيل، وترك التنصر؛ وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزوهم أبا بكر. فلما انتهت إلى الحزن راسلت مالك بن نؤيرة ودعته إلى المودعة، فأجابها، وفشأها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم، قالت: نعم، فشأنك بمن رأيت، فإني إنما أنا امرأة من بني يربوع، وإن كان ملك فالملك مُلككم. فأرسلت إلى بني مالك بن حنظلة تدعوهم إلى المودعة، فخرج عطار بن حاجب وسروات بني مالك حتى نزلوا في بني العنبر على سبرة بن عمرو هرباً قد كرهوا ما صنع وكيع، وخرج أشباههم من بني يربوع؛ حتى نزلوا على الحصين بن نيار في بني مازن، وقد كرهوا ما صنع مالك؛ فلما جاءت رسلها إلى بني مالك تطلب المودعة، أجابها إلى ذلك وكيع، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح، وقد وادع بعضهم بعضاً، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا: بمن نبدأ؟ بخضم، أم بيهدي، أم بعوف والأبناء، أم بالرباب؟ وكفوا عن قيس لما رأوا من تردده وطمعوا فيه، فقالت: «أعدوا الركب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب».

قال: وصمدت سجاح للأحفار حتى تنزل بها، وقالت لهم: إن الدّهناء حجاز بني تميم؛ ولن تعدو الرباب؛ إذا شدّها المصاب، أن تلوذ بالدجاني والدهاني؛ فليترها بعضكم. فتوجه الجفول - يعني مالك بن نؤيرة - إلى الدجاني فنزلها؛ وسمعت بهذا الرباب فاجتمعوا لها؛ ضبّتها وعبد مناتها، فولي وكيع وبشر بني بكر من بني ضبة، وولي ثعلبة بن سعد بن ضبة عقة، وولي عبد مناة الهذيل. فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بني ضبة، فهزما، وأسير سماعة ووكيع وقعقاع، وقتلت قتلى كثيرة؛ فقال في ذلك قيس بن عاصم؛ وذلك أول ما استبان فيه الندم:

كأنك لم تشهد سماعة إذ غزا	وما سرّ قعقاع وخاب وكيع
رأيتك قد صاحبّت ضبة كارهاً	على ندب في الصفحتين وجيع
ومُطلق أسرى كان حمقاً مسيرها	إلى صخرات أمرهنّ جميع

فصرفت سجاح والهذيل وعقة بني بكر، للمودعة التي بينها وبين وكيع - وكان عقة خال بشر - وقالت: اقتلوا الرباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم، وتحملون لهم دماءهم؛ وتحمد غب رأيهم أخراهم. فأطلقت لهم ضبة الأسرى؛ وودوا القتلى، وخرجوا عنهم. فقال في ذلك قيس يُعيرهم صلح ضبة، إسعاداً لضبة وتأنياً لهم. ولم يدخل في أمر سجاح عمري ولا سعدي ولا ربي؛ ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا في قيس؛ حتى بدا منه إسعاد ضبة؛ وظهر منه الندم. ولم يمالئهم من حنظلة إلا وكيع ومالك؛ فكانت ممالأتها مودعة على أن ينصر بعضهم بعضاً، ويحتاز بعضهم إلى بعضهم؛ وقال أصم التيمي في ذلك:

أتينا أخت تغلب فاستهدت	جلائب من سارة بني أبينا
وأرست دعوة فينا سفاهاً	وكانت من عمائر آخرينا
فما كنا لنرزيهم زبالاً	وما كانت لتسلم إذ أتينا
ألا سفهت حلومكم وضلت	عشية تحشدون لها ثبيناً

قال: ثم إن سجاح خرجت في جنود الجزيرة، حتى بلغت النّباج؛ فأغار عليهم أوس بن خزيمه الهجيمي

فيمَن تَأَسَّبَ إِلَيْهِ مِنْ بَنِي عَمْرُو، فَأَسْرَ الْهَذِيلَ؛ أَسْرَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَازَنْ ثُمَّ أَحَدَ بَنِي وَبَرٍ، يُدْعَى نَاشِرَةً. وَأَسْرَ عَقَّةً؛ أَسْرَهُ عَبْدَةُ الْهَجِيمِيِّ؛ وَتَحَاجَزُوا عَلَى أَنْ يَتَرَادَوْا الْأَسْرَى، وَيَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ، وَلَا يَجْتَازُوا عَلَيْهِمْ؛ فَفَعَلُوا، فَرَدُّوْهَا وَتَوَثَّقُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهَا؛ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْهُمْ، وَلَا يَتَّخِذُوهُمْ طَرِيقًا إِلَّا مِنْ وَرَائِهِمْ. فَوَفُوا لَهُمْ؛ وَلَمْ يَزَلْ فِي نَفْسِ الْهَذِيلِ عَلَى الْمَازَنِيِّ؛ حَتَّى إِذَا قُتِلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، جَمَعَ جَمْعًا فَأَغَارَ عَلَى سَفَّارٍ، وَعَلَيْهِ بَنُو مَازَنْ؛ فَقَتَلْتَهُ بَنُو مَازَنْ وَرَمَوْا بِهِ فِي سَفَّارٍ.

وَلَمَّا رَجَعَ الْهَذِيلُ وَعَقَّةٌ إِلَيْهَا وَاجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ قَالُوا لَهَا: مَا تَأْمُرِينَا؟ فَقَدْ صَالَحَ مَالِكُ وَوَكَيْعُ قَوْمَهُمَا؛ فَلَا يَنْصُرُونَنَا وَلَا يَزِيدُونَنَا عَلَى أَنْ نَجُوزَ فِي أَرْضِهِمْ، وَقَدْ عَاهَدْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ. فَقَالَتْ: الْيَمَامَةُ؛ فَقَالُوا: إِنْ شَوْكَةُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ شَدِيدَةٌ؛ وَقَدْ غُلِظَ أَمْرُ مُسَيْلِمَةَ؛ فَقَالَتْ: «عَلَيْكُمْ بِالْيَمَامَةِ؛ وَدَفُّوا دَفِيفَ الْحِمَامَةِ؛ فَإِنَّهَا غَزْوَةٌ صَرَامَةٌ؛ لَا يُلْحَقُكُمْ بَعْدَهَا مَلَامَةٌ». فَهَدَّتْ لِبَنِي حَنِيفَةَ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ مُسَيْلِمَةَ فَهَابَهَا؛ وَخَافَ إِنْ هُوَ شَغَلَ بِهَا أَنْ يَغْلِبَهُ ثُمَامَةُ عَلَى حَجَرٍ أَوْ شَرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، أَوْ الْقَبَائِلَ الَّتِي حَوْهَمَ، فَأَهْدَى لَهَا؛ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا يَسْتَأْمِنُهَا عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَأْتِيَهَا. فَنَزَلَتِ الْجُنُودُ عَلَى الْأُمُوَاهِ، وَأَذْنَتْ لَهُ وَأَمَّتَتْهُ؛ فَجَاءَهَا وَافِدًا فِي أَرْبَعِينَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ - وَكَانَتْ رَاسِخَةً فِي النَّصْرَانِيَّةِ، قَدْ عَلِمَتْ مِنْ عِلْمِ نَصَارَى تَغْلِبَ - فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ: لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ؛ وَكَانَ لَقَرِيشٍ نِصْفُهَا لَوْ عَدَلْتُ؛ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ النِّصْفَ الَّذِي رَدَّتْ قَرِيشُ؛ فَحَبَاكَ بِهِ، وَكَانَ لَهَا لَوْ قَبِلْتُ. فَقَالَتْ: «لَا يَرُدُّ النِّصْفَ إِلَّا مَنْ حَنَفَ، فَاحْمِلِ النِّصْفَ إِلَى خَيْلٍ تَرَاهَا كَالسَّهْفِ». فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ سَمِعَ، وَأَطْمَعَهُ بِالْخَيْرِ إِذْ طَمَعَ؛ وَلَا زَالَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ مَا سَرَّ نَفْسَهُ يَجْتَمِعُ. رَأَيْتُمْ رَبُّكُمْ فَحَيَّاكُمْ، وَمِنْ وَحْشَةٍ خَلَاكُمْ؛ وَيَوْمَ دِينِهِ أَنْجَاكُمْ. فَأَحْيَاكُمْ عَلَيْنَا مِنْ صَلَوَاتِ مَعَشَرِ أَبْرَارٍ، لَا أَشْقِيَاءَ وَلَا فَجَّارٍ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيَصُومُونَ النَّهَارَ، لِرَبِّكُمْ الْكُبَارِ، رَبِّ الْغُيُومِ وَالْأَمْطَارِ».

وَقَالَ أَيْضًا: «لَمَّا رَأَيْتُ وَجُوهَهُمْ حَسُنَتْ، وَأَبْشَارُهُمْ صَفَتْ، وَأَيْدِيهِمْ طُفَلَتْ؛ قُلْتُ لَهُمْ: لَا النِّسَاءُ تَأْتُونَ، وَلَا الْخَمْرُ تَشْرَبُونَ؛ وَلَكِنَّكُمْ مَعَشَرَ أَبْرَارٍ، تَصُومُونَ يَوْمًا، وَتُكَلِّفُونَ يَوْمًا؛ فَسُبْحَانَ اللَّهِ! إِذَا جَاءَتِ الْحَيَاةُ كَيْفَ تَحْيَوْنَ، وَإِلَى مَلِكِ السَّمَاءِ تَرْقُونَ! فَلَوْ أَنَّهَا حَبَّةُ خَرْدَلَةٍ؛ لَقَامَ عَلَيْهَا شَهِيدٌ يَعْلَمُ مَا فِي الصَّدُورِ، وَلَا أَكْثَرَ النَّاسِ فِيهَا الثُّبُورُ».

وَكَانَ مِمَّا شَرَعَ لَهُمْ مُسَيْلِمَةُ أَنَّ مَنْ أَصَابَ وَلَدًا وَاحِدًا عَقِبًا لَا يَأْتِي امْرَأَةً إِلَى أَنْ يَمُوتَ ذَلِكَ الْإِبْنُ فَيُطْلَبُ الْوَلَدُ؛ حَتَّى يَصِيبَ ابْنًا ثُمَّ يُمَسِكَ؛ فَكَانَ قَدْ حَرَّمَ النِّسَاءَ عَلَى مَنْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا غَيْرُ سَيْفٍ وَمَنْ ذَكَرْنَا عَنْهُ هَذَا الْخَبْرَ؛ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ لَمَّا نَزَلَتْ بِهِ سَجَاحَ، أَغْلَقَ الْحِصْنَ دُونَهَا، فَقَالَتْ لَهُ سَجَاحُ: انْزِلْ، قَالَ: فَنَحْيِي عَنْكَ أَصْحَابَكَ، فَفَعَلْتُ. فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ: اضْرَبُوا لَهَا قُبَّةً وَجَمَّروها لَعَلَّهَا تَذْكُرُ الْبَاهُ؛ فَفَعَلُوا، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْقُبَّةَ نَزَلَ مُسَيْلِمَةُ فَقَالَ: لِيَقِفْ هَاهُنَا عَشْرَةَ، وَهَاهُنَا عَشْرَةَ؛ ثُمَّ دَارَسَهَا، فَقَالَ: مَا أَوْحَى إِلَيْكَ؟ فَقَالَتْ: هَلْ تَكُونُ النِّسَاءُ يَبْتَدِئْنَ! وَلَكِنْ أَنْتَ قُلْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرِ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ فَعَلَ بِالْحُبْلِ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسْمَةً تَسْعَى، مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ وَحْشِي». قَالَتْ: وَمَاذَا أَيْضًا؟ قَالَ: أَوْحَى إِلَيَّ: «أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النِّسَاءَ أَفْرَاجًا، وَجَعَلَ الرِّجَالَ لَهُنَّ أَزْوَاجًا؛ فَتَوَلَّجَ فِيهِنَّ قُعْسًا إِيْلَاجًا، ثُمَّ نُخِرَ جُهَا إِذَا نَشَأَ إِخْرَاجًا، فَيُنْتَجَنُ لَنَا سَخَالًا إِنْتَاجًا». قَالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَأَكُلَ بِقَوْمِي وَقَوْمُكَ الْعَرَبُ! قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ:

أَلَا قُومِي إِلَى النَّيِّكَ فَقَدْ هُمِّي لَكَ الْمَضْجَعُ
وإن شئتَ ففي البيت وإن شئتَ ففي المخذعِ
وإن شئتَ سلقناكِ وإن شئتَ على أربعِ
وإن شئتَ بثلاثيه وإن شئتَ به أجمعِ

قالت: بل به أجمع، قال بذلك أوجي إلي. فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت إلى قومها، فقالوا: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فأتبعته فتزوجته، قالوا: فهل أصدقك شيئاً؟ قالت: لا، قالوا: ارجعي إليه، فقبیح بمثلك أن ترجع بغير صداق! فرجعت، فلما رآها مسيلمة أغلق الحصن، وقال: مالك؟ قالت: أصدقني صداقاً، قال: من مؤذُنك؟ قالت: شَبَث بن رَبِيعِ الرِّياحي، قال: عليّ به، فجاء فقال: نادِ في أصحابك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد: صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر.

قال: وكان من أصحابها الزُّبرقان بن بدر وعطار بن حاجب ونظراؤهم.

- وذكر الكلبي أن مشيخة بني تميم حدّثوه أن عامّة بني تميم بالرَّمْل لا يصلونها - فانصرفت ومعها أصحابها، فيهم الزُّبرقان، وعطار بن حاجب، وعمرو بن الأهتم، وغيلان بن خرشة، وشَبَث بن رَبِيعِ، فقال عطار بن حاجب:

أَمَسْتُ نَيْتِنَا أَنْثَى نُطِيفُ بِهَا وَأَصْبَحْتُ أَنْبِيَاءَ النَّاسِ ذُكْرَانَا

وقال حكيم بن عيَّاش الأعور الكلبي، وهو عيرٌ مُضَرٌ سَجَّاح، ويذكر ربعة:

أَتَوْكُم بِدِينٍ قَائِمٍ وَأَتَيْتُمُ بِمُتَسَخِّخِ الْآيَاتِ فِي مُصْحَفٍ طَبٍّ

رجع الحديث إلى حديث سيف. فصالحها على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة، وأبت إلا السنة المقبلة يُسَلِّفُها؛ فباح لها بذلك؛ وقال: خَلَفِي على السلف مَنْ يجمعه لك؛ وانصرفي أنتِ بنصف العام؛ فرجع فحمل إليها النصف، فاحتملته وانصرفت به إلى الجزيرة، وخَلَفَتْ الهذيل وعقّة وزيداً لينجز النصف الباقي؛ فلم يفجأهم إلا دُنُو خالد بن الوليد منهم، فافرضوا. فلم تزل سَجَّاح في بني تَغْلِب؛ حتى نقلهم معاوية عام الجماعة في زمانه؛ وكان معاوية حين أجمع عليه أهل العراق بعد علي عليه السلام يُخْرِج من الكوفة المستغرب في أمر علي، ويُنْزِل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة؛ وهم الذين يقال لهم النواقل في الأمصار؛ فأخرج من الكوفة قَعْقَاع بن عمرو بن مالك إلى إيليا بفلسطين، فطلب إليه أن ينزل منازل بني أبيه بني عُقَّان، وينقلهم إلى بني تميم، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة، وأنزلهم منازل القَعْقَاع وبني أبيه؛ وجاءت معهم وحسن إسلامها؛ وخرج الزُّبرقان والأقرع إلى أبي بكر، وقالوا: اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألا يرجع من قومنا أحدٌ، ففعل وكتب الكتاب. وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهوداً منهم عمر. فلما أتى عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد، ثم قال: لا والله ولا كرامة! ثم مَزَق الكتاب ومحاه، فغضب طلحة، فأتى أبا بكر، فقال: أأنت الأمير أم عمر؟ فقال: عمر؛ غير أن الطاعة لي. فسكت.

وشهدا مع خالد المشاهد كلها حتى اليمامة، ثم مضى الأقرع ومعه شُرَحْبِيل إلى دومة.

ذكر البطح وخبره

كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن الصّعب بن عطية بن بلال، قال: لما انصرفت سجاح إلى الجزيرة، ارعوى مالك بن نويرة، ونديم وتحير في أمره، وعرف وكيع وسماعة فُبَح ما أتيا، فرجعا رجوعاً حسناً، ولم يتجبرا، وأخرجوا الصدقات فاستقبلا بها خالداً؛ فقال خالد: ما حملكما على مودة هؤلاء القوم؟ فقالا: نأر كُنّا نطلبه في بني ضَبّة؛ وكانت أيام تشاغل وفرص، وقال وكيع في ذلك:

فلا تحسباً أني رجعت وأنني مُنِعتُ وقد تُحْنِي إليّ الأصابعُ
ولكنني حاميتُ عن جُلّ مالك ولا حَظْتُ حتى أكَحَلْتَنِي الأُخَادِعُ
فلما أتانا خالدٌ بلوائه تَخَطَّتْ إليه بالبُطاحِ الودائعُ

ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما كان من مالك بن نويرة ومن تأشّب إليه بالبطح؛ فهو على حاله متحيراً شجاً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم وعمرو بن شعيب، قالوا: لما أراد خالد السير خرج من ظفر، وقد استبرأ أسداً وغطفاناً وطياً وهوازن؛ فسار يريد البطح دون الحزن؛ وعليها مالك بن نويرة، وقد تردّد عليه أمره، وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا! إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البرّاحة، واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا.

فقال خالد: إن يك عهد إليكم هذا فقد عهد إليّ أن أمضي، وأنا الأمير وإليّ تنتهي الأخبار. ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر؛ ثم رأيت فرصة؛ فكنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها؛ كذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا، ثم نعمل به. وهذا مالك بن نويرة بحياننا، وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان؛ ولست أكرهكم. ومضى خالد، وندمت الأنصار، وتذامروا، وقالوا: إن أصاب القوم خيراً إنه لخير حُرمتومه، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس. فأجمعوا اللّحاق بخالد وجردوا إليه رسولا؛ فأقام عليهم حتى لحقوا به؛ ثم سار حتى قدم البطح فلم يجد به أحداً.

قال أبو جعفر؛ فيما كتب به إليّ السريّ بن يحيى، يذكر عن شعيب بن إبراهيم أنه حدّثه عن سيف بن عمر، عن خزيمة بن شجرة العُقْفانيّ، عن عثمان بن سويد، عن سويد بن المثعبة الرّياحيّ؛ قال: قدم خالد بن الوليد البطح فلم يجد عليه أحداً، ووجد مالكا قد فرقهم في أمواهم، ونهاهم عن الاجتماع حين تردّد عليه أمره، وقال: يا بني يربوع؛ إنّا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين، وبطّأنا الناس عنه فلم نُفْلح ولم نُنْجَح، وإني قد نظرت في هذا الأمر، فوجدت الأمر يتأقّ لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس؛ فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم؛ ففرّقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر. ففرّقوا على ذلك إلى أمواهم، وخرج مالك حتى رجع إلى منزله. ولما قدم خالد البطح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتوه بكلّ من لم يحب، وإن امتنع أن يقتلوه؛ وكان ممّا أوصى به أبو بكر: إذا نزلتم منزلاً فأذنوا وأقيموا؛ فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم؛ وإن لم يفعلوا فلا شيء إلّا الغارة؛ ثم اقتلوهم كلّ قِتلة؛ الحرّق فما سواه؛ وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم؛ فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم؛ وإن أبوها فلا شيء إلّا الغارة ولا كلمة. فجاءته الخيل بمالك بن

نُويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، من عاصم وعبيد وعرين وجعفر، فاختلفت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة؛ فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا. فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحسبوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء؛ وجعلت تردد برداً، فأمر خالدٌ منادياً فنادى: «أدْفُوا أسراكم»، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دَثَرُوا الرجل فأدَثُوهُ، دَفْئُهُ قتله وفي لغة غيرهم: أدْفِه فاقْتله، فظنَّ القوم - وهي في لغتهم القتل - أنه أراد القتل، فقتلوه، فقتل ضرار بن الأزور مالكا، وسمع خالد الواعية؛ فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة: هذا عملك، فزبره خالد فغضب ومضى، حتى أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر؛ حتى كلمه عمر فيه، فلم يرض إلا أن يرجع إليه فرجع إليه حتى قدم معه المدينة، وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقض طهرها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايرهن، وقال عمر لأبي بكر: إن في سيف خالد رهقاً، فإن لم يكن هذا حقاً، حق عليه أن يُقيدَه؛ وأكثر عليه في ذلك - وكان أبو بكر لا يُقيد من عماله ولا ورعته - فقال: هيه يا عمر! تأول فأخطأ، فارتفع لسانك عن خالد. وودى مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل، فأخبره خبره، فعذره وقبل منه، وعنفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: شهد قومٌ من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، ففعلوا مثل ذلك. وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء، فقتلوا. وقدم أخوه متم بن نُويرة ينشد أبا بكر دمه، ويطلب إليه في سببهم؛ فكتب له برد السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله، وقال: إن في سيفه رهقاً. فقال: لا يا عمر؛ لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن خزيمة، عن عثمان، عن سويد، قال: كان مالك بن نُويرة من أكثر الناس شعراً؛ وإن أهل العسكر أثقوا برؤوسهم القُدور، فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا، فإن القدر نصجت وما نضج رأسه من كثرة شعره، وقى الشعرُ البشرة حرّاً أن يبلغ منه ذلك. وأنشده متم؛ وذكر خصه؛ وقد كان عمر رآه مقدّمه على النبي ﷺ، فقال: أكذاك يا متم كان! قال: أمّا ما أعني. فنعم.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق؛ أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أن إذا غشيت داراً من دور الناس فسمعت فيها أذاناً للصلاة، فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقيموا! وإن لم تسمعوا أذاناً، فشنوا الغارة، فاقتلوا وحرّقوا.

وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربيع أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها؛ وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح. قال: فقلنا: إنا المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم! قالوا لنا: فما بال السلاح معكم! قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها؛ ثم صلينا وصلوا. وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجع: ما إخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعدّه لك

صاحباً! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب، تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر، وقال: عدوّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته!

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة له، قد غرز في عمامته أسنهما؛ فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسنهم من رأسه فحطّمها، ثم قال: أرثاء! قتلت امرأ مسلماً، ثم نزوت على امرأته! والله لأرجمك بأحجارك - ولا يكلمه خالد بن الوليد، ولا يظنّ إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه - حتى دخل على أبي بكر، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر، واعتذر إليه فعذره أبو بكر، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك. قال: فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالس في المسجد، فقال: هلم إليّ يا بن أمّ شملة! قال: فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه، ودخل بيته. وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي. وقال ابن الكلبي: الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور.

ذكر بقيّة خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: كان أبو بكر حين بعث عكرمة بن أبي جهل إلى مُسَيْلِمة وأتبعه شُرْحَبِيلَ عَجَل عكرمة، فبادر شُرْحَبِيلَ ليذهب بصوتها فواقعهم، فنكبوه، وأقام شُرْحَبِيلَ بالطريق حيث أدركه الخبر؛ وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالذي كان من أمره، فكتب إليه أبو بكر: يابن أمّ عكرمة، لا أرينك ولا تراني على حالها! لا ترجع فتوهن الناس؛ امض على وجهك حتى تساند حُذَيْفَةَ وَعَرْفَجَةَ فقاتل معهما أهل عُمان ومَهْرَةَ، وإن شغلا فامض أنت، ثم تسير وتسير جندك تستبرئون من مررتهم به؛ حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت.

وكتب إلى شُرْحَبِيلَ يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره، ثم كتب إليه قبل أن يوجه خالدًا بأيام إلى اليمامة: إذا قدم عليك خالد، ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقضاعة؛ حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على من أبي منهم وخالف. فلما قدم خالد على أبي بكر من البطحاء رضي أبو بكر عن خالد، وسمع عذره وقيل منه وصدقه ورضي عنه، ووجهه إلى مُسَيْلِمة وأوعب معه الناس. وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد، وعلى القبائل؛ على كل قبيلة رجل. وتعتجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطاح، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة؛ فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو بن العلاء، عن رجال، قالوا: كان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل؛ في قراها وحجرها، فسار خالد حتى إذا أظّل عليهم أسند خيولاً لعقة والهذيل وزباد؛ وقد كانوا أقاموا على خرّج أخرجه لهم مُسَيْلِمة ليلحقوا به سجاح. وكتب إلى القبائل من تميم فيهم؛ فنفروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب، وعجل شُرْحَبِيلَ بن حسنة، وفعل فعل عكرمة، وبادر خالدًا بقتال مُسَيْلِمة قبل قدوم خالد عليه؛ فنكب، فحاجز؛ فلما قدم عليه خالد لأمه؛ وإنما أسند خالد تلك الخيول مخافة أن يأتيه من خلفه؛ وكانوا بأفنية اليمامة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، عن عمّ حدثه، عن جابر بن فلان، قال: وأمدّ أبو بكر خالدًا بسليط؛ ليكون ردءاً له من أن يأتيه أحد من خلفه؛ فخرج؛ فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرّقوا؛ فهربوا، وكان منهم قريباً ردءاً لهم؛ وكان أبو بكر يقول: لا أستعمل أهل بدر؛ أدعهم حتى يلقوا الله بأحسن أعمالهم؛ فإن الله يدفع بهم وبالصّالحاء من الأمم أكثر وأفضل.

مَّا يَنْتَصِرُ بِهِمْ ؛ وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا شِرْكَهُمْ وَلِيُوَاسِنِي .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن عُبيد بن عمير، عن أثال الحنفيّ - وكان مع ثمامة بن أثال - قال : وكان مُسَيْلِمَةُ يصانع كلّ أحد ويتألّفه ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح ؛ وكان معه نهار الرّجال بن عُنفوّ، وكان قد هاجر إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ وقرأ القرآن ؛ وفقه في الدّين ، فبعثه مُعلِّماً لأهل اليمامة وليشغّب على مُسَيْلِمَةَ ، وليشدّد من أمر المسلمين ؛ فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مُسَيْلِمَةَ ؛ شهد له أنّه سمع محمداً ﷺ يقول : إنه قد أشرك معه ؛ فصدّقوه واستجابوا له ، وأمروه بمكاتبة النّبيّ ﷺ ، ووعدوه إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه ؛ فكان نهار الرّجال بن عُنفوّ لا يقول شيئاً إلّا تابعه عليه ؛ وكان ينتهي إلى أمره ، وكان يؤذّن للنّبيّ ﷺ ، ويشهد في الأذان أنّ محمداً رسول الله ؛ وكان الذي يؤذّن له عبد الله بن النّواحة ، وكان الذي يقيم له حُجَيْرُ بن عُمَيْر ، ويشهد له ، وكان مسيلمة إذا دنا حُجَيْرُ من الشهادة ، قال : صرّح حُجَيْرُ ؛ فيزيد في صوته ، ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم ؛ فعظّم وقاره في أنفسهم .

قال : وضرب حرماً باليمامة ، فنهى عنه ؛ وأخذ النّاس به ، فكان مُحَرِّماً فوقع في ذلك الحرّم قُرى الأحاليف ؛ أفخاذ من بني أسيد ، كانت دارهم باليمامة ؛ فصار مكان دارهم في الحرّم - والأحاليف : سيحان ومثارة وغمر والحارث بنو جُرّوة - فإن أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة ، وأخذوا الحرّم دغلاً ، فإن نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم ؛ وإن لم ينذروا بهم فذلك ما يريدون . فكثّر ذلك منهم حتى استعدّوا عليهم ؛ فقال : أنتظر الذي يأتي من السماء فيكم وفيهم . ثم قال لهم : « والليل الأطحم ، والذئب الأدلم . والجذع الأزلم ، ما انتهكت أسيد من محرّم » ؛ فقالوا : أما محرّم استحلال الحرّم وفساد الأموال ! ثم عادوا للغارة ، وعادوا للعدوى . فقال : أنتظر الذي يأتيني ، فقال : « والليل الدّامس ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس » ؛ فقالوا : أمّا النخيل مُرطبة فقد جدّوها ، وأمّا الجدران يابسة فقد هدموها ؛ فقال : اذهبوا وارجعوا فلا حق لكم . وكان فيما يقرأ لهم فيهم : « إنّ بني تميم قوم طهر لِقَاحُ ، لا مكروه عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيينا بإحسان ، نمنعهم من كلّ إنسان ؛ فإذا متنا فامرهم إلى الرحمن » .

وكان يقول : « والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها . والشاء السوداء واللبن الأبيض ، إنه لعجب مخض ، وقد حرّم المذق ، فما لكم لا تمجّعون ! » .

وكان يقول : « يا ضفدع ابنة ضفدع ، نُقي ما تنقي ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين » .

وكان يقول : « والمبذرات زُرعا ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ؛ واللاقيات لقماً ، إهالة وسمناً ، لقد فضّلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدرّ ؛ ريفكم فامنعوه ، والمعتزّ فأووه ، والباغي فناوئوه » .

قال : وأتته امرأة من بني حنيفة تكنى بأمّ الهيثم فقالت : إنّ نخلنا لسحق وإن آبارنا لجُرّز ؛ فادع الله لماثنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هزّمان . فقال : يا نهار ما تقول هذه ؟ فقال : إنّ أهل هزّمان أتوا محمداً ﷺ فشكّوا بُعد مائهم ؛ - وكانت آبارهم جُرّزاً - ونخلهم أنّها سحق ، فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وأنحنت كلّ نخلة قد

انتهت حتى وضعت جرائها لانتهاؤها، فحكّت به الأرض حتى أنشبت عروقاً ثم قطعت من دون ذلك، فعادت فسيلاً مكمماً ينمى صاعداً. قال: وكيف صنع بالآبار؟ قال: دعا بسجل، فدعا لهم فيه، ثم تغمض بغمه منه، ثم مجّه فيه، فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار، ثم سقوه نخلهم، ففعل النبي ما حدثتك، وبقي الآخر إلى انتهائه. فدعا مسيلمة بدلو من ماء فدعا لهم فيه، ثم تغمض منه، ثم مجّه فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم. فغارت مياه تلك الآبار، وخوى نخلهم؛ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه.

وقال له نهار: برّك على مولودي بني حنيفة، فقال له: وما التبريك؟ قال: كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً ﷺ فحنّكه ومسح رأسه؛ فلم يؤت مسيلمة بصبي فحنّكه ومسح رأسه إلا قرع ولثغ واستبان ذلك بعد مهلكه.

وقالوا: تتبّع حيطانهم كما كان محمد ﷺ يصنع فصلّ فيها. فدخل حائطاً من حوائط اليمامة، فتوضّأ، فقال نهار لصاحب الحائط: ما يمنعك من وضوء الرحمن فتسقي به حائطك حتى يروى ويبتل، كما صنع بنو المهرية، أهل بيت من بني حنيفة - وكان رجل من المهرية قدم على النبي ﷺ فأخذ وضوءه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بئر، ثم نزع وسقى، وكانت أرضه تهوم فرويت وجزأت فلم تُلَفَ إلا خضرَاء مُهْتَرَةً - ففعل فعادت يباباً لا ينبت مرعاها.

وأناه رجلٌ فقال: ادعُ الله لأرضي فإنها مُسْبَخَةٌ؛ كما دعا محمد ﷺ لسلمي على أرضه. فقال: ما يقول يا نهار؟ فقال: قدم عليه سلمي، وكانت أرضه سبخة فدعا له، وأعطاه سجلاً من ماء، ومجّه له فيه، فأفرغه في بئر، ثم نزع، فطابت وعذبت؛ ففعل مثل ذلك فانطلق الرجل، ففعل بالسجل كما فعل سلمي، فغرقت أرضه، فما جفّ ثراها، ولا أدرك ثمرها.

وأنته امرأة فاستجلبته إلى نخل لها يدعو لها فيها، فجزّت كبائسها يوم عقرباء كلّها؛ وكانوا قد علموا واستبان لهم؛ ولكن الشقاء غلب عليهم.

كتب إليّ السريّ، قال: حدّثنا شعيب، عن سيف، عن خُليد بن ذفرة النُميريّ، عن عمير بن طلحة النُميريّ، عن أبيه، أنه جاء اليمامة، فقال: أين مُسَيْلِمَةُ؟ قالوا: مه رسول الله! فقال: لا، حتّى أراه؛ فلما جاءه، قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك؟ قال: رحمن، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب وأنّ محمداً صادق؛ ولكنّ كذاب ربيعة أحبّ إلينا من صادقٍ مُضَرٍّ، فقتل معه يوم عقرباء.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الكلبي مثله؛ إلا أنه قال: كذاب ربيعة أحبّ إليّ من كذاب مضر.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن عبيد بن عمير، عن رجل منهم، قال: لما بلغ مسيلمة دنو خالد، ضرب عسكره بعقرباء، واستنفر الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرج جماعة بن مُرارة في سرية يطلب ثاراً له في بني عامر وبني تميم قد خاف فواته، وبادر به الشغل، فأما ثاره في بني عامر فكانت حولة ابنة جعفر فيهم، فمنعوه منها، فاختلجها؛ وأما ثاره في بني تميم فنعّم أخذوا له. واستقبل

خالدُ شُرْحِبِيل بن حَسَنَة، فقدمه وأمر على المقدمة خالد بن فلان المخزومي، وجعل على المجنَّبتين زيداً وأبا حذيفة، وجعل مُسَيْلَمَة على مجنَّبيه المحكَّم والرَّجَّال، فسار خالد ومعه شُرْحِبِيل، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة، هجم على جُبَيْلَة هجوم - المقلَّل يقول: أربعين، والمكثُر يقول: ستين - فإذا هو مَجَاعَة وأصحابه، وقد غلبهم الكَرَى، وكانوا راجعين من بلاد بني عامر، قد طَوَّأ إليهم؛ واستخرجوا خَوْلَة ابنة جعفر فهي معهم، فعرَّسوا دون أصل الثنية؛ ثنية اليمامة، فوجدوهم نياماً وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم؛ فأنبهوهم، وقالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: هذا مَجَاعَة وهذه حنيفة، قالوا: وأنتم فلا حيَّاكم الله! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد، فأتوه بهم؛ فظنَّ خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتفقوه بحاجته، فقال: متى سمعتم بنا؟ قالوا: ما شَعَرْنَا بك؛ إنَّما خرجنا لثأر لنا فيمن حولنا من بني عامر وتميم، ولو فطنوا لقالوا: تلقيناك حين سمعنا بك. فأمر بهم أن يقتلوا، فجادوا كلُّهم بأنفسهم دون مَجَاعَة بن مرارة، وقالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شراً فاستبق هذا ولا تقتله؛ فقتلهم خالد وحبس مَجَاعَة عنده كالرَّهينة.

كتب إليَّ السري، قال: حدَّثنا شُعَيْب، عن سيف، عن طلحة، عن عكرمة، عن أبي هريرة، وعبد الله بن سعيد عن أبي سعيد عن أبي هريرة، قال: قد كان أبو بكر بعث إلى الرِّجَال فأتاه فأوصاه بوصيته، ثم أرسله إلى أهل اليمامة؛ وهو يرى أنه على الصدق حين أجابه. قالوا: قال أبو هريرة: جلستُ مع النبي ﷺ في رهط معنا الرِّجَال ابن عُنْفُوَة، فقال: إنَّ فيكم لرجالاً ضُرَّسَ في النار أعظم من أحد، فهلك القوم وبقيت أنا والرِّجَال، فكنت متخوفاً لها؛ حتى خرج الرِّجَال مع مُسَيْلَمَة، فشهد له بالنبوة؛ فكانت فتنة الرِّجَال أعظم من فتنة مُسَيْلَمَة، فبعث إليهم أبو بكر خالداً، فسار حتى إذا بلغ ثنية اليمامة، استقبل مَجَاعَة ابن مُرَارَة - وكان سيد بني حنيفة - في جبل من قومه، يريد الغارة على بني عامر، ويطلب دماً، وهم ثلاثة وعشرون فارساً ركباًناً قد عرَّسوا. فبيَّتهم خالد في معرَّسهم، فقال: متى سمعتم بنا؟ فقالوا: ما سمعنا بكم؛ إنَّما خرجنا لثأر بدم لنا في بني عامر. فأمر بهم خالد فضربت أعناقهم، واستحيا مَجَاعَة؛ ثم سار إلى اليمامة؛ فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين سمعوا بخالد، فنزلوا بعقرباء، فحلَّ بها عليهم - وهي طرف اليمامة دون الأموال - وريف اليمامة وراء ظهورهم. وقال شُرْحِبِيل بن مُسَيْلَمَة: يا بني حنيفة، اليومَ يومُ الغيرة، اليومَ إن هزمتم تستردفُ النساءَ سيئات، ويُنكحُن غير خطيبات؛ فقاتلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرباء، وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، فقالوا: تخشى علينا من نفسك شيئاً؟ فقال: بشس حامل القرآن أنا إذا! وكانت رايةُ الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، وكانت العرب على راياتها ومَجَاعَة أسيرٌ مع أم تميم في فُسطاطها. فجال المسلمون جَوْلَةً، ودخل أناس من بني حنيفة على أم تميم، فأرادوا قتلها، فمنعها مَجَاعَة. قال: أنا لها جارٌّ، فنعمت الحرة هي! فدفعهم عنها، وترادَّ المسلمون، فكروا عليهم؛ فانهمزت بنو حنيفة، فقال المحكَّم بن الطَّفِيل: يا بني حنيفة، ادخلوا الحديقة؛ فإني سأمنع أديباركم، فقاتل دونهم ساعة ثم قتله الله؛ قتله عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ودخل الكفار الحديقة، وقتل وحشيَّ مسيلمة، وضربه رجلٌ من الأنصار فشاركه فيه.

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، بنحو حديث سيف هذا؛ غير أنه قال: دعا خالد بمَجَاعَة ومَن أخذ معه حين أصبح، فقال: يا بني حنيفة، ما تقولون؟ قالوا: نقول: منَّا نبيٌّ ومنكم نبيٌّ؛ فعرضهم على السيف؛ حتى إذا بقي منهم رجلٌ يقال له سارية بن عامر ومَجَاعَة بن مُرَارَة، قال له سارية: أيها

الرَّجُل؛ إن كنت تريد بهذه القرية غداً خيراً أو شراً، فاستبق هذا الرجل - يعني مجاعة - فأمر به خالد فأوثقه في الحديد؛ ثم دفعه إلى أم تميم امرأته، فقال: استوصي به خيراً، ثم مضى حتى نزل اليمامة على كثيب مشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم في مقدمته الرِّجَال - قال أبو جعفر، هكذا قال ابن حميد بالحاء - بن عُنفوة بن نهشل، وكان الرِّجَال رجلاً من بني حنيفة قد كان أسلم، وقرأ سورة البقرة، فلما قدم اليمامة شهد لمسيلمة أن رسول الله ﷺ قد كان أشركه في الأمر؛ فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من مسيلمة؛ وكان المسلمون يسألون عن الرِّجَال يرجون أنه يثلم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه، فلقبهم في أوائل الناس متكتباً، وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريه، وعنده أشراف الناس والناس على مصافهم؛ وقد رأى بارقة في بني حنيفة: أبشروا يا معشر المسلمين؛ فقد كفاكم الله أمر عدوكم. واختلف القوم إن شاء الله؛ فنظر مجاعة وهو خلفه موثقاً في الحديد، فقال: كلاً والله، ولكنها الهذوانية خشوا عليها من تحطُّمها، فأبرزوها للشمس لتلين لهم؛ فكان كما قال. فلما التقى المسلمون كان أول من لقيهم الرِّجَال بن عُنفوة، فقتله الله.

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن شيخ من بني حنيفة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال يوماً - وأبو هريرة ورجال بن عُنفوة في مجلس عنده: «لضُرْسُ أحدكم أيها المجلس في النار يوم القيامة أعظم من أحد». قال أبو هريرة: فمضى القوم لسبيلهم، وبقيت أنا ورجال بن عُنفوة، فما زلت لها متخوفاً؛ حتى سمعت بمخرج رجال، فأمنت وعرفت أن ما قال رسول الله ﷺ حق.

ثم التقى الناس ولم يلقيهم حرب قط مثلها من حرب العرب؛ فاقتتل الناس قتالاً شديداً؛ حتى انهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى مجاعة وإلى خالد، فزال خالد عن فسطاطه ودخل أناس الفسطاط وفيه مجاعة عند أم تميم، فحمل عليها رجل بالسيف، فقال مجاعة: مه، أنا لها جار، فنعمت الحرّة! عليكم بالرجال، فرعبلوا الفسطاط بالسيوف. ثم إن المسلمين تداعوا، فقال ثابت بن قيس: بشما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين! اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - ثم جالد بسيفه حتى قُتل. وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم: لا تحوز بعد الرجال، ثم قاتل حتى قُتل. ثم قام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك - وكان إذا حضر الحرب أخذته العرواء حتى يقعد عليه الرجال؛ ثم ينتفض تحتهم حتى يبول في سراويله؛ فإذا بال يثور كما يثور الأسد - فلما رأى ما صنع الناس أخذه الذي كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال، فلما بال وثب، فقال: أين يا معشر المسلمين! أنا البراء بن مالك، هلم إلي! وفاءت فئة من الناس، فقاتلوا القوم حتى قتلهم الله، وخلصوا إلى مُحَكِّم اليمامة - وهو مُحَكِّم بن الطفيل فقال حين بلغه القتال: يا معشر بني حنيفة، الآن والله تُستحَقُّ الكرائم غير رضيعات، ويُنكحن غير خطيبات؛ فما عندكم من حَسَبٍ فأخرجه. فقاتل قتالاً شديداً؛ ورماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بسهم فوضعه في نحره فقتله. ثم زحف المسلمون حتى ألجؤوهم إلى الحديقة؛ حديقة الموت؛ وفيها عدو الله مسيلمة الكذاب، فقال البراء: يا معشر المسلمين، ألقوني عليهم في الحديقة. فقال الناس: لا تفعل يا براء، فقال: والله لتطرحنّ عليهم فيها؛ فاحتمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار؛ اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة، حتى فتحها للمسلمين، ودخل المسلمون عليهم فيها؛ فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة عدو الله؛

واشترك في قتله وَحْشِيٌّ مولى جُبَيْر بن مطعم ورجل من الأنصار، كلاهما قد أصابه؛ أَمَّا وَحْشِيٌّ فدفَع عليه حربته، وأَمَّا الأنصاريُّ فضرَبه بسيفه، فكان وَحْشِيٌّ يقول: رَبِّكَ أَعْلَمُ أَيْنَا قَتَلَهُ!

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: وحدَّثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعتُ رجلاً يومئذ يصْرُخُ يقول، قتله العبد الأسود!

كتبَ إلَيَّ السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن عبيد بن عمير، قال: كان الرجالُ بحِبال زيد بن الخطاب؛ فلَمَّا دنا صَفَّاهما، قال زيد: يا رجال، الله الله! فوالله لقد تركت الدين، وإن الذي أدعوك إليه لأشرفُ لك، وأكثرُ لديناك فأبى، فاجتلدا فقتل الرجال وأهل البصائر من بني حنيفة في أمر مسيلمة، فتذاَمروا وحمل كلُّ قوم في ناحيتهم؛ فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرهم، ثم أَعْرَوْهُ لهم، فقطعُوا أطناب البيوت، وهتكوها، وتشاغلو بالعسكر، وعالجوا مجاعة؛ وهَمَّوْا بِأَمِّ تميم، فأجارها، وقال: نِعَمَ أُمِّ الْمُثَوَّى! وتذاَمر زيدٌ وخالد وأبو حذيفة، وتكلَّم النَّاسُ - وكان يوم جنوب له غبار - فقال زيد: لا والله لا أتكلَّم اليوم حتى نهزمهم أو ألقي الله فأكلمه بحُجَّتِي! عَضُّوا على أضراسكم أيُّها الناس، واضربوا في عدوكم، وامضوا قَدَمًا. ففعلوا، فَرَدَّوهم إلى مصافهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عسكرهم، وقتل زيد رحمه الله. وتكلَّم ثابت فقال: يا معشر المسلمين، أنتم حزْبُ الله وهم أحزاب الشيطان، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه، أروني كما أريكم، ثم جلد فيهم حتى حازهم. وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن، زَيَّنوا القرآن بالفعَال. وحمل فحازهم حتى أنفذهم، واصيب رحمه الله، وحمل خالد بن الوليد، وقال لحماته: لا أوتين من خلفي. حتى كان بحِبال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة.

كتبَ إلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن مُبَشَّر بن الفُضَيْل، عن سالم بن عبد الله، قال: لَمَّا أُعْطِيَ سالم الراية يومئذ، قال: ما أعلمني لأَيِّ شيء أعطيتمونيها! قلت: صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات! قالوا: أجل. وقالوا: فانظر كيف تكون؟ فقال: بئس والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت! وكان صاحبُ الراية قبله عبدُ الله بن حفص بن غانم.

وقال عبد الله بن سعيد بن ثابت وابن إسحاق: فلَمَّا قال مجاعة لبني حنيفة: ولكن عليكم بالرجال؛ إذا فئة من المسلمين قد تذاَمروا بينهم فتَفَانُوا وتَفَانَى المسلمون كلهم، وتكلَّم رجال من أصحاب رسول الله ﷺ، وقال زيد بن الخطاب: والله لا أتكلَّم أو أظفر أو أقتل، واصنعوا كما أصنع أنا؛ فحمل وحمل أصحابه. وقال ثابت بن قيس: بئسما عَوَّدْتُم أنفسكم يا معشر المسلمين! هكَذَا عَنِّي حتى أريكم الجلال. وقتل زيد بن الخطاب رحمه الله.

كتبَ إلَيَّ السري، قال: حدَّثنا شعيب، عن سيف، عن مبشَّر، عن سالم، قال: قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع: ألا هلك قبل زيد! هلك زيد وأنت حي! فقال: فقد حَرَصْتُ على ذلك أن يكون، ولكن نفسي تأخَّرت، فأكرمه الله بالشهادة. وقال سهل: قال: ما جاء بك وقد هلك زيد؟ ألا وارىت وجهك عني! فقال: سأل الله الشهادة فأعطيتها، وجهدتُ أن تُسَاقَ إلَيَّ فلم أعطها.

كتبَ إلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن عبيد بن عمير: إنَّ

المهاجرين والأنصار جَبَنُوا أَهْلَ الْبُؤَادِي وَجَبَنَهُمْ أَهْلُ الْبُؤَادِي، فقال بعضهم لبعض: امتازوا كي نُسْتَحْيَا من الفرار اليوم، ونعرف اليوم من أين نؤقي! ففعلوا. وقال أهل القرى: نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية منكم، فقال لهم أهل البادية: إِنَّ أَهْلَ الْقُرَى لَا يَحْسِنُونَ الْقِتَالَ، وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحَرْبُ! فَسْتَرَوْا إِذَا امْتَرَزْنَا مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الْخُلَلُ! فامتازوا، فما رُئِيَ يوم كان أحدٌ ولا أعظم نكايَةً مما رُئِيَ يومئذٍ؛ ولم يُدْرَ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ كَانَ أَشَدَّ فِيهِمْ نَكَايَةً! إِلَّا أَنَّ الْمَصِيبَةَ كَانَتْ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَأَنَّ الْبَقِيَّةَ أَبَدًا فِي الشَّدَةِ. وَرَمَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُحَكَّمُ بِهِمْ فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَنَحَرَهُ وَقَتَلَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّجَالَ بِنِ عُنْفُوَةٍ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الضحاك بن يربوع، عن أبيه، عن رجل من بني سُحَيْمٍ قد شهدا مع خالد، قال: لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ - وَكَانَتْ يَوْمئِذٍ سِجَالًا إِنَّمَا تَكُونُ مَرَّةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَرَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ - فَقَالَ خَالِدٌ: أَيُّهَا النَّاسُ امْتَاذُوا لِنَعْلَمَ بِلَاءَ كُلِّ حَيٍّ، وَلِنَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ نَوْقُ! فامتاز أهل القرى والبوادي، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر؛ فوقف بنو كلِّ أْبٍ عَلَى رَايَتِهِمْ، فَقَاتَلُوا جَمِيعًا، فَقَالَ أَهْلُ الْبُؤَادِي يَوْمئِذٍ: الْآنَ يَسْتَحِرُّ الْقَتْلُ فِي الْأَجْزَعِ الْأَضْعَفِ، فَاسْتَحِرَّ الْقَتْلُ فِي أَهْلِ الْقُرَى، وَثَبَتَ مَسِيلِمَةُ، وَدَارَتْ رِحَاهُمْ عَلَيْهِ، فَعَرَفَ خَالِدٌ أَنَّهَا لَا تَرْكُدُ إِلَّا بِقَتْلِ مَسِيلِمَةَ؛ وَلَمْ تُخْفَلْ بَنُو حَنِيفَةَ بِقَتْلِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ. ثُمَّ بَرَزَ خَالِدٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ أَمَامَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ وَانْتَمَى، وَقَالَ: أَنَا ابْنُ الْوَلِيدِ الْعُودِ، أَنَا ابْنُ عَامِرٍ وَزَيْدٍ! وَنَادَى بِشَعَارِهِمْ يَوْمئِذٍ، وَكَانَ شَعَارُهُمْ يَوْمئِذٍ: يَا مُحَمَّدَاهُ! فَجَعَلَ لَا يَبْرُزُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

أَنَا ابْنُ أَشْيَاخٍ وَسَيْفِي السَّخْتُ أَعْظَمُ شَيْءٍ حِينَ يَأْتِيكَ النَّفْتُ

وَلَا يَبْرُزُ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا أَكَلَهُ، وَدَارَتْ رِحَا الْمُسْلِمِينَ وَطَحْنَتْ. ثُمَّ نَادَى خَالِدٌ حِينَ دَنَا مِنْ مُسِيلِمَةَ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ مَسِيلِمَةَ شَيْطَانًا لَا يَعْصِيهِ، فَإِذَا اعْتَرَاهُ أَرْبَدٌ كَأَنَّ شِدْقِيهِ رَيْبَتَانِ لَا يَهْمُ بِخَيْرٍ أَبَدًا إِلَّا صَرَفَهُ عَنْهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُ عَوْرَةً؛ فَلَا تَقِيلُوهُ الْعَوْرَةَ - فَلَمَّا دَنَا خَالِدٌ مِنْهُ طَلَبَ تِلْكَ، وَرَأَاهُ ثَابِتًا وَرِحَاهُمْ تَدُورُ عَلَيْهِ؛ وَعَرَفَ أَنَّهَا لَا تَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِهِ، فَدَعَا مَسِيلِمَةَ طَلِبًا لِعَوْرَتِهِ، فَأَجَابَهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِمَّا يَشْتَهِي مَسِيلِمَةُ، وَقَالَ: إِنْ قَبِلْنَا النَّصْفَ، فَأَيُّ الْأَنْصَافِ تَعْطِينَا؟ فَكَانَ إِذَا هُمْ بِجَوَابِهِ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ مُسْتَشِيرًا، فَبَيْنَاهَا شَيْطَانُهُ أَنْ يَقْبَلَ، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ مَرَّةً مِنْ ذَلِكَ؛ وَرَكِبَهُ خَالِدٌ فَأَرْهَقَهُ فَأَدْبَرَ، وَزَالُوا فَدَمَرَ خَالِدُ النَّاسَ، وَقَالَ: دُونَكُمْ لَا تَقِيلُوهُمْ! وَرَكِبُوهُمْ فَكَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ؛ فَقَالَ مَسِيلِمَةُ حِينَ قَامَ، وَقَدْ تَطَايَرَ النَّاسُ عَنْهُ، وَقَالَ قَائِلُونَ: فَأَيْنَ مَا كُنْتَ تَعِدُّنَا؟ فَقَالَ: قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ، قَالَ: وَنَادَى الْمُحَكَّمُ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ؛ الْحَدِيقَةُ الْحَدِيقَةُ! وَيَأْتِي وَحْشِيٌّ عَلَى مَسِيلِمَةَ وَهُوَ مُزَبَّدٌ مُتَسَانِدٌ لَا يَعْقِلُ مِنَ الْغَيْظِ، فَخَرَطَ عَلَيْهِ حَرْبَتَهُ فَقَتَلَهُ، وَاقْتَحَمَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ حَدِيقَةَ الْمَوْتِ مِنْ حَيْطَانِهَا وَأَبْوَابِهَا، فَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَحَدِيقَةُ الْمَوْتِ عَشْرَةُ آلَافٍ مَقَاتِلُ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هارون، وطلحة، عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا، وانحازت بنو حنيفَةَ تَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ؛ حَتَّى بَلَغُوا بِهِمْ إِلَى حَدِيقَةِ الْمَوْتِ، فَاخْتَلَفُوا فِي قَتْلِ مُسِيلِمَةَ عِنْدَهَا، فَقَالَ قَائِلُونَ: فِيهَا قُتِلَ، فَدَخَلُوهَا وَأَغْلَقُوهَا عَلَيْهِمْ، وَأَحَاطَ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ وَصَرَخَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، احْمَلُونِي عَلَى الْجِدَارِ حَتَّى تَطْرَحُونِي عَلَيْهِ؛ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا وَضَعُوهُ عَلَى الْجِدَارِ نَظَرَ وَأَرْعَدَ فَنَادَى: أَنْزِلُونِي، ثُمَّ قَالَ: احْمَلُونِي؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا ثُمَّ قَالَ: أَفْ هَذَا خَشِيعًا!

ثم قال: اجهلوني، فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج فدخلوا؛ فأغلق الباب عليهم، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يروا مثله، وأبهر من في الحديقة منهم؛ وقد قتل الله مسيلمة، وقالت له بنو حنيفة: أين ما كنت تعدنا! قال: قاتلوا عن أحسابكم!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هارون وطلحة وابن إسحاق، قالوا: لما صرخ الصارخ أن العبد الأسود قتل مسيلمة؛ خرج خالد بمجاعة يرشف في الحديد ليريه مسيلمة، وأعلام جنده، فأق على الرجال فقال: هذا الرجال!

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ المسلمون من مسيلمة أتى خالد فأخبر، فخرج بمجاعة يرشف معه في الحديد ليدله على مسيلمة، فجعل يكشف له القتل حتى مر بمحکم بن الطفيل - وكان رجلاً جسيماً وسيماً - فلما رآه خالد، قال: هذا صاحبكم. قال: لا، هذا والله خير منه وأكرم، هذا محكم اليمامة. قال: ثم مضى خالد يكشف له القتل حتى دخل الحديقة، فقلب له القتل؛ فإذا رؤيحل أصيفر أخينس. فقال مجاعة: هذا صاحبكم، قد فرغتم منه، فقال خالد لمجاعة: هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل، قال: قد كان ذلك يا خالد، وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس؛ وإن جماهير الناس لفي الحصون. فقال: ويلك ما تقول! قال: هو والله الحق؛ فهل لأصالحك على قومي.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الضحاك، عن أبيه، قال: كان رجل من بني عامر بن حنيفة يدعى الأغلب بن عامر بن حنيفة، وكان أغلظ أهل زمانه عنقاً؛ فلما انهزم المشركون يومئذ، وأحاط المسلمون بهم، تمأوت، فلما أثبت المسلمون في القتل أتى رجل من الأنصار يكنى أبا بصيرة ومعه نفر عليه، فلما رآوه مجذلاً في القتل وهم يحسبون قتيلاً، قالوا: يا أبا بصيرة، إنك تزعم - ولم تزل تزعم - أن سيفك قاطع، فاضرب عنق هذا الأغلب الميت، فإن قطعت فكل شيء كان يبلغنا حق، فاخترطه ثم مشى إليه ولا يرويه إلا ميتاً، فلما دنا منه ثار، فحاضره، وأتبعه أبو بصيرة، وجعل يقول: أنا أبو بصيرة الأنصاري! وجعل الأغلب يتمطر ولا يزداد منه إلا بُعداً؛ فكلما قال ذلك أبو بصيرة، قال الأغلب: كيف ترى عدو أخيك الكافر! حتى أفلت.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: لما فرغ خالد من مسيلمة والجند، قال له عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر: ارتحل بنا وبالناس فانزل على الحصون، فقال: دعاني أثبت الخيول فألقط من ليس في الحصون، ثم أرى رأيي. فبث الخيول فحووا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان، فضموا هذا إلى العسكر، ونادى بالرحيل لينزل على الحصون، فقال له مجاعة: إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس، وإن الحصون لملوءة رجالاً، فهل لك إلى الصلح على ما ورائي، فصالحه على كل شيء دون النفوس. ثم قال: أنطلق إليهم فأشاورهم ونظر في هذا الأمر؛ ثم أرجع إليك. فدخل مجاعة الحصون، وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيمة فانية، ورجال ضعفي فظاهر الحديد على النساء وأمرهن أن ينشرن شعورهن، وأن يشرفن على رؤوس الحصون حتى يرجع إليهن؛ ثم رجع فأق خالداً فقال: قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت، وقد أشرف لك بعضهم نقضاً عليّ وهم مني براء. فنظر خالد إلى رؤوس الحصون وقد

اسودّت، وقد نهكت المسلمين الحرب، وطال اللقاء؛ وأحبوا أن يرجعوا على الظفر، ولم يدروا ما كان كائناً لو كان فيها رجال وقتال، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبه المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون. قال سهل: ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلاثمائة من هؤلاء وثلاثمائة من هؤلاء؛ ستمائة أو يزيدون. وقتل ثابت بن قيس يومئذ؛ قتله رجل من المشركين قطعت رجله، فرمى بها قاتله فقتله، وقتل من بني حنيفة في الفضاء بعقرباء سبعة آلاف، وفي حديقه الموت سبعة آلاف؛ وفي الطلب نحو منها.

وقال ضرار بن الأزور في يوم اليمامة:

ولو سُئِلْتُ عَنَّا جَنُوبُ لَأُخْبِرْتُ	عَشِيَّةً سَأَلَتْ عَقْرَبَاءُ وَمَلَهُمْ
وسال بفرع الوادِ حتى تَرَفَّرَتْ	حجارتُه فيها من القوم بالدم
عَشِيَّةً لا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا	ولا النِّبْلُ إِلَّا المَشْرِفِيُّ المُصَمَّمُ
فإن تَبَتَّغِي الكُفَّارَ غير مُلِيمَةٍ	جَنُوب، فَإِنِّي تابعُ الدين مُسْلِمُ
أجاهد إذ كان الجهادُ غَنِيمَةً	وللَّه بالمِرء المجاهدِ أعلمُ

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قال مجاعة لخالد ما قال إذ قال له: فهلّم لأصالحك عن قومي لرجل قد نهكته الحرب، وأصيب معه من أشراف الناس من أصيب؛ فقد رق وأحب الدعة والصلح. فقال: هلّم لأصالحك، فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة ونصف السبي. ثم قال: إني آتي القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت. قال: فانطلق إليهم، فقال للنساء: ألبسن الحديد ثم أشرفن على الحصون، ففعلن. ثم رجع إلى خالد، وقد رأى خالد الرجال فيما يرى على الحصون عليهم الحديد. فلمّا انتهى إلى خالد، قال: أبوا ما صالحتك عليه، ولكن إن شئت صنعت لك شيئاً، فعزمت على القوم. قال: ما هو؟ قال: تأخذ مني ربع السبي وتدع ربعاً. قال خالد: قد فعلت، قال: قد صالحتك، فلمّا فرغا فتحت الحصون، فإذا ليس فيما إلا النساء والصبيان، فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني! قال: قومي: ولم أستطع إلا ما صنعت.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، قال: قال مجاعة يومئذ ثانية: إن شئت أن تقبل مني نصف السبي والصفراء والبيضاء والحلقة والكراع عزمت وكتبت الصلح بيني وبينك. ففعل خالد ذلك، فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع وعلى نصف السبي وحائط من كل قرية يختاره خالد، ومزرعة يختارها خالد. فتقاضوا على ذلك، ثم سرّحه، وقال: أنتم بالخيار ثلاثاً؛ والله لئن تئمتوا وتقبلوا لأنهذن إليكم، ثم لا أقبل منكم خصلة أبداً إلا القتل. فأتاهم مجاعة فقال: أمّا الآن فاقبلوا، فقال سلمة بن عمير الحنفي: لا والله لا نقبل؛ نبعث إلى أهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضي خالداً، فإن الحصون حصينة والطعام كثير، والشتاء قد حضر. فقال مجاعة: إنك امرؤ مشؤوم، وغرك أني خدعت القوم حتى أجابوني إلى الصلح، وهل بقي منكم أحد فيه خير، أو به دفع! وإنما أنا بادرتم قبل أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن مسيلة، فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالداً، فقال: بعد شد ما رضوا؛ اكتب كتابك، فكتب:

هذا ما قاضي عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلانا وفلاناً؛ قاضاهم على

الصُّفْرَاءَ وَالْبَيْضَاءَ وَنِصْفَ السَّبْيِ وَالْحَلْقَةَ وَالْكَرَاعَ وَحَائِطَ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ وَمَزْرَعَةً؛ عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوا. ثُمَّ أَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ؛ وَلَكُمْ ذِمَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَذِمَّةُ أَبِي بَكْرٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْوَفَاءِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا صَالَحَ خَالِدٌ مَجَاعَةً؛ صَالَحَهُ عَلَى الصُّفْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْحَلْقَةِ وَكُلِّ حَائِطٍ رِضَانًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَنِصْفِ الْمَمْلُوكِينَ. فَأَبَوْا ذَلِكَ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَنْتَ بِالْخِيَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ، قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ، وَلَا تَصَالِحُوا عَلَى شَيْءٍ، فَإِنَّ الْحِصْنَ حَصِينَ، وَالطَّعَامَ كَثِيرٌ وَقَدْ خَضَرَ الشِّتَاءُ. فَقَالَ مَجَاعَةٌ: يَا بَنِي حَنِيفَةَ، أَطِيعُونِي وَاعْصُوا سَلَمَةَ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَشُورٌ، قَبْلَ أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا قَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ مَسِيلَمَةَ «قَبْلَ أَنْ تُسْتَرْدَفَ النِّسَاءُ غَيْرَ رِضِيَّاتٍ، وَيَنْكُحْنَ غَيْرَ خَطِيْبَاتٍ». فَأَطَاعُوهُ وَعَصَوْا سَلَمَةَ، وَقَبِلُوا قَضِيَّتَهُ. وَقَدْ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكِتَابٍ إِلَى خَالِدٍ مَعَ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْصَحَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، فَقَدِمَ فَوَجَدَهُ قَدْ صَالَحَهُمْ، فَوَفَّى لَهُمْ، وَتَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَحُشِرَتْ بَنُو حَنِيفَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَى خَالِدٍ، وَخَالِدٌ فِي عَسْكَرِهِ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ لِمَجَاعَةٍ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى خَالِدٍ أَكَلِّمَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ عِنْدِي وَنَصِيحَةٍ - وَقَدْ أَجْمَعَ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ - فَكَلَّمَهُ فَأَذِنَ لَهُ، فَأَقْبَلَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ، مُشْتَمِلًا عَلَى السَّيْفِ يَرِيدُ مَا يَرِيدُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْمَقْبِلُ؟ قَالَ مَجَاعَةٌ: هَذَا الَّذِي كَلَّمْتِكَ فِيهِ، وَقَدْ أَذِنْتَ لَهُ، قَالَ: أَخْرِجْهُ عَنِّي؛ فَأَخْرَجُوهُ عَنْهُ، فَفَتَشَوْهُ فَوَجَدُوا مَعَهُ السَّيْفَ، فَلَعَنُوهُ وَشَتَمُوهُ وَأَوْثَقُوهُ، وَقَالُوا: لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَهْلِكَ قَوْمُكَ، وَابِمِ اللَّهِ مَا أَرَدْتَ إِلَّا أَنْ تُسْتَأْصَلَ بَنُو حَنِيفَةَ، وَتَسْبَى الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ؛ وَابِمِ اللَّهِ لَوْ أَنَّ خَالِدًا عَلِمَ أَنَّكَ حَمَلْتَ السَّلَاحَ لَقَتَلْتِكَ، وَمَا نَأْمَنُهُ إِنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ أَنْ يَقْتُلَكَ وَأَنْ يَقْتُلَ الرِّجَالَ وَيَسْبِيَ النِّسَاءَ بِمَا فَعَلْتَ؛ وَيَحْسَبُ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ مَلَأٍ مَنَّا. فَأَوْثَقُوهُ وَجَعَلُوهُ فِي الْحِصْنِ؛ وَتَتَابَعَ بَنُو حَنِيفَةَ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ، وَعَاهَدَهُمْ سَلَمَةُ عَلَى أَلَّا يُحْدِثَ حَدَثًا وَيَعْفُوهُ، فَأَبَوْا وَلَمْ يَثْقُوا بِحُكْمِهِ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ عَهْدًا، فَأَفْلَتَ لَيْلًا؛ فَعَمِدَ إِلَى عَسْكَرِ خَالِدٍ، فَصَاحَ بِهِ الْحَرَسُ، وَفَزَعَتْ بَنُو حَنِيفَةَ، فَاتَّبَعُوهُ فَأَدْرَكَوهُ فِي بَعْضِ الْحَوَائِطِ، فَشَدَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ؛ فَانْكَتَفَوْهُ بِالْحِجَارَةِ، وَأَجَالَ السَّيْفَ عَلَى حَلْقِهِ فَقَطَعَ أَوْدَاجَهُ، فَسَقَطَ فِي بَثْرِ فَمَاتَ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ يَرْبُوعٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَالَحَ خَالِدُ بْنُ حَنِيفَةَ جَمِيعًا إِلَّا مَا كَانَ بِالْعَرَضِ وَالْقَرْيَةِ فَإِنَّهُمْ سُبُوا عِنْدَ انْبِثَاطِ الْغَارَةِ، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مِمَّنْ جَرَى عَلَيْهِ الْقِسْمُ بِالْعَرَضِ وَالْقَرْيَةِ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ أَوْ قَيْسَ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَوْ يَشْكُرَ، خَمْسَمِائَةَ رَأْسٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا قَالَ لِمَجَاعَةٍ: زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ، فَقَالَ لَهُ مَجَاعَةٌ: مَهْلًا، إِنَّكَ قَاطِعَ ظَهْرِي وَظَهْرَكَ مَعِيَ عِنْدَ صَاحِبِكَ. قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، زَوِّجْنِي؛ فزَوَّجَهُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَقْطُرُ الدَّمُ: لِعُمَيْرِ بْنِ أُمِّ خَالِدٍ، إِنَّكَ لِفَارِغُ تَنْكِحِ النِّسَاءَ وَبِفَنَاءِ بَيْتِكَ دَمُ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُجَفَّفْ بَعْدُ! قَالَ: فَلَمَّا نَظَرَ خَالِدٌ فِي الْكِتَابِ جَعَلَ يَقُولُ: هَذَا عَمَلُ الْأَعْيَسِ - يَعْنِي عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ - وَقَدْ بَعَثَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَفَدَّ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: وَيَحْكُمُ! مَا هَذَا الَّذِي اسْتَزَلَّ مِنْكُمْ مَا اسْتَزَلَّ! قَالُوا: يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ؛ قَدْ كَانَ الَّذِي بَلَغَكَ مِمَّا أَصَابَنَا كَانَ أَمْرًا لَمْ يَبَارِكْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ وَلَا لِعَشِيرَتِهِ فِيهِ، قَالَ: عَلَى ذَلِكَ، مَا الَّذِي دَعَاكُمْ بِهِ! قَالُوا: كَانَ يَقُولُ: «يَا ضِفْدَعُ نَقِّي نَقِّي، لَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ، وَلَا الْمَاءَ تَكْذَرِينَ؛ لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ، وَلَقَرِيشُ نِصْفِ الْأَرْضِ؛ وَلَكِنْ قَرِيشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ».

قال أبو بكر: سبحان الله! ويحكم! إن هذا لكلام ما خرج من إل ولا بر، فأين يُذهب بكم! فلما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة - وكان منزله الذي به التقى الناس أباض، واد من أودية اليمامة. ثم تحوّل إلى وادٍ من أوديتها يقال له الوبر - كان منزله بها.

ذكر خبر أهل البحرين وردة الحطّم ومن تجمّع معه بالبحرين

قال أبو جعفر: وكان فيما بلغنا من خبر أهل البحرين وارتداد من ارتدّ منهم ما حدّثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمّي يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا سيف، قال: خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين؛ وكان من حديث البحرين أنّ النبي ﷺ والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد، ثم مات المنذر بعد النبي ﷺ بقليل، وارتدّ بعده أهل البحرين، فأما عبد القيس ففأ، وأما بكر فتّمّت على ردتها؛ وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود حتى فاءوا.

حدّثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عمّي، قال: أخبرنا سيف، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: قدّم الجارود بن المعلّى على النبي ﷺ مرتداً، فقال: أسلم يا جارود، فقال: إنّ لي ديناً، قال له النبي ﷺ: إنّ دينك يا جارود ليس بشيء، وليس بدين؛ فقال له الجارود: فإنّ أنا أسلمت فما كان من تبعه في الإسلام فعليك؟ قال: نعم. فأسلم ومكث بالمدينة حتى فقه. فلما أراد الخروج، قال: يا رسول الله، هل نجد عند أحد منكم ظهراً تبليغ عليه؟ قال: ما أصبح عندنا ظهر، قال: يا رسول الله؛ إنّنا نجد بالطريق ضوأل من هذه الضوأل، قال: تلك حرّ النار، فإياك وإياها. فلما قدم على قومه دعاهم إلى الإسلام فأجابوه كلّهم، فلم يلبث إلّا يسيراً حتى مات النبي ﷺ. فقالت عبد القيس: لو كان محمد نبياً لما مات؛ وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم، ثم قام فخطبهم، فقال: يا معشر عبد القيس؛ إني سائلكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه ولا تحبوني إن لم تعلموا. قالوا: سلّ عمّا بدا لك، قال: تعلمون أنّه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترونه؟ قالوا: لا بل نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإنّ محمداً ﷺ مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله؛ وأنك سيّدنا وأفضلنا. وثبتوا على إسلامهم، ولم يبسطوا ولم يُبسط إليهم وخلّوا بين سائر ربيعة وبين المنذر والمسلمين، فكان المنذر مشتغلاً بهم حياته، فلما مات المنذر حُصِر أصحاب المنذر في مكانين حتى تنقّذهم العلاء.

قال أبو جعفر: وأما ابن إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدّثنا به ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه، قال: لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة بعث أبو بكر رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي. وكان العلاء هو الذي كان رسول الله ﷺ بعثه إلى المنذر بن ساوى العبدي، فأسلم المنذر، فأقام بها العلاء أميراً لرسول الله ﷺ، فمات المنذر بن ساوى بالبحرين بعد متوفّي رسول الله ﷺ، وكان عمرو بن العاص بعمان، فتوفّي رسول الله ﷺ وعمرو بها فأقبل عمرو، فمرّ بالمنذر بن ساوى وهو بالموت فدخل عليه فقال المنذر له: كم كان رسول الله ﷺ يجعل للميت من المسلمين من ماله عند وفاته؟ قال عمرو: فقلت له: كان يجعل له الثلث؛ قال: فما ترى لي أن

أصنع في ثلث مالي؟ قال عمرو: فقلت له: إن شئت قسمته في أهل قرابتك، وجعلته في سبيل الخير؛ وإن شئت تصدقت به فجعلته صدقةً مُحَرَّمَةً تجري من بعدك على مَنْ تصدقت به عليه. قال: ما أحب أن أجعل من مالي شيئاً محرماً كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ولكن أقسمه، فأنفذه على مَنْ أوصيتُ به له يصنع به ما يشاء.

قال: فكان عمرو يعجب لها من قوله. وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتدت من العرب، إلا الجارود بن عمرو بن حنش بن مُعلًى؛ فإنه ثبت على الإسلام ومن معه من قومه، وقام حين بلغته وفاة رسول الله ﷺ وارتداد العرب، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأكفر من لا يشهد. واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدت، فقالوا: نردُّ الملك في آل المنذر، فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يُسمى الغرور، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلِبهم السيف: لستُ بالغرور؛ ولكني المغرور.

حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف، عن إسماعيل بن مسلم، عن عمير بن فلان العبدي، قال: لما مات النبي ﷺ خرج الحطُم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة، ومن تأشب إليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافراً، حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسابجة، وبعث بعثاً إلى دارين، فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينه وبينهم، وكانوا مخالفين لهم، يمدون المنذر والمسلمين؛ وأرسل إلى الغرور بن سويد، أخي النعمان بن المنذر؛ فبعثه إلى جوائى، وقال: اثبت، فإنني إن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالخير. وبعث إلى جوائى، فحصرهم وألحوا عليهم فاشتد على المحصورين الحصر، وفي المسلمين المحصورين رجل من صالح المسلمين يقال له عبد الله بن حذف؛ أحد بني أبي بكر بن كلاب، وقد اشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا أن يهلكوا. وقال في ذلك عبد الله بن حذف:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً	وفتيان المدينة أجمعيناً
فهل لكم إلى قوم كرام	فعود في جوائى مُحَصِّرِينَا
كأن دماءهم في كل فج	شعاع الشمس يعشي الناظرينا
توكلنا على الرحمن إننا	وجدنا الصبر للمتوكلينا

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية بن بلال، عن سَهْم بن منجاب، عن منجاب بن راشد، قال: بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين؛ فلما أقبل إليها؛ فكان بخيال اليمامة، لحق به ثمامة بن أثال في مسلمة بني حنيفة من بني سُحَيْم ومن أهل القرى من سائر بني حنيفة، وكان متلذداً، وقد ألحق عكرمة بُعْمان ثم مهرة، وأمر شرحبيل بالمقام حيث انتهى إلى أن يأتيه أمر أبي بكر، ثم يغاور هو وعمرو بن العاص أهل الردة من قضاة. فأما عمرو بن العاص فكان يغاور سعداً وولياً وأمر هذا بكلب ولقها، فلما دنا منا ونحن في عليا البلاد لم يكن أحد له فرس من الرباب وعمرو بن تميم إلا جنبه، ثم استقبله؛ فأما بنو حنظلة فإنهم قدموا رجلاً وأخروا أخرى. وكان مالك بن نويرة في البطاح ومعه جموع يساجلنا ونساجله. وكان وكيع بن مالك في القرعاء معه جموع يساجل عمرا وعمرو يساجله، وأما سعد بن زيد مناة فإنهم كانوا فرقتين؛ فأما عوف والأبناء فإنهم أطاعوا الزبرقان بن بدر، فثبتوا على إسلامهم وتووا وذُبو عنه؛ وأما

المقاعس والبُطون فإنَّها أصاها ولم يتابعا؛ إلَّا ما كان من قيس بن عاصم؛ فإنَّه قَسَمَ الصدقات التي كانت اجتمعت إليه في المقاعس والبُطون حين شُخص الزُّبرقان بصدقاتِ عَوْفٍ والأبناء؛ فكانت عوف والأبناء مشاغل بالمقاعس والبُطون. فلمَّا رأى قيس بن عاصم ما صنعت الرِّباب وعمرو من تلقى العلاء نديم على ما كان فرط منه، فتلقَّى العلاء بإعداد ما كان قسم من الصدقات، ونزع عن أمره الَّذي كان همُّ به، واستاق حتى أبلغها إياه، وخرج معه إلى قتال أهل البحرين؛ وقال في ذلك شعراً كما قال الزُّبرقان في صدقته حين أبلغها أبا بكر؛ وكان الذي قال الزُّبرقان في ذلك:

وَفَيْتُ بِأَذْوَادِ الرُّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ
مَعاً وَمَنْعَنَاهَا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
فَأَذَيْتُهَا كَيْ لَا أَخُونَ بِذِمَّتِي
أَرَدْتُ بِهَا التَّقْوَى وَمَجَّدَ حَدِيثُهَا
وإني لَمِنْ حَيٍّ إِذَا عُدَّ سَعْيُهُمْ
أَصَاغِرُهُمْ لَمْ يَضْرَعُوا وَكَبَارُهُمْ
وَمِنْ رَهْطٍ كُنَادٍ تَوَفَّيْتُ ذِمَّتِي
وَاللَّهِ مُلْكٌ قَدْ دَخَلْتُ وَفَارَسَ
فَفَرَّجْتُ أَوْلَاهَا بِنَجْلَاءِ ثَرَّةٍ
وَمَشْهَدٍ صِدْقٍ قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَكُنْ
أَرَى رَهْبَةً الْأَعْدَاءِ مِنِّي جَرَاءَةً

وقال قيس عند استقبال العلاء بالصدقة:

أَلَا أُبْلِغَا عَنِّي قَرِيشاً رِسَالَةً
حَبَوْتُ بِهَا فِي الدَّهْرِ أَعْرَاضَ مَنَقَرٍ
وَجَدْتُ أَبِي وَالْخَالَ كَانَا بِنَجْوَةٍ
إِذَا مَا أَتَتْهَا بَيْنَاتُ الْوُدَاعِ
وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ
بِقَاعٍ فَلَمْ يَحْلُلْ بِهَا مَنْ أَدَاغُ

فأكرمه العلاء، وخرج مع العلاء بن عمرو وسعد الرِّباب مثل عسكره، وسلك بنا الدَّهْناء؛ حتى إذا كنا في بُحْبُوحَتِهَا وَالْحَنَانَاتِ وَالْعَرَافَاتِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وأراد الله عزَّ وجلَّ أَنْ يَرَيْنَا آيَاتَهُ نَزَلَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالنَّزُولِ، فَتَفَرَّتِ الْإِبِلُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ؛ فَمَا بَقِيَ عِنْدَنَا بَعِيرٌ وَلَا زَادٌ وَلَا مَزَادٌ وَلَا بِنَاءٌ إِلَّا ذَهَبَ عَلَيْهَا فِي عَرْضِ الرَّمْلِ، وَذَلِكَ حِينَ نَزَلَ النَّاسُ، وَقَبْلَ أَنْ يَحْطُوا؛ فَمَا عَلِمْتُ جَمْعاً هَجَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغَمِّ مَا هَجَمَ عَلَيْنَا وَأَوْصَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، وَنَادَى مَنَادِي الْعَلَاءِ: اجْتَمِعُوا، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي ظَهَرَ فِيكُمْ وَغَلَبَ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالَ النَّاسُ: وَكَيْفَ نَلَامُ وَنَحْنُ إِنْ بَلَّغْنَا غَدًا لَمْ نَحْمِ شَمْسُهُ حَتَّى نَصِيرَ حَدِيثًا! فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ لَا تُرَاعُوا، أَلَسْتُمْ مُسْلِمِينَ! أَلَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! أَلَسْتُمْ أَنْصَارَ اللَّهِ! قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَأَبْشُرُوا؛ فَوَاللَّهِ لَا يَخْذُلُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكُمْ. وَنَادَى الْمَنَادِي بِصَلَاةِ الصَّبْحِ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ فَصَلَّى بِنَا، وَمَنَا الْمُتَيْمِّمُ، وَمَنَا مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى طُهُورِهِ؛ فَلَمَّا

قضى صلاته جثا لِرُكْبَتَيْهِ وَجَثَا النَّاسَ، فنصب في الدَّعاء ونصبوا معه؛ فلمع لهم سراب الشمس؛ فالتفت إلى الصَّفِّ، فقال: رائد ينظر ما هذا؟ ففعل ثم رجع، فقال: سراب، فأقبل على الدَّعاء، ثم لمع لهم آخر فكذلك، ثم لمع لهم آخر، فقال: ماء، فقام وقام الناس، فمشينا إليه حتى نزلنا عليه، فشربنا واغتسلنا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تُكَرِّد من كلِّ وجه، فأناخت إلينا، فقام كلُّ رجل إلى ظهره، فأخذها، فما فقدنا سِلْكَاً. فأرويناها وأسقينها العَلَل بعد النَهْل؛ وَتَرَوِينَا ثم تَرَوِينَا. وكان أبو هريرة رفيقي - فلما غَبْنَا عن ذلك المكان، قال لي: كيف علمك بموضع ذلك الماء؟ فقلت: أنا من أهدي العرب بهذه البلاد قال: فكن معي حتى تقيمني عليه، فكررتُ به، فأتيت به على ذلك المكان بعينه؛ فإذا هو لا غدير به، ولا أثر للماء، فقلت له: والله لولا أنني لا أرى الغدير لأخبرتكَ أن هذا هو المكان؛ وما رأيت بهذا المكان ماءً ناعماً قبل اليوم؛ وإذا إداوة مملوءة، فقال: يا أبا سهم، هذا والله المكان؛ ولهذا رجعت ورجعت بك. وملأت إداوتي ثم وضعتها على شفيره، فقلت: إن كانَ مَنْ من المَنِّ وكانت آية عرفتْها؛ وإن كان غيائاً عرفته؛ فإذا مَنْ من المَنِّ، فحمد الله، ثم سرنا حتى نزل هَجَرَ. قال: فأرسل العلاء إلى الجارود ورجل آخر أن انضما في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما؛ وخرج هو فيمَن جاء معه وفيمَن قَدِم عليه؛ حتى ينزل عليه مما يلي هَجَرَ، وتجمَّع المشركون كلُّهم إلى الحطم إلا أهل دارين، وتجمَّع المسلمون كلُّهم إلى العلاء بن الحضرمي، وخندق المسلمون والمشركون، وكانوا يتراوون القتال ويرجعون إلى خندقهم؛ فكانوا كذلك شهراً؛ فبينما الناس ليلة إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة؛ كأنها ضوضاء هزيمة أوقال، فقال العلاء: مَنْ يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبدالله بن حذَف: أنا آتيكم بخبر القوم - وكانت أمه عجَلِيَّة - فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه، فقالوا له: مَنْ أنت؟ فانتسب لهم، وجعل ينادي: يا أَبَجْرَاه! فجاء أبجر بن بُجَيْر، فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال: لا أَضِيعَنَّ الليلة بين اللِّهَازِم! عَلَامَ أَقْتَل وحوالي عساكر من عَجَل وتيم اللات وقيس وعَنْزَةَ! أيتلاعب بي الحطم ونزاع القبائل وأنتم شهود! فتخلَّصه، وقال: والله إني لأظنك بش ابن الأخت لأخوالك الليلة! فقال: دَعْنِي من هذا وأطعمني؛ فَإِنِّي قد متُّ جوعاً. فقرب له طعاماً؛ فأكل ثم قال: زَوِّدني واحملني وجَوِّزني أنطلق إلى طَيْتِي. ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب، ففعل وحمله على بعير، وزَوِّده وجَوِّزه؛ وخرج عبدالله بن حذَف حتى دخل عسكر المسلمين، فأخبرهم أن القوم سُكَارَى، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عليهم عسكرهم، فوضعوا السيوف فيهم حيث شاؤوا، واقتحموا الخندق هُرَاباً، فمترد، وناج ودَهْش، ومقتول أو مأسور، واستولى المسلمون على ما في العسكر؛ لم يفلت رجل إلا بما عليه؛ فأما أبجر فأفلت، وأما الحطم فإنه بَعِل ودَهْش، وطار فؤاده؛ فقام إلى فرسه - والمسلمون خلاهم يُجُوسُونهم - ليركبه؛ فلما وضع رجله في الركاب انقطع به، فمرَّ به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم، والحطم يستغيث ويقول: ألا رجلٌ مِنْ بني قيس بن ثعلبة يَعمَلني! فرفع صوته، فعرف صوته، فقال: أبو ضُبَيْعَة! قال: نعم، قال: أعطني رِجْلَكَ أَعْقِلْكَ، فأعطاه رِجْلَهُ يعقله، فنَفَحَهَا فأطنها من الفَخْدِ، وتركه، فقال: أجهز عليّ، فقال: إني أحبُّ ألا تموت حتى أمضُك. - وكان مع عفيف عدّة من ولد أبيه، فأصيبوا ليلتئذ - وجعل الحطم لا يمرُّ به في الليل أحدٌ من المسلمين إلا قال: هل لك في الحطم أن تقتله؟ ويقول: ذاك لمن لا يعرفه، حتى مرَّ به قيس بن عاصم، فقال له ذلك، فمال عليه فقتله، فلما رأى فِخْذَهُ نادرةً، قال: واسوأته! لو علمت الذي به لم أحرَّكه؛ وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم،

فاتَّبِعُوهم ، فَلَحقَ قَيسُ بنَ عاصِمٍ أبَجَرَ - وكانَ فرسٌ أبجَرُ أَقوى منَ فرسِ قَيسٍ - فَلَمّا خَشِيَ أنْ يَفوتَهُ طَعنُهُ في العُرُقوبِ فَقَطَعَ العَصَبَ ، وَسَلِمَ النِّسَاءُ ؛ فَكانت رادّةً ، وقالَ عُفَيفُ بنُ المَندرِ :

فإنْ يَرَقَأَ العُرُقوبُ لا يَرَقَأُ النِّسَاءُ وما كُلُّ مَنْ يَهْوى بِذلكَ عالِمٌ
ألمَ تَرَ أنّا قدَ فَلَلنا حُماتَهُم بأسْرَةٍ عَمرو والرِّبابِ الأكْرامِ

وأَسَرَ عُفَيفُ بنُ المَندرِ الغُرورَ بنَ سويدٍ ، فَكَلَمَتُهُ الرِّبابُ فيه ، وكانَ أبوه ابنُ أُختِ التَّيمِّ ، وسأَلوه أنْ يُجِيرَهُ ، فَقالَ للعَلاءِ : إني قدَ أَجَرْتُ هذا ، قالَ : وَمَنْ هذا؟ قالَ : الغُرورُ ، قالَ : أنتَ غَرَرْتَ هؤُلاءِ ، قالَ : أيُّها المَلِكُ ، إني لَسْتُ بالغُرورِ ؛ ولكِنِّي المَغرورُ ، قالَ : أَسَلِمُ ، فَأَسَلِمَ وبَقِيَ بهَجَرَ ، وكانَ اسمُهُ الغُرورُ ، وَليسَ بَلَقِبَ ؛ وقَتَلَ عُفَيفُ المَندرَ بنَ سويدٍ ، أخا الغُرورِ لأمِّه ، وأَصْبَحَ العَلاءُ فَقَسَمَ الأنفالَ ، ونَفَلَ رَجالاً منَ أَهلِ البَلاءِ ثياباً ، فَكانَ فيمَن نَفَلَ عُفَيفُ بنُ المَندرِ وقَيسُ بنُ عاصِمٍ وثِمامَةُ بنُ أثالَ ؛ فَأَما ثِمامَةُ فَنَفَلَ ثياباً فيها خَميصَةٌ ذاتُ أعلامٍ ، كانَ الحُطَمُ يُباهي فيها ، وباعَ الثيابَ . وقَصَدَ عَظُمُ الفُلالِ لدارينَ ، فَرَكبوا فيها السَفنَ ، وَرجَعَ الآخَرونَ إلى بِلادِ قومِهِم ؛ فَكَتَبَ العَلاءُ بنُ الحَضْرَمِيِّ إلى مَنْ أَقامَ على إِسلامِهِ منَ بَكرِ بنِ وائِلَ فيهِم ، وأرسلَ إلى عُتَيِّبَةَ بنِ النِّهَّاسِ وإلى عامِرِ بنِ عبدِ الأسودِ بَلزومَ ما هُمَ عليه والقَعودَ لأهلِ الرِّدَّةِ بِكُلِّ سَبيلٍ ، وأَمَرَ مِسْمَعاً بِمِبادرتِهِم ، وأرسلَ إلى خَصَفَةَ التَّمِيمِيِّ والمُثَنَّى بنِ حارِثَةَ الشَّيبانيِّ ، فَأَقاموا لأولئِكَ بالطريقِ ، فَمَنِمَ مَنْ أَنابَ ، فقبَلوا مِنْهُ واشتَمَلوا عليه ؛ وَمَنِمَ مَنْ أبى وَلَجَ فَمَنَعَ مِنَ الرُّجوعِ ، فَرَجَعوا عَوَدَهُم على بَدَنِهِم ؛ حتّى عَبَرُوا إلى دارينَ ، فَجَمَعَهُم اللهُ بها ، وقالَ في ذلكَ رَجُلٌ مِنْ بني ضُبَيْعَةَ بنِ عَجَلٍ ، يَدْعَى وهباً ، يَعرِفُ مَنْ ارْتَدَّ مِنْ بَكرِ بنِ وائِلَ :

ألمَ تَرَ أنّ اللهُ يَسْبِكُ خَلْقَهُ فَيَخْبِثُ أَقْواماً وَيَصْفُو مَعْشَرَ
لَحَى اللهُ أَقْواماً أَصَيَّوا بِخَنَعَةٍ أَصابَهُمُ زَيْدُ الضَّلالِ وَمَعْمَرُ!

ولم يَزَلِ العَلاءُ مَقِيماً في عِسكرِ المُشْرِكينَ حتّى رَجَعَتْ إليه الكُتُبُ مِنْ عِندِ مَنْ كانَ كَتَبَ إليه مِنْ بَكرِ بنِ وائِلَ ، وَبَلَغَهُ عَنْهُمُ القِيامُ بِأَمْرِ اللهِ ، والغَضَبُ لِدِينِهِ ، فَلَمّا جَاءَهُ عَنْهُمُ مِنْ ذلكَ ما كانَ يَشْتَهِي ، أيقَنَ أَنَّهُ لَنْ يَؤُوقَ مِنْ خَلْفِهِ بَشِيءَ يَكرَهُه على أَحَدٍ مِنْ أَهلِ البَحْرينِ ، وَنَدَبَ النَّاسَ إلى دارينَ ، ثُمَّ جَمَعَهُمُ فَخَطَبَهُمُ ، وقالَ : إنّ اللهُ قدَ جَمَعَ لَكُم أَحْزابَ الشَّياطِينِ وشَرَّدَ الحَرْبَ في هذا البَحْرِ ؛ وَقَدْ أَراکُم مِنْ آياتِهِ في البَرِّ لَتَعتَبَروا بها في البَحْرِ ، فَانْهَضُوا إلى عَدُوِّكُمْ ، ثُمَّ اسْتَعْرِضُوا البَحْرَ إِلَيْهِم ، فَإِنَّ اللهَ قدَ جَمَعَهُمُ ، فَقالوا : نَفْعُ لا نَهابَ واللهُ بَعْدَ الدَّهْناءِ هَولاً ما بَقِينا .

فارتَحَلوا وارْتَحَلوا ، حتّى إذا أَتى سَاحِلَ البَحْرِ اقْتَحَمُوا على الصَّاهِلِ ، والجامِلِ ، والشاحِجِ والنَّاهِقِ ؛ والراكِبُ والرَّاجِلُ ، ودَعَا ودَعَوْا ؛ وكانَ دَعَاؤُهُ ودَعَاؤُهُمُ : يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ ، يا كَرِيمَ ، يا حَلِيمَ ، يا أَحَدَ ، يا صَمَدَ يا حَيَّ يا مُحْيِي المَوْتِ ، يا حَيَّ يا قَيُومَ ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ يا رَبَّنَا . فَأَجازوا ذلكَ الخَلِيجَ بِإِذْنِ اللهِ جَميعاً يَمشُونَ على مِثْلِ رَمْلَةٍ مِثْلاءَ ، فوَقَّها ماءٌ يَغْمُرُ أَخْفافَ الإِبِلِ ، وَإِنَّ ما بَينَ السَّاحِلِ وَدارينَ مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَليلَةٍ لَسُفُنُ البَحْرِ في بَعضِ الحَالاتِ ، فَالتَقَوْا بِها ، واقتَتَلوا قَتالاً شَدِيداً ، فَمَّا تَرَكَوا بِها مُخْجَراً وَسَبَّوا الدَّراريَّ ، واستاقوا الأَموالَ ؛ فَبَلَغَ نَفْلُ الفارِسِ سِتَّةَ آلافَ ، والرَّاجِلُ أَلْفينَ ، قَطَعُوا ليلَهُمُ وساروا يَوْمَهُمُ ؛ فَلَمّا فَرَّغوا رَجَعوا عَوَدَهُمُ على بَدَنِهِمُ

حتى عَبَرُوا، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ وَأَنْزَلَ بِالْكَفَّارِ إِحْدَى الْجَلَائِلِ !
دَعَوْنَا الَّذِي شَقَّ الْبَحَارَ فَجَاءَنَا بِأَعْجَبٍ مِنْ فَلَقِ الْبَحَارِ الْأَوَائِلِ

ولما رجع العلاء إلى البحرين، وضرب الإسلام فيها بِجِرَانِهِ، وعَزَّ الإسلامُ وأهله، وذَلَّ الشُّرْكُ وأهله؛ أقبل الَّذِينَ في قلوبهم ما فيها على الإرجاف، فأَرْجَفَ مُرْجِفُونَ، وقالوا: هَذَاكَ مَفْرُوقٌ، قد جمع رهطه. شييان وتَغَلَّبَ والتَّيْمَرُ، فقال لهم أقوام من المسلمين: إِذَا تَشَغَّلْتُمْ عَنَا اللَّهَازِمِ - وَاللَّهَازِمُ يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا. وقال عبد الله بن حَذَفٍ في ذلك:

لَا تُوعِدُونَا بِمَفْرُوقٍ وَأَسْرَتِهِ إِنْ يَأْتِنَا يَلْقَ فِينَا سَنَةَ الْحُطَمِ
وَإِنْ ذَا الْحَيِّ مِنْ بَكْرٍ وَإِنْ كَثُرُوا لِأُمَّةٍ دَاخِلُونَ النَّارَ فِي أَمَمٍ
فَالْتَخَلُّ ظَاهِرُهُ خَيْلٌ وَبَاطِنُهُ خَيْلٌ تَكْدُسُ بِالْفَيْيَانِ فِي النُّعَمِ

وأَقْفَلَ العلاء بن الحَضْرَمِيِّ الناسَ، فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ، فَفَقَلْنَا وَقَفَلْنَا ثَمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ؛ حَتَّى إِذَا كُنَّا عَلَى مَاءِ لَبْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ؛ فَرَأَوْا ثَمَامَةَ، وَرَأَوْا خَمِيصَةَ الْحُطَمِ عَلَيْهِ دُسُوءًا لَهُ رَجُلًا، وَقَالُوا: سَلِّهِ عَنْهَا كَيْفَ صَارَتْ لَهُ؟ وَعَنِ الْحُطَمِ: أَهْوَقْتَهُ أَوْ غَيْرَهُ؟ فَأَتَاهُ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: نُفَلَّتْهَا. قَالَ: أَأَنْتَ قَتَلْتَ الْحُطَمَ؟ قَالَ: لَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَتَلْتَهُ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذِهِ الْخَمِيصَةِ مَعَكَ؟ قَالَ: أَلَمْ أَخْبِرْكَ! فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَتَجَمَّعُوا لَهُ، ثُمَّ أَتَوْهُ فَاحْتَوَشُوهُ؛ فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: أَنْتَ قَاتِلُ الْحُطَمِ؟ قَالَ: كَذَبْتُمْ، لَسْتُ بِقَاتِلِهِ وَلَكِنِّي نَفَلْتُهَا، قَالُوا: هَلْ يَنْفُلُ إِلَّا الْقَاتِلُ! قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ، إِنَّمَا وَجِدْتُ فِي رَحْلِهِ، قَالُوا: كَذَبْتَ. فَأَصَابُوهُ.

قَالَ: وَكَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ رَاهِبٌ فِي هَجَرٍ؛ فَاسْلَمَ يَوْمَئِذٍ فَقِيلَ: مَا دَعَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ، خَشِيتُ أَنْ يَمْسَخَنِي اللَّهُ بَعْدَهَا إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ: فَيُضْضَ فِي الرَّمَالِ، وَتَهْمِيدُ أَتْبَاجِ الْبَحَارِ، وَدَعَاءُ سَمْعَتِهِ فِي عَسْكَرِهِمْ فِي الْهَوَاءِ مِنَ السَّخَرِ. قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ؛ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَالْبَدِيعُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَالدَّائِمُ غَيْرُ الْغَافِلِ، وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَخَالِقُ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، وَكُلُّ يَوْمٍ أَنْتَ فِي شَأْنٍ، وَعَلِمْتُ اللَّهُمَّ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعَانُوا بِالْمَلَايِكَةِ إِلَّا وَهَمٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

فلقد كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يسمعون من ذلك الهَجَرِيِّ بعد.

وكتب العلاء إلى أبي بكر: أما بعد؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَجَّرَ لَنَا الدَّهْنَاءَ فَيَضاً لَا تُرَى غَوَارِبُهُ، وَأَرَانَا آيَةَ وَعِبْرَةَ بَعْدَ غَمٍّ وَكَرْبٍ، لِنُحْمَدَ اللَّهَ وَنُحْمَدَهُ، فَادْعُ اللَّهَ وَاسْتَنْصِرْهُ لِحُنُودِهِ وَأَعْوَانِ دِينِهِ.

فحمِدَ أبو بكر الله ودعاه، وقال: ما زالت العرب فيما تحدَّثت عن بلدانهم يقولون: إِنَّ لِقَمَانَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الدَّهْنَاءِ: أَيْحَتَفَرُونَهَا أَوْ يَدْعُونَهَا؟ نَهَاهُمْ، وَقَالَ: لَا تَبْلُغْهَا الْأَرْشِيَّةَ، وَلَمْ تَقْرَ الْعَيُونَ؛ وَإِنَّ شَأْنَ هَذَا الْفَيْضِ مِنْ عَظِيمِ الْآيَاتِ، وَمَا سَمِعْنَا بِهِ فِي أُمَّةٍ قَبْلَهَا. اللَّهُمَّ أَخْلَفْ مُحَمَّدًا ﷺ فِينَا.

ثم كتب إليه العلاء بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم، قتله زيد ومعمر: أمَّا بعد، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ

سَلَبَ عَدُوْنَا عَقُولَهُمْ، وَأَذْهَبَ رِيحَهُمْ بِشَرَابِ أَصَابُوهُ مِنَ النَّهَارِ، فَاقْتَحَمْنَا عَلَيْهِمْ خَنْدَقَهُمْ، فَوَجَدْنَاهُمْ سُكَارَى، فَفَقْتَلْنَاهُمْ إِلَّا الشَّرِيدَ، وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ الْحُطَمَ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ بَلْغَكَ عَنْ بَنِي شَيْيَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ تَمَامٌ عَلَى مَا بَلْغَكَ، وَخَاضَ فِيهِ الْمُرْجَفُونَ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ جَنْدًا فَأَوْطِئْتَهُمْ وَشَرَّدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ. فَلَمْ يَجْتَمِعُوا؛ وَلَمْ يَصِرْ ذَلِكَ مِنْ إِرْجَافِهِمْ إِلَى شَيْءٍ.

ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ رَدَّةِ أَهْلِ عُمان وَمَهْرَةِ وَالِيْمَنِ

قال أبو جعفر: وقد اختلف في تاريخ حرب المسلمين، فقال محمد بن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد، عن سلمة عنه: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام في سنة اثنتي عشرة.

وأما أبو يزيد فحدثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جُعْدَبَةَ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَغَسَّانَ بْنِ عَبْدِ الحميد وَجُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ، بِإِسْنَادِهِمْ عَنْ مَشِيخَتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ؛ أَنَّ الْفَتْوحَ فِي أَهْلِ الرَّدَّةِ كُلِّهَا كَانَتْ لِلْخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَغَيْرِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ، إِلَّا أَمْرَ رِبِيعَةَ بْنِ بُجَيْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ.

وقصة ربيعة بن بجير التغلبي أن خالد بن الوليد - فيما ذكر في خبره هذا الذي ذكرت عنه - بالمصيخ والحصيد، قام وهو في جمع من المرتدين فقاتله، وغنم وسبى، وأصاب ابنة ربيعة بن بجير، فسبأها وبعث بالسبي إلى أبي بكر رحمه الله، فصارت ابنة ربيعة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

فأما أمر عُمان فإنه كان - فيما كتب إلي السري بن يحيى يخبرني عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد والغصن بن القاسم وموسى الجليوسي عن ابن محيرز، قال: نبغ بعمان ذو النّاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجُلَنْدَى؛ وادّعى بمثل ما ادّعى به مَنْ كان نبياً، وغلب على عُمان مرتدّاً، وألجأ جَيْفَرًا وَعَبَادًا إِلَى الْأَجْبَالِ وَالْبَحْرِ؛ فَبَعَثَ جَيْفَرٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَخْبِرُهُ بِذَلِكَ، وَيَسْتَجِيشُهُ عَلَيْهِ. فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ حُذَيْفَةَ بْنَ مِحْصَنٍ الْغُلَفَانِيَّ مِنْ حِمْيَرٍ، وَعَرَفَجَةَ الْبَارِقِيَّ مِنَ الْأَزْدِ، حُذَيْفَةَ إِلَى عُمان وعرفجة إلى مهرة. وأمرهما إذا اتفقا أن يجتمعا على مَنْ بُعِثَا إِلَيْهِ، وَأَنْ يَتَدَيَّنَا بِعُمان، وَحُذَيْفَةَ عَلَى عَرَفَجَةَ فِي وَجْهِهِ، وَعَرَفَجَةَ عَلَى حُذَيْفَةَ فِي وَجْهِهِ. فَخَرَجَا مُتَسَانِدِينَ، وَأَمْرُهُمَا أَنْ يُجِدَا السَّيْرَ حَتَّى يَقْدَمَا عُمان؛ فَإِذَا كَانَ مِنْهَا قَرِيبًا كَاتِبًا جَيْفَرًا وَعَبَادًا؛ وَعَمَلًا بِرَأْيِهِمَا. فَمَضَى لَمَّا أَمَرَا بِهِ؛ وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بَعَثَ عِكْرَمَةَ إِلَى مُسَيْلَمَةَ بِالْيَمَامَةِ، وَأَتْبَعَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَسَمَّى لَهَا الْيَمَامَةَ؛ وَأَمْرُهُمَا بِمَا أَمَرَ بِهِ حُذَيْفَةُ وَعَرَفَجَةُ. فَبَادَرَ عِكْرَمَةَ شُرَحْبِيلُ، وَطَلَبَ حُظُوَّةَ الظَّفَرِ، فَتَكَبَّهُ مُسَيْلَمَةُ؛ فَأَحْجَمَ عَنْ مُسَيْلَمَةَ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْخَبَرِ، وَأَقَامَ شُرَحْبِيلُ عَلَيْهِ حَيْثُ بَلَّغَهُ الْخَبَرُ، وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ؛ أَنْ أَقِمِ بِأَدْنَى الْيَمَامَةِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَتَرَكَ أَنْ يُضَيِّعَهُ لَوَجْهِهِ الَّذِي وَجَّهَهُ لَهُ؛ وَكَتَبَ إِلَى عِكْرَمَةَ يُعَنِّفُهُ لَتَسْرُعِهِ، وَيَقُولُ: لَا أَرَيْتَكَ وَلَا أَسْمَعَنَّ بِكَ إِلَّا بَعْدَ بَلَاءٍ، وَالْحَقُّ بِعُمان حَتَّى تَقَاتِلَ أَهْلَ عُمان، وَتُعِينَ حُذَيْفَةَ وَعَرَفَجَةَ، وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى خَيْلِهِ، وَحُذَيْفَةَ مَا دُمْتُمْ فِي عَمَلِهِ عَلَى النَّاسِ، فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَاْمَضْ إِلَى مَهْرَةِ، ثُمَّ لِيَكُنْ وَجْهُكَ مِنْهَا إِلَى الْيَمَنِ؛ حَتَّى تُلَاقِيَ الْمُهَاجِرَ ابْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بِالْيَمَنِ وَبِحَضْرَمَوْتَ، وَأَوْطِءَ مَنْ بَيْنَ عُمان وَالْيَمَنِ مَنْ ارْتَدَّ؛ وَلِيُبْلِغْنِي بِلَاؤُكَ.

فمضى عكرمة في أثر عَرْفَجَة وحذيفة فيمن كان معه حتى لحق بهما قبل أن ينتهيا إلى عُمان، وقد عهد إليهم إن ينتهوا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ في السير معه أو المقام بعُمان، فلما تلاحقوا - وكانوا قريباً من عُمان بمكان يدعى رجماً - راسلوا جيفراً وعبّاداً. وبلغ لقيطاً محيى الجيش، فجمع جموعه وعسكر بدبا، وخرج جيفر وعبّاد من موضعهما الذي كانا فيه، فعسكرا بصحار وبعثا إلى حذيفة وعرفجة وعكرمة في القدوم عليهما، فقدموا عليهما بصحار، فاستبرأوا ما يليهم حتى رصوا ممن يليهم؛ وكاتبوا رؤساء مع لقيط وبدأوا بسيد بني جديّد، فكاتبتهم وكاتبوه حتى ارفضوا عنه؛ ونهّدوا إلى لقيط، فالتقوا على دبا، وقد جمع لقيط العيالات، فجعلهم وراء صفوفهم ليُجربهم؛ وليحافظوا على حرمهم - - ودبا هي المِصر والسوق العظمى - فاقتتلوا بدبا قتالا شديداً؛ وكاد لقيط يستعلي الناس؛ فبيناهم كذلك، وقد رأى المسلمون الخلل ورأى المشركون الظفر، جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية؛ وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان، وشواذب عُمان من بني ناجية وعبد القيس، فقوى الله بهم أهل الإسلام، ووهن الله بهم أهل الشرك؛ فولّى المشركون الأدبار، فقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبهم حتى أثنوا فيهم، وسبوا الذراري، وقسموا الأموال على المسلمين، وبعثوا بالخمسة إلى أبي بكر مع عَرْفَجَة، ورأى عكرمة وحذيفة أن يقيم حذيفة بعُمان حتى يوطىء الأمور، ويسكن الناس؛ وكان الخمسة ثمانمائة رأس، وغنموا السوق بحذافيرها. فسار عرفجة إلى أبي بكر بخمس السبي والغانم، وأقام حذيفة لتسكين الناس، ودعا القبائل حول عُمان إلى سكون ما أفاء الله على المسلمين، وشواذب عُمان، ومضى عكرمة في الناس، وبدأ بمهرة، وقال في ذلك عبّاد الناجي:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَى لَقِيطَ بْنَ مَالِكٍ	مَنْ الشَّرِّ مَا أَخْزَى وَجْهَ الثَّعَالِبِ
وَبَادَى أَبَا بَكْرٍ وَمَنْ هَلْ فَارْتَمَى	خَلِيجَانٍ مِنْ تَيَّارِهِ الْمُتَرَاقِبِ
وَلَمْ تَنْهَهُ الْأُولَى وَلَمْ يُنْكَأ الْعِدَا	فَأَلَوْتُ عَلَيْهِ خَيْلَهُ بِالْجَنَائِبِ

ذكر خبر مَهْرَة بالنجد

ولما فرغ عكرمة وعرفجة وحذيفة من ردة عُمان، خرج عكرمة في جنده نحو مَهْرَة، واستنصر من حول عُمان وأهل عُمان، وسار حتى يأتي مَهْرَة، ومعه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب وسعد من بني تميم بشر؛ حتى اقتحم على مَهْرَة بلادها، فوافق بها جمعين من مَهْرَة: أمّا أحدهما فبمكان من أرض مَهْرَة يقال له: جَيْرُوت، وقد امتلأ ذلك الحيز إلى نَضْدُون - قَاعَيْنِ من قيعان مَهْرَة - عليهم شخريت، رجل من بني شخرة؛ وأمّا الآخر فبالنجد؛ وقد انقادت مَهْرَة جميعاً لصاحب هذا الجمع؛ عليهم المصباح؛ أحد بني مُحَارِب والناس كلهم معه؛ إلّا ما كان من شخريت، فكانا مختلفين؛ كلّ واحد من الرئيسين يدعو الآخر إلى نفسه، وكلّ واحد من الجُنْدَيْن يشتهي أن يكون الفُلُج لرئيسهم؛ وكان ذلك ممّا أعان الله به المسلمين وقوّاهم على عدوّهم؛ ووهنهم.

ولما رأى عكرمة قلة من مع شخريت دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام؛ فكان لأوّل الدعاء، فأجابه ووهن الله بذلك المصباح. ثم أرسل إلى المصباح يدعوه إلى الإسلام والرجوع عن الكفر؛ فاعتزّ بكثرة من معه، وازداد

مباعدةً لمكان شخريت، فسار إليه عكرمة، وسار معه شخريت، فالتقوا هم والمصباح بالنجد؛ فاقتتلوا أشد من قتال دبا.

ثم إن الله كشف جنود المرتدين، وقتل رئيسهم، وركبهم المسلمون فقتلوا منهم ما شاءوا، وأصابوا ما شاءوا، وأصابوا فيما أصابوا ألفي نجبية، فخمس عكرمة الفيء، فبعث بالأخماس مع شخريت إلى أبي بكر، وقسم الأربعة الأخماس على المسلمين، وازداد عكرمة وجنده قوةً بالظهور والمتاع والأداة، وأقام عكرمة حتى جمعهم على الذي يحب، وجمع أهل النجد؛ أهل رياض الروضة، وأهل الساحل؛ وأهل الجزائر؛ وأهل المر واللبان وأهل جيروت، وظهور الشحر والصبرات، وينعب، وذات الخيم؛ فبايعوا على الإسلام، فكتب بذلك مع البشير - وهو السائب أحد بني عابد من مخزوم - فقدم على أبي بكر بالفتح، وقدم شخريت بعده بالأخماس، وقال في ذلك علجوم المحاربين:

جزى الله شخريتاً وأفناء هيشم	وفرضم إذ سارت إلينا الحلائب
جزاء مسيء لم يُراقب لذمة	ولم يرجها فيما يرجي الأقارب
أعكرم لولا جمع قومي وفعلهم	لضاق عليك بالفضاء المذاهب
وكنّا كمن إقتاد كفأ بأختها	وحلت علينا في الدهور النوائب

ذكر خبر المرتدين باليمن

قال أبو جعفر: كتب إلي السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن عكرمة وسهل، عن القاسم بن محمد، قال: توفي رسول الله ﷺ وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد والطاهر بن أبي هالة؛ عتاب على بني كنانة، والطاهر على عك؛ وذلك أن النبي ﷺ قال: اجعلوا عمالة عك في بني أبيها معد بن عدنان، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النصري؛ عثمان على أهل المدر ومالك على أهل الوبر أعجاز هوازن، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبوسفيان بن حرب؛ عمرو بن حزم على الصلاة وأبوسفيان بن حرب على الصدقات، وعلى ما بين رمع وزبيد إلى حد نجران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى همدان كلها عامر بن شهر، وعلى صنعاء فيروز الديلمي يسانده داؤويه وقيس بن المكشوح، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري، وعلى الأشعرين مع عك الطاهر بن أبي هالة، ومعاذ بن جبل يعلم القوم، ينتقل في عمل كل عامل، فتزا بهم الأسود في حياة النبي ﷺ، فحاربه النبي عليه السلام بالرسول والكتب حتى قتله الله، وعاد أمر النبي عليه السلام كما كان قبل وفاة النبي عليه السلام بليلة؛ إلا أن مجيئهم لم يحرك الناس، والناس مستعدون له.

فلما بلغهم موت النبي ﷺ انتقضت اليمن والبلدان؛ وقد كانت تذبذب خيول العنسي - فيما بين نجران إلى صنعاء في عرض ذلك البحر - لا تأوي إلى أحد، ولا يأوي إليها أحد؛ فعمرو بن معد يكرب بحيال فروة بن مسيك، ومعاوية بن أنس في فالة العنسي يتردد؛ ولم يرجع من عمال النبي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ إلا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد، ولجأ سائر العمال إلى المسلمين؛ واعترض عمرو بن معد يكرب خالد بن سعيد، فسلبه

الصَّمَامَة. ورجعت الرُّسُل مع مَنْ رجع بالخبر، فرجع جرير بن عبد الله والأقرع بن عبد الله ووبر بن يُحْنَس، فحارب أبو بكر المرتدة جميعاً بالرسل والكتب، كما كان رسولُ الله ﷺ حاربهم؛ إلى أن رجع أسامة بن زيد من الشام، وحُزِرَ ذلك ثلاثة أشهر، إلّا ما كان من أهل ذي حُسَيٍّ وذِي الْقَصَّة. ثم كان أولُ مصادم عند رجوع أسامة هم. فخرج إلى الأبرق فلم يصمد لقوم فيفلهم إلا استنفر مَنْ لم يرتد منهم إلى آخرين، فيفل بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنفرة ممن لم يرتد إلى التي تليهم؛ حتى فرغ من آخر أمور الناس، ولا يستعين بالمرتدين.

فكان أول مَنْ كتب إليه عتاب بن أسيد، كتب إليه بركوب مَنْ ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الإسلام، وعثمان بن أبي العاص بركوب مَنْ ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الإسلام، فأما عتاب فإنه بعث خالد بن أسيد إلى أهل تهامة، وقد تجمعت بها جُمَاع من مُدَلِّج، وتأشّب إليهم شُذَاذ من خُزَاعَة وأفناء كنانة، عليهم جُنْدَب بن سُلَمَى، أحد بني شَنُوق، من بني مُدَلِّج، ولم يكن في عمل عتاب جمع غيره، فالتقوا بالأبارق، ففرّقهم وقتلهم، واستحرّ القتل في بني شَنُوق، فما زالوا أذلاء قليلاً، وبرئت عمالة عتاب، وأفلت جندب، فقال جندب في ذلك:

ندمتُ وأيقنت الفدَاة بأنبي
أثيتُ التي يَبْقَى على المرء عارُها
شهدتُ بأن الله لا شيء غيره
بني مُدَلِّج فالله ربِّي وجارُها

وبعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شَنُوءة، وقد تجمعت بها جُمَاع من الأزد وبِجِيلَة وخَثْعَم؛ عليهم حُمَيْضَة بن النُّعْمَان، وعلى أهل الطائف عثمان بن ربيعة، فالتقوا بشَنُوءة، فهزموا تلك الجُمَاع، وتفرقوا عن حُمَيْضَة وهرب حُمَيْضَة في البلاد، فقال في ذلك عثمان بن ربيعة:

فضضنا جَمْعهم والنَّقْعُ كاب
وقد تُعْدِي على الغدرِ الفتوقُ
وأبرقَ بارقُ لَمَّا التقينا
فعادت خُلباً تلك البروقُ

خبر الأخابث من عك

قال أبو جعفر: وكان أول منتقض بعد النبي ﷺ بتهامة عك والأشعرين، وذلك أنهم حين بلغهم موتُ النبي ﷺ تجمّع منهم طَخَارِير، فأقبل إليهم طَخَارِيرُ من الأشعرين وخَضُم فأنضموا إليهم، فأقاموا على الأعلام طريق الساحل، وتأشّب إليهم أوزاعُ على غير رئيس؛ فكتب بذلك الطاهر بن أبي هالة إلى أبي بكر؛ وسار إليهم، وكتب أيضاً بمسيره إليهم، ومعه مَسْرُوق العكّي حتى انتهى إلى تلك الأوزاع، على الأعلام، فالتقوا فاقتتلوا، فهزمهم الله، وقتلهم كل قِتْلَة؛ وأنتنت السبل لقتلهم؛ وكان مقتلهم فتحاً عظيماً. وأجاب أبو بكر الطاهر قبل أن يأتيه كتابه بالفتح:

بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقاً وقومَه إلى الأخابث بالأعلام، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفّهوا عنهم، وأقيموا بالأعلام حتى يأمن طريق الأخابث، ويأتيكم أمرِي. فسميت تلك

الجموع من عكّ ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث، وسُمي ذلك الطريق طريق الأخابث؛ وقال في ذلك الطاهر بن أبي هالة:

ووالله لولا الله لا شيء غيره
فلم تر عيني مثل يوم رأيتُه
قتلناهم ما بين قنّة خامر
وفئنا بأموال الأخابث عنوة
لما فُض بالأجراع جَمْعُ العثاِث
بجنب صُحارٍ في جموع الأخابث
إلى القبيعة الحُمراء ذات النباِث
جهاراً ولم نحفل بتلك الهشاِث

وعسكر طاهر على طريق الأخابث، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر رحمه الله.

قال أبو جعفر: ولما بلغ أهل نَجْران وفاة رسول الله ﷺ وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل، من بني الأُفْعى؛ الأمة التي كانوا بها قبل بني الحارث؛ بعثوا وفداً ليجددوا عهداً، فقدموا إليه فكتب لهم كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نَجْران، أجارهم من جُنْدِه ونفسه، وأجاز لهم ذمّة محمد ﷺ إلّا ما رجع عنه محمد رسول الله ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب؛ إلّا يسكن بها دينان؛ أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعاديتهم، وغائبهم وشاهدتهم، وأسقفهم وربانهم وبيعهم حيثما وقعت؛ وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير؛ عليهم ما عليهم، فإذا أدّوه فلا يُحْشرون ولا يُعْشرون. ولا يغيّر أسقف من أسقفيتِه، ولا راهب من رهبانيتِه؛ ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمّة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين. وعليهم النصّح والإصلاح فيما عليهم من الحق. شهد المسور بن عمرو، وعمرو مولى أبي بكر.

وردّ أبو بكر جرير بن عبد الله، وأمره أن يدعو من قومه من ثبت على أمر الله، ثم يستنفر مُقوِّبهم، فيقاتل بهم من ولّى عن أمر الله، وأمره أن يأتي خثعم؛ فيقاتل من خرج غضباً لذي الخَلْصة؛ ومن أراد إعادته حتى يقتلهم الله، ويقتل من شاركهم فيه؛ ثم يكون وجهه إلى نَجْران، فيقيم بها حتى يأتيه أمره.

فخرج جرير فنفذ لما أمره به أبو بكر، فلم يقرّ له أحدٌ إلا رجالاً في عدّة قليلة، فقتلهم وتبعهم؛ ثم كان وجهه إلى نَجْران، فأقام بها انتظاراً أمر أبي بكر رحمه الله.

وكتب إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب بعثاً على أهل الطائف على كلّ مخالف بقدره، ويوليّ عليهم رجلاً يأمنه ويثق بناحيته؛ فضرب على كلّ مخالف عشرين رجلاً، وأمر عليهم أخاه.

وكتب إلى عتاب بن أسيد؛ أن اضرب على أهل مَكّة وعملها خمسمائة مُقوِّ؛ وابعث عليهم رجلاً تأمنه، فسمّى من يبعث، وأمر عليهم خالد بن أسيد؛ وأقام أمير كل قوم، وقاموا على رجلٍ لياتيهم أمر أبي بكر، وليمرّ عليهم المهاجر.

رَدَّةُ أَهْلِ الْيَمَنِ ثَانِيَةً

قال أبو جعفر: فمَن ارتدَّ ثانية منهم، قيس بن عبد يغوث المكشوح؛ كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، قال: كان من حديث قيس في رَدَّتِهِ الثانية، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول الله ﷺ انتكث، وعمل في قتل فيروز ودادويه وجُشَيْش، وكتب أبو بكر إلى عُمير ذي مُرَّان وإلى سعيد ذي زود وإلى سَمِيعَ ذي الكَلَّاع، وإلى حَوْشَبَ ذي ظُلَيْم، وإلى شَهْرَ ذي يَنَاف؛ يأمرهم بالتمسك بالذي هم عليه، والقيام بأمر الله والنَّاس، ويعدُّهم الجنود:

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى عُمير بن أَفْلَحَ ذي مُرَّان، وسعيد بن العاقب ذي زُود؛ وسَمِيعَ بن نَاكُورَ ذي الكَلَّاع وحَوْشَبَ ذي ظُلَيْم، وشهر ذي يَنَاف. أمَّا بعد، فأعينوا الأبناء على مَنْ نَاوَاهُمْ وحُوطُوهُمْ واسمعوا مِنْ فيروز، وجِدُّوا معه، فإني قد وَلَّيْتُهُ.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن عُروة بن غَزِيَّةِ الدَّيْنِيِّ، قال: لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ فيروز؛ وهم قبل ذلك متساندون؛ هو ودادويه وجُشَيْش وقيس؛ وكتب إلى وجوه مِنْ وجوه أهل اليمن؛ ولَمَّا سَمِعَ بذلك قيس أرسل إلى ذي الكَلَّاع وأصحابه: إِنَّ الأبناء نَزَّاع في بلادكم، ونُقْلَاء فيكم؛ وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم، وقد أَرَى من الرأى أن أَقْتُلَ رؤوسهم، وأخرجهم من بلادنا. ففبرؤوا، فلم يمالئوه ولم ينصروا الأبناء، واعتزلوا وقالوا: لسنا مَأْمُورًا هنا في شيء، أنت صاحبهم وهم أصحابك.

فتربَّص لهم قيس، واستعدَّ لقتل رؤسائهم وتسيير عامَّتِهِمْ؛ فكاتب قيس تلك الفالَّةَ السَّيَّارة اللَّحْجِيَّةَ؛ وهم يصعدون في البلاد ويصوبون، محاربين لجميع مَنْ خالفهم؛ فكاتبهم قيس في السرِّ؛ وأمرهم أن يتعجَّلُوا إليه؛ وليكون أمره وأمرهم واحدًا؛ وليجتمعوا على نفي الأبناء من بلاد اليمن. فكتبوا إليه بالاستجابة له، وأخبروه أنهم إليه سِرَّاء؛ فلم يَفْجَأْ أهل صنعاء إلا الخبر بدنوهم منها، فأتى قيس فيروز في ذلك كالْفَرَقِ من هذا الخبر وأتى دادويه؛ فاستشارهما ليلبس عليهما، ولثلاً يَتَّهِمَا، فنظروا في ذلك واطمأنوا إليه.

ثم إن قيساً دعاهم من الغد إلى طَعَام، فبدأ بدادويه، وثنى بفيروز، وثلث بجشيش؛، فخرج دادويه حتى دخل عليه؛ فلَمَّا دخل عليه عاجله فقتله، وخرج فيروز يسير حتى إذا دنا سمع امرأتين على سطحين تتحدثان، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قُتِلَ دادويه؛ فلقبيها، فعاج حتى يرى أويَّ القوم الذي أربؤوا، فأخبر برجوع فيروز؛ فخرجوا يركضون، وركض فيروز، وتلقاه جُشَيْش، فخرج معه متوجَّهًا نحو جبل خَوْلَان-وهم أخوال فيروز- فسبقا الخيول إلى الجبل، ثم نزلا، فتوقَّلا وعليهما خِفافٌ ساذجة، فما وصلا حتى تقطَّعت أقدامُهما، فانتھيا إلى خَوْلَان وامتنع فيروز بأحواله، وآلى ألا ينتعل ساذجاً، ورجعت الخيول إلى قيس؛ فنار بصنعاء فأخذها، وجبى ما حولها، مقدِّماً رجلاً ومؤخراً أخرى، وأتته خيول الأسود. ولَمَّا أوى فيروز إلى أخواله خَوْلَان فمنعوه وتأشَّب إليه الناس، كتب إلى أبي بكر بالخبر. فقال قيس: وما خولان! وما فيروز! وما قَرَّارُ أَوْوَا إليه! وطابق على قيس عوامٌ قبائل مَنْ كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، وبقي الرؤساء معترلين، وعمد قيس إلى الأبناء ففرَّقهم ثلاث فرق: أقرَّ مَنْ أقام وأقرَّ عياله، وفرَّق عيال الذين هربوا إلى فيروز فرقتين؛ فوجَّه إحداهما إلى عَدَن؛ لِيُحْمَلُوا في البحر، وحمل الأخرى في البرِّ، وقال لهم جميعاً: الحقوا بأرضكم؛ وبعث معهم

مَنْ يَسِيرُهُمْ ؛ فكان عيال الديلمي مِّنْ سِيرٍ فِي الْبَرِّ وعيال داذويه مِّنْ سِيرٍ فِي الْبَحْرِ ؛ فلَمَّا رَأَى فيروز أن قد اجتمع عوامُ أهلِ اليمنِ على قيس ؛ وأنَّ العيال قد سَيَّرُوا وعَرَضَهُمْ لِلنَّهْبِ ، ولم يجد إلى فراق عسكره في تنقذهم سبيلاً ؛ وبلغه ما قال قيس في استصغاره الأخوال والأبناء ، فقال فيروز منتمياً ومفاخراً وذكر الظُّعن :

ألا ناديا ظُعنًا إلى الرَّمْلِ ذي النَّخْلِ
وما ضَرَّهُم قولُ العُدَاةِ لو إنَّه
فَدَعُ عَنْكَ ظُعنًا بالطريق التي هَوَتْ
وإنَّا وإن كانت بصنْعاء دارنا
وللَّذي لَمْ الرِّزَامُ من بعد باسِلِ
وكانت مَنَابِيتُ العراق جَسَامُها
وباسِلُ أَصْلِي إِنْ نَمَيْتُ وَمَنْصَبِي
هُم تَرَكُوا مَجْرَايَ سَهْلًا وَحَصَّنُوا
فما عَزَّنَا فِي الْجَهْلِ من ذي عَدَاوة
ولا عاقنا في السَّلَمِ عن آلِ أَحْمَدِ
وإنَّ كان سَجَلٌ من قَبيلي أَرْشَنِي
وقولا لها أَلَا يُقَالُ ولا عَذْلِي
أَتَى قَوْمَهُ عن غير فحش ولا بَخْلِ
لِطَيْتِهَا صَمَدَ الرَّمَالِ إلى الرَّمْلِ
لنا نَسْلُ قومٍ مِّنْ عَرَانِيهِمْ نَسْلِي
أَبَى الْخَفْضِ وَاخْتَارَ الْحُرُورِ على الظِّلِّ
لِرَهْطِي إذا كَسَرَى مَرَاجِلُهُ تَغْلِي
كما كلُّ عود مُتْنِهاه إلى الأَصْلِ
فجَاجِي بحسن الْقَوْلِ وَالْحَسْبِ الْجَزَلِ
أَبَى اللهَ إِلَّا أَنْ يَعَزَّ عَلَى الْجَهْلِ
ولا خَسَّ في الإسلامِ إِذْ أَسْلَمُوا قَبْلِي
فإِنِّي لَرَجٍ أَنْ يُغَرِّقَهُمْ سَجْلِي

وقام فيروز في حربه ، وتجرّد لها ، وأرسل إلى بني عُقَيْل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة رسولاً بأنّه متخفّر بهم ، يستمدّهم ويستنصرهم في ثقله على الَّذِينَ يزعمون أثقال الأبناء ، وأرسل إلى عكّ رسولاً يستمدّهم ويستنصرهم على الَّذِينَ يزعمون أثقال الأبناء . فركبت عُقَيْل وعليهم رجل من الحلفاء يقال له معاوية ، فاعترضوا خيل قَيْس فتَنَقَّدُوا أولئك الْعِيَالِ ، وقتلوا الذين سَيَّرُوهم ، وقصروا عليهم القرى ؛ إلى أن رجع فيروز إلى صَنْعَاءَ ، ووثبت عكّ ؛ وعليهم مسروق ، فساروا حتى تَنَقَّدُوا عِيالات الأبناء ، وقصروا عليهم القرى ، إلى أن رجع فيروز إلى صَنْعَاءَ وأمدّت عُقَيْل وعكّ فيروز بالرجال ، فلما أتته أمدادهم - فيمن كان اجتمع إليه - خرج فيمن كان تَأَشَّبَ إليه ومن أمدّه من عكّ وعُقَيْل ، فهاهد قيساً فالتقوا دون صَنْعَاءَ ، فاقتتلوا فهَزَمَ الله قيساً في قومه ومَنْ أنهضوا ، فخرج هارباً في جنده حتى عاد معهم ، وعادوا إلى المكان الذي كانوا به مبادرين حين هربوا بعد مقتل العنسيّ ، وعليهم قيس ، وتَذَبَّدَتْ رافضة العنسي وقيس معهم فيها بين صَنْعَاءَ وَنَجْرَانَ ، وكان عمرو بن معد يكرب بإزاء قُرُوءة بن مُسَيْك في طاعة العنسيّ .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عطية عن عمرو بن سلّمة ، قال : وكان من أمر قُرُوءة بن مُسَيْك أنه كان قَدِيمَ على رسولِ الله ﷺ مُسْلِماً ، وقال في ذلك :

لَمَّا رَأَيْتُ ملوكَ حِمَيْرٍ أَعْرَضَتْ
يَمَمْتُ راحلتي أَمَامَ مُحَمَّدٍ
كَالرَّجُلِ خان الرَّجُلِ عَرَقُ نَسَائِهَا
أَرْجُو فواضِلَها وَحُسْنَ ثَنَائِهَا

وقال له رسول الله ﷺ فيها قال له : هل ساءك ما لَقِيَ قومُك يوم الرِّزْمِ يا قُرُوءة أَوْ سَرَّكَ ؟ قال : ومن يُصَبِّ في قومه بمثل الذي أَصَبْتُ به في قومي يوم الرِّزْمِ إلا ساءه ذلك !

وكان يوم الرِّزْمِ بينهم وبين هَمْدَانَ على يغوث ؛ وثَنٍ كان يكون في هؤلاء مرّة وفي هؤلاء مرة ، فأرادت مراد

أن تغلبهم عليه في مَرَّتِهِمْ، فقتلتهم هَمْدَان، ورئيسهم الأجدع أبو مسروق؛ فقال رسول الله ﷺ: أما إن ذلك لم يزدكم في الإسلام إلا خيراً، فقال: قد سَرَّني إذ كان ذلك، فاستعمله رسول الله ﷺ على صدقات مُراد وَمَن نازلهم أو نزل دارهم. وكان عمرو بن معديكرب قد فارق قومه سعد العشيرة في بني زُبَيْد وأخلافها، وانحاز إليهم، وأسلم معهم؛ فكان فيهم، فلما ارتدَّ العنسي وأتبعه عوامٌ مذحج، اعتزل قُرُوةَ فيمَن أقام معه على الإسلام، وارتدَّ عمرو فيمَن ارتدَّ، فخلفه العنسي، فجعله بإزاء قُرُوة، فكان بحياله، ويمتنع كل واحد منها لِمكان صاحبه من البَرّاح، فكانا يتهاديان الشعر، فقال عمرو يذكر إمارة قُرُوة ويعييبها:

وَجَدْنَا مُلْكَ قُرُوةَ شَرِّ مُلْكٍ جَمَاراً سَافَ مَنْخَرُهُ بِقَدْرِ
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدْرِ

فأجابه قُرُوة :

أَتَانِي عَنْ أَبِي ثَوْرٍ كَلَامٌ وَقَدْ مَا كَانَ فِي الْأَبْغَالِ يَجْرِي
وَكَانَ اللَّهُ يُبْغِضُهُ قَدِيماً عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدْرِ

فبيناهم كذلك قدم عكرمة أبيّن.

وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم وموسى بن الغصن، عن ابن مُحَرِّيز، قال: فخرَجَ عكرمة من مَهْرَةٍ سائراً نحن اليمن حتى وَرَدَ أُبَيْنَ، ومعه بشرٌ كثير من مَهْرَةٍ، وسعد بن زيد، والأزد، وناجية، وعبد القيس، وحُذْبَان من بني مالك بن كنانة، وعمرو بن جندب من العَنَبَرِ، فجمع النَّخَعُ بعد من أصاب من مدبريهم فقال لهم: كيف كنتم في هذا الأمر؟ فقالوا له: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَهْلَ دِينٍ، لَا نَتَعَاظِي الْعَرَبَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فكيف بنا إذا صرنا إلى دينٍ عرفنا فضلَه، ودخلنا حُبَه! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا، ثبت عوامُهم وهربَ مَنْ كَانَ فَارِقَ مِنْ خَاصَّتِهِمْ، واستبرأ النَّخَعُ وَحِيدٍ، وأقام لاجتماعهم، وأرَزَّ قيس بن عبد يغوث لهُبُوطِ عِكرمة إلى اليمن إلى عمرو بن معديكرب، فلما ضامَّهُ وقع بينهما تَنَارُخٌ، فتعايرَا، فقال عمرو بن معد يكرب يُعَيِّرُ قيساً غَدْرَهُ بِالْأَبْنَاءِ وَقَتْلَهُ دَاوُوِيَّه، ويذكر فراره من فيروز:

غَدَرْتُ وَلَمْ تُحْسِنْ وَفَاءً وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْتَمِلِ الْأَسْبَابَ إِلَّا الْمَعْوَدُ
وَكَيْفَ لَقَيْسٍ أَنْ يُنَوِّطَ نَفْسَهُ إِذَا مَا جَرَى وَالْمُضَرِحِيُّ الْمَسْوَدُ!

وقال قيس:

وَقَيْتُ لِقَوْمِي وَأَحْتَشَدْتُ لِمَعْشَرٍ أَصَابُوا عَلَى الْأَحْيَاءِ عَمَراً وَمَرْتَدَا
وَكُنْتُ لَدَى الْأَبْنَاءِ لَمَّا لَقِيَتْهُمْ كَأَصِيدٍ يَسْمُو بِالْعَزَازَةِ أَصِيدَا

وقال عمرو بن معديكرب:

فَمَا إِنْ دَاوُوِيٍّ لَكُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ دَاوُوِيٍّ فَضَحَ آلَ دَمَارَا
وَفَيَرُوزُ غَدَاةَ أَصَابَ فِيكُمْ وَأَضْرَبَ فِي جَمُوعِكُمْ اسْتَجَارَا

ذكر خبر طاهر حين شخص مدداً لفيروز

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: قد كان أبو بكر رحمه الله كتب إلى طاهر بن أبي هالة بالنزول إلى صنعاء وإعانة الأبناء؛ وإلى مسروق، فخرجوا حتى أتيا صنعاء، وكتب إلى عبد الله بن ثور بن أصغر، بأن يجمع إليه العرب ومن استجاب له من أهل تهامة، ثم يقيم بمكانه حتى يأتيه أمره.

وكان أول ردة عمرو بن معد يكرب أنه كان مع خالد بن سعيد فخالفه، واستجاب للأسود، فسار إليه خالد بن سعيد حتى لقيه، فاختلفا ضربتين، فضربه خالد على عاتقه فقطع جماله سيفه فوقع، ووصلت الضربة إلى عاتقه، وضربه عمرو فلم يصنع شيئاً، فلما أراد خالد أن يثني عليه نزل فتوقل في الجبل، وسلبه، فرسه وسيفه الصمصامة، ولحج عمرو فيمن لحج. وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريث آل سعيد بن العاص الأكبر. فلما ولي الكوفة عرض عليه عمرو وابنته، فلم يقبلها، وأتاه في داره بعدة سيوف كان خالد أصابها باليمن، فقال: أيها الصمصامة؟ قال: هذا، قال: خذه فهو لك، فأخذه، ثم أكف بغلاً له فضرب الإكاف فقطعه والبرذعة، وأسرع في البغل، ثم رده على سعيد، وقال: لو زرتني في بيتي وهو لي لوهبته لك، فما كنت لأقبله إذ وقع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد عن عروة بن غزوة وموسى، عن أبي زُرعة السيباني، قال: ولما فصل المهاجر بن أبي أمية من عند أبي بكر - وكان في آخر من فصل - اتخذ مكة طريقاً، فمر بها فأتبعه خالد بن أسيد، ومر بالطائف فأتبعه عبد الرحمن بن أبي العاص، ثم مضى حتى إذا حاذى جرير بن عبد الله ضمه إليه، وانضم إليه عبد الله بن ثور حين حاذاه، ثم قديم على أهل نجران؛ فانضم إليه فروة بن مسيك، وفارق عمرو بن معد يكرب قيساً، وأقبل مستجيباً؛ حتى دخل على المهاجر على غير أمان؛ فأوثقه المهاجر؛ وأوثق قيساً، وكتب بحالهما إلى أبي بكر رحمه الله، وبعث بهما إليه. فلما سار المهاجر من نجران إلى اللحيجة، والتفت الخيول على تلك الفالة استأنوا، فأبى أن يؤمنهم، فافترقوا فرقتين، فلقي المهاجر إحداهما بعجيب، فأنى عليهم، ولقيت خيوله الأخرى بطريق الأخابث، فأتوا عليهم - وعلى الخيول عبد الله - وقتل الشرداء بكل سبيل، فقدم بقيس وعمرو على أبي بكر، فقال: يا قيس، أعدوت على عباد الله تقتلهم وتتخذ المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين! وهم يقتله لو وجد أمراً جلياً. وانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر دأويه شيئاً، وكان ذلك عملاً عملاً في سر لم يكن به بينة، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو بن معديكرب: أما تخزى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور! لو نصرت هذا الدين لرفعك الله. ثم خلى سبيله، وردهما إلى عشائرها، وقال عمرو: لا جرم! لأقبلن ولا أعود.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير وموسى قالوا: سار المهاجر من عجيب، حتى ينزل صنعاء، وأمر أن يتبعوا شذاذ القبائل الذين هربوا؛ فقتلوا من قدروا عليه منهم كل قتلة، ولم يعف متمرداً، وقبل توبة من أناب من غير المتمردين؛ وعملوا في ذلك على قدر ما رأوا من آثارهم؛ ورجوا عندهم. وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء والذي يتبع من ذلك.

ذكر خبر حُضرموت في ردّتهم

قال أبو جعفر: كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن الصّلت، عن كثير بن الصّلت، قال: مات رسول الله ﷺ وعُمّاله على بلاد حُضرموت: زياد بن لبيد البياضيّ على حُضرموت، وعُكاشة بن مُحصّن على السّكاسيك والسّكون، والمهاجر على كِنْدَة - وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفيّ رسول الله ﷺ، فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال من باليمن والمُضيّ بعد إلى عمله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي السائب، عطاء بن فلان المخزوميّ، عن أبيه، عن أمّ سلمة والمهاجر بن أبي أمية، أنّه كان تخلف عن تبوك، فرجع رسول الله ﷺ وهو عليه عاتب؛ فبينما أمّ سلمة تغسل رأس رسول الله ﷺ، قالت: كيف ينفعني شيء وأنت عاتب على أخي! فرأت منه رقة؛ فأومأت إلى خادمها؛ فدعته، فلم يزل برسول الله ﷺ ينشر عُذْرَه حتى عَذَرَه ورضي عنه وأمره على كِنْدَة. فاشتكى ولم يطق الذهاب؛ فكتب إلى زياد ليقوم له على عمله. وبرأ بعد؛ فأتم له أبو بكر إمْرَتَه، وأمره بقتال من بين نَجْران إلى أقصى اليمن؛ ولذلك أبطأ زياد وعُكاشة عن مناجزة كِنْدَة انتظاراً له.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد؛ قال: كان سبب رِدّة كِنْدَة لإحابتهم الأسود العنسيّ حتى لعن رسول الله ﷺ الملوك الأربعة، وأنهم قبل ردّتهم حين أسلموا وأسلم أهل بلاد حُضرموت كلّهم أمر رسول الله ﷺ بما يوضع من الصّدقات أن يوضع صدقة بعض حُضرموت في كِنْدَة، وتوضع صدقة كِنْدَة في بعض حُضرموت، وبعض حُضرموت في السّكون والسّكون في بعض حُضرموت. فقال نفر من بني وليعة: يا رسول الله، إنّنا لسنا بأصحاب إبل؛ فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظهر! فقال: إن رأيتم! قالوا: فإنّا ننظر، فإن لم يكن لهم ظهْرُ فعلنا. فلما توفيّ رسول الله ﷺ، وجاء ذلك الإبان، دعا زياد الناس إلى ذلك، فحضره، فقالت بنو وليعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ لكم ظهراً، فهلمّوا فاحتملوا، ولاخوهم؛ حتى لاحوا زياداً؛ وقالوا له: أنت معهم علينا. فأبى الحضرميون، ولجّ الكِنْدِيُّونَ، فرجعوا إلى دارهم، وقدموا رجلاً وأخروا أخرى، وأمسك عنهم زياد انتظاراً للمهاجر؛ فلما قدم المهاجر صنعاء، كتب إلى أبي بكر بكلّ الذي صنع، وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قبل أبي بكر؛ فكتب إليه أبو بكر وإلى عكرمة، أن يسيرا حتى يقدما حُضرموت، وأقرّ زياداً على عمله، وأذن لمن معك من بين مكّة واليمن في القفل؛ إلا أن يؤثر قوم الجهاد. وأمدّه بعبيد بن سعد. ففعل؛ فسار المهاجر من صنعاء يريد حُضرموت، وسار عكرمة من أبين يريد حُضرموت، فالتقيا بمأرب، ثم فوزاً من صَهِيد؛ حتى اقتحما حُضرموت، فنزل أحدهما على الأشعث والآخر على وائل.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن أبيه، عن كثير بن الصّلت؛ قال: وكان زياد بن لبيد حين رجع الكِنْدِيُّونَ ولجّوا ولجّ الحضرميون، ولى صدقات بني عمرو بن معاوية بنفسه، فقدم عليهم وهم بالرياض، فصّدق أول من انتهى إليه منهم؛ وهو غلام، يقال له شيطان بن حُجْر؛ فأعجبته بكّرة من الصّدقة، فدعا بنار فوضع عليها الميسم، وإذا النّاقة لأخي الشيطان العداء بن حُجْر، وليست عليه صدقة، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنّها غيرها، فقال العداء: هذه شذرة باسمها؛ فقال

الشيطان: صدق أخي؛ فإني لم أعطكموها إلا وأنا أراها غيرها؛ فأطلق شذرة وخذ غيرها، فإنها غير متروكة. فرأى زياد أن ذلك منه اعتلال، واتهمه بالكفر ومباعدة الإسلام وتحرّي الشرّ. فحَمِي وَحَمِي الرجلان، فقال زياد: لا ولا تنعم؛ ولا هي لك؛ لقد وقع عليها ميسم الصدقة وصارت في حق الله، ولا سبيل إلى ردها، فلا تكون شذرة عليكم كالبسوس؛ فنادى العذاء: يا آل عمرو، بالرياض أضام وأضطهد! إن الدليل من أكل في داره! ونادى: يا أبا السَّمِيط، فأقبل أبو السَّمِيط حارثة بن سُراقَة بن معدٍ يكرب؛ فقصد لزياد بن لبيد وهو واقف، فقال: أطلق لهذا الفتى بكرته، وخذ بعيراً مكانها، فإنما بعير مكان بعير، فقال: ما إلى ذلك سبيل! فقال: ذلك إذا كنت يهودياً! وعاج إليها؛ فأطلق عقلاها، ثم ضرب على جنبها، فبعثها وقام دونها، وهو يقول:

يَمْنَعُهَا شَيْخٌ بِخَذْيِهِ الشَّيْبُ مُلَمَّعٌ كَمَا يُلَمَّعُ الثُّوبُ

فأمر به زياد شباباً من حضرموت والسكون، فمغثوه وتوطؤوه، وكثفوه وكتفوا أصحابه، وارتهنهم، وأخذوا البكرة فعلقوها كما كانت؛ وقال زياد بن لبيد في ذلك:

لَمْ يَمْنَعْ الشَّذْرَةَ أَرْكُوبُ وَالشَّيْخُ قَدْ يَثْنِيهِ أَرْجُوبُ

وتصايح أهل الرياض وتنادوا، وغضبت بنو معاوية لحارثة، وأظهروا أمرهم، وغضبت السكون لزياد، وغضبت له حضرموت، وقاموا جميعاً دونه. وتوافى عسكريان عظيمان من هؤلاء وهؤلاء؛ لا تُحَدِّثُ بنو معاوية لمكان أسرائهم شيئاً، ولا يجد أصحاب زياد على بني معاوية سبيلاً يتعلّقون به عليهم؛ فأرسل إليهم زياد: إما أن تَضَعُوا السِّلَاحَ، وإما أن تؤذّنوا بحرب؛ فقالوا: لا نضع السِّلَاحَ أبداً حتى ترسلوا أصحابنا، فقال زياد: لا يُرْسَلُونَ أبداً حتى ترفضوا وأنتم صَغَرَةٌ قَمَاءَ. يا أخابث الناس، ألسنم سَكَّانَ حضرموت وجيران السكون! فما عسيتم أن تكونوا وتصنعوا في دار حضرموت؛ وفي جنوب مواليكم! وقالت له السكون: ناهد القوم، فإنه لا يَفْطُمُهُمْ إلا ذلك، فنهد إليهم ليلاً، فقتل منهم؛ وطاروا عبايد، وتمثّل زياد حين أصبح في عسكريهم:

وَكُنْتُ امِراً لَا أَبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِماً فَلَمَّا أَبَوْا سَامَحْتُ فِي حَرْبٍ حَاطِبٍ

ولما هرب القوم خَلَّى عن النفر الثلاثة؛ ورجع زياد إلى منزله على الظفر. ولما رجع الأسراء إلى أصحابهم ذَمُّوهُمْ فَنَذَامَرُوا، وقالوا: لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تخلو لأحد الفريقين. فأجمعوا وعسكروا جميعاً، ونادوا بمنع الصدقة، فتركهم زياد لم يخرج إليهم، وتركوا المسير إليه. وأرسل إليهم الحُصَيْن بن غَيْر، فما زال يُسْفِرُ فيما بينهم وبين زياد وحضرموت والسكون حتى سكن بعضهم عن بعض، وهذه النُفْرَةُ الثانية، وقال السكوني في ذلك:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي بِعُرْضَةِ جَانِبٍ لَيَجْتَلِبُنَّ مِنْهَا الْمَرَارَ بَنُو عَمْرٍو
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَمْنَعُونَهَا زِيَاداً، وَقَدْ جِئْنَا زِيَاداً عَلَى قَدَرٍ

فأقاموا بعد ذلك يسيراً. ثم إن بني عمرو بن معاوية خصوصاً خرجوا إلى المحاجر، إلى أمهاء حموها، فنزل جَمَدٌ محجراً، ومُخَوِّصٌ محجراً، ومُشْرَحٌ محجراً، وأَبْضَعَةٌ محجراً، وأختهم العَمْرَدَةُ محجراً - وكانت بنو عمرو بن معاوية على هؤلاء الرؤساء - ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرهما، فنزل الأشعث بن قيس مُحَجَّراً، والسَّمِيطُ بن الأسود محجراً، وطابقت معاوية كلُّها على منع الصدقة، وأجمعوا على الرّدة إلا ما كان من

شُرْحِيل بن السَّمط وابنه، فإنها قاما في بني معاوية، فقالا: والله إن هذا لَقَبِيحٌ بأقوام أحرار التنقل؛ إن الكرام ليكونون على الشبهة فيتكرّمون أن يتنقلوا منها إلى أوضح منها مخافة العار؛ فكيف بالرجوع عن الجميل، وعن الحق إلى الباطل والقبيح! اللهم إنا لا نغالي قومنا على هذا، وإنا لنأدّمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا - يعني يوم البكرة ويوم النفرة - وخرج شُرْحِيل بن السَّمط وابنه السَّمط، حتى أتيا زياد بن لبيد، فانضما إليه، وخرج ابن صالح وامرؤ القيس بن عابس؛ حتى أتيا زياداً، فقالا له: بيّت القوم، فإن أقواماً من السكاسك قد انضموا إليهم، وقد تسرّع إليهم قوم من السكون وشذاذ من حضرموت، لعلنا نوقع بهم وقعة تورث بيننا عداوة، وتفرّق بيننا؛ وإن أبيت خشينا أن يرفض الناس عنا إليهم؛ والقوم غارون لمكان من أناهم، راجون لمن بقي. فقال: شأنكم. فجمعهم جميعهم، فطرقوهم في محاجرهم، فوجدوهم حول نيرانهم جلوساً، فعرفوا من يريدون فأكبوا على بني عمرو بن معاوية؛ وهم عدد القوم وشوكتهم، من خمسة أوجه في خمس فرق، فأصابوا مشرحاً ومخوصاً وجمداً وأبضعة وأختهم العُمدة، أدركتهم اللعنة، وقتلوا فأكثرُوا، وهرب من أطاق الهرب، ووُهنّت بنو عمرو بن معاوية، فلم يأتوا بخير بعدها، وانكفأ زياد بالسبي والأموال، وأخذوا طريقاً يُقضي بهم إلى عسكر الأشعث وبني الحارث بن معاوية؛ فلما مرّوا بهم فيه استغاث نسوة بني عمرو بن معاوية ببني الحارث ونادينه: يا أشعث، يا أشعث! خالاتك خالاتك! فثار في بني الحارث فتتقدّمهم - وهذه الثالثة - وقال الأشعث:

منعت بني عمرو وقد جاء جمعهم بأمعز من يوم البضيض وأصبرا

وعلم الأشعث أن زياداً وجنده إذا بلغهم ذلك لم يقلعوا عنه ولا عن بني الحارث بن معاوية وبني عمرو بن معاوية، فجمع إليه بني الحارث بن معاوية وبني عمرو بن معاوية، ومن أطاعه من السكاسك والخصائص من قبائل ما حولهم، وتباين لهذه الواقعة من حضرموت من القبائل، فثبت أصحاب زياد على طاعة زياد، ولبّت كندة، فلما تباينت القبائل كتب زياداً إلى المهاجر، وكتبه الناس فتلّقاه بالكتاب، وقد قطع صهيدي - مفاضة ما بين مأرب وحضرموت - واستخلف على الجيش عكرمة، وتعجّل في سرعان الناس، ثم سار حتى قدّم على زياد؛ فنهد إلى كندة وعليهم الأشعث، فالتقوا بحجر الزرقان فاقتتلوا به فهزمت كندة، وقُتلت وخرجوا هرباً، فالتجأت إلى النجير وقد رمّوه وحصنوه، وقال في يوم تحجر الزرقان المهاجر:

كُنّا بزرقان إذ يُشردُّكم بحرٌ يُزجّي في موجه الحطبا
نحن قتلناكم بمحجركم حتى ركبتم من خوفنا السبيّا
إلى حصار يكون أهونه سبي الدّراري وسوقها خببّا

وسار المهاجر في الناس من تحجر الزرقان حتى نزل على النجير، وقد اجتمعت إليه كندة، فتحصّنوا فيه؛ ومعهم من استغفوا من السكاسك وشذاذ من السكون وحضرموت والنجير، على ثلاثة سبل، فنزل زياد على أحدها، ونزل المهاجر على الآخر، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ويذهبون فيه، إلى أن قدم عكرمة في الجيش، فأنزله على ذلك الطريق، فقطع عليهم المواد وردّهم، وفرّق في كندة الخيول، وأمرهم أن يوطئوهم. وفيمن بعث يزيد بن قنّان من بني مالك بن سعد، فقتل من بقرى بني هند إلى برّهوت، وبعث فيمن بعث إلى الساحل خالد بن فلان المخزومي وربيعه الحضرمي، فقتلوا أهل محّا وأحياء آخر؛ وبلغ كندة وهم في الحصار ما لقي

سائر قومهم، فقالوا: الموت خير مما أنتم فيه؛ جُزُوا نواصيكم حتى كأنكم قومٌ قد وهبتم لله أنفسكم، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه؛ لعله أن ينصركم على هؤلاء الظلمة. فجزوا نواصيهم، وتعاهدوا وتواثقوا ألا يفر بعضهم عن بعض، وجعل راجزهم يرتجز في جوف الليل فوق حصنهم:

صَبَاحُ سَوْءٍ لِبَنِي قَتِيرَةٍ وَلِلْأَمِيرِ مِنْ بَنِي الْمَغِيرَةِ

وجعل راجز المسلمين زياد بن دينار يرد عليهم:

لَا تَوَعِدُونَا وَاصْبِرُوا حَصِيرَةٍ نَحْنُ خِيُولُ وَلَدِ الْمَغِيرَةِ

وَفِي الصَّبَاحِ تَظْفَرُ الْعَشِيرَةُ

فلما أصبحوا خرجوا على الناس، فاقتتلوا بأفنية النجير، حتى كثرت القتل بحيال كل طريق من الطرق الثلاثة، وجعل عكرمة يرتجز يومئذ، ويقول:

أَطَعْنُهُمْ وَأَنَا عَلَى أَوْفَازٍ طَعْنَا أَبَوَاءَ بِهِ عَلَى مَجَازٍ

ويقول:

أَنْفِذْ قَوْلِي وَلَهُ نَفَادُ وَكُلُّ مَنْ جَاوَرَنِي مُعَادُ

فهزمت كندة، وقد أكثروا فيهم القتل.

وقال هشام بن محمد: قَدِمَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بَعْدَ مَا فَرَّغَ الْمُهَاجِرُ مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ مَدَدًا لَهُ، فَقَالَ زِيَادُ وَالْمُهَاجِرُ لِمَنْ مَعَهُمَا: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدِمُوا مَدَدًا لَكُمْ، وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ بِالْفَتْحِ فَأَشْرَكُوهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ. ففعلوا وأشركوا من لحق بهم، وتواصوا بذلك، وبعثوا بالأخماس والأسرى، وسار البشير فسبقهم؛ وكانوا يبشرون القبائل ويقرؤون عليهم الفتح.

وكتب إلى السري، قال: كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة: إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا؛ فإن ظفرتهم بالقوم فاقتلوا المقاتلة؛ واسبوا الذرية إن أخذتموهم غنوة، أو ينزلوا على حكمي، فإن جرى بينكم صلح قبل ذلك فعلى أن تخرجوهم من ديارهم؛ فإنني أكره أن أقر أقواماً فعلوا فعلهم في منازلهم، ليعلموا أن قد أساءوا، وليذوقوا وبال بعض الذي أتوا.

قال أبو جعفر: ولما رأى أهل النجير المواد لا تنقطع عن المسلمين، وأيقنوا أنهم غير منصرفين عنهم، عت أنفسهم، ثم خافوا القتل، وخاف الرؤساء على أنفسهم؛ ولو صبروا حتى يجيء المغيرة لكانت لهم في على الجلاء نجاة. فعجل الأشعث، فخرج إلى عكرمة بأمان، وكان لا يأمن غيره؛ وذلك أنه كان بن الجون، خطبها وهو يومئذ بالجند ينتظر المهاجر، فأهداها إليه أبوها قبل أن آمنه له على نفسه، ونقر معه تسعة؛ على أن يؤمنهم وأهليهم وأن يفتحوا لهم ثمة لنفسك، ثم هلم كتابك أختمه.

أ. إسحاق الشيباني، عن سعيد بن أبي بردة، عن

أ. أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه،

ب. عكرمة بن أبي جهل، عن أبي بكر

فقال له المهاجر: اكتب ما شئت وأعجل، فكتب أمانه وأمانهم، وفيهم أخوه وبنو عمه وأهلهم، ونسي نفسه، عَجَلَ وَدَهَشَ. ثم جاء بالكتاب فختمه؛ ورجع فسَرَّبَ الذين في الكتاب.

وقال الأجلح والمجالد: لما لم يبق إلا أن يكتب نفسه وثب عليه جَحْدَمَ بِشْفَرَةٍ، وقال: نفسك أو تكتبني! فكتبه وترك نفسه.

قال أبو إسحاق: فلما فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يدعوا فيه مقاتلا إلا قتلوه؛ ضَرَبُوا أعناقهم صَبْرًا، وأحصى ألف امرأة مَن في النَجِيرِ وَالْحَنْدَقِ؛ ووضع على السَّبْيِ وَالْفَيءِ الأحراس، وشاركهم كثير.

وقال كثير بن الصلت: لما فُتِحَ الباب وفُرِغَ مَن في النَجِيرِ، وأحصى ما أفاء الله عليهم، دعا الأشعث بأولئك النَّفَرِ، ودعا بكتابه فعرَضَهم، فأجاز مَن في الكتاب، فإذا الأشعث ليس فيه، فقال المهاجر: الحمد لله الذي أخطأك نوءُك يا أشعث، يا عدو الله! قد كنت أشتي أن يحزبك الله. فشده وثاقا، وهم بقتله، فقال له عكرمة: أخره، وأبلغه أبا بكر، فهو أعلم بالحكم في هذا. وإنه كان رجلاً نسي اسمه أن يكتبه؛ وهو وليّ المخاطبة. أذاك يبطل ذاك! فقال المهاجر: إن أمره ليبن، ولكني أتبع المشورة وأوثرها. وأخره وبعث به إلى أبي بكر مع السبي، فكان معهم يلعبه المسلمون ويلعبه سبائا قومه، وسماه نساء قومه عُرْفَ النَّارِ - كلامٌ يمانِ يسمون به الغادر - وقد كان المغيرة تحير ليله للذي أراد الله، فجاء القوم في دمائهم والسبي على ظهر، وسارت السبائا والأسرى، فقدم القوم على أبي بكر رحمه الله بالفتح والسبائا والأسرى. فدعا بالأشعث، فقال: استرلك بنو وليعة، ولم تكن لتسترل لهم - ولا يرونك لذلك أهلاً - وهلكوا وأهلكوك! أما تخشى أن تكون دعوة رسول الله ﷺ قد وصل إليك منها طرف! ما تراني صانعاً بك؟ قال: إني لا أعلم لي برأيك، وأنت أعلم برأيك، قال: فإني أرى قتلك. قال: فإني أنا الذي راوضت القوم في عشرة، فما يحلُّ دمي، قال: أفوضوا إليك؟ قال: نعم، قال: ثم أتيتهم بما فوضوا إليك فختموه لك؟ قال: نعم، قال: فإنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على مَن في الصحيفة، وإنما كنت قبل ذلك مُراوضاً. فلما خشي أن يقع به قال: أو تحسب فيّ خيراً فتطلق إسرائي وتقبلي عثري، وتقبل إسلامي، وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي وترد علي زوجتي - وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة مَقْدَمَهُ على رسول الله ﷺ؛ فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية، فمات رسول الله ﷺ، وفعل الأشعث ما فعل، فخشي ألا ترد عليه - تجدني خير أهل بلادي لدين الله! فتجافى له عن دمه، وقيل منه، ورد عليه أهله، وقال: انطلق فليبلغني عنك خيرٌ وخلى عن القوم فذهبوا، وقسم أبو بكر في الناس الخمس، واقتسم الجيش الأربعة الأخماس.

قال أبو جعفر: وأما ابن حميد، فإنه قال: حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أن الأشعث لما قُدم به على أبي بكر، قال: ماذا تراني أصنع بك؛ فإنك قد فعلت ما علمت! قال: تمنُّ عليّ فتفككني من الحديد وتزوجني أختك؛ فإني قد راجعتُ وأسلمتُ. فقال أبو بكر: قد فعلتُ. فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة، فكان بالمدينة حتى فتح العراق.

رجع الحديث إلى حديث سيف. فلما ولي عمر رحمه الله، قال: إنه ليقبُح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً، وقد وسَّع الله، وفتح الأعاجم. واستشار في فداء سبائا العرب في الجاهلية والإسلام إلا ما استأجر سيدها، وجعل فداء كلِّ إنسان سبعة أبعرة وستة أبعرة إلا حنيفة كندة؛ فإنه خُفَّ.

يقدر على فداء لقيامهم وأهل ذبّا، فتتبع رجاءهم نساءهم بكل مكان. فوجد الأشعث في بني نهد وبني غطيف امرأتين؛ وذلك أنه وقف فيها يسأل عن غراب وعقاب، فقيل: ما تريد إلى ذلك؟ قال: إن نساءنا يوم النجير خطفهنّ العقبان والغربان والذئاب والكلاب. فقال بنو غطيف: هذا غراب، قال: فما موضعه فيكم؟ قالوا: في الصيانة، قال فنعم، وانصرف. وقال عمر: لا ملّك على عربيّ، للذي أجمع عليه المسلمون معه.

قالوا: ونظر المهاجر في أمر المرأة التي كان أبوها النعمان بن الجؤن أهداها لرسول الله ﷺ؛ فوصفها أنها لم تشك قط فردّها، وقال: لا حاجة لنا بها، بعد أن أجلسها بين يديه وقال له: لو كان لها عند الله خير لا شكت. فقال المهاجر لعكرمة: متى تزوجتها؟ قال: وأنا بعدن، فأهديت إليّ بالجند، فسافرت بها إلى مأرب، ثم أوردتها العسكر. فقال بعضهم: دعها فإنها ليست بأهل أن يرغب فيها. وقال بعضهم: لا تدعها. فكتب المهاجر إلى أبي بكر رحمه الله يسأله عن ذلك، فكتب إليه أبو بكر: إن أباه النعمان بن الجؤن أتى رسول الله ﷺ، فزيّن له حتى أمره أن يجيئه بها، فلما جاءه بها قال: أزيدك أنها لم تيجع شيئاً قط، فقال: لو كان لها عند الله خير لا شكت، ورغب عنها، فارغبوا عنها. فأرسلها وبقي في قريش بعد ما أمر عمر في السبي بالفداء عدّة، منهم بشرى بنت قيس بن أبي الكيسم عند سعد بن مالك، فولدت له عمر، وزُرعة بنت مشرَح عند عبدالله بن العباس ولدت له عليّاً.

وكتب أبو بكر إلى المهاجر يخبره اليمن أو حضرموت؛ فاختار اليمن، فكانت اليمن على أميرين: فيروز والمهاجر، وكانت حضرموت على أميرين: عبدة بن سعد على كندة والسكاسك، وزيد بن ليبد على حضرموت.

وكتب أبو بكر إلى عمّال الردّة: أمّا بعد، فإن أحبّ من أدخلتم في أموركم إليّ من لم يرتدّ ومن كان ممن لم يرتدّ، فأجمعوا على ذلك، فاتخذوا منها صنائع، وائذنوا لمن شاء في الانصراف، ولا تستعينوا بمرتدّ في جهاد عدوّ.

وقال الأشعث بن مثناس السكوني يكي أهل النجير:

لعمري وما عمري عليّ بهيّن	لقد كنت بالقتلى لحقّ ضنين
فلا غرو إلا يوم أفرع بينهم	وما الدهر عندي بعدهم بأمين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم	ولم تمش أنثى بعدهم لجنين
وكنّت كذات البوريعت فأقبلت	على بوها إذ طرّبت بحنين

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن موسى بن عقبة، عن الضحّاك بن خليفة، قال: وقع إلى المهاجر امرأتان مغنيتان؛ غنّت إحداها بشتّم رسول الله ﷺ، فقطع يدها، ونزع ثنيتها؛ فكتب إليه أبو بكر رحمه الله: بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنّت وزمرت بشتيمة رسول الله ﷺ؛ فلو لا ما قد سبقني فيها لأمرتك بقتلها؛ لأنّ حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتدّ، أو معاهد فهو محارب غادر.

وكتب إليه أبو بكر في التي تغنّت بهجاء المسلمين: أمّا بعد؛ فإنه بلغني أنك قطعت يد امرأة في أن تغنّت بهجاء المسلمين، ونزعت ثنيتها فإن كانت ممن تدّعي الإسلام فأدب وتقدمه دون المثلة، وإن كانت ذميّة فلعمري لما صفحت عنه من الشّرك أعظم، ولو كنت تقدّمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروهاً؛ فاقبل الدّعة

وإياك والمثلة في الناس ؛ فإنها مآثم ومُنْفَرَة إِلَّا في قصاص .

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى عشرة - انصرف مُعَاذ بن جَبَل من اليمن .

واستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب ، فكان على القضاء أيام خلافته كلها .

وفيهما أمر أبو بكر رحمه الله على الموسِم عَتَّاب بن أسيد - فيما ذكره الذين أسند إليهم خبره عليّ بن محمد الذين ذكرت قبل في كتابي هذا أسماءهم .

وقال علي بن محمد : وقال قومٌ : بل حجّ بالناس في سنة إحدى عشرة عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبي بكر إياه بذلك .

ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة

قال أبو جعفر، ولما فرغ خالدٌ من أمر اليمامة، كتب إليه أبو بكر الصديق رحمه الله؛ وخالد مقيم باليمامة - فيما حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهري، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي: أن سِرَّ إلى العراق حتى تدخلها؛ وابدأ بفِرْج الهند، وهي الأُبلة، وتألف أهل فارس، ومَن كان في مُلكهم من الأمم.

حدثني عمر بن شُبَّة، قال: حدثنا علي بن محمد بالإسناد الذي قد تقدَّم ذكره، عن القوم الذين ذكرتهم فيه، أن أبا بكر رحمه الله وجَّه خالد بن الوليد إلى أرض الكوفة، وفيها المثنى بن حارثة الشيباني، فسار في المحرم سنة اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة، وفيها قُطبة بن قَتادة السدوسي.

قال أبو جعفر: وأما الواقدي، فإنه قال: اختلَف في أمر خالد بن الوليد، فقائل يقول: مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق. وقائل يقول: رجع من اليمامة، فقدم المدينة، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكوفة؛ حتى انتهى إلى الحيرة.

حدثنا ابن حُجيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن صالح بن كيسان؛ أن أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق، فمضى خالد يريد العراق، حتى نزل بقرىات من السَّواد، يقال لها: بانقيا وباروسما وألئيس؛ فصالحه أهلها، وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا، وذلك في سنة اثنتي عشرة، فقبل منهم خالد الجزية وكتب لهم كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد لابن صلوبا السَّوادي - ومنزله بشاطئ الفُرات - إنك آمنٌ بأمان الله - إذ حقن دمه بإعطاء الجزية - وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خُرجك وجزيرتك ومَن كان في قريتك - بانقيا وباروسما - ألف درهم - فقبلتها منك، ورضيَ مِن معي من المسلمين بها منك، ولك ذمَّة الله وذمَّة محمد ﷺ، وذمَّة المسلمين على ذلك. وشهد هشام بن الوليد.

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشراؤهم مع قبصة بن إياس بن حيَّة الطائي - وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر - فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أحببتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم؛ فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرصُّ على الموت منكم على الحياة؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

فقال له قبصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا، ونعطيك الجزية. فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية وقعت بالعراق، هي القرىات التي صالح عليها ابن صلوبا.

قال أبو جعفر: وأمّا هشام بن الكلبي؛ فإنه قال: لما كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشام، أمره أن يبدأ بالعراق فيمر بها؛ فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النّجّاج.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني أبو الخطّاب حمزة بن عليّ، عن رجل من بكر بن وائل، أن المثنى بن حارثة الشيبانيّ، سار حتى قدّم على أبي بكر رحمه الله، فقال: أمّري على من قبلي من قومي؛ أقاتل من يليني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي، ففعل ذلك؛ فأقبل فجمع قومه وأخذ يُغير بناحية كسكر مرة، وفي أسفل الفرات مرة، ونزل خالد بن الوليد النّجّاج والمثنى بن حارثة بخفّان معسكر، فكتب إليه خالد بن الوليد ليأتيه، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره فيه بطاعته؛ فانقضّ إليه جواداً حتى لحق به، وقد زعمت بنو عجل أنه كان خرج مع المثنى بن حارثة رجلاً منهم يقال له مذعور بن عديّ، نازع المثنى بن حارثة، فتكاتبا إلى أبي بكر؛ فكتب أبو بكر إلى العجليّ يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام، وأقرّ المثنى على حاله، فبلغ العجليّ مصر، فشرف بها وعظم شأنه، فداره اليوم بها معروفة؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير، فعرض له جابان صاحب أليس، فبعث إليه المثنى بن حارثة، فقاتله فهزمه، وقتل جُلّ أصحابه، إلى جانب نهر ثمّ يدعى نهر دم لتلك الوقعة؛ وصالح أهل أليس، وأقبل حتى دنا من الحيرة، فخرجت إليه خيول آزابه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالحي ما بينه وبين العرب، فلحقوهم بمجتمع الأنهار، فتوجّه إليهم المثنى بن حارثة، فهزمهم الله.

ولما رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بُقيلة وهاني بن قبيصة، فقال خالد لعبد المسيح: من أين أتوك؟ قال: من ظُهر أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: ويحك! على أيّ شيء أنت؟ قال: على الأرض، قال: ويلك! في أيّ شيء أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ويحك! تعقل؟ قال: نعم وأقيد، قال: إنّما أسألك، قال: وأنا أجيبك، قال: أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلّم، قال: فما هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها للسّفيه نحسبه حتى يجيء الحليم فينهاه. ثم قال لهم خالد: إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلکم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر. فقالوا: لا حاجة لنا في حربك، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم، فكانت أوّل جزية حملت إلى المدينة من العراق. ثم نزل على بانقيا، فصالحه بصبُهرى بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان؛ وكتب لهم كتاباً، وكان صالح خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً، ففعلوا.

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدّثني المجالد بن سعيد، عن الشعبي، قال: أقرّاني بنو بُقيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن:

من خالد بن الوليد إلى مرازية أهل فارس؛ سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فالحمد لله الذي فضّ خدمتكم، وسلب مُلككم، ووهن كيدكم. وإنّه من صلّى صلاتنا؛ واستقبل قبيلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا. أمّا بعد، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهْن، واعتقدوا مني الدّمة، وإلّا فوالذي لا إله غيره لأبعثنّ إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة.

فلما قرؤوا الكتاب، أخذوا يتعجّبون، وذلك سنة اثني عشرة.

قال أبو جعفر: وأمّا غير ابن إسحاق وغير هشام ومن ذكرت قوله من قبل، فإنّه قال في أمر خالد ومسيره

إلى العراق ما حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بن سعد الزُّهْرِيُّ، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي، عن سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشَّعْبِيِّ، قال: لَمَّا فَرَّغَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ الْيَمَامَةِ، كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيْكَ فَعَارِقَ حَتَّى تَلْقَى عِيَاضًا. وَكَتَبَ إِلَى عِيَاضِ بْنِ غَنْمٍ وَهُوَ بَيْنَ النَّبَاجِ وَالْحِجَازِ: أَنْ سِرْ حَتَّى تَأْتِيَ الْمُصَيِّخَ فَاذْهَبْ، ثُمَّ ادْخُلِ الْعِرَاقَ مِنْ أَعْلَاهَا، وَعَارِقَ حَتَّى تَلْقَى خَالِدًا. وَأَذْنَا لِمَنْ شَاءَ بِالرَّجُوعِ، وَلَا تَسْتَفْتَحَا بِمُتَكَارِهِ.

ولما قدم الكتاب على خالد وعياض، وأذنا في القفل عن أمر أبي بكر قفل أهل المدينة وما حولها وأعرههما، فاستمدا أبا بكر، فأمد أبو بكر خالدًا بالقعقاع بن عمرو التميمي، فقبل له: أتمد رجلًا قد ارفض عنه جنوده برجل! فقال: لا يُهْزَمُ جَيْشٌ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا. وأمد عياضًا بعبد بن عوف الحميري، وكتب إليهما أن استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ولا يغزونا معكم أحدًا ارتد حتى أرى رأيي. فلم يشهد الأيام مرتد.

فلما قدم الكتاب على خالد بتأمر العراق. كتب إلى حرملة وسلمي والمثنى ومذعور بالحقاق به، وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الأبلّة، وذلك أن أبا بكر أمر خالدًا في كتابه: إذا دخل العراق أن يبدأ بفرج أهل السند والهند - وهو يومئذ الأبلّة - ليوم قد سمّاه، ثم حشر من بينه وبين العراق، فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر إلى ألفين كانا معه، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة - يعني بالأمراء الأربعة: المثنى، ومذعورًا، وسلمي، وحرملة - فلقى هُرمُز في ثمانية عشر ألفًا.

حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي، عن سيف، عن المهلب الأسدي عن عبد الرحمن بن سبياه، وطلحة بن الأعلم، عن المغيرة بن عتيبة، قالوا: كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد، إذ أمره على حرب العراق؛ أن يدخلها من أسفلها. وإلى عياض إذ أمره على حرب العراق؛ أن يدخلها من أعلاها؛ ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه، وقال: إذا اجتمعتما بالحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس وأمنّتا أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحكما رداءً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة؛ وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم؛ المدائن.

حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي، عن سيف، عن المجالد، عن الشَّعْبِيِّ، قال: كتب خالد إلى هُرمُز قبل خروجه مع آزادبه - أبي الزيادة الذين باليمامة وهرمز صاحب الثغر يومئذ: أما بعد، فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرر بالجزية؛ وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

قال سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن المغيرة بن عتيبة - وكان قاضي أهل الكوفة - قال: فرق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة. فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم؛ وخرج خالد ودليله رافع؛ فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموها به عدوهم؛ وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأنًا، وأشدّها شوكة، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر.

قال - وشاركه المهلب بن عتبة وعبد الرحمن بن سبياه الأحمري، الذي تُنسب إليه الحمراء؛ فيقال: حمراء سياه - قال: لَمَّا قَدِمَ كِتَابُ خَالِدٍ عَلَى هُرمُزَ كَتَبَ بِالْخَبَرِ إِلَى شِيرَى بْنِ كَسْرَى وَإِلَى أَرْدَشِيرَ بْنِ شِيرَى وَجَمَعَ جَمُوعَهُ،

ثم تعجّل إلى الكواظم في سرعان أصحابه ليتلقّى خالدًا، وسبق حلبته فلم يجدها طريق خالد، وبلغه أنهم تواعدوا الحفير، فعاج يبادره إلى الحفير فنزله، فتعبى به، وجعل على مجنّبه أخوين يُلاقيان أردشير وشيرى إلى أردشير الأكبر، يقال لهما: قُبَاذ وأنوشجان، واقتنوا في السلاسل، فقال من لم ير ذلك لمن رآه: قيّدتم أنفسكم لعدوكم، فلا تفعلوا، فإنّ هذا طائر سوء، فأجابوهم وقالوا: أمّا أنتم فحدّثونا أنكم تريدون الهرب. فلما أتى الخبر خالدًا بأنّ هرمز في الحفير أمال الناس إلى كاظمة، وبلغ هرمز ذلك. فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير؛ وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرّج جواراً للعرب، فكلّ العرب عليه مغيظ؛ وقد كانوا ضربوه مثلاً في الحبث حتى قالوا: أحبّ من هرمز، وأكفر من هرمز. وتعبى هرمز وأصحابه واقتنوا في السلاسل، والماء في أيديهم. وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء، فقالوا له في ذلك، فأمر مناديه، فنادى: ألا انزلوا وحطّوا أثقالكم، ثم جالدوهم على الماء، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، وأكرم الجندين؛ فحطّ الأثقال والخيول وقوف، وتقدّم الرّجل، ثم زحف إليهم حتى لا قاهم؛ فاقتتلوا، وأرسل الله سحابةً فأغزرت ما وراء صفّ المسلمين، فقوّاهم بها؛ وما ارتفع النهار وفي الغائط مقترن.

حدّثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمّي، عن سيف، عن عبد الملك بن عطاء البكائي؛ عن المقطّع بن الهيثم البكائي بمثله، وقالوا: وأرسل هرمز أصحابه بالغد ليغديروا بخالد، فواطؤوه على ذلك، ثم خرج هرمز، فنادى رجلٌ ورجلٌ: أين خالد؟ وقد عهد إلى فرسانه عهده، فلمّا نزل خالد نزل هرمز، ودعاه إلى النزال فنزل خالد فمشى إليه، فالتقيا فاختلفا ضربتين، واحتضنه خالد، وحملت حامية هرمز وغدرت، فاستلحموا خالدًا، فما شغله ذلك عن قتله. وحمل القعقاع بن عمرو واستلحم حمّة هرمز فأناموهم؛ وإذا خالد يماصعهم، وانهمز أهل فارس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، وجمع خالد الرّثا وفيها السلاسل، فكانت وقربعير، ألف رطل، فسمّيت ذات السلاسل، وأفلت قُبَاذ وأنوشجان.

حدّثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمّي، عن سيف، عن عمرو بن محمّد؛ عن الشعبي، قال: كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم، فمنّ تمّ شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف. فكان هرمز ممن تمّ شرفه، فكانت قيمتها مائة ألف؛ فنقلها أبو بكر خالدًا، وكانت مفصّصة بالجواهر، وتما شرف أحدهم أن يكون من بُبوتات.

حدّثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمّي عن سيف، عن محمّد بن نؤيرة، عن حنظلة بن زياد بن حنظلة، قال: لما تراجع الطّلب من ذلك اليوم، نادى منادي خالد بالرحيل، وسار بالناس، وأتبعته الأثقال؛ حتى ينزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وقد أفلت قُبَاذ وأنوشجان، وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأخماس وبالفيل، وقرأ الفتح على الناس. ولما قدم زرّ بن كليب بالفيل مع الأخماس، فطيف به في المدينة ليراه الناس، جعل ضعيفات النساء يقلن: أمّن خلق الله ما نرى! ورأيتُه مصنوعاً، فردّه أبو بكر مع زرّ. قال: ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة؛ بعث المثنّى بن حارثة في آثار القوم؛ وأرسل معقل بن مقرن المُرّي إلى الأبلّة ليجمع له مالها والسبي، فخرج معقل حتى نزل الأبلّة فجمع الأموال والسبايا.

قال أبو جعفر: وهذه القصة في أمر الأبلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير، وخلاف ما جاءت به الآثار الصّحاح، وإمّا كان فتح الأبلّة أيام عمر رحمه الله، وعلى يد عُتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة؛

وسنذكر أمرها وقصة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله .

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن محمد بن نويرة، عن حنظلة بن زياد، قال: وخرج المثنى حتى انتهى إلى نهر المرأة، فأنهى إلى الحصن الذي فيه المرأة، فخلّف المعنى بن حارثة عليه، فحاصرها في قصرها، ومضى المثنى إلى الرجل فحاصره ثم استنزهم عنوة؛ فقتلهم واستفاء أموالهم؛ ولما بلغ ذلك المرأة صالحت المثنى وأسلمت، فتروّجها المعنى، ولم يحرك خالد وأمرأؤه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدم أبي بكر إليه فيهم، وسبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمر الأعاجم، وأقر من لم ينهض من الفلاحين، وجعل لهم الدّمة؛ وبلغ سهم الفارس في يوم ذات السلاسل والثني ألف درهم، والراجل على الثلث من ذلك.

قال: وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة، ويومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار. حدثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمي، عن سيف، عن زياد والمهلب، عن عبد الرحمن بن سياه الأحمري.

وأما فيما كتب به إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، فإنه عن سيف، عن المهلب بن عتبة وزياد بن سرجس الأحمري وعبد الرحمن بن سياه الأحمري وسفيان الأحمري، قالوا: وقد كان هُرمز كتب إلى أردشير وشيرى بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه، فأمدّه بقارن بن قريانس، فخرج قارن من المدائن مُمداً لهرمز؛ حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة؛ وانتهت إليه الفُلال فتذامروا، وقال فُلال الأهواز وفارس لفُلال السواد والجبل: إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبداً؛ فاجتمعوا على العود مرة واحدة، فهذا مدد الملك وهذا قارن، لعلّ الله يديّلنا ويشفيّننا من عدونا ونُدرك بعض ما أصابوا منا. ففعلوا وعسكروا بالمذار، واستعمل قارن على مجنبته قُبّاذ وأنوشجان، وأرز المثنى والمعنى إلى خالد بالخبر؛ ولما انتهى الخبر إلى خالد عن قارن قسم الفيء على من أفاءه الله عليه، ونفل من الخمس ما شاء الله، وبعث ببقية وبالفتح إلى أبي بكر وبالخبر عن القوم وباجتماعهم إلى الثني المغيث والمغاث، مع الوليد بن عتبة - والعرب تسمى كل نهر الثني - وخرج خالد سائراً حتى ينزل المذار على قارن في جموعه؛ فالتقوا وخالد على تعبته، فاقتتلوا على حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو للبراز، فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النّباش، فابتدراه، فسبّقه إليه معقل، فقتله وقتل عاصم الأنوشجان، وقتل عديّ قُبّاذ. وكان شرف قارن قد انتهى؛ ثم لم يقاتل المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه في الأعاجم، وقتلت فارس مقتلة عظيمة؛ فضمّوا السفن، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم، وأقام خالد بالمذار، وسلّم الأسلاب لمن سلبها بالغّة ما بلغت، وقسم الفيء ونفل من الأخماس أهل البلاء، وبعث ببقية الأخماس، ووفد وفداً مع سعيد بن النعمان أخي بني عديّ بن كعب.

حدثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمي، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان، قال: قتل ليلة المذار ثلاثون ألفاً سوى من غرق، ولولا المياه لأتي على آخرهم؛ ولم يفلت منهم من أفلت إلا عرّة وأشباه العرّة.

قال سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبي، قال: كان أول من لقي خالد مهبطه العراق هُرمز بالكواظم، ثم نزل الفرات بشاطيء دجلة؛ فلم يلق كيداً، وتبحّج بشاطيء دجلة، ثم الثني، ولم يلق بعد هُرمز أحداً إلا كانت الوقعة الآخرة أعظم من التي قبلها، حتى أتى دومة الجندل، وزاد سهم الفارس في يوم الثني على سهمه في ذات السلاسل. فأقام خالد بالثني يسبي عيالات المقاتلة ومن أعانهم، وأقرّ الفلاحين ومن أجاب

إلى الخراج من جميع الناس بعدما دُعوا، وكلّ ذلك أخذ عنوةً ولكن دُعوا إلى الجزاء، فأجابوا وتراجعوا، وصاروا ذمّة، وصارت أرضهم لهم؛ كذلك جرى ما لم يُقسم، فإذا اقتُسم فلا.

وكان في السّبي حبيب أبو الحسن - يعني أبا الحسن البصري - وكان نصرانياً، ومافنة مولى عثمان، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبه.

وأمر على الجند سعيد بن النعمان، وعلى الجزاء سويد بن مقرن المزني، وأمره بنزول الحفير، وأمره ببث عماله ووضع يده في الجباية، وأقام لعدوه يتحسّس الأخبار.

ثم كان أمر الوجّة في صفر من سنة اثنتي عشرة؛ والوجّة مما يلي كسكر من البر.

حدّثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمي، قال: حدّثني سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبي، قال لما فرغ خالد من الثّني وأق الخبر أردشير بعث الأندرزغر؛ وكان فارسياً من مولدي السّواد.

حدّثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمي، قال: حدّثني سيف، عن زياد بن سرجس، عن عبد الرحمن بن سياه، قال - وفيما كتب به إلى السري، قال: حدّثنا شعيب، قال: حدّثنا سيف، عن المهلب بن عقبة وزياد بن سرجس وعبد الرحمن بن سياه - قالوا: لما وقع الخبر بأردشير بمصاب قارن وأهل المذار، أرسل الأندرزغر؛ - وكان فارسياً من مولدي السّواد وتناهم، ولم يكن ممن وُلد في المدائن ولا نشأ بها - وأرسل بهم جاذويه في أثره في جيش، وأمره أن يعبر طريق الأندرزغر، وكان الأندرزغر قبل ذلك على فرج خراسان، فخرج الأندرزغر سائراً من المدائن حتى أتى كسكر، ثم جازها إلى الوجّة، وخرج بهم جاذويه في أثره، وأخذ غير طريقه، فسلك وسط السّواد، وقد حشر إلى الأندرزغر من بين الحيرة وكسكر من عرب الضّاحية والدّهاقين فعسكروا إلى جنب عسكره بالوجّة، فلما اجتمع له ما أراد واستتمّ أعجبه ما هو فيه، وأجمع السير إلى خالد؛ ولما بلغ خالد وهو بالثّني خبر الأندرزغر ونزوله الوجّة، نادى بالرجيل، وخلف سويد بن مقرن، وأمره بلزوم الحفير، وتقدّم إلى من خلف في أسفل دجلة؛ وأمرهم بالحذر وقلة الغفلة، وترك الاغترار، وخرج سائراً في الجنود نحو الوجّة، حتى ينزل على اندرزغر وجنوده ومن تأسّب، إليه، فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ هو أعظم من قتال الثّني.

حدّثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمي، عن سيف، عن محمد بن أبي عثمان، قال: نزل خالد على الأندرزغر بالوجّة في صفر، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، حتى ظنّ الفريقان أن الصبر قد فرغ، واستبطأ خالد كمينه.

وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتين، عليهم بسر بن أبي رهم وسعيد بن مرة العجلي، فخرج الكمين في وجهين، فانهزمت صفوف الأعاجم وولّوا، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم، فلم ير رجل منهم مقتلاً صاحبه؛ ومضى الأندرزغر في هزيمته، فمات عطشاً. وقام خالد في الناس خطيباً يرغبهم في بلاد العجم، ويزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترون إلى الطّعام كرفع التراب وبالله لو لم يلزمنّا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ولم يكن إلّا المعاش، لكان الرأي أن نقارع على هذا الرّيف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثقل عمّا أنتم عليه. وسار خالد في الفلاحين بسيرته فلم يقتلهم، وسبى ذراريّ المقاتلة ومن أعانهم، ودعا أهل الأرض إلى الجزاء والذمّة، فتراجعوا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف - وحدّثنا عبيد الله، قال: حدّثني عمي، عن سيف - عن

عمرو، عن الشعبي، قال: بارز خالد يوم الوجة رجلاً من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله، فلما فرغ اتكأ عليه، ودعا بغدائه. وأصاب في أناس من بكر بن وائل ابناً لجابر بن بجير وابناً لعبد الأسود.

خبر أليس، وهي على صلب الفرات

قال أبو جعفر، حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثنا سيف، عن محمد بن طلحة، عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة. وأما السري فإنه قال فيما كتب إلي: حدثنا شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة، قالوا: ولما أصاب خالد يوم الوجة من أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم؛ فكتبوا الأعاجم وكتبتهم الأعاجم؛ فاجتمعوا إلى أليس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان أشد الناس على أولئك النصارى مسلمو بني عجل: عتيبة بن النحاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي. وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه، وهو بفسيانا - وكان رافد فارس في يوم من أيام شهرهم وبنوا شهرهم كل شهر على ثلاثين يوماً؛ وكان لأهل فارس في كل يوم رافد قد نصب لذلك يرفدهم عند الملك؛ فكان رافدهم بهمن روز - أن سر حتى تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب. فقدم بهمن جاذويه جابان وأمره بالحث، وقال: كفكف نفسك وجندك من قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك. فسار جابان نحو أليس؛ وانطلق بهمن جاذويه إلى أردشير ليحدث به عهداً، وليستأمره فيما يريد أن يشربه، فوجده مريضاً؛ فخرج عليه، وأخلى جابان بذلك الوجه، ومضى حتى أتى أليس، فنزل بها في صفر، واجتمعت إليه المسالحي التي كانت يلزأ العرب؛ وعبد الأسود في نصارى العرب من بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة؛ وكان جابر بن بجير نصرانياً، فساند عبد الأسود؛ وقد كان خالد بلغه تجمع عبد الأسود وجابر وزهير فيمن تأشب إليهم، فهداهم ولا يشعر بدنو جابان، وليست لخالد همة إلا أن تجمع له من عرب الضاحية ونصاراهم؛ فأقبل فلما طلع على جابان بأليس، قالت الأعاجم لجابان: أنعاجلهم أم نغدي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟ فقال جابان: إن تركوكم والتهاون بكم فتهاونوا، ولكن ظني بهم أن سيعجلونكم ويعجلونكم عن الطعام. فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة، وتداعوا إليها، وتوافوا عليها. فلما انتهى خالد إليهم، وقف وأمر بحط الأثقال، فلما وضعت توجه إليهم، ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره، ثم يدر أمام الصف، فنادى: أين أبجر؟ أين عبد الأسود؟ أين مالك بن قيس؟ رجل من جذرة؛ فنكلوا عنه جميعاً إلا مالكا، فبرز له، فقال له خالد: يابن الخبيثة، ما جرأك علي من بينهم، وليس فيك وفاء! فضربه فقتله، وأجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا؛ فقال جابان: ألم أقل لكم يا قوم! أما والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم؛ فقالوا حيث لم يقدروا على الأكل تجلداً: ندعها حتى نفرغ منهم؛ ونعود إليها. فقال جابان: وأيضاً أظنكم والله لهم وضعتموها وأنتم لا تشعرون؛ فالآن فأطيعوني؛ سموها؛ فإن كانت لكم فأهون هالك، وإن كانت عليكم كنتم قد صنعتهم شيئاً؛ وأبليتكم عذراً. فقالوا: لا، اقتداراً عليهم. فجعل جابان على مجبتيه عبد الأسود وأبجر؛ وخالد على تعبته في الأيام التي قبلها، فاقتتلوا قتلاً شديداً، والمشركون يزيدهم كلباً وشدة ما يتوقعون من قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه، وحرب المسلمون عليهم، وقال خالد: اللهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم!

ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين، ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه، فنادى في الناس: الأسر الأسر! لا تقتلوا إلا من امتنع؛ فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سقوا، وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد؛ حتى انتهوا إلى النهرين، ومقدار ذلك من كل جوانب أليس. فضرب أعناقهم وقال له القعقاع وأشباهه له: لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم؛ إن الدماء لا تزيد على أن تفرق منذ نهيت عن السيلان، ونهيت الأرض عن نشف الدماء؛ فأرسل عليها الماء تبر يمينك. وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده، فجرى دماً عبيطاً فسمي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم.

وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية، قال: وبلغنا أن الأرض لما نشفت دم ابن آدم نهبت عن نشف الدماء، ونهبت الدم عن السيلان إلا مقدار برده.

ولما هزم القوم وأجلوا عن عسكرهم، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه؛ وقف خالد على الطعام، فقال: قد نفلكموه فهو لكم. وقال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى على طعام مصنوع نقله. فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل، وجعل من لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول: ما هذه الرقاق البيض! وجعل من قد عرفها يحبهم، ويقول لهم مازحاً: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم، فيقول: هو هذا؛ فسمي الرقاق، وكانت العرب تسميه القرى.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثنا سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، عن عمن حدث، عن خالد، أن رسول الله ﷺ نقل الناس يوم خيبر الخبز والطبخ والشواء، وما أكلوا غير ذلك في بطونهم غير متأثليه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن المغيرة، قال: كانت على النهر أرحاء، فطحنت بالماء وهو أحر قوت العسكر؛ ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام. وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلا من بني عجل، وكان دليلاً صارماً، فقدم على أبي بكر بالخبر، وافتح أليس، وبقدر الفيء وبعده السبي، وبما حصل من الأخماس، وبأهل البلاء من الناس؛ فلما قدم على أبي بكر؛ فرأى صرامته وثبات خبره، قال: ما اسمك؟ قال: جندل، قال: ومها جندل!

نفس عصام سودت عصاماً وعودته الكر والإقداما

وأمر له بجارية من ذلك السبي، فولدت له.

قال: وبلغت قتلاهم من أليس سبعين ألفاً جلهم من أمغيشيا.

قال أبو جعفر: قال لنا عبيد الله بن سعد: قال عمي: سألت عن أمغيشيا بالحيرة فقبل لي: منيشيا، فقلت لسيف، فقال: هذان اسمان.

حديث أمغيثيا

في صفر، وأفاءها الله عز وجل بغير خيل.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن محمد، عن أبي عثمان وطلحة، عن المغيرة، قال: لما فرغ خالد من وقعة أليس، نهض فأتى أمغيثيا، وقد أعجلهم عمّا فيها، وقد جلا أهلها؛ وتفرقوا في السّواد، ومن يومئذ صارت السّكرات في السّواد؛ فأمر خالد بهدم أمغيثيا وكلّ شيء كان في حيزها، وكانت مضرّاً كالحيرة، وكان فرات بادقلى ينتهي إليها، وكانت أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن بحر بن الفرات العجليّ، عن أبيه، قال: لم يصب المسلمون فيما بين ذات السّلاسل وأمغيثيا مثل شيء أصابوه في أمغيثيا، بلغ سهم الفارس ألفاً وخمسمائة، سوى النّفل الذي نقله أهل البلاء. وقالوا جميعاً: قال أبو بكر رحمه الله حين بلغه ذلك: يا معشر قريش - يخبرهم بالذي أتاه: عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد!

حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى

قال أبو جعفر: كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن أبي عثمان وطلحة، عن المغيرة: أن الأزابه كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى إلى ذلك اليوم؛ فكانوا لا يمدّ بعضهم بعضاً إلاّ بإذن الملك، وكان قد بلغ نصف الشّرف، وكان قيمة قلنسوته خمسين ألفاً؛ فلما أخرج خالد أمغيثيا، وعاد أهلها سكرات لدهاقين القرى علم الأزابه أنه غير متروك، فأخذ في أمره وتهياً لحرب خالد، وقدم ابنه ثم خرج في أثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة؛ وأمر ابنه بسدّ الفرات، ولما استقلّ خالد من أمغيثيا وحمل الرّجل في السفن مع الأنفال والأثقال، لم يفجأ خالد إلاّ والسفن جوانح، فارتاعوا لذلك، فقال الملاحون: إن أهل فارس فجروا الأنهار، فسلك الماء غير طريقه؛ فلا يأتينا الماء إلاّ بسدّ الأنهار، فتعجّل خالد في خيلٍ نحو ابن الأزابه، فتلقاه على فم العتيق خيل من خيله؛ فجأهم وهم آمنون لغارة خالد في تلك الساعة، فأنامهم بالمقر، ثم سار من قوره وسبق الأخبار إلى ابن الأزابه حتى يلقاه وجنّده على فم فرات بادقلى؛ فاقتتلوا فأنامهم؛ وفجّر الفرات وسدّ الأنهار وسلك الماء سبيله.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن أبي عثمان وطلحة عن المغيرة، وبحر عن أبيه، قالوا: وحدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثنا سيف، عن محمد عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة، قالوا: لما أصاب خالد ابن الأزابه على فم فرات بادقلى، قصد للحيرة، واستلحق أصحابه، وسار حتى ينزل بين الخورنق والنّجف، فقدم خالد الخورنق، وقد قطع الأزابه الفرات هارباً من غير قتال؛ وإنما حدها على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه، وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض. ولما تنام أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الأزابه بين الغريين والقصر الأبيض، وأهل الحيرة متحصّنون، فأدخل خالد الحيرة الخيل من عسكره، وأمر بكلّ قصر رجلاً من قواده يحاصر أهله ويقاثلهم، فكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وكان

ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي المقتول، وكان ضرار بن مقرن المزني عشر عشرة إخوة له محاصراً قصر بني مازن، وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقليلة وفيه عمرو بن عبد المسيح؛ فدعواهم جميعاً، وأجلوهم يوماً، فأبى أهل الحيرة ولجؤا، فناوشهم المسلمون.

حدثني عبيد الله بن سعد، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، رجل من بني كنانة - قال أبو جعفر: هكذا قال عبيد الله. وقال السري فيما كتب به إلي: حدثنا شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل من بني كنانة - قال: عهد خالد إلى أمرائه أن يبدؤوا بالدعاء، فإن قبلوا قبلوا منهم وإن أبوا أن يؤجلوهم يوماً، وقال: لا تمكثوا عدوكم من أذانكم، فترتبصوا بكم الدوائر؛ ولكن ناجزوهم ولا ترددوا المسلمين عن قتال عدوهم. فكان أول القواد أنشب القتال بعد يوم أجلوهم فيه ضرار بن الأزور، وكان على قتال أهل القصر الأبيض، فأصبحوا وهم مشرفون؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزاء، أو المنابذة، فاختاروا المنابذة وتنادوا: عليكم الخزازيف، فقال ضرار: تنحوا لا ينالكم الرمي؛ حتى ننظر في الذي هتفوا به. فلم يلبث أن امتلأ رأس القصر من رجال متعلقي المخالي، يرمون المسلمين بالخزازيف - وهي المداحي من الخرف - فقال ضرار: ارشقوهم، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، فأعروا رؤوس الحيطان، ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم، وصبح أمير كل قوم أصحابه بمثل ذلك، فافتتحوا الدور والديرات، وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرهبان: يا أهل القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور: يا معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث؛ فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً. فخرج إياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور، وخرج عدي بن عدي وزيد بن عدي إلى ضرار بن الخطاب - وعدي الأوسط الذي رثته أمه وقتل يوم ذي قار - وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكال، هذا إلى ضرار بن مقرن، وهذا إلى المثنى بن حارثة، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة، قال: كان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيّان بن الحارث وهو بقليلة - وإنما سمي بقليلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين، فقالوا: يا حار ما أنت إلا بقليلة خضراء - وتتابعوا على ذلك، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد، مع كل رجل منهم ثقة؛ ليصالح عليه أهل الحصن، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحاب عدي، وقال: ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عدي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال: صدقت. وقال: اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكنم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة؛ فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة. فقال: بل نعطيك الجزية، فقال خالد: تباً لكم، ويحكم! إن الكفر فلاة مفضلة، فأحق العرب من سلكها فلقية دليلان: أحدهما عربي فتركه واستدل الأعجمي. فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفاً؛ وتتابعوا على ذلك، وأهدوا له هدايا، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهلي، فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالد أن احسب لهم هديتهم من الجزاء، إلا أن تكون من الجزاء، وخذ بقية ما عليهم فقبوها أصحابك: وقال ابن بقليلة:

أَبْعَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَاماً تَرَوْحُ بِالْخَوَزَنَقِ وَالسِّدِيرِ!
وَبَعْدَ فَوَارِسِ النُّعْمَانِ ارْغَى قَلوصاً بَيْنَ مُرَّةٍ وَالْحَفِيرِ
فَصِرْنَا بَعْدَ هَٰلِكَ أَبِي قُبَيْسٍ كَجُرْبِ الْمَغْزِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
تَقَسَّمْنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ
وَكُنَّا لَا يَرَامُ لَنَا حَرِيمٌ فَنَحْنُ كَضَرَّةِ الضَّرْعِ الْفُخُورِ
نُؤَدِّي الْخَرْجَ بَعْدَ خَرَجِ كِسْرَى وَخَرَجٍ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ
كَذَاكَ أَلْذَّهَرُ دَوْلَتِهِ سِجَالٌ فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاءَةٍ أَوْ سُرُورِ

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم عن رجل من بني كنانة، ويونس بن أبي إسحاق بنحو منه، وقالوا: فكانوا يختلفون إليه ويقدمون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتت عليك من السنين قال: مئو سنين، قال: فما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة، تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيماً. فتبسّم خالد، وقال:

هل لك من شيخك إلا عمله

خرفت والله يا عمرو! ثم أقبل على أهل الحيرة فقال: ألم يبلغني أنكم خبئة خدعة مكرة! فمالكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدري من أين جاء! فتجاهل له عمرو، وأحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله، ويستدل به على صحة ما حدثه به، فقال: وحقك أيها الأمير، إني لأعرف من أين جئت؟ قال: فمن أين جئت؟ قال: أقرب أم أبعد؟ قال: ما شئت، قال: من بطن أمي، قال: فأين تريد؟ قال: أمامي، قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرك؟ قال: من صلب أبي، قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل؟ قال: إي والله وأقيد. قال: فوجده حين قره عَضاً، وكان أهل قريته أعلم به - فقال خالد: قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها؛ والقوم أعلم بما فيهم. فقال عمرو: أيها الأمير، النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة. وشاركهم في هذا الحديث من هذا المكان محمد بن أبي السّفر، عن ذي الجوشن الضّبابي، وأما الزهري فإنه حدثنا به، فقال: شاركهم في هذا الحديث رجل من الضّباب.

قالوا: وكان مع ابن بُقيلة مُنْصَفٌ له فعَلَقَ كَيْساً فِي حَقْوِهِ، فَتَنَاوَلَ خَالِدَ الْكَيْسِ، وَنَثَرَا فِيهِ فِي رَاحَتِهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَمْرُو؟ قَالَ: هَذَا وَأَمَانَةُ اللَّهِ سَمَّ سَاعَةً، قَالَ: لِمَ تَحْتَقِبُ السَّمَ؟ قَالَ: خَشِيتُ أَنْ تَكُونُوا عَلَى غَيْرِ مَا رَأَيْتُ، وَقَدْ أَتَيْتُ عَلَى أَجْلِي، وَالْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَكْرُوهِ أَدْخِلْهُ عَلَى قَوْمِي وَأَهْلِ قَرْيَتِي. فَقَالَ خَالِدٌ: إِنَّهَا لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى أَجْلِهَا، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ، رَبِّ الْأَرْضِ وَرَبِّ السَّمَاءِ، الَّذِي لَيْسَ يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَأَهْوَوْا إِلَيْهِ لِيَمْنَعُوهُ مِنْهُ، وَبَادَرَهُمْ فَاثْبَتْلُوهُ، فَقَالَ عَمْرُو: وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَتَمْلِكُنَّ مَا أُرَدْتُمْ مَا دَامَ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَيَّهَا الْقَرْنُ. وَأَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْحِيرَةِ، فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ أَمراً أَوْضَحَ إِقْبَالاً! وَأَبَى خَالِدٌ أَنْ يَكَاتِبَهُمْ إِلَّا عَلَى إِسْلَامِ كِرَامَةِ بِنْتِ عَبْدِ الْمَسِيحِ إِلَى شُوَيْلٍ؛ فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَتْ: هَوَّنُوا عَلَيْكُمْ وَأَسْلَمُونِي، فَإِنِّي سَأُفْتَدِي. فَفَعَلُوا؛ وَكُتِبَ خَالِدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَاباً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً ابني عدي، وعمرو بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وحيري بن أكال - وقال عبيد الله: جبري - وهم نقيب أهل الحيرة؛ ورضي بذلك

أهل الحيرة، وأمرهم به - عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم، تُقْبَل في كل سنة جزاءً عن أيديهم في الدنيا، رهبانهم وقسيسهم؛ إلا مَنْ كان منهم على غير ذي يدٍ، حبساً عن الدنيا، تاركاً لها - وقال عبيدُ الله: إلا مَنْ كان غير ذي يد حبساً عن الدنيا، تاركاً لها - أو سائحاً تاركاً للدنيا، وعلى المنعة، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم، وإن غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة. وكُتِب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة، ودفع الكتاب إليهم.

فلما كفر أهل السواد بعد موت أبي بكر استخفوا بالكتاب، وضيّعوه، وكفروا فيمن كفر، وغلب عليهم أهل فارس؛ فلما افتتح المثنى ثانية، أدلّوا بذلك، فلم يجبههم إليه، وعاد بشرط آخر؛ فلما غلب المثنى على البلاد كفروا وأعانوا واستخفوا وأضاعوا الكتاب. فلما افتتحها سعد، وأدلّوا بذلك سألهم واحداً من الشرطين، فلم يجيبوا بها؛ فوضع عليهم وتحرقى ما يرى أنهم مُطيقون، فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الحرزة - قال عبيدُ الله: سوى الحرزة.

حدّثنا عبيدُ الله، قال: حدّثني عمي، عن سيف - والسري، عن شعيب، عن سيف - عن الغصن بن القاسم الكناني، عن رجل من بني كنانة ويونس بن أبي إسحاق، قال: كان جرير بن عبد الله مخرج مع خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام، فاستأذن خالداً إلى أبي بكر ليكلّمه في قومه وليجمعهم له؛ وكانوا أوزاعاً في العرب، وليتخلصهم، فأذن له، فقدم على أبي بكر، فذكر له عدّة من النبي ﷺ وأتاه على العدة بشهود، وسأله إنجاز ذلك، فغضب أبو بكر، وقال له: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من الأسدّين فارس والروم؛ ثم أنت تكلفني الشاغل بما لا يغني عما هو أرضى الله ولرسوله! دعني وسرّ نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين.

فسار حتى قدم على خالد وهو بالحيرة، ولم يشهد شيئاً ممّا كان بالعراق إلا ما كان بعد الحيرة؛ ولا شيئاً ممّا كان خالد فيه من أهل الرّدة. وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة:

سَقَى آلَهُ قَتْلَى بِالْفَرَاتِ مُقِيمَةً	وَأُخْرَى بِأَنْبَاجِ النَّجَافِ الْكَوَانِفِ
فَنَحْنُ وَطَنُنَا بِالْكَوَاظِمِ هُرْمُزاً	وَبِالْثَنِيِّ قَرْنِي قَارِنٍ بِالْجَوَارِفِ
وَيَوْمَ أَحْطَنَّا بِالْقُصُورِ تَتَابَعَتْ	عَلَى الْحِيرَةِ الرُّوحَاءُ إِحْدَى الْمَصَارِفِ
حَطُّطْنَاهُمْ مِنْهَا وَقَدْ كَادَ عَرْشُهُمْ	يَمِيلُ بِهِمْ، فَعَلَّ الْجَبَانِ الْمُخَالَفِ
رَمَيْنَا عَلَيْهِمِ بِالْقُبُولِ وَقَدْ رَأَوْا	غُبُوقَ الْمَنَابِيا حَوْلَ تِلْكَ الْمَحَارِفِ
صَبِيحَةً قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ تَنْزَلُوا	إِلَى الرَّيْفِ مِنْ أَرْضِ الْعَرِيبِ الْمَقَانِفِ

خبر ما بعد الحيرة

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد الزهري، قال: حدّثني عمي، عن سيف، عن جميل الطائي، عن أبيه، قال: لما أُعْطِيَ شُوَيْلُ كرامة بنت عبد المسيح قلت لعدي بن حاتم: ألا تعجب من مسألة شويل كرامة بنت عبد المسيح على ضَعْفِهِ! قال: كان يَهْرَف بها دهره، قال: وذلك أنّي لما سمعت رسول الله ﷺ يذكر ما رُفِع له من البلدان، فذكر الحيرة فيما رُفِع له، وكأنّ شُرف قصورها أضراس الكلاب؛ عرفت أن قد أريها، وأنها ستفتح، فلقيته مسألته.

وحَدَّثَنَا عبيد الله، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي، عن سيف، قال: قال لي عمرو والمجالد، عن الشعبي - والسري، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد عن الشعبي - قال: لما قدم سُويل إلى خالد، قال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يذكر فتحَ الحيرة، فسألته كرامة، فقال: «هي لك إذا فتحت عنوةً». وشُهد له بذلك، وعلى ذلك صالحهم؛ فدفعها إليه، فاشتد ذلك على أهل بيتها وأهل قريتها ما وقعت فيه، وأعظموا الخطر، فقالت: لا تُخطروه، ولكن اصبروا، ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة! فإِذَا هذا رجلٌ أحقُّ رآني في شبيبي فظن أن الشباب يدوم. فدفعوها إلى خالد؛ فدفعها خالد إليه؛ فقالت: ما أربك إلى عجز كما ترى! فإِذني، قال: لا، إلا على حُكمي، قالت: فلك حكمك مُرسلاً. فقال: لست لأُم سُويل إن نَقَصْتُكَ من ألف درهم! فاستكثرت ذلك لتخدعه، ثم أتته بها. فرجعت إلى أهلها، فتسامع الناس بذلك، فعنفوه، فقال: ما كنت أرى أن عدداً يزيد على ألف! فأبوا عليه إلا أن يخاصمهم فخاصمهم، فقال: كانت نيتي غاية العدد، وقد ذكروا أن العدد يزيد على ألف، فقال خالد: أردتُ أمراً وأراد الله غيره؛ نأخذ بما يظهر ونَدَعُك ونيتك، كاذباً كنت أو صادقاً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: لما فتح خالد الحيرة صَلَّى صلاةَ الفتح ثمانين ركعات لا يسلمُ فيهنَّ، ثم انصرف، وقال: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعةُ أسياف، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس؛ وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل اليُس!.

حدَّثَنَا عبيد الله، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي، عن سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبي، قال: صَلَّى خالد صلاةَ الفتح، ثم انصرف. ثم ذكر مثل حديث السري.

حدَّثَنَا عبيد الله، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي، عن سيف - والسري، عن شعيب، عن سيف - عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم - وكان قديم مع جرير على خالد - قال: أتينا خالداً بالحيرة وهو متوشح قد شد ثوبه في عنقه يصلي فيه وحده، ثم انصرف، فقال: اندق في يدي تسعةُ أسياف يوم مؤتة، ثم صبرت في يدي صفيحةً يمانية، فما زالت معي.

حدَّثَنَا عبيد الله، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي، عن سيف، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعمى عن المغيرة بن عتيبة والغصن بن القاسم، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمري عن ماهان، قال: ولما صالح أهل الحيرة خالداً خرج صلُوبا بن نسطونا صاحب قُسرِ الناطف، حتى دخل على خالد عسكره، فصالحه على بانقيا وبسها، وضمن له ما عليها وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخزرة، خرزة كسرى؛ وكانت على كل رأس أربعة دراهم، وكتب لهم كتاباً فتموا وتم، ولم يتعلّق عليه في حال غلبة فارس بغدر، وشاركهم المجالد في الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلُوبا بن نسطونا وقومه؛ إني عاهدتكم على الجزية والمنعة؛ على كل ذي يد؛ بانقيا وبسها جميعاً، على عشرة آلاف دينار سوى الخزرة، القوي على قدر قوته، والمقل على قدر إقلاله، في كل سنة. وإنك قد نُقبت على قومك، وإن قومك قد رضوا بك، وقد قبلتُ ومن معي من المسلمين، ورضيتُ ورضي قومك؛ فلك الدِّمة والمنعة؛ فإن منعناكم فلنا الجزية؛ وإلا فلا حتى تمنعكم شهد هشام بن الوليد، والققعاق بن عمرو، وجرير بن عبد الله الحميري، وحنظلة بن الربيع. وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان، عن ابن أبي مُكَيْفٍ، وطلحة عن المغيرة، وسفيان عن ماهان. وحدَّثنا عبيدُ الله، قال: حدَّثني عمِّي، عن سيف، عن محمد، عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة، قال: كان الدهاقين يترَبَّصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة. فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد، واستقاموا له أته دهاقين المِلطاطين، وأتاه زاذبن هُيش دِهقان فُرات سِرياً، وصلُّوبا بن نسطونا بن بَصْبَهري - هكذا في حديث السري، وقال عبيد الله: صلُّوبا بن بصهرى ونسطونا - فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هُرْمُزْ جَرَدَ على أَلْفِي ألف - وقال عبيد الله في حديثه: على ألف ألف ثقيل - وأنَّ للمسلمين ما كان لآل كسرى، ومَن مالَ معهم عن المقام في داره فلم يدخل في الصلح، وضرب خالد رواقه في عسكره، وكتب لهم كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن هُيش وصلُّوبا بن نسطونا، لكم الذمَّة وعليكم الجزية، وأنتم ضامنون لمن نُقِبْتُم عليه من أهل البَهْقَبَاذ الأسفل والأوسط - وقال عبيد الله: وأنتم ضامنون جزية مَنْ نُقِبْتُم عليه - على أَلْفِي ألف ثقيل في كل سنة؛ عن كل ذي يد سوى ما على بانقيا وبسما وإنكم قد أرضيتموني والمسلمين، وإنا قد أرضيناكم وأهل البَهْقَبَاذ الأسفل؛ ومن دخل معكم من أهل البَهْقَبَاذ الأوسط على أموالكم، ليس فيها ما كان لآل كسرى ومَن مالَ ميلهم. شهد هشام بن الوليد، والققعاق بن عمرو، وجريز بن عبد الله الحِميري، وبشير بن عبد الله بن الخصاصية، وحنظلة بن الربيع. وكتب سنة اثنتي عشرة في صَفَر.

وبعث خالد بن الوليد عمَّاله ومسالحه، فبعث في العِمالة عبد الله بن وثيمة النَّصري، فنزل في أعلى العمل بالفلاليج على المنعة وقبض الجزية، وجريز بن عبد الله على بانقيا وبسما، وبشير بن الخصاصية على النَّهْرَيْن فنزل الكُوَيْفَة ببابورا، وسويد بن مقرن المزني إلى نِسَر، فنزل العَقْر - فهي تسمى عَقْر سُوَيْد إلى اليوم، وليست بسويد المنقري سَمِيَتْ - وأط بن أبي أط إلى رودمستان، فنزل منزلاً على نهر سُمِّي ذلك النهر به - ويقال له: نهر أط إلى اليوم؛ وهو رجل من بني سعد بن زيد مناة؛ فهؤلاء كانوا عمال الخراج زمن خالد بن الوليد.

وكانت الثُّغور في زمن خالد بالسَّيْب، بعث ضرار بن الأزور وضرار بن الخطاب والمثنى بن حارثة وضرار بن مقرن والققعاق بن عمرو وبُسر بن أبي رُهم وعُتَيْبَة بن النَّهَّاس، فنزلوا على السَّيْب في عَرْض سلطانه. فهؤلاء أمراء ثُغور خالد. وأمرهم خالد بالغارة والإلحاح، فَمَخَرُوا ما وراء ذلك إلى شاطئ دِجْلَة.

قالوا: ولما غلب خالد على أحد جانبي السواد، دعا من أهل الحيرة برجل، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمداثن مختلفون متساندون لموت أردشير؛ إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذويه ببَهْرَسِير؛ وكأنه على المقدمة، ومع بهمن جاذويه الأزاذبه في أشباه له، ودعا صلُّوبا برجل، وكتب معها كتابين، فأما أحدهما فإلى الخاصَّة وأما الآخر فإلى العامَّة؛ أحدهما جيري والآخر نَبْطِي.

ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة: ما اسمك؟ قال: مُرَّة، قال: خذ الكتاب فأت به أهل فارس، لعلَّ الله أن يُمرَّ عليهم عيشهم، أو يُسلموا أو ينيبوا. وقال لرسول صلُّوبا: ما اسمك؟ قال: هَزْقِيل، قال: فخذ الكتاب. وقال: اللهم أزهِق نفوسهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد وغيره، بمثله. والكتابان:

بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس ؛ أما بعدُ ، فالحمد لله الذي حلّ نظامكم ، ووَهَنَ كيدكم ، وفرّق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرّاً لكم ؛ فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ، ونجوزكم إلى غيركم ، وإلاّ كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَبٍ ، على أيدي قومٍ يحبّون الموت كما تحبّون الحياة .

بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس ؛ أمّا بعد فأسلموا تسلّموا ؛ وإلاّ فاعتقدوا مني الذمّة ، وأدّوا الجزية ، وإلاّ فقد جئتكم بقوم يحبّون الموت ، كما تحبّون شرب الخمر .

حدّثني عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن محمّد بن نيرة ، عن أبي عثمان . والسريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان والمهلب بن عُقبة وزياد بن سَرْجَس ، عن سياه وسفيان الأحمريّ ، عن مَاهَان : أن الخراج جُيِيَ إلى خالد في خمسين ليلة ، وكان الَّذِينَ ضَمِنُوهُ وَالَّذِينَ هُمْ رُؤُوس الرساتيق رُهنًا في يده ، فأعطى ذلك كلّهُ للمسلمين ، فقوُّوا به على أمورهم . وكان أهل فارس بموت أردشير مختلفين في الملّك ، مجتمعين على قتال خالد ، متساندين ؛ وكانوا بذلك سنةً ، والمسلمون يمحرون ما دون دَجَلَة ، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمرٌ ؛ وليست لأحد منهم ذمّة إلاّ الذين كاتبوه واكتبوا منه ؛ وسائر أهل السواد جُلَاء ، ومتحصّنون ، ومحاربون . واكتب عمّال الخراج ، وكتبوا البراءات لأهل الخراج ، من نسخة واحدة :

بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذي صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يدٌ على من بدّل صالح خالد ؛ ما أقررتم بالجزية وكففتهم . أمانكم أمان ، وصلحكم صلح ؛ نحن لكم على الوفاء .

وأشهدوا لهم النفر من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم : هشاما ، والققعقاع ، وجابر بن طارق ، وجريراً ، وبشيراً ، وحنظلة ، وأزداد ، والحجاج بن ذي العُتُق ، ومالك بن زيد .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، قال : وخرج خالدٌ وقد كتب أهل الحيرة عنه كتاباً : إنّنا قد أدّينا الجزية التي عاهدنا عليها خالدُ العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم .

وأما السريّ ؛ فإنه قال في كتابه إليّ : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، عن هشام بن الوليد ، قال : فرغ خالد . . . ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف - والسريّ ، عن شعيب عن سيف - عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن الهذيل الكاهلي نحواً منه ، قالوا : وأمر الرسولين اللّذين بعثهما أن يوافياه بالخبر ، وأقام خالد في عمله سنة ، ومنزله الحيرة ، يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام ، وأهل فارس يخلعون ويملكون ؛ ليس إلاّ الدّفع عن بهرسير ؛ وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كلّ من كان يناسبه إلى كسرى بن قباد ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كلّ من بين كسرى بن قباد وبين بهرام جور ، فبقوا لا يقدرّون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، قال : حدّثني سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبيّ ، قال : أقام خالد بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام أكثر من سنة ، يعالج عمل عياض الذي سُمّي له ، وقال

خالد للمسلمين : لولا ما عهد إليّ الخليفة لم أُنْقَذَ عياضاً ، وكان قد شجّي وأشجى بدومة ، وما كان دون فتح فارس شيء ؛ إنها لسنة كأنها سنة نساء . وكان عهد إليه ألا يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم . وكان بالعين عسكر لفارس وبالأنبار آخر وبالفراض آخر . ولما وقعت كتب خالد إلى أهل المدائن تكلم نساء آل كسرى ، فوّلِي الفرخزاذ بن البندوان إلى أن يجتمع آل كسرى على رجل إن وجدوه .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبدالله عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلب عن سياه ، وسُفَيان عن ماهان ، قالوا : كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتي العراق من فوقها ، وأيكما ما سبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة ؛ فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمنتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليقيم بالحيرة أحدكما ، وليقتحم الآخر على القوم ، وجالدوهم عما في أيديهم ، واستعينوا بالله واتقوه ، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعاً لكم ؛ ولا تؤثروا الدنيا فتسلّبوها . واحذروا ما حذرکم الله بترك المعاصي ومعالجة التوبة ؛ وإياكم والإصرار وتأخير التوبة .

فأتى خالد على ما كان أمر به ، ونزل الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليح إلى أسفل السواد ، وفرّق سواد الحيرة يومئذ على جرير بن عبدالله الحميريّ ، وبشير بن الحصاصيّة ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذي العنق ، وأطّ ، وسويد وضرار ؛ وفرّق سواد الأبلّة على سويد بن مقرن ، وحسكة الحبطيّ ، والحصين بن أبي الحرّ ، وربيعه بن عسلّ ، وأقرّ المسالح على ثغورهم ، واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو . وخرج خالد في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه ، ولإغاثته ، فسلك القلوجة حتى نزل بكرّبلاء وعلى مسلّحتها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدّمة خالد الأقرع بن حابس ؛ لأنّ المثنى كان على ثغر من الثغور التي تلي المدائن ؛ فكانوا يغاورون أهل فارس ، وينتهون إلى شاطئ دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه في إغاثة عياض .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي روق ، عن شهدهم بمثله ، إلى أن قال : وأقام خالد على كركبلاء أياماً ، وشكّا إليه عبدالله بن وثيمة الذباب ، فقال له خالد : اصبر فإنّي إنّما أريد أن أستفرغ المسالح التي أمر بها عياض فأسكنها العرب ، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم ، وتجيئنا العرب أمنةً وغير مُتَعَتِجَةٍ ؛ وبذلك أمرنا الخليفة ، ورأيه يعدل نجدة الأمة . وقال رجل من أشجع فيما حكى ابن وثيمة :

لقد حُبِسْتُ في كَرْبَلَاءَ مَطِيَّتِي	وفي العَيْنِ حتى عاد غُثّاً سَمِينُهَا
إذا رَحَلْتُ من مَبْرَكٍ رَجَعْتُ لَهُ	لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّنِي لِأَهِينُهَا
وَيَمْنُهَا من ماء كلِّ شريعةٍ	رفاق من الذَّبَانِ زُرُقُ عيونها

حديث الأنبار - وهي ذات العيون - وذكر كلواذى

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأصحابها ، قالوا : خرج خالد بن الوليد في تعييته التي خرج فيها من الحيرة ، وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس . فلما نزل الأقرع المنزل الذي يسلمه إلى الأنبار أنتج قوم من المسلمين إبلهم ، فلم يستطيعوا العرجة ، ولم يجدوا بدءاً من الإقدام ، ومعهم بنات تحاض ،

تتبعهم. فلما نودي بالرحيل صرّوا الأمهات، واحتقبوا المتوجات؛ لأنها لم تطق السير؛ فانتهوا ركبانا إلى الأنبار، وقد تحصّن أهل الأنبار، وخندقوا عليهم، وأشرقوا من حصنهم، وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب ساباط - وكان أعقل أعجمي يومئذ وأسوّد وأقنعه في الناس: العرب والعجم - فتصايح عرب الأنبار يومئذ من السور، وقالوا: صبح الأنبار شر؛ جمل يحمل جميله وجمل تربه عود. فقال شيرزاد: ما يقولون؟ ففسّر له، فقال: أمّا هؤلاء فقد قضوا على أنفسهم؛ وذلك أنّ القوم إذا قضوا على أنفسهم قضاء كاد يلزمهم؛ والله لئن لم يكن خالد مجتازاً لأصالحه؛ فبيناهم كذلك قديم خالد على المقدمة، فأطاف بالخندق، وأنشبت القتال؛ وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به؛ وتقدّم إلى رُماته، فأوصاهم وقال: إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا تؤخّوا غيرها، فرموا رشقاً واحداً، ثم تابعوا، ففقه ألف عين يومئذ، فسُميت تلك الوقعة ذات العيون؛ وتصايح القوم: ذهبت عيون أهل الأنبار! فقال شيرزاد: ما يقولون؟ ففسّر له، فقال: أباذ أباذ. فراسل خالد في الصلح على أمر لم يرضه خالد، فردّ رسله، وأتى خالد أضيّق مكان في الخندق برذايا الجيش فنحرها؛ ثم رمى بها فيه فأفعمه؛ ثم اقتحم الخندق - والرذايا جسورهم - فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق. وأرّر القوم إلى حصنهم، وراسل شيرزاد خالد في الصلح على ما أراد، فقبل منه على أن يخلّيه ويُلجّقه بأمنه في جريدة خيل، ليس معهم من المتاع والأموال شيء؛ فخرج شيرزاد، فلما قديم على بهمن جاذويه، فأخبره الخبر لأمه، فقال: إني كنت في قوم ليست لهم عقول، وأصلهم من العرب، فسمعتهم مقدّمهم علينا يقضون على أنفسهم، ولما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم. ثم قاتلهم الجند، ففقدوا فيهم وفي أهل الأرض ألف عين؛ فعرفت أنّ المسألة أسلم. ولما اطمأنّ خالد بالأنبار والمسلمون، وأمن أهل الأنبار وظهروا، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلّمونها، فسألهم: ما أنتم؟ فقالوا: قوم من العرب، نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا - فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر حين أباح العرب؛ ثم لم تزل عنها - فقال: ممّن تعلّمتم الكتاب؟ فقالوا: تعلّمنا الخطّ من إباد، وأنشدوه قول الشاعر:

قَوْمِي إِيَادُ لَوْ أَنَّهُمْ أَمُّ أَوْ لَوْ أَقَامُوا فَتُهَزَّلَ النَّعْمُ
قَوْمٌ لَهُمْ بَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَمِيعاً وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وصالح خالد من حولهم، وبدأ بأهل البوازيج؛ وبعث إليه أهل كلّواذى ليعقد لهم، فكانوا عيّته من وراء دجلة. ثم إن أهل الأنبار وما حولها نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدّول ما خلا أهل البوازيج، فإنهم ثبتوا كما ثبت أهل بانيقيا.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد العزيز - يعني ابن سياه - عن حبيب بن أبي ثابت، قال: ليس لأحد من أهل السّواد عقْد قبل الوقعة إلّا بني صلوبا - وهم أهل الحيرة - وكلواذى، وقرى من قرى الفرات، ثم غدروا حتى دُعوا إلى الدّمة بعد ما غدروا.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، قال: قلت للشعبيّ: أخذ السّواد عنوة؟ قال: نعم وكلّ أرض إلّا بعض القلاع والحصون، فإنّ بعضهم صالح به، وبعضهم غلب. فقلت: فهل لأهل السّواد دّمة اعتقدوها قبل الحرب؟ قال: لا، ولكنهم لما دُعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا دّمة.

خبر عَيْن التَّمَر

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وزباد، قالوا: ولما فرغ خالد من الأنبار، واستحكمت له، استخلف على الأنبار الزُّبْرَقَان بن بدر، وقصد لعين التَّمَر؛ وبها يومئذ مهرا بن بهرام جُويين في جمع عظيم من العجم، وعَقَّة بن أبي عَقَّة في جمع عظيم من العرب من النُّبَر وتغلب وإياد ومن لاقهم. فلما سمعوا بخالد قال عَقَّة لمهران: إنّ العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالدًا، قال: صدقت، لعمري لأنتم أعلم بقتال العرب، وإنّكم لثلثنا في قتال العجم. فخدعه واتّقى به، وقال: دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعناكم. فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم: ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب! فقال: دعوني فإني لم أَرِدْ إلّا ما هو خير لكم وشرّ لهم؛ إنّه قد جاءكم من قتل ملوككم، وفلّ حدّكم، فاتّقيته بهم؛ فإن كانت لهم على خالد فهي لكم؛ وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يبنوا، فنقاتلهم ونحن أقوىاء وهم مضغفون. فاعترفوا له بفضل الرّأي، فلزم مهران العين، ونزل عَقَّة لخالد على الطريق، وعلى ميمته بُجَيْر بن فلان أحد بني عتبة بن سعد بن زهير، وعلى ميسرته الهذيل بن عمران، وبين عَقَّة وبين مهران رَوْحَة أو غَدوة، ومهران في الحصن في رابطة فارس، وعَقَّة على طريق الكَرْخ كالخفير. فقدم عليه خالد وهو في تعبئة جنده، فعبى خالد جنده وقال لمجنّبيه: اكفونا ما عنده، فإني حامل؛ ووكل بنفسه حوامي، ثم حمل وعَقَّة يقيم صُفوفه؛ فاحتضنه فأخذه أسيراً، وانهمز صفّه من غير قتال، فأكثروا فيهم الأسر، وهرب بُجَيْر والهذيل، واتّبعهم المسلمون. ولما جاء الخبر مهران هرب في جُنده، وتركوا الحصن. ولما انتهت فُلّال عَقَّة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به؛ وأقبل خالد في النَّاس حتّى ينزل على الحصن ومعه عَقَّة أسير وعمر بن الصّعق، وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان يُغير من العرب، فلما رأوه يحاولهم سألوه الأمان. فأبى إلّا على حُكمه فسلّسوا له به. فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مساكاً، وأمر خالد بعَقَّة وكان خفير القوم فضربت عنقه ليؤثس الأسراء من الحياة، ولما رآه الأسراء مطروحاً على الجسر يثسوا من الحياة، ثم دعا بعمر بن الصّعق فضرب عنقه، وضرب أعناق أهل الحصن أجمعين. وسبى كلّ من حوى حصنهم، وغنم ما فيه، ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلّمون الإنجيل، عليهم باب مُغلّق؛ فكسره عنهم، وقال: ما أنتم؟ قالوا: رُهن، فقسّمهم في أهل البلاء؛ منهم أبو زياد مولى ثَقِيف، ومنهم نُصَيْر أبو موسى بن نصير، ومنهم أبو عمرة جدّ عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، وسيرين أبو محمد بن سيرين، وحريث، وعُلائة. فصار أبو عمرة لشرحبيل بن حسنة، وحريث لرجل من بني عباد، وعلائة للمعنى، ومهران لعثمان. ومنهم عمير وأبو قيس؛ فثبت على نسبه من موالي أهل الشام القدماء، وكان نُصَيْر يُنسب إلى بني يشكر، وأبو عمرة إلى بني مُرة. ومنهم ابن أخت النُّبَر.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي سفيان طلحة بن عبد الرحمن والمهلب بن عَقبة، قالوا: ولما قدّم الوليد بن عَقبة من عند خالد على أبي بكر رحمه الله بما بعث به إليه من الأخماس إلى عياض، وأمّده به، فقدّم عليه الوليد، وعياض محاصرهم وهم محاصروه، وقد أخذوا عليه بالطريق، فقال له: الرّأي في بعض الحالات خير من جند كثيف؛ ابعث إلى خالد فاستمده. ففعل؛ فقدم عليه رسوله غِبّ وقعة العين مستغيثاً، فعجل إلى عياض بكتابه: من خالد إلى عياض إيّاك أريد.

لَبَّثْ قَلِيلًا تَأْتِيكَ الْحَلَائِبُ يَحْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَاشِبُ

كَتَائِبُ يَتَّبِعُهَا كَتَائِبُ

خبر دُومة الجندل

قالوا: ولما فرغ خالد من عَيْنِ التَّمْرِ خَلَفَ فيها عُوَيْمَ بن الكاهل الأسلمي، وخرج في تعبيته الَّتِي دخل فيها العين؛ ولَمَّا بلغ أهل دُومة مسيرُ خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكَلْبَ وغَسَّانَ وتَنُوخَ والضُّجَاعِمَ، وقَبْلَ ما قد أتاهم ودِيعَةُ في كَلْبَ وبَهْرَاءَ، ومساندُهُ ابن وَبَرَةَ بن رُومَانِسَ، وآتاهم ابن الحِدرِجانَ في الضُّجَاعِمَ، وابن الأيِّمَ في طوائف من غَسَّانَ وتَنُوخَ، فَأَشْجَوْا عِيَاضاً وشَجُّوا به.

فلما بلغهم دنو خالد؛ وهم على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة، اختلفوا، فقال أكيدر: أنا أعلمُ النَّاسَ بخالد؛ لا أحدٌ أَيْمَنُ طائراً منه، ولا أحدٌ في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قَلُّوا أو كَثُرُوا إلاَّ انهزموا عنه؛ فأطيعوني وصالحوا القوم. فأبوا عليه، فقال: لن أَمَالُكُمْ على حرب خالد، فشأنكم.

فخرج لَطِيطُهُ، وبلغ ذلك خالداً؛ فبعث عاصمَ بن عمرو معارضاً له، فأخذه فقال: إِنَّمَا تَلَقَّيْتُ الأمير خالداً؛ فلَمَّا أتى به خالداً أمر به فُضِرَتِ عنقه، وأخذ ما كان معه من شيء، ومضى خالدٌ حتى ينزل على أهل دُومة، وعليهم الجودي بن ربيعة، وودِيعَةُ الكلبي، وابن رُومَانِسَ الكلبي، وابن الأيِّمَ وابن الحِدرِجانَ؛ فجعل خالد دُومة بين عسكره وعسكر عِيَاضَ. وكان النَّصَارَى الذين أمَدُّوا أهل دُومة من العرب محيطين بحصن دُومة، لم يَحْمِلْهُمُ الحِصْنَ، فلما اطمأن خالد خرج الجودي، فنهض بودِيعَةَ فزحفاً لخالد، وخرج ابن الحِدرِجانَ وابن الأيِّمَ إلى عِيَاضَ؛ فاقتتلوا، فهزم الله الجوديَّ وودِيعَةَ على يدي خالد، وهزم عِيَاضَ مَنْ يليه، وركبهم المسلمون؛ فأما خالد فإنه أخذ الجوديَّ أخذاً، وأخذ الأقرع بن حابس ودِيعَةَ، وأرَزَّ بَقِيَّةَ النَّاسِ إلى الحِصْنِ؛ فلم يَحْمِلْهُمُ؛ فلما امتلأ الحِصْنُ، أغلق مَنْ في الحِصْنِ الحِصْنَ دون أصحابهم، فبقوا حوله حُرْدَاءَ؛ وقال عاصم بن عمرو: يا بني تميم، حلفاؤكم كَلْبُ، آسوهم وأجبروهم؛ فَإِنَّكُمْ لا تقدرُونَ لهم على مثلها، ففعلوا. وكان سبب نجاتهم يومئذ وصِيَّةُ عاصمِ بني تميم بهم، وأقبل خالد على الَّذِينَ أَرَزُّوا إلى الحِصْنِ فقتلهم حتى سَدَّ بهم بابَ الحِصْنِ، ودعا خالد بالجوديَّ فُضِرَ عنقه، ودعا بالأسرى فُضِرَ أعناقهم إلاَّ أسارى كَلْبَ، فَإِنَّ عاصماً والأقرع وبني تميم قالوا: قد آمناهم؛ فأطلقهم لهم خالد، وقال: مالي ولكم! أتَحْفَظُونَ أمرَ الجاهليَّةِ وتُضَيِّعُونَ أمرَ الإسلام! فقال له عاصم: لا تحسدهم العافية؛ ولا يُحَوِّزُهُمُ الشَّيْطَانُ. ثم أطاف خالد بالباب، فلم يَزُلْ عنه حتى اقتلعه؛ واقتحموا عليهم، فقتلوا المقاتلة، وسبوا الشَّرْخَ؛ فأقاموهم فيمن يزيد؛ فاشترى خالد ابنة الجوديَّ وكانت موصوفةً، وأقام خالد بدُومة وردَّ الأقرع إلى الأنبار.

ولما رجع خالد إلى الحيرة - وكان منها قريباً حيث يصبَحُها - أخذ القعقاع أهل الحيرة بالثَّقْلَيْسَ، فخرجوا يتلقونه وهم يُقْلِسُونَ؛ وجعل بعضهم يقول لبعض: مُرُّوا بنا فهذا فَرَجُ الشَّرِّ!

كتب إلى السريِّ، عن شعيب عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: وقد كان خالد أقام بدُومة، فظنَّ الأعاجم به؛ وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لَعَقَةً؛ فخرج، زَرْمَهُرَ من بغداد ومعه رُوزبه يريدان الأنبار؛ وأتعدا حُصَيْدًا والخنافس، فكتب الزُّبَيْرُ قَان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد

على الحيرة؛ فبعث القعقاع أَعْبَدَ بْنَ فَذَكِيٍّ السَّعْدِيِّ وأمره بالحُصَيْدِ، وبعث عُرْوَةَ بْنَ الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ وأمره بالخَنَافَسِ، وقال لهما: إن رأيتهما مَقْدَمًا فَأَقْدِمَا. فخرجا فحالا بينهما وبين الريف، وأغلقاهما، وانتظر روزه وزرمهر بالمسلمين اجتماع مَنْ كاتبهما من ربيعة؛ وقد كانوا تَكَاتَبُوا وأَتَعَدُوا؛ فَلَمَّا رَجَعَ خَالِدٌ مِنْ دُومَةَ إِلَى الْحِيرَةِ عَلَى الظَّهْرِ وَبَلَغَهُ ذَلِكَ وَقَدْ عَزَمَ عَلَى مَصَادِمَةِ أَهْلِ الْمَدَائِنِ، كَرِهَ خِلَافَ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَعَجَّلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو لَيْلَى بْنُ فَذَكِيٍّ إِلَى رُوزْبِهِ وَزَرْمِهِر، فسبقاه إلى عين التمر، وقدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبي، أَنَّ الْهَذِيلَ بْنَ عِمْرَانَ قَدْ عَسَكَرَ بِالْمُصَيِّخِ، وَنَزَلَ رَبِيعَةَ بْنَ بُحَيْرٍ بِاللَّثَنِيِّ وَبِالْبُشْرِ فِي عَسْكَرٍ غَضَبًا لَعْنَةً، يَرِيدَانِ زَرْمَهُرَ وَرُوزْبَهُ. فخرج خالد وعلى مقدمته الأقرع بن حابس، واستخلف على الحيرة عياض بن غنم، وأخذ طريق القعقاع وأبي ليل إلى الخنافس حتى قدم عليهما بالعين، فبعث القعقاع إلى حُصَيْدٍ، وأمره على الناس، وبعث أبا ليل إلى الخنافس، وقال: زَجَّيَاهُمْ لِيَجْتَمِعُوا وَمَنْ اسْتَثَّارَهُمْ؛ وَإِلَّا فَوَاقِعَاهُمْ. فَأَبْيَا إِلَّا الْمَقَامَ.

خبر حُصَيْدٍ

فَلَمَّا رَأَى الْقَعْقَاعُ أَنَّ زَرْمَهُرَ وَرُوزْبَهُ لَا يَتَحَرَّكَانِ سَارَ نَحْوَ حُصَيْدٍ، وَعَلَى مِنْ مَرَّ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ رُوزْبَهُ. وَلَمَّا رَأَى رُوزْبَهُ أَنَّ الْقَعْقَاعَ قَدْ قَصَدَ لَهُ اسْتِمْدَ زَرْمَهُرَ، فَأَمَدَهُ بِنَفْسِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَسْكَرِهِ الْمَهْهُوذَانِ، فَالْتَقَوْا بِحُصَيْدٍ، فَاقْتَتَلُوا، فَقَتَلَ اللَّهُ الْعَجَمَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَقَتَلَ الْقَعْقَاعُ زَرْمَهُرَ، وَقَتَلَ رُوزْبَهُ؛ قَتَلَهُ عِصْمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ طَرِيفٍ، مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ، وَكَانَ عِصْمَةُ مِنَ الْبَرَّةِ - وَكُلٌّ فَخِذٌ هَاجَرَتْ بِأَسْرَها تُدْعَى الْبَرَّةِ، وَكُلٌّ قَوْمٌ هَاجَرُوا مِنْ بَطْنٍ يُدْعَوْنَ الْخَيْرَةَ - فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ خَيْرَةَ وَبَرَّةً. وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ حُصَيْدٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَرَزَ فُلَّالٌ حُصَيْدٍ إِلَى الْخَنَافَسِ فَاجْتَمَعُوا بِهَا.

الخَنَافَسِ

وَسَارَ أَبُو لَيْلَى بْنُ فَذَكِيٍّ بِمَنْ مَعَهُ وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ نَحْوَ الْخَنَافَسِ؛ وَقَدْ أَرَزَتْ فُلَّالٌ حُصَيْدٍ إِلَى الْمَهْهُوذَانِ، فَلَمَّا أَحَسَّ الْمَهْهُوذَانِ [بِقُدُومِهِمْ] هَرَبَ وَمَنْ مَعَهُ وَأَرَزُوا إِلَى الْمُصَيِّخِ، وَبِهِ الْهَذِيلُ بْنُ عِمْرَانَ، وَلَمْ يَلْقَ بِالْخَنَافَسِ كَيْدًا، وَبَعَثُوا إِلَى خَالِدٍ بِالْخَبَرِ جَمِيعًا.

مُصَيِّخُ بَنِي الْبَرِّشَاءِ

قَالُوا: وَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى خَالِدٍ بِمَصَابِ أَهْلِ الْحُصَيْدِ وَهَرَبَ أَهْلُ الْخَنَافَسِ كَتَبَ إِلَيْهِمْ، وَوَعَدَ الْقَعْقَاعُ وَأَبَا لَيْلَى وَأَعْبَدَ وَعُرْوَةَ لَيْلَةً وَسَاعَةً يَجْتَمِعُونَ فِيهَا إِلَى الْمُصَيِّخِ - وَهُوَ بَيْنَ حَوْرَانَ وَالْقَلْتِ - وَخَرَجَ خَالِدٌ مِنَ الْعَيْنِ قَاصِدًا لِلْمُصَيِّخِ عَلَى الْإِبِلِ يَجْتَنِبُ الْخَيْلَ، فَنَزَلَ الْجَنَابَ فَالْبَرْدَانَ فَالْحِنِيَّ وَاسْتَقَلَّ مِنَ الْحِنِيَّ؛ فَلَمَّا كَانَ تِلْكَ السَّاعَةَ مِنْ لَيْلَةِ الْمَوْعِدِ اتَّفَقُوا جَمِيعًا بِالْمُصَيِّخِ، فَأَغَارُوا عَلَى الْهَذِيلِ وَمَنْ مَعَهُ وَمَنْ أَوَى إِلَيْهِ؛ وَهُمْ نَائِمُونَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ، فَقَتَلُوهُمْ. وَأَفْلَتَ الْهَذِيلُ فِي أَنْاسٍ قَلِيلٍ؛ وَامْتَلَأَ الْفَضَاءُ قَتْلَى، فَمَا شَبَّهُوا بِهِمْ إِلَّا غَنًا مَصْرُوعًا؛ وَقَدْ كَانَ حُرْقُوصُ بْنُ النُّعْمَانِ قَدْ مُحَضَّهُمُ النَّصِيحَ، وَأَجَادَ الرَّأْيَ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِتَحْذِيرِهِ، وَقَالَ حُرْقُوصُ بْنُ النُّعْمَانِ قَبْلَ

الغارة:

أَلَا سَقْيَانِي قَبْلَ خَيْلِ أَبِي بَكْرٍ

الآبيات . وكان حرقوص معرّساً بامرأة من بني هلال تُدعى أمّ تغلب، فقتلت تلك الليلة، وعُبادَة بن البشر وامرؤ القيس بن بشر وقيس بن بشر؛ وهؤلاء بنو الثوربة من بني هلال . وأصاب جرير بن عبد الله يوم المصيّخ من النمر عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مناة، من النمر، وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر بإسلامهما، وبلغ أبا بكر قول عبد العزى؛ وقد سماه «عبد الله» ليلة الغارة، وقال:

سبحانك اللهم رب محمد

فوداه وودى لبيدا - وكانا أصيبا في المعركة - وقال: أما إن ذلك ليس عليّ إذ نازلا أهل الحرب؛ وأوصى بأولادهما، وكان عمر يعتدّ على خالد بقتلهما إلى قتل مالك - يعني ابن نويرة - فيقول أبو بكر: كذلك يلقي من ساكن أهل الحرب في ديارهم . وقال عبد العزى:

أقول إذ طرّق الصباح بغارة: سبحانك اللهم رب محمد
سبحان ربّي لا إله غيره رب البلاد ورب من يتورّد

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن عدي بن حاتم، قال: أغرنا على أهل المصيّخ، وإذا رجل يدعى باسمه حرقوص بن النعمان، من النمر، وإذا حوله بنوه وامراته، وبينهم جفنة من خمر؛ وهم عليها عكوف يقولون له: ومن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل! فقال: اشربوا شرب وداع، فما أرى أن تشربوا خمرأ بعدها، هذا خالد بالعين وجنوده بحصيد، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا؛ ثم قال:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر
وقبل مناينا المصيبة بالقدر لحين لعمري لا يزيد ولا ينحري

فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل، فضرب رأسه، فإذا هو في جفنته، وأخذنا بناته وقتلنا بنيه .

الثنى والرّميل

وقد نزل ربيعة بن بجير التغلبيّ الثنيّ والبشر غضباً لعقّة، وواعد رُوْزبه وزرْمهر والهذيل . فلما أصاب خالد أهل المصيّخ بما أصابهم به، تقدّم إلى القعقاع وإلى أبي ليل، بأن يرتحلا أمامه، وواعدهما الليلة ليفترقا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه؛ كما فعل بأهل المصيّخ . ثم خرج خالد من المصيّخ، فنزل حوران، ثم الرثق، ثم الحماة - وهي اليوم لبني جنادة بن زهير من كلب - ثم الرّميل؛ وهو البشر والثنيّ معه - وهما اليوم شرقيّ الرصافة - فبدأ بالثنيّ، واجتمع هو وأصحابه، فبيّته من ثلاثة أوجه بياتاً ومن اجتمع له ولله، ومن تأشّب لذلك من الشبان؛ فجردوا فيهم السيوف، فلم يُفْلِتْ من ذلك الجيش مخبر، واستبى الشّرخ، وبعث بخمس الله إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيبانيّ، وقسم النهب والسبّايا، فاشترى عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنت ربيعة بن بجير التغلبيّ، فأتخذها؛ فولدت له عمر ورقية، وكان الهذيل حين نجا

أوى إلى الرُّمَيْل، إلى عَتَاب بن فلان؛ وهو بالبِشْر في عسكر ضخم؛ فبَيْتَهُمْ بِمِثْلِهَا غَارَةً شَعَوَاءَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِمُ الْخَبْرُ عَنْ رِبِيعَةَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً لَمْ يُقْتَلُوا قَبْلَهَا مِثْلَهَا؛ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاؤُوا، وَكَانَتْ عَلَى خَالِدَ يَمِينٍ: «لِيَبْغَتَنَّ تَغْلِبَ فِي دَارِهَا»؛ وَقَسَمَ خَالِدٌ فِيئُهُمْ فِي النَّاسِ، وَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ الصَّبَاحِ بْنِ فُلَانِ الْمَزْنِيِّ، وَكَانَتْ فِي الْأَخْمَاسِ ابْنَةُ مُؤَذِّنِ النَّمَرِيِّ؛ وَلَيْلَى بِنْتُ خَالِدٍ، وَرِيحَانَةُ بِنْتُ الْهَذِيلِ بْنِ هَبِيرَةَ. ثُمَّ عَطَفَ خَالِدٌ مِنَ الْبِشْرِ إِلَى الرُّضَابِ؛ وَبِهَا هَلَالُ بْنُ عَقَّةَ، وَقَدْ أَرَفَضَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ حِينَ سَمِعُوا بِدَنُو خَالِدٍ؛ وَانْقَشَعَ عَنْهَا هَلَالٌ فَلَمْ يَلْقَ كِيداً بِهَا.

حديث الفِراض

ثم قصد خالدٌ بعد الرُّضَابِ وَبَغْتَتَهُ تَغْلِبَ إِلَى الْفِراضِ - وَالْفِراضُ: تَحُومُ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ - فَأَفْطَرَ بِهَا رَمَضَانَ فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ الَّتِي اتَّصَلَتْ لَهُ فِيهَا الْغَزَاوَاتُ وَالْأَيَّامُ، وَنُظِمْنَ نَظْماً، أَكْثَرُ فِيهِنَّ الرُّجَازُ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ - وَشَارِكُهُمَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ؛ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، عَنْ ظَفَرِ بْنِ دَهْيٍ - وَالْمَهْلَبِ بْنِ عُقْبَةَ، قَالُوا: فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْفِراضِ، حَمَيْتِ الرُّومُ وَاغْتَاظَتْ، وَاسْتَعَانُوا بِمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ مَسَالِحِ أَهْلِ فَارَسٍ، وَقَدْ حُمُوا وَاغْتَاظُوا وَاسْتَمَدُّوا تَغْلِبَ وَإِيَادَ وَالنَّمِرَ؛ فَأَمَدُّوهُمْ؛ ثُمَّ نَاهَدُوا خَالِداً؛ حَتَّى إِذَا صَارَ الْفِرَاتُ بَيْنَهُمْ، قَالُوا: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ. قَالَ: خَالِدٌ: بَلْ اعْبُرُوا إِلَيْنَا، قَالُوا: فَتَنَحَّوْا حَتَّى نَعْبُرَ؛ فَقَالَ خَالِدٌ: لَا نَفْعُ لِي؛ وَلَكِنْ اعْبُرُوا أَسْفَلَ مِنَّا. وَذَلِكَ لِلنَّصْفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ. فَقَالَتِ الرُّومُ وَفَارَسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: احْتَسِبُوا مَلِكَكُمْ؛ هَذَا رَجُلٌ يِقَاتِلُ عَلَى دِينٍ، وَلَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ، وَوَاللَّهِ لِيُنْصَرْنَ وَلِنُخْذَلَنَّ. ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ؛ فَعَبَرُوا أَسْفَلَ مِنْ خَالِدٍ؛ فَلَمَّا تَنَامُوا قَالَتِ الرُّومُ: امْتَازُوا حَتَّى نَعْرِفَ الْيَوْمَ مَا كَانَ مِنْ حَسَنِ أَوْ قَبِيحٍ؛ مِنْ أَيْنَا يَجِيءُ! فَفَعَلُوا، فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً طَوِيلاً. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هَزَمَهُمْ، وَقَالَ خَالِدٌ لِلْمُسْلِمِينَ: الْخُوءُ عَلَيْهِمْ وَلَا تُرْفَهُوا عَنْهُمْ؛ فَجَعَلَ صَاحِبُ الْخَيْلِ يَحْشُرُ مِنْهُمْ الزُّمَرَةَ بِرِمَاحِ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا جَمَعُوهُمْ قَتَلُوهُمْ، فَقَتِلَ يَوْمَ الْفِراضِ فِي الْمَعْرَكَةِ وَفِي الطَّلَبِ مِائَةُ أَلْفٍ، وَأَقَامَ خَالِدٌ عَلَى الْفِراضِ بَعْدَ الْوَقْعَةِ عَشْرًا، ثُمَّ أَذِنَ فِي الْفَقْلِ إِلَى الْحِيرَةِ لِحَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ؛ وَأَمَرَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ؛ وَأَمَرَ شَجَرَةَ بْنَ الْأَعَزِّ أَنْ يَسُوقَهُمْ، وَأَظْهَرَ خَالِدٌ أَنَّهُ فِي السَّاقَةِ.

حجة خالد

قال أبو جعفر: وخرج خالدٌ حاجاً من الفِراضِ لِحَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، مَكْتَبَةً بِحُجَّهِ، وَمَعَهُ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَعْتَسِفُ الْبِلَادَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ بِالسَّمْتِ، فَتَأْتَى لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَتَأْتِ لِلدَّلِيلِ وَلَا رُبَّالِ، فَسَارَ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، لَمْ يَرِ طَرِيقٌ أَعْجَبُ مِنْهُ؛ وَلَا أَشَدَّ عَلَى صَعُوبَتِهِ مِنْهُ، فَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَنِ الْجُنْدِ يَسِيرَةً؛ فَمَا تَوَافَى إِلَى الْحِيرَةِ آخِرَهُمْ حَتَّى وَافَاهُمْ مَعَ صَاحِبِ السَّاقَةِ الَّذِي وَضَعَهُ، فَقَدَمَا مَعاً؛ وَخَالِدٌ وَأَصْحَابُهُ مُحَلِّقُونَ؛ لَمْ يَعْلَمْ بِحُجَّهِ إِلَّا مَنْ أَفْضَى إِلَيْهِ بِذَلِكَ مِنَ السَّاقَةِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ. وَكَانَتْ

عقوبته إياه أن صرّفه إلى الشام. وكان مسيرُ خالد من الفراض أن استعرض البلاد متعسّفاً متسماً، فقطع طريق الفراض ماء العنبري، ثم مثقّباً، ثم انتهى إلى ذات عرق، فشرّق منها، فأسلمه إلى عرّفات من الفراض، وسُمّي ذلك الطريق الصّد؛ ووفاه كتاب من أبي بكر منصرفه من حَجّه بالخيرة يأمره بالشّام؛ يقاربه ويباعده.

قال أبو جعفر: قالوا: فوافي خالداً كتابُ أبي بكر بالخيرة، منصرفه من حَجّه: أن سرّ حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجّوا وأشجّوا؛ وإياك أن تعودَ لمثل ما فعلت؛ فإنه لم يُشجّ الجموع من الناس بعون الله شجّاك، ولم ينزع الشجّي من الناس نزعك؛ فليهنئك أبا سليمان النّية والخُطوة؛ فأتمّم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدلّ بعمل، فإن الله له المنّ، وهو وليّ الجزاء.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف؛ عن عبد الملك بن عطاء بن البكائي، عن المقطّع بن الهيثم البكائي، عن أبيه، قال: كان أهل الأيام من أهل الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض الذي يبلغهم، ويقولون: ما شاء معاوية! نحن أصحاب ذات السلاسل. ويُسمّون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان بعد احتقاراً لما كان بعد فيها كان قبل.

وحَدَّثني عمر بن شبّة، قال: حَدَّثنا عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد مضى ذكره، أن خالد بن الوليد أتي الأنبارَ فصالحوه على الجلاء، ثم أعطوه شيئاً رضيّ به، وأنه أغار على سوق بغداد من رُستاق العال، وأنه وجّه المثنى فأغار على سوق فيها جَمع لُقضاة وبُكر، فأصاب ما في السوق، ثم سار إلى عين التمر، ففتحها عنوة، فقتل وسبى، وبعث بالسبي إلى أبي بكر، فكان أوّل سبي قديم المدينة من العجم؛ وسار إلى دومة الجندل، فقتل أكيدر، وسبى ابنة الجودي، ورجع فأقام بالخيرة. هذا كلّ سنة اثنتي عشرة.

وفيهما تزوّج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد.

وفيهما مات أبو مرثد الغنويّ.

وفيهما مات أبو العاصي بن الربيع في ذي الحجة؛ وأوصى إلى الزبير، وتزوج عليّ عليه السلام ابنته.

وفيهما اشترى عمر أسلم مولاه.

واختلف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حجّ بهم فيها أبو بكر رحمه الله.

ذكر من قال ذلك:

حَدَّثنا ابنُ مُحمّد، قال: حَدَّثنا سلّمة، عن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، مولى الحرّة، عن رجل من بني سَهْم، عن ابن ماجدة السهمي، أنه قال: حجّ أبو بكر في خلافته سنة اثنتي عشرة، وقد عارمتُ غلاماً من أهلي، فعَضّ بأذني ففقطع منها - أو عضضتُ بأذنه فقطعت منها - فرفع شأننا إلى أبي بكر، فقال: اذهبوا بها إلى عمر فلينظر، فإن كان الجراح قد بلغ فليَقْد منه. فلما انتهي بنا إلى عمر رضي الله عنه، قال: لعمري لقد بلغ هذا! ادعوا لي حجّاماً. قال: فلما ذكر الحجام، قال: أما إنّي قد سمعتُ النّبيّ ﷺ يقول: قد أعطيت خالتي غلاماً، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه، وقد نهيّتها أن تجعله حجّاماً أو قصّاباً أو صائغاً؛ فاقصص منه.

وذكر الواقديّ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبي وَجْزة يزيد بن عبيد، عن أبيه، أنّ أبا بكرٍ حجَّ في سنة اثنتي عشرة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله. وقال بعضهم: حجَّ بالناس سنة اثنتي عشرة عمر بن الخطاب.

ذكر من قال ذلك:

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابنِ إسحاق، قال: بعضُ النَّاسِ يقول: لم يحجَّ أبو بكر في خلافته، وإنه بعث سنة اثنتي عشرة على الموسم عمر بن الخطاب، أو عبد الرحمن بن عوف.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها وجّه أبو بكر رحمه الله الجيوش إلى الشام بعد منصرفه من مكة إلى المدينة.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال لما قفل أبو بكر من الحج سنة اثنتي عشرة جهّز الجيوش إلى الشام، فبعث عمرو بن العاص قبل فلسطين، فأخذ طريق المعركة على أيلة، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة - وهو أحد الغوث - وأمرهم أن يسلكوا التبوكة على اللقاء من علياء الشام.

وحدّثني عمر بن شبّة، عن علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل، عن شيوخه الذين مضى ذكرهم، قال: ثم وجّه أبو بكر الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة، فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاصي، ثم عزله قبل أن يسير، وولى يزيد بن أبي سفيان، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام، وخرجوا في سبعة آلاف.

قال أبو جعفر: وكان سبب عزل أبي بكر خالد بن سعيد - فيما ذكر - ما حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أنّ خالد بن سعيد لما قدّم من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ تربّص ببيعته شهرين، يقول: قد أمرني رسول الله ﷺ، ثم لم يعزلني حتى قبضه الله. وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان؛ فقال: يا بني عبد مناف؛ لقد طبتّم نفساً عن أمركم يليه غيركم! فأما أبو بكر فلم يحفلها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه. ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام، وكان أول من استعمل على ربيع منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أتؤمّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال! فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وأمر يزيد بن أبي سفيان.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن فضّيل، عن جبير بن صخر حارس النبي ﷺ؛ عن أبيه، قال: كان خالد بن سعيد بن العاصي باليمن زمن النبي ﷺ، وتوفيّ النبي ﷺ وهو بها، وقدم بعد وفاته بشهر، وعليه جبة ديباج فلقني عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب، فصاح عمر بمن يليه: مزّقوا عليه جُبته! ألبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور! فمزّقوا جُبته، فقال خالد: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف، أغلّيتم عليها! فقال عليّ عليه السلام: أمغالبة ترى أم خلافة؟ قال: لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم يا بني عبد مناف. وقال عمر لخالد: فضّ الله فاك! والله لا يزال كاذب يخوض فيها قلت ثم لا يضر إلا نفسه. فأبلغ عمر أبا بكر مقالته؛ فلما عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الردّة عقد له فيمن عقد، فنهاه عنه عمر

وقال: إنه لمخذول، وإنه لضعيف التروثة؛ ولقد كذب كذبة لا يفارق الأرض مدل بها وخائض فيها، فلا تستنصر به. فلم يحتمل أبو بكر عليه، وجعله رداءً بتيأ؛ أطاع عمر في بعض أمره وعصاه في بعض.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيباني، عن أبي صفية التيمي؛ تيم بن شيبان، وطلحة عن المغيرة؛ ومحمد عن أبي عثمان، قالوا: أمر أبو بكر خالداً بأن ينزل تيأ، ففصل رداءً حتى ينزل بتيأ؛ وقد أمره أبو بكر ألا يبرحها، وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه، وألا يقبل إلا ممن لم يرتد، ولا يقاتل إلا من قاتله؛ حتى يأتيه أمره. فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة؛ وبلغ الروم عظم ذلك العسكر، فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشأم إليهم؛ فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، وبنزول من استنفرت الروم؛ ونفر إليهم من بهراء وكلب وسليح وتونخ ولخم وجذام وغسان من دون زيزاء بثلاث؛ فكتب إليه أبو بكر: أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله؛ فسار إليهم خالد، فلما دنا منهم تفرقوا وأعروا منزلهم؛ فنزله ودخل عامة من كان تجمع له في الإسلام؛ وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك؛ فكتب إليه أبو بكر: أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤق من خلفك. فسار فيمن كان خرج معه من تيأ وفيمن لحق به من طرف الرمل؛ حتى نزلوا فيما بين آبل وزيزاء والقسطل؛ فسار إليه بطريق من بطارقة الروم، يدعى باهان؛ فهزمه وقتل جنده، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده. وقد قدم على أبي بكر أوائل مستنفري اليمن ومن بين مكة واليمن؛ وفيهم ذو الكلاع، وقدم عليه عكرمة قافلاً وغازياً فيمن كان معه من تهامة وعُمان والبحرين والسرو. فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبذلوا من استبدل؛ فكلهم استبدل؛ فسَمِيَ ذلك الجيش جيش البِدال. فقدموا على خالد بن سعيد؛ وعند ذلك احتاج أبو بكر للشأم، وعناه أمره. وقد كان أبو بكر رد عمرو بن العاص على عمالة كان رسول الله ﷺ ولأها إياه من صدقات سعد هذيم، وعُدرة ومن لفها من جذام، وحَدَس قبل ذهابه إلى عُمان. فخرج إلى عُمان وهو على عِدَةٍ من عمله؛ إذا هو رجع. فأنجز له ذلك أبو بكر.

فكتب أبو بكر عند احتياجه للشأم إلى عمرو: إني كنت قد رددتكَ على العمل الذي كان رسول الله ﷺ وآله مرة، وسماه لك أخرى؛ مبعثك إلى عُمان إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ؛ فقد وليته ثم وليته؛ وقد أحببت - أبا عبد الله - أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه؛ إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك. فكتب إليه عمرو: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الراعي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي. وكتب إلى الوليد بن عقبة بنحو ذلك، فأجابه بإيثار الجهاد.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: كتب أبو بكر إلى عمرو، وإلى الوليد بن عقبة - وكان على النصف من صدقات قضاة - وقد كان أبو بكر شيعهما مبعثهما على الصدقة، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة: اتق الله في السر والعلانية؛ فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب؛ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً. فإن تقوى الله خير ما تَوَاصَى به عباد الله؛ إنك في سبيل من سبل الله؛ لا يسعك فيه الإذهان والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم، وعصمة أمركم، فلا تن ولا تفتر. وكتب إليهما: استخلفا على أعمالكما، واندبا من يليكما.

فولى عمرو على عليا قضاة عمرو بن فلان العذري، وولى الوليد على صاحبة قضاة مما يلي دومة امرأ

القيس، وندبا الناس، فتتأّم إليهما بشر كثير، وانتظرا أمر أبي بكر.

وقام أبو بكر في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، وقال: ألا إنّ لكلّ أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه؛ ومن عمل لله كفاه الله. عليكم بالجدّ والقصد؛ فإنّ القصد أبلغ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نيّة له. ألا وإنّ في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لَمَا ينبغي للمسلم أن يحبّ أن يُخصّ به؛ هي التجارة التي دلّ الله عليها، ونجّى بها من الخزي؛ وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة.

فأمّد عمرًا ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه، وأمّره على فلسطين، وأمّره بطريق سَمَها له؛ وكتب إلى الوليد وأمّره بالأردنّ، وأمّده ببعضهم. ودعا يزيد بن أبي سفيان، فأمره على جند عظيم، هم جمهور من انتدب له، وفي جنده سُهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكّة، وشيعه ماشياً. واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع إليه، وأمّره على حصص وخرج معه وهما ماشيان والناس معها وخلفهما، وأوصي كلّ واحد منهما.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم، ومبشر عن سالم، ويزيد بن أسيد الغسانيّ عن خالد، وعبادة، قالوا: ولما قدّم الوليد على خالد بن سعيد فسانده، وقدمت جنود المسلمين الذين كان أبو بكر أمّده بهم وسُمّوا جيش البدال، وبلغه عن الأمراء وتوجّههم إليه، اقتحم على الرّوم طلب الحطّوة، وأعرى ظهره، وبادر الأمراء بقتال الرّوم، واستطرد له باهان فأرزّ هو ومن معه إلى دمشق؛ واقترح خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل مرّج الصّفّر؛ من بين الواقصة ودمشق؛ فانطوت مسالح باهان عليه، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس، فقتلوه. وأتى الخبرُ خالدًا، فخرج هارباً في جريدة، فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل، وقد أجهضوا عن عسكرهم؛ ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذي المروة، وأقام عكرمة في الناس رداءً لهم، فردّ عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه، وأقام من الشّأم على قريب، وقد قدم شرحبيل بن حسنّة وافداً من عند خالد بن الوليد، فندب معه النّاس، ثم استعمله أبو بكر على عمل الوليد، وخرج معه يوصيه، فأقى شرحبيل على خالد، ففصل بأصحابه إلّا القليل، واجتمع إلى أبي بكر أناس، فأمر عليهم معاوية، وأمّره باللاحق بيزيد، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد؛ فلما مرّ بخالد فصل ببقية أصحابه.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب لم يزل يكلم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد بن سعيد؛ فأبى أن يعطيه في خالد بن الوليد، وقال: لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكفّار، وأطاعه في خالد بن سعيد بعد ما فعل فعلته. فأخذ عمرو طريق المَعْرِقة، وسلك أبو عبيدة طريقه، وأخذ يزيد طريق التبوكيّة؛ وسلك شرحبيل طريقه، وسَمّى لهم أمصار الشّأم، وعرف أن الرّوم ستشغلهم، فأحبّ أن يصعد المصوّب ويصوّب المصعد؛ لئلا يتواكلوا، فكان كما ظنّ وصاروا إلى ما أحبّ.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، قال: لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة، وأقى أبا بكر الخبرُ كتب إلى خالد: أقم مكانك، فلعمري إنّك مقدم محجام، نجاءً من الغمرات، لا تخوضها إلّا إلى حقّ، ولا تصبر عليه. ولما كان بعد؛ وأذن له في دخوله المدينة قال خالد: اعذرني، قال: أخطلّ! أنت امرؤ جبن لدى الحرب. فلما خرج من عنده قال: كان عمر وعليّ أعلم بخالد؛ ولو أطعتهما فيه

أختشيته وأتقيته!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر وسهل وأبي عثمان، عن خالد وعبادة وأبي حارثة، قالوا: وأوعب القواد بالناس نحو الشام وعكرمة ردة للناس، وبلغ الروم ذلك؛ فكتبوا إلى هرقل؛ وخرج هرقل حتى نزل بحمص، فاعد لهم الجنود، وعبى لهم العساكر؛ وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده، وفضول رجاله؛ وأرسل إلى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً، وبعث من يسوقهم، حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق بأعلى فلسطين، وبعث جرّة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة، وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة؛ فهابهم المسلمون وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً؛ سوى عكرمة في ستة آلاف؛ ففزعوا جميعاً بالكتب وبالرسل إلى عمرو: أن ما الرأي؟ فكتبهم وراسلهم: إن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة؛ وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يُقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا. فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به، وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كتبوا به عمرو؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله؛ والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤق مثلكم من قلة، وإنما يؤق العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب؛ فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين ولْيُصل كل رجل منكم بأصحابه.

وبلغ ذلك هرقل، فكتب إلى بطارقه: أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب؛ وعلى الناس التذارق وعلى المقدمة جرّة، وعلى مجنبيه باهان والدراقص، وعلى الحرب الفيقار؛ وأبشروا فإن باهان في الأثر مدد لكم. ففعلوا فتزلوا الواقعة وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقاً لهم؛ وهو هُب لا يدرك؛ وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين؛ وترجع إليهم أفندتهم عن طيرتها.

وانتقل المسلمون عن عسكريهم الذي اجتمعوا به؛ فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم؛ وليس للروم طريق إلا عليهم. فقال عمرو: أيها الناس، أبشروا، حُصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخيراً! فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهر ربيع، لا يقدرون من الروم على شيء؛ ولا يخلصون إليهم؛ اللَّهْب - وهو الواقعة - من ورائهم، والخندق من أمامهم، ولا يخرجون خرجة إلا أدبل المسلمون منهم؛ حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول؛ وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر؛ فكتب إلى خالد ليلحق بهم، وأمره أن يخلف على العراق المثنى؛ فوافاهم في ربيع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو والمهلب، قالوا: ولما نزل المسلمون اليرموك، واستمدوا أبا بكر، قال: خالد لها. فبعث إليه وهو بالعراق، وعزم عليه واستحثه في السير، فنفذ خالد لذلك؛ فطلع عليهم خالد؛ وطلع باهان على الروم، وقد قدم قدامه الشمامسة والرهبان والقسيسين؛ يُغرونهم ويحضونهم على القتال؛ ووافق قدوم خالد قدوم باهان، فخرج بهم باهان كالمقتدر؛ فولى خالد قتاله، وقاتل الأمراء من إزائهم؛ فهزم باهان، وتتابع الروم على الهزيمة، فاقتحموا خندقهم؛ وتيمنت الروم بباهان؛ وفرح المسلمون بخالد وحرد المسلمون. وحرب المشركون وهم أربعون ومائتا ألف؛ منهم ثمانون ألف

مقيّد، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممن كان مقيماً؛ إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفاً.

ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى، وتوفي للنصف من جمادى الآخرة، قبل الفتح بعشر ليال.

خبر اليرموك

قال أبو جعفر: وكان أبو بكر قد سمى لكل أمير من أمراء الشام كورة؛ فسمّى لأبي عبيدة بن عبد الله بن الجراح حمص، وليزيد بن أبي سفيان دمشق؛ ولشرحبيل بن حسنة الأردن، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مجزز فلسطين، فلما فرغوا منها نزل علقمة وسار إلى مصر. فلما شارفوا الشام، دهم كل أمير منهم قوم كثير، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد، وأن يلقوا جمع المشركين بجمع المسلمين.

ولما رأى خالد أن المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم: هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعز الله به الدين، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني، عن خالد وعبادة، قالوا: توافق إليهما مع الأمراء والجنود الأربعة سبعة وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فلال خالد بن سعيد، أمر عليهم أبو بكر معاوية وشرحبيل، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد سوى ستة آلاف ثبتوا مع عكرمة رداءً بعد خالد بن سعيد؛ فكانوا ستة وأربعين ألفاً، وكل قتلهم كان على تساند، كل جند وأميره؛ لا يجمعهم أحد؛ حتى قدم عليهم خالد من العراق. وكان عسكر أبي عبيدة باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شرحبيل مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان؛ فكان أبو عبيدة ربماً صلى مع عمرو، وشرحبيل مع يزيد. فأما عمرو ويزيد فإنهما كانا لا يصليان مع أبي عبيدة وشرحبيل، وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك؛ فعسكر على حدة؛ فصلّى بأهل العراق، ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم؛ عليهم باهان، ووافق الروم وهم نشاط بمددهم، فالتقوا، فهزمهم الله حتى ألبأهم وأمدادهم إلى الخنادق - والواقوصة أحد حدوده - فلزموا خندقهم عامة شهر، يحضضهم القسيسون والشمامسة والرهبان وينعون لهم النصرانية؛ حتى استبصروا. فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال مثله، في جمادى الآخرة.

فلما أحس المسلمون خروجهم، وأرادوا الخروج متساندين، سار فيهم خالد بن الوليد؛ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي. أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم؛ فإن هذا يوم له ما بعده؛ ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية؛ على تساند وانتشار؛ فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي. وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا؛ فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبة، قالوا: فهات، فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون؛ لقد جمعكم. إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود، ولا يزيده عليه أن دانوا له. إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول

الله ﷻ. هَلَمَّوْا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَهَيَّؤُوا، وهذا يوم له ما بعده، إِنْ رَدَدْنَاهُمْ إِلَى خَنْدَقِهِمْ الْيَوْمَ لَمْ نَزَلْ نَرُدَّهُمْ، وَإِنْ هَزَمُونَا لَمْ نُفْلَحْ بَعْدَهَا. فَهَلَمَّوْا فَلْتَتَعَاوَرِ الْإِمَارَةُ، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غد؛ حتى يتأمر كلكم، ودعوني أليكم اليوم.

فأمره، وهم يرون أنها كخرجاتهم، وأن الأمر أطول مما صاروا إليه؛ فخرجت الروم في تعبئة لم يرَ الراؤون مثلاً قط، وخرج خالد في تعبئة لم تُعبَّها العرب قبل ذلك؛ فخرج في ستَّة وثلاثين كُردوساً إلى الأربعين، وقال: إِنْ عَدَّوْكُمْ قَدْ كَثُرَ وَطَغَى، وليس من التعبئة تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس. فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شُرْحَبِيل بن حَسَنَة. وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان. وكان على كُردوس من كراديس أهل العراق القَقَقَاع بن عمرو، وعلى كُردوس مذعور بن عدي، وعياض بن غنم على كُردوس، وهاشم بن عتبة على كُردوس، وزباد بن حنظلة على كُردوس، وخالد في كُردوس؛ وعلى فالة خالد بن سعيد دحية بن خليفة على كُردوس، وامرؤ القيس على كُردوس، ويزيد بن يحنس على كُردوس، وأبو عبدة على كُردوس، وعكرمة على كُردوس، وسهيل على كُردوس، وعبد الرحمن بن خالد على كُردوس - وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة - وحبيب بن مسلمة على كُردوس، وصفوان بن أمية على كُردوس، وسعيد بن خالد على كُردوس، وأبو الأعور بن سفيان على كُردوس، وابن ذي الخمار على كُردوس؛ وفي الميمنة عُمارة بن مُحَشِيَّ بن خُوَيْلِد على كُردوس؛ وشُرْحَبِيل على كُردوس ومعه خالد بن سعيد، وعبد الله بن قيس على كُردوس؛ وعمرو بن عبسة على كُردوس، والسَّمُط بن الأسود على كُردوس، وذو الكَلَالَع على كُردوس، ومعاوية بن حُذَيْج على آخر؛ وجُنْدُب بن عمرو بن حُمَمة على كُردوس، وعمرو بن فلان على كُردوس؛ ولَقِيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظَفَر من بني فزارة على كُردوس، وفي الميسرة يزيد بن أبي سفيان على كُردوس، والزُّبَيْر على كُردوس، وخَوْشَب ذو ظُلَيْم على كُردوس، وقيس بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول بن مازن بن صعصعة من هوازن - حليف لبني النَّجَّار - على كُردوس، وعِصْمَة بن عبد الله - حليف لبني النجار من بني أسد - على كُردوس، وضرار بن الأزور على كُردوس، ومسروق بن فلان على كُردوس، وعُتْبَة بن ربيعة بن بهز - حليف لبني عِصْمَة - على كُردوس، وجارية بن عبد الله الأشجعي - حليف لبني سلمة - على كُردوس، وقَبَاث على كُردوس.

وكان القاضي أبو الدرداء، وكان القاصُّ أبو سفيان بن حرب، وكان على الطلائع قَبَاث بن أَشِيم؛ وكان على الأقباض عبد الله بن مسعود.

كتب إليَّ السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة نحواً من حديث أبي عثمان؛ وقالوا جميعاً: وكان القاريء المِقْدَاد. ومن السنة التي سنَّ رسولُ الله ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء؛ وهي الأنفال، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك.

كتب إليَّ السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني، عن عبادة وخالد؛ قالوا: شهد اليرموك ألف من أصحاب رسول الله، فيهم نحو من مائة من أهل بدر. قالوا: وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس، فيقول: الله الله -! إنكم ذاده العرب، وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك! اللهم إن هذا يوم من أيامك؛ اللهم أنزل نصرك على عبادك!

قالا: وقال رجل لخالده: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان؛ لا بعدد الرجال؛ والله لوددت أن الأشقر براء من توجيئه؛ وأنهم أضعفوا في العدد - وكان فرسه قد حفي في مسيره - قالوا: فأمر خالد عكرمة والقعقاع، وكانا على مجنبي القلب، فأنشبا القتال، وارتجز القعقاع وقال:

يا ليتني ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الوراد
وأنت في حلبتك الورد

وقال عكرمة:

قد علمت بهكنة الجواري أني على مكرمة أحامي

فنشب القتال، والتحم الناس، وتطارد الفرسان؛ فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة؛ فأخذته الخيول؛ وسألوه الخبر؛ فلم يخبرهم إلا بسلامة؛ وأخبرهم عن أمداد؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير أبي عبيدة؛ فأبلغوه خالداً، فأخبره خبر أبي بكر؛ أسرّه إليه، وأخبره بالذي أخبر به الجند. قال: أحسنت فقف، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتثر له أمر الجند؛ فوقف محمية بن زئيم مع خالد؛ وهو الرسول؛ وخرج جرجة؛ حتى كان بين الصقيين، ونادى: ليخرج إلي خالد، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه، فوافقه بين الصقيين؛ حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمن أحدهما صاحبه، فقال جرجة: يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله؛ هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه، فلا تسلمه على قوم إلا هزمتهم؟ قال: لا، قال: فبم سُميت سيف الله؟ قال: إن الله عز وجل بعث فينا نبيه ﷺ، فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعاً. ثم إن بعضنا صدقة وتابعه؛ وبعضنا باعده وكذبه؛ فكنت فيمن كذبه وباعده وقتله. ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا؛ فهدانا به، فتابعناه. فقال: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين! ودعا لي بالنصر؛ فسميت سيف الله بذلك؛ فأنا من أشد المسلمين على المشركين. قال صدقتني، ثم أعاد عليه جرجة: يا خالد، أخبرني إلام تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فمن لم يحبكم؟ قال: فالجزية وغنمهم، قال: فإن لم يعطها، قال: نوذنه بحرب، ثم نقاتله. قال: فما منزلة الذي يدخل فيكم ويحببكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا. ثم أعاد عليه جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والدُّخر؟ قال: نعم، وأفضل؛ قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ قال: إننا دخلنا في هذا الأمر، وبأيعنا نبينا ﷺ وهو حي بين أظهرنا، تأتية أخبار السماء ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا، أن يُسلم ويباع؛ وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج؛ فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا. قال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألئني! قال: بالله؛ لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة؛ وإن الله لولي ما سألت عنه. فقال: صدقتني؛ وقلب الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، فشن عليه قربة من ماء، ثم صلى ركعتين؛ وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد؛ وهم يرون أنها منه حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقعهم إلا المحامية، عليهم عكرمة والحارث بن هشام.

وركب خالدٌ ومعه جرجة والرُّومُ خلالَ المسلمين ؛ فتنادى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الرُّومُ إلى مواقعهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسُّيوف ، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جُنُوح الشمس للغروب ، ثم أصيبَ جرجة ولم يصلِّ صلاة سجد فيها إلا الرُّكعتين اللَّتَيْنِ أسلم عليهما ، وصلَّى الناس الأولى والعصر إيماءً ، وتضعض الرُّوم ، ونَهَد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وكان مقاتلهم واسع المطرد ، ضيق المهرب ؛ فلمَّا وجدت خيلهم مذهباً ذهب وتركوا رَجْلهم في مصافهم ؛ وخرجت خيلهم تشتد بهم في الصحراء ، وآخر النَّاس الصلاة حتى صلُّوا بعد الفتح . ولما رأى المسلمون خيلَ الرُّوم توجَّهت للمَّهَرِب ، أفرجوا لها ، ولم يجرَّوها ؛ فذهبت فتفرَّقت في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرَّجُل ففضَّوهم ؛ فكأنما هُدم بهم حائط ؛ فاقتحموا في خندقهم ، فاقتحمه عليهم فعَمَدوا إلى الواقوسة ، حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم ، فمنَّ صبر من المقترنين للقتال هوى به من خَشَعَتْ نفسه ، فيهوي الواحد بالعشرة لا يطيقونه ؛ كلِّما هوى اثنان كانت البقية أضعف ، فتهافت في الواقوسة عشرون ومائة ألف ؛ ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق ؛ سوى مَنْ قُتِل في المعركة من الخيل والرجل ؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمسمائة ، وتجلَّل الفيقار وأشراف من أشراف الرُّوم برانسهم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السَّوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور ؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية ؛ فأصيبوا في تزلَّمهم .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة ؛ قالوا : أصبح خالد من تلك اللَّيلة ، وهو في رواق تَذَارِق ، لما دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناس حتى أصبحوا .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان الغسانيِّ ، عن أبيه ، قال : قال عِكْرمة بن أبي جهل يومئذ : قاتلت رسولَ الله ﷺ في كلِّ موطن ، وأفرُّ منكم اليوم ! ثم نادى : مَنْ يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ؛ فقاتلوا قدامَ فُسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقُتِلوا إلا من برأ ، ومنهم ضرار بن الأزور . قال : وأتى خالد بعد ما أصبحوا بعِكْرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، ويعمر بن عِكْرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطر في حلوقهما الماء ، ويقول : كلاً ، زعم ابن الحنَّمة أننا لا نُستشهد !

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عُميس ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة - وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت - أنَّ النساء قاتلن يوم اليرموك في جولة ، فخرجت جُوبرية ابنة أبي سفيان في جولة ، وكانت مع زوجها ، وأصيبت بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عِينُ أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حثمة .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المُستنير بن يزيد بن أرطاة بن جُهَيْش ، قال : كان الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية ؛ فخرج يومئذ رجلٌ من الرُّوم ، فقال : مَنْ يبارز ؟ فخرج إليه الأشتر ؛ فاختلفا ضربتين ، فقال للرومي : خُذْها وأنا الغلام الإيادي ، فقال : الرومي : أكثر الله في قومي مثلك ! أما والله لو أنك من قومي لأزرت الرُّوم ، فأما الآن فلا أعينهم !

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وخالد : وكان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك عِكْرمة ، وعمر بن عِكْرمة ، وسلمة بن هشام ، وعمر بن سعيد ، وأبان بن سعيد -

وأثبت خالد بن سعيد فلا يُدرى أين مات بعد - وجندب بن عمرو بن حمّة الدؤسي، والطفيل بن عمرو، وضرار بن الأزور أثبت فبقي وطليب بن عمير بن وهب من بني عبد بن قصي، وهبار بن سفيان، وهشام بن العاصي.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، قال: لقي خالداً مقدّمه الشام مغيباً لأهل اليرموك رجل من روم العرب، فقال: يا خالد، إن الروم في جمع كثير؛ مائتي ألف أويزيديون، فإن رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل؛ فقال خالد: أبالروم تخوفني! والله لوددت أن الأشقر براء من توجيّه، وأنهم أضعفوا ضعفهم، فهزمهم الله على يديه!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن أرطاة بن جهيش، قال: قال خالد يومئذ: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر، والحمد لله الذي وليّ عمرًا، وكان أبغض إلي من أبي بكر ثم ألزمني حبه!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو بن ميمون، قالوا: وقد كان هرقل حج قبل مهزم خالد بن سعيد، فحج بيت المقدس، فبينما هو مقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه، فجمع الروم، وقال: أرى من الرأي ألا تقابلوا هؤلاء القوم، وأن تصالحوهم؛ فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام؛ وتأخذوا نصفاً وتقرّ لكم جبال الروم؛ خير لكم من أن يبلغوكم على الشام، ويشاركوكم في جبال الروم؛ فنخر أخوه ونخر ختنته؛ وتصدّع عنه من كان حوله؛ فلما رآهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه، وأمر الأمراء ووجهه إلى كل جند جنداً. فلما اجتمع المسلمون، أمرهم بمنزول واحد واسع جامع حصين، فنزلوا بالواقصة، وخرج فنزل حمص، فلما بلغه أن خالدًا قد طلع على سوى وانتسف أهلّه وأموالهم، وعمد إلى بصرى وافتتحها وأباح عذراء، قال جلسائه: ألم أقل لكم لا تقاتلوهم! فإنه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم؛ إن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم، فلا يقوم لهم أحد حتى يُبلى. فقالوا: قاتل عن دينك ولا تُجبن الناس، واقض الذي عليك؛ قال: وأي شيء أطلب إلا توفير دينكم!

ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعث إليهم المسلمون: إنا نريد كلام أميركم وملاقاته؛ فدعونا نأته ونكلمه، فأبلغوه فأذن لهم. فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول، والحارث بن هشام وضرار بن الأزور وأبو جندل بن سهيل؛ ومع أخيه الملك يومئذ ثلاثون رواقاً في عسكره وثلاثون سرادقاً، كلّها من ديباج؛ فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، وقالوا: لا نستحلّ الحرير فأبرز لنا. فبرز إلى فرش ممهدة؛ وبلغ ذلك هرقل، فقال: ألم أقل لكم! هذا أول الدّل، أما الشام فلا شام؛ وويل للروم من المولود المشؤوم! ولم يتأت بينهم وبين المسلمين صلح، فرجع أبو عبيدة وأصحابه واتعدوا، فكان القتال حتى جاء الفتح.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مطّرح، عن القاسم، عن أبي أمامة وأبي عثمان، عن يزيد بن سنان، عن رجال من أهل الشام ومن أشياخهم؛ قالوا: لما كان اليوم الذي تأمر فيه خالد، هزم الله الروم مع الليل، وصعد المسلمون العقبة، وأصابوا ما في العسكر، وقتل الله صناديدهم ورؤوسهم وفسانهم، وقتل الله أخاه هرقل، وأخذ التذارق، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حمص، فارتحل فجعل حمص بينه وبينهم، وأمر عليها أميراً وخلّفه فيها، كما كان أمر على دمشق، وأتبع المسلمون الروم حين هزموهم خيولاً

يُثْفِنُونَهُمْ. ولَمَّا صار إلى أبي عبيدة الأمر بعد الهزيمة؛ نادى بالرحيل، وارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عساكرهم بِمَرْجِ الصُّفَر. قال أبو أمامة: فُبِعِثَتْ طليعةٌ من مَرْجِ الصُّفَر، معي فارسان؛ حتى دخلت الغُوطَة فجُستها بين أبياتها وشجراتها، فقال أحد صاحبي: قد بلغت حيث أمرت فانصرف لانهلكنا، فقلت: قِفْ مكانك حتى تصبح أو آتيك. فسيرت حتى دفعت إلى باب المدينة؛ وليس في الأرض أحدٌ ظاهر، فنزعت لجام فرسي وعلقت عليها مخلاتها، وركزت رحلي، ثم وضعت رأسي فلم أشعر إلا بالفتح يجرُّك عند الباب ليُفتح؛ فقممت فصليت الغداة، ثم ركب فرسي، فحملت عليه، فطعنت البواب فقتلته، ثم انكفأت راجعاً؛ وخرجوا يطلبونني، فجعلوا يكفون عني مخافة أن يكون لي كمين، فدفعت إلى صاحبي الأذن الذي أمرته أن يقف، فلما رآوه قالوا: هذا كمين انتهى إلى كمينه. فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثاني، فسرنا حتى انتهينا إلى المسلمين؛ وقد عزم أبو عبيدة ألا يرحل حتى يأتيه رأي عمر وأمره؛ فأناه فرحلوا حتى نزلوا على دِمَشق، وخلف باليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري في خيل.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد، قال: قال قَبَاث: كنت في الوفد بفتح اليرموك، وقد أصبنا خيراً ونفلاً كثيراً، فمرّ بنا الدليل على ماء رجل قد كنت أتبعته في الجاهلية حين أدركت وأنست من نفسي لأصيب منه؛ كنت دُلِلْتُ عليه، فأتيته فأخبرته، فقال: قد أصبت، فإذا ريبال من ريبالة العرب قد كان يأكل في اليوم عَجُزَ جَزور بأدمها ومقدار ذلك من غير العَجُز ما يفضل عنه إلا ما يقوتي. وكان يُغِيرُ على الحيّ ويدعني قريباً، ويقول: إذا مرّ بك راجز يرتجز بكذا وكذا، فأننا ذلك؛ فشُلُّ معي. فمكثت بذلك حتى أقطعني قطيعاً من مال، وأتيت به أهلي؛ فهو أول مال أصبته. ثم إنني رأست قومي؛ وبلغت مبلغ رجال العرب، فلما مرّ بنا على ذلك الماء عرفته، فسألت عن بيته فلم يعرفوه، وقالوا: هو حيّ، فأتيت بينين استفادهم بعدي، فأخبرتهم خبري، فقالوا: اغد علينا غداً، فإنه أقرب ما يكون إلى ما تحب بالغداة، فغاديتهم فأدخلت عليه، فأخرج من خدره؛ فأجلس لي، فلم أزل أذكره حتى ذكر، وتسمّع وجعل يطرب للحديث ويستطعمنيه، وطال مجلسنا وثقلنا على صبيانهم؛ ففرقوه ببعض ما كان يفرق منه ليدخل خدره، فوافق ذلك عقله، فقال: قد كنت وما أفزع! فقلت: أجل، فأعطيته ولم أدع أحداً من أهله إلا أصبته بمعروف ثم ارتحلت.

كتب إليّ السري، عن سيف، عن أبي سعيد المقبري، قال: قال مروان بن الحكم لقَبَاث: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله أكبر مني، وأنا أقدم منه، قال: فما أبعدُ ذكرك؟ قال: خِثي الفيل لسنة. قال: وما أعجب ما رأيت؟ قال: رجل من قُضاة؛ إنني لما أدركت وأنست من نفسي سألت عن رجل أكون معه وأصيب منه، فدُلِلْتُ عليه... واقتص هذا الحديث.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، أن أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يزيد بن أبي سفيان يوصيه، وأبو بكر يمشي ويزيد راكب، فلما فرغ من وصيته قال: أقرئك السلام، وأستودعك الله. ثم انصرف ومضى يزيد، فأخذ التبوكية ثم تبعه شُرَّحِيل بن حَسَنَة ثم أبو عبيدة بن الجراح مدداً لهما على رُبع، فسلكوا ذلك الطريق، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بَعْمَر العَرَبَات، ونزلت الروم بثنية جَلَقَ بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً، عليهم تَذَارِقُ أخو هرقل لأبيه وأمه. فكتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر، يذكر له أمر الروم ويستمدّه. وخرج خالد بن سعيد بن العاصي؛ وهو بمرج الصُّفَر من

أرض الشام في يوم مطير يستمطر فيه ؛ فتعاوى عليه أعلاجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه .

قال أبو جعفر : وأما أبو زيد ، فحدثني عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد ذكرت قبل ؛ أنّ أبا بكر رحمه الله وجه بعد خروج يزيد بن أبي سفيان موجّها إلى الشام بأيام ، شُرْحِيلُ بن حَسَنَة - قال : وهو شُرْحِيلُ بن عبد الله بن المطاع بن عمرو ، من كِنْدَة ، ويقال من الأزد - فسار في سبعة آلاف ، ثم أبا عبيدة بن الجراح في سبعة آلاف ، فنزل يزيد البلقاء ، ونزل شُرْحِيلُ الأزد - ويقال بُصْرَى - ونزل أبو عبيدة الجابية ، ثم أمدهم بعمر بن العاص ، فنزل بَعْمَرُ العربات ، ثم رَغِبَ الناس في الجهاد ؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجههم أبو بكر إلى الشام فمنهم من يصير مع أبي عبيدة ، ومنهم من يصير مع يزيد ، يصير كل قوم مع من أحبوا .

قالوا : فأول صلح كان بالشام صلح مَآبَ ؛ وهي فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه ، وهي قرية من البلقاء ، فقاتلوه ، ثم سألوه الصلح فصالحهم . واجتمع الروم جمعاً بالعربة من أرض فلسطين ؛ فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي ؛ ففضّ ذلك الجمع .

قالوا : فأول حرب كانت بالشام بعد سرية أسامة بالعربة . ثم أتوا الدّائنة - ويقال الدّائن - فهزمهم أبو أمامة الباهلي ، وقتل بطريقاً منهم . ثم كانت مَرَجُ الصُّفَر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصي ، أتاهاهم أدْرُنْجَارُ في أربعة آلاف وهم غارون ، فاستشهد خالد وعدة من المسلمين .

قال أبو جعفر : وقيل إنّ المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشام ، ضمّهم إليه ؛ فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة - ويقال في خمسمائة - واستخلف على عمله المثنى بن حارثة ، فلقيه عدو بصندوداء ، فظفر بهم ، وخلف بها ابن حرام الأنصاري ؛ ولقي جمعاً بالمصيخ والحُصَيْد ، عليهم ربيعة بن بُجَيْر التَّغْلِبِيّ ، فهزمهم وسبى وغنم ، وسار ففوز من قراقر إلى سوى ؛ فأغار على أهل سوى ؛ واكتسح أموالهم ، وقتل حُرْقُوصَ بن النعمان البهراني ، ثم أتى أرك فصالحوه ، وأتى تَدْمُرَ فتحصّنوا ، ثم صالحوه ؛ ثم أتى القريتين ، فقاتلهم فظفر بهم وغنم ، وأتى حوَّارين ؛ فقاتلهم فهزمهم وقتل وسبى ، وأتى قَصَمَ فصالحه بنو مشجعة من قُضَاعَة ، وأتى مَرَجَ راهط ، فأغار على غسان في يوم فضحهم ، فقتل وسبى ، ووجه بسر بن أبي أرطاة وحبيب بن مَسْلَمَة إلى الغوطة ، فأتوا كنيسة فسبوا الرجال والنساء ، وساقوا العيال إلى خالد .

قال : فوافي خالداً كتاب أبي بكر بالحيرة من حجه : أن سرّ حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجّوا وأشجّوا ، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشجّ الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزع الشجى من الناس نزعك . فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة ؛ فأنتم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتُخذل ؛ وإياك أن تدلّ بعمل ، فإن الله عز وجل له المنّ ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء ، عن الهيثم البكائي ، قال : كان أهل الأيّام من أهل الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض الذي يبلغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحن أصحاب ذات السلاسل ، ويسمّون ما بينها وبين الفِراض ؛ ما يذكرون ما كان بعد ؛ احتقاراً لما كان بعد فيها كان قبل .

كتب إلى السري ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن ظفر بن دهمي، ومحمد بن عبدالله عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة، والمهلب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سباه الأحمري، قالوا: كان أبو بكر قد وجّه خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام حيث وجّه خالد بن الوليد إلى العراق، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً. وإن خالد بن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم؛ واستجلب الناس فعز، فهابته الروم، فأحجموا عنه، فلم يصبر على أمر أبي بكر ولكن تورّدها فاستطردت له الروم، حتى أوردوه الصفّر، ثم تعطفوا عليه بعد ما أمّن؛ فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطراً؛ فقتلوه هو ومَن معه، وأتى الخبر خالداً، فخرج هارباً؛ حتى يأتي البرّ، فينزل منزلاً، واجتمعت الروم إلى اليرموك؛ فنزلوا به، وقالوا: والله لنشغلنّ أبا بكر في نفسه عن تورّد بلادنا بخيوله.

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص - وكان في بلاد قُضاة - بالسّير إلى اليرموك، ففعل. وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان، وأمر كلّ واحد منهما بالغارة، وألاّ توغّلوا حتى لا يكون وراءكم أحدٌ من عدوكم.

وقدم عليه شُرْحَبِيل بن حَسَنَة بفتح من فتوح خالد، فسرحه نحو الشام في جُند، وسَمّى لكلّ رجل من أمراء الأجناد كورةً من كور الشام؛ فتوافوا باليرموك، فلما رأت الروم توافيهم، ندموا على الذي ظهر منهم، ونسوا الذي كانوا يتوعّدون به أبا بكر، واهتموا وهمّتهم أنفسهم، وأشجّوهم وشجّوا بهم، ثم نزلوا الواقصة. وقال أبو بكر: والله لأنّسينّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث، وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس، فإذا فتح الله على المسلمين الشام، فارجع إلى عملك بالعراق. وبعث خالد بالأخماس إلّا ما نقل منها مع عُمر بن سعد الأنصاري وبمسيره إلى الشام. ودعا خالد الأدلة، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة، ثم طعن في البرّ إلى قراقر، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم! فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين، فكَلّمهم قال: لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش، يأخذه الفذّ الراكب، فإياك أن تغرّر بالمسلمين. فعزم عليهم ولم يُجِبْه إلى ذلك إلّا رافع بن عُميرة على تهيبٍ شديد، فقام فيهم، فقال: لا يَخْتَلِفْنَ هَدْيُكُمْ، ولا يضعفنّ يقينكم، واعلموا أنّ المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة؛ وإنّ المسلم لا ينبغي له أن يكثر بشيء يقع فيه مع معونة الله له، فقالوا له: أنت رجُلٌ قد جمع الله لك الخير، فشأنك. فطابقوه ونووا واحتسبوا، واشتهوا مثل الذي اشتهى خالد، فأمرهم خالد، فترؤوا للشفة لحمس، وأمر صاحب كلّ خيل بقدر ما يسقيها، فظمّاً كلّ قائد من الإبل الشرف الجلال ما يكتفي به، ثم سَقَوْها العَلَل بعد النهل؛ ثم صرّوا آذان الإبل وكعموها، وخلّوا أدبارها، ثم ركبوا من قراقر مفوّزين إلى سوى - وهي على جانبها الآخر ممّا يلي الشام - فلما ساروا يوماً افتظّوا لكلّ عِدّة من الخيل عشراً من تلك الإبل فمزجوا ما في كروشها بما كان من الألبان، ثم سَقَوْا الخيل، وشربوا للشفة جرّعاً، ففعلوا ذلك أربعة أيام.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن مُحَفَّر بن ثعلبة؛ عمّن حدّثه من بكر بن وائل أنّ مُحَرَّز بن حريش المحاربيّ قال لخالد: اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن، ثم أمّه تُفَضِّص إلى سوى؛ فكان أدلّهم.

قال أبو جعفر الطبري: وشاركهم محمد وطلحة، قالوا: لما نزل بسوى وخشي أن يفضحهم حر الشمس، نادى خالد رافعاً: ما عندك؟ قال: خير، أدركتم الرّي، وأنتم على الماء! وشجعهم وهو متحير أرمداً، وقال: أيها الناس، انظروا علمين كأنها ثديان. فأتوا عليها وقالوا: علمان، فقام عليها فقال: اضربوا يميناً ويسرة - لعوسجة كقعدة الرجل - فوجدوا جذمها، فقالوا: جذم ولا نرى شجرة، فقال: احتفروا حيث شئتم، فاستثاروا أوشالاً وأحساء رواء، فقال رافع: أيها الأمير، والله ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة، وما وردته إلا مرة وأنا غلام مع أبي. فاستعدوا ثم أغاروا والقوم لا يرون أن جيشاً يقطع إليهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن ظفر بن دهى، قال: فأغار بنا خالد من سوى على مصيخ بهراء بالقصواني - ماء من المياه - فصبح المصيح والنمر؛ وإنهم لغارون، وإن رفقة لتشرب في وجه الصبح، وساقهم يغنيهم، ويقول:

ألا صبحاني قبل جيش أبي بكر

فضربت عنقه، فاختلط دمه بخرمه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد بإسناده الذي تقدم ذكره، قال: ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها، وغارته على مصيخ بهراء وانتسافها، فاجتمعوا بمرج راهط، وبلغ ذلك خالداً، وقد خلف ثغور الروم وجنودها ثماً يلي العراق، فصار بينهم وبين اليرموك، صمد لهم؛ فخرج من سوى بعد ما رجع إليها بسبي بهراء فنزل الرمانتين - علمين على الطريق - ثم نزل الكتب؛ حتى صار إلى دمشق، ثم مرج الصفر، فلقى عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم، فانتسف عسكرهم وعيالهم. ونزل بالمرج أياماً، وبعث إلى أبي بكر بالأخماس مع بلال بن الحارث المزني، ثم خرج من المرج حتى ينزل قناة بصرى؛ فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فيمن معه من جنود العراق، وخرج منها، فوافى المسلمين بالواقوصة فنازلهم بها في تسعة آلاف.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: ولما رجع خالد من حجة وافاه كتاب أبي بكر بالخروج في شطر الناس، وأن يخلّف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة، وقال: لا تأخذن نجداً إلا خلقت له نجداً، فإذا فتح الله عليكم فاردّوهم إلى العراق، وأنت معهم، ثم أنت على عمّلك؛ وأحضر خالد أصحاب رسول الله ﷺ واستأثر بهم على المثنى، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القناعة ممن لم يكن له صحبة، ثم نظر فيمن بقي، فاخترج من كان قديم على النبي ﷺ وافداً أو غير وافد، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القناعة؛ ثم قسم الجند نصفين، فقال المثنى: والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف؛ وبالله ما أرجو النصر إلا بهم، فأني تُعريني منهم! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تلكأ عليه أعاضه منهم حتى رضي، وكان فيمن أعاضه منهم فرات بن حيّان العجلي، وبشير بن الخصاصية والحارث بن حسان الدهليان، ومعبّد بن أم معبد الأسلمي، وعبدالله بن أبي أوفى الأسلمي؛ والحارث بن بلال المزني، وعاصم بن عمرو التميمي؛ حتى إذا رضي المثنى وأخذ حاجته، انجذب خالد فمضى لوجهه وشيعه المثنى إلى قراقر، ثم رجع إلى الحيرة في المحرم، فأقام في سلطانه، ووضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه، ومكان ضرار بن الخطاب عتيبة بن النّحاس، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر، وسدّ أماكن

كُلَّ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَمْراءِ بِرِجالٍ أَمْثالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْغَناءِ، وَوَضَعَ مَذْعُورَ بْنَ عَدِيٍّ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَماكِنِ، وَاسْتَقامَ أَهْلُ فَارَسَ - عَلَى رَأْسِ سَنَةٍ مِنْ مَقَدِّمِ خالِدِ الحِيرةِ؛ بَعْدَ خُرُوجِ خالِدِ بِقَلِيلٍ؛ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ - عَلَى شَهْرِ بَرَّازَ بْنَ أَرْدَشِيرَ بْنَ شَهْرِيَّارَ مَنْ يُناسِبُ إِلَى كَسْرَى، ثُمَّ إِلَى سابورَ. فَوَجَّهَ إِلَى الْمُثَنَّى جَنْداً عَظِيماً عَلَيْهِمْ هُرْمُزُ جاذوِيَهَ فِي عَشْرَةِ آلاَفٍ، وَمَعَهُ فِيلٌ، وَكَتَبَتْ الْمَسالِحُ إِلَى الْمُثَنَّى بِإِقْبالِهِ، فَخَرَجَ الْمُثَنَّى مِنَ الحِيرةِ نَحْوَهُ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْمَسالِحَ، وَجَعَلَ عَلَى مَجَنَّبَتَيْهِ الْمُعَنَّى وَمَسْعُوداً ابْنِي حارِثَةَ، وَأَقامَ لَهُ بِبابلَ، وَأَقْبَلَ هُرْمُزُ جاذوِيَهَ، وَعَلَى مَجَنَّبَتَيْهِ الْكوكِبَ وَالْحُرْكَبَذَ. وَكَتَبَ إِلَى الْمُثَنَّى: مِنْ شَهْرِ بَرَّازَ إِلَى الْمُثَنَّى؛ إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ جَنْداً مِنْ وَخْشٍ أَهْلُ فَارَسَ، إِنَّمَا هُمْ رُعاةُ الدَّجَاجِ وَالخَنَازِيرِ؛ وَلَسْتُ أَقاتِلُكَ إِلَّا بِهِمْ. فَأَجابَهُ الْمُثَنَّى: مِنْ الْمُثَنَّى إِلَى شَهْرِ بَرَّازَ؛ إِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِما باغٍ فَذَلِكَ شَرٌّ لَكَ وَخَيْرٌ لَنَا، وَإِما كاذِبٌ فَأَعْظَمُ الكَذَّابِينَ عَقوبَةُ وَفُضِيحَةُ عِنْدَ اللَّهِ فِي النَّاسِ الْمَلُوكِ. وَأَمَّا الَّذِي يَدُلُّنا عَلَيْهِ الرَّأيُ؛ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِمْ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَكُمْ إِلَى رِعاةِ الدَّجَاجِ وَالخَنَازِيرِ. فَجَزَعَ أَهْلُ فَارَسَ مِنْ كِتابِهِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَتَى شَهْرَ بَرَّازَ مِنْ شَوْمٍ مَوْلَدِهِ وَلَوْمْ مَنَشَتْهُ - وَكَانَ يَسْكُنُ مِيسانَ - وَبَعْضُ الْبُلدانِ شَيْنٌ عَلَى مَنْ يَسْكُنُهُ. وَقَالُوا لَهُ: جَرَّأتْ عَلَيْنَا عِدوُنَا بِالَّذِي كَتَبْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ؛ فَإِذا كاتَبْتَ أَحَدًا فَاسْتَشِرْ. فَالتَقُوا بِبابلَ، فَاقْتَتَلُوا بَعْدُوهَ الصَّراةَ الدُّنيا عَلَى الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ قَتالاً شَدِيداً.

ثُمَّ إِنَّ الْمُثَنَّى وَنَاساً مِنَ الْمُسْلِمِينَ اعْتَوَرُوا الْفِيلَ - وَقَدْ كانَ يَفَرِّقُ بَيْنَ الصَّفوفِ وَالْكَرادِيسِ - فَأَصابُوا مَقْتَلَهُ، فَقَتَلُوهُ وَهَزَمُوا أَهْلَ فَارَسَ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ، حَتَّى جازَوْا بِهِمْ مَسالِحَهُمْ، فَأَقامُوا فِيها، وَتَبَّعَ الطَّلَبُ الْقالَةَ؛ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمَدائِنِ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عُبْدَةُ بْنُ الطَّيِّيبِ السَّعْدِيُّ، وَكَانَ عُبْدَةُ قَدْ هاجَرَ لِمَهاجِرَةِ حَلِيلَةٍ لَهُ حَتَّى شَهِدَ وَقْعَةَ بابلَ؛ فَلَمَّا آيَسَتْهُ رَجْعَ إِلَى الْبَاديةِ، فَقَالَ:

هَلْ حَبِلُ خَوْلَةٍ بَعْدَ الْبَيِّنِ مَوْصُولُ	أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ الدَّارِ مَشْغُولُ!
وَلِأَحِبَّةِ أَيَّامٍ تَذَكُّرُها	وَلِلنَّوى قَبْلَ يَوْمِ الْبَينِ تَأْوِيلُ
حَلَّتْ خَوْلِيلَةُ فِي حَيِّ عَهْدَتُهُمْ	دُونَ الْمَدائِنِ فِيها الدَّيْكَ وَالْفِيلُ
يُقارِعُونَ رِؤُوسَ الْعُجَمِ ضاحِيَةً	مِنْهُمْ فَوَارِسُ، لا عُزْلُ ولا مِيلُ

الْقَصِيدَةُ. وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَعْدُدُ بَيوتاتِ بَكْرِ بْنِ وائِلَ وَذَكَرَ الْمُثَنَّى وَقَتْلَهُ الْفِيلَ:

وَبَيْتُ الْمُثَنَّى قاتِلِ الْفِيلِ عَنوَةً بِبابلَ إِذْ فِي فَارِسٍ مُلْكُ بِابِلَ
وَمَاتَ شَهْرَ بَرَّازَ مِنْهَزَمَ هُرْمُزُ جاذوِيَهَ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ فَارَسَ، وَبَقِيَ ما دُونَ دِجْلَةَ وَبُرْسَ مِنَ السَّوادِ فِي يَدَيِ الْمُثَنَّى وَالْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ فَارَسَ اجْتَمَعُوا بَعْدَ شَهْرِ بَرَّازَ عَلَى دُخْتُ زَنانَ ابْنَةِ كَسْرَى؛ فَلَمْ يَنْفِذْ لَهَا أَمْرٌ فَخُلِعَتْ.

وَمُلْكُ سابورَ بْنَ شَهْرِ بَرَّازَ. قَالُوا: وَلَمَّا مَلَكَ سابورَ بْنَ شَهْرِ بَرَّازَ قَامَ بِأَمْرِهِ الْفَرُّخَزَادُ بْنُ الْبَنْدَوانَ، فَسأَلَهُ أَنْ يَزَوجَهُ أَرْزَمِيْدُخْتَ ابْنَةَ كَسْرَى، فَفَعَلَ، فَغَضِبَتْ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: يَا بْنَ عَمِّ، أَتَزَوَّجُنِي عَبْدِي! قَالَ: اسْتَخِيْ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَلَا تَعِيدِيهِ عَلَيَّ، فَإِنَّهُ زَوْجُكَ، فَبَعَثَتْ إِلَى سِياوْخَشَ الرَّازِيَّ - وَكَانَ مِنْ فَتاكِ الْأَعاجمِ - فَشَكَتْ إِلَيْهِ الَّذِي تَخافُ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ كُنْتَ كارهَةً لِهَذَا فلا تَعاوِدِيهِ فِيهِ، وَأَرْسِلِي إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ: فَلْيَقِلْ لَهُ فَلْيأتِكَ؛ فَأَنَا أَكْفِيكَه. فَفَعَلَتْ وَفَعَلَ؛ وَاسْتَعَدَّ سِياوْخَشُ، فَلَمَّا كانَ لَيْلَةَ الْعُرْسِ أَقْبَلَ الْفَرُّخَزَادَ حَتَّى دَخَلَ، فَثَارَ

به سيأوخش فقتله ومن معه، ثم نهد بها معه إلى سابور، فحضرته ثم دخلوا عليه فقتلوه، ومُلكت آزر ميدخت بنت كسرى، وتشاغلوا بذلك؛ وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع مكانه في المسالج سعيد بن مرة العجلي؛ وخرج المثنى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين، وليستأذنه في الاستعانة بمن قد ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو، وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحرها ومعونة المهاجرين منهم. فقدم المدينة وأبو بكر مريض، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام - مرضته التي مات فيها - بأشهر؛ فقدم المثنى وقد أشفى، وعقد لعمر، فأخبره الخبر، فقال: عليّ بعمر، فجاء فقال له: اسمع يا عمر ما أقول لك، ثم اعمل به؛ إني لأرجو أن أموت من يومي هذا - وذلك يوم الاثنين - فإن أنا ميت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، وإن تأخرت إلى الليل فلا تُصبحن حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم، ووصية ربكم؛ وقد رأيته متوفى رسول الله ﷺ وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله؛ وبالله لو أني عن أمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا، فاضطربت المدينة ناراً. وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق، فإنهم أهلهم وولاء أمره وحده وأهل الضراوة منهم والجرأة عليهم.

ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل، فدفنه عمر ليلاً، وصلى عليه في المسجد، وندب الناس مع المثنى بعد ما سوي على أبي بكر، وقال عمر: كان أبو بكر قد علم أنه يسوءني أن أوامر خالد على حرب العراق؛ حين أمرني بصرف أصحابي، وترك ذكره.

قال أبو جعفر: وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبي بكر، وأحد شقي السواد في سلطانه، ثم مات وتشاغل أهل فارس فيما بينهم عن إزالة المسلمين عن السواد، فيما بين ملك أبي بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنى مع أبي عبيد إلى العراق، والجمهور من جند أهل العراق بالحيرة، والمسالح بالسيب، والغارات تنتهي بهم إلى شاطئ دجلة، ودجلة حجاز بين العرب والعجم.

فهذا حديث العراق في إمارة أبي بكر من مبتدئه إلى منتهاه.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة، يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة، ويخرج فيهم، ويستخلف على ضعة الناس رجلاً منهم؛ فلما أتى خالد كتاب أبي بكر بذلك، قال خالد: هذا عمل الأعيسر بن أم شملة - يعني عمر بن الخطاب - حسدني أن يكون فتح العراق على يدي. فسار خالد بأهل القوة من الناس ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة؛ مدينة رسول الله ﷺ، وأمر عليهم عُمير بن سعد الأنصاري، واستخلف خالد على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني. ثم سار حتى نزل على عين التمر، فأغار على أهلها، فأصاب منهم، ورابط حصناً بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزهم، فضرب أعناقهم، وسبى من عين التمر ومن أبناء تلك المراقبة سبايا كثيرة، فبعث بها إلى أبي بكر؛ فكان من تلك السبايا أبو عمرة مولى شبان؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة، وأبو عبيدة مولى المعل، من الأنصار من بني زريق، وأبو عبد الله مولى زهرة، وخير مولى أبي داود الأنصاري ثم أحد بني مازن بن النجار، ويسار وهو جد محمد بن إسحاق مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاري ثم أحد بني مالك بن النجار، وحران بن أبان مولى عثمان بن عفان. وقتل خالد بن الوليد هلال بن

عَقَّة بن بشر النَّمَرِيَّ وصلَّبه بعين التَّمَر، ثم أراد السَّير مَفُوزاً من قُرَاقِر - وهو ماء لكلب إلى سُوى، وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال - فلم يهتدِ خالد الطريق، فالتمس دليلاً، فذَلَّ على رافع بن عميرة الطائي؛ فقال له خالد: انطلق بالنَّاس، فقال له رافع: إِنَّكَ لَن تَطِيقَ ذَلِكَ بالخيل والأثقال؛ والله إِنَّ الرَّاكِبَ المَفْرَدَ ليخافُها على نفسه وما يسلكُها إلا مَغَرَّراً؛ إنها لخمس ليال جِيَاد لا يُصاب فيها ماء مع مَضَلَّتْها، فقال له خالد: وَيْحَكَ! إنه والله إِنَّ لِي بَدْءَ من ذلك، إنه قد أَتَيْتَنِي من الأمير عَزْمَةٌ بذلك، فمَرَّ بأمرِك. قال: استكثروا من الماء؛ مَنْ استطاع منكم أن يَصِرَّ أَذَنَ ناقته على ماء فليفعل؛ فإنها المِهَالِكُ إلا ما دفع الله؛ أَبْغِي عشرين جَزَوراً عظماً سماناً مَسَانً. فَأَتَاهُ بهنَّ خالد، فعمد إليهنَّ رافع فظمَّأهنَّ، حتى إذا أَجْهَدْنَ عطشاً أوردهنَّ فشربن حتى إذا تَمَلَّانَ عمَدَ إليهنَّ، فقطع مشافهنَّ، ثم كعمهنَّ لثلاً يجتررن، ثم أخلى أدبارهنَّ.

ثم قال لخالد: سر؛ فسار خالد معه مُغِذّاً بالخيل والأثقال؛ فكلَّمَا نَزَلَ منزلاً افْتَظَّ أربعاً من تلك الشوارف؛ فأخذ ما في أَكْرَاشِها، فسقاه الخيل؛ ثم شرب النَّاسُ مما حملوا معهم من الماء؛ فلما خشيَّ خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أَرَمَد: وَيْحَكَ يا رافع! ما عندك؟ قال أدركت الرِّيَّ إن شاء الله؛ فلَمَّا دنا من العَلَمَيْنِ، قال للنَّاس: انظروا هل ترون شُجيرة من عَوْسَج كَقَعْدَةِ الرَّجُل؟ قالوا: ما نراها. قال: إِنَّا لله وإنا إليه راجعون! هلكنم والله إذا وهلكت؛ لا أَبالكم! انظروا، فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بَقِيَّةٌ، فلَمَّا رآها المسلمون كَبُرُوا وكَبُرَ رافع بن عميرة؛ ثم قال: احفروا في أصلها، فحفروا فاستخرجوا عِيْناً، فشربوا حتى رَوِيَ النَّاسُ، فَاتَّصَلَتْ بعد ذلك لخالد المنازل، فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماء قط إلا مرة واحدة، وردته مع أبي وأنا غلام، فقال شاعر من المسلمين:

لله عَيْنَا رَافِعٍ أَنَّى اهْتَدَى فَوَزَّ من قُرَاقِرِ إِلَى سُوى!
خَمْساً إِذَا ما سَارَهَا الجَيْشُ بِكِي ما سَارَهَا قَبْلَكَ إِنْسِي يُرَى

فلَمَّا انتهَى خالد إلى سُوى، أَغار على أهله - وهم بهراء - قبيل الصُّبْح، وناس منهم يشربون خَمَراً لهم في جَفْنَةٍ قد اجتمعوا عليها، ومغنيهم يقول:

ألا عَلَّلَانِي قَبْلَ جيش أبي بكرٍ لعلَّ مَنَائِنَا قَرِيبَ وما نَذْرِي
ألا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكُرَّراً عَلِيٌّ كُمَيْتَ اللونِ صَافِيَةً تَجْرِي
ألا عَلَّلَانِي من سُلَافَةِ قَهْوَةٍ تُسَلِّي هَمُومَ النفسِ من جِيْدِ الخمرِ
أظُنُّ خِيُولَ المسلمين وَخَالِداً ستَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصُّبَاحِ مِنَ البِشْرِ
فهل لَكُمْ في السَّيرِ قَبْلَ قتالهم وقَبْلَ خُرُوجِ المَعصِرَاتِ مِنَ الجَذْرِ!

فيزعمون أن مغنيهم ذلك قَتِلَ تحت الغارة، فسأل دُمُهُ في تلك الجفنة. ثم سار خالد على وجهه ذلك، حتى أَغار على عَسَّانِ بَرْجِ راهط، ثم سار حتى نَزَلَ على قَنَاة بُصْرَى، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشُرْحَبِيل بن حَسَنَة ويزيد بن أبي سفيان؛ فَاجْتَمَعُوا عليها، فَرَابَطُوا حتى صالحت بُصْرَى على الجزية، وفتحها الله على المسلمين، فكانت أَوَّلَ مَدِينَةٍ من مَدَائِنِ الشَّامِ فتحت في خلافة أبي بكر. ثم ساروا جميعاً إلى فِلَسْطِينَ مدداً لعمر بن العاص، وعمر ومقيم بالعربيات من غُورِ فِلَسْطِينَ، وسمعت الروم بهم، فانكشفوا عن جَلَّتْ إلى أَجْنَادِينَ؛ وعليهم تَذَارِقُ أَخُو هِرْقُلَ لأبيه وأمه - وأجنادين بلد بين الرَّمْلَةِ وبيت جَبْرين من أرض فِلَسْطِينَ - وسار

عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرجيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين ؛ حتى عسكروا عليهم .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَلَى الرُّومِ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الْقُبْقُلَارُ، وَكَانَ يَرِيقُ اسْتِغْنَاهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ حِينَ سَارَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَإِلَيْهِ انْصَرَفَ تَذَارِقُ بَنِي سَهْمٍ مِنَ الرُّومِ فَأَمَّا أَهْلَاءُ الشَّامِ فَبَيْنَ عَدُوْنِ أَمَّا كَانَ عَلَى الرُّومِ تَذَارِقُ. وَاللَّهِ أَعْلَمُ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن عيسى بن زبير، عن عروة، قال: لما تدارى العسكران بعث القُبُقْلار رجلاً عربياً - قال: - حدثت أن ذلك الرجل رجل من قضاعة، عن يزيد بن حيدان، يقال له ابن هزارف - فقال: ادخل في هؤلاء القوم فأقيم فيهم يوماً وليلة، ثم ائتني بخبرهم. قال: فدخل في الناس رجلٌ عربي لا ينكر؛ فأقام فيهم يوماً وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابنٌ ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُبٌّ من إناثهم سلبوا الحق فيهم. فقال له القبقلار: لئن كنت صدقتني لبطنُ الأرض خيرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها، قال: حدثت أن سطي من الله أن يخلي بيني وبينهم، فلا ينصرفي عليهم، ولا ينصرهم علي. قال: ثم تراخف الناس، فداروا فلما رأى القُبُقْلار ما رأى من قتال المسلمين؛ قال للروم: لفوا رأسي بثوب، قالوا له: لم؟ قال: يوم البعير. لا أحب أن أراه! ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من هذا! قال: فاحترق المسلمون رأسه، وإنه للمغف.

وكانت وقعة أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى من سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية، وكانت جماعة منهم سلمة بن هشام بن المغيرة، وهبار بن الأسود بن عبد الرحمن بن عبد الله النخع، وهشام بن العاصي بن وائل، وجماعة آخر من قُرَيْش. قال: ولم يسم لنا من الغلبة أحدًا من بني هاشم.

[illegible][illegible]

قال أبو جعفر: ومات عتاب بن أسيد بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر - وكانا سُماً جميعاً - ثم مات عتاب بمكة.

وقال غير من ذكرت في سبب مرض أبي بكر الذي توفي فيه، ما حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أسامة بن زيد اللّيثي، عن محمد بن حمزة، عن عمرو، عن أبيه، قال: وأخبرنا محمد بن عبد الله، عن الزُّهري، عن عروة، عن عائشة، قال: وأخبرنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، قالوا: كان أول ما بدأ مرضُ أبي بكر به أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً فحمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصلي بالناس؛ ويدخل الناس يعودونه؛ وهو يثقل كلّ يوم، وهو نازل في داره التي قطع له رسول الله ﷺ وجاه دار عثمان بن عفان اليوم، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه؛ وتوفي أبو بكر مُسيّ ليلة الثلاثاء؛ لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ. قال: وكان أبو معشر يقول: كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ، فتوفي، وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ مجتمع على ذلك في الروايات كلّها، استوفى سنّ النبي ﷺ، وكان أبو بكر وُلد بعد الفيل بثلاث سنين.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، قال: قال سعيد بن المسيّب: استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله ﷺ، فتوفي وهو بسنّ النبي ﷺ.

حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا أبو نعيم، عن يونس بن إسحاق، عن أبي السّفر، عن عامر، عن جرير، قال: كنت عند معاوية فقال: توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وتوفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وحدّثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن جرير، قال: قال معاوية: قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وقُتل عمر وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين. وقال عليّ بن محمد في خبره الذي ذكرت عنه: كانت ولاية أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، ويقال: عشرة أيام.

ذكر الخبر عمّن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفي فيه

حدّثني الحارث، عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني مالك بن أبي الرّحال، عن أبيه، عن عائشة، قالت: توفي أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا يحيى بن واضح، عن محمد بن عبد الله، عن عطاء وابن أبي مُليكة، أنّ أسماء بنت عميس، قالت: قال لي أبو بكر: غسّليني، قلت: لا أطيق ذلك، قال: يعينك عبد الرحمن بن أبي بكر، يصبّ الماء.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ صَبْرَةَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِّيقَ أَوْصَى أَنْ تَغْسِلَهُ امْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ؛ فَإِنْ عَجَزَتْ أَعَانَهَا ابْنَتُهُ مُحَمَّدٌ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو: وَهَذَا الْحَدِيثُ وَهَلْ؛ وَإِنَّمَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ يَوْمَ تُوفِّيَ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَ سِنِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، سَأَلَهَا أَبُو بَكْرٍ؛ فِي كَمْ كُفِّنَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَتْ: فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ، قَالَ: اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذِينَ - وَكَانَا مَمَشَقَيْنِ - وَابْتَاعُوا لِي ثَوْبًا آخَرَ. قُلْتُ: يَا أَبَتِي، إِنَّا مُوسِرُونَ، قَالَ: أَيُّ بُنْيَةٍ، الْحَيُّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، وَإِنَّمَا هُمَا لِلْمُهْمَلَةِ وَالصَّدِيدِ.

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ؛ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ تُوُفِّيَ عِشَاءً بَعْدَ مَا غَابَتِ الشَّمْسُ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ، وَدُفِنَ لَيْلًا لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غَنَامٌ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ مَاتَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ وَدُفِنَ لَيْلًا.

حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ الَّذِي قَدْ مَضَى ذِكْرِيهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حُجِّلَ عَلَى السَّرِيرِ الَّذِي حُجِّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَمْرٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَ قَبْرَهُ عَمْرٌ، وَعِثْمَانُ؛ وَطَلْحَةُ؛ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ؛ وَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ قَبْرَهُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: كُفِّتَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ أَوْصَى - فِيمَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ عُرْوَةَ - أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ وَالْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولَانِ: أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ عَائِشَةَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ حُفِرَ لَهُ، وَجُعِلَ رَأْسُهُ عِنْدَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالصَّقَاةُ اللَّحْدَ بِلَحْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبِرَ هُنَاكَ.

قَالَ الْحَارِثُ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، قَالَ: جُعِلَ رَأْسُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَأْسُ عَمْرِو عِنْدَ حَقْوَيْ أَبِي بَكْرٍ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ الطُّوسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُذَيْكٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ هَانِءٍ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقُلْتُ: يَا أُمَّهُ، اكشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِيهِ؛ فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ، لَا مُشْرِفَةَ وَلَا لَاطِئَةَ، مَبْطُوحَةٌ بِبَطْحَاءِ الْعَرَصَةِ الْحَمْرَاءِ؛ قَالَ: فَرَأَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ مُقَدَّمًا وَقَبْرَ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَعَمْرُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلِ النَّبِيِّ ﷺ.

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو، عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ، قَالَ: جُعِلَ قَبْرُ أَبِي بَكْرٍ مِثْلَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ مُسَطَّحًا؛ وَرُشُّ عَلَيْهِ الْمَاءِ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ النَّوْحَ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقَامَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ النَّوْحَ، فَأَقْبَلَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى قَامَ بِيَابِهَا، فَنَهَاكَ عَنْ الْبُكَاءِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَأَيُّنَ أَنْ يَنْتَهِيَنَّ، فَقَالَ عَمْرٌ لِهَشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ: ادْخُلْ فَأَخْرِجْ إِلَيَّ ابْنَةَ أَبِي قُحَافَةَ؛ أَخْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِهَشَامٍ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ عَمْرِو: إِنِّي أَحْرَجْتُ عَلَيْكَ بَيْتِي. فَقَالَ عَمْرُ

وقال الواقدي: اسمه عبدالله بن أبي قحافة - واسمه عثمان - بن عامر. وأمّه أم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة.

وأما هشام، فإنه قال - فيما حدثت عنه - إن اسم أبي بكر عتيق بن عثمان بن عامر.

وحدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن عمارة بن غزيرة، قال: سألت عبد الرحمن به القاسم عن اسم أبي بكر الصديق، فقال: عتيق؛ وكانوا إخوة ثلاثة بني أبي قحافة: عتيق ومعتق وعتيق.

ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق رحمه الله

حدث علي بن محمد، عمّن حدثه ومن ذكرت من شيوخه، قال: تزوّج أبو بكر في الجاهلية قتيلة - ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي - قالوا: وهي قتيلة ابنة عبد العزى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن جسل بن عامر بن لؤي، فولدت له عبدالله وأسماء. وتزوّج أيضاً في الجاهلية أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة - وقال بعضهم: هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة - فولدت له عبد الرحمن وعائشة.

فكل هؤلاء الأربعة من أولاده، ولدوا من زوجته اللتين سمّيناهما في الجاهلية.

وتزوّج في الإسلام أسماء بنت عميس؛ وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب؛ وهي أسماء بنت عميس بن معد بن تميم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل - وهو خثعم - فولدت له محمد بن أبي بكر.

وتزوّج أيضاً في الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير؛ من بني الحارث بن الخزرج؛ وكانت نساً حين توفّي أبو بكر؛ فولدت له بعد وفاته جارية سمّيت أم كلثوم.

ذكر أسماء قضاته وكتّابه وعُمله على الصدقات

حدثنا محمد بن عبدالله المخرمي، قال: حدثنا أبو الفتح نصر بن المغيرة، قال: قال سفيان - وذكره عن مسعر: لما ولي أبو بكر، قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال - يعني الجزاء - وقال عمر: أنا أكفيك القضاء: فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان.

وقال علي بن محمد عن الذين سمّيت: قال بعضهم: جعل أبو بكر عمر قاضياً في خلافته، فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد.

قال: وقالوا: كان يكتب له زيد بن ثابت، ويكتب له الأخبار عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان يكتب له من حضر.

وقالوا: كان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاصي، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن لبيد، وعلى خولان يعلى بن أمية؛ وعلى زبيد ورمع أبو موسى الأشعري، وعلى الجند معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي. وبعث جرير بن عبدالله إلى نجران، وبعث بعبد الله بن ثور؛ أحد بني الغوث إلى ناحية جرش، وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل؛ وكان بالشأم أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص؛ كل رجل منهم على جند، وعليهم خالد بن الوليد.

قال أبو جعفر: وكان رضي الله عنه سخيًا لينًا، عالمًا بأنساب العرب؛ وفيه يقول خفاف ابن نذبة - ونذبة أمه، وأبوه عمير بن الحارث - في مرثيته أبا بكر:

أَبْلَجُ ذُو عُرْفٍ وَذُو مُنْكَرٍ	مُقَسَّمُ الْمَعْرُوفِ رَحْبُ الْفِنَاءِ
لِلْمَجْدِ فِي مَنْزِلِهِ بَادِيًا	حَوْضُ رَفِيعٍ لَمْ يَخْنُهُ الْإِزَاءُ
وَاللَّهُ لَا يُدْرِكُ أَيَّامَهُ	ذُو مِثْرٍ حَافٍ وَلَا ذُو رِدَاءِ
مَنْ يَسْعَ كَيْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ	يَجْتَهِدُ الشَّدَّ بِأَرْضِ فِضَاءِ

وكان - فيها ذكر الحارث، عن ابن سعد، عن عمرو بن الهيثم أبي قطن؛ قال: حدثنا الربيع عن حيّان الصائغ، قال: كان نقش خاتم أبي بكر رحمه الله: «نعم القادر لله».

قالوا: ولم يعيش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياماً؛ وتوفي في المحرم سنة أربع عشرة بمكة؛ وهو ابن سبع وتسعين سنة.

وعقد أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده.

وذكر أنه لما أراد العقد له دعا عبد الرحمن بن عوف؛ فيما ذكر ابن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن؛ قال: لما نزل بأبي بكر رحمه الله الوفاة دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل؛ ولكن فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه. ويا أبا محمد قد رمقته، فرأيتني إذا غضبت على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه؛ لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً، قال: نعم. ثم دعا عثمان بن عفان، قال: يا أبا عبدالله، أخبرني عن عمر، قال: أنت أخبر به، فقال أبو بكر: عليّ ذاك يا أبا عبدالله! قال: اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته؛ وأن ليس فينا مثله. قال أبو بكر رحمه الله: رحمك الله يا أبا عبدالله، لا تذكر مما ذكرت لك شيئاً، قال: أفعل، فقال له أبو بكر: لو تركته ما عدوتك، وما أدري لعلّه تاركه، والخيرة له ألا يلي من أموركم شيئاً، ولوددت أني كنت خلواً من أموركم؛ وأنّي كنت فيمن مضى من سلفكم؛ يا أبا عبدالله، لا تذكرن مما قلت لك من أمر عمر، ولا مما دعوتك له شيئاً.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا يونس بن عمرو، عن أبي السّفر، قال: أشرف أبو بكر على الناس من كنيفه وأسماء ابنة عُميس ممسكته، موشومة اليدين، وهو يقول: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإنّي والله ما ألوت من جهد الرأى، ولا وليت ذا قرابة، وإنّي قد استخلفت عمر بن

الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا.

حدَّثني عثمان بن يحيى، عن عثمان القرقساني، قال: حدَّثنا سفيان بن عُيينة، عن إسماعيل، عن قيس، قال: رأيتُ عمرَ بن الخطاب وهو يجلس والناس معه، ويده جريدة، وهو يقول: أيُّها الناس، اسمعوا وأطيعوا قولَ خليفة رسول الله ﷺ؛ إنه يقول: إني لم ألكم نصحاً. قال: ومعه مولى لأبي بكر يقال له: شديد، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر.

قال أبو جعفر: وقال الواقدي: حدَّثني إبراهيم بن أبي النضر، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، قال: دعا أبو بكر عثمان خالياً، فقال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين؛ أمّا بعد. قال: ثم أغمى عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أمّا بعد؛ إني قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب، ولم ألكم خيراً منه، ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلت نفسي في غشيتي! قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرأها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع.

حدَّثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدَّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير، قال: حدَّثنا الليث بن سعد، قال: حدَّثنا عُلوّان، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، أنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي توفّي فيه؛ فأصابه مهتماً، فقال له عبد الرحمن: أصبحت والحمد لله بارئاً! فقال أبو بكر رضي الله عنه: أترأه؟ قال: نعم، قال: إني وليتُ أمركم خيركم في نفسي؛ فكلّكم ورم أنفه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه؛ ورأيتُم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج. وتألّموا الاضطجاع على الصوف الأذري؛ كما يألّم أحدكم أن ينأى عن حَسَك؛ والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا وأنتم أوّل ضالّ بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هاديّ الطريق، إنّما هو الفجر أو البجر، فقلت له: خفّض عليك رحمك الله؛ فإن هذا يهيك في أمرك. إنّما الناس في أمرك بين رجلين: إمّا رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإمّا رجل خالفك فهو مُشير عليك وصاحبك كما تحب؛ ولا نعلمك أردت إلا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً، وأنك لا تأسي على شيء من الدنيا.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أجل، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتُهنّ ووددت أني تركتُهنّ، وثلاث تركتُهنّ ووددت أني فعلتُهنّ؛ وثلاث ووددت أني سألتُ عنهنّ رسول الله ﷺ. فأما الثلاث اللاتي ووددت أني تركتُهنّ؛ فوددت أني لم أكشف بيتَ فاطمة عن شيء. وإن كانوا قد غلقوه على الحرب، ووددت أني لم أكن حرقتُ الفجاءة السلمي، وأنّي كنت قتلته سريحاً أو خيلته نجيحاً. ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً؛ وكنت وزيراً. وأما اللاتي تركتُهنّ؛ فوددت أني يوم أتيتُ بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنه تحيّل إليّ أنه لا يرى شراً إلّا أعان عليه. ووددت أني حين سيرتُ خالد بن الوليد إلى أهل الرّدة؛ كنت أقمت بذي القصة؛ فإن ظفّر المسلمون ظفروا، وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً. ووددت أني كنت إذ وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق؛ فكنت قد بسطت يديّ كليهما في سبيل الله - ومدّ يديه - ووددت أني كنت

سألت رسول الله ﷺ: لمن هذا الأمر؟ فلا ينازع أحده؛ وودت أني كنت سألته: هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة؛ فإن في نفسي منها شيئاً.

قال لي يونس: قال لنا يحيى: ثم قدم علينا علوان بعد وفاة الليث، فسألته عن هذا الحديث، فحدثني به كما حدثني الليث بن سعد خرفاً خرفاً؛ وأخبرني أنه هو حدث به الليث بن سعد، وسألته عن اسم أبيه، فأخبرني أنه علوان بن داود.

وحدثني محمد بن إسماعيل المرادي، قال: حدثنا عبدالله بن صالح المصري، قال حدثني الليث، عن علوان بن صالح، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف؛ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال - ثم ذكر نحوه، ولم يقل فيه: «عن أبيه».

قال أبو جعفر: وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجراً، وكان منزله بالسُّنح، ثم تحول إلى المدينة. فحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي سبرة، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى، قال: سمعتُ سعيد بن المسيّب. قال: وأخبرنا موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن صبيحة التميمي، عن أبيه، قال: وأخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، قال: وأخبرنا محمد بن عبدالله، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قال: وأخبرنا أبو قدامة عثمان بن محمد، عن أبي وجزة، عن أبيه، قال: وغير هؤلاء أيضاً قد حدثني ببعضهم، فدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: قالت عائشة: كان منزل أبي بالسُّنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج، وكان قد حجّر عليه حُجرة من سَعَف؛ فما زاد على ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة؛ فأقام هنالك بالسُّنح بعد ما بويع له ستّة أشهر، يغدو على رجله إلى المدينة، وربما ركب على فرس له، وعليه إزار ورداء ممشّق، فيوافي المدينة فيصلّي الصَّلوات بالنَّاس، فإذا صُلّي العشاء؛ رجع إلى أهله بالسُّنح؛ فكان إذا حَضَرَ صُلّي بالنَّاس وإذا لم يحضر صُلّي بهم عمر بن الخطاب. قال: فكان يُقيم يوم الجمعة صدرَ النهار بالسُّنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لَقَدَر الجمعة، فيُجمَع بالنَّاس. وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدو كلّ يوم إلى السوق، فيبيع ويبتاع؛ وكانت له قطعة غنم تروح عليه؛ وربما خرج هو بنفسه فيها؛ وربما كُفِيَهَا فُرِعِت له، وكان يحلب للحَيّ أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحَيّ: الآن لا تُحلبُ لنا منائح دارنا، فسمِعها أبو بكر، فقال: بلى لعمري لأحلبنّها لكم؛ وإني لأرجو ألاّ يغيّرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه. فكان يحلب لهم، وربما قال للجارية من الحَيّ: يا جارية أتحبين أن أرعى لك، أو أصرّح؟ فربما قالت: أرع، وربما قالت: صرّح؛ فأني ذلك قالته فعل؛ فمكث كذلك بالسُّنح ستّة أشهر؛ ثم نزل إلى المدينة، فأقام بها، ونظر في أمره، فقال: لا والله، ما تصلح أمور الناس للتجارة، وما يصلحهم إلّا التفَرُّغ لهم والنَّظر في شأنهم، ولا بدّ لعيالي مما يُصلحهم. فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يُصلحُه ويُصلح عياله يوماً بيوم، ويحجّ ويعتمر. وكان الذي فرضوا له في كلّ سنة ستّة آلاف درهم؛ فلما حضرته الوفاة. قال: رُدُّوا ما عندنا من مال المسلمين؛ فإني لا أصيب من هذا المال شيئاً، وإنّ أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم؛ فدفع ذلك إلى عمر، ولقوحاً وعبداً صَيّقلاً، وقטיפعة ما تساوي خمسة دراهم؛ فقال عمر: لقد أتعبت من بعده.

وقال عليّ بن محمد - فيما حدثني أبوزيد عنه في حديثه عن القوم الذين ذكرت روايته عنهم - قال أبو بكر:

انظروا كم أنفقت منذ وُلِيتُ من بيت المال فاقضوه عني . فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم في ولايته .

حدَّثنا ابنُ حميد، قال : حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن القاسم بن محمد، عن أسماء ابنة عُميس، قالت : دخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر، فقال : استخلفت على الناس عُمر، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه ؛ فكيف به إذا خلا بهم ! وأنت لاقِ ربُّك فسائلك عن رعيَّتِكَ . فقال : أبو بكر - وكان مضطجعا : أجلسوني، فأجلسوه، فقال لطلحة : أبالله تفرَّقني - أو أبالله تحوِّفني - إذا لقيتُ الله ربِّي فساءلني قلت : استخلفتُ على أهلك خيرَ أهلك .

حدَّثنا ابنُ حميد، قال : حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك .

قال أبو جعفر : قد تقدّم ذكرنا وقت عقد أبي بكر لعُمر بن الخطاب الخلافة، ووقت وفاة أبي بكر، وأنَّ عمرَ صلَّى عليه، وأنه دفن ليلة وفاته قبل أن يُصبح الناس، فأصبح عمر صبيحة تلك الليلة، فكان أوَّل ما عمل وقال - فيما ذكر - ما حدَّثنا أبو كريب، قال : حدَّثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن الأعمش، عن جامع بن شدَّاد، عن أبيه ؛ قال : لما استُخلف عمر صعد المنبر، فقال : إني قائل كلمات فأمنوا عليهنَّ، فكان أوَّل منطق نطق به حين استُخلف - فيما حدَّثني أبو السائب، قال : حدَّثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن حُصَيْن المُرِّي، قال : قال عمر : إِنَّمَا مَثَلُ الْعَرَبِ مَثَلُ جَمَلٍ أَنْفٍ اتَّبَعَ قَائِدَهُ، فَلْيَنْظُرْ قَائِدُهُ حَيْثُ يَقُودُ؛ وَأَمَّا أَنَا فَوَرَبُّ الْكَعْبَةِ لَأَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ .

حدَّثنا عمر، قال : حدَّثني عليّ، عن عيسى بن يزيد، عن صالح بن كيسان، قال : كان أوَّل كتاب كتبه عمر حين وُلِّي إلى أبي عبيدة يولِّيه على جند خالد : أوصيك بتقوى الله الذي يبقَى ويفنى ما سواه ؛ الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور . وقد استعملتك على جُند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحقُّ عليك، لا تُقدِّم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ؛ ولا تُنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم ؛ وتعلم كيف مأناه ؛ ولا تبعث سرية إلا في كُتف من الناس ؛ وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أهلك الله بي وأبلاني بك ؛ فغمضُ بصرَكَ عن الدنيا ؛ وألِه قلبك عنها ؛ وإياك أن تُهلكك كما أهلكتَ مَنْ كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم .

حدَّثني عمر، عن عليّ بن محمد، بإسناده، عن النَّفر الذين ذكرت روايتهم عنهم في أول ذكرى أمر أبي بكر؛ أنهم قالوا : قدِم ب وفاة أبي بكر إلى الشام شدَّاد بن أوس بن ثابت الأنصاري ومحمية بن جزء، ويَرْفَأ؛ فكتموا الخبرَ الناس حتى ظفروا المسلمون - وكانوا بالياقوصة يقاتلون عدوهم من الروم ؛ وذلك في رجب - فأخبروا أبا عبيدة ب وفاة أبي بكر وولايته حرب الشام، وضمَّ عمر إليه الأمراء، وعزل خالد بن الوليد .

فحدَّثنا ابنُ حميد، قال : حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال : لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن؛ وقد اجتمعت فيها رافضة الروم، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدمة الناس . فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها؛ وهي أرض سبخة، فكانت وحلا، ونزلوا فحلا - وبيسان بين فلسطين وبين الأردن - فلما غشيها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم، وجلت خيولهم، ولقوا فيها عَناء، ثم سلَّمهم الله - وسميت بيسان ذات الرَّدغة لما لقي المسلمون فيها - ثم نهضوا إلى الروم وهم بفحل فاقتتلوا فهزمت

الروم، ودخل المسلمون فِخْلاً ولحقت رافضة الروم بدمشق؛ فكانت فِخْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، على ستّة أشهر من خلافة عمر. وأقام تلك الحجّة للناس عبد الرحمن بن عوف. ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدّمة الناس؛ وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق - وقد كان عمر عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس - فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم هزم الله الروم، وأصاب منهم المسلمون، ودخلت الروم دمشق؛ فغلّقوا أبوابها وجثم المسلمون عليها فربطوها حتى فتحت دمشق، وأعطوا الجزية، وقد قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرىء خالد الكتاب حتى فتحت دمشق؛ وجرى الصلح على يدّي خالد؛ وكتب الكتاب باسمه. فلما صالحت دمشق لحق باهان - صاحب الروم الذي قاتل المسلمين - بهرقل. وكان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب، وأظهر أبو عبيدة إمارته وعزل خالد؛ وقد كان المسلمون، التقوا هم والروم ببلد يقال له عين فِخْل بين فلسطين والأردن، فاقتتلوا به قتالاً شديداً، ثم لحقت الروم بدمشق.

وأما سيف - فيما ذكر السري، عن شعيب، عنه، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة - فإنه ذكر في خبره أن البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة؛ وهم باليرموك؛ وقد التحم القتال بينهم وبين الروم. وقص من خبر اليرموك وخبر دمشق غير الذي اقتصه ابن إسحاق؛ وأنا ذاكر بعض الذي اقتص من ذلك:

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن أبي عثمان، عن أبي سعيد، قال: لما قام عمر رضي عن خالد بن سعيد والوليد بن عُقبة فأذن لهما بدخول المدينة، وكان أبو بكر قد منعهما لقرتها التي فرّها وردهما إلى الشام، وقال: ليلغني عنكما غناء أبلكما بلاء؛ فانضمّا إلى أي أمرائنا أحببنا؛ فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا.

خبر دمشق من رواية سيف:

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة؛ قال: لما هزم الله جند اليرموك، وتهاقت أهل الواقصة وفرغ من المقاسم والأنفال، وبُعِث بالأخماس وسُرّحت الوفود، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحُميريّ كيلاً يُغتال برّدة؛ ولا تقطع الروم على مواده، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصُفّر؛ وهو يريد إتباع الفالة؛ ولا يدري يجتمعون أو يفترون؛ فأتاه الخبر بأنهم أرزوا إلى فِخْل، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حصص، فهو لا يدري أبادمشق يبدأ أم بفِخْل من بلاد الأردن. فكتب في ذلك إلى عمر، وانتظر الجواب، وأقام بالصُفّر، فلما جاء عمر فتح اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلّا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، فإنه ضمّ خالداً إلى أبي عبيدة، وأمر عمراً بمعونة الناس؛ حتى يصير الحرب إلى فلسطين، ثم يتولّى حربها.

وأما ابن إسحاق؛ فإنه قال في أمر خالد وعزل عمر إياه ما حدّثنا محمد بن حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه، قال: إنّما نزع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلم به - فيما يزعمون - ولم يزل عمر عليه سخطاً ولأمره كارهاً في زمان أبي بكر كلّه، لوقعته بآبن نُؤيرة، وما كان يعمل به في حربه؛ فلما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزله، فقال: لا يلي لي عملاً أبداً؛ فكتب عمر إلى أبي عبيدة: إنّ خالد أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه؛ وإن هو لم

يُكْذِبُ نَفْسَهُ فَأَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ انْزِعْ عِمَامَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ، وَقَاسِمُهُ مَالَهُ نَصْفَيْنِ. فَلَمَّا ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ ذَلِكَ لَخَالِدٍ، قَالَ: أَنْظِرْنِي أَسْتَشِيرُ أَخِي فِي أَمْرِي، فَفَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ؛ فَدَخَلَ خَالِدٌ عَلَى أُخْتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ - وَكَانَتْ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ - فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا يُحِبُّكَ عَمْرٌ أَبَدًا، وَمَا يَرِيدُ إِلَّا أَنْ تُكْذِبَ نَفْسَكَ ثُمَّ يَنْزِعَكَ. فَقَبِلَ رَأْسُهَا وَقَالَ: صَدَقَ وَاللَّهِ! فَتَمَّ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَبَى أَنْ يُكْذِبَ نَفْسَهُ. فَقَامَ بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: مَا أَمَرْتَ بِهِ فِي خَالِدٍ؟ قَالَ: أَمَرْتُ أَنْ انْزِعَ عِمَامَتَهُ، وَأَقَاسِمَهُ مَالَهُ. فَقَاسِمَهُ مَالَهُ حَتَّى بَقِيَتْ نَعْلَاهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِهَذَا، فَقَالَ خَالِدٌ: أَجَلٌ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَعْصِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ! فَأَخَذَ نَعْلًا وَأَعْطَاهُ نَعْلًا. ثُمَّ قَدَّمَ خَالِدٌ عَلَى عَمْرِ الْمَدِينَةَ حِينَ عَزَلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ كُلَّمَا مَرَّ بِخَالِدٍ قَالَ: يَا خَالِدُ، أَخْرِجْ مَالَ اللَّهِ مِنْ تَحْتِ اسْتِكَ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مِنْ مَالٍ؛ فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ عَمْرٌ قَالَ لَهُ خَالِدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا قِيمَةُ مَا أَصَبْتُ فِي سُلْطَانِكُمْ! أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ! فَقَالَ عَمْرٌ: قَدْ أَخَذْتُ ذَلِكَ مِنْكَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، قَالَ: هُوَ لَكَ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتَهُ. وَلَمْ يَكُنْ لَخَالِدٍ مَالٌ إِلَّا عِدَّةٌ وَرَقِيقٌ، فَحَسِبَ ذَلِكَ، فَبَلَغَتْ قِيمَتُهُ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَنَاصَفَهُ عَمْرٌ ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَأَخَذَ الْمَالَ. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْرَدَدْتَ عَلَى خَالِدٍ مَالَهُ! فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا تَاجِرٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهِ لَا أَرُدُّهُ عَلَيْهِ أَبَدًا. فَكَانَ عَمْرٌ يُرَى أَنَّهُ قَدْ اشْتَفَى مِنْ خَالِدٍ حِينَ صَنَعَ بِهِ ذَلِكَ.

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ خَالِدٍ وَعِبَادَةَ، قَالَا: وَلَمَّا جَاءَ عَمْرُ الْكِتَابَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ بِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَاذْبَعُوا بِدِمَشْقَ، فَانْهَدُوا لَهَا؛ فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ مَمْلَكَتِهِمْ، وَاشْغُلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ فِحْلٍ بِخَيْلٍ تَكُونُ بِإِزَائِهِمْ فِي نَحْوِهِمْ وَأَهْلَ فِلَسْطِينَ وَأَهْلَ حِمَصَ؛ فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَاكَ الَّذِي نَحْبُ، وَإِنْ تَأَخَّرَ فَتَحَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ دِمَشْقَ فَلْيَنْزِلْ بِدِمَشْقَ مَنْ يَمْسُكُ بِهَا، وَدَعُوهَا، وَانْطَلِقْ أَنْتَ وَسَائِرُ الْأُمَرَاءِ حَتَّى تُغَيِّرُوا عَلَى فِحْلٍ؛ فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَانْصَرَفْ أَنْتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمَصَ، وَدَعْ شُرَحْبِيلَ وَعَمْرًا وَأَخْلِيهَا بِالْأَرْدَنِ وَفِلَسْطِينَ، وَأَمِيرُ كُلِّ بَلَدٍ وَجُنْدٌ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ إِمَارَتِهِ. فَسَرَّحَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى فِحْلٍ عَشْرَةَ قَوَادٍ: أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ، وَعَبْدَ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَامِرِ الْجُرَشِيِّ، وَعَامَرَ بْنَ حَثْمَةَ، وَعَمْرُو بْنَ كَلِيبَ مِنْ يَحْصُبَ، وَعُمَارَةَ بْنَ الصَّعِقِ بْنِ كَعْبٍ، وَصَيْفِيَّ بْنَ عُثْبَةَ بْنِ شَامِلٍ، وَعَمْرُو بْنَ الْحَبِيبِ بْنِ عَمْرٍو، وَلَيْدَةَ بْنَ عَامِرِ بْنِ خَثْعَمَةَ، وَبِشَرَ بْنَ عَصْمَةَ، وَعُمَارَةَ بْنَ مُحَشَّ قَائِدِ النَّاسِ؛ وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ خَمْسَةَ قَوَادٍ؛ وَكَانَتْ الرُّؤَسَاءُ تَكُونُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى لَا يَجِدُوا مَنْ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَسَارُوا مِنَ الصُّفْرِ حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ فِحْلٍ، فَلَمَّا رَأَتْ الرُّومُ أَنَّ الْجُنُودَ تَرِيدُهُمْ بَثُّقُوا الْمِيَاهَ حَوْلَ فِحْلٍ، فَأَرْدَغَتْ الْأَرْضَ، ثُمَّ وَجَلَّتْ، وَاغْتَمَّ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَحَبَسُوا عَنْ الْمُسْلِمِينَ بِهَا ثَمَانِينَ أَلْفَ فَارَسٍ. وَكَانَ أَوَّلَ مُحْصُورٍ بِالشَّامِ أَهْلُ فِحْلٍ، ثُمَّ أَهْلُ دِمَشْقَ. وَبَعَثَ أَبُو عُبَيْدَةَ ذَا الْكَلَاعِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحِمَصَ رَدَاءً. وَبَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ حَكِيمٍ وَمَسْرُوقًا فَكَانَا بَيْنَ دِمَشْقَ وَفِلَسْطِينَ، وَالْأَمِيرُ يَزِيدُ. فَفَضَّلَ، وَفَضَّلَ بِأَبِي عُبَيْدَةَ مِنَ الرُّجُحِ؛ وَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَلَى مَجَنَّبِيَّةِ عَمْرٍو وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَعَلَى الْخَيْلِ عِيَاضُ، وَعَلَى الرَّجُلِ شُرَحْبِيلُ، فَقَدِمُوا عَلَى دِمَشْقَ، وَعَلَيْهِمْ نِسْطَاسُ بْنُ نُسْطُورِسَ؛ فَحَصَرُوا أَهْلَ دِمَشْقَ، وَنَزَلُوا حَوَالِيهَا، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَعَمْرُو عَلَى نَاحِيَةٍ، وَيَزِيدُ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَهَرَقَلَ يَوْمُئِذٍ بِحِمَصَ، وَمَدِينَةُ حِمَصَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ. فَحَاصَرُوا أَهْلَ دِمَشْقَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ لَيْلَةً حِصَارًا شَدِيدًا بِالزُّخُوفِ وَالتَّارِيحِ

والمجانيق؛ وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغيث، وهَرَقْلُ منهم قريب وقد استمدَّوه. وذو الكلاع بين المسلمين وبين جِصَصٍ على رأس ليلة من دمشق؛ كأنه يريد جِصَصَ، وجاءت خيولُ هَرَقْلٍ مغِيثَةً لأهل دمشق، فأشجَّتْها الخيولُ التي مع ذي الكلاع، وشغلَّتْها عن النَّاسِ، فأرزوا ونزلوا بإزائه، وأهلُ دمشق على حالهم.

فلما أبقن أهلُ دمشق أنَّ الأمداد لا تصلُ إليهم فشبُّوا ووهنوا وأبلسوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم؛ وقد كانوا يرون أنَّها كالغارات قبل ذلك؛ إذا هجم البرد قفل النَّاسِ، فسقط النَّجم والقوم مقيمون؛ فعند ذلك انقطع رجاؤهم، وندِموا على دخول دمشق، ووُلِدَ للبُطريق الذي دخل على أهل دمشق مولودٌ؛ فصنع عليه، فأكل القوم وشربوا، وغفلوا عن مواقفهم؛ ولا يشعر بذلك أحدٌ من المسلمين إلا ما كان من خالد؛ فإنه كان لا ينام ولا يُنيم، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء؛ عيونه ذاكية وهو معنيٌّ بما يليه، قد اتَّخذ حبلاً كهَيْثَةُ السَّلاطِينِ وأوهاقاً فلما أمسى من ذلك اليوم نَهَدَ وَمَنْ معه من جنده الذين قدم عليهم، وتقدَّمهم هو والققعاق بن عمرو، ومذعور بن عديٍّ، وأمثاله من أصحابه في أول يومه، وقالوا: إذا سمعتم تكبيرنا على السُّور فارقوا إلينا، وأنهدوا للباب. فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رَمَوْا بالحبال الشُّرف وعلى ظهورهم القِرْبَ التي قطعوا بها خندقهم. فلما ثبت لهم وَهَقَانٌ تسلَّقَ فيهما الققعاق ومذعور، ثم لم يدعأ أحبولةً إلا أثبتاها - والأوهاق بالشُّرف - وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق، أكثره ماءً، وأشدّه مدخلا، وتوافوا لذلك، فلم يبقَ مَن دخل معه أحدٌ إلا رقى أو دنا من الباب؛ حتى إذا استَوَوْا على السُّور حَذَرَ عامَّةُ أصحابه، وانحدر معهم؛ وخَلَفَ مَن يَحْمِي ذلك المكان لمن يرتقي، وأمرهم بالتكبير، فكَبَّرَ الذين على رأس السُّور، فنَهَدَ المسلمون إلى الباب، ومال إلى الحبال بشرٌ كثير، فوثبوا فيها، وانتهى خالد إلى أول مَن يليه فأنامهم، وانحدر إلى الباب، فقتل البَوَّابين، وثار أهلُ المدينة، وفزع سائر النَّاسِ؛ فأخذوا مواقفهم، ولا يدرون ما الشأن! وتشاغل أهلُ كُلِّ ناحية بما يليهم، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف، وفتحوا للمسلمين، فأقبلوا عليهم من داخل، حتى ما بقي مِمَّا يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم. ولما شدَّ خالد على مَن يليه؛ وبلغ منهم الذي أراد عَنوةً أرَزَ من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلي غيره؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المشاطرة فأبَوْا وأبعدوا، فلم يفجأهم إلا وهم يُؤحون لهم بالصُّلح، فأجابوهم وقبلوا منهم، وفتحوا لهم الأبواب، وقالوا: ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب. فدخل أهلُ كُلِّ باب بصلح مِمَّا يليهم، ودخل خالد مما يليه عَنوةً، فالتقى خالد والقوَاد في وسطها؛ هذا استعراضاً وانتهاباً، وهذا صلحاً وتسكيناً؛ فأجروا ناحية خالد مُجَرَى الصُّلح، فصار صُلحاً، وكان صلح دمشق على المقاسمة، الدينار والعقار، ودينارٌ على كُلِّ رأس، فاقسموا الأسلاب؛ فكان أصحابُ خالد فيها كأصحاب سائر القوَاد، وجَرَى على الديار وَمَنْ بقي في الصُّلح جَرِيبٌ من كُلِّ جَرِيبٍ أرض؛ ووقف ما كان للملوك وَمَنْ صَوَّبَ معهم فيئاً، وقسموا لذي الكلاع وَمَنْ معه، ولأبي الأعور وَمَنْ معه، ولشِيرٍ وَمَنْ معه، وبعثوا بالبشارة إلى عمر، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر؛ بأن اصْرِفْ جند العراق إلى العراق، وأمرهم بالحث إلى سعد بن مالك، فأمر على جُند العراق هاشم بن عُتْبَةَ، وعلى مقدَّمته الققعاق بن عمرو، وعلى مجنَّبَيْهِ عمرو بن مالك الزُّهريُّ ورُبْعِيٌّ بن عامر، وضربوا بعد دمشق نحو سعد، فخرج هاشم نحو العراق في جُند العراق؛ وخرج القوَاد نحو فِجَلٍ وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلا مَن أصيب منهم، فأتمَّوهم بأناس مَن لم يكن منهم؛ ومنهم قيس والأشتر، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياء، فنزلا على طريقها، وبقي بدمشق مع يزيد بن أبي سفيان من قوَاد أهل اليمن عددٌ؛ منهم عمرو بن شِمْر بن غزِيَّة،

وسَهَّم بن المسافر بن هَزْمَة، ومشافع بن عبدالله بن شافع. وبعث يزيد دَحِيَّة بن خليفة الكلبي في خيل بعد ما فتح دمشق إلى تَدْمُر، وأبا الزهراء القُشَيْرِي إلى البَثْنِيَّة وَحَوْران، فصالحوهما على صلح دمشق؛ وولَّيَا القيام على فَتْح ما بُعِثا إليه.

وقال محمد بن إسحاق: كان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب.

وقال أيضاً: كانت وقعة فِحْل قبل دمشق؛ وإنما صار إلى دمشق رافضة فِحْل، وأتبعهم المسلمون إليها. وزعم أن وقعة فِحْل كانت سنة ثلاث عشرة في ذي القَعْدَة منها؛ حَدَّثَنَا بذلك ابنُ مُحمَّد، قال: حَدَّثَنَا سَلْمَة، عنه.

وأما الواقدي: فإنه زعم أن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة؛ كما قال ابنُ إسحاق. وزعم أن حصار المسلمين لها كان سنة أشهر. وزعم أن وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة. وزعم أن هرقل جَلَا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من أنطاكية إلى قُسْطَنْطِينِيَّة، وأنه لم يكن بعد اليرموك وقعة.

قال أبو جعفر: وقد مضى ذكر ما روي عن سيف، عَمَّن روى عنه؛ أن وقعة اليرموك كانت في سنة ثلاث عشرة؛ وأن المسلمين وَرَد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليرموك، وفي اليوم الذي هُزِمَت الروم في آخره، وأن عمر أمرهم بعد فراغهم من اليرموك بالمسير إلى دمشق، وزعم أن فِحْلًا كانت بعد دمشق؛ وأن حروباً بعد ذلك كانت بين المسلمين والروم سوى ذلك، قبل شخوص هرقل إلى قسطنطينية؛ سأذكرها إن شاء الله في مواضعها.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث عشرة - وجَّه عمر بن الخطاب أبا عبيد بن مسعود الثقفي نحو العراق. وفيها استشهد في قول الواقدي.

وأما ابن إسحاق؛ فإنه قال: كان يوم الجِسْرِ؛ جَسَرَ أبي عبيد بن مسعود الثقفي في سنة أربع عشرة.

ذكر أمر فِحْل من رواية سيف:

قال أبو جعفر: ونذكر الآن أمر فِحْل إذ كان في الخبر الذي فيه من الاختلاف ما ذكرت من فتوح جُند الشام. ومن الأمور التي تستنكر وقوع مثل الاختلاف الذي ذكرته في وقته؛ لقرب بعض ذلك من بعض.

فأما ما قال ابنُ إسحاق من ذلك وقص من قصته، فقد تقدَّم ذكره قبل.

وأما السري فإنه فيما كتب به إليّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة العبسمي، قالوا: خَلَف النَّاسُ بعد فتح دمشق يزيد بن أبي سفيان في خَيْلِه في دمشق، وساروا نحو فِحْل، وعلى الناس شُرَحْبِيل بن حَسَنَة، فبعث خالداً على المقدمة وأبا عبيدة وعمراً على مجنَّتيه، وعلى الخيل ضرار بن الأُزور، وعلى الرُّجُل عياض، وكرهوا أن يصمُدوا هرقل، وخلفهم ثمانون ألفاً، وعلموا أن مَنْ يِلْزَأ فِحْل جُنَّة الرُّوم وإليهم ينظرون، وأن الشام بعدهم سَلَم. فلما انتهوا إلى أبي الأعور، قدَّموه إلى طَبْرِيَّة، فحاصروهم ونزلوا على فِحْل من الأردن، - وقد كان أهل فِحْل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرَّزوا إلى بَيْسَان - فنزل شُرَحْبِيل بالناس فِحْلًا، والروم بَيْسَان، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأحوال، وكتبوا إلى عمر بالخبر، وهم يحدِّثون أنفسهم بالمقام، ولا يريدون أن يَرمُوا فِحْلًا حتَّى يرجع جواب كتابهم من عند عمر، ولا

يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأحوال؛ وكانت العرب تسمي تلك الغزاة فحلاً وذات الردغة وييسان. وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل مما فيه المشركون؛ مادتهم متواصلة، وخصبهم رعد؛ فاغترهم القوم، وعلى القوم سقلار بن مخراق؛ ورجوا أن يكونوا على غرة، فاتوهم المسلمون لا يأمنون مجيئهم، فهم على حذر. وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة. فلما هجموا على المسلمين غافصوهم، فلم ينظروهم، واقتتلوا بفحل كأشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم ويومهم إلى الليل، فأظلم الليل عليهم وقد حاروا، فانهمزوا وهم حيارى. وقد أصيب رئيسهم سقلار بن مخراق؛ والذي يليه فيهم نسطورس، وظفر المسلمون أحسن ظفر وأهنا، وركبهم وهم يزرون أنهم على قصد وجدد، فوجدوهم حيارى لا يعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم وخيرتهم إلى الوحل، فركبوه، ولحق أوائل المسلمين بهم؛ وقد وجلوا فركبهم؛ وما يمنعون يد لأمس؛ فوخزهم بالرماح، فكانت الهزيمة في فحل؛ وكان مقتلهم في الرداغ، فأصيب الثمانون ألفاً، لم يُفلت منهم إلا الشريد؛ وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البثوق فكانت عوناً لهم على عدوهم، وأناة من الله ليزدادوا بصيرة وجداً، واقتسموا ما آفأ الله عليهم، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فحل إلى حمص، وصرفوا سمي بن كعب معهم، ومضوا بذى الكلاع ومن معه، وخلفوا شرحبيل ومن معه.

ذكر بيسان

ولما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نهد في الناس ومعه عمرو إلى أهل بيسان، فزولوا عليهم، وأبو الأعور والقواد معه على طبرية، وقد بلغ أفناء أهل الأردن ما لقيت دمشق، وما لقي سقلار والروم بفحل وفي الردغة، ومسير شرحبيل إليهم، ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو؛ يريد بيسان، وتحصنوا بكل مكان، فسار شرحبيل بالناس إلى أهل بيسان، فحصرهم أياماً. ثم إنهم خرجوا عليهم فقاتلوهم، فأناموا من خرج إليهم، وصالحوا بقية أهلها، فقبل ذلك على صلح دمشق.

طبرية

وبلغ أهل طبرية الخبر، فصالحوا أبا الأعور، على أن يبلغهم شرحبيل، ففعل؛ فصالحوهم وأهل بيسان على صلح دمشق، على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن، وما أحاط بها مما يصلها، فيدعون لهم نصفاً، ويجتمعون في النصف الآخر، وعن كل رأس دينار كل سنة، وعن كل جريب أرض جريب بر أو شعير؛ أي ذلك حرث؛ وأشياء في ذلك صالحوهم عليها؛ ونزلت القواد وحيوهم فيها، وتم صلح الأردن، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقراها، وكُتب إلى عمر بالفتح.

ذكر خبر المثني بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر، عن محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وزياد بن سرجس الأحمري بإسنادهم، قالوا: أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثني بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر، من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم أصبح فبايع الناس، وعاد فندب الناس إلى فارس، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس؛

وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم؛ لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم. قالوا: فلما كان اليوم الرابع؛ عاد فندب الناس إلى العراق؛ فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بني فزارة؛ هرب يوم الجسر، فكانت الوجوه تُعرض عليه بعد ذلك؛ فيأبى إلا العراق، ويقول: إن الله جلّ وعزّ اعتدّ عليّ فيها بقرّة؛ فلعله أن يردّ عليّ فيها كرامة. وتتابع الناس.

كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: وتكلّم المثنى بن حارثة، فقال: يا أيها الناس، لا يُعظّمَنَّ عليكم هذا الوجه؛ فإنّا قد تبجّجنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقيّ السّواد وشاطرناهم ونلنا منهم؛ واجترأ من قبلنا عليهم؛ ولها إن شاء الله ما بعدها. وقام عمر رحمه الله في الناس؛ فقال: إنّ الحجاز ليس لكم بدار إلا على النّجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك؛ أين الطّراء المهاجرون عن موعود الله! سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها؛ فإنه قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، والله مظهر دينه، ومعرّز ناصره، وموليّ أهله موارث الأمم. أين عباد الله الصالحون!

فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، ثم ثنى سعد بن عبيد - أو سليل بن قيس - فلما اجتمع ذلك البعث، قيل لعمر: أمّر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. قال: لا والله لا أفعل؛ إنّ الله إنّما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو؛ فإذا جئتم وكرهتم اللقاء؛ فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع، وأجاب إلى الدعاء! والله لا أوامر عليهم إلا أولهم انتداباً. ثم دعا أبا عبيد، وسليطاً وسعداً؛ فقال: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتما بها إلى مالكما من القُدّمة. فأمر أبا عبيد على الجيش، وقال لأبي عبيد: اسمع من أصحاب النبي ﷺ، وأشرّكهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين؛ فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكفّ.

وقال رجل من الأنصار: قال عمر رضي الله عنه لأبي عبيد: إنه لم ينبغي أن أوامر سليلطاً إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان، والله لولا سرعته لأمرته؛ ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث.

كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن المجالد، عن الشعبي، قال: قدّم المثنى بن حارثة على أبي بكر سنة ثلاث عشرة؛ فبعث معه بعثاً قد كان ندبهم ثلاثاً؛ فلم ينتدب له أحد حتّى انتدب له أبو عبيد ثم سعد بن عبيد، وقال أبو عبيد حين انتدب: أنا لها، وقال سعد: أنا لها؛ لفعله فعلها. وقال سليلط: فقبل لعمر: أمّر عليهم رجلاً له صحبة، فقال عمر: إنّما فضّل الصحابة بسرعتهم إلى العدو وكفائتهم من أبي؛ فإذا فعل فعلهم قوم واثقلوا كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً أولى بها منهم؛ والله لا أبعث عليهم إلا أولهم انتداباً؛ فأمر أبا عبيد، وأوصاه بجنده.

كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن سهل، عن القاسم ومُبَشِّر، عن سالم، قال: كان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران، لوصية رسول الله ﷺ في مرضه بذلك، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه، وقال: اتّهم ولا تفتنهم عن دينهم، ثم أجلهم؛ من أقام منهم على دينه، وأقرّر المسلم، وأمّسح أرض كلّ

مَنْ تُجْلِي مِنْهُمْ، ثُمَّ خَيَّرَهُمُ الْبُلْدَانِ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّا نُجْلِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَلَّا يُتْرَكَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ؛ فَلْيُخْرِجُوا؛ مَنْ أَقَامَ عَلَى دِينِهِ مِنْهُمْ؛ ثُمَّ نَعْطِيهِمْ أَرْضاً كَأَرْضِهِمْ؛ إِقْرَاراً لَهُمْ بِالْحَقِّ عَلَى أَنْفُسِنَا، وَوَفَاءً بِذِمَّتِهِمْ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، بَدَلاً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ فِيمَا صَارَ لَجِيرَانِهِمْ بِالرَّيْفِ.

خبر النمارق

كتب إلى السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن سهل ومبشر بإسنادهما، ومجالد عن الشعبي، قالوا: فخرج أبو عبيد ومعه سعد بن عبيد، وسليط بن قيس، أخو بني عدي بن النجار، والمثنى بن حارثة أخو بني شيان، ثم أحد بني هند.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، وعمر بن الشعبي، وأبي روق، قالوا: كانت بُوارن بنت كسرى كلماً اختلف الناس بالمداين - عدلاً بين الناس حتى يصطلحوا، فلما قُتِلَ الْفَرُّخَزَادُ بْنُ الْبِنْدَوَانِ وَقَدِيمُ رِسْتَمَ قُتِلَ آزَمِيدُخْت، كانت عدلاً إلى أن استخرجوا يَزْدَجَرْدَ، فقدم أبو عبيد والعدل بُوران، وصاحب الحرب رستم؛ وقد كانت بُوارن أهدت للنبي ﷺ، فقبل هديتها، وكانت ضداً على شيرى سنة، ثم إنَّها تابعته، واجتمعا على أن رأس وجعلها عدلاً.

كتب إلى السري بن يحيى. عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم، قالوا: لما قُتِلَ سِيَاوْخَشُ فَرُّخَزَادُ بْنُ الْبِنْدَوَانِ، وملك آزَمِيدُخْت، اختلف أهل فارس، وتشاغلوها عن المسلمين غيبة المثنى كلَّها إلى أن رجع من المدينة. فبعث بُوران إلى رستم بالخبر، واستحثته بالسير؛ وكان على فَرَجِ خُرَاسَانَ، فأقبل في النَّاسِ حتى نزل المداين؛ لا يلقى جيشاً لآزَمِيدُخْتِ إِلَّا هَزَمَهُ، فاقتتلوا بالمداين، فهزم سِيَاوْخَشُ وَحُصِرَ وَحُصِرَتْ آزَمِيدُخْتُ؛ ثم افتتحها فقتل سِيَاوْخَشَ، وفقاً عين آزَمِيدُخْتِ، ونصب بُوران ودعته إلى القيام بأمر أهل فارس، وشكَّتْ إليه تضعفهم وإدبار أمرهم، على أن تملكه عَشْرُ حَجَجٍ؛ ثم يكون المُلْكُ في آل كسرى، إن وجدوا من غلمانهم أحداً؛ وإلا ففي نسائهم. فقال رستم: أما أنا فسامع مطيع، غير طالب عوضاً ولا ثواباً، وإن شرفتموني وصنعتم إليَّ شيئاً فأنتم أولياء ما صنعتم؛ إنما أنا سهمكم وطوعُ أيديكم. فقالت بُوران: اغد عليّ، فغدا عليها ودعت مرازمة فارس، وكتبت له بأنك على حرب فارس؛ ليس عليك إلا الله عزَّ وجلَّ، عن رضا منَّا وتسليم لحكمك، وحكمك جائز فيهم ما كان حكمك في منع أرضهم وجمعهم عن فرقته. وتوجَّته وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا. فدانته له فارس بعد قدوم أبي عبيد؛ وكان أول شيء أحدثه عمر بعد موت أبي بكر من الليل؛ أن نادى: الصلاة جامعة! ثم ندبهم ففترقوا على غير إجابة من أحد، ثم ندبهم في اليوم الرابع، فأجاب أبو عبيد في اليوم الرابع أول الناس، وتتابع الناس، وانتخب عمر من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل، أمر عليهم أبا عبيد، فقيل له: استعمل عليهم من أصحاب النبي ﷺ، فقال: لا ها الله ذا يا أصحاب النبي، لا أندبكم فتنكلون، ويتندب غيركم فأؤمركم عليهم! إنكم إنما فضلتم بتسرّعكم إلى مثلها؛ فإن نكلتم فضولكم؛ بل أؤمر عليكم أولكم انتداباً. وعجل المثنى. وقال: النجاء حتى يقدم عليك أصحابك! فكان أول شيء أحدثه عمر في خلافته مع بيعته بعثه أبا عبيد، ثم بعث أهل نجران، ثم ندب أهل الردة، فأقبلوا سراعاً من كل أوب؛ فرمى بهم في الشام والعراق؛ وكتب إلى أهل اليرموك؛ بأن

عليكم أبا عبيدة بن الجراح؛ وكتب إليه: إنك على الناس؛ فإن أظفرك الله فاصرف أهل العراق إلى العراق؛ ومن أحب من أمدادكم إذا هم قديموا عليكم. فكان أول فتح أتاه اليرموك على عشرين ليلة من متوًى أبي بكر؛ وكان في الأمداد إلى اليرموك في زمن عمر قيس بن هبيرة، ورجع مع أهل العراق ولم يكن منهم، وإنما غزا حين أذن عمر لأهل الردة في الغزو. وقد كانت فارس تشاغل بموت شهربراز عن المسلمين؛ فملك شاه زنان؛ حتى اصطلحوا على سابور بن شهربراز بن أردشير بن شهریار، فثارت به آزر ميدخت، فقتلته والفرخزاد، وملك - ورستم بن الفرخزاد بخراسان على فرجها - فأتاه الخبر عن بوران، وقدم المثنى الحيرة من المدينة في عشرين، ولحقه أبو عبيد بعد شهر، فأقام المثنى بالحيرة خمس عشرة ليلة، وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين، ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله، فبعث جابان إلى البهقباد الأسفل، وبعث نرسي إلى كسكر، ووعدهم يوماً؛ وبعث جنداً لمصادمة المثنى؛ وبلغ المثنى ذلك؛ فضم إليه مسالحه وحذر، وعجل جابان، فثار ونزل النمارق.

وتوالوا على الخروج؛ فخرج نرسي، فنزل زندورد، وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله؛ وخرج المثنى في جماعة حتى ينزل خفان؛ لئلا يؤق من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قدم عليه أبو عبيدة؛ فكان أبو عبيد على الناس، فأقام بخفان أياماً ليستجم أصحابه؛ وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير، وخرج أبو عبيد بعد ما جم الناس وظهروهم، وتعبى، فجعل المثنى على الخيل، وعلى ميمنته وإلى بن جيدارة، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي. وعلى مجنبي جابان جشنس ماه ومردانشاه. فنزلوا على جابان بالنمارق، فاقتتلوا قتالاً شديداً. فهزم الله أهل فارس، وأسیر جابان، أسره مطرب بن فضة التيمي، وأسیر مردانشاه، أسره أكتل بن شماغ العكلي، فأما أكتل فإنه ضرب عنق مردانشاه، وأما مطرب بن فضة فإن جابان خدعه، حتى تفلت منه بشيء فخلى عنه؛ فأخذه المسلمون، فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه الملك، وأشاروا عليه بقتله، فقال: إني أخاف الله أن أقتله؛ وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد؛ ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم. فقالوا له: إنه الملك، قال: وإن كان لا أعدر، فتركه.

كتب إلى السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن الصلت بن بهرام، عن أبي عمران الجعفي، قال: ولت حربها فارس رستم عشر سنين، وملكوه، وكان منجماً عالماً بالنجوم، فقال له قائل: ما دعاك إلى هذا الأمر وأنت ترى ما ترى! قال: الطمع وحب الشرف. فكتب أهل السواد، ودس إليهم الرؤساء، فثاروا بالمسلمين؛ وقد كان عهد إلى القوم أن الأمير عليكم أول من ثار، فثار جابان في فرات بادقلى، وثار الناس بعده، وأرّز المسلمون إلى المثنى بالحيرة، فصمد لخفان، ونزل خفان حتى قدم عليه أبو عبيد وهو الأمير على المثنى وغيره، ونزل جابان النمارق، فسار إليه أبو عبيد من خفان، فالتقوا بالنمارق؛ فهزم الله أهل فارس، وأصابوا منهم ما شاؤوا وبصر مطرب بن فضة - وكان ينسب إلى أمه - وأبي برجل عليه حلي؛ فشدّا عليه فأخذه أسيراً، فوجداه شيخاً كبيراً فزهده فيه أبي ورغب مطرب في فدائه، فاصطلحوا على أن سلبه لأبي، وأن يساره لمطرب، فلما خلص مصر به، قال: إنكم معاشر العرب أهل وفاء، فهل لك أن تؤمني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك وكذا وكذا! قال: نعم، قال: فأدخلني على ملككم؛ حتى يكون ذلك بمشهد منه. ففعل فأدخله على أبي عبيد، فأمنته

على ذلك ؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبي وأناس من ربيعة ؛ فأما أبي فقال : أسرتُه أنا وهو على غير أمان ؛ وأما الآخرون فعرفوه ، وقالوا : هذا الملك جابان ؛ وهو الذي لقينا بهذا الجمع ، فقال : ما تروني فاعلاً معاشر ربيعة ؟ أيؤمُّنه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك ! وقسم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عطر كثير ونفل ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

السَّقَاطِيَّةُ بِكَسْرِ

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كسكر ليلجؤوا إلى نرسي - وكان نرسي ابن خالة كسرى ؛ وكانت كسكر قطيعة له ؛ وكان النرسيان له ، يحمية لا يأكله بشرٌ ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك فارس إلا من أكرموه بشيء منه ، وكان ذلك مذكوراً من فعلهم في الناس ، وأن ثمرهم هذا حمى ، فقال له رستم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكن رجلاً ، فلما انهزم الناس يوم النمارق ، ووجهت الفألة نحو نرسي - ونرسي في عسكره - نادى أبو عبيد بالرحيل ، وقال للمجرّدة : أتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي ، أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق إلى دُرْتَا . وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

لَعَمْرِي وما عمري عَيَّ بهيّن لَقَدْ صُبِّحَتْ بِالْخَزْيِ أَهْلُ النَّمَارِقِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين دُرْتَا وبارقِ
قتلناهم ما بين مَرَجٍ مُسَلَّحٍ وبين الهوافي من طريق البذارِقِ

ومضى أبو عبيد حين ارتحل من النمارق حتى ينزل على نرسي بكسكر - ونرسي يومئذ بأسفل كسكر - والمثنى في تعبته التي قاتل فيها جابان ، ونرسي على محبته ابنا خاله - وهما ابنا خال كسرى بندويه وتبرويه ابنا بسطام - وأهل باروسما ونهر جوبَر والزوابي معه إلى جنده ، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان ؛ فبعثوا إلى الجالينوس ، وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر وباروسما ونهر جوبَر والزاب ، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة ، وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السَّقَاطِيَّةُ فاقتتلوا في صحارى مُلْسٍ قتالاً شديداً . ثم إن الله هزم فارس ، وهرب نرسي ، وغلب على عسكره وأرضه ، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر ، وجمع الغنائم ، فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فبعث فيمن يليه من العرب فانتقلوا ما شاؤوا ، وأخذت خزائن نرسي ؛ فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان ؛ لأنه كان يحمية ويمالكه عليه ملوكهم ، فاققسموه فجعلوا يُطعمونه الفلاحين ؛ وبعثوا بخمسه إلى عمر وكتبوا إليه : إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها ، وأحببنا أن تروها ؛ ولتذكروا إنعام الله وإفضاله .

وأقام أبو عبيد وسرح المثنى إلى باروسما ، وبعث والقا إلى الزوابي وعاصماً إلى نهر جوبَر ؛ فهزموا من كان تجمّع وأخربوا وسبوا ، وكان مما أخرب المثنى وسبى أهل زَنْدَوْرَد وبسوسيا ، وكان أبو زَعْبَل من سبي زَنْدَوْرَد ؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالينوس ؛ فكان ممن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبَر ، وممن أسر والقي أبو الصلّت . وخرج فروخ وفرّونداد إلى المثنى ، يطلبان الجزاء والذمة ، دفعاً عن أرضهم ؛ فأبلغهما أبا عبيد : أحدهما باروسما والآخر نهر جوبَر ، فأعطياه عن كلّ رأس أربعة ، فروخ عن باروسما وفرّونداد عن نهر جوبَر ، ومثل ذلك الزوابي

وَكَسَكَر، وَضَمَّنَا لَهُم الرِّجَالِ عَنِ التَّعْجِيلِ، فَفَعَلُوا وَصَارُوا صُلْحًا. وَجَاءَ فُرُوحٌ وَفِرْدَاذٌ إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ بَأْنِيَةٍ فِيهَا أَنْوَاعُ أَطْعَمَةِ فَارَسٍ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَخْبَصَةِ وَغَيْرِهَا؛ فَقَالُوا: هَذِهِ كَرَامَةُ أَكْرَمَانِكَ بِهَا؛ وَقُرِّئْ لَكَ. قَالَ: أَأَكْرَمْتُمُ الْجَنْدَ وَقُرَيْتُمُوهُمْ مِثْلَهُ؟ قَالُوا: لَمْ يَتَسَيَّرْ وَنَحْنُ فَاعِلُونَ؛ وَإِنَّمَا يَتَرَبَّصُونَ بِهِمْ قُدُومَ الْجَالِنُوسِ وَمَا يَصْنَعُ؛ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا لَا يَسَعُ الْجَنْدَ، فَرَدَّهُ، وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ حَتَّى يَنْزِلَ بِيَارُوسًا فَبَلَّغَهُ مَسِيرَ الْجَالِنُوسِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ الضُّبِّيِّ، قَالَ: فَأَتَاهُ الْأَنْدَرُزْغَرُ بْنُ الْخُرَكْبِذِ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ فُرُوحٌ وَفِرْدَاذٌ. فَقَالَ لَهُمْ: أَأَكْرَمْتُمُ الْجَنْدَ بِمِثْلِهِ وَقُرَيْتُمُوهُمْ؟ قَالُوا: لَا، فَرَدَّهُ، وَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ؛ بئسَ المرءُ أبو عبيد؛ إِنْ صَحَبَ قَوْمًا مِنْ بِلَادِهِمْ أَهْرَاقُوا دِمَاءَهُمْ دُونَهُ أَوْ لَمْ يُهْرِقُوا فَاسْتَأْثَرُوا عَلَيْهِمْ بَشِيءَ يَصِيبُهُ! لَا وَاللَّهِ لَا يَأْكُلُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا مِثْلَ مَا يَأْكُلُ أَوْسَاطُهُمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ حَدَّثَنَا ابْنُ مُهِمِّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِنَحْوِ مِنْ حَدِيثِ سَيْفٍ هَذَا، عَنْ رَجَالِهِ فِي تَوْجِيهِ عَمْرِو بْنِ الْمُثَنَّى وَأَبَا عُبَيْدٍ بِنَ مَسْعُودٍ إِلَى الْعِرَاقِ فِي حَرْبٍ مِّنْ بَهَا مِنَ الْكُفَّارِ وَحُرُوبِهِمْ، وَمِنْ حَارِبِهِمْ بِهَا؛ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا هُزِمَ جَالِنُوسٌ وَأَصْحَابُهُ، وَدَخَلَ أَبُو عُبَيْدٍ بَارُوسًا، نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَرْيَةً مِنْ قَرَاهَا؛ فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِمْ، فَصُنِعَ لِأَبِي عُبَيْدٍ طَعَامٌ فَأَتَى بِهِ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي آكَلَ هَذَا دُونَ الْمُسْلِمِينَ! فَقَالُوا لَهُ: كُلْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُوَقِّعُ فِي مَنْزِلِهِ بِمِثْلِ هَذَا أَوْ أَفْضَلَ؛ فَأَكَلَ. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِ سَأَلَهُمْ عَنْ طَعَامِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمْرِو، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ جَابَانٌ وَنَرْسِيٌّ اسْتَمَدَا بَوْرَانَ، فَأَمَدَتْهُمَا بِالْجَالِنُوسِ فِي جُنْدِ جَابَانَ، وَأَمَرَ أَنْ يُبَدَأَ بِنَرْسِيٍّ؛ ثُمَّ يُقَاتَلُ أَبُو عُبَيْدٍ بَعْدَ، فَبَادَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، فَهَضَّ فِي جَنْدِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْنُو، فَلَمَّا دَنَا اسْتَقْبَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، فَتَنَزَلَ الْجَالِنُوسُ بِبَاقُسِيَاثَا مِنْ بَارُوسًا، فَهَدَّ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْمُسْلِمِينَ؛ وَهُوَ عَلَى تَعْيِيَّتِهِ، فَالْتَقَوْا عَلَى بَاقُسِيَاثَا، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَهَرَبَ الْجَالِنُوسُ، وَأَقَامَ أَبُو عُبَيْدٍ، قَدْ غَلَبَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ وَالْمَجَالِدِ بِنَحْوِ مِنْ وَقْعَةِ بَاقُسِيَاثَا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَمَجَالِدٍ وَزِيَادٍ وَالنَّضْرِ بِإِسْنَادِهِمْ، قَالُوا: أَنَاهُ أَوْلَتْكَ الدَّهَاقِينَ الْمُتَرَبِّصُونَ جَمِيعًا بِمَا وَسَّعَ الْجَنْدَ، وَهَابُوا وَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا النَّضْرُ وَمَجَالِدٌ فَإِنَّهُمَا قَالَا: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَلَمْ أَعْلَمْكُمْ أَنِّي لَسْتُ أَكَلًا إِلَّا مَا يَسَعُ مَنِّ مَعِيَ مَنِّ أَصْبَتُمْ بِهِمْ! قَالُوا: لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ أَتَى شَبْعَهُ مِنْ هَذَا فِي رَحْلِهِمْ وَأَفْضَلَ. فَلَمَّا رَاحَ النَّاسُ عَلَيْهِ سَأَلَهُمْ عَنْ قَرَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَخْبَرُوهُ، وَإِنَّمَا كَانُوا قَصَّرُوا أَوَّلًا تَرَبُّصًا وَخَافَةً عَقُوبَةً أَهْلَ فَارَسٍ. وَأَمَّا مُحَمَّدٌ وَطَلْحَةُ وَزِيَادٌ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: فَلَمَّا عَلِمَ قَبْلَ مِنْهُمْ: وَأَكَلَ وَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ مَعَهُ أَضْيَافًا عَلَيْهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّعَامِ، وَقَدْ أَصَابُوا مِنْ نَزْلِ فَارَسٍ وَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ أَتَوْا أَبَا عُبَيْدٍ بِشَيْءٍ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى مِثْلِ مَا كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ مِنْ غَلِيظِ عَيْشِ أَبِي عُبَيْدٍ؛ وَكَرِهُوا تَرْكَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَالُوا لَهُ: قُلْ لِلْأَمِيرِ؛ إِنَّا لَا نَشْتَهِي شَيْئًا مَعَ شَيْءٍ أَتَتْناهُ الدَّهَاقِينَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: إِنَّهُ طَعَامُ كَثِيرٍ مِنْ أَطْعَمَةِ الْأَعَاجِمِ؛ لِنَنْظُرُوا أَيْنَ هُوَ مِمَّا أَتَيْتُمْ بِهِ! إِنَّهُ قُرُوءٌ وَنَجْمٌ وَجُوزِلٌ وَشَوَاءٌ وَخَرْدَلٌ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو وَأَضْيَافُهُ عِنْدَهُ:

إِنْ تَلُكُ ذَا قَرُوبٍ وَنَجْمٍ وَجَوَزَلْ
وَقَرُورٍ رَقَاقٍ كَالصَّحَائِفِ طُوِّتْ
فَعِنْدَ ابْنِ فَرُوحٍ شَوَاءٌ وَخَزْدَلُ
عَلَى مُزَعٍ فِيهَا بِقُولٍ وَجَوَزَلُ
وَقَالَ أَيْضاً:

صَبَحْنَا بِالْبَقَايِسِ رَهْطَ كِسْرَى
صَبَحْنَا هُمْ بِكُلِّ فَتَى كَمِيٍّ
صَبُوحاً لَيْسَ مِنْ خَمِرِ السَّوَادِ
وَأَجْرَدَ سَابِحٍ مِنْ خَيْلِ عَادِ

ثم ارتحل أبو عبيد، وقدم المثنى، وسار في تعبته حتى قدم الحيرة. وقال النضر ومجالد ومحمد وأصحابه: تقدّم عمر إلى أبي عبيد، فقال: إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبريّة، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشرّ فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون! واخزن لسانك، ولا تفشين سرّك؛ فإن صاحب السرّ ما ضبطه، متحصّن لا يؤقّ من وجه يكرهه؛ وإذا ضيّعه كان بمضيعة.

وقعة القرّقس

ويقال لها القسّ قسّ النّاطف، ويقال لها الجسر، ويقال لها المروحة.

قال أبو جعفر الطبريّ رحمه الله: كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: ولما رجع الجالانوس إلى رستم ومن أفلت من جنوده، قال رستم: أيّ العجم أشدّ على العرب فيما ترون؟ قالوا بهمن جاذويه؛ فوجهه ومعه فيلة وردّ الجالانوس معه، وقال له: قدّم الجالانوس، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه، فأقبل بهمن جاذويه ومعه «درفش كايان» راية كسرى وكانت من جلود النمر، عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً - وأقبل أبو عبيد، فنزل المروحة، موضع البرج والعاقول، فبعث إليه بهمن جاذويه: إمّا أن تعبروا إلينا وندعكم العبور وإمّا أن تدعونا نعبر إليكم! فقال الناس: لا تعبريا أبا عبيد، نهاك عن العبور. وقالوا له: قل لهم: فليعبروا - وكان من أشدّ الناس عليه في ذلك سليلط - فليج أبو عبيد، وترك الرأي، وقال: لا يكونون أجراً على الموت ممّا؛ بل نعبر إليهم. فعبروا إليهم وهم في منزل ضيق المطرد والمذهب، فاقتلوا يوماً - وأبو عبيد فيها بين الستّة والعشرة - حتى إذا كان من آخر النهار، واستبطأ رجل من ثقيف الفتح، ألّف بين الناس، فتصافحوا السيوف وضرب أبو عبيد الفيل، وخطب الفيل أبا عبيد، وقد أسرعت السيوف في أهل فارس، وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة، ولم يبق ولم ينتظر إلا الهزيمة، فلما خطب أبو عبيد، وقام عليه الفيل جال المسلمون جولة، ثم تمّوا عليها، وركبهم أهل فارس، فبادر رجل من ثقيف إلى الجسر فقطعه، فانتهى الناس إليه والسيوف تأخذهم من خلفهم، فتهافتوا في الفرات، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف؛ من بين غريق وقتيل، وحى المثنى الناس وعاصم والكّج الضبيّ ومذعور، حتى عقدوا الجسر وعبروهم ثم عبروا في آثارهم، فأقاموا بالمروحة والمثنى جريح، والكّج ومذعور وعاصم - وكانوا حماة الناس - مع المثنى، وهرب من الناس بشرّ كثير على وجوههم، وافضحوا في أنفسهم، واستحيوا ممّا نزل بهم، وبلغ ذلك عمر عن بعض من أوى إلى المدينة فقال: عباد الله! اللهم إن كلّ مسلم في حلّ مني، أنا فئة كلّ مسلم، يرحم الله أبا عبيد! لو كان عبر فاعتصم بالخيف، أو تحيّر إلينا ولم يستقبل لكنّا له فئة!

وبينا أهل فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أنّ الناس بالمدائن قد شاروا برستم، ونقضوا الذي بينهم

وبينه فصاروا فرقتين: الفهلوج على رستم، وأهل فارس على الفيرزان؛ وكان بين وقعة اليرموك والجسر أربعون ليلة. وكان الذي جاء بالخبر عن اليرموك جرير بن عبد الله الحميري؛ والذي جاء بالخبر عن الجسر عبد الله بن زيد الأنصاري - وليس بالذي رأى الرؤيا - فأنتهى إلى عمر وعمر على المنبر. فنادى عمر: الخبر يا عبد الله بن زيد! قال: أتاك الخبر اليقين؛ ثم صعد إليه المنبر فأسر ذلك إليه.

وكانت اليرموك في أيام من جمادى الآخرة، والجسر في شعبان.

كتب إلي السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد وسعيد بن المرزبان، قالوا: واستعمل رستم على حرب أبي عبيد بهمن جاذويه؛ وهو ذو الحاجب، وردّ معه الجالندوس ومعه الفيلة، فيها فيل أبيض عليه النخل، وأقبل في الدّهم، وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابل؛ فلما بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه، فعسكر بالمروحة.

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر، فحلف ليقطعن الفرات إليهم، ولیمحصن ما صنع، فناشده سليط بن قيس ووجه الناس، وقالوا: إن العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزّهاء والعدة بما لم يلقنا به أحد منهم وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع؛ من فرة إلى كرة. فقال: لا أفعل؛ جئت والله! وكان الرسول فيما بين ذي الحاجب وأبي عبيد مردانشاه الخصي؛ فأخبرهم أن أهل فارس قد عيروهم؛ فازداد أبو عبيد محكا، وردّ على أصحابه الرأي، وجبن سليط، فقال: سليط: أنا والله أجراً منك نفساً؛ وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم!

كتب إلي السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري، عن الأغر العجلي، قال: أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطئ الفرات بقس النّاطف، وأبو عبيد معسكر على شاطئ الفرات بالمروحة فقال: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم. فقال أبو عبيد: بل نعبر إليكم. فعقد ابن صلوبا الجسر للفرقتين جميعاً؛ وقبل ذلك ما قد رأت دومة امرأة أبي عبيد رؤيا وهي بالمروحة؛ أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب، فشرب أبو عبيد وجبر في أناس من أهله؛ فأخبرت بها أبا عبيد، فقال: هذه الشهادة؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس، فقال: إن قتل فعلى الناس جبر، فإن قتل فعليكم فلان، حتى أمر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه. ثم قال: إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى، ثم نهد بالناس فعبر وعبروا إليهم، وعضلت الأرض بأهلها، وألحم الناس الحرب. فلما نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل؛ والخيل عليها التجافيف والفرسان عليهم الشعر رأيت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلال فرقت بين كراديسهم؛ لا تقوم لها الخيل إلا على نفار. وخزقهم الفرس بالنشاب، وعرض المسلمين الألم، وجعلوا لا يصلون إليهم؛ فترجل أبو عبيد وترجل الناس، ثم مشوا إليهم فصافحهم بالسيوف؛ فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم؛ فنادى أبو عبيد: احتوشوا الفيلة؛ وقطعوا بطنها وأقلبوا عنها أهلها؛ وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطانه فقطعه؛ ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك؛ فما تركوا فيلاً إلا حطّوا رحله؛ وقتلوا أصحابه، وأهوى الفيل لأبي عبيد، فنفع مشفره بالسيف، فاتّاه الفيل بيده؛ وأبو عبيد يتجرّثه؛ فأصابه بيده فوق فخبطة الفيل، وقام عليه؛ فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل، خشعت أنفس بعضهم، وأخذ اللواء الذي كان أمره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي

عبيد، فاجتره إلى المسلمين، وأحرزوا شلوه؛ وتجرثم الفيل فاتقاه الفيل بيده، دأب أبي عبيد وخبطه الفيل. وقام عليه وتتابع سبعة من ثقيف؛ كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت. ثم أخذ اللواء المثني، وهرب الناس، فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس، بادروهم إلى الجسر فقطعه، وقال: يا أيها الناس، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا. وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر؛ وخشع ناس فتواثبوا في الفرات؛ فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر، وحمل المثني وفرسان من المسلمين الناس، ونادى: يا أيها الناس، إنا دونكم فاعبروا على هينكم ولا تدهشوا؛ فإننا لن نزال حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرقوا أنفسكم. فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور، فأخذوه فأتوا به المثني، فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا، ونادى من عبر فجاءوا بعلوج، فضموا إلى السفينة التي قطعت سفائنها، وعبر الناس، وكان آخر من قُتل عند الجسر سليل بن قيس، وعبر المثني وحمل جانبه، فاضطرب عسكره، ورامهم ذو الحجاب فلم يقدر عليهم؛ فلما عبر المثني وحمل جانبه أرفض عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقي المثني في قلعة.

كتب إلى السري عن شعيب، عن سيف، عن رجل، عن أبي عثمان النهدي، قال: هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتل وغريق؛ وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف، وأق ذاك الحجاب الخبر باختلاف فارس، فرجع بجنده وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه، وجرح المثني، وأثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد وعطية نحواً منه.

كتب إلى السري، عن شعيب عن سيف، عن مجالد وعطية والنضر، أن أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمن سار في البلاد استحياء من الهزيمة، اشتد على عمر ذلك ورحمهم. قال: الشعبي: قال عمر: اللهم كل مسلم في حل مني، أنا فئة كل مسلم، من لقي العدو ففقط بشيء من أمره فأنا له فئة؛ يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إلي لكنت له فئة! وبعث المثني بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد، وكان أول من قدم على عمر.

وحدثنا ابن حميد؛ قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق بنحو خبر سيف هذا في أمر أبي عبيد وذو الحجاب، وقصة حربهما، إلا أنه قال: وقد كانت رأت دومة أم المختار بن أبي عبيد، أن رجلاً نزل من السماء معه إناء فيه شراب من الجنة فيما يرى النائم، فشرب منه أبو عبيد وجبر بن أبي عبيد وأناس من أهله. وقال أيضاً: فلما رأى أبو عبيد ما يصنع الفيل، قال: هل لهذه الدابة من مقتل؟ قالوا: نعم؛ إذا قطع مشفرها ماتت، فشد على الفيل فضرب مشفره فقطعه، وبرك عليه الفيل فقتله. وقال أيضاً: فرجعت الفرس ونزل المثني بن حارثة أليس، وتفرق الناس، فلحقوا بالمدينة، فكان أول من قدم المدينة بخبر الناس عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمي؛ فأخبر الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة ابنة عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: سمعت عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد، فنادى: الخبر يا عبد الله بن زيد! وهو داخل المسجد، وهو يمر على باب حجري، فقال: ما عندك يا عبد الله بن زيد؟ قال: أتاك الخبر يا أمير المؤمنين؛ فلما انتهى إليه أخبره خبر الناس، فما سمعت برجل حضر أمراً فحدث عنه كان

أثبت خبراً منه . فلما قدم فلّ الناس ، ورأى عمر جَزَعَ المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فتنكم ، إنما انحزتم إليّ .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ؛ عن ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن الحصين وغيره ؛ أنّ معاذاً القاريء أخا بني النجار ؛ كان مَن شهدها ففرّ يومئذ ، فكان إذا قرأ هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ^(١) ، بكى ، فيقول له عمر : لا تبك يا معاذ ، أنا فتنك ، وإنما انحزّت إليّ .

خبر أليس الصّغرى

قال أبو جعفر : كتب إليّ السريّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نؤيرة وطلحة وزياد وعطية ، قالوا : وخرج جابان ومردان شاه حتى أخذوا بالطريق ، وهم يرون أنهم سيفرضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس ، فلما ارفضّ أهل فارس ، وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فعلة جابان ومردان شاه ؛ استخلف على الناس عاصم بن عمرو ، وخرج في جريدة خيل يريد هما ، فظنا أنه هارب ، فاعتراضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل أليس على أصحابهما ، فأتوه بهم أسراء ؛ وعقد لهم بها ذمّة وقدمهما ، وقال : أنتما غررتما أميرنا ، وكذبتماه واستفزتماه . فضرب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسراء ؛ ثم رجع إلى عسكره وهرب أبو محجن من أليس ؛ ولم يرجع مع المثنى ؛ وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالداً من سوى ، فأذن لهم ، فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جرير حاجته ، فقال : أعلى حالنا ! وأخره بها ، فلما وليّ عمر دعاه بالبيّنة ؛ فأقامها ، فكتب له عمر إلى عمّاله السعاة في العرب كلّهم : مَنْ كان فيه أحد يُنسب إلى بجيلّة في الجاهليّة ، وثبت عليه في الإسلام يُعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير . ووعدهم جرير مكاناً بين العراق والمدينة . ولما أعطي جرير حاجته في استخراج بجيلّة من الناس فجمعهم فأخرجوا له ، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، فتتأّموا ، قال لجرير : اخرج حتى تلحق بالمثنى ، فقال : بل الشام ، قال : بل العراق ، فإن أهل الشام قد قوّوا على عدوّهم ، فأبى حتى أكرهه ؛ فلما خرجوا له وأمرهم بالموعد عوّضه لإكراهه واستصلاحاً له ، فجعل له ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه له ولمن اجتمع إليه ، ولمن أخرج له إليه من القبائل ، وقال : اتّخذونا طريقاً ، فقدموا المدينة ، ثم فصلوا منها إلى العراق ممّدين للمثنى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الصّبّيّ فيمن تبعه من بني ضبّة ؛ وقد كان كتب إلى أهل الرّدة ، فلم يواف شعبان أحد إلا رمى به المثنى .

البويّب

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من الممّدين ، فتوافوا إليه في جمع عظيم ، أو بلغ رستم والفيرزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعوا على أن يبعثا مهران الهمداني ؛ حتى يريا من رأيهما ، فخرج مهران في الخيول وأمرأه بالحيرة ، وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السّباخ بين القادسيّة وخفّان في الذين أمّدوه من العرب عن

خبر بشير وكنانة - وبشير يومئذ بالحيرة - فاستبطن فُرات بأدقلى، وأرسل إلى جرير ومَن معه: إنا جاءنا أمر لم نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينا، فعجلوا اللحاق بنا، وموعدكم البُوب.

وكان جرير مُمدًا له، وكتب إلى عِصمة ومَن معه، وكان مُمدًا له بمثل ذلك، وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك، وقال: خذوا على الجُوف، فسلخوا القادسيَّة والجُوف، وسلخ المثني وسط السَّواد، فطلع على النَّهرين ثم على الحُوزنق، وطلع عصمة على النَّجف، ومَن سلك معه طريقه، وطلع جرير على الجُوف ومَن سلك معه طريقه، فانتهوا إلى المثني، وهو على البُوب، ومِهْران من وراء الفرات بإزائه، فاجتمع عسكر المسلمين على البُوب ممَّا يلي موضع الكوفة اليوم؛ وعليهم المثني وهم بإزاء مِهْران وعسكره. فقال المثني لرجل من أهل السَّواد: ما يقال للرُّقعة التي فيها مِهْران وعسكره؟ قال: بَسُوسِيَا. فقال: أَكْذَى مِهْران وهلك! نزل منزلاً هو البَسُوس؛ وأقام بمكانه حتى كاتبه مِهْران: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا، وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ؛ فقال المثني: اعبروا؛ فعبَر مِهْران، فنزل على شاطئ الفرات معهم في الملطاط، فقال المثني لذلك الرجل: ما يُقال لهذه الرُّقعة التي نزلها مِهْران وعسكره؟ قال: شُومِيَا - وذلك في رمضان - فنَادَى فِي النَّاسِ: انهدوا لعدوكم، فتناهدوا، وقد كان المثني عبي جيشه، فجعل على مجنَّبيه مذعوراً والنَّسِير، وعلى المجرَّدة عاصماً، وعلى الطلائع عِصمة، واصطفت الفريقان؛ وقام المثني فيهم خطيباً؛ فقال: إِنْكُمْ صُومًا؛ والصَّوم مَرْقَةٌ وَمَضْعَفَةٌ؛ وَإِنِّي أَرَى مِنَ الرَّأْيِ أَنْ تُفْطِرُوا ثُمَّ تَقْوُوا بِالطَّعَامِ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ. قالوا: نعم، فأفطروا؛ فأبصر رجلاً يستوفز ويستتيل من الصَّفِّ، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: هو مَن فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ يَوْمَ الْجَسْرِ، وهو يريد أَنْ يَسْتَقْتِلَ، فقرعه بالرمح، وقال: لا أَبالك! الزَّمْ مَوْقَفَكَ، فإذا أَتَاكَ قِرْنُكَ فَأَغْنِهِ عَنْ صَاحِبِكَ وَلَا تَسْتَقْتِلْ، قال: إني بذلك لجدير، فاستقرَّ ولزم الصَّفِّ.

كتب إلى السريِّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيبانيِّ بمثله.

كتب إلى السريِّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية. وعن سفيان الأحمريِّ، عن المجالد، عن الشعبيِّ، قالوا: قال عمر حين استجَمَّ جَمْعٌ بِجَيْلَةٍ: اتَّخَذُونَا طَرِيقاً، فخرج سَرَوَاتٌ بِجَيْلَةٍ ووفدُهم نحوه، وخلفوا الجمهور، فقال: أيُّ الوجوه أحبُّ إليكم؟ قالوا: الشَّامُ فَإِنَّ أَسْلَافَنَا بِهَا، فقال: بل العراق؛ فَإِنَّ الشَّامَ فِي كَفَايَةٍ؛ فلم يزل بهم؛ ويأبُونَ عَلَيْهِ حَتَّى عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ؛ وجعل لهم رُبْعَ ثَمَسٍ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى نَصِيْبِهِمْ مِنَ الْفِيءِ، فاستعمل عَرَفْجَةَ عَلَى مَنْ كَانَ مَقِيماً عَلَى جَدِيدَةٍ مِنْ بَجِيلَةٍ، وجريراً عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَغَيْرِهِمْ؛ وقد كان أَبُو بَكْرٍ وَلَاهُ قِتَالَ أَهْلِ عُمان فِي نَفَرٍ، وَأَقْفَلَهُ حِينَ غَزَا فِي الْبَحْرِ، فَوَلَّاهُ عُمَرَ عَظُمَ بَجِيلَةٍ، وقال: اسمعوا لهذا، وقال للآخرين: اسمعوا لجرير، فقال: جرير لبجيلة: تُقْرُونَ بهذا - وقد كانت بَجِيلَةٌ غَضِبَتْ عَلَى عَرَفْجَةَ فِي امْرَأَةٍ مِنْهُمْ - وقد أدخل علينا ما أدخل! فاجتمعوا فَأَتَوْا عُمَرَ، فقالوا: أَعْفِنَا مِنْ عَرَفْجَةَ، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرةً وإسلاماً، وأعظمكم بلاءً وإحساناً، قالوا: استعمل علينا رجلاً منا، ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا، فظنَّ عمر أَنَّهُمْ يَنْفُونَهُ مِنْ نَسَبِهِ، فقال: انظروا ما تقولون! قالوا: نقول ما نسمع؛ فأرسل إلى عَرَفْجَةَ، فقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ اسْتَعْفَوْنِي مِنْكَ، وزعموا أَنَّكَ لست منهم، فما عندك؟ قال: صدقوا، وما يَسْرُنِي أَنِي مِنْهُمْ. أنا امرؤ من الأزد، ثم من بارق، في كَهْفٍ لَا يُحْصَى عَدَدُهُ، وَحَسَبٌ غَيْرُ مُؤْتَسَّبٍ. فقال عمر: نَعَمْ الْحَيُّ الْأَزْدُ! يَأْخُذُونَ نَصِيْبَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. قال عَرَفْجَةُ: إِنَّهُ كَانَ مِنْ شَأْنِي أَنَّ الشَّرَّ تَفَاقَمَ فِيْنَا، وَدَارُنَا وَاحِدَةً؛ فَأَصْبَحْنَا الدَّمَاءَ، وَوَتَرَ بَعْضُنَا بَعْضاً، فَأَعْتَزَلْتَهُمْ لَمَّا خِفْتَهُمْ، فَكَنتَ فِي هَؤُلَاءِ أَسْوَدُهُمْ وَأَقْوَدُهُمْ، فَحَفِظُوا

عليّ لأمر دار بني وبين دهاقينهم، فحسدوني وكفروني. فقال: لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك. واستعمل جريراً مكانه، وجمع له بجيلة، وأرى جريراً وبجيلة أنه يبعث عرفة إلى الشام، فحب ذلك إلى جرير العراق، وخرج جرير في قومه ممدداً للمثنى بن حارثة، حتى نزل ذا قار، ثم ارتفع حتى إذا كان بالجلل والمثنى بمرج السباح، أتى المثنى الخبر عن حديث بشير وهو بالحيرة؛ أن الأعاجم قد بعثوا مهران، ونهض من المدائن شاخصاً نحو الحيرة. فأرسل المثنى إلى جرير وإلى عصمة بالحث، وقد كان عهد إليهم عمر ألا يعبروا بحراً ولا جسراً إلا بعد ظفر، فاجتمعوا بالبويب، فاجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي، وكان البويب مغيضاً للفرات أيام المدود، أزمان فارس، يصب في الجوف، والمشركون بموضع دار الرزق، والمسلمون بموضع السكون.

كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن عطية والمجالد بإسنادهما، قالوا: وقدما على عمر غزاة بني كنانة والأزد في سبعمائة جميعاً، فقال: أي الوجه أحب إليكم؟ قالوا: الشام، أسلافنا أسلافنا! فقال: ذلك قد كفيتموه؛ العراق العراق! ذروا بلدة قد قلل الله شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش، لعل الله أن يورثكم يقسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس. فقال غالب بن عبد الله الليثي وعرفة البارقي، كل واحد منهما لقومه، وقاما فيهم: يا عشيرتاه! أجبوا أمير المؤمنين إلى ما يرى، وأمضوا له ما يسكنكم. قالوا: إنا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد. فدعا لهم عمر بخير وقاله لهم، وأمر على بني كنانة غالب بن عبد الله وسرحه، وأمر على الأزد عرفة بن هزيمة وعامتهم من بارق، وفرحوا برجوع عرفة إليهم. فخرج هذا في قومه، وهذا في قومه، حتى قدما على المثنى.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وعمرو بإسنادهما، قالوا: وخرج هلال بن علفة التيمي فيمن اجتمع إليه من الرباب حتى أتى عمر، فأمره عليهم وسرحه، فقدم على المثنى وخرج ابن المثنى الجشمي؛ جشم سعد، حتى قدم عليه، فوجهه وأمره على بني سعد، فقدم على المثنى.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي وعطية بإسنادهما، قالوا: وجاء عبد الله بن ذي السهمين في أناس من خثعم، فأمره عليهم ووجهه إلى المثنى، فخرج نحوه حتى قدم عليه.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وعمرو بإسنادهما، قالوا: وجاء ربيعي في أناس من بني حنظلة، فأمره عليهم وسرحهم، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنى، فرأس بعده ابنه شبيب بن ربيعي، وقدم عليه أناس من بني عمرو، فأمر عليهم ربيعي بن عامر بن خالد العنود، وألحقه بالمثنى، وقدم عليه قوم من بني ضبة، فجعلهم فرقتين، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهوثر، وعلى الأخرى المنذر بن حسان، وقدم عليه قوط بن جراح في عبد القيس، فوجهه. وقالوا جميعاً: اجتمع الفيرزان ورستم على أن يبعثا مهران لقتال المثنى واستأذنا بوران - وكانا إذا شياً دنوا من حجابها حتى يكلمها به - فقالا بالذي رأيا وأخبراها بعدد الجيش - وكانت فارس لا تكثر البعوث؛ حتى كان من أمر العرب ما كان - فلما أخبرها بكثرة عدد الجيش، قالت: ما بال أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم؟ ومالكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم! قالوا: إن الهيبة كانت مع عدونا يومئذ، وإنها فينا اليوم؛ فمالأتهما وعرفت ما جاءها به، فمضى مهران في جنده حتى نزل من دون الفرات والمثنى وجنده على شاطئ الفرات؛ والفرات بينهما؛ وقدم أنس بن هلال النمري ممدداً للمثنى في أناس من النمر نصارى وجلاب جلبوا خيلاً، وقدم ابن مردى الفهري التغلبي في أناس

من بني تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلا - وهو عبد الله بن كليب بن خالد - وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا . وقال مهران : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا ، وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ ، فقال المسلمون : اعْبُرُوا إِلَيْنَا ، فارتحلوا من بسوسيا إلى شوميا ، وهي موضع دار الرزق .

كتب إلي السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفز ، عن أبيه ، أَنَّ الْعَجْمَ لَمَّا أُذِنَ لَهُمْ فِي الْعُبُورِ نَزَلُوا شُومِيَا مَوْضِعَ دَارِ الرَّزْقِ ، فَتَعَبَوْا هُنَاكَ ؛ فَأَقْبَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي صُفُوفٍ ثَلَاثَةٍ مَعَ كُلِّ صَفٍّ فِيلٌ ، وَرَجُلُهُمْ أَمَامُ فَيْلِهِمْ ، وَجَاءُوا وَلَهُمْ زَجَلٌ . فَقَالَ الْمُثَنَّى لِلْمُسْلِمِينَ : إِنَّ الَّذِي تَسْمَعُونَ فَشَلُّ ، فَالْزَمُوا الصُّمْتَ وَاتَّمَرُوا هَمْسًا . فَدَنُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَاءَ وَهُمْ مِنْ قِبَلِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ نَحْوَ مَوْضِعِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَلَمَّا دَنُوا زَحَفُوا ، وَصَفَّ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا بَيْنَ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ الْيَوْمَ وَمَا وَرَاءَهَا .

كتب إلي السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا وكان على مجنبي المثني بشير وبسر بن أبي رهم ، وعلى مجردته المعنى ، وعلى الرجل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النسي ، وعلى الردء مذعور ، وكان على مجنبي مهران ابن الأزاذه مرزبان الحيرة ومردان شاه . ولما خرج المثني طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده ، وهو على فرسه الشموس - وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبته قاتل ؛ وكان لا يركبه إلا لقتال ويدعه ما لم يكن قتال - فوقف على الرايات راية راية يحضضهم ، ويأمرهم بأمره ، ويهزم بأحسن ما فيهم ، تحضيضاً لهم ، ولكلهم يقول : إِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا تُؤْتِيَ الْعَرَبُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي الْيَوْمَ لِنَفْسِي شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسُرُّنِي لِعَامَتِكُمْ ؛ فَيَجِيبُونَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَأَنْصَفَهُمُ الْمُثَنَّى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَخَلَطَ النَّاسَ فِي الْمَكْرُوهِ وَالْمَحْبُوبِ ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَعِيبَ لَهُ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي مَكْبَرٌ ثَلَاثًا فَتَهَيَّؤُوا ؛ ثُمَّ أَجْمَلُوا مَعَ الرَّابِعَةِ ، فَلَمَّا كَبُرَ أَوَّلُ تَكْبِيرَةِ أَعْجَلَهُمْ أَهْلُ فَارَسٍ وَعَاجَلُوهُمْ فَخَالَطُوهُمْ مَعَ أَوَّلِ تَكْبِيرَةٍ ، وَرَكَدَتْ حَرْبُهُمْ مَلِيًّا ، فَرَأَى الْمُثَنَّى خِلَالَ فِي بَعْضِ صُفُوفِهِ فَارَسِلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا ، وَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : لَا تَفْضَحُوا الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، وَاعْتَدَلُوا ؛ وَجَعَلُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَرُونَهُ وَهُوَ يَمْدُ حَيْتَهُ لَمَّا يَرَى مِنْهُمْ ؛ فَاعْتَنَوْا بِأَمْرٍ لَمْ يَحِجَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فَرَمَقُوهُ ، فَرَأَوْهُ يَضْحَكُ فَرَحًا وَالْقَوْمُ بَنُو عَجَلٍ . فَلَمَّا طَالَ الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ ، عَمِدَ الْمُثَنَّى إِلَى أَنْسَ بْنِ هَلَالٍ ، فَقَالَ : يَا أَنْسُ إِنَّكَ أَمْرٌ عَرَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى دِينِنَا ؛ فَإِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ حَمَلْتُ عَلَى مِهْرَانَ فَاجْهَلْ مَعِي ، وَقَالَ لَابَنُ مِرْدَى الْفَهْرُ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ . فَحَمَلَ الْمُثَنَّى عَلَى مِهْرَانَ ؛ فَأَزَالَهُ حَتَّى دَخَلَ فِي مِيمَنَتِهِ ، ثُمَّ خَالَطُوهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْقُلُوبَانِ وَارْتَفَعَ الْغَبَارُ وَالْمَجْنِبَاتُ تَقْتِيلٌ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْرَغُوا لِنَصْرِ أَمِيرِهِمْ ، لَا الْمَشْرُكُونَ وَلَا الْمُسْلِمُونَ ، وَارْتَثَ مَسْعُودٌ يَوْمَئِذٍ وَقُودًا مِنَ قُودِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَقَدْ كَانَ . قَالَ لَهُمْ : إِنْ رَأَيْتُمُونَا أَصَبْنَا فَلَا تَدْعُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؛ فَإِنَّ الْجَيْشَ يَنْكَشِفُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ ؛ الزَّمُوا مَصَافَكُمْ ، وَأَغْنُوا غَنَاءَ مَنْ يَلِيكُمْ . وَأَوْجَعَ قَلْبَ الْمُسْلِمِينَ فِي قَلْبِ الْمَشْرُكِينَ ، وَقَتَلَ غَلَامٌ مِنَ التَّغْلِبِيِّينَ نَصْرَانِيَّ مِهْرَانَ وَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ ، فَجَعَلَ الْمُثَنَّى سَلْبَهُ لِمَصَاحِبِ خَيْلِهِ ؛ وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَشْرُكُ فِي خَيْلٍ رَجُلٍ فَقَتَلَ وَسَلَبَ فَهُوَ لِلَّذِي هُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَنْ قَتَلَ ؛ وَكَانَ لَهُ قَائِدَانِ : أَحَدُهُمَا جَرِيرٌ وَالْآخَرُ ابْنُ الْهُوَيْرِ ؛ فَاقْتَسَمَا سِلَاحَهُ .

كتب إلي السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفز ، عن أبيه محفز بن ثعلبة ؛ قَالَ : جَلَبَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ أَفْرَاسًا ، فَلَمَّا التَقَى الرَّحْفَانُ يَوْمَ الْبُؤَيْبِ ، قَالُوا : نَقَاتِلُ الْعَجْمَ مَعَ الْعَرَبِ ، فَأَصَابَ أَحَدَهُمْ مِهْرَانٌ يَوْمَئِذٍ ، وَمِهْرَانٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَرَدٌ مَجْفُفٌ يَتَجَفَّافُ أَصْفَرُ ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَلَالٌ ، وَعَلَى ذَنْبِهِ أَهْلَةٌ مِنْ شَبِّهِ ،

فاستوى على فرسه، ثم انتمى : أنا الغلام التغلبي، أنا قتلُ المرزبان ! فأتاه جرير وابن الهوبر في قومهما فأخذا برجله فأنزلاه .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن المرزبان أن جريراً والمنذر اشتركا فيه فاخصما في سلاحه، فتقاضيا إلى المثنى . فجعل سلاحه بينهما والمنطقة والسوارين بينهما، وأفنوا قلبَ المشركين .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي رَوْق، قال : والله إن كنا لنأتي البُوب، فنرى فيما بين موضع السكون وبني سليم عظاماً بيضاً تلوّاً تلوح من هامهم وأوصالهم ؛ يُعتبر بها . قال : وحدّثني بعض مَنْ شهدا أنهم كانوا يحزرونها مائة ألف، وما عُفي عليها حتى دفنها أذفان البيوت .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة ؛ قالوا : وقف المثنى عند ارتفاع الغبار؛ حتى أسفر الغبار، وقد فني قلب المشركين، والمجنّبات قد هزّ بعضها بعضاً، فلمّا رأوه وقد أزال القلب، وأفنى أهله، قويت المجنّبات - مجنّبات المسلمين - على المشركين، وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر، ويرسل عليهم مَنْ يذمّهم، ويقول : إن المثنى يقول : عاداتكم في أمثالهم، انصروا الله ينصركم ؛ حتى هزموا القوم، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم، فافترقوا بشاطئ الفرات مصعّدين ومصوّبين، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم، ثم جعلوهم جثّاً؛ فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رمة منها . ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ - وكان صرع قبل الهزيمة، فتضعض مَنْ معه، فرأى ذلك وهو دَيف - قال : يا معشر بكر بن وائل، ارفعوا رأيّكم، رفعكم الله ! لا يهولنكم مَضْرِعِي . وقاتل أنس بن هلال النَمِرِيّ يومئذ حتى ارتث، ارتثه المثنى، وضمه وضّم مسعوداً إليه . وقاتل قُرط بن جَمَاح العبديّ يومئذ حتى دُق قنأ، وقطع أسيافاً . وقُتل شَهْرَبَاز من دهاقين فارس وصاحب مجرّدة مِهران .

قال : ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدّثونه، وكلّما جاء رجل فتحدّث قال له : أخبرني عنك، فقال له قُرط بن جَمَاح : قتلْتُ رجلاً فوجدتُ منه رائحة المسك، فقلتُ مِهران، ورجوت أن يكون إِيّاه، فإذا هو صاحب الخيل شَهْرَبَاز، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مِهران شيئاً .

فقال : المثنى : قد قاتلت العرب والعجم في الجاهليّة والإسلام ؛ والله مائة من العجم في الجاهليّة كانوا أشدّ عليّ من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشدّ عليّ من ألف من العجم ؛ إن الله أذهب مصدوقتهم، ووَهَن كيدهم ؛ فلا يروعنكم زُهاء تروّنه، ولا سواد ولا قسيّ فُجّ، ولا نبال طوال، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها، كالبهائم أينما وجّهتموها اتّجهت .

وقال ربّعيّ وهو يحدّث المثنى : لمّا رأيتُ ركود الحرب واحتدامها، قلتُ : تترسّوا بالمجان، فإنهم شادّون عليكم ؛ فاصبروا لشدّتي وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة ؛ فأجابوني والله ؛ فوقّ الله كفالتي .

وقال ابن ذي السّهمين محدّثاً : قلت لأصحابي : إنّي سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الرُّعب ؛ فما ذكره إلا لفضل عنده ؛ اقتدوا برأيّكم، وليحْمِ راجلكم خيلكم، ثم احملوا، فما لقول الله من خُلف ؛ فأنجز الله لهم وعده، وكان كما رجوت .

وقال عَرْفَجَة مَحْدَثًا: حُزْنَا كَتِيبَةً مِنْهُمْ إِلَى الْفَرَاتِ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَذِنَ فِي غَرْقِهِمْ وَسَلَّى عَنْهَا بِهَا مَصِيبَةَ الْجَسْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا فِي حَدِّ الْإِحْرَاجِ، كَرَّوْا عَلَيْنَا، فَقَاتَلْنَاهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قَالَ بَعْضُ قَوْمِي: لَوْ أُخْرِتَ رَأَيْتُكَ! فَقُلْتُ: عَلَيَّ إِقْدَامُهَا، وَحَمَلْتُ بِهَا عَلَى حَامِيَتِهِمْ فَقَتَلْتُهُ، فَوَلَّوْا نَحْوَ الْفَرَاتِ، فَمَا بَلَغَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِيهِ الرُّوحُ.

وقال رَبِيعِي بن عامر بن خالد: كُنْتُ مَعَ أَبِي يَوْمَ الْبُؤِيبِ - قَالَ وَسُمِّيَ الْبُؤِيبُ يَوْمَ الْأَعْشَارِ - أَحْصَى مِائَةَ رَجُلٍ، قَتَلَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَشْرَةً فِي الْمَعْرَكَةِ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ عُزْرَةُ بن زيد الخليل من أَصْحَابِ التَّسْعَةِ، وَغَالِبٌ فِي بَنِي كِنَانَةَ مِنْ أَصْحَابِ التَّسْعَةِ، وَعَرْفَجَةُ فِي الْأَزْدِ مِنْ أَصْحَابِ التَّسْعَةِ.

وَقَتْلُ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا بَيْنَ السُّكُونِ الْيَوْمِ إِلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، ضَفَّةُ الْبُؤِيبِ الشَّرْقِيَّةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُثَنَّى بَادَرَهُمْ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ الْجَسْرَ، فَأَخَذَهُ عَلَيْهِمْ، فَأَخَذُوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى اللَّيْلِ، وَمِنَ الْغَدِ إِلَى اللَّيْلِ، وَنَدِمَ الْمُثَنَّى عَلَى أَخْذِهِ بِالْجَسْرِ، وَقَالَ: لَقَدْ عَجَزْتُ عَجْزَةً وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا بِمَسَابِقَتِي إِيَّاهُمْ إِلَى الْجَسْرِ وَقَطْعِهِ؛ حَتَّى أَخْرَجْتُهُمْ؛ فَإِنِّي غَيْرُ عَائِدٍ؛ فَلَا تَعُودُوا وَلَا تَقْتَدُوا بِأَيِّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا كَانَتْ مِنِّي زَلَّةٌ لَا يَنْبَغِي إِحْرَاجُ أَحَدٍ إِلَّا مَنْ لَا يَقْوَى عَلَى امْتِنَاعٍ. وَمَاتَ أَنَاسٌ مِنَ الْجَرَحَى مِنْ أَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْهُمْ خَالِدُ بن هَالَلٍ وَمَسْعُودُ بن حَارِثَةَ، فَصَلَّى عَلَيْهِمُ الْمُثَنَّى، وَقَدَّمَهُمْ عَلَى الْأَسْنَانِ وَالْقِرَآنِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِيُهَوِّنَ عَلَيَّ وَجْدِي أَنْ شَهِدُوا الْبُؤِيبَ، أَقْدَمُوا وَصَبَرُوا، وَلَمْ يَجْزِعُوا وَلَمْ يَنْكَلُوا، وَإِنْ كَانَ فِي الشَّهَادَةِ كَفَّارَةٌ لِنَجُوزِ الذَّنُوبِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ الْمُثَنَّى وَعَصْمَةُ وَجَرِيرٌ أَصَابُوا فِي أَيَّامِ الْبُؤِيبِ عَلَى الظُّهْرِ نُزْلَ مِهْرَانٍ غَنًا وَدَقِيقًا وَبِقَرًا، فَبَعَثُوا بِهَا إِلَى عِيَالَاتٍ مَنْ قَدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ خَلَفُوهُنَّ بِالْقَوَادِسِ، وَإِلَى عِيَالَاتِ أَهْلِ الْأَيَّامِ قَبْلَهُمْ؛ وَهَمَّ بِالْحَيْرَةِ. وَكَانَ دَلِيلُ الَّذِينَ ذَهَبُوا بِنَصِيبِ الْعِيَالَاتِ الَّذِينَ بِالْقَوَادِسِ عَمْرُو بن عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ، فَلَمَّا رُفِعُوا لِلنِّسْوَةِ فَرَأَيْنَ الْخَيْلَ، تَصَايَحْنَ وَحَسَبْنَهَا غَارَةً، فَقَمَنَّ دُونَ الصَّبِيَّانِ بِالْحَجَارَةِ وَالْعُمْدِ، فَقَالَ عَمْرُو: هَكَذَا يَنْبَغِي لِنِسَاءِ هَذَا الْجَيْشِ! وَيَشْرُوهُنَّ بِالْفَتْحِ، وَقَالُوا: هَذَا أَوَّلُهُ، وَعَلَى الْخَيْلِ الَّتِي أَتَتْهُمْ بِالنُّزْلِ النُّسِيرِ؛ وَأَقَامَ فِي خَيْلِهِ حَامِيَةً لَهُمْ؛ وَرَجَعَ عَمْرُو بن عبد المسيح فَبَاتَ بِالْحَيْرَةِ. وَقَالَ الْمُثَنَّى يَوْمَئِذٍ: مَنْ يَتَّبِعِ النَّاسَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّيْبِ؟ فَقَامَ جَرِيرُ بن عبد الله فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ بَجِيلَةٍ، إِنَّكُمْ وَجَمِيعَ مَنْ شَهِدَ هَذَا الْيَوْمَ فِي السَّابِقَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْبَلَاءِ سَوَاءٌ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْخُمْسِ غَدًا مِنَ النَّفْلِ مِثْلُ الَّذِي لَكُمْ مِنْهُ؛ وَلَكُمْ رُبْعُ خُمْسِهِ نَفْلًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَلَا يَكُونَنَّ أَحَدٌ أَسْرَعَ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ وَلَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْكُمْ لِلَّذِي لَكُمْ مِنْهُ، وَنِيَّةٌ إِلَى مَا تَرْجُونَ؛ فَإِنَّمَا تَنْتَظِرُونَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: الشَّهَادَةَ وَالْجَنَّةَ أَوِ الْغَنِيمَةَ وَالْجَنَّةَ.

وَمَالَ الْمُثَنَّى عَلَى الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَسْتَقْتَلُوا مِنْ مُنْهَزِمَةِ يَوْمِ الْجَسْرِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ الْمُسْتَبْسِلُ بِالْأَمْسِ وَأَصْحَابُهُ! انْتَدَبُوا فِي آثَارِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَى السَّيْبِ، وَابْلَغُوا مِنْ عَدُوِّكُمْ مَا تَغِيظُونَهُمْ بِهِ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَعْظَمُ أَجْرًا؛ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِزْمَةَ بن عَلِيٍّ بن مُحَفَّزٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَكْرِ بن وائِلٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ النَّاسِ انْتَدَبَ يَوْمَئِذٍ الْمُثَنَّى وَاتَّبَعَ آثَارَهُمُ الْمُسْتَبْسِلُ وَأَصْحَابُهُ؛ وَقَدْ كَانَ أَرَادَ الْخُرُوجَ بِالْأَمْسِ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْ صَفِّ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَوْفَزَ وَاسْتَتَلَّ، فَأَمَرَ الْمُثَنَّى أَنْ يُعْقِدَ لَهُمُ الْجَسْرَ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ،

وَاتَّبَعْتَهُمْ بِجَيْلَةٍ وَخِيُولٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تُعِذُّ مِنْ كُلِّ فَارِسٍ، فَاَنْطَلَقُوا فِي طَلِبِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا السَّيْبَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْعَسْكَرِ جَسَرِيٌّ إِلَّا خَرَجَ فِي الْخَيْلِ، فَأَصَابُوا مِنَ الْبَقَرِ وَالسَّيْبِ وَسَائِرِ الْغَنَائِمِ شَيْئاً كَثِيراً فَقَسَمَهُ الْمُتَنَّى عَلَيْهِمْ، وَفَضَّلَ أَهْلَ الْبَلَاءِ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ، وَنَفَلَ بِجَيْلَةٍ يَوْمَئِذٍ رِبْعَ الْخَمْسِ بَيْنَهُمْ بِالسُّوَيْةِ، وَبَعَثَ بِثَلَاثَةِ أَرْبَاعِهِ مَعَ عَكْرَمَةَ، وَأَلْقَى اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ فَارِسَ. وَكَتَبَ الْقَوَادِ الَّذِينَ قَادُوا النَّاسَ فِي الطَّلَبِ إِلَى الْمُتَنَّى، وَكَتَبَ عَاصِمٌ وَعَصَمَةُ وَجَرِيرٌ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَلَّمَ وَكَفَى، وَوَجَّهَ لَنَا مَا رَأَيْتَ، وَلَيْسَ دُونَ الْقَوْمِ شَيْءٌ؛ فَتَأَذَّنْ لَنَا فِي الْإِقْدَامِ! فَأَذَّنَ لَهُمْ، فَأَغَارُوا حَتَّى بَلَغُوا سَابَاطَ، وَتَحَصَّنَ أَهْلُ سَابَاطَ مِنْهُمْ وَاسْتَبَاحُوا الْقَرْيَاتِ دُونَهَا؛ وَرَامَاهُمْ أَهْلُ الْحَصَنِ بِسَابَاطَ عَنْ حَصْنِهِمْ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ حَصْنَهُمْ ثَلَاثَةُ قَوَادٍ: عَصَمَةُ، وَعَاصِمٌ، وَجَرِيرٌ، وَقَدْ تَبِعَهُمْ أَوْزَاعٌ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ. ثُمَّ انْكَفَوْا وَارْجِعُوا إِلَى الْمُتَنَّى.

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: لَمَّا أَهْلَكَ اللَّهُ مِهْرَانَ اسْتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْغَارَةِ عَلَى السَّوَادِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ دَجْلَةٍ فَمَخَرَوْهَا، لَا يَخَافُونَ كَيْدًا، وَلَا يَلْقَوْنَ فِيهَا مَانِعًا، وَانْتَقَضَتْ مَسَالِحُ الْعَجَمِ، فَارْجَعَتْ إِلَيْهِمْ؛ وَاعْتَصَمُوا بِسَابَاطَ، وَسَرَّهَمُ أَنْ يَتْرَكُوا مَا وَرَاءَ دَجْلَةٍ.

وَكَانَتْ وَقْعَةُ الْبُؤَيْبِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ، قَتَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِهْرَانَ وَجَيْشَهُ، وَأَفْعَمُوا جَنْبِي الْبُؤَيْبِ، عَظَامًا، حَتَّى اسْتَوَى وَمَا عَقَى عَلَيْهَا إِلَّا التَّرَابَ أَزْمَانَ الْفِتْنَةِ، وَمَا يَثَارُ هُنَاكَ شَيْءٌ إِلَّا وَقَعُوا مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ؛ وَهُوَ مَا بَيْنَ السَّكُونِ وَمُرْهَبَةِ وَبْنِي سُلَيْمٍ، وَكَانَ مَغِيضًا لِلْفَرَاتِ أَزْمَانَ الْأَكَاسِرَةِ يَصُبُّ فِي الْجَوْفِ. وَقَالَ الْأَعْوَرُ الْعَبْدِيُّ الشَّنِّي:

هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ أَحْزَانَا	وَاسْتَبَدَّلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ خَفَانَا
وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ	إِذْ بِالنُّخَيْلَةِ قَتَلَى جُنْدَ مِهْرَانَا
أَزْمَانَ سَارَ الْمُتَنَّى بِالْخِيُولِ لَهُمْ	فَقَتَّلَ الرَّحْفُ مِنْ فُرسٍ وَجِيلَانَا
سَمَا لِمِهْرَانَ وَالْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ	حَتَّى أَبَادَهُمْ مِثْنَى وَوُحْدَانَا

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ جَرِيرٍ وَعَرْفَجَةَ وَالْمُتَنَّى وَقَتَالَ الْمُتَنَّى مِهْرَانَ غَيْرَ مَا قَصَّ سَيْفٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ؛ وَالَّذِي قَالَ فِي أَمْرِهِمْ مَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ مَصِيبَةُ أَصْحَابِ الْجَسْرِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ فَلَهُمْ؛ قَدِمَ عَلَيْهِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ مِنَ الْيَمَنِ فِي رَكْبٍ مِنْ بَجِيلَةٍ، وَعَرْفَجَةُ بْنُ هَرْثَمَةَ - وَكَانَ عَرْفَجَةُ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ بَجِيلَةٍ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُمْ مِنَ الْأَزْدِ - فَكَلَّمَهُمْ عَمْرٌ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنَ الْمَصِيبَةِ فِي إِخْوَانِكُم بِالْعِرَاقِ؛ فَسَيَرُوا إِلَيْهِمْ وَأَنَا أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ فَأَجْمَعُهُمْ إِلَيْكُمْ. قَالُوا: نَفْعَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ قَيْسَ كُبَّةَ وَسُحْمَةَ وَعُزَيْنَةَ؛ وَكَانُوا فِي قَبَائِلِ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَرْفَجَةُ بْنُ هَرْثَمَةَ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، فَقَالَ لِبَجِيلَةٍ: كَلَّمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالُوا لَهُ: اسْتَعْمَلْتَ عَلَيْنَا رَجُلًا لَيْسَ مِنَّا، فَأَرْسَلْ إِلَى عَرْفَجَةَ، فَقَالَ: مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَكِنِّي رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ، كُنَّا أَصْبْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَمًا فِي قَوْمِنَا، فَلَحَقْنَا بِبَجِيلَةٍ، فَلَبَغْنَا فِيهِمْ مِنَ السُّودِّ مَا بَلَغَكَ. فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: فَائْتِ عَلَى مَنْزِلَتِكَ، وَدَافِعْهُمْ كَمَا يَدَافِعُونَكَ. قَالَ: لَسْتُ فَاعِلًا وَلَا سَائِرًا مَعَهُمْ؛ فَسَارَ عَرْفَجَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ نُزِلَتْ، وَتَرَكَ بَجِيلَةَ، وَأَمَرَ عَمْرٌ عَلَى بَجِيلَةٍ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَارَ بِهِمْ مَكَانَهُ إِلَى الْكُوفَةِ وَضَمَّ إِلَيْهِ عَمْرٌ قَوْمَهُ مِنْ

بَجِيلَةٍ، فَأَقْبَلَ جَرِيرٌ حَتَّى إِذَا مَرَّ قَرِيباً مِنَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ، كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُثَنَّى أَنْ أَقْبَلْ إِلَيَّ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مَدْدُ لِي. فَكَتَبَ إِلَيْهِ جَرِيرٌ: إِنِّي لَسْتُ فَاعِلاً إِلَّا أَنْ يَأْمُرَ بِذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَنْتَ أَمِيرٌ وَأَنَا أَمِيرٌ.

ثم سار جرير نحو الجسر، فلقية مهرا بن باذان - وكان من عظماء فارس - عند النخيلة، قد قطع إليه الجسر، فاقتتلا قتالاً شديداً، وشد المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على مهرا فطعنه، فوقع عن دابته، فاقتحم عليه جرير فاحتز رأسه، فاقتصم في سلبه، ثم اصطلحا فيه؛ فأخذ جرير السلاح، وأخذ المنذر بن حسان منطقتة.

قال: وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَهْرَانَ لَمَّا لَقِيَ جَرِيرًا قَالَ:

إِنْ تَسْأَلُونِي عَنِّي فَإِنِّي مِهْرَانُ أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ بَاذَانَ

قال: فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ حَتَّى حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَمُّ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ عَرَبِيًّا نَشَأَ مَعَ أَبِيهِ بِالْيَمَنِ إِذْ كَانَ عَامِلًا لِكُسْرَى. قَالَ: فَلَمْ أَنْكَرْ ذَلِكَ حِينَ بَلَغَنِي.

وكتب المثنى إلى عمر يَحْلُ بِجرير، فكتب عمر إلى المثنى: إِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَسْتَعْمَلَكَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ - يعني جريراً. وقد وَجَّهَ عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف، أمره عليهم، وكتب إلى المثنى وجرير بن عبد الله أَنْ يَجْتَمِعَا إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، وَأَمْرٌ سَعْدًا عَلَيْهِمَا؛ فَسَارَ سَعْدٌ حَتَّى نَزَلَ شَرَفًا، وَسَارَ الْمُثَنَّى وَجَرِيرٌ حَتَّى نَزَلَا عَلَيْهِ، فَشَتَا بَهَا سَعْدٌ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَمَاتَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

خبر الخنافس

رجع الحديث إلى حديث سيف. كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: ومخر المثنى السواد وخلف بالحيرة بشير بن الخصاصية، وأرسل جريراً إلى ميسان، وهلال بن علفة التيمي إلى دُست ميسان، وأذكى المسالح بعصمة بن فلان الضبي وبالكلج الضبي وبعرفة البارقي، وأمثالهم في قواد المسلمين؛ فبدأ فنزل أليس - قرية من قرى الأنبار - وهذه الغزاة تُدعى غزاة الأنبار الآخرة؛ وغزاة أليس الآخرة، وألَزَّ رجلاً بالمثنى: أحدهما أنباري، والآخر جيري يدله كل واحد منهما على سوق، فأما الأنباري فدله على الخنافس، وأما الجيري فدله على بغداد. فقال المثنى: أيتها قبل صاحبتهما؟ فقالوا: بينهما أيام، قال: أيهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس، ويجمع بها ربيعة وقضاعة يخفرونهم. فاستعد لها المثنى؛ حتى إذا ظن أنه موافقها يوم سوقها ركب نحوهم، فأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاعة، وعلى قضاعة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء، فانتسف السوق وما فيها، وسلب الخفراء، ثم رجع عودته على بدئه حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في أول النهار يومه، فتحصنوا منه، فلما عرفوه نزلوا إليه فأتوه بالأعلاف والزاد؛ وأتوه بالأدلاء على بغداد؛ فكان وجهه إلى سوق بغداد، فصبّحهم المسلمون يمحرون السواد والمثنى بالأنبار، ويشنون الغارات فيما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات وجسور مثقب إلى عين التمر وما والاها من الأرض في أرض الفلاليج والعال.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن محفز، عن أبيه، قال: قال رجل من أهل

الحيرة للمثنى: ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى والسواد، وتجتمع بها في كل سنة مرة ومعهم فيها الأموال؛ كبيت المال؛ وهذه أيام سوقهم، فإن أنت قدرت أن تُغير عليهم وهم لا يشعرون أصبت فيها مالاً يكون غناء للمسلمين؛ وقووا به على عدوهم دهرهم؛ قال: وكم بين مدائن كسرى وبينها؟ قال: بعض يوم أو عامّة يوم، قال: فكيف لي بها؟ قالوا: نأمرك إن أردتها أن تأخذ طريق البر، حتى تنتهي إلى الخنافس، فإن أهل الأنبار سيضربون إليها، ويخبرون عنك فيأمنون، ثم تعوج على أهل الأنبار فتأخذ الدهاقين بالأدلاء، فتسير سواد ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم صباحاً فتصّبّحهم غارةً.

فخرج من أليس حتى أتى الخنافس، ثم عاج حتى رجع على الأنبار، فلما أحسّه صاحبها تحصّن وهو لا يدري من هو؛ وذلك ليلاً؛ فلما عرفه نزل إليه فأطعمه المثنى، وخوفه واستكتمه، وقال: إني أريد أن أغير فابعث معي الأدلاء إلى بغداد، حتى أغير منها إلى المدائن. قال: أنا أجيء معك، قال: لا أريد أن تحييء معي، ولكن ابعث معي من هو أدل منك، فزوّدهم الأطعمة والأعلاف، وبعث معهم الأدلة، فساروا حتى إذا كانوا بالنصف، قال لهم المثنى: كم بيني وبين هذه القرية؟ قالوا: أربعة أو خمسة فراسخ. فقال لأصحابه: من ينتدب للحرس؟ فانتدب له قوم فقال لهم: أذكوا حرسكم، ونزل، وقال: أيها الناس، أقيموا واطعموا وتوضؤوا وتهبؤوا. وبعث الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الأخبار، فلما فرغوا أسرى إليهم آخر الليل، فعبر إليهم، فصّبّحهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيف فقتل، وأخذوا ما شاءوا، وقال المثنى: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته. وهرب أهل الأسواق، وملا المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحمر من كل شيء، ثم خرج كازاً حتى نزل بنهر السيلحين بالأنبار؛ فنزل وخطب الناس، وقال: أيها الناس، انزلوا وقضوا أوطاركم، وتأهبوا للسير، واحمدوا الله وسلوه العافية، ثم انكشفوا قبيضاً. ففعلوا، فسمع همساً فيما بينهم: ما أسرع القوم في طلبنا! فقال: تتاجروا بالبر والتقوى ولا تتناجروا بالإثم والعدوان، انظروا في الأمور وقدروها ثم تكلموا؛ إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد؛ ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم. إن للغارات زوعات تنتشر عليها يوماً إلى الليل، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم؛ وأنتم على العراب حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين: التماس الأجر ورجاء النصر؛ فثّقوا وأحسنوا به الظن، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة وهم أعد منكم، وسأخبركم عني وعن انكماشني والذي أريد بذلك؛ إن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر أوصانا أن نقل العرجة، ونسرع الكرة في الغارات، ونسرع في غير ذلك الأوبة. وأقبل بهم ومعهم أدلاء وهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار؛ حتى انتهى بهم إلى الأنبار؛ فاستقبلهم دهاقين الأنبار بالكرامة، واستبشروا بسلامته، وكان موعده الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبون.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: لما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار سرح المضارب العجلي وزيداً إلى الكبّاث، وعليه فارس العناب التغلبي، ثم خرج في آثارهم، فقدم الرجالان الكبّاث، وقد ارفضوا وأخلوا الكبّاث، وكان أهله كلهم من بني تغلب، فركبوا آثارهم يتبعونهم، فأدركوا أخرياتهم وفارس العناب يحميهم، فحماهم ساعة ثم هرب، وقتلوا في أخرياتهم وأكثروا، ورجع المثنى إلى عسكره بالأنبار، والخليفة عليهم فرات بن حيّان. فلما رجع المثنى إلى الأنبار سرح فرات بن حيّان وعُتبية بن النّحاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنّيمر بصفيّين، ثم اتبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى

الهُجَمِيّ؛ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ صِفَيْنِ، افترق المثنى وفُرات وعُتَيْبَةُ، وفرَّ أهل صِفَيْنِ وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وتحصَّنوا، وأرمل المثنى وأصحابه من الزاد، حتى أقبلوا على رواحلهم إلَّا ما لا بدَّ منه فأكلوها حتى أخفأها وعظامها وجلودها. ثم أدركوا عِيراً من أهل دِيَّافٍ وَحُورَانِ، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بني تغلب خفراء، وأخذوا العير، وكان ظهراً فاضلاً، وقال لهم: دَلُونِي، فقال أحدهم: آمِنُونِي على أهلي ومالي، وأدُلُّكُمْ على حَيٍّ من تغلب غدوت من عندهم اليوم؛ فآمنه المثنى وسارَ معه يومه، حتى إذا كان العشيَّ هجم على القوم، فإذا النَّعَمُ صادرة عن الماء، وإذا القوم جُلوس بأفنية البيوت، فبثَّ غارته، فقتلوا المقاتلة، وسبوا الذرية؛ واستاقوا الأموال، وإذا هم بنو ذِي الرُّوَيْحَةِ؛ فاشترى مَنْ كان بين المسلمين من ربيعة السَّبايا بنصيبه من الفِيءِ، وأعتقوا سَبِيَّهُمْ؛ وكانت ربيعة لا تُسَبَّى إذ العرب يتسابون في جاهليَّتهم.

وأخبر المثنى أن جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجعوا الشَّطَّ؛ شاطىء دَجْلَةَ، فخرج المثنى، وعلى مقدَّمته في غزواته هذه بعد البُوبِ كُلِّها حُذيفة بن محصن الغلفانيّ، وعلى مجنَّبيه النُّعْمان بن عوف بن النعمان ومطر الشيبانيان، فسَرَّحَ في أدبارهم حُذيفة وأتبعه؛ فأدركوهم بَتَكْرِيتٍ دُونَهَا من حيث طلبوهم يخوضون الماء، فأصابوا ما شاءوا من النَّعَمِ، حتى أصاب الرجل خمساً من النَّعَمِ، وخمساً من السَّبيِّ، وخمسَ المال؛ وجاء به حتى ينزل على النَّاسِ بالأَنْبار؛ وقد مضى فُرات وعُتَيْبَةُ في وجوههما؛ حتى أغاروا على صِفَيْنِ وبها النَّمِرُ وتغلب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا بطائفة منهم في الماء، فناشدوهم فلم يقلعوا عنهم، وجعلوا ينادونهم: الغرق الغرق! وجعل عُتَيْبَةُ وفُرات يذمُّون النَّاسَ، وينادونهم: تغريق بتغريق - يذكرونهم يوماً من أيَّامهم في الجاهلية أحرَقوا فيه قوماً من بكر بن وائل في غِيضَةٍ من الغياض - ثم انكفؤوا راجعين إلى المثنى، وقد غرَّقوهم.

ولما تراجع النَّاسُ إلى عسكرهم بالأَنْبار وتوافق بها البعوث والسرايا، انحدر بهم المثنى إلى الحيرة، فنزل بها. وكانت تكون لعمر رحه الله العيون في كلِّ جيش، فكتب إلى عمر بما كان في تلك الغزاة، وبلغه الذي قاله عتيبة وفُرات يوم بني تغلب والماء؛ فبعث إليهما فسألها، فأخبراه أنها قالا ذلك على وجه أنه مثَّل، وأنها لم يفعلا ذلك على وجه طلب دُخُلِ الجاهليَّةِ، فاستحلفها، فحلفا أنَّهما ما أرادا بذلك إلَّا المثل وإعزاز الإسلام، فصدَّقهما وردَّهما حتى قَدِمَا على المثنى.

ذكر الخبر عمَّا هَيَّجَ أمر القادسيَّة

كتب إليَّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبدالله بن سواد بن نُويرَة، عن عزيز بن مِكنَفِ التميميِّ ثمَّ الأسيديّ، وطلحة بن الأعلَمِ الحنفيّ، عن المغيرة بن عتيبة بن النَّهاسِ العِجْلِيّ، وزِيَادِ بْنِ سَرَجِسِ الأحمريّ، عن عبد الرحمن بن ساباط الأحمريّ، قالوا جميعاً: قال أهلُ فارس لرُستم والفيروزان - وهما على أهل فارس: أين يُذهب بكما! لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهَّنتما أهل فارس، وأطعمتما فيهم عدوَّهم! وإنه لم يبلغ من خطركما أن يقرَّكما فارس على هذا الرأي، وأن تعرَّضاها للهلكة؛ ما بعد بغداد وسباط وتكريت إلَّا المدائن؛ والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت.

كتب إليَّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبيدالله بن محفَّز، عن أبيه، قال: قال أهل فارس لرستم والمسلمون يحخرون السَّواد: ما تنتظرون والله إلَّا أن يُنزلَ بنا ونهلك! والله ماجرَّ هذا الوهن علينا غيركم

يا معاشر القوّاد! لقد فرّقتم بين أهل فارس وثبّطتموهم عن عدوّهم . والله لولا أنّ في قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة ، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفتنا منكم .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد ، قالوا : فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى : اكتبى لنا نساء كسرى وسراريّه ونساء آل كسرى وسراريهم . ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهم في كتاب ، فأرسلوا في طلبهنّ فلم يبق منهنّ امرأة إلا أتوا بها ، فأخذوهنّ بالرجال ووضعوا عليهنّ العذاب يستدلوّنهنّ على ذكر من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهنّ منهم أحد ، وقلن - أو من قال منهنّ : لم يبق إلا غلام يدعى يزّدجرد من ولد شهباز بن كسرى ، وأمّه من أهل بادوريا . فأرسلوا إليها فأخذوها به ، وكانت قد أنزلته في أيام شيري حين جمعهنّ في القصر الأبيض ، فقتل الذكور ، فواعدت أخواله ، ثم دلّته إليهم في زبيل فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلّتهم عليه ، فأرسلوا إليه فجاءوا به فملكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأنّت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته فسمى الجنود لكلّ مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر ، فسمّى جند الخيرة والأنبار والمسالخ والأبلة . وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزّدجرد المثنى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممّن بين ظهرائيهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كَفَر أهل السّواد ؛ ممّن كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد . فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار ، وتنزل الناس بالطفّ في عسكر واحد حتى جاءهم كتاب عمر :

أما بعد ؛ فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرّقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تدّعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النّجدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه ؛ فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه ، احمّلوا العرب على الجدّ إذ جدّ العجم ؛ فلتلقوا جدّهم بجدّكم .

فنزل المثنى بذي قار ، ونزل الناس بالجلّ وشراف إلى غُضَيّ - وغُضَيّ حيال البصرة - فكان جرير بن عبدالله بغُضَيّ وسبرة بن عمرو والعنبريّ ومن أخذ أخذهم فيمن معه إلى سلمان ، فكانوا في أمواه الطّفّ من أولها إلى آخرها مسالّح بعضهم ينظر إلى بعض ؛ ويُغيث بعضهم بعضاً إن كان كون ، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة .

حدّثنا السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم ، قالوا : كان أول ما عمل به عمر حين بلغه أنّ فارس قد ملكوا يزّدجر ، أن كتب إلى عمّال العرب على الكور والقبائل ، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلى الحجّ ، وحجّ سنواته كلها : لا تدّعوا أحداً له سلاح ، أو فرس ، أو نجدة ، أو رأي إلا انتخبتموه ، ثم وجهتموه إليّ ، والعجل العجل !

فمضت الرّسل إلى من أرسلهم إليهم مخرجه إلى الحجّ ، ووافاه أهل هذا الضّرب من القبائل التي طرّقتها على مكّة والمدينة ، فأما من كان من أهل المدينة على النّصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجّعه من الحجّ ، وأما من كان أسفل من ذلك فانضمّوا إلى المثنى ، فأما من وافى عمر فإنهم أخبروه عمّن وراءهم بالحثّ .

وقال أبو معشر ، فيما حدّثني الحارث ، عن ابن سعد ، عنه . وقال ابن إسحاق - فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عنه : الذي حجّ بالناس سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف .

وقد حدّثني المقدّميّ ، عن إسحاق الفرويّ ، عن عبيدالله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

استعمل عمرُ على الحجَّ عبدَ الرحمن بن عَوْفٍ في السنة التي وليَ فيها، فحجَّ بالناس، ثم حجَّ سنه كلها بعد ذلك بنفسه.

وكان عامل عمر في هذه السنة - على ما ذكر - على مكَّة عَتَّاب بن أُسَيْد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يَعْلى بن مُنْية، وعلى عُمان واليمامة حُذَيْفَة بن مَحْصَن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلى فرج الكوفة وما فتح من أرضها المثنى بن حارثة. وكان على القضاء - فيما ذُكر - عليّ بن أبي طالب. وقيل: لم يكن لعمر في أيامه قاضٍ.

ثم دخلت سنة أربع عشرة

ففي أول يوم من المحرم سنة أربع عشرة - فيما كتب إليّ به السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم - خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى صراراً، فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد؛ أيسر أم يقيم. وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف؛ وكان عثمان يدعى في إمارة عمر رديفاً - قالوا: والرديف بلسان العرب الرجل الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم - وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون، ثلثوا بالعبّاس، فقال عثمان لعمر: ما بلغك؟ ما الذي تريد؟ فنأدى: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إليه، فأخبرهم الخبر. ثم نظر ما يقول الناس، فقال العامة: سرّ وسرّ بنا معك؛ فدخل معهم في رأيهم، وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق، فقال: استعدّوا وأعدّوا فإنّي سائر إلّا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك. ثم بعث إلى أهل الرأي، فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي ﷺ وأعلام العرب، فقال: أحضروني الرأي فإنّي سائر. فاجتمعوا جميعاً، وأجمع ملؤهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم، ويرمي بالجنود، فإن كان الذي يشتهي من الفتح، فهو الذي يريد ويريدون؛ وإلّا أعاد رجلاً ونذّب جنداً آخر؛ وفي ذلك ما يغيب العدو، ويرعوي المسلمون، ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله. فنأدى عمر: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إليه، وأرسل إلى عليّ عليه السلام، وقد استخلفه على المدينة، فأتاه، وإلى طلحة وقد بعثه على المقدّمة، فرجع إليه، وجعل على المجنّبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف، فقام في الناس فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد جمع على الإسلام أهله؛ فألف بين القلوب، وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره؛ وكذلك يحقّ على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم؛ فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر؛ ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم. يا أيها الناس، إني أنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرت هذا الأمر؛ من قدّم ومن خلفت. وكان عليّ عليه السلام خليفته على المدينة، وطلحة على مقدّمته بالأعوص، فأحضرهما ذلك.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد العزيز، قال: لما انتهى قتل أبي عبيد بن مسعود إلى عمر، واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى، نادى في المهاجرين والأنصار؛ وخرج حتى أتى صراراً، وقدم طلحة بن عبيد الله حتى يأتي الأعوص، وسمي

لميمنته عبد الرحمن بن عوف، ولميسرته الزبير بن العوام، واستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة، واستشار الناس، فكلهم أشار عليه بالسَّير إلى فارس، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بصرار ورجع طلحة، فاستشار ذوي الرأي، فكان طلحة ممن تابع الناس، وكان عبد الرحمن ممن ناه، فقال عبد الرحمن: فما فديت أحداً بأبي وأمي بعد النبي ﷺ قبل يومئذ ولا بعده؛ فقلت: يا أبني وأمي، اجعل عجزها بي وأقم وابعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد، فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك؛ وإنك إن تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت ألا يكبر المسلمون وألا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً وهو في ارتياد من رجل؛ وأق كتاب سعدٍ على حَقَف مشورتهم؛ وهو على بعض صدقات نجد، فقال عمر: فأشيروا عليّ برجل، فقال عبد الرحمن؛ وجدته، قال: مَنْ هو؟ قال: الأسد في برائه؛ سعد بن مالك؛ وماله أولو الرأي.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن خُليد بن ذُفَرَة، عن أبيه، قال: كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يزْجَرْد وبيعوثهم، وبحال أهل الذمة. فكتب إليه عمر؛ أن تَنَحَّ إلى البر، وادعُ من يليك، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم؛ حتى يأتِكَ أمري.

وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزُحُوف، وثار بهم أهل الذمة؛ فخرج المثنى بالناس حتى ينزل الطَّف، ففرَّقهم فيه من أوله إلى آخره، فأقام ما بين غُضَي إلى القُطُطانة مسالحه، وعادت مسالِح كسرى وثغوره، واستقرَّ أمر فارس وهم في ذلك هائبون مُشْفِقُونَ، والمسلمون متدَفِّقُونَ قد ضَرُّوا بهم كالأسد يَنَازِع فريسته، ثم يعاود الكرَّ؛ وأمراؤهم يكفكونهم بكتاب عمر وأمداد المسلمين.

كتب إلى السري بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجد، فأقره عمر، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمال حين استنفر الناس أن ينتخب أهل الخيل والسَّلاح ممن له رأي ونجدة. فرجع إليه كتاب سعد بمن جمع الله له من ذلك الضرب؛ فوافق عمر وقد استشارهم في رجل، فأشاروا عليه به عند ذكره.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالوا: كان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس، فجاءه كتاب سعد: إني قد انتخبت لك ألف فارس مؤد كلهم له نجدة ورأي، وصاحب حِيطة يحوط حريم قومه، ويمنع ذمارهم، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم، فشأنك بهم. ووافق كتابه مشورتهم، فقالوا: قد وجدته، قال: فمن؟ قالوا: الأسد عَادِيًا، قال: مَنْ؟ قالوا: سعد، فانتهمي إلى قولهم فأرسل إليه، فقدم عليه، فأمره على حرب العراق وأوصاه. فقال: يا سعد، سعد بني وَهَب؛ لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله؛ فإن الله عز وجل لا يحجو السيء بالسيء؛ ولكنه يحجو السيء بالحسن؛ فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته؛ فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء؛ الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بُعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر. هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حِطَّ عَمَلُكَ؛ وكنت من الخاسرين.

ولما أراد أن يسرحه دعاه، فقال: إني قد ولَّيتُك حرب العراق فاحفظ وصيَّتي فإنك تقدِّم على أمر شديد

كرهه لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير، واستفتح به. وأعلم أن لكل عادة عتاداً، فعتاد الخير الصبر؛ فالصبر على ما أصابك أو نابك؛ يجتمع لك خشية الله. وأعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته؛ وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً؛ منها السر، ومنها العلانية؛ فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواءً، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس؛ فلا تزهد في التجبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم؛ وإن الله إذا أحب عبداً حببه؛ وإذا أبغض عبداً بغضه. فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس، ممن يشرع معك في أمرك. ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين. فخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف؛ ثلاثة ممن قديم عليه من اليمن والسراة؛ وعلى أهل السراة حميضة بن النعمان بن حميضة البارقى؛ وهم بارق والمُع وغامد وسائر إخوانهم؛ في سبعمئة من أهل السراة، وأهل اليمن ألفان وثلاثمئة؛ منهم النخع بن عمرو، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف؛ مقاتلتهم وذرائعهم ونساؤهم؛ وأتاهم عمر في عسكرهم؛ فأرادهم جميعاً على العراق، فأبوا إلا الشام، وأبى إلا العراق، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق، وأمضى النصف الآخر نحو الشام.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن حنش النخعي، عن أبيه وغيره منهم، أن عمر أتاهم في عسكرهم؛ فقال: إن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع، سيروا مع سعد. فنزعوا إلى الشام، وأبى إلا العراق، فأبوا إلا الشام؛ فسرح نصفهم إلى الشام ونصفهم إلى العراق.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمستنير وحنش؛ قالوا: وكان فيهم من حَضَرَمَوْت والصَّدِف ستمائة؛ عليهم شَذَاد بن ضَمْعَج، وكان فيهم ألف وثلاثمئة من مَذْحِج، على ثلاثة رؤساء: عمرو بن معد يكرب على بني منبه، وأبو سبرة بن ذؤيب على جُعْفِي وَمَنْ فِي حِلْف جُعْفِي من إخوة جَزْء وَزُبَيْد وأنس الله وَمَنْ لَهُمْ، ويزيد بن الحارث الصَّدائِي على صُداء وَجَنْب ومُسْلِيَة في ثلاثمئة؛ هؤلاء شهدوا من مَذْحِج فيمن خرج من المدينة تَخْرُج سعد منها، وخرج معه من قيس عِيلَان ألف عليهم بشر بن عبد الله الهلالي.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عُبَيْدة، عن إبراهيم، قال: خرج أهل القادسية من المدينة، وكانوا أربعة آلاف؛ ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألف من سائر الناس.

كتب إلى السري؛ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وسهل، عن القاسم، قالوا: وشيئهم عمر من صرار إلى الأعوص، ثم قام في الناس خطيباً، فقال: إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول، ليحيي به القلوب؛ فإن القلوب مَيِّتة في صدورها حتى يحييها الله؛ مَنْ علم شيئاً فليستفح به؛ وإن للعدل أمارات وتبشير؛ فأما الأمارات فالحياء والسَّخَاء والهَيْن واللَّيْن، وأما التَّبَاشِير فالرَّحمة؛ وقد جعل الله لكل أمراً باباً، ويسر لكل باب مفتاحاً، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد. والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق. ولا تصانع في ذلك أحداً، واكتف بما يكفيك من الكفاف؛ فإن من لم يكفه الكفاف لم يُغْنه شيء. إني بينكم وبين الله؛ وليس بيني وبينه أحد؛ وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه، فأنهوا شكاتكم إلينا؛ فمن لم يستطع فإلى من

يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع. وأمر سعداً بالسَّير، وقال: إذا انتهيتَ إلى زُرود فانزِل بها؛ وتفرَّقوا فيما حولها، واندب من حولك منهم، وانتخب أهل النجدة والرأي والقوة والعُدَّة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سُوقَة، عن رجل، قال: مرّت السَّكون مع أول كِنْدَة مع حُصَيْن بن مُنِير السَّكوني ومعاوية بن حُذَيْج في أربعمائه؛ فاعترضهم؛ فإذا فيهم فتية دُم سباط مع معاوية بن حُذَيْج، فأعرض عنهم، ثم أعرض، ثم أعرض؛ حتى قيل له: مالك ول هؤلاء! قال: إني عنهم لمتردّد، وما مرّ بي قوم من العرب أكره إليّ منهم. ثم أمضاهم، فكان بعد يُكثر أن يتذكّرهم بالكراهية، وتعبّب الناس من رأي عمر. وكان منهم رجل يقال له سودان بن حُمران، قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد بن مُلَجَم، قتل عليّ بن أبي طالب رحمه الله؛ وإذا منهم معاوية بن حُذَيْج؛ فنهض في قوم منهم يتبع قتل عثمان يقتلهم؛ وإذا منهم قوم يُقرون قتل عثمان.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، عن ماهان، وزيد بإسناده، قالوا: وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بالفيّ يمانٍ وألفي نجدتي مؤدّ من غطفان وسائر قيس، فقدم سعد زُرود في أول الشتاء، فنزلها وتفرّقت الجنود فيما حولها من أمواه بني تميم وأسد، وانتظر اجتماع الناس، وأمر عمر، وانتخب من بني تميم والرَّباب أربعة آلاف؛ ثلاثة آلاف تميمي وألف ربيّ؛ وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف، وأمرهم أن ينزلوا على حدّ أرضهم بين الحزن والبسيطة، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة، وكان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة بستة آلاف من بكر بن وائل، وألفان من سائر ربيعة؛ أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد، وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر. وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَجيلة، وألفان من قُضاعة وطيمّ ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك، على طيمّ عدي بن حاتم، وعلى قُضاعة عمرو بن وبرة، وعلى بَجيلة جرير بن عبد الله؛ فبينما الناس كذلك؛ سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى، والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر، انتقضت به؛ فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الحصاصية، وسعد يومئذ بزُرود، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر، منهم فُرات بن حيّان العجليّ وعتيبة، فردّهم مع سعد.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بإسناده، وزيد عن ماهان، قالوا: فمن أجل ذلك اختلف الناس في عدد أهل القادسية، فمن قال: أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة، ومن قال: ثمانية آلاف فلا اجتماعهم بزُرود، ومن قال: تسعة آلاف فللحاق القيسيين، ومن قال: اثنا عشر ألفاً فلدفوف بني أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف. وأمر سعداً بالإقدام، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشراف، وقدم عليه مع قدومه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن؛ فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً، وجميع من قُسم عليه فيء القادسية نحو من ثلاثين ألفاً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عمير، عن زياد، عن جرير، قال: كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام؛ وكانت مَضَر تنزع إلى العراق، فقال عمر: أرحامكم أرسخ من أرحامنا! ما بال مَضَر لا تذكر أسلافها من أهل الشام!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سعد بن المرزبان، عمّن حدّثه، عن محمد بن

حذيفة بن اليمان، قال: لم يكن أحدٌ من العرب أجراً على فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس، وكانت العرب في جاهليتها تسمّي فارس الأسد، والروم الأسد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن ماهان، قال: قال عمر: والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب؛ فلم يدعُ رئيساً، ولا ذا رأي، ولا ذا شرف، ولا ذا سيطرة، ولا خطيباً، ولا شاعراً؛ إلّا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغرّهم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحلّة من زُرود؛ أن ابعث إلى فرج الهند رجلاً ترضاه يكون بحiale، ويكون رداءً لك من شيء إن أتاك من تلك التّخوم؛ فبعث المغيرة بن شعبة في خمسمائة؛ فكان بحيال الأبلّة من أرض العرب؛ فأق غُضياً، ونزل على جرير؛ وهو فيها هنالك يومئذ. فلما نزل سعد بشراف، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضيّ إلى الجبّانة، فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فعشّر النّاس وعرف عليهم، وأمر على أجنادهم، وعبهم، ومُر رؤساء المسلمين فليشهدوا، وقدرهم وهم شهود؛ ثم وجههم إلى أصحابهم، وواعدهم القادسيّة؛ واضمم إليك المغيرة بن شعبة في خيله؛ واكتب إليّ بالذي يستقرّ عليه أمرهم.

فبعث سعد إلى المغيرة؛ فانضمّ إليه وإلى رؤساء القبائل، فأتوه، فقدرّ الناس وعبّاهم بشراف، وأمر أمراء الأجناد، وعرف العرفاء؛ فعرف على كلّ عشرة رجلاً، كما كانت العِرافات أزمان النبي ﷺ، وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمر على الرايات رجالاً من أهل السابقة، وعشّر الناس، وأمر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام، وولّى الحروب رجلاً، فولّى على مقدّماتها ومجنّباتها وساققتها ومجرّداتها وطلائعها ورجلها ورُكبانها، فلم يفصل إلّا على تعبئة، ولم يفصل منها إلّا بكتاب عمر وإذنه؛ فأما أمراء التعبئة، فاستعمل زُهرة بن عبدالله بن قتادة بن الحويّة بن مرثد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشم بن الحارث الأعرج؛ وكان ملك هجر قد سوّده في الجاهليّة، ووفّده على النبي ﷺ، فقدمه، ففصل بالمقدّمات بعد الإذن من شراف؛ حتى انتهى إلى العذيب، واستعمل على الميمنة عبدالله بن المَعْتَم، وكان من أصحاب النبي ﷺ؛ وكان أحد التسعة الذين قدّموا على النبي ﷺ، فتّمهم طلحة بن عبيدالله عشرة؛ فكانوا عِرافة، واستعمل على الميسرة شُرّحيل بن السّمط بن شُرّحيل الكنديّ - وكان غلاماً شاباً، وكان قد قاتل أهل الرّدة، ووفّى الله، فعرف ذلك له، وكان قد غلب الأشعث على الشّرف فيما بين المدينة؛ إلى أن اختطّت الكوفة وكان أبوه ممّن تقدّم إلى الشّام مع أبي عبيدة بن الجراح - وجعل خليفته خالد بن عُرْفطة، وجعل عاصم بن عمرو التميميّ ثم العمريّ على الساقة، وسواد بن مالك التميميّ على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهليّ على المجردة، وعلى الرّجل، حمّال بن مالك الأسديّ، وعلى الرّكبان عبدالله بن ذي السهمين الحثعميّ، فكان أمراء التعبئة يُلون الأمير، والذين يُلون أمراء الأعشار، والذين يُلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يُلون أصحاب الرايات والقوادر رؤوس القبائل، وقالوا جميعاً: لا يستعين أبو بكر في الرّدة ولا على الأعاجم بمرتد، واستنفرهم عمر ولم يولّ منهم أحداً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مُجالد وعمرو بإسنادهما، وسعيد بن المرزبان، قالوا: بعث عمر الأطبّة، وجعل على قضاء النّاس عبد الرحمن بن ربيعة الباهليّ ذا النور، وجعل إليه الأقباض وقسمة

الفيء، وجعل داعيتهم وراندهم سلمان الفارسي.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن أبي عثمان النهدي؛ قال: والترجمان هلال الهجري والكاتب زياد بن أبي سفيان. فلما فرغ سعد من تعبته، وعدّ لكل شيء من أمره جماعاً ورأساً، كتب بذلك إلى عمر، وكان من أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالذي جمع عليه الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شراف إلى القادسية قدوم المعنى بن حارثة وسلمى بنت خصفة التيمية؛ تيم اللات، إلى سعد بوصية المثنى، وكان قد أوصى بها، وأمرهم أن يعجلوها على سعد بزود، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر؛ وذلك أن الأزادمر بن الأزادبه بعثه إلى القادسية، وقال له: ادع العرب، فأنت على من أجابك، وكن كما كان آباؤك. فنزل القادسية، وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكتبهم به مقارنة ووعيداً. فلما انتهى إلى المعنى خبره، أسرى المعنى من ذي قار حتى بيته، فأنامه ومن معه، ثم رجع إلى ذي قار، وخرج منها هو وسلمى إلى سعد بوصية المثنى بن حارثة ورأيه، فقدموا عليه وهو بشراف، يذكر فيها أن رأيه لسعد ألا يقاتل عدوه وعدوهم - يعني المسلمين - من أهل فارس؛ إذا استجمع أمرهم وملؤهم في عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حَجَر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم؛ وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم، وأجرأ على أرضهم؛ إلى أن يرد الله الكرة عليهم.

فلما انتهى إلى سعد رأي المثنى ووصيته ترخم عليه، وأمر المعنى على عمله، وأوصى بأهل بيته خيراً، وخطب سلمى فتزوجها وبني بها؛ وكان في الأعشار كلها بضعة وسبعون بدرهما، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صُحبة، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممن شهد الفتح، وسبعمائة من أبناء الصحابة، في جميع أحياء العرب. وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بمثل رأي المثنى؛ وقد كتب إلى أبي عبيدة مع كتاب سعد؛ ففصل كتاباهما إليهما، فأمر أبا عبيدة في كتابه بصرف أهل العراق وهم ستة آلاف، ومن انتهى أن يلحق بهم؛ وكان كتابه إلى سعد:

أما بعد، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين؛ وتوكل على الله، واستعن به على أمرك كله؛ واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير، وعدتهم فاضلة، وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع - وإن كان سهلاً - كؤود لبحوره وفيوضه ودآئته؛ إلا أن توافقوا غيضاً من فيض. وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدأوهم الشد والضرب، وإياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخذعنكم؛ فإنهم خدعة مكره؛ أمرهم غير أمركم؛ إلا أن تجادوهم، وإذا انتهيت إلى القادسية - والقادسية باب فارس في الجاهلية، وهي أجمع تلك الأبواب لما دأبهم، ولما يريدونه من تلك الأصل؛ وهو منزل رغب خصيب حصين دونه قناطر، وأنهار ممتعة - فتكون مسالحك على أنفابها، ويكون الناس بين الحَجَر والمدّر على حافات الحَجَر وحافات المدّر، والجراخ بينهما؛ ثم الزم مكانك فلا تبرحه؛ فإنهم إذا أحسوك أنغصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدّهم؛ فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونوitem الأمانة؛ رجوت أن تنصروا عليهم؛ ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا؛ وليست معهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحَجَر في أدباركم؛ فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حَجَر من أرضكم؛ ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل؛ حتى يأتي الله بالفتح عليهم، ويرد لكم الكرة.

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرتحل فيه من شَرَف: فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عُذَيْب الهِجانات وعُذَيْب القوادس، وشرّق بالناس وغرب بهم.

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر: أما بعد، فتعاهد قلبك، وحادث جندك بالموعظة والنّية والحسبة، ومن غفل فليحذّثهما؛ والصبر الصبر؛ فإنّ المعونة تأتي من الله على قدر النّية؛ والأجر على قدر الحسبة. والحذر الحذر على مَنْ أنت عليه وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية، وأكثرُوا من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وكتب إليّ أين بلغك جمعهم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؛ فإنه قد منعي من بعض ما أردت الكتاب به قلّة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقرّ عليه أمر عدوكم؛ فصِف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفّة كآني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجليّة، وخف الله وارجه، ولا تدبّ بشيء. واعلم أنّ الله قد وعدكم. وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له؛ فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم.

فكتب إليه سعد بصفة البلدان: إنّ القادسيّة بين الخندق والعتيق، وإنّ ما عن يسار القادسيّة بحر أخضر في جوف لآح إلى الحيرة بين طريقين؛ فأما أحدهما فعلى الظّهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يُدعى الحُضوض؛ يطلع بمن سلكه على ما بين الحورنق والحيرة؛ وما عن يمين القادسيّة إلى الوَلجة فيض من فيوض مياههم. وإنّ جميع من صالح المسلمين من أهل السّواد قبلي ألب لأهل فارس قد خفّوا لهم، واستعدّوا لنا. وإنّ الذي أعدّوا لمصادمتنا رُستم في أمثال له منهم؛ فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا؛ ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم؛ وأمر الله بعد ما مضى؛ وقضاؤه مسلم إلى ما قدّر لنا وعلينا؛ فنسأل الله خير القضاء، وخير القدر في عافية.

فكتب إليه عمر: قد جاءني كتابك وفهمته، فأقيم بمكانك حتى يُنغض الله لك عدوك؛ واعلم أنّ لها ما بعدها، فإنّ منحك الله أديبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن؛ فإنه خرابها إن شاء الله.

وجعل عمر يدعو لسعد خاصّة، ويدعون له معه، وللمسلمين عامة، فقدّم زهرة سعد حتى عسكر بعُذَيْب الهِجانات، ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعُذَيْب الهِجانات، وقدمه، فنزل زهرة القادسيّة بين العتيق والخندق بحيال القنطرة؛ وقدّيس يومئذ أسفل منها بميل.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن القعقاع بإسناده، قال: وكتب عمر إلى سعد: إنّني قد ألقيت في روعي أنّكم إذا لقيتم العدو هزمتهم، فاطرحوا الشك، وآثروا التقيّة عليه؛ فإنّ لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان، فكان لا يدري الأعجمي ما كلّمه به، وكان عندهم أماناً، فأجروا ذلك له مجرى الأمان. وإياكم والضّحك والوفاء الوفاء! فإنّ الخطأ بالوفاء بقية وإنّ الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنكم وقوة عدوكم، وذهاب ريحكم، وإقبال ريحهم. واعلموا أنّي أحذركم أن تكونوا شيئاً على المسلمين وسبباً لتوهمهم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن مُسلم العُكَلِيّ والمقدام بن أبي المقدام، عن أبيه، عن كُرب بن أبي كُرب العُكَلِيّ - وكان في المقدمات أيام القادسيّة - قال: قدّمنا سعد من شَرَف، فنزلنا بعُذَيْب الهِجانات ثم ارتحل؛ فلما نزل علينا بعُذَيْب الهِجانات وذلك في وجه الصُّبح خرج زهرة بن الحويّة في المقدمات، فلما رُفِع لنا العُذَيْب - وكان من مسالحهم - استبنا على بروج ناساً، فما نشأ أن نرى على برج من بروج رجلاً أو بين شُرفتين إلّا رأيناه، وكنا في سرعان الخيل، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كثف ونحن نرى أنّ فيها

خيلاً، ثم أقدمنا على العذيب، فلما دنونا منه، خرج رجل يركض نحو القادسية، فأنتهينا إليه، فدخلناه فإذا ليس فيه أحد؛ وإذا ذلك الرجل هو الذي كان يتراءى لنا على البروج وهو بين الشرف مكيدة، ثم انطلق بخبرنا، فطلبناه فأعجزنا، وسمع بذلك زهرة فأتبعنا، فلحق بنا وخلفنا وأتبعه. وقال: إن أفلت الربى أتاها الخبر. فلحقه بالخذق فطعنه فجذله فيه، وكان أهل القادسية يتعجبون من شجاعة ذلك الرجل، ومن علمه بالحرب، لم ير عين قوم قط أثبت ولا أربط جأشاً من ذلك الفارسي، لولا بُعد غايته لم يلحق به، ولم يصبه زهرة، ووجد المسلمون في العذيب رماحاً ونشاباً وأسفاطاً من جلود وغيرها، انتفع بها المسلمون. ثم بث الغارات، وسرحهم في جوف الليل، وأمرهم بالغارة على الحيرة، وأمر عليهم بكثير بن عبدالله الليثي - وكان فيها الشماخ الشاعر القيسي في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس - فسروا حتى جازوا السيلحين، وقطعوا جسرها يريدون الحيرة، فسمعوا جلبة وأزفلة، فأحجموا عن الإقدام، وأقاموا كميناً حتى يتبينوا، فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم، فإذا خيول تقدم تلك الغوغاء، فتركوها فنفذت الطريق إلى الصنن، وإذا هم لم يشعروا بهم؛ وإنما ينتظرون ذلك العين لا يريدونهم، ولا يأبهون لهم، إنما همتهم الصنن، وإذا أخت آزاد مرذ بن آزاد به مرزبان الحيرة نزلت إلى صاحب الصنن - وكان من أشرف العجم - فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا؛ فلما انقطعت الخيل عن الزواف، والمسلمون كمين في النخل، وجازت بهم الأتقال، حمل بكير على شيرزاد بن آزاد به، وهو بينها وبين الخيل، فقصم صلبه، وطارت الخيل على وجوهها، وأخذوا الأتقال وابنة آزاد به في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع، ومعهم مالا يدرى قيمته، ثم عاج واستاق ذلك، فصبح سعداً بعذيب الهجانات بما أفاء الله على المسلمين، فكبروا تكبيرة شديدة. فقال سعد: أقسم بالله لقد كبرتكم تكبيرة قوم عرفت فيهم العز، فقسم ذلك سعد على المسلمين فالخمس نفعه، وأعطى المجاهدين بقيته، فوقع منهم موقعاً، ووضع سعد بالعذيب خيلاً تحوط الحريم، وانضم إليها حاطة كل حريم، وأمر عليهم غالب بن عبدالله الليثي، ونزل سعد القادسية، فنزل بقديس، ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم؛ وبعث بخبر سرية بكير، وبنزوله قديساً، فأقام بها شهراً، ثم كتب إلى عمر: لم يوجه القوم إلينا أحداً، ولم يسندوا حرباً إلى أحد علمناه، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به؛ واستنصر الله، فإننا بمنحة دنيا عريضة؛ دونها بأس شديد؛ قد تقدم إلينا في الدعاء إليهم، فقال: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (١).

وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتى أتى ميسان، فطلب غنماً أو بقرأ فلم يقدر عليها، وتحصن منه من في الأفدان، ووغلوا في الآجام، ووغل حتى أصاب رجلاً على طف أجمة! فسأله واستدله على البقر والغنم، فحلف له وقال: لا أعلم؛ وإذا هو راعي ما في تلك الأجمة، فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء؛ فدخل فاستاق الثيران وأتى بها العسكر، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياماً؛ وبلغ ذلك الحجاج في زمانه، فأرسل إلى نفر من شهداء أحدهم نذير بن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر، فسألهم فقالوا: نعم، نحن سمعنا ذلك، ورأينا واستقناها، فقال: كذبتهم! فقالوا: كذلك؛ إن كنت شهدتها وغبنا عنها، فقال: صدقتم، فما كان الناس يقولون في ذلك؟ قالوا: آية تبشیر يستدل بها على رضا الله، وفتح عدونا؛ فقال: والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء، قالوا: والله ما ندري ما أجنت قلوبهم؛ فأما ما

رأينا فإننا لم نَرَقوماً قطُّ أزهَدَ في دنيا منهم ، ولا أشدَّ لها بُغْضاً ؛ ما اعتدَّ على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث ؛ لا بـجُبْن ولا بغدر ولا بغُلُول ؛ وكان هذا اليوم يوم الأباقر ؛ وبثَّ الغارات بين كَسَكِر والأَنْبار ، فحوَّوا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زماناً ، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صلُوبا ، ليعلموا له خبر أهل فارس ؛ فرجعوا إليه بالخبر ؛ بأن الملك قد ولَّى رُستم بن الفَرَخَزاذ الأَرَمَنِي حَرْبَهُ ، وأمره بالعسكرة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : لا يكرُبُنْكَ ما يأتِيكَ عنهم ، ولا ما يأتونكَ به ؛ واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالا من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه ، فإنَّ الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، ولجأ عليهم ؛ واكتب إليَّ في كلِّ يوم . ولما عسكر رُستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر .

كتب إليَّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضَمْرَةَ ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبي خالد عن قَيْس بن أبي حازم ، قالوا : لما بلغ سعداً فصولُ رستم إلى ساباط ، أقام في عسكره لاجتماع الناس ؛ فأما إسماعيل فإنه قال : كتب إليه سعد أنَّ رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا ؛ وأما أبو ضَمْرَةَ فإنه قال : كتب إليه أنَّ رستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزُهاء فارس ، وليس شيء أهمُّ إليَّ ولا أنا له أكثر ذكراً مِنِّي لما أحببت أن أكون عليه ؛ ونستعين بالله ، ونتوكل عليه ، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت .

كتب إليَّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد بإسنادهما ، وسعيد بن المرزبان ؛ أن سعد بن أبي وقاص حين جاءه أمرُ عمر فيهم ، جمع نفرأ عليهم نِجار ، ولهم آراء ، ونفرأ لهم منظر ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فأما الذين عليهم نِجار ولهم آراء ولهم اجتهد فالنعمان بن مقرن ويُسْر بن أبي رُهم وحَمْلَة بن جُويَّة الكِناني وحَنْظَلَة بن الربيع التميمي وفُرات بن حَيَّان العَجَلِي وعدي بن سُهيل والمغيرة بن النُّبَّاش بن حبيب ؛ وأما مَنْ لهم منظر لأجسامهم ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فَعُطارد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حَسَّان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة ؛ فبعثهم دُعاةً إلى الملك .

حدثني محمد بن عبدالله بن صَفْوان الثَّقَفِي ، قال : حدَّثنا أُمَيَّة بن خالد ، قال : حدَّثنا أبو عوانة ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسيَّة ، ومعه النَّاس ، قال : لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً أو نحو ذلك . فقالوا لنا : لا يدي لكم ولا قوَّة ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا ، قال : قلنا : لا نرجع ؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من بُنْلنا ، ويقولون : «دوك دوك» ، ويشبهونها بالمغازل . قال : فلما أبينا عليهم أن نرجع ، قالوا : ابعثوا إلينا رجلاً منكم ، عاقلاً يبين لنا ما جاء بكم ؛ فقال المغيرة بن شعبة : أنا ، فَعَبَّر إليهم ، فقعد مع رستم على السرير ، فنخروا وصاحوا ، فقال : إنَّ هذا لم يزدني رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم : صدقت ، ما جاء بكم ؟ قال : إنَّا كنَّا قوماً في شرٍّ وضلالة ؛ فبعث الله فينا نبياً ، فهدانا الله به ورزقنا على يديه ؛ فكان ممَّا رزقنا حَبَّة زُعمت تُنبئ بهذا البلد ؛ فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحَبَّة ، فقال رستم : إذاً نقتلكم ، فقال : إن قتلتمونا دَخَلْنَا الجَنَّة ، وإن قتلناكم دخلتم النار ؛ أو أدبتم الجزية . قال : فلما قال : أدبتم الجزية ، نخروا وصاحوا ، وقالوا : لا صلح بيننا وبينكم ، فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟

فقال رستم: بل نعبر إليكم، فاستأخر المسلمون حتى عبر منهم من عبر، فحملوا عليهم فهزموهم.

قال حصين: فحدثني رجل منا يقال له عبيد بن جحش السلمي، قال: لقد رأيتنا وإننا لنطأ على ظهور الرجال، ما مسهم سلاح، قتل بعضهم بعضاً، ولقد رأيتنا أصبنا جراباً من كافور، فحسبناه ملحاً لا نشك أنه ملح؛ فطبخنا لحماً، فجعلنا نلقيه في القدر فلا نجد له طعماً، فمر بنا عبادي معه قميص فقال: يا معشر المعربين، لا تفسدوا طعامكم؛ فإن ملح هذه الأرض لا خير فيه، هل لكم أن تأخذوا هذا القميص به؟ فأخذناه منه، وأعطيناه منا رجلاً يلبسه، فجعلنا نطيف به ونعجب منه، فلما عرفنا الثياب، إذا ثمن ذلك القميص درهمان. قال: ولقد رأيتني أقرب إلى رجل عليه سواران من ذهب، وسلاحه، فجاء فما كلمته حتى ضربت عنقه.

قال: فانهزموا حتى انتهوا إلى الصّرة؛ فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن؛ فكان المسلمون بكوثي وكان مسلحة المشركين بدّير المسلاخ، فأتاهم المسلمون فالتقوا، فهزم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دجلة، فمنهم من عبر من كلوآدى، ومنهم من عبر من أسفل المدائن، فحصرهم حتى ما يجدون طعاماً يأكلونه، إلاّ كلابهم وسنانيرهم. فخرجوا ليلاً، فلحقوا بجلولاء، فأتاهم المسلمون؛ وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة، وموضع الوقعة التي ألحقهم منها فريد. قال أبو وائل: فبعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على أهل الكوفة، ومجاشع بن مسعود على أهل البصرة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، وطلحة عن المغيرة، قالوا: فخرجوا من العسكر حتى قدموا المدائن احتجاجاً ودُعاةً ليزدجرد، فطوّوا رستم، حتى انتهوا إلى باب يزْدَجَرْد، فوقفوا على خيول عُروَات، معهم جنائب، وكلّها صهال، فاستأذنوا فحبسوا، وبعث يزيدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضه يستشيرهم فيما يصنع بهم، ويقول لهم، وسمع بهم الناس فحَضَرُوهم ينظرون إليهم، وعليهم المقطعات والبرود، وفي أيديهم سيّاط دقاق، وفي أرجلهم النعال. فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن بنت كيسان الضبيّة، عن بعض سبايا القادسيّة من حسن إسلامه، وحضر هذا اليوم الذي قدم فيه وفود العرب. قال: وثاب إليهم الناس ينظرون إليهم؛ فلم أر عشرة قط يعدلون في الهيئة بألف غيرهم، وخيلهم تحبّط ويوعدها بعضها بعضاً. وجعل أهل فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم؛ فلما دخلوا على يزْدَجَرْد أمرهم بالجلوس؛ وكان سيّء الأدب، فكان أوّل شيء دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم فقال: سلّمهم ما يسمّون هذه الأردية؟ فسأل النعمان - وكان على الوفد: ما تسمّي رداءك؟ قال: البرد، فتطيروا قال: «برْدجهان»، وتغيّرت ألوان فارس وشقّ ذلك عليهم. ثم قال: سلّمهم عن أحذيتهم، فقال: ما تسمّون هذه الأحذية؟ فقال: النعال، فعاد لمثلها، فقال: «ناله ناله» في أرضنا، ثم سأله عن الذي في يده فقال: سوط، والسوط بالفارسيّة الحريق، فقال: أحرّقوا فارس أحرّقهم الله! وكان تطيّرهم على أهل فارس، وكانوا يجدون من كلامه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، بمثله وزاد: ثم قال الملك: سلّمهم ما جاء بكم؟ وما دعاكم إلى عزّونا والولوع ببلادنا؟ أمّن أجل. أنا أجمناكم، وتشاغلنا عنكم، اجترأتم علينا! فقال لهم النعمان بن مقرن: إن شئتم أحببت عنكم؛ ومن شاء أثرته. فقالوا: بل تكلم، وقالوا للملك: كلام

هذا الرجل كلامنا. فتكلم النعمان، فقال: إن الله رحمننا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به، ويعرفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة؛ فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين؛ فرقة تقاربه، وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص. فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب؛ وبدأ بهم وفعل؛ فدخلوا معه جميعاً على وجهين: مكره عليه فاغتبط؛ وطائع أتاه فازداد؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق؛ ثم أمرنا أن نبداً بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسن الحسَن وقبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء؛ فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتهم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم؛ وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم؛ وإلا قاتلناكم.

قال: فتكلم يزّجرد، فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم؛ قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم. لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددٌ لحق فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خضبتكم؛ وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم.

فأسكت القوم. فقام المغيرة بن زُرارة بن النباش الأسيدي، فقال: أيها الملك، إن هؤلاء رؤوس العرب وجوئهم؛ وهم أشراف يستحيون من الأشراف؛ وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخّم الأشراف الأشراف؛ وليس كلّ ما أرسلوا به جمعه لك، ولا كلّ ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك؛ فجاءني لأكون الذي أبلغك، ويشهدون على ذلك؛ إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات؛ فنرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحداً ليُدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا؛ فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً، نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده؛ فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا؛ وقبيلته خير قبائلنا؛ وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا؛ فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد قبل ترّب كان له وكان الخليفة من بعده، فقال وقلنا: وصدق وكذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فخذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه؛ فصار فيما بيننا وبين رب العالمين؛ فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله؛ فقال لنا: إن ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كل شيء، وإليّ يصير كل شيء، وإن رحمتي أدرتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأجلّكم داري؛ دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال: من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم. فمن قُتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه؛ فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر؛ وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك. فقال: أتستقبلني بمثل هذا!

فقال: ما استقبلتُ إلا مَنْ كَلَّمَنِي، ولو كَلَّمَنِي غَيْرُكَ لم أَسْتَقْبِلْكَ به. فقال: لولا أَنَّ الرسل لا تُقْتَل لَقَتَلْتُكُمْ؛ لا شيء لكم عندي، وقال: ائتوني بوقر من تراب، فقال: احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أَنِّي مرسل إليكم رستم حتى يُدْفِئَكُمْ ويدْفِئَهُ في خندق القادسيَّة، وينكل به وبكم من بعد، ثم أوردته بلادكم، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدَّ ممَّا نالكم من سابور.

ثم قال: مَنْ أَشْرَفُكُمْ؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو - وافئات ليأخذ التراب: أنا أشرفهم، أنا سيِّد هؤلاء فحملني، فقال: أكذاك؟ قالوا: نعم، فحملته على عنقه، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها؛ ثم انجذب في السَّير، فأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمرَّ بباب قُدَيْس فطواه، فقال: بَشِّرُوا الأميرَ بِالظَّفَر، ظفرنا إن شاء الله. ثم مضى حتَّى جعل التراب في الحِجْر، ثم رجع فدخل على سعد، فأخبره الخبر فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليدَ ملكهم.

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كلِّ يوم قوَّة، ويزداد عدوُّهم في كلِّ يوم وهناً، واشتدَّ ما صنع المسلمون، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك، وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عمَّا كان من أمره وأمرهم، وكيف رآهم، فقال الملك: ما كنتُ أرى أَنَّ في العرب مثل رجال رأيتم دخلوا عليَّ وما أنتم بأعقل منهم، ولا أحسن جواباً منهم؛ وأخبره بكلام متكلِّمهم، وقال: لقد صدَّقني القوم، لقد وعد القوم أمراً ليُدرِكُنَّه أو ليموتنَّ عليه، على أَنِّي قد وجدت أفضلهم أحقَّهم، لمَّا ذكروا الجزية أعطيتُهم تراباً فحملته على رأسه، فخرج به، ولو شاء اتَّقَى بغيره؛ وأنا لا أعلم.

قال: أيها الملك، إنه لأعقلهم، وتطير إلى ذلك، وأبصرها دون أصحابه.

وخرج رستم من عنده كثيراً غضبان - وكان منجهاً كاهناً - فبعث في أثر الوفد، وقال لثقتة: إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، وإن أعجزوه سلبكم الله أرضكم وأبناءكم. فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك، ما كان من شأن ابن الحِجامة المُلْك! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا! فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظاً. وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى يَزْدَجَرْد، إلى أن جاءوا إلى صيَّادين قد اصطادوا سمكاً، وسار سواد بن مالك التيمي إلى النجاف والفِراض إلى جنبها، فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور، فأوقروها سمكاً، واستاقوها، فصبَّحوا العسكر، فقسم السَّمَك بين النَّاس سعد، وقسم الدواب، ونفل الخمس إلا ما رُدَّ على المجاهدين منه، وأسهم على السَّبي؛ وهذا يوم الحيتان، وقد كان الأزامرد بن الأزاذبه خرج في الطَّلَب، فعطَّف عليه سواد وفوارس معه، فقاتلهم على قنطرة السَّيلحين؛ حتى عرفوا أَنَّ الغنيمة قد نجت، ثم اتَّبَعوها فأبلغوها المسلمين، وكانوا إنمَّا يقرمون إلى اللحم؛ فأما الحنطة والشعير والتمر والحبوب؛ فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زماناً؛ فكانت السَّرايا إنمَّا تسري للحوم، ويسمُّون أيامها بها، ومن أيَّام اللحم يومُ الأباقر ويوم الحيتان. وبعث مالك بن ربيعة بن خالد التيمي؛ تيم الرِّباب، ثم الوائلي ومعه المساور بن النعمان التيمي ثم الرُّبيعي في سرية أخرى؛ فأغاروا على القيوم؛ فأصابا إبلاً لبني تغلب والنَّصر فشلاها ومن فيها، فغدوا بها على سعد، فنجرت الإبل في النَّاس. وأخصبوا، وأغاروا على النَّهرين عمرو بن الحارث، فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة، فسلكوا أرض شَيْلَى - وهي اليوم نهر زياد - حتى أتوا بها العسكر.

وقال عمرو: ليس بها يومئذ إلا نهران. وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسية سنتان وشيء. وكان مقام سعد بها شهرين وشيئاً حتى ظفر.

قال - والإسناد الأول - : وكان من حديث فارس والعرب بعد البويب أن الأنوشجان بن الهربذ خرج من سواد البصرة يريد أهل غضي، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم؛ وهم بإزائهم: المستورد وهو على الرباب، وعبدالله بن زيد يسانده؛ الرباب بينهما، وجزء بن معاوية وابن النابغة يسانده؛ سعد بينهما، والحصين بن نيار والأعور بن بشامة يسانده على عمرو، والحصين بن معبد والشبه على حنظلة، فقتلوه دونهم. وقدم سعد فانضموا إليه هم وأهل غضي وجميع تلك الفرق.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو بإسنادهم، قالوا: وعج أهل السواد إلى يزدرج بن شهریار، وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب، وإن فعل العرب منذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء؛ وقد أحربوا ما بينهم وبين الفرات؛ وليس فيما هنالك أنيس إلا في الحصون، وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحمله الحصون من الأطعمة، ولم يبق إلا أن يستنزِلونا، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا. وكتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف، وأعانوهم عليه، وهيجوه على بعثه رستم.

ولما بدا ليزدرج أن يرسل رستم أرسل إليه، فدخل عليه، فقال له: إني أريد أن أوجهك في هذا الوجه؛ وإنما يعدد للأمور على قدرها، وأنت رجل أهل فارس اليوم، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أردشير. فأراه أن قد قبل منه، وأثنى عليه.

فقال له الملك: قد أحب أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك، فصف لي العرب وفعلهم منذ نزلوا القادسية، وصف لي العجم وما يلقون منهم.

فقال رستم: صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت. فقال: ليس كذلك؛ إني إنما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تصب، فافهم عني؛ إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوي إليه الطير بالليل، فتبيت في سفحه في أوكارها، فلما أصبحت تجلت الطير، فأبصرته يرقبها، فإن شد منها شيء اختطفه، فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته؛ وجعلت كلما شد منها طائر اختطفه، فلو نهضت نهضة واحدة ردت؛ وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجو كلها إلا واحداً؛ وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت؛ فهذا مثلهم ومثل الأعاجم؛ فاعمل على قدر ذلك. فقال له رستم: أيها الملك، دعي؛ فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تُضرمهم بي؛ ولعل الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كفى، ونكون قد أصبنا المكيدة ورأي الحرب؛ فإن الرأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر. فأبى عليه وقال: أي شيء بقي! فقال رستم: إن الأناة في الحرب خير من العجلة، وللأناة اليوم موضع، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بكرة وأشد على عدونا. فلج وأبى، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط، وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى موضعاً لإعفائه وبعثه غيره، ويجمع إليه الناس. وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبل الحيرة وبني صلوبا، وكتب إلى عمر بذلك. ولما كثرت الاستغاثة على يزدرج من أهل السواد على يدي الأزادمر بن الأزادبه جشعت نفسه، واتقى الحرب برستم، وترك الرأي - وكان ضيقاً لجوجاً - فاستحث رستم، فأعاد عليه رستم القول، وقال: أيها الملك؛ لقد

اضطرنى تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها؛ ولو أجذ من ذلك بدءاً لم أتكلّم به، فأشدك الله في نفسك وأهلك ومُلكك؛ دعني أقم بعسكري وأسرح الجالنوس؛ فإن تكن لنا فذلك؛ وإلا فانا على رجل وأبعث غيره، حتى إذا لم نجد بدءاً ولا حيلة صَبَرْنَا لهم؛ وقد وهَّناهم وحسّرناهم ونحن جامئون. فأبى إلا أن يسير.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السريّ الضبيّ، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: لما نزل رستم بساباط، وجمع آلة الحرب وأداتها بعث على مقدّمته الجالنوس في أربعين ألفاً، وقال: ازحف زحفاً، ولا تنجذب إلا بأمرى؛ واستعمل على ميمته الهرمزان، وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازيّ، وعلى ساقته البيرزان، وقال رستم ليشجع الملك: إن فتح الله علينا القوم فهو وجهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم، إلى أن يقبلوا المسألة أو يرضوا بما كانوا يرضون به. فلما قدمت وفود سعد على الملك، ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهاها، وأحسن بالشرّ، وكره لها الخروج ولقاء القوم، واختلف عليه رأيه واضطرب. وسأل الملك أن يُضيّ الجالنوس ويُقيم حتى ينظر ما يصنعون، وقال: إن غناء الجالنوس كغنائى، وإن كان اسمي أشدّ عليهم من اسمه، فإن ظفّر فهو الذي نريد، وإن تكن الأخرى وُجّهت مثله، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما؛ فإني لا أزال مرجوًّا في أهل فارس، ما لم أهرّم ينشطون، ولا أزال مهيباً في صدور العرب؛ ولا يزالون يهابون الإقدام ما لم أباشرهم؛ فإن باشرتهم اجترؤوا آخر دهرهم، وانكسر أهل فارس آخر دهرهم. فبعث مقدّمته أربعين ألفاً؛ وخرج في ستين ألفاً، وساقته في عشرين ألفاً.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم؛ قالوا: وخرج رستم في عشرين ومائة ألف، كلهم متبوع، وكانوا بأتباعهم أكثر من مائتي ألف، وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رستم زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف متبوع.

كتب إلى السريّ، عن شعيب عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم، قالوا: لما أبى الملك إلا السير، كتب رستم إلى أخيه وإلى رؤوس أهل بلادهم: من رستم إلى البندوان مرزبان الباب، وسهم أهل فارس، الذي كان لكلّ كونٍ يكون، فيفضّ الله به كلّ جند عظيم شديد، ويفتح به كلّ حصن حصين، ومن يليه، فرموا حصونكم، وأعدوا واستعدوا، فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوساً؛ فأبى الملك.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الصلت بن بهرام، عن رجل؛ أن يزدرج لما أمر رستم بالخروج من ساباط، كتب إلى أخيه بنحو من الكتاب الأول، وزاد فيه: فإن السمكة قد كدّرت الماء، وإن النعائم قد حسّنت، وحسّنت الزهرة، واعتدل الميزان، وذهب بهرام؛ ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلىنا. وإن أشد ما رأيت أن الملك قال: لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم أنا بنفسى. فانا سائر إليهم.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السريّ، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: كان الذي جرّأ يزدرج على إرسال رستم غلام جابان منجم كسرى، وكان من أهل فُرات بادقلى، فأرسل إليه

فقال: ما ترى في مسير رستم وحرب العرب اليوم؟ فخافه على الصدق فكذبه، وكان رستم يعلم نحواً من علمه، فثقل عليه مسيره لعلمه، وخف على الملك لما غره منه، وقال: إني أحب أن تجربني بشيء أراه أطمئن به إلى قولك، فقال الغلام لزرنا الهندي: أخبره، فقال: سلني، فسأله فقال: أيها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شيء في فيه ها هنا - وخط دائرة - فقال العبد: صدق، والطائر غراب، والذي في فيه درهم. وبلغ جابان أن الملك طلبه، فأقبل حتى دخل عليه، فسأله عما قال غلامه، فحسب فقال: صدق ولم يُصب؛ هو عقق، والذي في فيه درهم، فيقع منه على هذا المكان، وكذب زرنا. ينزو الدرهم فيستقر ها هنا - ودور دائرة أخرى - فما قاموا حتى وقع على الشرفات عقق، فسقط منه الدرهم في الخط الأول، فنزا فاستقر في الخط الآخر. ونافر الهندي جابان حيث خطاه؛ فأثيا ببقرة نتوج؛ فقال الهندي: سخلتها غراء سوداء، فقال جابان: كذبت، بل سوداء صبغاء، فنحرت البقرة فاستخرجت سخلتها، فإذا هي ذنبها بين عينيها، فقال جابان: من هاهنا أتى زرنا، وشجعه على إخراج رستم، فأمضاه، وكتب جابان إلى جشنسماه: إن أهل فارس قد زال أمرهم، وأدبل عدوهم عليهم، وذهب ملك المجوسية، وأقبل ملك العرب، وأدبل دينهم؛ فاعتقد منهم الذمة، ولا تحلبنك الأمور، والعجل العجل قبل أن تؤخذ! فلما وقع الكتاب إليه خرج جشنسماه إليهم حتى أتى المعنى؛ وهو في خيل بالعتيق، وأرسله إلى سعد، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومن استجاب له ورده، وكان صاحب أخبارهم. وأهدى للمعنى فالودق، فقال لامراته: ما هذا؟ فقالت: أظن البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأها، فقال المعنى: بؤساً لها!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد وعمر وياسنادهم، قالوا: لما فصل رستم من ساباط، لقيه جابان على القنطرة، فشكا إليه، وقال: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم: أمّا أنا فأقاد بخشاش وزمام، ولا أجد بداً من الانقياد. وأمر الجالانوس حتى قدم الحيرة؛ فمضى واضطرب فسطاطه بالنجف، وخرج رستم حتى ينزل بكوئ، وكتب إلى الجالانوس والأزاد مرد: أصيباً لي رجلاً من العرب من جند سعد. فركبا بأنفسهما طليعة، فأصابا رجلاً، فبعثا به إليه وهو بكوئ فاستخبره، ثم قتله.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري، عن ابن الرُفيل، عن أبيه، قال: لما فصل رستم، وأمر الجالانوس بالتقدم إلى الحيرة، أمره أن يصيب له رجلاً من العرب، فخرج هو والأزاد مرد سرية في مائة؛ حتى انتهيا إلى القادسية، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسية فاختطفاه، فنفر الناس فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون في أخرياتهم. فلما انتهيا إلى النجف سرحا به إلى رستم، وهو بكوئ، فقال له رستم: ما جاء بكم؟ وماذا تطلبون؟ قال: جئنا نطلب موعود الله، قال: وما هو؟ قال: أرضكم وأبنائكم ودماؤكم إن أبيتم أن تسلموا. قال رستم: فإن قُلتكم قبل ذلك؟ قال: في موعود الله أن من قُتل منا قبل ذلك أدخله الجنة، وأنجز لمن بقي منا ما قلت لك، فنحن على يقين. فقال رستم: قد وُضِعنا إذاً في أيديكم؛ قال: ويحك يا رستم! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها؛ فلا يغرنك ما ترى حولك، فإنك لست تحاول الإنسان؛ إنما تحاول القضاء والقدر! فاستشاط غضباً؛ فأمر به فضربت عنقه، وخرج رستم من كوئ؛ حتى ينزل بئرس، فغضب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء، وشربوا الخمر. فضج العلوج إلى رستم، وشكوا إليه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم. فقام فيهم، فقال: يا معشر أهل فارس، والله لقد صدق العربي، والله ما أسلمنا إلا أعمالنا، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب أحسن سيرة منكم. إن الله كان ينصركم على العدو، ويمكّن لكم في

البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والإحسان؛ فأما إذ تحولتم عن ذلك إلى هذه الأعمال، فلا أرى الله إلا مغتبراً ما بكم، وما أنا بأمين أن ينزع الله سلطانه منكم. وبعث الرجال؛ فلقطوا له بعض من يشكى فأتني بنفر، فضرب أعناقهم، ثم ركب وناذى في الناس بالرحيل، فخرج ونزل بحيال دير الأعور، ثم انصب إلى الملطاط؛ فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف بحيال الخوزنق إلى الغريين، ودعا بأهل الحيرة، فأوعدهم وهم بهم، فقال له ابن بقليلة: لا تجمع علينا اثنتين: أن تعجز عن نصرتنا، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا. فسكت.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، والمقدام الحارثي عمّن ذكره، قال: دعا رستم أهل الحيرة وسُرادقه إلى جانب الدّير، فقال: يا أعداء الله، فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا، وكنتم عيوناً لهم علينا، وقويتموهم بالأموال! فاتقوه بآبن بقليلة، وقالوا له: كن أنت الذي تكلمه، فتقدم، فقال: أما أنت وقولك: «إنا فرحنا بمجيئهم»، فماذا فعلوا؟ وبأي ذلك من أمورهم نفرح، إنهم ليزعمون أننا عبيد لهم، وما هم على ديننا؛ وإنهم ليشهدون علينا أننا من أهل النار. وأما قولك: «إنا كنا عيوناً لهم»، فما الذي يُوجههم إلى أن نكون عيوناً لهم، وقد هرب أصحابكم منهم، وخلّوا لهم القرى! فليس يمنعهم أحد من وجهه أرادوه؛ إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً. وأما قولك: «إنا قويّناهم بالأموال»؛ فإننا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نُسبى وأن نُحرب، وتُقتل مقاتلتنا - وقد عجز منهم من لقيهم منكم - فكنا نحن أعجز؛ ولعمري لأنتم أحب إلينا منهم؛ وأحسن عندنا بلاء، فامنعونا منهم نكن لكم أعواناً؛ فإنما نحن بمنزلة علّوج السّواد، عبيد من غلب. فقال رستم: صدقكم الرجل.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: رأى رستم بالدير أن ملكاً جاء حتى دخل عسكر فارس، فختّم السلاح أجمع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وأصحابه؛ وشاركهم النضر بإسناده، قالوا: ولما اطمأن رستم أمر الجالانوس أن يسير من النّجف، فسار في المقدمات، فنزل فيما بين النّجف والسّيلحين، وارتحل رستم، فنزل النّجف - وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر، لا يُقدّم ولا يقايل - رجاء أن يضجروا بمكانهم، وأن يجهدوا فينصرفوا، وكره قتالهم مخافة أن يلقي ما لقي من قبله، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه ويُقدّمه؛ حتى أقحمه؛ فلما نزل رستم النّجف عادت عليه الرؤيا، فرأى ذلك الملك ومعه النبي ﷺ وعمر، فأخذ الملك سلاح أهل فارس، فختّمه، ثم دفعه إلى النبي ﷺ، فدفعه النبي ﷺ إلى عمر. فأصبح رستم، فازداد حزناً، فلما رأى الرّفيل ذلك رغب في الإسلام؛ فكانت داعيته إلى الإسلام، وعرف عمر أن القوم سيطاولونهم، فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم، وأن يطاولوهم أبداً حتى يُنغصوهم، فنزلوا القادسية، وقد وطّئوا أنفسهم على الصبر والمطاوله، وأبى الله إلا أن يتمّ نوره، فأقاموا واطمأنوا، فكانوا يُغيرون على السّواد، فانتسفوا ما حولهم فحووه وأعدّوا للمطاوله؛ وعلى ذلك جاءوا، أو يفتح الله عليهم. وكان عمر يمدّهم بالأسواق إلى ما يصيبون؛ فلما رأى ذلك الملك ورستم عرفوا حالهم، وبلغهم عنهم فعلهم؛ علم أن القوم غير متّيين، وأنه إن أقام لم يتركوه؛ فرأى أن يشخص رستم، ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنّجف، ثم يطاولهم مع المنازلة، ورأى أن ذلك أمثل ما هم

فاعلون، حتى يصيبوا من الإحجام حاجتهم، أو تدور لهم سعود.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم، قالوا: وجعلت السرايا تطوف، ورستم بالنجف والجالنوس بين النجف والسيلجين وذو الحجاب بين رستم والجالنوس، والهزمران ومهران على مجنبتيه، والبيرزان على ساقته وزاذ بن بهيش صاحب فرات سريا على الرجاله؛ وكنارتي على المجردة؛ وكان جنده مائة وعشرين ألفا، ستين ألف متبوع مع الرجل الشاكري، ومن الستين ألفا خمسة عشر ألف شريف متبوع، وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدور عليهم رحي الحرب.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن موسى بن طريف، قال: قال الناس لسعد: لقد ضاق بنا المكان؛ فأقدم، فزبر من كلمه بذلك، وقال: إذا كُفيتم الرأي، فلا تكلفوا؛ فإننا لن نقدم إلا على رأي ذوي الرأي، فاسكتوا ما سكتنا عنكم. وبعث طليحة وعمراً في غير خيل كالطليحة، وخرج سواد وخمضة في مائة مائة؛ فأغاروا على النهرين؛ وقد كان سعد نهاهما أن يُعينا، وبلغ رستم، فأرسل إليهم خيلاً، وبلغ سعداً أن خيله قد وُغلت؛ فدعا عاصم بن عمرو وجابراً الأسدي، فأرسلهما في آثارهم يقتصانها، وسلكا طريقهما، وقال لعاصم: إن جمعكم قتال فانت عليهم، فلقاهم بين النهرين وإصطيمياً؛ وخيل أهل فارس محتوشتهم، يريدون تخلص ما بين أيديهم؛ وقد قال سواد لحمضة: اختر؛ إما أن تقيم لهم وأستاق الغنيمة، أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة. قال: أقيم لهم ونهضهم عني، وأنا أبلغ لك الغنيمة؛ فأقام لهم سواد، وانجذب خمضة، فلقاه عاصم بن عمرو، فظن خمضة أنها خيل للأعاجم أخرى، فصدها عنها منحرفاً؛ فلما تعارفوا ساقها؛ ومضى عاصم إلى سواد - وقد كان أهل فارس تنفذوا بعضها - فلما رأت الأعاجم عاصماً هربوا، وتنقذ سواد ما كانوا ارتجعوا؛ فأتوا سعداً بالفتح والغنائم والسلامة؛ وقد خرج طليحة وعمرو؛ فأما طليحة فأمره بعسكر رستم، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس؛ فخرج طليحة وحده، وخرج عمرو في عدة، فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما؛ فقال: إن لقيت قتالا فانت عليهم - وأراد إذلال طليحة لمعصيته، وأما عمرو فقد أطاعه - فخرج حتى تلقى عمراً، فسأله عن طليحة، فقال: لا علم لي به، فلما انتهينا إلى النجف من قبل الجوف، قال له قيس: ما تريد؟ قال: أريد أن أغير على أدنى عسكرهم؛ قال: في هؤلاء! قال: نعم، قال: لا أدعك والله وذاك! أنعرض المسلمين بما لا يطيقون! قال: وما أنت وذاك! قال: إني أمرت عليك؛ ولولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك. وشهد له الأسود بن يزيد في نفر أن سعداً قد استعمله عليك، وعلى طليحة إذا اجتمعتم، فقال عمرو: والله يا قيس؛ إن زماناً تكون علي فيه أميراً لزمان سوء! لأن أرجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إلي من أن تتأمر علي ثانية. وقال: لئن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنفارقته؛ قال: ذاك إليك بعد مرتك هذه، فردّه، فرجعا إلى سعد بالخبر. وبأعلاج وأفراس، وشكا كل واحد منها صاحبه؛ أما قيس فشكا عصيان عمرو، وأما عمرو، فشكا غلظة قيس، فقال سعد: يا عمرو، الخبر والسلامة أحب إلي من مُصاب مائة بقتل ألف، أتعمد إلى حلبة فارس فتصادهم بمائة! إن كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى. فقال: إن الأمر لكما قلت؛ وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة، فتوسم فيه، فهتك أطناب بيت رجل عليه، واقتاد فرسه، ثم خرج حتى مر بعسكر ذي الحجاب، فهتك على رجل آخر بيته، وحلّ فرسه، ثم دخل على الجالنوس عسكره فهتك على آخر بيته، وحلّ فرسه، ثم خرج حتى أتى الخرارة؛ وخرج الذي كان بالنجف، والذي كان في عسكر ذي الحجاب فاتبعه الذي كان في عسكر الجالنوس، فكان

أولهم لحاقاً به الجالنوس؛ ثم الحاجبي، ثم النجفي؛ فأصاب الأولين، وأسر الآخر. وأتى به سعداً فأخبره، وأسلم؛ فسمّاه سعد مسلماً؛ ولزم طليحة؛ فكان معه في تلك المغازي كلها.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن أبي عثمان النهدي، قال: كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس؛ ألا يمرّ بماء من المياه بذي قورة ونجدة ورياسة إلا أشخصه؛ فإن أبي انتخبه، فأمره عمر، فقدم القادسية في اثني عشر ألفاً من أهل الأيام، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين، فأعانوهم؛ أسلم بعضهم قبل القتال، وأسلم بعضهم غب القتال، فأشركوا في الغنيمة، وفرضت لهم فرائض أهل القادسية: ألفين ألفين؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب، فعادوا تميماً؛ فلما دنا رستم، ونزل النجف بعث سعد الطلائع؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلاً ليسأله عن أهل فارس؛ فخرجت الطلائع بعد اختلاف؛ فلما أجمع ملأ الناس أن الطليعة من الواحد إلى العشرة سمحوا، فأخرج سعد طليحة في خمسة، وعمرو بن معد يكرب في خمسة؛ وذلك صبيحة قدّم رستم الجالنوس وذا الحاجب؛ ولا يشعرون بفصولهم من النجف؛ فلم يسيروا إلا فرسخاً وبعض آخر؛ حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطُفوف قد ملؤوها، فقال بعضهم: ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم؛ وهو يرى أن القوم بالنجف؛ فأخبروه الخبر، وقال بعضهم: ارجعوا لا يندركم عدوكم! فقال عمرو لأصحابه: صدقتم، وقال طليحة لأصحابه: كذبتهم؛ ما بُعثتم لتُخبروا عن السرح، وما بُعثتم إلا للخبر قالوا: فما تريد؟ قال: أريد أن أخطر القوم أو أهلك، فقالوا: أنت رجل في نفسك عُذر؛ ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن؛ فارجع بنا، فأبى. وأتى سعداً الخبر برحيلهم؛ فبعث قيس بن هُبيرة الأسدي، وأمره على مائة، وعليهم إن هو لقيهم. فانتهى إليهم وقد افترقوا، فلما رآه عمرو قال: تجلّدوا له، أرّوه أنهم يريدون الغارة؛ فردّهم، ووجد طليحة قد فارقهم فرجع بهم. فأتوا سعداً، فأخبروه بقرب القوم، ومضى طليحة، وعارض المياه على الطُفوف؛ حتى دخل عسكر رستم، وبات فيه يُجوسه وينظر ويتوسّم؛ فلما أدبر الليل، خرج وقد أتى أفضل من توسّم في ناحية العسكر؛ فإذا فرس له لم ير في خيل القوم مثله، وفسطاط أبيض لم ير مثله؛ فانتضى سيفه، فقطع مقود الفرس، ثم ضمّه إلى مقود فرسه، ثم حرّك فرسه، فخرج يعدّو به، ونذر به الناس والرجل، فتنادوا وركبوا الصعبة والدلول، وعجل بعضهم أن يسرج، فخرجوا في طلبه، فأصبح وقد لحقه فارس من الجند، فلما غشيّه وبوأ له الرمح ليضعه عدل طليحة فرسه، فندر الفارسي بين يديه، ففكر عليه طليحة، فقصم ظهره بالرمح، ثم لحق به آخر، ففعل به مثل ذلك، ثم لحق به آخر؛ وقد رأى مصرع صاحبيه - وهما ابنا عمه - فازداد حنقاً، فلما لحق بطليحة! وبوأ له الرمح، عدل طليحة فرسه، فندر الفارسي أمامه، وكرّ عليه طليحة؛ ودعاه إلى الإسار، فعرف الفارسي أنه قاتله فاستأسر، وأمره طليحة أن يركض بين يديه؛ ففعل. ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتلوا وقد أسر الثالث، وقد شارف طليحة عسكرهم، فأحجموا عنه، ونكسوا، وأقبل طليحة حتى غشي العسكر، وهم على تعبته، فأفرغ الناس، وجوزوه إلى سعد؛ فلما انتهى إليه، قال: ويحك ما وراءك! قال: دخلت عساكرهم وجُستها منذ الليلة، وقد أخذت أفضلهم توسماً، وما أدري أصبت أم أخطأت! وما هوذا فاستخبره. فأقيم التّرجان بين سعد وبين الفارسي، فقال له الفارسي: أتؤمنني على دمي إن صدقتك؟ قال: نعم، الصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب، قال: أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قبلي؛ باشرت الحروب وغشيتها، وسمعت بالأبطال ولقيتها؛ منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى، ولم أر ولم أسمع بمثل هذا؛ أن رجلاً قطع عسكرين لا يجترئ عليها الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً،

يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون؛ فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند؛ وهتك أطناب بيته فأنذره، فأنذرنا به، فطلبناه، فأدركه الأول وهو فارس الناس، يعدل ألف فارس فقتله، فأدركه الثاني وهو نظيره فقتله، ثم أدركته، ولا أظن أنني خلقت بعدي من يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين، وهما ابنا عمي، فرأيت الموت فاستأسرت. ثم أخبره عن أهل فارس؛ بأن الجند عشرون ومائة ألف، وأن الأتباع مثلهم خدام لهم. وأسلم الرجل وسمّاه سعد مسلماً، وعاد إلى طليحة، وقال: لا والله، لا تهزمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمؤاسة؛ لا حاجة لي في ضجة فارس؛ فكان من أهل البلاء يومئذ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن موسى بن طريف، قال: قال سعد لقيس بن هبيرة الأسدي: اخرج يا عاقل، فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنو عليه حتى تأتيني بعلم القوم. فخرج وسرح عمرو بن معديكرب وطليحة؛ فلما حاذى القنطرة لم يسر إلا يسيراً حتى لحق، فأنتهى إلى خيل عظيمة منهم بحيالها ترد عن عسكرهم، فإذا رستم قد ارتحل من النجف، فنزل منزل ذي الحاجب، فارتحل الجالينوس، فنزل ذو الحاجب منزله، والجالينوس يريد طيزناباذ؛ فنزل بها، وقدم تلك الخيل. وإن ما حمل سعداً على إرسال عمرو وطليحة معه لمقالة بلغت عن عمرو، وكلمة قالها لقيس بن هبيرة قبل هذه المرة، فقال: قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين. فأنشب القتال، وطاردهم ساعة. ثم إن قيساً حمل عليهم، فكانت هزيمتهم، فأصاب منهم اثني عشر رجلاً، وثلاثة أسراء، وأصاب أسلاباً، فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر؛ فقال: هذه بشرى إن شاء الله؛ إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدهم؛ فلهم أمثالها، ودعا عمرا وطليحة، فقال: كيف رأيتما قيساً؟ فقال طليحة: رأيناه أكمنا، وقال عمرو: الأمير أعلم بالرجال منا. قال سعد: إن الله تعالى أحياناً بالإسلام وأحياناً به قلوباً كانت ميّنة، وأمات به قلوباً كانت حيّة، وإني أحذركم أن تؤثرا أمر الجاهلية على الإسلام؛ فتموت قلوبكم وأنتم حيّان؛ الزما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق؛ فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله بالإسلام.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطليحة وعمرو وزياد؛ وشاركهم المجاليد وسعيد بن المرزبان، قالوا: فلما أصبح رستم من الغد من يوم نزل السيلحين قدم الجالينوس وذو الحاجب، فارتحل الجالينوس، فنزل من دون القنطرة بحيال زهرة، ونزل إلى صاحب المقدمة، ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباذ، ونزل رستم منزل ذي الحاجب بالحرارة، ثم قدم ذو الحاجب؛ فلما انتهى إلى العتيق تياسر حتى إذا كان بحيال قديس خندق خندقاً، وارتحل الجالينوس فنزل عليه وعلى مقدمته - أعني سعداً - زهرة بن الحوية، وعلى مجنبيه عبد الله بن المعتّم، وشريحيل بن السمط الكندي، وعلى مجرّدته عاصم بن عمرو، وعلى المرامية فلان، وعلى الرجل فلان، وعلى الطلائع سواد بن مالك، وعلى مقدمة رستم الجالينوس، وعلى مجنبيه الهرمزان ومهران وعلى مجرّدته ذو الحاجب، وعلى الطلائع البيرزان، وعلى الرجالة زاذ بن بهيش. فلما انتهى رستم إلى العتيق، وقف عليه بحيال عسكر سعد ونزل الناس؛ فما زالوا يتلاحقون وينزلهم فينزلون؛ حتى أعتموا من كثرتهم؛ فبات بها تلك الليلة والمسلمون ممسكون عنهم.

قال سعيد بن المرزبان: فلما أصبحوا من ليلتهم بشاطئ العتيق غدا منجم رستم على رستم برؤيا أريها من الليل، قال: رأيت الدلو في السماء؛ دلواً أفرغ ماؤه، ورأيت السمكة؛ سمكة في ضحضاح من الماء تضطرب، ورأيت النعائم والزهرة تزدهر، قال: ويحك! هل أخبرت بها أحداً؟ قال: لا، قال: فاكتمها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: كان رستم منجّماً، فكان يبيكي ممّا يرى ويقدم عليه، فلمّا كان بظهر الكوفة رأى أنّ عمر دخل عسكر فارس، ومعه ملك، فختم على سلاحهم، ثم حزمه ودفعه إلى عمر.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم - وكان قد شهد القادسيّة - قال: كان مع رستم ثمانية عشر فيلاً، ومع الجالانوس خمسة عشر فيلاً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبيّ؛ قال: كان مع رستم يوم القادسيّة ثلاثون فيلاً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن المرزبان؛ عن رجل، قال: كان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً؛ منها فيل سابور الأبيض؛ وكانت الفيلة تألفه، وكان أعظمها وأقدمها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: كان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً، معه في القلب ثمانية عشر فيلاً، ومعه في المجنبتين خمسة عشر فيلاً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد وسعيد وطلحة وعمرو وزياد، قالوا: فلمّا أصبح رستم من ليلته التي باتها بالعتيق، أصبح راكباً في خيله، فنظر إلى المسلمين، ثم صعد نحو القنطرة، وقد حزر الناس، فوقف بحيالهم دون القنطرة؛ وأرسل إليهم رجلاً؛ إنّ رستم يقول لكم: أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا، وانصرف فأرسل زهرة إلى سعد بذلك؛ فأرسل إليه المغيرة بن شعبه، فأخرجه زهرة إلى الجالانوس؛ فأبلغه الجالانوس رستم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: لما نزل رستم على العتيق وبات به، أصبح غادياً على التّصفّح والحزر، فساير العتيق نحو خفّان؛ حتى أتى على مُنْقَطَعِ عسكر المسلمين، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة؛ فتأمل القوم؛ حتى أتى على شيء يُشرف منه عليهم؛ فلما وقف على القنطرة راسل زهرة، فخرج إليه حتى واقفه، فأراده أن يصالحهم، ويجعل له جُعلاً على أن ينصرفوا عنه، وجعل يقول فيما يقول: أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا؛ فكنا نحسن جوارهم، ونكفّ الأذى عنهم، ونوليهم المرافق الكثيرة، نحفظهم في أهل باديتهم؛ فترعيهم مرّعيناً، ونغيرهم من بلادنا، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا؛ وقد كان لهم في ذلك معاش - يعرض لهم بالصلح؛ وإنما يخبره بصنيعهم، والصلح يريد ولا يصرح - فقال له زهرة: صدقت، قد كان ما تذكر؛ وليس أمرنا أمر أولئك ولا طليبتنا. إنّنا لم نأتكم لطلب الدنيا؛ إنّما طليبتنا وهمتنا الآخرة؛ كنّا كما ذكرت، يدين لكم من ورد عليكم منّا، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم. ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً، فدعانا إلى ربّه، فأجبناه، فقال لنبيّه ﷺ: إنّني قد سلّطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني، فأنا منتقم بهم منهم؛ وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحقّ، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلا عزّ. فقال له رستم: وما هو؟ قال: أمّا عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى. قال: ما أحسن هذا! وأي شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى. قال: حسن، وأي شيء أيضاً؟ قال: والناس بنو آدم وحواء، إخوة لأب وأمّ، قال: ما أحسن هذا! ثم قال له رستم: أرايت لو أتني

رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه : ومعي قومي كيف يكون أمركم ! أترجعون ؟ قال : إي والله ، ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة . قال : صدقتني والله ، أما إن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدّوا طورهم ، وعادوا أشرافهم . فقال له زهرة : نحن خيرُ الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون : نطيع الله في السفلة ، ولا يضرنا من عصي الله فينا . فانصرف عنه ، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا ، فحمّوا من ذلك ، وأنفوا ، فقال : أبعدكم الله وأسحقكم ! أخزى الله أحرعنا وأجبننا ! فلما انصرف رستم ملّت إلى زهرة ، فكان إسلامي ؛ وكنت له عديداً . وفرض لي فرائض أهل القادسية .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله . قالوا : وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربيع بن عامر وقرقة بن زاهر التيميّ ثم الواثليّ ومذعور بن عديّ العجليّ ، والمضارب بن يزيد العجليّ ومعبّد بن مُرة العجليّ - وكان من دُهاة العرب - فقال : إني مُرسلُكم إلى هؤلاء القوم ؛ فما عندكم ؟ قالوا جميعاً : نتبع ما تأمرنا به ، وننتهي إليه ؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنّا أمثلاً ما ينبغي وأنفعه للناس ؛ فكلمناهم به . فقال سعد : هذا فعل الحزمة ، اذهبوا فتهيؤوا ، فقال ربيعيّ بن عامر : إن الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومتى نأتهم جميعاً يروا أننا قد احتفلنا بهم ! فلا تزدهم على رجل ؛ فمالؤوه جميعاً على ذلك ، فقال : فسرحوني ، فسرحه ، فخرج ربيعيّ ليدخل على رستم عسكره ، فاحتبسه الذين على القنطرة ، وأرسل إلى رستم لمجيئه ، فاستشار عظماء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ أنباهي أم تنهّون ! فأجمع ملؤهم على التهاون ، فأظهروا الزّبرج ، وبسطوا البُسط والنّمارق ، ولم يتركوا شيئاً ، ووضع لرستم سرير الذهب ، وألبس زينته من الأغاط والوسائد المنسوجة بالذهب . وأقبل ربيعيّ يسير على فرس له زبّاء قصيرة ، معه سيف له مشوف ، وغمده لفافة ثوب خلق ، ورمحه معلوب بقدّ ، معه حَجَفَة من جلود البقر ؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونبله . فلما غشي الملك ، وانتهى إليه وإلى أدنى البُسط ، قيل له : انزل ، فحملها على البساط ، فلما استوت عليه ، نزل عنها وربطها بوسادتين فشققها ، ثم أدخل الحبل فيها ، فلم يستطيعوا أن ينهّوه ؛ وإنما أروه التّهاون وعرف ما أرادوا ، فأراد استحراجهم ، وعليه درع له كأنها أضاة ويلمّقه عباءة بغيره ، قد جابها وتدرّعها ، وشدها على وسطه بسلب وقد شدّ رأسه بمعجرتة ؛ وكان أكثر العرب شعرةً ، ومعجرتة نسعة بغيره ؛ ولرأسه أربع صفائر ؛ قد قمن قياماً ، كأنهنّ قرون الوعلة . فقالوا : ضع سلاحك ، فقال : إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتوني ، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت . فأخبروا رستم ؛ فقال : ائذنوا له ؛ هل هو إلا رجل واحد ! فأقبل يتوكأ على رمح ، وزجّه نصل يقارب الخطو ، ويزجّ النّمارق والبُسط ؛ فما ترك لهم مُرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً محرّقاً ؛ فلما دنا من رستم تعلّق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحَه بالبُسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إننا لا نستحبّ القعود على زيتكم هذه . فكلمه ، فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ؛ حتى نُفضي إلى موعود الله . قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقالّكم ؛ فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه

وَتَنْظُرُوا! قال: نعم، كم أحب إليكم؟ أيوماً أو يومين؟ قال: لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. وأراد مقاربته ومدافعته، فقال: إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا، ألا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وتدعك وأرضك، أو الجزاء، فنقبل ونكف عنك؛ وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك؛ أو المنابذة في اليوم الرابع؛ ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا؛ أنا كفيلاً لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى. قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا؛ ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض؛ يحير أدناهم على أعلاهم. فخلص رستم برؤساء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلاماً قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه! فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب؛ ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة؛ إن العرب تستخف باللباس والمأكول ويصنون الأحساب، ليسوا مثلكم في اللباس، ولا يروون فيه ما ترون. وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه، ويزهدونه فيه، فقال لهم: هل لكم إلى أن تُروني فأريكم؟ فأخرج سيفه من خرقه كأنه شُعلة نار. فقال القوم: اغمد، فغمده؛ ثم رمى ترساً ورموا حَجَفَتِه، فخرق ترسهم، وسلمت حَجَفَتِه، فقال: يا أهل فارس؛ إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب؛ وإننا صغرناهم. ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل، فلما كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرجل؛ فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن، فأقبل في نحو من ذلك الزَّيِّ، حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: انزل، قال: ذلك لو جئتم في حاجتي؛ فقولوا للكمكم: أله الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي؛ فقد كذب؛ ورجعت وتركتكم؛ فإن قال: له، لم آتكم إلا على ما أحب. فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريرته، فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأل: ما بالك جئت ولم يحىء صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء؛ فهذه نوبتي. قال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله عز وجل من علينا بدينه؛ وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكرين. ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث؛ فأياها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة. فقال: أو المواعدة إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثاً من أمس. فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه، فقال: ويحكم! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقر ما نعظم، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به؛ فهو في يمن الطائر، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم، مع فضل عقله. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا؛ فهو في يمن الطائر، يقوم على أرضنا دوننا؛ حتى أغضبهم وأغضبوه فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان النهدي قال: لما جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم، تقويةً لثأرهم؛ فأقبل المغيرة بن شعبة، والقوم في زهم، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غلوة لا يصل إلى صاحبهم؛ حتى يمشي عليهم غلوة؛ وأقبل المغيرة وله أربع صفائر يمشي؛ حتى جلس معه على سريرته ووسادته؛ فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوه ومغثوه. فقال: كانت تبليغنا عنكم الأحلام؛ ولا أرى قوماً أسفه منكم! إننا معشر العرب سواء؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه؛ فظننت أنكم تؤاسون قومكم كما تؤاسي؛ وكان أحسن من

الذي صنعتهم أن تُخبروني أن بعضكم أربابُ بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه؛ ولم آتكم؛ ولكن دعوتوني اليوم؛ علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون؛ وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول.

فقال السّفلة: صدّق والله العربيّ، وقالت الدّهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه؛ قاتل الله أولينا، ما كان أحقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة! فما زح رستم ليمحو ما صنّع، وقال له: يا عربيّ؛ إنّ الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرهما عما ينبغي من ذلك؛ فالأمر على ما تحبّ من الوفاء وقبول الحق؛ ما هذه المغازل التي معك؟ قال: ما ضرّ الجمرة ألا تكون طويلة! ثم راماهم. وقال: ما بال سيفك رثاً! قال: رثُ الكسوة، حديد المضربة. ثم عا طاه سيفه، ثم قال له رستم: تكلم أم أنكلم؟ فقال المغيرة: أنت الذي بعثت إلينا، فتكلم، فأقام الترجمان بينهما، وتكلم رستم، فحيد قومه، وعظم أمرهم وطوله، وقال: لم نزل متمكنين في البلاد، ظاهرين على الأعداء، أشرفاً في الأمم؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا، نُصر على الناس ولا يُنصرون علينا إلا اليوم واليومين، أو الشهر والشهرين؛ للذنوب؛ فإذا انتقم الله فرضي ردّ إلينا عزنا، وجمعنا لعدونا شرّ يوم هو آت عليهم. ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم؛ كنتم أهل قشّف ومعيشة سيئة، لا تراكم شيئاً ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم، وأصابكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من الثمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتهم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم، فأنا أمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وأمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين، وتنصرفون عنا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم.

فتكلم المغيرة بن شعبة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنّ الله خالق كل شيء ورازقه؛ فمن صنع شيئاً فإنما هو الذي يصنعه هوله. وأمّا الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك؛ من الظهور على الأعداء والتمكن في البلاد وعظم السلطان في الدنيا؛ فنحن نعرفه، ولسنا ننكره؛ فالله صنعه بكم؛ ووضع فيكم؛ وهوله دونكم؛ وأمّا الذي ذكرت فينا من سوء الحال، وضيق المعيشة واختلاف القلوب؛ فنحن نعرفه؛ ولسنا ننكره؛ والله ابتلانا بذلك، وصبرنا إليه، والدنيا دُول؛ ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرّخاء حتى يصيروا إليه؛ ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم، ويصيروا إليها؛ ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر، كان شكركم يقصر عما أوتيتهم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيير الحال؛ ولو كنّا فيما ابتلينا به أهل كفر؛ كان عظيم ما تتابع علينا مستجلباً من الله رحمة يرفّه بها عنا، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه؛ أو كنتم تعرفوننا به؛ إنّ الله تبارك وتعالى بعث فينا رسلاً... ثم ذكر مثل الكلام الأول؛ حتى انتهى إلى قوله: وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبداً تؤدّي الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإلا فالسيف إن أبيت! فنخر نخرة، واستشاط غضباً، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصّبح غداً حتى أقتلكم أجمعين.

فانصرف المغيرة؛ وخلص رستم تألفاً بأهل فارس، وقال: أين هؤلاء منكم؟ ما بعد هذا! ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحرجاكم، ثم جاءكم هذا، فلم يختلفوا، وسلكوا طريقاً واحداً، ولزموا أمراً واحداً؛ هؤلاء والله الرجال؛ صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم ليرهم ألا يختلفوا، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم؛ لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء! فلجّوا وتجلّدوا وقال: والله إني لأعلم أنكم تُصغون إلى ما أقول لكم؛ وإن هذا منكم رثاء؛ فازدادوا لجاجة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: فأرسل مع المغيرة رجلاً، وقال له: إذا قطع القنطرة، ووصل إلى أصحابه، فناد: إن الملك كان منجماً قد حسب لك ونظر في أمرك، فقال: إنك غداً تُفقأ عينك. ففعل الرسول، فقال المغيرة: بشّرني بخير وأجر؛ ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين، لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضاً. فرآهم يضحكون من مقالته، ويتعجبون من بصيرته؛ فرجع إلى الملك بذلك، فقال: أطيعوني يا أهل فارس؛ وإني لأرى الله فيكم نعمة لا تستطيعون ردّها عن أنفسكم. وكانت خيولهم تلتقي على القنطرة لا تلتقي إلّا عليها، فلا يزالون يبدؤون المسلمين، والمسلمون كافون عنهم الثلاثة الأيام؛ لا يبدؤونهم؛ فإذا كان ذلك منهم صدّوهم وردّعوهم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كان ترجمان رستم عن أهل الحيرة يدعى عبود.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي وسعيد بن المرزبان، قالوا: دعا رستم بالمغيرة، فجاء حتى جلس على سرير، ودعا رستم ترجمانه - وكان عربياً من أهل الحيرة، يدعى عبود - فقال له المغيرة: ويحك يا عبود! أنت رجل عربيّ؛ فأبلغه عني إذا أنا تكلمت كما تُبلغني عنه. فقال له رستم مثل مقالته، وقال له المغيرة مثل مقالته، إلى إحدى ثلاث خلال: إلى الإسلام ولكم فيه ما لنا وعليكم فيه ما علينا؛ ليس فيه تفاضل بيننا، أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون. قال: ما «صاغرون»؟ قال: أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدنا بالجزية يحمده أن يقبلها منه... إلى آخر الحديث؛ والإسلام أحب إلينا منها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبيدة، عن شقيق، قال: شهدت القادسيّة غلاماً بعد ما احتملت؛ فقدم سعد القادسيّة في اثني عشر ألفاً؛ وبها أهل الأيام، فقدمت علينا مقدمات رستم، ثم زحف إلينا في ستين ألفاً، فلما أشرف رستم على العسكر قال: يا معشر العرب، ابعثوا إلينا رجلاً يكلمنا ونكلمه؛ فبعث إليه المغيرة بن شعبة ونفراً، فلما أتوا رستم جلس المغيرة على السرير، فنخر أخور رستم، فقال المغيرة: لا تنخر؛ فما زادني هذا شرفاً ولا نقص أخاك. فقال رستم: يا مغيرة، كنتم أهل شقاء، حتى بلغ؛ وإن كان لكم أمر سوى ذلك، فأخبرونا. ثم أخذ رستم سهماً من كنانته، وقال: لا تروا أن هذه المغازل تغني عنكم شيئاً؛ فقال المغيرة مجيباً له، فذكر النبي ﷺ [قال]: فكان لما رزقنا الله على يديه حبة تنبت في أرضكم هذه؛ فلما أذقناها عيالنا، قالوا: لا صبر لنا عنها، فجنّنا لنطعمهم أو نموت. فقال رستم: إذا تموتون أو تقتلون، فقال المغيرة: إذا يدخل من قتل منّا الجنة، ويدخل من قتلنا منكم النار، ويظفر من بقي منّا بمن بقي منكم؛ فنحن نخيرك بين ثلاث خلال... إلى آخر الحديث. فقال رستم: لا صلح بيننا وبينكم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: أرسل إليهم سعد بقية ذوي الرأي جميعاً، وحبس الثلاثة، فخرجوا حتى أتوه ليعظموا عليه استقباحاً، فقالوا له: إن أميرنا يقول لك: إن الجوار يحفظ الولاة، وإني أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه، ونرجع إلى أرضنا، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض؛ إلّا أن داركم لكم، وأمركم فيكم؛ وما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا؛ وكنا لكم عوناً على أحد إن أرادكم أو قوي عليكم. واتق الله يا رستم؛ ولا يكونن هلاك قومك على يديك، فإنه ليس بينك وبين أن تُغبط به إلّا أن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك؛ فقال: إني قد كلمت منكم

نفرأ، ولو أنهم فهموا عني رجوت أن تكونوا قد فهمتم، وإن الأمثال أوضح من كثير من الكلام، وسأضرب لكم مثلكم تبصروا. إنكم كنتم أهل جهد في المعيشة، وقش في الهيئة، لا تمتنعون ولا تتصفون، فلم نسيء جواركم، ولم ندع مواساتكم، تفحمون المرة بعد المرة، فميركم ثم نردكم، وتأتوننا أجراء وتجاراً، فنحسن إليكم؛ فلما تطاعتم بطعامنا، وشربتم شرابنا، وأظلكم ظلنا، وصفتكم لقومكم؛ فدعوتهم، ثم أتيتمونا بهم، وإنما مثلكم في ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم، فرأى فيه ثعباناً، فقال: وما ثعلب! فانطلق الثعلب، فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم، فلما اجتمعن عليه سد عليهن صاحب الكرم الجحر الذي كن يدخلن منه، فقتلهن؛ وقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحرص والطمع والجهد؛ فارجعوا عنا عامكم هذا، وامتاروا حاجتكم، ولكم العود كلما احتجتم، فإني لا أشتي أن أقتلكم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمارة بن القعقاع الضبي، عن رجل من يربوع شهدا، قال: وقال وقد أصاب أناس كثير منكم من أرضنا ما أرادوا، ثم كان مصيرهم القتل والهرب، ومن سن هذا لكم خير منكم وأقوى؛ وقد رأيتم أنتم كلما أصابوا شيئاً أصيب بعضهم ونجا بعضهم؛ وخرج مما كان أصاب، ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جردان ألفت جرة فيها حب، وفي الجرة ثقب، فدخل الأول فأقام فيها، وجعل الآخر ينقلن منها ويرجعن ويكلمنه في الرجوع، فأبى فأنتهى سمن الذي في الجرة، فاشتاق إلى أهله ليريه حسن حاله، فضاق عليه الجحر، ولم يطق الخروج، فشكا القلق إلى أصحابه، وسأهم المخرج، فقلن له: ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل، فكف وجوع نفسه، وبقي في الخوف، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرة فقتله. فاخرجوا ولا يكونن هذا لكم مثلاً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرفيل، عن أبيه، قال: وقال: لم يخلق الله خلقاً أولع من ذباب ولا أضرب؛ ما خلاكم يا معشر العرب؛ ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع؛ وسأضرب لكم مثلكم: إن الذباب إذا رأى العسل طار، وقال: من يوصلني إليه وله درهمان حتى يدخله؟ لا ينهيه أحد إلا عصاه، فإذا دخله غرق ونشب وقال: من يخرجني وله أربعة دراهم؟ وقال أيضاً: إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جحراً وهو مهزول ضعيف إلى كرم، فكان فيه يأكل ما شاء الله، فرأه صاحب الكرم، ورأى ما به، فرحمه، فلما طال مكثه في الكرم وسمن، وصلحت حاله، وذهب ما كان به من الهزال أشير، فجعل يعبث بالكرم ويفسد أكثر مما يأكل، فاشتد على صاحب الكرم، فقال: لا أصبر على هذا من أمر هذا، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلماناً، فطلبوه وجعل يراوغهم في الكرم، فلما رأى أنهم غير مقلعين عنه، ذهب ليخرج من الجحر الذي دخل منه، فنشب. اتسع عليه وهو مهزول، وضاق عليه وهو سمين؛ فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم، فلم يزل يضربه حتى قتله، وقد جئتم وأنتم مهازيل؛ وقد سمنتم شيئاً من سمن؛ فانظروا كيف تخرجون! وقال أيضاً: إن رجلاً وضع سلاً، وجعل طعامه فيه؛ فأق الجردان، فخرقوا سله، فدخلوا فيه فأراد سده، فقيل له: لا تفعل، إذا خرجته، ولكن انقب بحياله؛ ثم اجعل فيها قصبة مجوفة، فإذا جاءت الجردان دخلن من القصبة وخرجن منها، فكلما طلع عليكم جرد قتلتموه. وقد سددت عليكم؛ فإياكم أن تفتحوا القصبة، فلا يخرج منها أحد إلا قتل، وما دعاكم إلى ما صنعتكم؛ ولا أرى عدداً ولا عدة!

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما وزياد معهما، قالوا: فتكلم القوم

فقالوا: أمّا ما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى، وانتشار أمرنا، فلمّا تبلغ كُنْهَهُ! يموت الميّت منّا إلى النار، ويبقى الباقي منّا في بؤس؛ فبينما نحن في أسوأ ذلك؛ بعث الله فينا رسولاً من أنفسنا إلى الإنس والجنّ، رحمةً رحم بها من أراد رحمته، ونقمةً ينتقم بها عن ردّ كرامته؛ فبدأ بنا قبيلةً قبيلة، فلم يكن أحدٌ أشدّ عليه؛ ولا أشدّ إنكاراً لما جاء به، ولا أجهد على قتله وردّ الذي جاء به من قومه، ثمّ الذين يلونهم، حتى طابقناه على ذلك كلّنا، فنصبنا له جميعاً، وهو وحده فردّ ليس معه إلّا الله تعالى، فأعطى الظفر علينا، فدخل بعضنا طوعاً، وبعضنا كرهاً، ثم عرفنا جميعاً الحقّ والصدق لما أتانا به من الآيات المعجزة؛ وكان ممّا أتانا به من عند ربّنا جهاد الأدنى فالأدنى، فسيرنا بذلك فيما بيننا، نرى أنّ الذي قال لنا ووعدنا لا يُخرم عنه ولا يُنقض؛ حتى اجتمعت العرب على هذا، وكانوا من اختلاف الرأى فيها لا يطيق الخلائق تأليفهم. ثمّ أتيناكم بأمر ربّنا، نجاهد في سبيله، وننفذ لأمره، ونتجز موعوده، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه؛ فإنّ أحبّتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله؛ وإنّ أبيتكم لم يحلّ لنا إلّا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزى؛ فإن فعلتم وإلا فإنّ الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم. فاقبلوا نصيحتنا؛ فوالله لإسلامكم أحبّ إلينا من غنائمكم، ولقتالكم بعد أحبّ من صلحكم. وأمّا ما ذكرت من رثائنا وقلّتنا فإنّ أداتنا الطاعة، وقتالنا الصبر. وأمّا ما ضربتم لنا من الأمثال، فإنّكم ضربتم للرجال والأمور الجسام وللجدّ الهزل؛ ولكنّا سنضرب مثلكم، إنّما مثلكم مثل رجل غرس أرضاً، واختار لها الشجر والحبّ، وأجرى إليها الأنهار، وزيّنها بالقصور، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها، ويقومون على جنّاتها، فخلّ الفلاحون في القصور على ما لا يحبّ، وفي الجنان بمثل ذلك، فأطال نظرتهم؛ فلمّا لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم؛ استعتهبهم فكابروه، فدعا إليها غيرهم، وأخرجهم منها؛ فإن ذهبوا عنها تحطّفهم الناس، وإن أقاموا فيها صاروا خولاً لهؤلاء يملكونهم؛ ولا يملكون عليهم؛ فيسومونهم الحسّف أبداً؛ ووالله أن لو لم يكن ما نقول لك حقّاً، ولم يكن إلّا الدنيا، لما كان لنا عملاً ضريئاً به من لذيذ عيشكم، ورأينا من زبرجكم من صبر، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه.

فقال رستم: أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا، فخرجوا من عنده عشيّاً، وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا موافقهم، وأرسل إليهم: شأنكم والعبور؛ فأرادوا القطرة، فأرسل إليهم: لا ولا كرامة! أمّا شيء قد غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم؛ تكلفوا معبراً غير القناطر، فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بامتعتهم.

يوم أرمات

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد، عن عبيد الله، عن نافع وعن الحكم، قالوا: لما أراد رستم العبور أمر بسكر العتيق بحيال قادس، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ممّا يلي عين الشمس، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً، واستتمّ بعد ما ارتفع النهار من الغد.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة وزيايد بإسنادهم، قالوا: ورأى رستم من الليل أن ملكاً نزل من السماء، فأخذ قسي أصحابه، فختم عليها، ثم صعد بها إلى السماء؛ فاستيقظ مهموماً محزوناً، فدعا خاصته فقصّها عليهم، وقال: إنّ الله ليُعْظُنّا، لو أنّ فارس تركوني أنعط! أما ترون النصر قد رفع

عناً، وترون الريح مع عدونا، وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطلق، ثم هم يريدون مغالبة بالجبرية! فعبروا بأثقلم حتى نزلوا على ضفة العتيق.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأعمش، قال: لما كان يوم السكر، لبس رستم درعين ومغفراً وأخذ سلاحه، وأمر بفرسه فأسرج، فأتي به فوثب؛ فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب، ثم قال: غداً ندقهم دقاً، فقال له رجل: إن شاء الله، فقال: وإن لم يشأ.

كتب إلي السري، بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: قال رستم: إنما ضغنا الثعلب حين مات الأسد - يذكروهم موت كسرى - ثم قال لأصحابه: قد خشيت أن تكون هذه سنة القروذ. ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم، وجلس رستم على سريريه وضرب عليه طيارة، وعبى في القلب ثمانية عشر فيلاً، عليها الصناديق والرجال، وفي المجنبتين ثمانية وسبعة، عليها الصناديق والرجال، وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين؛ وكان يزددجرد وضع رجلاً على باب إيوانه، إذ سرح رستم، وأمره بلزومه وإخباره، وآخر حيث يسمعه من الدار، وآخر خارج الدار، وكذلك على كل دعوة رجلاً؛ فلما نزل رستم، قال الذي بساباط: قد نزل، فقال له الآخر... حتى قاله الذي على باب الإيوان؛ وجعل بين كل مرحلتين على كل دعوة رجلاً؛ فكلما نزل وارتحل أو حدث أمر قاله؛ فقال له الذي يليه، حتى يقوله الذي يلي باب الإيوان؛ فنظم ما بين العتيق والمدائن رجالاً، وترك البرد، وكان ذلك هو الشأن.

وأخذ المسلمون مصافهم، وجعل زهرة وعاصم بين عبد الله وشرحبيل، ووكل صاحب الطلائع بالطراد، وخلط بين الناس في القلب والمجنبات، ونادى مناديه: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله يا أيها الناس؛ فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد. وكان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس، به حُبون، فلما هو على وجهه في صدره وسادة، هو مكب عليها، مشرف على الناس من القصر، يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه، إلى خالد بن عرفة، وهو أسفل منه؛ وكان الصف إلى جنب القصر، وكان خالد كالخليفة لسعد لولم يكن سعد شاهداً مشرفاً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن الوليد الهمداني، عن أبيه، عن أبي عمران، قال: لما عبر رستم تحوّل زهرة والجالينوس، فجعل سعد زهرة مكان ابن السَّمط، وجعل رستم الجالينوس مكان الهرمزان، وكان بسعد عرق النساء ودمامل، وكان إنما هو مكب، واستخلف خالد بن عرفة على الناس، فاختلف عليه الناس، فقال: احموني، وأشرفوا بي على الناس؛ فارتقوا به، فأكب مطلعا عليهم، والصف في أصل حائط قذيس؛ يأمر خالداً فيأمر خالد الناس، وكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس، فهم بهم سعد وشمهم، وقال: أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم! فحبسهم - ومنهم أبو محجن الثقفي - وقيدهم في القصر، وقال جرير: أما إني بايعت رسول الله ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولّاه الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً، وقال سعد: والله لا يعود أحدٌ بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلا سنت به سنة يؤخذ بها من بعدي.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: إن سعداً خطب

مَنْ يَلِيهِ يَوْمئِذٍ؛ وذلك يوم الاثنين في المحرم سنة أربع عشرة، بعد ما تهدم على الذين اعترضوا على خالد بن عُرْفُطَةَ فحمد الله وأثنى عليه. وقال: إن الله هو الحق لا شريك له في الملك؛ وليس لقوله خلف، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١)، إن هذا ميراثكم وموعد ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج؛ فأنتم تطعمون منها، وتأكلون منها، وتقتلون أهلها، وتحبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعز من وراءكم؛ فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم، وتوبقوا آخرتكم.

وقام عاصم بن عمرو في المجردة؛ فقال: إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلى والله معكم؛ إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلکم أموالهم ونسائهم وأبنائهم وبلادهم؛ وإن خرتهم وفشلتهم فالله لكم من ذلك جار وحافظ، لم يبق هذا الجمع منكم باقية؛ مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك. الله الله! اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها؛ ألا ترون أن الأرض وراءكم بسابس قفار ليس فيها خمر ولا وزر يعقل إليه، ولا يمتنع به! اجعلوا همكم الآخرة.

وكتب سعد إلى الرايات: إني قد استخلفت عليكم خالد بن عُرْفُطَةَ، وليس يعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبون، فإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمري، ويعمل برأيي. فقرأ على الناس فرادهم خيراً، وانتهوا إلى رأيه، وقبلوا منه وتحتوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن حلام، عن مسعود، قال: وخطب أمير كل قوم أصحابه، وسير فيهم، وتحاضوا على الطاعة والصبر تواصوا؛ ورجع كل أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف؛ ونادى مُنادي سعد بالظُهر، ونادى رستم: «يادِشهانِ مَرَنَدَر»، أكل عمر كبدي أحرق الله كبده! علّم هؤلاء حتى علموا.

كتب إلى السري، عن شعيب، قال: حدّثنا سيف، عن النضر، عن ابن الرُفيل، قال: لما نزل رستم النجف بعث منها عيناً إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من نذ منهم، فرأهم يستأكون عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم، وسيرتهم، حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمضوا عيداناً لهم حين يُمسون، وحين ينامون، وقيل أن يُصبحوا. فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة، فرأهم يتحششون؛ فنادى في أهل فارس أن يركبوا، فليل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نُودي فيهم فتحششوا لكم! قال عينه: ذلك إنما تحششهم هذا للصلاة، فقال بالفارسية، وهذا تفسيره بالعربية. أتاني صوت عند الغداة، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل، فلما عبروا توافقوا، وأذن مؤذن سعد للصلاة، فصلّى سعد، وقال رستم: أكل عمر كبدي!

كتب إلى السري، قال: حدّثنا شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم، قالوا: وأرسل

سعدُ الذين انتهى إليهم رأيُ الناس، والذين انتهت إليهم نجدتهم وأصناف الفضل منهم إلى الناس، فكان منهم من ذوي الرأي النَّفَر الذين أتوا رستم المغيرة، وحذيفة، وعاصم؛ وأصحابهم؛ ومن أهل النجدة طليحة، وقيس الأسدي، وغالب، وعمرو بن معد يكرب وأمثالهم؛ ومن الشعراء الشَّمَاخ والحُطَيْثَة، وأوس بن مخرم، وعبد بن الطبيب؛ ومن سائر الأصناف أمثالهم. وقال قبل أن يُرسلهم: انطلقوا فقوموا في النَّاس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس؛ فإنَّكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطبائهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس، فذكروهم وحرَّضوهم على القتال، فساروا فيهم. فقال قيس بن هبيرة الأسدي: أيُّها الناس، احمدا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدكم، واذكروا آلاء الله، وارغبوا إليه في عاداته؛ فإنَّ الجنة أو الغنيمة أمامكم؛ وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر، والظراب الحشن، والفلوات التي لا تقطعها الأدلة.

وقال غالب: أيُّها الناس، احمدا الله على ما أبلاكم، وسلوه يزدكم، وادعوه يُحبكم؛ يا معاشر معد؛ ما علَّتكم اليوم وأنتم في حصونكم - يعني الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعني السيوف؟ اذكروا حديث الناس في غد؛ فإنه بكم غداً يُبدأ عنده، وبمن بعدكم يُثنى.

وقال ابن الهذيل الأسدي: يا معاشر معد، اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كأسود الأجم، وترَبَّدوا لهم ترَبَّد النُّمور، وادَّرِعوا العجاج، وثقوا بالله. وغمَّضوا الأبصار، فإذا كلَّت السيوف فإنها مأمورة، فأرسلوا عليهم الجنادل، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه.

وقال بسر بن أبي رهم الجهني: احمدا الله، وصدَّقوا قولكم بفعل، فقد حمَّدتكم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره، وكبرتموه، وآمنتم بنبئه ورُسُلُه فلا تموتنَّ إلا وأنتم مُسلمون؛ ولا يكوننَّ شيء بأهون عليكم من الدنيا، فإنها تأتي من تهون بها، ولا تميلوا إليها فتَهْرُب منكم لتميل بكم. انصروا الله ينصركم.

وقال عاصم بن عمرو: يا معاشر العرب؛ إنَّكم أعيانُ العرب، وقد صمدتم الأعيان من العجم؛ وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكوننَّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم. لا تحدِّثوا اليوم أمراً تكونون به شيئاً على العرب غداً.

وقال ربيع بن البلاد السعدي: يا معاشر العرب، قاتلوا للدين والدنيا؛ ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١)، وإنَّ عظم الشيطان عليكم الأمر، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل.

وقال رباعي بن عامر: إنَّ الله هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفي الصبر الراحة، فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوها الجزع فتعتادوه.

وقام كلُّهم بنحو من هذا الكلام، وتواتق الناس، وتعاهدوا، واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم، وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك، وتعاهدوا وتواصوا؛ واقتربوا بالسلاسل؛ وكان المقترنون ثلاثين ألفاً.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي: إنَّ أهل فارس كانوا عشرين ومائة

ألف، معهم ثلاثون فيلاً، مع كل فيل أربعة آلاف.

كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن حلام عن مسعود بن خراش، قال: كان صفّ المشركين على شفير العتيق، وكان صفّ المسلمين مع حائط قُدَيْس، الخندق من ورائهم. فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق. ومعهم ثلاثون ألف مسلسل. ، وثلاثون فيلاً تُقاتل، وفيلة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل. وأمر سعد الناس أن يقرؤوا على الناس سورة الجهاد، وكانوا يتعلّمونها.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: قال سعد: الزموا مواقفكم، لا تحركوا شيئاً حتى تصلّوا الظهر، فإذا صلّيتم الظهر فإني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا. واعلموا أن التكبير لم يُعطه أحد قبلكم، واعلموا أنما أعطيتموه تأييداً لكم. ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا، ولتستمت عذتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس ليرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تحالطوا عدوكم؛ وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله!

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الريان، عن مُصعب بن سعد، مثله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء، عن أبي إسحاق، قال: أرسل سعد يوم القادسية في الناس: إذا سمعتم التكبير فشدوا شُسوع نعالكم، فإذا كبرت الثانية فتهيؤوا، فإذا كبرت الثالثة فشدوا النواجذ على الأضراس واحملوا.

كتب إليّ السريّ بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: لما صلّى سعد الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر إياه - وكان من القراء - أن يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون يتعلّمونها كلّهم، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد، فقرئت في كلّ كتيبة، فهشّت قلوب الناس وغيوهم وعرفوا السكينة مع قراءتها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: لما فرغ القراء كبر سعد، فكبر الذين يلونه تكبيرة، وكبر بعض الناس بتكبير بعض، فتحشش الناس، ثم ثنى فاستتم الناس، ثم ثلث فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال، وخرج من أهل فارس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وخرج غالب بن عبد الله الأسدي وهو يقول:

قد عَلِمَتْ واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح
أني سَمَامُ البَطَلِ المُشايح وفارجُ الأمرِ المُهمِّ الفادح

فخرج إليه هُرْمُز - وكان من ملوك الباب، وكان متوجّجاً - فأسره غالب أسراً، فجاء سعداً، فأدخل، وانصرف غالب إلى المطاردة، وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول:

قد عَلِمَتْ بيضاء صفراء اللَّبَبِ مثلُ اللُّجَيْنِ إذْ تَغْشَاهُ الذَّهَبُ
أني امرؤ ولا من تعيبه السُّبَبِ مثلي على مثلك يُغريه العَتَبُ

فطارد رجلاً من أهل فارس، فهرب منه وأتبعه، حتى إذا خالط صفّهم التقى بفارس معه بغله، فترك الفارس البغل، واعتصم بأصحابه فحموه، واستاق عاصم البغل والرَّحْلَ، حتى أفضى به إلى الصفّ، فإذا هو

خَبَّازُ الْمَلِكِ وَإِذَا الَّذِي مَعَهُ لَطَفُ الْمَلِكِ الْأَخْبَصَةُ وَالْعَسَلُ الْمَعْقُودُ، فَأَتَى بِهِ سَعْدًا، وَرَجَعَ إِلَى مَوْقِفِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ سَعْدٌ، قَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى أَهْلِ مَوْقِفِهِ، وَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ نَفَّلَكُمْ هَذَا فَكُلُوهُ، فَتَلَّاهُمْ إِيَّاهُ. قَالُوا: وَبَيْنَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ التَّكْبِيرَةَ الرَّابِعَةَ، إِذْ قَامَ صَاحِبُ رَجَالَةِ بَنِي نَهْدٍ قَيْسُ بْنُ جَذِيمٍ بْنُ جُرْثُومَةَ، فَقَالَ: يَا بَنِي نَهْدٍ انْهَدُوا، إِنَّمَا سَمَّيْتُمْ نَهْدًا لِتَفْعَلُوا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ: وَاللَّهِ لَتَكْفُنَّ أَوْ لَأُولَئِينَ عَمَلَكَ غَيْرَكَ. فَكَفَّ.

وَلَمَّا تَطَارَدَتِ الْخَيْلُ وَالْفُرْسَانُ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَنَادِي: مَرْدٌ وَمَرْدٌ، فَاثْتَدَبَ لَهُ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ وَهُوَ بِحَيْالِهِ، فَبَارَزَهُ فَاعْتَنَقَهُ، ثُمَّ جَلَدَ بِهِ الْأَرْضَ فَذَبَحَهُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ الْفَارَسِيَّ إِذَا فَقَدَ قَوْسَهُ فَإِنَّمَا هُوَ تَيْسٌ. ثُمَّ تَكَتَّبَتِ الْكَتَائِبُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: مَرَّبْنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ وَهُوَ يَحْضُضُ النَّاسَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ هَذِهِ الْأَعَاجِمِ إِذَا أَلْقَى مِزْرَاقَهُ، فَإِنَّمَا هُوَ تَيْسٌ؛ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ يَجْرُضُنَا إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَعَاجِمِ، فَوَقَفَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ فَرَمَى بِنُشَابَةٍ، فَمَا أَخْطَأَتْ سِيَّةَ قَوْسِهِ وَهُوَ مَتَنَكِّبُهَا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ، فَاعْتَنَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِمِنْطَقَتِهِ، فَاحْتَمَلَهُ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مَنَّا كَسَرَ عُنُقَهُ، ثُمَّ وَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى حَلْقِهِ فَذَبَحَهُ، ثُمَّ أَلْقَاهُ. ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا فَاصْنَعُوا بِهِمْ! فَقُلْنَا: يَا أَبَا ثَوْرٍ، مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ كَمَا تَصْنَعُ!

وَقَالَ بَعْضُهُمْ غَيْرُ إِسْمَاعِيلِ: وَأَخَذَ سِوَارِيَهُ وَمِنْطَقَتَهُ وَيَلْمَقُ دِيبَاجَ عَلَيْهِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ؛ أَنَّ الْأَعَاجِمَ وَجَّهَتْ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي فِيهِ بَجِيلَةٌ ثَلَاثَةَ عَشَرَ فَيْلًا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: كَانَتْ - يَعْنِي وَقْعَةُ الْقَادِسِيَّةِ - فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ فِي أَوَّلِهِ. وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ فَارَسَ: أَجَلْنَا، فَأَحَالَهُمْ عَلَى بَجِيلَةٍ، فَصَرَفُوا إِلَيْهِمْ سِتَّةَ عَشَرَ فَيْلًا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ قَالُوا: لَمَّا تَكَتَّبَتِ الْكَتَائِبُ بَعْدَ الطَّرَادِ حَلَّ أَصْحَابُ الْفَيْلَةِ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْكَتَائِبِ، فَابْذَعَرَتِ الْخَيْلُ؛ فَكَادَتْ بَجِيلَةٌ أَنْ تُؤْكَلَ؛ فَزَرَّتْ عَنْهَا خَيْلُهَا نِفَارًا، وَعَمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ فِي مَوَاقِفِهِمْ، وَبَقِيَتْ الرِّجَالُ مِنَ أَهْلِ الْمَوَاقِفِ، فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى بَنِي أَسَدٍ: ذَبُّوا عَنْ بَجِيلَةٍ وَمَنْ لَأَفْهًا مِنَ النَّاسِ؛ فَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ وَحَمَّالُ بْنُ مَالِكٍ وَغَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالرَّبِيعُ بْنُ عَمْرٍو فِي كَتَائِبِهِمْ، فَبَاشَرُوا الْفَيْلَةَ حَتَّى عَدَلَهَا رُكْبَانُهَا؛ وَإِنَّ عَلَى كُلِّ فَيْلٍ عَشْرِينَ رَجُلًا.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَرِيفٍ، أَنَّ طَلْحَةَ قَامَ فِي قَوْمِهِ حِينَ اسْتَصْرَخَهُمْ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا عَشِيرَتَاهُ؛ إِنَّ الْمَنُوَّ بِاسْمِهِ، الْمَوْثُوقُ بِهِ، وَإِنَّ هَذَا لَوْ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا أَحَقَّ بِإِغَاثَةِ هَؤُلَاءِ مِنْكُمْ اسْتَغَاثَهُمْ؛ ابْتَدَثُوهُمْ الشَّدَّةَ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِمْ إِقْدَامَ اللَّيْثِ الْحَرَبِيِّ؛ فَإِنَّمَا سَمَّيْتُمْ أَسَدًا لِتَفْعَلُوا فِعْلَهُ؛ شَدُّوا وَلَا تَصُدُّوا، وَكُرُّوا وَلَا تَفِرُّوا، اللَّهُ دُرِّيْعَةٌ! أَيُّ فَرِيٍّ يَفِرُّونَ! وَأَيُّ قَرْنٍ يُغْنُونَ! هَلْ يُوَصِّلُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ! فَأَغْنُوا عَنْ مَوَاقِفِكُمْ أَعَانَكُمْ اللَّهُ! شَدُّوا عَلَيْهِمْ بِاسْمِ اللَّهِ، فَقَالَ الْمَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ وَشَقِيقُ: فَشَدُّوا وَاللَّهِ عَلَيْهِمْ فَمَا زَالُوا يَطْعَنُونَهُمْ وَيَضْرِبُونَهُمْ حَتَّى حَبَسْنَا الْفَيْلَةَ عَنْهُمْ؛ فَأَخْرُتْ، وَخَرَجَ إِلَى طَلْحَةَ عَظِيمٌ مِنْهُمْ فَبَارَزَهُ؛ فَمَا لَبَّثَهُ طَلْحَةُ أَنْ قَتَلَهُ.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: وقام الأشعث بن قيس فقال: يا معشر كِنْدَة؛ لله درّ بني أسد! أيّ فَرِيّ يَفْرُونَ! وأيّ هَذَّ يَهْدُونَ عن موقفهم منذ اليوم. أغنى كلّ قوم ما يليهم؛ وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس! أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب منذ اليوم، وإنهم ليقتلون ويقاتلون؛ وأنتم جثاة على الركب تنظرون! فوثب إليه عدد منهم عشرة؛ فقالوا: عثر الله جدّك! إنك لتؤبّسنا جاهداً، ونحن أحسنُ الناس موقفاً! فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسوتهم! فيها نحن معك. فنهّد ونهدوا، فأزالوا الذين بإزائهم، فلما رأى أهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة أسد رمّوهم بحدّهم وبدر المسلمين الشدّة عليهم ذو الحاجب والجالتوس، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة، وقد ثبتوا لهم؛ وقد كبر سعد الرابعة، فرحف إليهم المسلمون ورخى الحرب تدور على أسد، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول؛ فكانت الخيول تُحجّم عنها وتُحيد، وتلجّ فرسانهم على الرّجل يشمّسون بالخيول؛ فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو، فقال: يا معشر بني تميم؛ ألستم أصحاب الإبل والخيول! أما عندكم هذه الفيلة من حيلة! قالوا: بلى والله؛ ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة، فقال لهم: يا معشر الرماة ذبّوا ركبنا الفيلة عنهم بالنبل، وقال: يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطّعوا وُضنها؛ وخرج يحميهم والرّحى تدور على أسد، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد؛ وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة، فأخذوا بأذنانها وذباذب توابيتها، فقطّعوا وُضنها، وارتفع عواؤهم؛ فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أعريّ، وقتل أصحابها، وتقابل الناس ونُقِس عن أسد، وردّوا فارس عنهم إلى مواقفهم؛ فاقتتلوا حتى غربت الشمس. ثمّ حتى ذهبّت هدأة من الليل؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء؛ وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة؛ وكانوا رداءاً للناس؛ وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم؛ وهذا يومها الأوّل وهو يوم أرمات.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن، عن القاسم، عن رجل من بني كنانة، قال: جالت المجنّبات ودارت على أسد يوم أرمات فقُتِل تلك العشية منهم خمسمائة رجل؛ فقال عمرو بن شأس الأسديّ:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ نَيْقٍ	إِلَى كِسْرَى فَوَافَقَهَا رِعَالاً
تَرَكْنَا لَهُمْ عَلَى الْأَقْسَامِ شَجَوّاً	وَبِالْحَقْوَيْنِ أَيَّاماً طَوَالاً
وَدَاعِيَةً بِفَارِسٍ قَدْ تَرَكْنَا	تُبَكِّي كُلَّمَا رَأَتْ الْهَيْلَالَ
قَتَلْنَا رُسْتُمّاً وَبَنِيهِ قَسْراً	تُثِيرُ الْخَيْلَ فَوْقَهُمُ الْهَيْلَالَ
تَرَكْنَا مِنْهُمْ حَيْثُ التَّقِينَا	فَيَأْمَأ مَا يُرِيدُونَ ارْتِحَالاً
وَفَرَّ الْبِيرُزَانُ وَلَمْ يُحَامِي	وَكَانَ عَلَى كَتِيبَتِهِ وَبَالاً
وَنَجَّى الْهُرْمُزَانَ حِذَا رُفْسٍ	وَرَكُضَ الْخَيْلِ مُوَصِّلَةً عِجَالاً

يوم أغواث

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وكان سعد قد تزوّج سلّمي بنت خَصَفَة؛ امرأة المثنى بن حارثة قبله بشراف، فنزل بها القادسيّة، فلما كان يوم أرمات، وجال الناس، وكان لا

يُطِيقُ جِلْسَةً إِلَّا مُسْتَوْفِزاً أَوْ عَلَى بَطْنِهِ؛ جَعَلَ سَعْدٌ يَتَمَلَّمُ وَيُحَوِّلُ جَزَعاً فَوْقَ الْقَصْرِ؛ فَلَمَّا رَأَتْ مَا يَصْنَعُ أَهْلُ فَارَسَ، قَالَتْ: وَامْتِنَاهُ وَلَا مُثْنِيٍّ لِلخَيْلِ الْيَوْمَ! - وَهِيَ عِنْدَ رَجُلٍ قَدْ أَضْجَرَهُ مَا يَرَى مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِي نَفْسِهِ - فَلَطَمَ وَجْهَهَا، وَقَالَ: أَيْنَ الْمُثْنَى مِنْ هَذِهِ الْكُتَيْبَةِ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا الرَّحَى! - يَعْنِي أَسْداً وَعَاصِماً وَخَيْلَهُ - فَقَالَتْ: أَغْيَرَةٌ وَجُبْنًا! قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَعْذِرُنِي الْيَوْمَ أَحَدٌ إِذَا أَنْتِ لَمْ تَعْذِرِيْنِي وَأَنْتِ تَرَيْنَ مَا بِي، وَالنَّاسُ أَحَقُّ أَلَّا يَعْذِرُونِي! فَتَعَلَّقَهَا النَّاسُ؛ فَلَمَّا ظَهَرَ النَّاسُ لَمْ يَبْقَ شَاعِرٌ إِلَّا اعْتَدَّ بِهَا عَلَيْهِ؛ وَكَانَ غَيْرَ جَبَانَ وَلَا مَلُومٍ. وَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ مِنَ الْغَدِ أَصْبَحُوا عَلَى تَعْبِيَةٍ، وَقَدْ وَكَّلَ سَعْدٌ رَجَالاً بِنَقْلِ الشَّهْدَاءِ إِلَى الْعُدُوبِ وَنَقَلَ الرَّثِيثَ؛ فَأَمَّا الرَّثِيثُ فَاسْلَمَ إِلَى النِّسَاءِ يَقُمْنَ عَلَيْهِمْ إِلَى قَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ؛ وَأَمَّا الشَّهْدَاءُ فَدَفَنُوهُمْ هُنَاكَ عَلَى مُشْرِقٍ - وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ الْعُدُوبِ وَبَيْنَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِي عُدُوتَيْهِ جَمِيعاً؛ الدُّنْيَا مِنْهَا إِلَى الْعُدُوبِ وَالْقُصُوصِ مِنْهَا مِنَ الْعُدُوبِ - وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ بِالْقِتَالِ حَمْلَ الرَّثِيثِ وَالْأَمْوَاتِ؛ فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمُ الْإِبِلُ وَتَوَجَّهَتْ بِهِمْ نَحْوَ الْعُدُوبِ طَلَعَتْ نَوَاصِي الْخَيْلِ مِنَ الشَّامِ - وَكَانَ فَنَحَ دِمَشْقَ قَبْلَ الْقَادِسِيَّةِ بِشَهْرٍ - فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ كِتَابَ عَمْرِو بْنِ بَصْرِفٍ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَصْحَابَ خَالِدٍ؛ وَلَمْ يَذْكُرْ خَالِداً ضَنْبٌ بِخَالِدٍ فَجَبَسَهُ وَسَرَّحَ الْجَيْشَ؛ وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ؛ خَمْسَةُ آلَافٍ مِنْ رِبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ وَآلُفٌ مِنْ أَفْنَاءِ الْيَمَنِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ؛ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، فَجَعَلَهُ أَمَامَهُ؛ وَجَعَلَ عَلَى إِحْدَى مَجَنَّبَتَيْهِ قَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ الْمُرَادِيَّ - وَلَمْ يَكُنْ شَهِدَ الْأَيَّامَ، أَتَاهُمْ وَهُمْ بِالْيَرْمُوكِ حِينَ صُفِّرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَصُفِّرَ مَعَهُمْ - وَعَلَى الْمَجَنَّبَةِ الْأُخْرَى الْمُهْزَاهُ بْنُ عَمْرٍو الْعِجْلِيَّ، وَعَلَى السَّاقَةِ أَنْسُ بْنُ عَبَّاسٍ. فَانْجَذَبَ الْقَعْقَاعُ وَطَوَى وَتَعَجَّلَ، فَقَدِمَ عَلَى النَّاسِ صَبِيحَةَ يَوْمِ أَغْوَثٍ، وَقَدْ عَهْدَ إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ يَتَقَطَّعُوا أَعْشَاراً؛ وَهُمْ آلُفٌ، فَكُلَّمَا بَلَغَ عَشْرَةَ مَدَى الْبَصَرِ سَرَّحُوا فِي آثَارِهِمْ عَشْرَةَ، فَقَدِمَ الْقَعْقَاعُ أَصْحَابَهُ فِي عَشْرَةِ، فَأَتَى النَّاسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ؛ وَبَشَّرَهُمُ بِالْجُنُودِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ فِي قَوْمٍ؛ وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانُوا بِمَكَانِكُمْ، ثُمَّ أَحْسُوَكُمْ حَسْدُوكُمْ حُطُوتَهَا، وَحَاحِلُوا أَنْ يَطِيرُوا بِهَا دُونَكُمْ، فَاصْنَعُوا كَمَا أَصْنَعُ، فَتَقَدَّمَ ثُمَّ نَادَى: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَقَالُوا فِيهِ يَقُولُ أَبِي بَكْرٍ: لَا يُهْزَمُ جَيْشٌ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا، وَسَكَنُوا إِلَيْهِ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ذُو الْحَاجِبِ، فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا بَهْمَنُ جَاذَوِيَّةٍ، فَنَادَى: يَا لِبَنَاتِ أَبِي عُبَيْدٍ وَسَلِيطِ وَأَصْحَابِ يَوْمِ الْجَسْرِ! فَاجْتَلَدَا، فَقَتَلَهُ الْقَعْقَاعُ، وَجَعَلَتْ خَيْلُهُ تَرْدُ قِطْعاً، وَمَا زَالَتْ تَرْدُ إِلَى اللَّيْلِ وَتَشْطُ النَّاسُ؛ وَكَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ مَصِيبَةٌ؛ وَكَأَنَّمَا اسْتَقْبَلُوا قِتَالَهُمْ بِقَتْلِ الْحَاجِبِيِّ وَلِلْحَاقِ الْقِطْعِ، وَانْكَسَرَتِ الْأَعَاجِمُ لَذَلِكَ. وَنَادَى الْقَعْقَاعُ أَيْضاً: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ: أَحَدُهُمَا الْبِيرِزَانُ وَالْآخَرُ الْبَنْدَوَانُ؛ فَانْضَمَّ إِلَى الْقَعْقَاعِ الْحَارِثُ بْنُ ظَبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ أَخُو بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ، فَبَارَزَ الْقَعْقَاعُ الْبِيرِزَانَ، فَضْرِبَهُ فَأَذْرَى رَأْسَهُ، وَبَارَزَ ابْنَ ظَبْيَانَ الْبَنْدَوَانَ، فَضْرِبَهُ فَأَذْرَى رَأْسَهُ، وَتَوَرَّدَهُمْ فَرَسَانُ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَ الْقَعْقَاعُ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، بَاشِرُوهُمْ بِالسُّيُوفِ، فَإِنَّمَا يُحْصِدُ النَّاسُ بِهَا! فَتَوَاصَى النَّاسُ، وَتَشَابَعُوا إِلَيْهِمْ، فَاجْتَلَدُوا بِهَا حَتَّى الْمَسَاءِ. فَلَمْ يَرِ أَهْلُ فَارَسَ فِي هَذَا الْيَوْمِ شَيْئاً مِمَّا يَعْجَبُهُمْ، وَأَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمُ الْقَتْلُ، وَلَمْ يَقَاتِلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى فِيلٍ، كَانَتْ تَوَابِيتُهَا تَكْثُرُ بِالْأَمْسِ، فَاسْتَأْنَفُوا عِلَاجَهَا حِينَ أَصْبَحُوا فَلَمْ تَرْتَفِعْ حَتَّى كَانَ الْغَدُ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنَ النَّخَعِ لَهَا بَنُونَ أَرْبَعَةٌ شَهِدُوا الْقَادِسِيَّةَ؛ فَقَالَتْ لِبَنِيهَا: إِنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ فَلَمْ تُبَدِّلُوا، وَهَاجَرْتُمْ فَلَمْ تَتَوْبُوا، وَلَمْ تَنْبُ بِكُمْ الْبِلَادَ، وَلَمْ تُقْجِمَكُمُ السَّنَةَ، ثُمَّ جِئْتُمْ بِأَمْكُمُ عَجُوزَ كَبِيرَةٍ فَوَضَعْتُمُوهَا بَيْنَ يَدَيِ أَهْلِ فَارَسَ؛ إِنَّكُمْ لَبَنُورُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، كَمَا أَنَّكُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ، وَلَا فَضَحْتُ خَالَكُمْ؛ انْطَلِقُوا فَاشْهَدُوا أَوَّلَ الْقِتَالِ وَآخِرَهُ.

فأقبلوا يشتدون، فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء، وهي تقول: اللهم ادفع عن بني! فرجعوا إليها، وقد أحسنوا القتال؛ ما كُلم منهم رجل كَلماً؛ فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء، ثم يأتون أمهم، فيلقونه في حجرها، فترده عليهم وتقسمه فيهم على ما يصلحهم ويرضيهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: فأزَرَ القعقاع يومئذ ثلاث نفر من بني يربوع رياحين، وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبر وكبر المسلمون، ويحمل ويحملون واليربوعيون: نعيم بن عمرو بن عتاب، وعتاب بن نعيم بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن همام، وعمرو بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة؛ أحد بني زيد. وقدم ذلك اليوم رسول لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء، إن كنت لقيت حرباً. فدعا حمّال بن مالك والربيع بن عمرو بن ربيعة الواليين وطليحة بن خويلد الفقعسي - وكلهم من بني أسد - وعاصم بن عمرو التميمي؛ فأعطاهم الأسياف، ودعا القعقاع بن عمرو واليربوعيين فحملهم على الأفراس؛ فأصاب ثلاثة من بني يربوع ثلاثة أرباعها، وأصاب ثلاث من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف، فقال في ذلك الربيع بن عمرو:

لقد علم الأقوام أنا أحقهم	إذا حصلوا بالمرهفات البواتر
وما فتئت خيلي عشيّة أرمثوا	يذودون رهواً عن جموع العشائر
لذن غدوة حتى أتى الليل دونهم	وقد أفلحت أخرى الليالي الغواير

وقال القعقاع في شأن الخيل:

لم تعرف الخيل العراب سواءنا	عشيّة أغواث بجنب القوادس
عشيّة رُحنا بالرُمّاح كأنها	على القوم ألوان الطيور الرّسارس

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي، عن أبيه، قال: كان يكون أول القتال في كل أيامها المطاردة، فلما قدم القعقاع قال: يا أيها الناس، اصنعوا كما أصنع، ونادى: مَنْ يبارز؟ فبرز له ذو الحجاب فقتله، ثم البريزان فقتله، ثم خرج الناس من كل ناحية، وبدأ الحرب والطعان، وحمل بنو عمّ القعقاع يومئذ، عشرة عشرة من الرجال، على إبل قد ألبسوها فهي مجلّة مبرقة، وأطافت بهم خيولهم، تحميمهم، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصّفين يتشبهون بالفيلة، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرمات، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيول المسلمين. فلما رأى ذلك الناس استنّوا بهم، فلقي فارس من الإبل يوم أغواث أعظم ممّا لقي المسلمون من الفيلة يوم أرمات.

وحمل رجل من بني تميم ممن كان يحمي العشيرة يقال له سواد، وجعل يتعرّض للشهادة، فقتل بعد ما حمل، وأبطأت عليه الشهادة؛ حتى تعرّض لرستم يريده، فأصيب دونه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغضن عن العلاء بن زياد، والقاسم بن سليم عن أبيه، قال: خرج رجل من أهل فارس، ينادي: مَنْ يبارز؟ فبرز له علباء بن جحش العجلي، فنّفحه علباء، فأسحره، ونفحه الآخر فأمعاه، وخرّاً؛ فأما الفارسي فمات من ساعته، وأما الآخر فانتشرت أمعاؤه، فلم

يستطع القيام، فعالج إدخالها فلم يتأت له حتى مرّ به رجل من المسلمين، فقال: يا هذا، أعني على بطني، فأدخله له، فأخذ بصفاقه، ثم زحف نحو صفّ فارس ما يلتفت إلى المسلمين، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مَصْرَعِه، إلى صفّ فارس، وقال:

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبِّنا ثَوَاباً قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ أَحْسَنَ الضَّرَابِ

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء، والقاسم عن أبيه، قالوا: وخرج رجل من أهل فارس فنادى: مَنْ يبارز؟ فبرز له الأعرَف بن الأَعلم العقيليّ فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه، ونَدَرَ سلاحه عنه فأخذه، فغَبَر في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه؛ وقال في ذلك:

وإن يأخذوا بَزِيّ فَإِنِّي مُجَرَّبٌ خَرُوجٌ مِنَ الْعَمَاءِ مُحْتَضِرُ النَّصْرِ
وَإِنِّي لِحَامٍ مِنْ وِراءِ عَشِيرَتِي رَكُوبٌ لِأَثَارِ الْهَوَى مُحْفِلُ الْأَمْرِ

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء، والقاسم عن أبيه، قالوا: فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة؛ كلّما طلعت قطعة حمل حملة، وأصاب فيها، وجعل يرتجز ويقول:

أَرْعِجُهُمْ عَمْداً بِهَا إِرْعَاجاً أَطْعُنْ طَعْناً صَائِباً تُجَاجَا

أَرْجُوبُهُ مِنْ جَنَّةِ أَفْوَاجَا

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة؛ كلّما حمل حملة قتل فيها، فكان آخرهم بُزُرُ جُمَهر الهَمْدانيّ، وقال في ذلك القعقاع:

حَبَوْتُهُ جِيَّاشَةً بِالنَّفْسِ هَذَارَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ
فِي يَوْمِ أَغْوَاثٍ فَلَيْلِ الْفُرْسِ أَنْخُسُ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ النَّخْسِ

حَتَّى تَفِيضَ مَعْشَرِي وَنَفْسِي

وبارز الأعور بن قُطبة شَهْرَ بَرَّازِ سِجِسْتان، فقتل كلّ واحد منهما صاحبه، فقال أخوه في ذلك:

لَمْ أَرِ يَوْماً كَانَ أَحْلَى وَأَمَرَّ مِنْ يَوْمِ أَغْوَاثٍ إِذْ افْتَرَّ الثَّغَرُ

مِنْ غَيْرِ ضَحْكٍ كَانَ أَسْوَاً وَأَبْرَّ

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، وشاركهم ابن مخرق عن رجل من طَبِئ، قالوا: وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار؛ فلما عدل النهار تزاحف الناس؛ فاقتتلوا بها صَتِيحاً حتى انتصف الليل؛ فكانت ليلة أرمات تُدعى الهدأة، وليلة أغواث تُدعى السّواد، والنّصف الأول يدعى السّواد. ثم لم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث في القادسيّة الطّفَر، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم، وجالت فيه خيل القلب، وثبت رَجُلُهُمْ؛ فلولا أن خيلهم كرّت أخذ رستم أخذاً فلماً ذهب السّواد بات النَّاس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرمات، ولم يزل المسلمون ينتمون لُدُنْ أَمَسُوا حتى تَفَايَؤُوا. فلما أَمَسى سعد وسمع ذلك نام، وقال لبعض من عنده: إن تمّ النَّاس على الانتماء فلا تَوْقُظْني، فإنهم أقوىاء على

عدوهم؛ وإن سكتوا ولم يَنْتَمِ الآخرون فلا توقظني، فإنهم على السَّوء فإن سمعتمهم ينتمون فأيقظني؛ فإن انتهاءهم عن السَّوء.

فقالوا: ولما اشتدَّ القتال بالسَّواد، وكان أبو مُحَجَّن قد حُبِسَ وقُيدَ، فهو في القصر، فصعد حين أَمسى إلى سعد يستعفيه ويستقبله، فزبره وردّه، فنزل، فأتى سلمى بنت خَصْفَة، فقال: يا سلمى يا بنت آل خَصْفَة؛ هل لكِ إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تَخْلِينِ عَنِّي وتُعِيرِينِي الْبَلْقَاءَ؛ فلله عليّ إن سلَّمَنِي الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قَيْدِي، فقالت: وما أنا وذاك! فرجع يرُسُف في قيوده، يقول:

كَفَى حَزْناً أَنْ تَرْدِي الْحَيْلَ بِالْقَنَا	وَأَتَرَكَ مَشْدُوداً عَلَيَّ وَثَاقِيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَّا نِي الْحَدِيدُ وَأَغْلَقْتُ	مَصَارِيْعَ دُونِي قَدْ تُصَمُّ الْمُنَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ	فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِداً لَا أَخَا لِيَا
وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أَحْيَسُ بَعْدَهُ	لَنْ فُرَجَتْ أَلَا أَزُورَ الْحَوَانِيَا

فقالت سلمى: إِنِّي اسْتَحَرْتُ الله ورضيتُ بعهدك، فأطلقته. وقالت: أمّا الفَرَسُ فلا أعيرها؛ ورجعتُ إلى بيتها، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها؛ ثم دبَّ عليها؛ حتى إذا كان بحيال الميمنة كَبُرَ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحهِ وسلاحه بين الصَّفَيْنِ؛ فقالوا: بسرجهَا، وقال سعيد والقاسم، غُرِيًّا؛ ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكَبُرَ وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصَّفَيْنِ برمحهِ وسلاحه، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فنذر أمام النَّاسِ، فحمل على القوم يلعب بين الصَّفَيْنِ برمحهِ وسلاحه؛ وكان يقصِّف النَّاسَ ليلتدِّ قَصْفاً منكراً وتعجَّب النَّاسُ منه وهم لا يعرفونه ولم يروهُ من النَّهار، فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه. وجعل سعد يقول وهو مُشْرِفٌ على النَّاسِ مُكَبِّبٌ من فوق القصر: والله لولا مُحَجَّنُ أَبِي مُحَجَّنٍ لَقُلْتُ: هذا أبو مُحَجَّنٍ وهذه الْبَلْقَاءُ! وقال بعض النَّاسِ: إنَّ كَانَ الْخَضِرُ يشهد الحروب فنظنَّ صاحب الْبَلْقَاءِ الْخَضِرُ، وقال بعضهم: لولا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تُبَاشِرُ الْقِتَالَ لَقُلْنَا: مَلَكٌ يَثْبُتُنَا؛ ولا يذكره النَّاسُ ولا يَأْهَوْنَ لَهُ؛ لأنَّهُ بات في محبسه، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس، وتراجع المسلمون، وأقبل أبو مُحَجَّنٍ حتى دخل من حيث خرج؛ ووضع عن نفسه وعن دابته، وأعاد رجلَيْهِ في قَيْدِيهِ، وقال:

لَقَدْ عَلِمْتُ ثَقِيفٌ غَيْرَ فَخْرٍ	بَأَنَا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سُيُوفاً
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعاً سَابِغَاتٍ	وَأَصْبَرُهُمْ إِذَا كَرِهُوا الْوُقُوفَا
وَأَنَا وَفْدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ	فَإِنْ عَمِيُوا فَسَلْ بِهِمْ عَرِيفاً
وَلَيْلَةً قَادِسٍ لَمْ يَشْعُرُوا بِي	وَلَمْ أَشْعُرْ بِمُخْرَجِي الزُّحُوفَا
فَإِنْ أَحْبَسَ فَذَلِكُمْ بِلَائِي	وَإِنْ أَتَرَكَ أَذِيقُهُمُ الْحُتُوفَا

فقالت له سلمى: يا أبا مُحَجَّنٍ، في أي شيء حبسك هذا الرجل؟ قال: أمّا والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدبُّ الشعر على لساني، يبعثه على شفتي أحياناً، فيساء لذلك ثنائي؛ ولذلك حبسني، قلت:

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ	تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُروْقَهَا
وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي	أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَا أَذُوقَهَا

وَتُرْوِي بِخمر الحُصِّ لحدي فَإِنِّي أَسِيرُ لَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَسَوَّقُهَا
ولم تزل سَلَمَى مغاضبة لسعد عَشِيَّةَ أَرَمَات، وليلة الهدأة، وليلة السواد؛ حتى إِذَا أَصْبَحَتْ أَتته وصالحته
وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن، فدعا به فأطلقه وقال: اذهب فما أَنَا مُؤَاخِذُكَ بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا
جَرَم؛ والله لا أَجيب لسانی إلى صفة قبیح أَبَدًا.

يوم عِماس

كتب إلى السريُّ بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، وابن مخراق عن
رجل من طَيِّء، قالوا: فأصبحوا من اليوم الثالث؛ وهم على مواقفهم؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم،
وأصبح ما بين النَّاسِ كالرَّجُلَةِ الحِمراء - يعني الحُرَّة - مِيلٌ في عرض ما بين الصَّفين، وقد قتل من المسلمين ألفان
من رثيث ومَيِّت، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث ومَيِّت. وقال سعد: مَنْ شَاءَ غَسَلَ الشهداء، ومن شاء
فليدفنهم بدمائهم. وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم، فجعلوهم من وراء ظهورهم، وأقبل الذين
يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر، وَيُبلِّغُونَ الرِّثِيثَ إلى النساء، وحاجب بن زيد على الشهداء، وكان النساء
والصبيان يحفرون القبور في اليومين: يوم أغواث، ويوم أَرَمَات، يُعْدَوْنَ مُشْرِقًا، فُذِنَ ألفان وخسمائة من
أهل القادسيَّة وأهل الأيام، فمرَّ حاجب وبعض أهل الشهادة ووَلَاةُ الشهداء في أصل نخلة بين القادسيَّة
والعُذَيْب، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها، فكان الرِّثِيث إِذَا حُمِلُوا فانتَهَى بهم إليها وأحدهم يَعْقِلُ سألهم أَن
يقفوا به تحتها يَسْتَرُّوْحَ إلى ظلِّها، ورجل من الجُرْحَى يُدعى بُجَيْرًا، يقول وهو مستظلٌّ بظلِّها:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا نَخْلَةً بَيْنَ قَادِسٍ وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ لَا يُجَاوِرُكَ النَّخْلُ

ورجل من بني ضَبَّة، أو من بني ثَوْر يُدعى غَيْلان، يقول:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا نَخْلَةً بَيْنَ جَرَعَةٍ يُجَاوِرُكَ الْجُمَانُ دُونَكَ وَالرَّغْلُ

ورجل من بني تَيْمِ الله، يقال له: رَبْعِي يقول:

أَيَا نَخْلَةَ الْجَرَعَاءِ يَا جَرَعَةَ الْعِدَى سَقَتِكَ الْغَوَادِي وَالْغُبُوثُ الْهَوَاطِلُ

وقال الأعور بن قُطْبَة:

أَيَا نَخْلَةَ الرُّكْبَانِ لَا زُلَّتْ فَاَنْضِرِي وَلَا زَالِ فِي أَكْنَافِ جَرَعَائِكَ النَّخْلُ

وقال عوف بن مالك التميمي - ويقال التيمي تَيْمِ الرَّبَابِ:

أَيَا نَخْلَةً دُونَ الْعُذَيْبِ بَتَلْعَةٍ سُقِيَتِ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ مِنَ النَّخْلِ

كتب إلى السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: وبات الققعاق ليلته كُلُّهَا
يسرَّب أصحابه إلى المكان الذي فارقه فيه من الأَمْس، ثم قال: إِذَا طَلَعَتْ لَكُمْ الشَّمْسُ، فَأَقْبِلُوا مائة مائة،
كَلِمًا تَوَارَى عَنْكُمْ مائة فليتبعتها مائة؛ فَإِنْ جَاءَ هَاشِمُ فَذَاكَ وَإِلَّا جَدَّدْتُمْ لِلنَّاسِ رَجَاءً وَجَدًّا، ففعلوا، ولا يشعر
بذلك أَحَدٌ، وأصبح النَّاسُ على مواقفهم قد أحرزوا قتلاهم؛ وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَاجِبِ بْنِ زَيْدٍ وَقَتْلَى الْمَشْرِكِينَ

بين الصّفين قد أضيعوا، وكانوا لا يعرضون لأمواتهم، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشدّ بها أعضاده المسلمين؛ فلمّا ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل، وطلعت نواصيها كبر وكبر الناس، وقالوا: جاء المدد، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها؛ فجاءوا من قبل خفّان، فتقدّم الفرسان وتكتّبت الكتائب، فاختلفوا الضرب والطعن، ومددّهم متتابع؛ فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم؛ وقد طلّوا في سبعمائة، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يومه، فعبى أصحابه سبعين سبعين، فلمّا جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث - ولم يكن من أهل الأيام؛ إنما أتى من اليمن اليرموك - فانتدب مع هاشم، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب؛ كبر وكبر المسلمون؛ وقد أخذوا مصافهم، وقال هاشم: أول القتال المطاردة ثم المراماة؛ فأخذ قوسه، فوضع سهماً على كبدها، ثم نزع فيها، فرفعت فرسه رأسها، فخلّ أذنّها، فضحك وقال: واسواتاه من رمية رجل! كلّ من رأى ينتظره! أين ترون سهمي كان بالغاً؟ فقل: العتيق، فترّقها وقد نزع السهم، ثم ضربها حتى بلغت العتيق، ثم ضربها فأقبلت به تحرقهم، حتى عاد إلى موقفه، وما زالت مقابله تطلع إلى الأولى، وقد بات المشركون في علاج توابيتهم، حتى أعادوها، وأصبحوا على مواقفهم، وأقبلت الفيلة معها الرّجاله يحمونها أن تقطع وضنها، ومع الرّجاله فرسان يحمونهم، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه، لينفروا بهم خيلهم، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس، لأنّ الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش، وإذا أطافوا به كان أنس، فكان القتال كذلك، حتى عدل النهار، وكان يوم عِماس من أوله إلى آخره شديداً؛ العرب والعجم فيه على السواء، ولا يكون بينهم نقطة إلّا تعاوَرها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد، فيبعث إليهم أهل النّجّادات ممّن بقي عنده، فيقومون بهم، وأصبحت عنده للذي لقي بالأمس الأمداد على البرد، فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم بهاشم، كسر ذلك المسلمين.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قدم هاشم بن عتبة من قبل الشام، معه قيس بن المكشوح المراديّ في سبعمائة بعد فتح اليرموك ودمشق؛ فتعجّل في سبعين؛ فيهم سعيد بن نمران الهمدانيّ. قال مجالد: وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدّمة هاشم.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن جَحْدَب بن جَرَعَب، عن عصمة الوائليّ - وكان قد شهد القادسيّة - قال: قدم هاشم في أهل العراق من الشام، فتعجّل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلّا نفير، منهم ابن المكشوح؛ فلمّا دنا تعجّل في ثلاثمائة، فوافق الناس وهم على مواقفهم، فدخلوا مع الناس في صفوفهم.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كان اليوم الثالث يوم عِماس؛ ولم يكن في أيام القادسيّة مثله؛ خرج الناس منه على السواء، كلّهم على ما أصابه كان صابراً، وكلّمّا بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثله.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الرّيّان، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، قال: قدم هاشم بن عتبة القادسيّة يوم عِماس، فكان لا يقاتل إلّا على فرس أنثى، لا يقاتل على ذكر؛ فلمّا وقف في الناس رمى بسهم، فأصاب أذن فرسه، فقال: واسواتاه من هذه! أين ترون سهمي كان بالغاً؟ ولم يُصيب أذن

الفرس! قالوا: كذا وكذا، فأجال فنزل وترك فرسه، ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: وكان في الميمنة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الریان، عن إسماعيل بن محمد، قال: كنا نرى أنه كان على الميمنة، وما كان عامة جُنن الناس إلا البراذع؛ براذع الرحال، قد أعرضوا فيها الجريد، وعصّب من لم يكن له وقاية رؤوسهم بالأنساع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي كبران الحسن بن عُبَبة، أن قيس بن المكشوح، قال مقدّمه من الشام مع هاشم، وقام فيمن يليه، فقال لهم: يا معشر العرب، إن الله قد منّ عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد ﷺ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً. دَعَوْتُكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدّو بعضهم على بعض عدّو الأسد، ويختطف بعضهم بعضاً اختطاف الذئب، فانصروا الله ينصركم، وتنجّزوا من الله فتح فارس؛ فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام، وانتثال القصور الحمر والحصون الحمر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المقدم الحارثي، عن الشعبي، قال: قال عمرو بن معد يكرب: إني حامل على الفيل ومن حوله - لفيل بإزائهم - فلا تدعوني أكثر من جزر جزور، فإن تأخرتم عني فقدتم أبا ثور؛ فإني لكم مثل أبي ثور! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف. فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم، وستره الغبار، فقال أصحابه: ما تنتظرون! ما أنتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم، فحملوا حملة، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه، وإن سيفه لفي يده يضاربهم، وقد طعن فرسه، فلما رأى أصحابه، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس، فحرّكه الفارسي، فاضطرب الفرس، فالتفت الفارسي إلى عمرو؛ فهمّ به وأبصره المسلمون، فغشّوه، فنزل عنه الفارسي، وحاضر إلى أصحابه، فقال عمرو: أمكنوني من لجامه، فأمكنوه منه فركبه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المغيرة العبدي، عن الأسود بن قيس، عن أشياخ لهم شهدوا القادسيّة، قالوا: لما كان يوم عِماس خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصّفين هدر وشقشق وندى: من يبارز؟ فخرج رجل منّا يقال له شبر بن علقمة - وكان قصيراً قليلاً دميماً - فقال: يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرّجل، فلم يُجبه أحد؛ ولم يخرج إليه أحد، فقال: أما والله لولا أن تزدروني لخرجت إليه. فلما رأى أنه لا يمنع أخذ سيفه وحجّفته، وتقدم. فلما رآه الفارسي هدر، ثم نزل إليه فاحتمله، فجلس على صدره، ثم أخذ سيفه ليذبحه ومقوّد فرسه مشدود بمنطقته، فلما استلّ السيف حاص الفرس حيصة فجذبه المقود، فقلبه عنه، فأقبل عليه وهو يُسحب، فافترشه، فجعل أصحابه يصيحون به، فقال: صيحوا ما بدا لكم؛ فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه. فذبحه وسلبه، ثم أتى به سعداً، فقال: إذا كان حين الظّهر فأتني، فوافاه بالسّلب، فحمد الله سعد وأثنى عليه، ثم قال: إني قد رأيت أن أنحله إياه، وكلّ من سلب سلباً فهو له فباعه باثني عشر ألفاً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: ولما رأى سعد الفيلة تُفرّق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرمات، أرسل إلى أولئك المُسلمة: ضُخّم، ومُسْلِم، ورافع، وعَشَنق، وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا، فدخلوا عليه، فسألهم عن الفيلة: هل لها مقاتل؟ فقالوا: نعم؛ المشافر والعيون لا

يُتَنَفَّعُ بها بعدها. فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو: اكفياني الأبيض - وكانت كلها آفة له، وكان بإزائها - وأرسل إلى حمّال والرّبيل: اكفياني الفيل الأجر، وكانت آفة له كلها، وكان بإزائها، فأخذ القعقاع وعاصم رحين أصمّين لينين ودّبا في خيل ورجل فقالا: اكتنفوه لتخيروه، وهما مع القوم، ففعل حمّال والرّبيل مثل ذلك فلما خالطوهما اكتنفوهما، فنظر كلّ منهما يئنة ويسرة، وهما يريدان أن يتخبّطا، فحمل القعقاع وعاصم، والفيل متشاغل بمن حوله، فوضعا رجليهما معاً في عيني الفيل الأبيض، وقبع ونفض رأسه، فطرح سائسه ودلّ مشفره، فنفحه القعقاع، فرمى به ووقع لجنبه، فقتلوا من كان عليه، وحمل حمّال، وقال للرّبيل: اختر، إمّا أن تضرب المشفر وأطعن في عينه، أو تطعن في عينه وأضرب مشفره؛ فاختر الضرب، فحمل عليه حمّال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه؛ لا يخاف سائسه إلّا على بطانه، فانفرد به أولئك، فطعنه في عينه، فأنقعى؛ ثم استوى ونفحه الرّبيل، فأبان مشفره وبصر به سائسه، فبقر أنفه وجبينه بفأسه.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قال رجلان من بني أسد؛ يقال لهما الرّبيل وحمّال: يا معشر المسلمين أيّ الموت أشدّ؟ قالوا: أن يُشدّ على هذا الفيل، فنزقا فرسيهما حتى إذا قاما على السّنايك ضرباهما على الفيل الذي بإزائهما، فطعن أحدهما في عين الفيل، فوطئ الفيل من خلفه، وضرب الآخر مشفره، فضربه سائس الفيل ضربة شائعة بالطبرزين في وجهه، فأفلت بها هو والرّبيل، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذي بإزاهما، ففقا عينيه، وقطعا مشفره، فبقي متلذداً بين الصّفين، كلّما أتى صفّ المسلمين وخزوه، وإذا أتى صفّ المشركين نخسوه.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: كان في الفيلة فيلان يعلمان الفيلة، فلما كان يوم القادسيّة حملوهما على القلب؛ فأمر بهما سعد القعقاع وعاصم التميميّ وحمّالا والرّبيل الأسدّيين؛ فذكر مثل الأول إلّا أن فيه: وعاش بعد، وصاح الفيلان صياح الخنزير، ثم ولّى الأجر الذي عور فوثب في العتيق، فاتبعته الفيلة؛ فخرقت صفّ الأعاجم فعبرت العتيق في أثره، فأنت المدائن في توابيتها، وهلك من فيها.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد؛ قالوا: فلما ذهبت الفيلة، وخلّص المسلمون بأهل فارس، ومال الظلّ تراحف المسلمون، وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار، فاجتلدوا بها حتى أمسوا على حرّ؛ وهم في ذلك على السّوء، لأنّ المسلمين حين فعلوا بالفيول ما فعلوا، تكثبت كتائب الإبل المجففة، فغرقوا فيها؛ وكفكفوا عنها. وقال في ذلك القعقاع بن عمرو:

حَضَضَ قَوْمِي مَضْرَجِي بَنُ يَعْمَرِ	فَلَلَهُ قَوْمِي حِينَ هَزُّوا الْعَوَالِيَا
وَمَا خَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ جَمُوعُنَا	لَأَهْلِ قُدَيْسٍ يَمْنَعُونَ الْمَوَالِيَا
فَإِنْ كُنْتُ قَاتَلْتُ الْعَدُوَّ فَلْتُهُ	فَإِنِّي لَأَلْقَى فِي الْحُرُوبِ الدَّوَاهِيَا
فَيُولَا أَرَاهَا كَالْبَيُوتِ مُغِيرَةً	أَسْمَلُ أَعْيَاناً لَهَا وَمَاقِيَا

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد، قالوا: لما أمسى الناس من يومهم ذلك، واطعنوا في الليل؛ اشتدّ القتال وصبر الفريقان، فخرجوا على السّوء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء، فسُميت ليلة الحرير؛ لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسيّة.

قال أبو جعفر: كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد بن محمد بن قيس، عن عبد الرحمن بن جيش؛ أنّ سعداً بعث ليلة الهريز طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خشية أن يأتيه القوم منها؛ وقال لهما: إن وجدتما القوم قد سبقوكما إليها فانزلا بحيالهم؛ وإن لم تجداهم علموا بها، فأقيا حتى يأتيكما أمري - وكان عمر قد عهد إلى سعد ألا يولي رؤساء أهل الردّة على مائة - فلما انتهيا إلى المخاضة فلم يريا فيها أحداً، قال طليحة: لو خضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم! فقال عمرو: لا، بل نعبّر أسفل؛ فقال طليحة: إنّ الذي أقوله أنفع للناس، فقال عمرو: إنّك تدعوني إلى ما لا أطيق، فافترقا، فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده، وسفل عمرو بأصحابها جميعاً، فأغاروا، وثارت بهم الأعاجم، وخشي سعد منها الذي كان، فبعث قيس بن المكشوح في آثارهما في سبعين رجلاً، وكان من أولئك الرؤساء الذين نهى عنهم أن يوليهم المائة، وقال: إن لحقتهم فانت عليهم. فخرج نحوهم، فلما كان عند المخاضة وجد القوم يكردون عمراً وأصحابه، فنهه الناس عنه، وأقبل قيس على عمرو يلومه، فتلاحيا، فقال أصحابه: إنّهُ قد أمر عليك؛ فسكت، وقال: يتأمر عليّ رجل قد قاتلته في الجاهلية عُمرَ رجل! فرجع إلى العسكر، وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السكّر، كبر ثلاث تكبيرات؛ ثم ذهب، فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك! وسفل حتى خاض، ثم أقبل إلى العسكر، فأق سعداً فأخبره؛ فاشتد ذلك على المشركين، وفرح المسلمون وما يدرون ما هو!

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن قدامة الكاهليّ، عمّن حدّثه، أن عشرة إخوة من بني كاهل بن أسد، يقال لهم بنو حرب؛ جعل أحدهم يرتجز ليلتذ، ويقول:

أنا ابن حربٍ ومعي مِخْراقِي أَضْرِبُهُمْ بِصَارِمِ رَقْرَاقِ
إِذْ كَرِهَ الْمَوْتُ أَبُو إِسْحَاقِ وَجَاشَتِ النَّفْسُ عَلَى التَّرَاقِ

صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ

وكان عِفَاق أحد العشرة، فأصيب فخذ صاحب هذا الشعر يومئذ، فأنشأ يقول:

صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ صَبْرًا وَلَا تَغْرُرْكَ رِجْلُ نَادِرَةِ

فمات من ضربته يومئذ.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرُّقَيْل، عن أبيه، عن حميد بن أبي شُجَّار، قال: بعث سعد طليحة في حاجة فتركها، وعبر العتيق، فدار إلى عسكر القوم، حتى إذا وقف على رَدَم النهر كبر ثلاث تكبيرات، فراع أهل فارس، وتعجب المسلمون، فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك، فأرسلت الأعاجم في ذلك، وسأل المسلمون عن ذلك. ثم إنهم عادوا وجدّدوا تعبته، وأخذوا في أمر لم يكونوا عليه في الأيام الثلاثة، والمسلمون على تعبته، وجعل طليحة يقول: لا تعدّوا امرأ ضعفكم. وخرج مسعود بن مالك الأسديّ وعاصم بن عمرو التميميّ وابن ذي البردين الهلاليّ وابن ذي السَّهْمَيْنِ وقيس بن هُبيرة الأسدي، وأشباههم، فطاردوا القوم، وانبعثوا للقتال، فإذا القوم لمة لا يشدون، ولا يريدون غير الزحف، فقدموا صفّاً له أذنان، وأتبعوا آخر مثله، وآخر وآخر، حتى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفّاً في القلب والمجنبين كذلك؛ فلما أقدم عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم؛ ثم لحقت بالفرسان الكتائب، فأصيب ليلتذ خالد بن يَعْمَر التميميّ، ثم العُمريّ؛ فحمل القعقاع على ناحيته التي رمى بها مزدلفاً، فقاموا على ساق، فقال القعقاع.

سَقَى اللَّهُ يَا خَوْصَاءُ قَبْرِ ابْنِ يَعْمَرٍ إِذَا ارْتَحَلَ السُّفَارُ لَمْ يَتَرَحَّلْ
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ خَالِدٍ ذَهَابَ غَوَادٍ مُدْجِنَاتٍ تُجَلِّجُلُ
فَأَقْسَمْتُ لَا يَنْفُكُ سَيْفِي يَحُسُّهُمْ فَإِنْ رَحَلَ الْأَقْوَامُ لَمْ أَتَزَحَّلْ

فراحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد؛ فقال سعد: اللهم اغفرها له، وانصره قد أذنت له إذ لم يستأذني، والمسلمون على موافقهم، إِلَّا مَنْ تَكْتَبُ أَوْ طَارِدْهُمْ وَهُمْ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ، فَصَفٌّ فِيهِ الرَّجَالَةُ أَصْحَابُ الرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ، وَصَفٌّ فِيهِ الْمَرَامِيَةُ، وَصَفٌّ فِيهِ الْخِيُولُ، وَهُمْ أَمَامَ الرَّجَالَةِ، وَكَذَلِكَ الْمِيْمَنَةُ، وَكَذَلِكَ الْمَيْسِرَةُ. وَقَالَ سَعْدٌ: إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي صَنَعَ الْقَعْقَاعُ، فَإِذَا كَبُرَتْ ثَلَاثًا فَازْحَفُوا، فَكَبُرَ تَكْبِيرَةً فَتَهَيَّؤُوا، وَرَأَى النَّاسُ كُلَّهُمْ مِثْلَ الَّذِي رَأَى، وَالرَّحَى تَدُورُ عَلَى الْقَعْقَاعِ وَمَنْ مَعَهُ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْة، قَالَ: وَقَامَ قَيْسُ بْنُ هَبِيرَةَ الْمَرَادِيُّ فِيمَنْ يَلِيهِ، وَلَمْ يَشْهَدْ شَيْئًا مِنْ لِبَالِيهَا إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ؛ فَقَالَ: إِنَّ عَدُوَّكُمْ قَدْ أَبَى إِلَّا الْمَزَاحِفَةَ، وَالرَّأْيَ رَأْيَ أَمِيرِكُمْ، وَلَيْسَ بِأَنْ تَحْمَلَ الْخَيْلُ لَيْسَ مَعَهَا الرَّجَالَةُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِذَا زَحَفُوا وَطَارِدْهُمْ عَدُوَّهُمْ عَلَى الْخَيْلِ لَا رَجَالَ مَعَهُمْ عَقَرُوا بِهِمْ؛ وَلَمْ يَطِيقُوا أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَتَيْسَّرُوا لِلْحِمْلَةِ. فَتَيْسَّرُوا وَانْتَظَرُوا التَّكْبِيرَةَ وَمُوَافَقَةَ حَمْلِ النَّاسِ؛ وَإِنَّ نُشَابَ الْأَعَاجِمِ لَتَجُوزُ صَفَّ الْمُسْلِمِينَ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، قَالَ: وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ كَعْبٍ النَّخَعِيُّ، وَكَانَ مَعَهُ لَوَاءُ النَّخَعِ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَهَيَّؤُوا لِلْمَزَاحِفَةِ، فَاسْبِقُوا الْمُسْلِمِينَ اللَّيْلَةَ إِلَى اللَّهِ وَالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْبِقُ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى قَدَرِ سَبْقِهِ؛ نَافِسُوهُمْ فِي الشَّهَادَةِ، وَطِيبُوا بِالْمَوْتِ نَفْسًا؛ فَإِنَّهُ أَنْجَى مِنَ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْحَيَاةَ، وَإِلَّا فَالْآخِرَةُ مَا أُرْدْتُمْ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْأَجْلَحِ، قَالَ: قَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ؛ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ، وَلَا أَسْخَى أَنْفُسًا عَنِ الدُّنْيَا، تَنَافَسُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ، وَلَا تَجَزَّعُوا مِنَ الْقَتْلِ، فَإِنَّهُ أَمَانِي الْكِرَامِ؛ وَمَنَايَا الشُّهَدَاءِ، وَتَرَجَّلْ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَأَمْرَاءُ الْأَعْيَانِ: تَرَجَّلُوا أَيُّهَا النَّاسُ، وَافْعَلُوا كَمَا نَفْعَلُ، وَلَا تَجَزَّعُوا نَمًّا لَا بَدَّ مِنْهُ، فَالْصَّبْرُ أَنْجَى مِنَ الْفَرْعِ. وَفَعَلَ طُليحةٌ وَغَالِبٌ وَحَمَالٌ وَأَهْلُ النَّجْدَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ مِثْلَ ذَلِكَ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ النَّضْرِ بْنِ السَّرِيِّ، قَالَا: وَنَزَلَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيُّ، وَتَتَابَعَ عَلَى التَّسَرُّعِ إِلَيْهِمُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِيهَا بَيْنَ تَكْبِيرَاتِ سَعْدٍ حِينَ اسْتَبَطَوْهُ. فَلَمَّا كَبُرَ الثَّانِيَةَ، حَمَلَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو حَتَّى انْضَمَّ إِلَى الْقَعْقَاعِ، وَحَمَلَتِ النَّخَعُ، وَعَصَى النَّاسُ كُلُّهُمْ سَعْدًا، فَلَمْ يَنْتَظِرِ الثَّالِثَةَ إِلَّا الرُّؤَسَاءُ، فَلَمَّا كَبُرَ الثَّالِثَةَ زَحَفُوا فَلَحَقُوا بِأَصْحَابِهِمْ، وَخَالَطُوا الْقَوْمَ، فَاسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ اسْتِقْبَالًا بَعْدَ مَا صَلَّوْا الْعِشَاءَ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَيْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَمَلَ النَّاسُ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ عَامَّةً؛ وَلَمْ يَنْتَظِرُوا بِالْحِمْلَةِ سَعْدًا، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الْقَعْقَاعَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْهَا لَهُ وَانْصُرْهُ. وَقَالَ: وَاتِمِّمَاهُ سَائِرَ اللَّيْلَةِ ثُمَّ قَالَ: أَرَى الْأَمْرَ مَا فِيهِ هَذَا، فَإِذَا كَبُرَتْ ثَلَاثًا فَاحْمِلُوا. فَكَبُرَ وَاحِدَةً

فلحقتهم أسد، فقيل: قد حملت أسد، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم؛ وأسداه سائر الليلة! ثم قيل: حملت النخع، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم؛ وأنخعه سائر الليلة! ثم قيل: حملت بجيلة، فقال: اللهم اغفرها لهم، وانصرهم؛ وابجيلته! ثم حملت الكنود، فقيل: حملت كنده، فقال: واكندته! ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبير، فقامت حربهم على ساق حتى الصباح، فذلك ليلة الحرير.

كتب إليّ السري، عن شعيب عن سيف، عن محمد بن نويرة، عن عمه أنس بن الحليس، قال: شهدت ليلة الحرير، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها. ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد، وأقبل سعد على الدعاء، حتى إذا كان وجه الصبح، انتهى الناس فاستدلّ بذلك على أنهم الأعلون، وأن الغلبة لهم.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الأعور بن بنان المنقري، قال: أول شيء سمعته سعد ليلتئذ مما يستدلّ به على الفتح في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحن قتلنا مَعْشَرًا وزائداً أربعة وخمسةً وواحدًا
نَحْسِبُ فوق اللَّبَدِ الأسودا حَتَّى إذا ماتوا دعوتُ جَاهِدَا
اللهُ رَبِّي، واحتزرتُ عامداً

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الأعور ومحمد عن عمه، والنضر عن ابن الرُقَيْل، قالوا: اجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون، كلامهم الحرير، فسُميت ليلة الحرير.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الرِّيَّان، عن مُصْعَب بن سعد، قال: بعث سعد في تلك الليلة بجاداً وهو غلام إلى الصفّ، إذ لم يجد رسولاً، فقال: انظر ما ترى من حالهم؛ فرجع فقال: ما رأيت أيّ بُنيّ؟ قال: رأيتهم يلعبون، فقال: أويجِدُونَ!.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن جرير العبدي، عن عابس الجعفي، عن أبيه، قال: كانت بإزاء جُعْفِيّ يوم عماس كتيبة من كتائب العجم، عليهم السلاح التام، فازدلفوا لهم، فجالدوهم بالسيوف، فرأوا أن السيوف لا تعمل في الحديد فارتدعوا، فقال حميضة: ما لكم؟ قالوا: لا يجوز فيهم السلاح، قال: كما أنتم حتى أريكم، انظروا. فحمل على رجل منهم، فدق ظهره بالرمح ثم التفت إلى أصحابه، فقال: ما أراهم إلّا يموتون دونكم. فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفّهم.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي، قال: لا والله ما شهدها من كنده خاصّة إلّا سبعمائة؛ وكان بإزائهم ترك الطبري، فقال الأشعث: يا قوم ازحفوا لهم، فرحف لهم في سبعمائة؛ فأزالهم وقتل تركاً، فقال راجزهم:

نحن تركنا تركهم في المَظْطَرَّة مُختَضِباً من بَهْران الأبْهَرَةِ

ليلة القادسيّة

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة وزباد، قالوا: وأصبحوا ليلة القادسيّة؛ وهي صُبْحَة ليلة الهريز، وهي تسمّى ليلة القادسيّة، من بين تلك الأيام والناس حَسْرَى، لم يغمضوا ليلتهم كلّها، فسار القعقاع في النَّاس، فقال: إن الدَّبْرَة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحلوا، فإنَّ النَّصر مع الصَّبر. فآثروا الصَّبر على الجَزَع؛ فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، وصمدوا لرستم، حتى خالطوا الذين دونه مع الصُّبح.

ولما رأت ذلك القبائل قامَ فيها رجال، فقام قيس بن عبد يَغوث والأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب وابن ذي السَّهْمَيْنِ الخثعميَّ وابن ذي البُرْدَيْنِ الهلاليّ، فقالوا: لا يكوننَّ هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم، ولا يكوننَّ هؤلاء - لأهل فارس - أجراً على الموت منكم؛ ولا أسخَى أنفساً عن الدنيا، تنافسوها. فحملوا ممّا يليهم حتى خالطوا الذين بإزائهم، وقام في ربيعة رجال، فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس وأجروهم عليهم فيما مضى؛ فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجراً مما كنتم بالجرّة! فكان أوّل مَنْ زال حين قام قائم الظهيرَة الهُرْمَزَان والبيرزان، فتأخَّرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرَة، وركد عليهم النَّقْع وهبَّت ريحٌ عاصف، فقلعت طيَّارة رستم عن سريه، فهوت في العتيق؛ وهي دُبُور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومَنْ معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين طارت الرِّيح بالطيَّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة، فاستظل في ظلِّ بغل وجملَه، وضرب هلال بن عُلفَة الحِمْل الذي رستم تحته؛ فقطع حباله، ووقع عليه أحد العُدْلين، ولا يراه هلال ولا يشعر به؛ فأزال من ظهره فقاراً، ويضربه ضربة فنفتحت مسكاً، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه؛ فتناوله وقد عام؛ وهلال قائم، فأخذ برجله، ثم خرج به إلى الجُدِّ، فضرب جبينه بالسَّيف، حتى قتله، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال، وصعد السرير، ثم نادى: قتلْتُ رستم وربَّ الكعبة؛ إليّ؛ فأطافوا به وما يُحْسِنُ السرير ولا يروّنه؛ وكَبُرُوا وتنادَوْا، وانبت قلب المشركين عندها وانهمزوا، وقام الجالنوس على الرِّدم، ونادى أهل فارس إلى العبور، وانسفر الغبار؛ فأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبّر، وهم ثلاثون ألفاً، وأخذ ضرار بن الخطاب «دِرْفُسَ كَبايان»، فعَوَّضَ منها ثلاثين ألفاً، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا في الأيام قبله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن عمرو بن سلّمة، قال: قتل هلال بن عُلفَة رستم يوم القادسية.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن ابن مخرق، عن أبي كعب الطائيّ، عن أبيه، قال: أصيب من الناس قبل ليلة الهريز ألفان وخمسمائة، وقتل ليلة الهريز ويوم القادسيّة ستة آلاف من المسلمين، فدَفَنُوا في الخندق بحيال مُشَرَّق.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزباد، قالوا: لما انكشف أهل فارس؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخندق والعتيق أحد، وطَبَّقَت القتل ما بين قُدَيْس والعتيق أمر سعد زُهرة باتباعهم، فنadí

زهرة في المقدمات، وأمر القعقاع بمن سفل، وشرحبيل بمن علا، وأمر خالد بن عُرْفُطَةَ بسلب القتلى وبدفن الشهداء، فدفن الشهداء، شهداء ليلة التحرير ويوم القادسية، حول قُدَيْس ألفان وخمسمائة وراء العتيق بجيال مشرق، ودفن شهداء ما كان قبل ليلة التحرير على مشرق، وجمعت الأسلاب والأموال فيجمع منها شيء لم يجمع قبله ولا بعده مثله؛ وأرسل سعد إلى هلال، فدعا له، فقال: أين صاحبك؟ قال: رميت به تحت أبغل؛ قال: اذهب فجيء به، فذهب فجاء به، فقال: جرّده إلا ماشئت، فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئاً، ولما رجع القعقاع وشرحبيل قال لهذا: اغد فيما طلب هذا، وقال لهذا: اغد فيما طلب هذا؛ فعلا هذا، وسفل هذا، حتى بلغا مقدار الحرارة من القادسية، وخرج زهرة بن الحوية في آثارهم، وانتهى إلى الرّدم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطلب، فقال زهرة: يا بُكَيْر، أقدم، فضرب فرسه، وكان يقاتل على الإناث، فقال: ثبي أطلال، فجمعت وقالت: وثباً وسورة البقرة! وثب زهرة - وكان عن حصان - وسائر الخيل فاقترحتهم، وتتابع على ذلك ثلاثمائة فارس، ونادى زهرة حيث كاعت الخيل: خذوا أيها الناس على القنطرة، وعارضونا، فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتبعونه، فلحق بالقوم والجالنوس في آخرهم يحميهم، فشاولة زهرة، فاختلعا ضربتين، فقتله زهرة، وأخذ سلبه، وقتلوا ما بين الحرارة إلى السيلحين، إلى النجف؛ وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبدالله بن شبرمة، عن شقيق؛ قال: اقتحمنا القادسية صدر النهار، فتراجعنا وقد أتى الصلاة؛ وقد أصيب المؤذن، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف، فأقرع سعد بينهم؛ فخرج سهم رجل فأذن.

ثم رجع الحديث. وتراجع الطلب الذين طلبوا من علا على القاسية ومن سفل عنها، وقد أتى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحوا على الأذان، فأقرع سعد بينهم سعد، وأقاموا بقيّة يومهم ذلك وليلتهم حتى رجع زهرة، وأصبحوا وهم جميع لا ينتظرون أحداً من جندهم؛ وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين، وسمي لعمر من يعرف مع سعد بن عُمَيْلَةَ الفزاري.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر، عن ابن الرقيل! عن أبيه، قال: دعاني سعد، فأرسلني أنظر له في القتلى، وأسمي له رؤوسهم، فأتيته فأعلمته، ولم أر رستم في مكانه، فأرسل إلى رجل من التميم يدعى هلالاً، فقال: ألم تبلغني أنك قتلت رستم! قال: بلى، قال: فما صنعت به؟ قال: ألقيته تحت قوائم الأبغل، قال: فكيف قتلته؟ فأخبره، حتى قال: ضربت جبينه وأنفه. قال: فجئنا به، فأعطاه سلبه، وكان قد تحفّف حين وقع إلى الماء، فباع الذي عليه بسبعين ألفاً، وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف لو ظفر بها. وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد، فقالوا: أيها الأمير؛ رأينا جسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره؛ وكان الضرب قد شوّهه؛ فضحك.

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: وقال الديلم ورؤساء أهل المسالحي الذين استجابوا للمسلمين، وقاتلوا معهم على غير الإسلام: إخواننا الذين دخلوا في هذا الأمر من أول الشأن أصوب منا وخير، ولا والله لا يُفلح أهل فارس بعد رستم إلا من دخل في هذا الأمر منهم؛ فأسلموا؛ وخرج صبيان العسكر في القتلى، ومعهم الأداة يسقون من به رمق من المسلمين، ويقتلون من به رمق من المشركين، وانحدروا من العذيب مع العشاء. قال: وخرج زهرة في طلب الجالنوس، وخرج القعقاع وأخوه

وشرحبيل في طلب مَنْ ارتفع وسفل، فقتلوهم في كل قرية وأجمة وشاطيء نهر، ورجعوا فوافوا صلاة الظهر، وهنأ الناس أميرهم، وأثنى على كل حي خيراً، وذكره منهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن المرزبان، قال: خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس؛ ملكاً من ملوكهم؛ بين الخزارة والسيلحين، وعليه يارقان وقلبان وقرطان على بردون له قد خُصِدَ، فحمل عليه، فقتله. قال: والله إن زهرة يومئذ لعلّ فرس له ما عنانها إلا من حبل مضافور كالمقود، وكذلك حزامها شعر منسوج، فجاء بسبله إلى سعد، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلبه، فقالوا: هذا سلب الجالنوس، فقال له سعد: هل أعانك عليه أحد؟ قال: نعم، قال: مَنْ؟ قال: الله، فنقله سلبه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيدة، عن إبراهيم، قال: كان سعد استكثر له سلبه، فكتب فيه إلى عمر، فكتب إليه عمر: إني قد نقلت مَنْ قتل رجلاً سلبه؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً.

وعن سيف، عن البرمكان، والمجالد عن الشعبي، قال: لحق به زهرة، فرفع له الكرة فما يخطئها بشابة، فالتقى فضربه زهرة فجذله - ولزهرة يومئذ ذؤابة وقد سود في الجاهلية، وحسن بلاؤه في الإسلام وله سابقة، وهو يومئذ شاب - فتدّرع زهرة ما كان على الجالنوس، فبلغ بضعة وسبعين ألفاً. فلما رجع إلى سعد نزع سلبه، وقال: ألا انتظرت إذني! وتكاتبا، فكتب عمر إلى سعد: تعمد إلى مثل زهرة - وقد صلي بمثل ما صلي به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي - تكسر قرنه، وتفسد قلبه! أمض له سلبه، وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسائة.

وعن سيف، عن عبيد، عن عصمة، قال: كتب عمر إلى سعد: أنا أعلم بزهرة منك، وإن زهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئاً؛ فإن كان الذي سعى به إليك كاذباً فلقاء الله مثل زهرة، في عضدي يارقان؛ وإني قد نقلت كل مَنْ قتل رجلاً سلبه؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً.

وعن سيف، عن عبيدة، عن إبراهيم وعامر، أن أهل البلاء يوم القادسية فُصلوا عند العطاء بخمسائة خمسمائة في أعطيائهم، خمسة وعشرين رجلاً؛ منهم زهرة، وعصمة الضبي، والكَلَج. وأما أهل الأيام، فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف فُصلوا على أهل القادسية.

وعن سيف، عن عبيدة، عن يزيد الضخم، قال: فليل لعمر: لو ألحق بهم أهل القادسية! فقال: لم أكن لألحق بهم من لم يدركهم. وقيل له في أهل القادسية: لو فضلت مَنْ بعدت داره على مَنْ قاتلهم بفنائهم! قال: وكيف أفضّلهم عليهم على بعد دارهم، وهم شجن العدو، وما سوّيت بينهم حتى استطبتهم؛ فهلاً فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا!

وعن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عبس، قال: لما زال رستم عن مكانه ركب بغلاً، فلما دنا منه هلال نزع له نشابة، فأصاب قدمه فشكّها في الركاب، وقال: «بيّاه»، فأقبل عليه هلال. فنزل، فدخل تحت البغل، فلما لم يصل إليه قطع عليه المال، ثم نزل إليه ففلق هامته.

وعن سيف، عن عبيدة، عن شقيق، قال: حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد، فهزمهم الله، فلقد رأيتني أشرت إلى أسوار منهم فجاء إلي وعليه السلاح التام، فضربت عنقه، ثم أخذت ما كان عليه.

وعن سيف، عن سعيد بن المرزبان، عن رجل من بني عَبَس، قال: أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم؛ قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه، فيضرب عنقه، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به؛ وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه؛ وكذلك في العدة.

وعن سيف، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عمن شهدها، قال: أبصر سلمان بن ربيعة الباهلي أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها، وجلسوا تحتها، وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم. وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت، والآخر عبد الرحمن بن ربيعة ذو النور، ومال على آخرين قد تكتبوا، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله.

وعن سيف، عن الغصن، عن القاسم، عن البهي، أن الشعبي قال: كان يقال: لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور. فكان موضع المحبس اليوم دار عبد الرحمن بن ربيعة، والتي بينها وبين دار المختار دار سلمان؛ وإن الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قدامها، هو اليوم في دار المختار، فأقطعه فقال له: ما جرأك علي يا أشعث؟ والله لئن حزتها لأضربنك بالجني - يعني سيفه - فانظر ما يبقى منك بعد، فصدف عنها ولم يتعرض لها.

وعن سيف، عن المهلب ومحمد وطلحة وأصحابه، قالوا: وثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة، استقتلوا واستحيوا من الفرار، فأبادهم الله، فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين، ولم يتبعوا فالة القوم، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لأخرى؛ وصمد لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين. وكان قتال أهل هذه الكتائب، من أهل فارس على وجهين؛ فمنهم من كذب فهرب، ومنهم من ثبت حتى قتل؛ فكان ممن هرب من أمراء تلك الكتائب الهرمزان وكان بإزاء عطار، وأهود وكان بإزاء حنظلة بن الربيع، وهو كاتب النبي ﷺ، وزاد بن هبش وكان بإزاء عاصم بن عمرو، وقارن وكان بإزاء القعقاع بن عمرو؛ وكان ممن استقتل شهريار بن كنار وكان بإزاء سلمان. وابن الهربذ وكان بإزاء عبد الرحمن، والفرخان الأهوازي وكان بإزاء بسر بن أبي رهم الجهني، وخسروشنوم الهمداني وكان بحيال ابن الهذيل الكاهلي.

ثم إن سعداً أتبع بعد ذلك القعقاع وشرحيل من صوب في هزيمته أو صعد عن العسكر وأتبع زهرة بن الحوية الجالنوس.

ذكر حديث ابن إسحاق:

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: ومات المثني بن حارثة، وتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته سلمى ابنة خصة وذلك في سنة أربع عشرة. وأقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب. ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق، فشتا بها، فلما أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لحم وجذام وبلقين وبلي وعاملة، وتلك القبائل من قضاة، غسان بشر كثير؛ ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك، فلما نزلها أقام بها، وبعث الصقلار؛ حصياً له، فسار بمائة ألف مقاتل، معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفاً، عليهم جرجة، ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من

قضاة اثنا عشر ألفاً عليهم جَبَلَة بن الأيهم الغَسَّاني، وسائرهم من الرُّوم؛ وعلى جماعة الناس الصَّقَلار خصيَّ هرقل؛ وسار إليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجراح، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة؛ فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى دُخِلَ عسكر المسلمين، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دُخِلَ العسكر - منهنَّ أم حكيم بنت الحارث بن هشام - حتى ساقن الرجال، وقد كان انضمَّ إلى المسلمين حين ساروا إلى الرُّوم ناس من لَحْم وجُذام؛ فلما رأوا جدَّ القتال فرَّوا ونجوا إلى ما كان قُرْبهم من القرى، وخذلوا المسلمين.

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عروة بن الزُّبير، عن أبيه، قال: قال قائل من المسلمين حين رأى من لَحْم وجُذام ما رأى:

القَوْمُ لَحْمٌ وَجُذَامٌ فِي الْهَرَبِ وَنَحْنُ وَالرُّومُ بِمَرْجٍ نَضْطَرِبُ
فَإِنْ يَعُودُوا بَعْدَهَا لَا نَضْطَحِبُ

حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن كيسان، عن عبد الله بن الزُّبير، قال: كنت مع أبي الزبير عام اليرموك؛ فلما تعبى المسلمون للقتال، لبس الزُّبير لأُمته، ثم جلس على فرسه، ثم قال لمولَّين له: احبسوا عبد الله بن الزُّبير معكم في الرَّحْل؛ فإنه غلام صغير. قال: ثم توجَّه فدخل في الناس؛ فلما اقتتل النَّاس والرُّوم نظرت إلى ناس وقوف على تلٍّ لا يقاتلون مع الناس. قال: فأخذت فرساً للزُّبير كان خلَّفه في الرَّحْل فركبته، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم؛ فقلت: أنظر ما يصنع الناس؛ فإذا أبو سفيان بن حرب في مَشِيخَة من قريش من مُهاجرة الفتح وقوفاً لا يقاتلون؛ فلما رأوني رأوا غلاماً حدَّثاً، فلم يتَّقوني. قال: فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب، للروم يقولون: إيه إيه بلاصْفَر! فإذا مالت الرُّوم وركبهم المسلمون، قالوا: يا ويح بلاصْفَر! فجعلتُ أعجب من قولهم، فلما هزم الله الرُّوم ورجع الزُّبير، جعلتُ أحدثه خبرهم. قال: فجعل يضحك ويقول: قاتلهم الله، أبوا إلا ضِغْناً! وماذا لهم إن يظهروا علينا الروم! لنحن خير لهم منهم.

ثم إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل نصره، فهزمت الرُّوم وجوع هرقل التي جمع، فأصيب من الروم أهل إرمينية والمستعربة سبعون ألفاً، وقتل الله الصَّقَلار وباهان؛ وقد كان هرقل قدَّمه مع الصَّقَلار حين لحق به، فلما هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم في طلبهم، فسلك الأعماق حتى بلغ مَلْطِيَة، فصالحه أهلها على الجزية، ثم انصرف، ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومَن فيها، فساقهم إليه، وأمر بملْطِيَة فحُرِّقَت. وقُتِل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص؛ ومن بني مخزوم عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد، ومن بني سهم سعيد بن الحارث بن قيس.

قال: وفي آخر سنة خمس عشرة، قتل الله رستم بالعراق؛ وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وذلك أنَّ سعداً حين حسر عنه الشتاء، سار من شَراف يريد القادسية، فسمع به رستم، فخرج إليه بنفسه؛ فلما سمع بذلك سعد وقف، وكتب إلى عمر يستمده؛ فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبه الثقفي في أربعمئة رجل مدداً من المدينة، وأمدَّه بقيس بن مكشوح المرادي في سبعمئة، فقدموا عليه من اليرموك. وكتب إلى أبي عبيدة: أن أمدَّ سعد بن أبي وقاص أميرَ العراق بألف رجل من عندك؛

ففعّل أبو عبيدة، وأمر عليهم عياض بن غنم الفهري؛ وأقام تلك الحجّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة.

وقد كان لكسرى مُرابطة في قصر بني مقاتل، عليها النعمان بن قبيصة؛ وهو ابن حيّة الطائي ابن عم قبيصة بن إياس بن حيّة الطائي صاحب الحيرة؛ فكان في منظره له، فلما سمع بسعد بن أبي وقاص سأل عنه عبد الله بن سنان بن جرير الأسدي؛ ثم الصيداوي، فقليل له: رجل من قريش، فقال: أمّا إذا كان قُرَشِيًّا فليس بشيء؛ والله لأجاهدنه القتال؛ إنما قريش عبيد من غلب؛ والله ما يمنعون خفيراً، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفيّر؛ فغضب حين قال ذلك عبد الله بن سنان الأسدي، فأملهه حتى إذا دخل عليه وهو نائم، فوضع الرمح بين كتفيه فقتله، ثم لحق بسعد فأسلم. وقال في قتله النعمان بن قبيصة:

لقد غادرَ الأقوامَ ليلةً أذلجوا	بقصر العبادي ذا الفعّالِ مُجدّلاً
دلّفتُ له تحت العجاجِ بَطْعَنَةً	فأصبحَ منها في التّجيعِ مُرمّلاً
أقولُ له والرمحُ في نغضِ كَتِفِهِ	أبا عامِرٍ عنك اليمينُ تحلّلاً
سَقَيْتُ بها النُّعْمانَ كأساً رَوِيَّةً	وعاطيته بالرمحِ سماً مُثْمَلاً
تركتُ سباعَ الجوِّ يعرفنَ حوله	وقد كان عنها لابن حيّة معزلاً
كفيتُ قريشاً إذ تغيّبَ جَمْعُها	وهَدَمْتُ للنُّعْمانِ عِزّاً مُؤَثْلاً

ولما لحق سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة وقيس بن مكشوح فيمن معهما، سار إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادس - قرية إلى جانب العذيب - فنزل الناس بها، ونزل سعد في قصر العذيب، وأقبل رستم في جموع فارس ستين ألفاً ممّا أحصى لنا في ديوانه، سوى التّباع والرقيق، حتى نزل القادسيّة وبينه وبين الناس جسرُ القادسيّة، وسعد في منزل وجّع، قد خرج به قرح شديد، ومعه أبو مخجن بن حبيب الثقفي محبوس في القصر، حبسه في شرب الخمر، فلما أن نزل بهم رستم بعث إليهم أن ابعثوا إليّ رجلاً منكم جليداً أكلمه، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة، فجاءه وقد فرق رأسه أربع فرق: فرقة من بين يديه إلى قفاه، وفرقة إلى أذنيه، ثم عقص شعره، ولبس بُرداً له، ثم أقبل حتى انتهى إلى رستم، ورستم من وراء الجسر العتيق ممّا يلي العراق، والمسلمون من ناحيته الأخرى ممّا يلي الحجاز فيما بين القادسيّة والعذيب، فكلمه رستم، فقال: إنكم معشر العرب كنتم أهل شقاء وجهد، وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد، فأكلتم من طعامنا، وشربتم من شرابنا، واستظللتم من ظلّنا؛ فذهبتُم فدعوتُم أصحابكم، ثم أتيتُمونا بهم، وإنما مثلكم مثل رجل كان له حائط من عنب، فرأى فيه ثعلباً واحداً، فقال: ما ثعلب واحد! فانطلق الثعلب، فدعا الثعالب إلى الحائط؛ فلما اجتمعن فيه جاء الرجل فسدّ الجحر الذي دخلن منه، ثم قتلن جميعاً. وقد أعلم أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجَهُدُ الذي قد أصابكم؛ فارجعوا عنّا عامكم هذا، فإنكم قد شغلتمونا عن عِمارة بلادنا، وعن عدونا، ونحن نُوقِر لكم ركائبكم قمحاً وتمراً، ونأمر لكم بكسوة، فارجعوا عنّا عافاكم الله!

فقال المغيرة بن شعبة: لا تذكر لنا جهداً إلّا وقد كنا في مثله أو أشدّ منه؛ أفضلنا في أنفسنا عيشاً الذي يقتل ابن عمّه، ويأخذ ماله فيأكله، نأكل الميتة والدم والعظام، فلم نزل كذلك حتى بعث الله فينا نبياً، وأنزل عليه الكتاب، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به، فصدّقه ممّا صدّق، وكذّبه ممّا كذّب، فقاتل من صدّقه من كذّبه،

حتى دخلنا في دينه ؛ من بين مُوقِن به ، وبين مقهور ؛ حتى استبان لنا أنه صادق ، وأنه رسول من عند الله . فأمرنا أن نقاتل مَنْ خالفنا ، وأخبرنا أن من قُتل منّا على دينه فله الجنة ، ومَنْ عاش ملك وظهر على من خالفه ؛ فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله ، وتدخل في ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلّا من أحببت ، وعليك الزكاة والخمس ، وإن أبيت ذلك فالجزية ؛ وإن أبيت ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .

قال له رستم : ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب . لا أمسي غداً حتى أفرغ منكم وأقتلكم كلّكم . ثم أمر بالعتيق أن يُسكر ، فبات ليلته يسكر بالبراذع والتراب والقَصَب حتى أصبح ، وقد تركه طريقاً مهيباً ، وتعبى له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن عُرْفُطَة حليف بني أمية بن عبد شمس ، وجعل على ميمنة الناس جرير بن عبد الله البجليّ ، وجعل على ميسرهم قيس بن المكشوح المراديّ .

ثم زحف إليهم رستم ، وزحف إليه المسلمون ، وما عامةُ جُنُتِهِمْ - فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر - غير براذع الرّحال ، قد عَرَضُوا فيها الجريد ، يترسون بها عن أنفسهم ، وما عامة ما وضعوه على رؤوسهم إلا أنساع الرّحال ، يطوي الرجل نُسْع رحله على رأسه يتقي به ، والفُرس فيها بينهم من الحديد واليَلامق ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، وسعد في القصر ينظر ، معه سلمى بنت خَصْفة ؛ وكانت قبله عند المثنى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت ، فقالت : وامثنياه ولا مُثنى لي اليوم ! فغار سعد فلطم وجهها ، فقالت : أغيرةٌ وجُبناً ! فلما رأى أبو مُجَنّ ما تصنع الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العُذيب وكان مع سعد فيه ، قال :

كَفَى حَزْناً أَنْ تَرْدِي الخَيْلَ بالقَنَا	وَأَتَرَكَ مَشْدوداً عَلَيَّ وثاقِيَا
إِذَا قَمْتُ عَنّاني الحَديدُ وأُغْلِقْتُ	مَصاريعُ دوني لا تُجِيبُ المُنَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مالٍ كثيرٍ وإِخوة	فَقَدْ تَرَكُونِي وإِجداً لا أخَالِيَا

فكلّم زَبْرَاءَ أمّ ولد سعد - وكان عندها محبوساً ، وسعد في رأس الحصن ينظر إلى الناس - فقال : يا زَبْرَاءُ ، أطلّقيني ولك عليّ عهد الله وميثاقه ، لئن لم أقتل لأرجعن إليك حتى تجعلني الحديد في رجلي ، فأطلقته وحملته على فرس لسعد بَلَقَاءَ وخَلَّتْ سبيله ، فجعل يشدّ على العدو وسعد ينظر . فجعل سعد يعرف فرسه ويُكرها ، فلما أن فرغوا من القتال ؛ وهزم الله جموع فارس ، رجع أبو مُجَنّ إلى زَبْرَاءَ ، فأدخل رجله في قيده ، فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق ، فعرف أنها قد رُكِبَتْ ، فسأل عن ذلك زَبْرَاءَ ، فأخبرته خبر أبي مُجَنّ فخلّى سبيله .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : وقد كان عمرو بن معد يكرب شهد القادسيّة مع المسلمين .

وحَدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود النخعيّ ، عن أبيه ، قال : شهدت القادسيّة ؛ فلقد رأيت غلاماً منّا من النّخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار . فقلت : لقد أذلّ الله أبناء الأحرار !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، مولى بَجِيلَة ،

عن قيس بن أبي حازم البجلي - وكان ممن شهد القادسية مع المسلمين - قال: كان معنا يوم القادسية رجل من ثقيف، فلحق بالفرس مرتداً، فأخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذي به بجيلة. قال: وكُنَّا رُبْع النَّاسِ؛ فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً وإلى سائر الناس فيلَيْن، وجعلوا يُلقون تحت أرجل خيولنا حَسَك الحديد، ويرشقوننا بالنشاب، فكأنه المطر علينا، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفروا. قال: وكان عمرو بن معد يكرب يمر بنا فيقول: يا معشر المهاجرين، كونوا أسوداً، فإنما الأسد من أغنى شأته؛ فإنما الفارسي تيس إذا ألقى نيزكه.

قال: وكان أسوار منهم لا يكاد تسقط له نُشابة، فقلنا له: يا أبا ثور، اتق ذلك الفارسي فإنه لا تقع له نُشابة؛ فتوجه إليه ورماه الفارسي بنشابة فأصاب قوسه، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه، واستلبه سوارَيْن من ذهب ومنطقة من ذهب ويلمقاً من ديباج، وقتل الله رستم، وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه، وإنا المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف، وكان الذي قتل رستم هلال بن علفه التيمي رآه فتوجه إليه، فرماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وهو يتبعه، فشكها إلى ركب سرجه، ورستم يقول بالفارسية: «بياه»، أي «كما أنت»؛ وحمل عليه هلال بن علفه فضربه فقتله، ثم احتز رأسه فعلقه، وولت الفرس فأتبعهم المسلمون يقتلونهم؛ فلما بلغت الفرس الحرارة نزلوا فشربو من الخمر، وطعموا من الطعام، ثم خرجوا يتعجبون من رميمهم، وأنه لم يعمل في العرب. وخرج جالنوس فرفعوا له كُرّة فهو يرميها ويشكها بالنشاب، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك، فشده على جالنوس زهرة بن حوية التيمي فقتله، وانهمزت الفرس، فلحقوا بدير قرة وما وراءه، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قرة على من هنالك من الفرس؛ وقد قدم عليهم وهم بدير قرة عياض بن غنم في مدده من أهل الشام، وهم ألف رجل، فأسهّم له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسية، وسعد وجع من قرحته تلك، وقال جرير بن عبد الله:

أنا جريرٌ كُنيتي أبو عمرو قد نصرَ الله وسعدٌ في القصير
وقال رجل من المسلمين أيضاً:

نُقابِلُ حتى أنزلَ الله نصره وسعدٌ بباب القادسية مُعصمٌ
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنَّ أيُّمٌ

قال: ولما بلغ ذلك من قولها سعداً، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم، وأراهم ما به من القرح في فخذه وأليته، فعذره الناس، ولم يكن سعد لعمرى يُجيب؛ فقال سعد يجيب جريراً فيما قال:

وما أرجو بجيلة غير أني أو ملُّ أجْرهم يوم الحسابِ
فقد لقيت خيولهم خيولاً وقد وقَّع الفوارسُ في ضرابِ
وقد دلَّفت بعرضتهم فيول كأن زهاءها إبل جرابِ

ثم إن الفرس هربت من دير قرة إلى المدائن يريدون نهاوند، واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفِرْد والحريير والصلاح وثياب كسرى وبناته، وخلوا ما سوى ذلك، وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين، فبعث خالد بن عرفة حليف بني أمية، ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي، وعلى يسرهم زهرة بن حوية التيمي؛ وتخلّف سعد لما به من الوجع فلما أفاق سعد من وجعه ذلك أتبع الناس بمن بقي معه من المسلمين؛ حتى

أدركهم دون دجلة على بهرسير، فلما وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة، فلم يهتدوا لها؛ حتى أتى سعداً علج من أهل المدائن، فقال: أدلكم على طريق تُدركونهم قبل أن يُعِينوا في السير! فخرج بهم على مخاضة بقطرُبُل، فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عتبة في رَجْلِهِ، فلما جاز اتبعته خيله، ثم أجاز خالد بن عُرْفُطَةَ بخيله، ثم أجاز عياض بن غَنَمٍ بخيله، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا؛ فزعموا أنه لم يهتد لتلك المخاضة بعد. ثم ساروا حتى انتهوا إلى مُظْلِمٍ سَابِط، فأشفق النَّاسُ أن يكون به كمين للعدو، فتردّد الناس، وجبنوا عنه؛ فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة، فلما أجاز ألح للناس بسيفه، فعرف الناس أن ليس به شيء يخافونه، فأجاز بهم خالد بن عُرْفُطَةَ، ثم لحق سعد بالناس؛ حتى انتهوا إلى جَلُولَاءٍ وبها جماعة من الفرس، فكانت وقعة جلولاء بها، فهزم الله الفرس، وأصاب المسلمون بها من الفتيء أفضل مما أصابوا بالقادسيّة، وأصابت ابنة لكسرى، يقال لها منجانة؛ ويقال: بل ابنة ابنه. وقال شاعر من المسلمين:

يَا رَبِّ مُهَرِّ حَسَنِ مُطَهَّمٍ يَحْمِلُ أَثْقَالَ الْغُلَامِ الْمُسْلِمِ
يَنْجُو إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ جَهَنَّمَ يَوْمَ جَلُولَاءٍ وَيَوْمَ رُسْتَمِ
وَيَوْمَ زَحْفِ الْكُوفَةِ الْمُقَدَّمِ وَيَوْمَ لَأَقَى ضَيْقَةَ مُهَزَّمِ
وَحَرَّ دَيْنِ الْكَافِرِينَ لِلْفَمِ

ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين؛ فكتب إليه عمر: أن قف ولا تطلبوا غير ذلك. فكتب إليه سعد أيضاً: إنما هي سُريّة أدركناها والأرض بين أيدينا، فكتب إليه عمر: أن قف مكانك ولا تتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً. فنزل سعد بالناس الأنبار، فاجتوؤوها وأصابتهم بها الحمى، فلم توافقهم، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد أنه لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العُشب؛ فانظر فلاة في جنب البحر فارتدّ للمسلمين بها منزلاً.

قال: فسار سعد حتى نزل كُوفَةَ عمرو بن سعد، فلم توافق الناس مع الدُّبَابِ والحمى. فبعث سعد رجلاً من الأنصار يقال له الحارث بن سلمة - ويقال: بل عثمان بن حنيف، أخا بني عمرو بن عوف - فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم، فنزلها سعد بالناس، وخطّ مسجدها، وخطّ فيها الخطط للناس.

وقد كان عمر بن الخطاب خرج في تلك السنة إلى الشام فنزل الجابية، وفتحت عليه إيلياء؛ مدينة بيت المقدس، وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلة بن الطفيل السلمي إلى حمص، ففتحها الله على يديه، واستعمل سعد بن أبي وقاص على المدائن رجلاً من كِنْدَةَ، يقال له شُرْحُبِيل بن السمط؛ وهو الذي يقول فيه الشاعر:

أَلَا لَيْتَنِي وَالْمَرْءَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَزُبْرَاءَ وَابْنَ السَّمْطِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ

ذكر أحوال أهل السَّوَادِ

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عُمَيْر، عن قبيصة بن جابر، قال: قال رجل منّا يوم القادسيّة مع الفتح:

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعدُ بِيَابِ القَادِسيَّةِ معصِمْ
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنَّ أيمٌ

فبعث بها في الناس، فبلغت سعداً، فقال: اللهم إن كان كاذباً، أو قال الذي قال رياءً وسُمعةً وكذباً، فاقطع عني لسانه ويده.

وقال قبيصة: فوالله إنه لواقف بين الصفين يومئذ؛ إذ أقبلت نُشابة لدعوة سعد، حتى وقعت في لسانه فیس شقّه؛ فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المقدام بن شريح الحارثي، عن أبيه، قال: قال جرير يومئذ:

أنا جريرٌ كنييتي أبو عمرو قد نصرَ الله وسعد في القصرِ
فأشرف عليه سعد، فقال:

وما أزوجو بجيله غير أني أو مل أجرها يوم الحسابِ
وقد لقيت خيولهم خيولاً وقد وقع الفوارس في الضرابِ
فلولا جمعُ قعقاع بن عمرو وحمالٍ للجوا في الكذابِ
هم منعوا جموعكم بطعن وضربٍ مثل تشقيق الإهابِ
ولولا ذاك ألفيتهم رعاعاً تشل جموعكم مثل الدبابِ

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي، عن عثمان بن رجاء السعدي، قال: كان سعد بن مالك أجراً للناس وأشجعهم؛ إنه نزل قصرأ غير حصين بين الصفين، فأشرف منه على الناس، ولو أعراه الصف فواق ناقة أخذ برمته؛ فوالله ما أكرته هول تلك الأيام ولا أقلقه.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن بشير، عن أمّ كثير؛ امرأة همام بن الحارث النخعي، قالت: شهدنا القادسيّة مع سعد مع أزواجنا، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا، وأخذنا الهراوى، ثم أتينا القتلى؛ فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه؛ وما كان من المشركين أجهزنا عليه، وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك، ونصرفهم به.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية - وهو ابن الحارث - عن أدرك ذلك؛ قال: لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسيّة من بجيله والنخع، وكان في النخع سبعمائة امرأة فارغة، وفي بجيله ألف، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب، وهؤلاء سبعمائة، وكانت النخع تُسمى أصهار المهاجرين، وبجيله، وإنما جرأهم على الانتقال بأنقاهم توطئة خالد، والمثنى بعد خالد، وأبي عبيد بعد المثنى، وأهل الأيام، فلاقوا بأساً بعد ذلك شديداً.

كتب إليّ السريّ؛ عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة، قالوا: وكان بُكير بن عبد الله الليثي وعتبة بن فرقد السلميّ وسماك بن خرشة الأنصاري - وليس بأبي دُجانة - قد خطبوا امرأة يوم القادسيّة،

وكان مع النَّاسِ نساؤهم؛ وكانت مع النَّخَعِ سبعمائة امرأة فارغة؛ وكانوا يُسَمُّونَ أختانَ المهاجرين حتى كان قريباً؛ فتزوجهنَّ المهاجرون قبل الفتح وبعد الفتح؛ حتى استوعبوهنَّ، فصار إليهن سبعمائة رجل من الأبناء؛ فلما فرغ النَّاسُ خطب هؤلاء النَّفر هذه المرأة - وهي أروى ابنة عامر الهلالية - هلال النَّخَعِ؛ وكانت أختها هُنَيْدَة تحت القعقاع بن عمرو التميمي، فقالت لأختها: استشيري زوجك أيهم يراه لنا! ففعلت؛ وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسية؛ فقال القعقاع: سأصفهم في الشعر فانظري لأختك، وقال:

إِنْ كُنْتَ حَاوِلْتَ الدَّرَاهِمَ فَانكِحِي سِمَاكَأَ أَخَا الْأَنْصَارِ أَوْ ابْنَ فَرْقَدٍ
وإِنْ كُنْتَ حَاوِلْتَ الطَّعْنَ فِيمِي بُكَيْرًا إِذَا مَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنِ الرَّدِي
وَكُلُّهُمْ فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ نَازِلٌ فَشَأْنُكُمْ إِنْ الْبَيَانَ عَنِ الْغَدِ

وقالوا: وكانت العرب توقُّع وقعة العرب وأهل فارس في القادسية فيما بين العُذيب إلى عَدَنِ أَيْنَ، وفيما بين الأبلَّةِ وأَيْلَة؛ يروْنَ أَنَّ ثبات مُلكهم وزواله بها، وكانت في كُلِّ بَلَدٍ مُصِيخَةً إليها، تنظر ما يكون من أمرها؛ حتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتَّى أنظر ما يكون من أمر القادسية. فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجنَّ، فأنت بها ناساً من الإنس، فسبقت أخبار الإنس إليهم؛ قالوا: فبدرت امرأة ليلاً على جبل بَصْنَعَاءَ، لا يَدْرِي مَنْ هِيَ؟ وهي تقول:

حُيِّتِ عَنَّا عِكْرَمَ ابْنَةِ خَالِدٍ وَمَا خَيْرُ زَادٍ بِالْقَلِيلِ الْمُصَرِّدِ
وَحَيْثُكَ عَنِّي الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ نَاجٍ مُفَرِّدِ
وَحَيْثُكَ عَنِّي عُصْبَةُ نَخَعِيَّةٍ حِسَانُ الْوُجُوهِ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ
أَقَامُوا لِكِسْرَى يَضْرِبُونَ جُنُودَهُ بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنِّدِ
إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي أَنَاخُوا بِكُلِّكُلٍ مِنَ الْمَوْتِ تَسْوَدُّ الْغَيَاطِلُ مُجَرَّدِ
وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغني هذه الأبيات:

وَجَدْنَا الْأَكْثَرِينَ بَنِي تَمِيمٍ عَدَاةَ الرُّوْعِ أَصْبَرَهُمْ رِجَالَا
هُمْ سَارُوا بِأَرْعَنَ مُكْفَهَرٍ إِلَى لَجَبٍ فَرَزَتْهُمْ رِعَالَا
بُحُورٌ لِلْأَكَاسِيرِ مِنْ رِجَالٍ كَأَسَدِ الْغَابِ تَحْسِبُهُمْ جِبَالَا
تَرَكَّنَ لَهُمْ بِقَادِسَ عَزَّ فُخْرٍ وَبِالْخَيْفَيْنِ أَيَّاماً طَوَالَا
مُقْطَعَةً أَكْفُهُمْ وَسُوقٌ بِمِرْدَى حَيْثُ قَابَلَتْ الرِّجَالَا

قال: وسمع بنحو ذلك في عامة بلاد العرب.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة، قالوا: وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا وبعده من أصيب من المسلمين؛ وسمى لعمر من يعرف مع سعد بن عُمَيْلَة الفزاري، وشاركهم النضر ابن السري عن ابن الرُّفَيْل بن مَيْسُور؛ وكان كتابه: أمّا بعد؛ فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الرءاؤون مثل زهائنها فلم ينفعهم الله بذلك، بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين، وأتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الأجام وفي الفجاج؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاريء، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لا

نَعْلَمُهُمْ، اللَّهُ بِهِمْ عَالِمٌ، كانوا يُدَوِّنُونَ بالقرآن إذا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ دَوْيَ النحل، وهم آساد النَّاسِ؛ لا يشبههم الأسود، ولم يفضلَ مَنْ مضى منهم مَنْ بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تُكْتَبْ لهم.

كتب إليَّ السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد بن سعيد، قال: لما أتى عمر بن الخطاب نزولُ رستم القادسيَّة، كان يستخبر الرِّكبان عن أهل القادسيَّة من حين يُصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله ومنزله. قال: فلما لقيَ البشير سأله من أين؟ فأخبره، قال: يا عبدَ الله حدِّثني، قال: هزم الله العدو، وعمر يُحِبُّ معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه؛ حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال: فهلاً أخبرتني رحمك الله، أنك أمير المؤمنين! وجعل عمر يقول: لا عليك يا أخي!

كتب إليَّ السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وزباد، قالوا: وأقام المسلمون في انتظار بلوغ البشير وأمر عمر، يقومون أقباضهم، ويجزرون جندهم، ويرثون أمورهم. قالوا: وتتابع أهل العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك ودمشق، ورجعوا مُمَدِّين لأهل القادسيَّة؛ فتوافوا بالقادسيَّة من الغد ومن بعد الغد، وجاء أولهم يوم أغوث، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح، وقدمت أمداد فيها مراد وهمدان، ومن أفناء الناس، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عما ينبغي أن يسار به فيهم - وهذا الكتاب الثاني بعد الفتح - مع نذير بن عمرو. ولما أتى عمر الفتح قام في الناس فقرأ عليهم الفتح، وقال: إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سدتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معلِّمكم إلا بالعمل؛ إني والله ما أنا بملك فاستعبدكم، وإنما أنا عبدُ الله عَرَضَ عليَّ الأمانة، فإن أبيتها ورددتها عليكم وأتبعتم حتى تشبعوا في بيوتكم، وترووا سعدت، وإن أنا حملتها واستتبعتها إلى بيتي شقيت؛ ففرحت قليلاً، وحزنت طويلاً، وبقيت لا أقال ولا أزد فاستعيت.

قالوا: وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحليس: إن أقواماً من أهل السَّواد ادَّعوا عهداً، ولم يُقِم على عهد أهل الأيام لنا، ولم يف به أحد علمناه إلا أهل بانيقيا وبسما وأهل أليس الآخرة وادَّعى أهل السَّواد أن فارس أكرهوهم وحشروهم؛ فلم يخالفوا إلينا؛ ولم يذهبوا في الأرض.

وكتب مع أبي الهياج الأسدي - يعني ابن مالك - إن أهل السَّواد جلوا، فجاءنا من أمسك بعهدده ولم يُجلب علينا؛ فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم؛ وزعموا أن أهل السَّواد قد لحقوا بالمدائن، فأحدث إلينا فيمن تم وفيمن جلا وفيمن ادَّعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل، أو استسلم؛ فإننا بأرض رغبة، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صلحنا؛ وإن أعمارنا وأوهن لعدونا تألفهم. فقام عمر في الناس فقال: إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظُّه ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السنَّة وينته إلى الشرائع، ويلزم السبيل النَّجَّح ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة؛ أصاب أمره، وظفر بحظِّه، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١)، وقد ظفر أهل الأيام والقوادر بما يليهم، وجلا أهله، وأتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر؛ وفيمن لم يدع ذلك ولم يُقِم وجلاً، وفيمن أقام ولم يدع شيئاً، ولم يُجَلِّ، وفيمن استسلم. فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزد غلبه إلا خيراً، وأن من ادَّعى فصدَّق أو وفي فبمترلتهم، وإن كُذِّب بُذِّ إليهم وأعادوا صلحهم؛ وأن يُجعل أمر من جلا إليهم،

فإن شاءوا وادعواهم وكانوا لهم ذمة، وإن شاءوا تموا على منعههم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال؛ وأن يجيروا من أقام واستسلم: الجزاء، أو الجلاء، وكذلك الفلاح.

وكتب جواب كتاب أنس بن الحليس: أما بعد؛ فإن الله جل وعلا أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات إلا في أمرين: العدل في السيرة والذكر؛ فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة، ولم يرض منه إلا بالكثير، وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد، ولا في شدة ولا رخاء، والعدل - وإن ربي لنا - فهو أقوى وأطفأ للجور، وأقمع للباطل من الجور، وإن ربي شديداً فهو أنكش للفكر؛ فمن تم على عهده من أهل السواد، ولم يُعَنَ عليكم بشيء؛ فلهم الذمة، وعليهم الجزية؛ وأما من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب في الأرض؛ فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاءوا؛ وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، وأبلغوهم مأمنهم.

وأجابهم في كتاب أبي الهياج: أما من أقام ولم يجُلْ وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك؛ وكل من ادعى ذلك فصدق فلهم الذمة؛ وإن كذبوا نبذ إليهم؛ وأما من أعان وجلا؛ فذلك أمر جعله الله لكم؛ فإن شئتم فادعوههم إلى أن يقيموا لكم في أرضهم، ولهم الذمة، وعليهم الجزية؛ وإن كرهوا ذلك، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم.

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم بمن جلا وتنحى عن السواد أن يتراجعوا، ولهم الذمة وعليهم الجزية، فتراجعوا وصاروا ذمة كمن تم ولزم عهده؛ إلا أن خراجهم أثقل؛ فأنزلوا من ادعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم، وأنزلوا من أقام منزلة ذي العهد وكذلك الفلاحين، ولم يُدْخِلُوا في الصلح ما كان لآل كسرى، ولا ما كان لمن خرج معهم، ولم يُجِبههم إلى واحدة من اثنتين: الإسلام، أو الجزاء، فصارت فيئاً لمن أفاء الله عليه؛ فهي والصوفي الأولى ملك لمن أفاء الله عليه، وسائر السواد ذمة وأخذوهم بخراج كسرى، وكان خراج كسرى على رؤوس الرجال على ما في أيديهم من الحصاة والأموال، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى، ومن صوب معهم وعيال من قاتل معهم وماله، وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه، وما كان للسكك، وما كان لآل كسرى، فلم يتأت قسم ذلك الفيء الذي كان لآل كسرى ومن صوب معهم؛ لأنه كان متفرقاً في كل السواد، فكان يليه لأهل الفيء من وثقوا به، وتراضوا عليه؛ فهو الذي يتداعاه أهل الفيء لا عظم السواد؛ وكانت الولاة عند تنازعهم فيها تهاون بقسمه بينهم؛ فذلك الذي شبه على الجهلة أمر السواد، ولو أن الحُلَمَاء جامعوا السُفَهَاء الذين سألوا الولاة قسمه لقسموه بينهم، ولكن الحُلَمَاء أبوا، فتابع الولاة الحُلَمَاء، وترك قول السفهاء. كذلك صنع علي رحمه الله، وكل من طلب إليه قسم ذلك فأنما تابع الحُلَمَاء، وترك قول السفهاء، وقالوا: لئلا يضرب بعضهم وجوه بعض.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن عامر الشعبي، قال: قلت له: السواد ما حاله؟ قال: أخذ غنوة، وكذلك كل أرض إلا الحصون، فجلا أهلها؛ فدعوا إلى الصلح والذمة، فأجابوا وتراجعوا، فصاروا ذمة، وعليهم الجزاء؛ ولهم المنعة، وذلك هو السنة، كذلك صنع رسول الله ﷺ بدومة، وبقي ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم فيئاً لمن أفاءه الله عليه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة وسفيان، عن ماهان، قالوا: فتح الله السواد غنوة - وكذلك كل أرض بينها وبين نهر بلخ - إلا حصناً، ودعوا إلى الصلح، فصاروا ذمة، وصارت لهم

أَرْضُوهُمْ ولم يُدخلوا في ذلك أموال آل كسرى وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ، فصارت فيثاً لمن أفاءه الله عليه، ولا يكون شيء من الفتوح فيثاً حتى يُقسم؛ وهو قوله ﴿مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ مما اقتسمتم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: عامة ما أخذ المسلمون عتوة فدعوهم إلى الرجوع والذمة، وعرضوا عليهم الجزاء فقبلوه ومنعوه.

وعن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: قلت له: إن أناساً يزعمون أن أهل السواد عبيد، فقال: فعلام يؤخذ الجزاء من العبيد؟ أخذ السواد عتوة، وكل أرض علمتها إلا حصناً في جبل أو نحوه. فدعوا إلى الرجوع فرجعوا، وقبل منهم الجزاء، وصاروا ذمة؛ وإنما يُقسم من الغنائم ما تُغنم؛ فأما ما لم يُغنم وأجاب أهله إلى الجزاء من قبل أن يُغنم، فلهم جرت السنة بذلك.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي ضمرة، عن عبدالله بن المستورد، عن محمد بن سيرين، قال: البلدان كلها أخذت عتوة إلا حصون قليلة، عاهدوا قبل أن يُنزلوا. ثم دعوا - يعني الذين أخذوا عتوة - إلى الرجوع والجزاء، فصاروا ذمة أهل السواد، والجبل كله أمر لم يزل يُصنع في أهل الفيم، وإنما عمل عمر والمسلمون في هذا الجزاء والذمة على إيجاب ما عمل به رسول الله ﷺ في ذلك، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل، فأخذها عتوة، وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيراً، فدعاه إلى الذمة والجزاء، وقد أخذت بلاده عتوة، وأخذ أسيراً؛ وكذلك فعل بابني عريض، وقد أخذوا فادعيا أنها أوداؤه، ففقد لها على الجزاء والذمة، وكذلك كان أمر يحنه ابن روية صاحب أيلة. وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصة، من روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون، فقد كذب وطعن عليهم.

وعن سيف، عن حجاج الصواف، عن مسلم مولى حذيفة، قال: تزوج المهاجرون والأنصار في أهل السواد - يعني في أهل الكتابين منهم، ولو كانوا عبيداً لم يستحلوا ذلك، ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً...﴾^(١) الآية، ولم يقل: «فتياهم من أهل الكتابين».

وعن سيف، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، قال: بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولّاه المدائن وكثر المسلمات: إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلّقها. فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني: أحلال أم حرام، وما أردت بذلك! فكتب إليه: لا بل حلال، ولكن في نساء الأعاجم خلافة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم. فقال: الآن؛ فطلّقها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أشعث بن سوار، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: شهدت القادسية مع سعد، فتزوجنا نساء أهل الكتاب، ونحن لا نجد كثير مسلمات، فلما قفلنا؛ فمنا من طلق، ومنا من أمسك.

وعن سيف، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، قال: أخذ السواد عتوة، فدعوا إلى الرجوع والجزاء، فأجابوا إليه، فصاروا ذمة، إلا ما كان لآل كسرى، وأتباعهم، فصار فيثاً لأهله، وهو الذي

يتحجى أهل الكوفة إلى أن جهل ذلك؛ فحسبوه السواد كله، وأما سوادهم؛ فذلك.

وعن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن إبراهيم بن يزيد النخعي، قال: أخذ السواد غنوة، فدعوا إلى الرجوع، فمن أجاب فعليه الجزية وله الذمة، ومن أبى صار ماله فيئا، فلا يحل بيع شيء من ذلك الفيء فيما بين الجبل إلى العذيب من أرض السواد ولا في الجبل.

وعن سيف، عن محمد بن قيس، عن الشعبي، بمثله: لا يحل بيع شيء من ذلك الفيء فيما بين الجبل والعذيب.

وعن سيف، عن عمرو بن محمد، عن عامر، قال: أقطع الزبير وخباب وابن مسعود وابن ياسر وابن هبار أزمان عثمان، فإن يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ خطأ؛ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا. وأقطع عمر طلحة وجريز بن عبدالله والرَّبِيع بن عمرو، وأقطع أبا مُقَرَّر دار الفيل في عدد من أخذنا عنهم، وإنما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله. وكتب عمر إلى عثمان بن حنيف مع جريز: أما بعد؛ فأقطع جريز بن عبدالله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمان إلى عمر: إن جريزاً قدم عليّ بكتاب منك تقطعه ما يقوته، فكرهت أن أمضي ذلك حتى أراجعك فيه. فكتب إليه عمر: أن قد صدق جريز، فأنفذ ذلك، وقد أحسنت في مؤامرتي وأقطع أبا موسى. وأقطع عليّ رحمه الله كردوس بن هانئ الكردوسية، وأقطع سويد بن غفلة الجعفي.

وعن سيف، عن ثابت بن هُرَيم، عن سويد بن غفلة، قال: استقطعت علياً رحمه الله، فقال: اكتب: هذا ما أقطع عليّ سويداً أرضاً لداؤيته؛ ما بين كذا إلى كذا وما شاء الله.

وعن سيف، عن المستنير، عن إبراهيم بن يزيد، قال: قال عمر: إذا عاهدتم قوماً فأبرؤوا إليهم من معرة الجيوش. فكانوا يكتبون في الصلح لمن عاهدوا: «ونبراً إليكم من معرة الجيوش».

وقال الواقدي: كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة ست عشرة، وكان بعض أهل الكوفة يقول: كانت وقعة القادسية سنة خمس عشرة.

قال: والثَّبت عندنا أنها كانت في سنة أربع عشرة.

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال: كانت سنة خمس عشرة، وقد مضى ذكر الرواية عنه بذلك.

ذكر بناء البصرة

قال أبو جعفر: وفي سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب رحمه الله - فيما زعم الواقدي - الناس بالقيام في المساجد في شهر رمضان بالمدينة، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك.

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع عشرة - وجَّه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة، وأمره بنزولها بمن معه، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني وروايته.

وزعم سيف أن البصرة مُصِّرَت في ربيع سنة ست عشرة، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من

المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت والحصنين؛ وجهه إليها سعد بأمر عمر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عنه. فحدثني عمر بن شبة؛ قال: حدثنا علي بن محمد، عن أبي مخنف، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قُتل مهران سنة أربع عشرة في صفر، فقال عمر لعتبة - يعني ابن غزوان - : قد فتح الله جلّ وعزّ على إخوانكم الحيرة وما حولها، وقُتل عظيم من عظمائها: ولست آمن أن يمدّهم إخوانهم من أهل فارس؛ فإني أريد أن أوجهك إلى أرض الهند، لتمنع أهل تلك الجيزة من إمداد إخوانهم على إخوانكم وتقاتلهم؛ لعل الله أن يفتح عليكم. فسرّ على بركة الله، وأتق الله ما استطعت، واحكم بالعدل، وصلّ الصلاة لوقتها، وأكثر ذكر الله. فأقبل عتبة في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وضوى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي، فقدم البصرة في خمسمائة، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، فنزلها في شهر ربيع الأول - أو الآخر - سنة أربع عشرة، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشن، فنزل الخريبة، وليس بها إلا سبع دساكر؛ بالزابوقة والخريبة وموضع بني تميم والأزد: ثنتان بالخريبة، وثنان بالأزد، وثنان في موضع بني تميم وواحدة بالزابوقة. فكتب إلى عمر، ووصف له منزله. فكتب إليه عمر: اجمع للناس موضعاً واحداً؛ ولا تفرّقهم؛ فأقام عتبة أشهراً لا يغزوا ولا يلقي أحداً.

وأما محمد بن بشار؛ فإنه حدثنا، قال: حدثنا صفوان بن عيسى الزهري، قال: حدثنا عمرو بن عيسى أبو نعام العدوي، قال: سمعت خالد بن عمير وشويساً أبا الرقاد، قالوا: بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان، فقال له: انطلق أنت ومن معك؛ حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا. فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمربد وجدوا هذا الكدان. قالوا: ما هذه البصرة؟ فساروا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير، فإذا فيه حلفاء وقصب نابتة، فقالوا: ها هنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الفرات، فأتوه فقالوا: إن ها هنا قوماً معهم راية، وهم يريدونك، فأقبل في أربعة آلاف أسوار، فقال: ما هم إلا ما أرى؛ اجعلوا في أعناقهم الحبال؛ وأتوني بهم؛ فجعل عتبة يزجل، وقال: إني شهدت الحرب مع النبي ﷺ؛ حتى إذا زالت الشمس، قال: احمّلوا؛ فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين، فلم يبق منهم أحد إلا صاحب الفرات، أخذه أسيراً، فقال عتبة بن غزوان: ابغوا لنا منزلاً هو أنزه من هذا - وكان يوم عكاك وومد - فرفعوا له منبراً، فقام يخطب: فقال: إن الدنيا قد تصرّمت ولئت حداء، ولم يبق منها إلا صُبابَة كصُبابَة الإناء. ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم. وقد ذكر لي: لو أنّ صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً، ولتُمْلأَتْ؛ أوعجبتهم! ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعي من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ بزحام، ولقد رأيته وأنا سابع سبعة مع النبي ﷺ، مالنا طعام إلا ورق السمر، حتى تقرّحت أشداقنا؛ والتقطت بُردة فشقتها بيني وبين سعد، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار، وسيجربون الناس بعدنا.

وعن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: لما توجه عتبة بن غزوان المازني من بني مازن بن منصور من المدائن إلى فرج الهند، نزل على الشاطيء بحيال جزيرة العرب، فأقام قليلاً ثم أرز، ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحجر بعد ثلاثة أوطان إذا اجتوا الطين، فنزلوا في الرابعة البصرة - والبصرة كلّ أرض حجارها جصّ - وأمرهم بنهر يجرى من دجلة، فساقوا إليها نهراً للشفة، وكان إيطان أهل البصرة البصرة اليوم وإيطان أهل الكوفة الكوفة اليوم في شهر واحد. فأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن

وطَنُها، وأمّا أهل البصرة فكان مقامهم على شاطئ دجلة. ثم أَرزوا مرّات حتى استقرّوا وبدؤوا، فخنسوا فرسخاً وجَرّوا معهم نهراً، ثم فرسخاً ثم جرّوه ثم فرسخاً، ثم جرّوه ثم أتوا الحجر، ثم جرّوه، واختطت على نحو من خطط الكوفة، وكان على إنزال البصرة أبو الجرباء عاصم بن الدلف، أحد بني غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم.

وقد كان قُطبة بن قتادة - فيما حدّثني عمر، قال: حدّثنا المدائني عن النضر بن إسحاق السلمي، عن قطبة بن قتادة السدوسي - يُغير بناحية الخريبة من البصرة، كما كان المثنى بن حارثة الشيباني يُغير بناحية الحيرة. فكتب إلى عمر يُعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قبله من العجم، فنفاهم من بلادهم. وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة، فكتب إليه عمر: إنّه أتاني كتابك أنّك تُغير على مَنْ قبلك من الأعاجم، وقد أصبت ووفقت؛ أقم مكانك، واحذر على مَنْ معك من أصحابك حتى يأتيك أمري. فوجّه عمر شريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر إلى البصرة، فقال له: كن رداءً للمسلمين بهذه الجيزة، فأقبل إلى البصرة؛ فترك بها قطبة، ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس، وفيها مسلحة للأعاجم؛ فقتلوه، وبعث عمر عُتبة بن غزوان.

حدّثنا عمر، قال: حدّثني عليّ، عن عيسى بن يزيد، عن عبد الملك بن حذيفة ومحمد بن الحجاج، عن عبد الملك بن عُمر، قال: إنّ عمر قال لعُتبة بن غزوان إذ وجّهه إلى البصرة: يا عُتبة، إنّني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومة العدو، وأرجو أن يكفّيك الله ما حولها، وأن يُعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يُمدّك بعرفجة بن هرثمة؛ وهو ذو مجاهدة العدو ومكايده، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه، وادع إلى الله؛ فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة، وإلا فالسيف في غير هودة. واتّق الله فيها وليّت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوانك، وقد صبحت رسول الله ﷺ فعزّزت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً ومليكاً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيألفها نعمة؛ إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على مَنْ دونك! احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية؛ ولهي أخوفها عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيدك بالله ونفسي من ذلك. إنّ الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتّق مصارع الظالمين.

حدّثني عمر بن شبة، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا أبو إسماعيل الهمداني وأبو مخنف، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، قال: قدم عُتبة بن غزوان البصرة في ثلاثمائة، فلما رأى منبت القصب، وسمع نقيق الضفادع قال: إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البرّ من أرض العرب، وأدنى أرض الريف من أرض العجم؛ فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا. فنزل الخريبة وبالأبلّة خمسمائة من الأساورة يحمونها. وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها، فسار عُتبة فنزل دون الإجانة، فأقام نحواً من شهر، ثم خرج إليه أهل الأبلّة فناهضهم عُتبة، وجعل قطبة بن قتادة السدوسي وقسامة بن زهير المازني في عشرة فوارس، وقال لهما: كونا في ظهرنا، فتردّا المنهزم، وتمنعا مَنْ أرادنا من ورائنا. ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جُرّ جزور وقسمها؛ حتى منحهم الله أكتافهم، وولّوا منهزمين؛ حتى دخلوا المدينة، ورجع عُتبة إلى عسكره، فأقاموا أياماً، وألقى الله في قلوبهم الرعب. فخرجوا عن المدينة، وحملوا ما خفّ لهم، وعبروا إلى الفرات، وخلّوا المدينة، فدخلها المسلمون

فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً وعيناً، فاقْتَسَمُوا العين، فأصاب كل رجل منهم درهمان، وولى عُتْبَةُ نافع بن الحارث أقباض الأبلّة؛ فأخرج مُحْسه، ثم قَسَمَ الباقي بين مَنْ أفاءه الله عليه؛ وكتب بذلك مع نافع بن الحارث.

وعن بشير بن عبيد الله؛ قال: قتل نافع بن الحارث يوم الأبلّة تسعة، وأبو بكر ستة.

وعن داود بن أبي هند، قال: أصاب المسلمون بالأبلّة من الدراهم ستمائة درهم، فأخذ كل رجل درهمن، ففرض عمر لأصحاب الدرهمين ممن أخذهما من فتح الأبلّة في ألفين من العطاء، وكانوا ثلاثمائة رجل، وكان فتح الأبلّة في رجب، أو في شعبان من هذه السنة.

وعن الشعبي، قال: شهد فتح الأبلّة مائتان وسبعون، فيهم أبو بكر، ونافع بن الحارث، وشبيل بن معبد، والمغيرة بن شعبة، ومجاشع بن مسعود، وأبو مريم البلوي، وربيع بن كلفة بن أبي الصلت الثقفي، والحجاج.

وعن عباية بن عبد عمرو، قال: شهدت فتح الأبلّة مع عُتْبَةَ، فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح، وجمع لنا أهل دست ملسان، فقال عتبة: أرى أن نسير إليهم، فسرنا فلقينا مرزبان دست ميسان، فقاتلناه، فانهزم أصحابه وأخذ أسيراً، فأخذ قباؤه ومنطقته، فبعث به عتبة مع أنس ابن حُجِيّة اليشكري.

وعن أبي المليح الهذلي، قال: بعث عُتْبَةُ أنس بن حُجِيّة إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان؛ فقال له: كيف المسلمون؟ قال: انثالت عليهم الدنيا، فهم يبيعون الذهب والفضة. فرغب الناس في البصرة، فأتوها.

وعن علي بن زيد، قال: لما فرغ عتبة من الأبلّة، جمع له مرزبان دست ميسان، فسار إليه عُتْبَةُ من الأبلّة، فقتله، ثم سرح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة. ووفد عتبة إلى عمر، وأمر المغيرة أن يصلي بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات، فإذا قدم فهو الأمير. فظفر مجاشع بأهل الفرات، ورجع إلى البصرة وجمع الفيلكان؛ عظيم من عطاء أبزقباذ للمسلمين، فخرج إليه المغيرة بن شعبة، فلقيه بالمرغاب، فظفر به، فكتب إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعتبة: من استعملت على البصرة؟ قال: مجاشع بن مسعود، قال: تستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر؟ تدري ما حدث! قال: لا، فأخبره بما كان من أمر المغيرة، وأمره أن يرجع إلى عمله، فمات عُتْبَةُ في الطريق، واستعمل عمر المغيرة بن شعبة.

وعن عبد الرحمن بن جوشن، قال: شخص عُتْبَةُ بعد ما قتل مرزبان دست ميسان، ووجه مجاشعاً إلى الفرات، واستخلفه على عمله، وأمر المغيرة بن شعبة بالصلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات، وجمع أهل ميسان، فلقاهم المغيرة، وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات، وبعث بالفتح إلى عمر.

الطبري، بإسناده عن قتادة، قال: جمع أهل ميسان للمسلمين، فسار إليهم المغيرة، وخلف المغيرة الأثقال، فلقى العدو دون دجلة، فقالت أُرْدَةُ بنت الحارث بن كلفة: لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم! فاعتقدت لواء من خمارها، وأخذت النساء من حُرْمَنَ رايات، وخرجن يُرِدْنَ المسلمين، فانتھن إليهم، والمشركون يقاتلونهم، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة، ظنوا أن مدداً أتى المسلمين فانكشفوا، وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدّة.

وعن حارثة بن مُضَرَّب، قال: فُتِحَت الأُبُلَّةُ عَنوةً، فقسَمَ بينهم عَتبة - كَكَّة - يعني خبزاً أبيض. وعن محمد بن سيرين مثله.

قال الطَّبْرِيُّ، وكان مِّنْ سُبَيٍّ من مَيَّسان يَسَار أبو الحسن البصريّ، وأرطَبان جدّ عبد الله بن عون بن أرطَبان.

وعن المثنيّ بن موسى بن سلمة بن المحبّق، عن أبيه، عن جدّه، قال: شهدت فتح الأُبُلَّة، فوقع لي في سهمي قِدْر نحاس، فلمّا نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب أن يُصَبِّرَ بين سلمة بالله لقد أخذها وهي عنده نحاس، فإن حلف سلّمت إليه؛ وإلاّ قسمت بين المسلمين. قال: فحلفت، فسُلّمت لي.

قال المثنيّ: فأصول أموالنا اليوم منها.

وعن عمرة ابنة قيس، قالت: لما خرج الناس لقتال أهل الأُبُلَّة خرج زوجي وابني معهم، فأخذوا الدرهمين ومكوك زبيب، وإنهم مضوا حتى إذا كانوا حيال الأُبُلَّة، قالوا للعدوّ، نعبر إليكم أو تعبرون إلينا؟ قال: بل اعبروا إلينا، فأخذوا خشب العُشْر فأوثقوه، وعبروا إليهم، فقال المشركون: لا تأخذوا أوّهم حتى يعبر آخريهم. فلمّا صاروا على الأرض كَبَرُوا تكبيرة، ثم كَبَرُوا الثانية، فقامت دوابهم على أرجلهم، ثم كَبَرُوا الثالثة، فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض، وجعلنا ننظر إلى رؤوس تُنْذِر، ما نرى من يضرّ بها؛ وفتح الله على أيديهم.

المدائنيّ، قال: كانت عند عَتبة صفية بنت الحارث بن كَلْدَة، وكانت أختها أُرْدَة بنت الحارث عند شَيْل بن معبد البجليّ، فلمّا ولي عتبة البصرة انحدر معه أصهاره: أبو بكره، وشَيْل بن معبد؛ وانحدر معهم زياد؛ فلمّا فتحوا الأُبُلَّة لم يجدوا قاسماً يقسم بينهم، فكان زياد قاسمهم؛ وهو ابن أربع عشرة سنة، له ذؤابة، فأجروا عليه كلّ يوم درهمين.

وقيل: إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة، وقيل ست عشرة؛ والأول أصحّ؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر.

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقي سنتين، ثم رُمي بمأرمي؛ واستعمل أبا موسى، وقيل استعمل بعد عَتبة أبا موسى، وبعده المغيرة.

وفيها - أعني سنة أربع عشرة - ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه في شراب شربوه وأبا محجن.

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وكان على مكّة عَتّاب بن أسيد في قول، وعلى اليمن يعلّى بن مُنية، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص - وقيل: العلاء بن الحضرمي - وعلى عُمان حذيفة بن محصن.

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير: قال بعضهم: فيها مصر سعد بن أبي وقاص الكوفة؛ دهم عليها ابن بُقيلة؛ قال لسعد: أدلك على أرض ارتفعت عن البق، وانحدرت عن الفلاة! فدهم على موضع الكوفة اليوم.

ذكر الوقعة بمِرج الروم

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمِرج الروم، وكان من ذلك أن أبا عبيدة خرج بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص، وانصرف بمن أضيف إليهم من اليرموك؛ فنزلوا جميعاً على ذي الكلاع، وقد بلغ الخبر هرقل، فبعث توذرا البطريق حتى نزل بمِرج دمشق وغربها، فبدأ أبو عبيدة بمِرج الروم وجمعهم هذا، وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية، فلما نزل على القوم بمِرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومي، في مثل خيل توذرا؛ إمداداً لتوذرا ورداءاً لأهل حمص؛ فنزل في عسكر على جدّة، فلما كان من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء شنس، وأتى خالد الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق، فأجمع رأيهم ورأي أبي عبيدة أن يتبعه خالد، فأتبعه خالد من ليلته في جريدة؛ وقد بلغ يزيد بن أبي سفيان الذي فعل، فاستقبله فاقتتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون؛ فأخذهم من خلفهم، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم؛ فأناموهم ولم يفلت منهم إلا الشريد؛ فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظهروهم وأداة وثياب، وقسم ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد، ثم انصرف يزيد إلى دمشق، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة، وقد قتل خالد توذرا، وقال خالد:

نحن قتلنا توذرا وشوذرا وقبّله ما قد قتلنا حيدرا
نحن أزرنا الغيضة الأكيدرا

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا شنس، فاقتتلوا بمِرج الروم، فقتلهم مقتلة عظيمة، وقتل أبو عبيدة شنس، وامتلاً المِرج من قتلاهم، فأنتنت منهم الأرض، وهرب من هرب منهم، فلم يفلتهم، وركبوا أكساءهم إلى حمص.

ذكر فتح حمص

حكى الطبري عن سيف، في كتابه، عن أبي عثمان، قال: ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المَرْج، أمر أمير حمص بالسَّير والمُضيَّ إلى حِمص، وقال: إِنَّه بلغني أَنَّ طعامهم لحوم الإبل، وشرابهم ألبانها، وهذا الشتاء فلا تُقاتلوهم إلَّا في كلِّ يوم بارد، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد، هذا جُلَّ طعامه وشرابه. وارتحل من عسكره ذلك، فأتى الرُّهاء، وأخذ عامله بِحُمص، وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حِمص، وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها، فكانوا يُغادون المسلمين ويرأوحوهم في كلِّ يوم بارد؛ ولقي المسلمون بها برداً شديداً، والرُّوم حصاراً طويلاً، فأما المسلمون فصبروا ورابطوا، وأفرغ الله عليهم الصَّبْر، وأعقبهم النصر، حتى اضطرب الشتاء، ولَمَّا تَمَسَّك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء.

وعن أبي الزَّهراء القُشَيْرِيَّ، عن رجل من قومه، قال: كان أهل حِمص يتواصون فيما بينهم، ويقولون: تَمَسَّكُوا فَإِنَّهُمْ حُفَاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون؛ فكانت الرُّوم تَراجُع، وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم، وإن المسلمين في النعال ما أصيب أصبع أحد منهم، حتى إذا انخنس الشتاء، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين. قالوا: كيف والمُلك في سلطانه وعِزِّه، ليس بيننا وبينهم شيء! فتركهم؛ وقام فيهم آخر فقال: ذهب الشتاء، وانقطع الرِّجاء، فما تنتظرون؟ فقالوا: البرسام، فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف، فقال: إن هؤلاء قوم يُعانون؛ ولأنَّ تأتوهم بعهد وميثاق، خير من أن تؤخذوا عَنوة؛ أجبوني محمودين قبل أن تحيوني مذمومين! فقالوا: شيخ خَرَف، ولا علم له بالحرب.

وعن أشياخ من غَسَّانَ وَبَلْقَيْنَ، قالوا: أثاب الله المسلمين على صَبْرهم أيام حِمص أن زُلزل بأهل حِمص؛ وذلك أَنَّ المسلمين ناهدوهم، فكَبَرُوا تكبيرة زلزلت معها الرُّوم في المدينة، وتصدَّعت الحيطان، ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوي رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسألة، فلم يحييهم وأذلَّوهم بذلك، ثم كَبَرُوا الثانية، فتهاقت منها دور كثيرة وحيطان؛ وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم، فقالوا: ألا ترون إلى عذاب الله! فأجابوهم: لا يطلب الصلح غيركم؛ فأشرفوا فنادوا: الصلح الصلح! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم، وعلى أن يترك المسلمون أموال الرُّوم وبنينهم؛ لا ينزلونه عليهم، فتركوه لهم، فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام، على كلِّ جريب أبداً أيسروا أو أعسروا. وصالح بعضهم على قَدْر طاقته؛ إن زاد ماله زيد عليه، وإن نقص نُقص، وكذلك كان صلح دمشق والأردن؛ وبعضهم على شيء إن أيسروا وإن أعسروا، وبعضهم على قَدْر طاقته، وولَّوْا مُعاملة ما جلا ملوكهم عنه.

وبعث أبو عبيدة السَّمْطُ بن الأسود في بني معاوية، والأشعث بن مثناس في السَّكون، معه ابن عابس، والمقداد في بَلْيَ، وبلالا وخالداً في الجيش، والصَّبَّاح بن شُتَيْرٍ ودُهَيْل بن عطية وذا شِمِستان، فكانوا في قصبته. وأقام في عسكره، وكتب إلى عمر بالفتح، وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود، وقد وقَّده. وأخبر خبر هرقل؛ وأنه عبر الماء إلى الجزيرة، فهو بالرُّهاء ينغمس أحياناً، ويطلع أحياناً. فقدم ابن مسعود على عمر، فردَّه، ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة، ثم كتب إلى أبي عُبَيْدة: أن أقم في مدينتك وادعُ أهل القُوَّة والجلد من عرب الشَّام، فإنِّي غير تارك البعثة إليك بمن يكانفك؛ إن شاء الله.

حديث قنسرين

وعن أبي عثمان وجارية، قالوا: وبعث أبو عبيدة بعد فتح جحص خالد بن الوليد إلى قنسرين، فلما نزل بالحاضر زحف إليهم الروم، وعليهم مينا، وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل، فالتقوا بالحاضر، فقتل مينا ومن معه مقتلة لم يقتلوا مثلها، فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد، وأما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب، وأنهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حرب، فقبل منهم وتركهم. ولما بلغ عمر ذلك قال: أمر خالد نفسه؛ يرحم الله أبا بكر؛ هو كان أعلم بالرجال مني، وقد كان عزله والمثني مع قيامه، وقال: إنني لم أعزلهما عن ريبة؛ ولكن الناس عظموهما، فخشيت أن يوكلا إليهما. فلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان، رجع عن رأيه، وسار خالد حتى نزل قنسرين، فتحصنوا منه، فقال: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لانزلكم الله إلينا. قال: فنظروا في أمرهم، وذكروا ما لقي أهل حمص؛ فصالحوه على صلح حمص، فأبى إلا على إخراج المدينة فأخربها، وأتطأت جحص وقنسرين؛ فعند ذلك خنس هرقل؛ وإنما كان سبب خنوسه أن خالدًا حين قتل مينا ومات الروم على دمه، وعقد لأهل الحاضر وترك قنسرين، طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قبل قرقيسيا، وعبد الله بن المعتم من قبل الموصل، والوليد بن عقبة من بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرقل، وأهل الجزيرة في حران والرقعة ونصيبين وذواتها لم يغرضوا غرضهم؛ حتى يرجعوا إليهم؛ إلا أنهم خلفوا في الجزيرة الوليد لئلا يؤتوا من خلفهم؛ فأدرب خالد وعياض تما يلي الشام، وأدرب عمر وعبد الله مما يلي الجزيرة؛ ولم يكونوا أدربوا قبله؛ ثم رجعوا، فهي أول مدربة كانت في الإسلام سنة ست عشرة. فرجع خالد إلى قنسرين فنزلها، وأتته امرأته، فلما عزله قال: إن عمر ولأني الشام حتى إذا صارت بشيئة وعسلا عزلي.

قال أبو جعفر الطبري: ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية، فاختلف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشام؛ فقال ابن إسحاق: كان ذلك سنة خمس عشرة؛ وقال سيف: كان سنة ست عشرة.

ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية

ذكر سيف عن أبي الزهراء القشيري، عن رجل من بني قشير، قالوا: لما خرج هرقل من الرها واستتب أهلها، قالوا: نحن ها هنا خير منا معك، وأبوا أن يتبعوه، وتفرقوا عنه وعن المسلمين؛ وكان أول من أنبج كلابها، وأنفر دجاجها زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وكان مع عمر بن مالك مسانده، وكان حليفاً لبني عبد بن قصي؛ وقبل ذلك ما قد خرج هرقل حتى شمشاط؛ فلما نزل القوم الرها أدرب فنفاذ نحو القسطنطينية، ولحقه رجل من الروم كان أسيراً في أيدي المسلمين، فأفلت، فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أحدثك كأنك تنظر إليهم؛ فرسان بالنهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمان، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين.

وعن عبادة وخالد، أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس فخلف سورية، وظعن في أرض الروم التفت فقال: عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره، وهو عائد. فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر

الماء، فنزل الرّهاء، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة وفتحت قنّسرين وقتل مينا، فحنس عند ذلك إلى شمشاط؛ حتى إذا فصل منها نحو الرّوم علا على شرف، فالتفت ونظر نحو سورية، وقال: عليك السلام يا سورية، سلاماً لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك روميّ أبداً إلا خائفاً، حتى يولد المولود المشؤوم، ويا ليتة لا يولد! ما أحلى فعله، وأمر عاقبته على الرّوم!

وعن أبي الرّهاء وعمرو بن ميمون، قالوا: لما فصل هرقل من شمشاط داخلاً الرّوم التفت إلى سورية، فقال: قد كنت سلّمت عليك تسليم المسافر، فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق، ولا يعود إليك روميّ أبداً إلا خائفاً، حتى يولد المولود المشؤوم، وليته لم يولد! ومضى حتى نزل القسطنطينية. وأخذ أهل الحصون التي بين إسكندرية وطرسوس معه؛ لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الرّوم، وشعث الحصون، فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً، وربما كمن عندها الرّوم؛ فأصابوا غيرة المتخلفين، فاحتاط المسلمون لذلك.

ذكر فتح قيسارية وحصر غزة

ذكر سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة، عن خالد وعبادة، قالوا: لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص من فحل، نزل عمرو وشرحبيل على بيسان فافتتحاها، وصالحته الأرذنة، واجتمع عسكر الرّوم بأجنادين. وبيسان وغزة، وكتبوا إلى عمر بتفرقهم، فكتب إلى يزيد بأن يدفء ظهورهم بالرجال، وأن يسرح معاوية إلى قيسارية. وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الأرطبون، وإلى علقمة بصدم الفيّقار.

وكان كتاب عمر إلى معاوية: أما بعد، فإنّي قد وليت قيسارية، فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا، نعم المولى ونعم النصير». فانتهى الرّجلان إلى ما أمرا به، وسار معاوية في جنده حتى نزل على أهل قيسارية وعليهم أبني، فهزمه وحصره في قيسارية. ثم إنهم جعلوا يزاحفونه، وجعلوا لا يزاحفونه من مرة إلا هزمهم وردّهم إلى حصنهم. ثم زاحفوه آخر ذلك، وخرجوا من صياصيمهم، فاقتتلوا في حفيظة واستماتة، فبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً، وكملها في هزيمتهم مائة ألف، وبعث بالفتح مع رجلين من بني الضّبيب، ثم خاف منها الضّعف، فبعث عبد الله بن علقمة الفراسي وزهير بن الحلاب الخثعمي، وأمرهما أن يتبعاهما ويسبقاهما، فلحقاهما، فطويهاهما وهما نائمان. وابن علقمة يتمثل وهي هجيراه:

أَرْقَ عَيْنِي أَخَوَا جُذَامَ كَيْفَ أَنَامَ وَهُمَا أَمَامِي!
إِذْ يَرْحَلَانِ وَالْهَجِيرُ طَامِي أَخُو حُسَيْنٍ وَأَخُو حَرَامِ

وانطلق علقمة بن مجرّز، فحصر الفيّقار بغزة، وجعل يرأسه، فلم يشفه مما يريد أحد؛ فأناه كأنه رسول علقمة، فأمر الفيّقار رجلاً أن يقعد له بالطريق، فإذا مرّ قتله، ففطن علقمة، فقال: إنّ معي نفراً شركائي في الرأي، فأنطلق فأتيك بهم؛ فبعث إلى ذلك الرّجل: لا تعرض له. فخرج من عنده ولم يعد، وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون، وانتهى يريد معاوية إلى عمر بالخبر، فجمع الناس وأباتهم على الفرح ليلاً، فحمد الله وقال:

لتحمدوا الله على فتح قيسارية، وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يحبس الأسرى عنده، ويقول: ما صنع ميخائيل بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله، ففطمه عن العبث بأسرى المسلمين حتى افتتحها.

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

ولما توجه علقمة إلى غزة وتوجه معاوية إلى قيسارية، صمد عمرو بن العاص إلى الأرطوبون، ومربازاته، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته، واستخلف على عمل الأرذن أبا الأعور، وولى عمرو بن العاص مجنبيه عبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم المالكي؛ مالك بن كنانة، فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين، والروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطوبون. وكان الأرطوبون أدهى الروم وأبعدها غوراً، وأنكاهها فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإلياء جنداً عظيماً؛ وكتب عمرو إلى عمر بالخبر؛ فلما جاءه كتاب عمرو، قال: قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب، فانظروا عم تتفرج! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشام يمد كل أمير جند ويرميه بالأمداد؛ حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الروم، كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيسارية؛ وليشغلهم عن عمرو؛ وكان عمرو قد استعمل علقمة بن حكيم الفراسي ومسروق بن فلان العكي على قتال أهل إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء، فشغلوهم عن عمرو، وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التدارق، وكان بإزائهما، ولما تابعت الأمداد على عمرو، بعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق، وبعث عمارة بن عمرو بن أمية الضمري مدداً لأبي أيوب، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطوبون على سقطة، ولا تشفيه الرسل، فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد. وقال أرطوبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو، أو إنه للذي يأخذ عمرو برأيه؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله. ثم دعا حرسياً فسأره بقتله، فقال: اخرج. فقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله، وفطن له عمرو، فقال: قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلته فقد وقع مني موقعاً؛ وأنا واحد من عشرة؛ بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكافئه ويشهدنا أموره، فأرجع فأتيك بهم الآن، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى، فقد رآه أهل العسكر والأمير؛ وإن لم يروه رددتهم إلى مأمهم، وكنت على رأس أمرك. فقال: نعم، ودعا رجلاً فسأره، وقال: اذهب إلى فلان فردّه إليّ، فرجع إليه الرجل وقال لعمرو: انطلق فجئ بأصحابك؛ فخرج عمرو ورأى ألا يعود لمثلها، وعلم الرومي بأنه قد خدعه، فقال: خدعني الرجل؛ هذا أدهى الخلق. فبلغت عمر، فقال: غلبه عمرو، لله عمرو! وناهذه عمرو، وقد عرف مأخذه وعاقبته، والتقوا ولم يجد من ذلك بداً فالتقوا بأجنادين، فاقتلوا قتالاً شديداً كقتال اليرموك؛ حتى كثرت القتلى بينهم.

ثم إن أرطوبون انهزم في الناس فأوى إلى إيلياء، ونزل عمرو أجنادين. ولما أتى أرطوبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها، ثم أزالهم إلى أجنادين، فانضمّ علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين، وكتب أرطوبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري؛ أنت في قومك مثلي في قومي؛ والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فأرجع ولا تغرقتلني ما لقي الذين قبلك من الهزيمة. فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية، فأرسله إلى أرطوبون، وأمره أن يُغرب ويتنكر، وقال: استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله.

وكتب إليه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي، وقد علمت أنني صاحب فتح هذه البلاد، وأستعدي عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً - لوزرائه - فأقرتهم كتابي، ولينظروا فيما بيني وبينك.

فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر، فاقرأه فضحكوا وتعجبوا، وأقبلوا على أرطبون، فقالوا: من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبها رجل اسمه «عمر» ثلاثة أحرف؛ فرجع الرسول إلى عمرو وعرف أنه عمر.

وكتب إلى عمر يستمده، ويقول: إني أعالج حرباً كؤوداً صدمواً وبلاداً أدخرت لك، فأريك. ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك، عرف أن عمراً لم يقل إلا بعلم، فنأدى في الناس، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية. وجميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات فأما الأولى فعلى فرس، وأما الثانية فعلى بعير، وأما الثالثة فقصر عنها أن الطاعون مستعر، وأما الرابعة فدخلها على حمار. فاستخلف عليها، وخرج وقد كتب مخرجه أول مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية - ليوم سمّاه لهم في المجردة - وأن يستخلفوا على أعمالهم. فلقوه حيث رفعت لهم الجابية؛ فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول؛ عليهم الديباج والحريز، فنزل وأخذ الحجارة، فرماهم بها، وقال: سرّ ما لفتكم عن رأيكم! إني تستقبلون في هذا الزّبي؛ وإنما شبعتم منذ سنتين! سرّ ما نذت بكم البطنة! وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنها يلامقة، وإن علينا السلاح، قال: فنعم إذاً. وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشريحيل بأجناديين لم يتحركا من مكانهما.

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبدالله، قال: لما قدم عمر رحمه الله الجابية، قال له رجل من يهود: يا أمير المؤمنين؛ لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء. فبينما عمر بن الخطاب بها؛ إذ نظر إلى كردوس من خيل مقبل، فلما دنوا منه سلموا السيوف، فقال عمر: هؤلاء قوم يستأمنون، فأمنوهم؛ فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء، فصالحوه على الجزية، وفتحوها له، فلما فتحت عليه دعا ذلك اليهودي، فقيل له: إن عنده لعلماً. قال: فسأله عن الدجال - وكان كثير المسألة عنه - فقال له اليهودي: وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين! فأنتم والله معشر العرب تقتلونهم دون باب لُدّ ببضع عشرة ذراعاً.

وعن سالم، قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال: السّلام عليك يا فاروق! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء؛ وكانوا قد أشجوا عمراً وأشجاهم؛ ولم يقدر عليها ولا على الرملة، فبينما عمر معسكراً بالجابية، فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف! فنظر، فإذا كردوس يلمعون بالسيوف؛ فقال عمر: مستأمنة، ولا تُراعوا وأمنوهم؛ فأمنوهم؛ وإذا هم أهل إيلياء، فأعطوه واكتبوا منه على إيلياء وحيزها، والرملة وحيزها؛ فصارت فلسطين نصفين: نصف مع أهل إيلياء، ونصف مع أهل الرملة؛ وهم عشر كُور، وفلسطين تعدل الشام كله؛ وشهد ذلك اليهودي الصّليح، فسأله عمر عن الدجال؛ فقال: هو من بني بنيامين؛ وأنتم والله يا معشر العرب تقتلونهم على بضع عشرة ذراعاً من باب لُدّ.

وعن خالد وعبادة، قالوا: كان الذي صالح فلسطين العوام من أهل إيلياء والرّملة؛ وذلك أن أرطوبون والتّذارق لحقا بمصر، مقدّم عمر الجابية، وأصيبا بعد في بعض الصوائف.

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولّي للعقد عمر بن الخطاب؛ فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة. وعن عديّ بن سهل، قال: لما استمدّ أهل الشام عمر على أهل فلسطين، استخلف عليّاً، وخرج ممداً لهم، فقال عليّ: أين تخرج بنفسك! إنك تريد عدوّاً كليّاً، فقال: إني أبادر بجهاد العدو موت العباس؛ إنكم لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض أوّل الحبل.

قال: وانضمّ عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم، فشهد الكتاب.

وعن خالد وعبادة، قالوا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح لكلّ كورة كتاباً واحداً، ما خلا أهل إيلياء.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملّتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللصوت؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم؛ ومن أقام منهم فهو آمن؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويخلى بيّعتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيّعتهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الرّوم؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصّد حصادهم؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة.

فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لُد. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمتهم وبريئتهم وسائر ملّتهم؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا ملّتها، ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم؛ ولا يضارّ أحد منهم؛ وعلى أهل لُد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل مدائن الشام، وعليهم أن يخرجوا مثل ذلك الشرط إلى آخر. ثم سرح إليهم، وفرّق فلسطين على رجلين، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرّملة، وعلقمة بن مجرّز على نصفها وأنزله إيلياء؛ فنزل كلّ واحد منها في عمله في الجنود التي معه.

وعن سالم، قال: استعمل علقمة بن مجرّز على إيلياء وعلقمة بن حكيم على الرّملة في الجنود التي كانت مع عمرو وضمّ عمرو وشرحبيل إليه بالجابية، فلمّا انتهيا إلى الجابية، وافقاهم رحمه الله راكباً، فقبلاً ركبتيه، وضمّ عمر كلّ واحد منها محتضنها.

وعن عبادة وخالد، قالاً: ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكنها الجند، شخص إلى بيت المقدس من الجابية، فرأى فرسه يتوججى، فنزل عنه، وأتى ببرذون فركبه، فهزّه فنزل، فضرب وجهه بردائه، ثم قال: قبح الله مَنْ علمك هذا! ثم دعا بفرسه بعد ما أجّجه أياماً يوقّحه فركبه، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس.

وعن أبي صفية؛ شيخ من بني شيبان، قال: لما أتى عمرُ الشامَ أتى ببرذون فركبه، فلما سار جعل يتخلّج به، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علمَ الله مَنْ علمك! هذا من الخيلاء؛ ولم يركب برذونا قبله ولا بعده: وفتحت إيلياء وأرضها كلّها على يديه، ما خلا أجنادين فإنها فتحت على يدي عمرو، وقيسارية على يدي معاوية.

وعن أبي عثمان وأبي حارثة، قالاً: افتتحت إيلياء وأرضها على يدي عمر. في ربيع الآخر سنة ست عشرة.

وعن أبي مريم مولى سلامة، قال: شهدت فتح إيلياء مع عمر رحمه الله، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء، ثم مضى حتى يدخل المسجد، ثم مضى نحو محراب داود؛ ونحن معه، فدخله ثم قرأ سجدة داود، فسجد وسجدنا معه.

وعن رجاء بن حيوة، عمّن شهد؛ قال: لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء، فدنا من باب المسجد، قال: ارقبوا لي كعباً، فلما انفرك به الباب، قال: لبيك، اللهم لبيك، بما هو أحب إليك! ثم قصد المحراب؛ محراب داود عليه السلام، وذلك ليلاً، فصلّى فيه، ولم يلبث أن طلع الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدّم فصلّى بالناس، وقرأ بهم «ص»، وسجد فيها، ثم قام، وقرأ بهم في الثانية صدر «بني إسرائيل»، ثم ركع ثم انصرف، فقال: عليّ بكعب، فأتي به، فقال: أين ترى أن نجعل المصلّى؟ فقال: إلى الصخرة، فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب، وقد رأيتك وخلعتك نعليك، فقال: أحببت أن أباشره بقدمي، فقال: قد رأيتك، بل نجعل قبلته صدره، كما جعل رسول الله ﷺ قبله مساجدنا صدورها، اذهب إليك، فإننا لم نؤمر بالصخرة، ولكنّا أمرنا بالكعبة، فجعل قبلته صدره، ثم قام من مُصلّاه إلى كُناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني إسرائيل؛ فلما صار إليهم أبرزوا بعضها، وتركوا سائرها، وقال: يا أيها الناس، اصنعوا كما أصنع، وجثا في أصلها، وجثا في فرج من فروج قبائه، وسمع التكبير من خلفه، وكان يكره سوء الرّعة في كلّ شيء، فقال: ما هذا؟ فقالوا: كبر كعب وكبر الناس بتكبيره فقال: عليّ به فأتي به، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبيّ منذ خمسمائة سنة، فقال: وكيف؟ فقال: إنّ الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوها عليهم، فدفنوه، ثم أديلوها فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل، ثم أدিলت الروم عليهم إلى أن وليت، فبعث الله نبياً على الكُناسة، فقال: أبشري أورى شلم، عليك الفاروق ينقيك مما فيك. وبعث إلى القسطنطينية نبيّ؛ فقام على تلّها، فقال: يا قسطنطينية، ما فعل أهلك بيّتي! أخبروه وشبهوك كعرشي؛ وتأولوا عليّ، فقد قضيت عليك أن أجعلك جُلحاء يوماً ما، لا يأوي إليك أحد، ولا يستظلّ فيك على أيدي بني القاذر سباً وودان؛ فما أمسوا حتى ما بقي منه شيء.

وعن ربيعة الشاميّ بمثله؛ وزاد: أذاك الفاروق في جندي المطيع، ويُدركون لأهلك بئارك في الروم. وقال في قسطنطينية: أدعك جُلحاء بارزة للشمس، لا يأوي إليك أحد، ولا تظليّنه.

وعن أنس بن مالك، قال: شهدت إيلياء مع عمر، فبينما هو يطعم الناس يوماً بها أتاه راهبها وهو لا يشعر أن الخمر محرمة، فقال: هل لك في شراب نجده في كتبنا حلالاً إذا حرمت الخمر! فدعاه به فقال: من أي شيء هذا؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً، حتى صار إلى ثلثه، فغرف بإصبعه، ثم حرّكه في الإناء فشطّره، فقال: هذا طلاء؛ فشبهه بالقطران، وشرب منه، وأمر أمراء الأجناد بالشّام به؛ وكتب في الأمصار: إني أتيت بشراب مما قد طُبِخ من العصير حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كالطلاء، فاطبخوه وارزقوه المسلمين.

وعن أبي عثمان وأبي حارثة، قالا: ولحق أرطوبون بمصر مقدّم عمر الجابية، ولحق به من أحبّ ممن أبي الصلح، ثم لحق عند صلح أهل مصر، وغلبهم بالرّوم في البحر، وبقي بعد ذلك؛ فكان يكون على صوائف الرّوم، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضُرَيْس؛ فقطع يد القيسي، وقتله القيسي، فقال:

فإن يكن أرطوبون الرّوم أفسدها
بناتنا وجرموز أقيم به
وإن يكن أرطوبون الرّوم قطعها

وقال زياد بن حنظلة:

تذكرت حرب الرّوم لما تطاولت
وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا
وإذ أرطوبون الرّوم يحمي بلاده
فلما رأى الفاروق أزمان فتحها
فلما أحسّوه وخافوا صواله
وألقت إليه الشّام أفلاذ بطنها
أباح لنا ما بين شرق ومغرب
وكم مثقل لم يضطلع باحتماله

وقال أيضاً:

سما عمّر لما أتته رسائل
وقد عضلت بالشّام أرض بأهلها
فلما أتاه ما أتاه أجابهم
وأقبلت الشّام العريضة بالذي
فقسط فيما بينهم كل جزية

كأصيد يحمي صرمة الحي أعيداً
تريد من الأقوام من كان انجداً
يجيش ترى منه الشبايك سجداً
أراد أبو حفص وأزكى وأزيداً
وكل رفاذ كان أهنا وأحمداً

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض، ودون الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة، وأعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو في أهل الفتح أقل ما أخذ من قبلهم، فامتنعوا من أخذه وقالوا: لا نعترف أن يكون أحد أكرم منا، فقال: إني إنما أعطيتكم على السابقة في الإسلام لا على الأحساب؛ قالوا: فنعم إذاً، وأخذوا، وخرج الحرث وسهيل بأهليهما نحو الشام؛ فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك الدروب؛ وقيل: ماتا في طاعون عمواس.

ولما أراد عمر وضع الديوان، قال له عليّ وعبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك، قال: لا، بل أبدأ بعمر رسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب؛ ففرض للعباس وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن ألق أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف؛ في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر، ومن ولى الأيام قبل القادسية؛ كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف. ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين؛ وفرض لأهل البلاء البار من ألفين وخمسمائة، ألفين وخمسمائة، فقليل له: لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام! فقال: لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا، وقيل له: قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فائه، فقال: من قربت داره أحق بالزيادة، لأنهم كانوا رداءً للقوق وشجى للعدو، فهلاً قال المهاجرون مثل قولكم حين سوين بين السابقين منهم والأنصار! فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم؛ وهاجر إليهم المهاجرون من بعد؛ وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً، ثم فرض للروادف: المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الثلث بعدهم؛ ثلثمائة ثلثمائة؛ سوى كل طبقة في العطاء، قوتهم وضعيفهم، عربهم وعجمهم، وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها. الحسن والحسين وأبا ذرّ وسلمان؛ وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفاً - وقيل: اثني عشر ألفاً - وأعطى نساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف؛ إلا من جرى عليها الملك؛ فقال نسوة رسول الله ﷺ: ما كان رسول الله ﷺ يفضلنا عليهن في القسمة؛ فسوّيننا؛ ففعل وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله ﷺ إياها فلم تأخذ؛ وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة خمسمائة، ونساء من بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة؛ ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلاثمائة ثلاثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك؛ وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثم جمع ستين مسكيناً، وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبتين، ففرض لكل إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر.

وقال عمر قبل موته: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزودها معه، وألفاً يتجهز بها، وألفاً يترقق بها؛ فمات قبل أن يفعل.

قال أبو جعفر الطبري: كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف؛ عن محمد وطلحة والمهلب وزيد والمجالد وعمرو، عن الشعبي؛ وإسماعيل عن الحسن، وأبي ضمرة عن عبد الله بن المستورد عن محمد بن سيرين، ويحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيّب، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم، وزهرة عن أبي سلمة، قالوا: فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم؛ وهم أهل المدائن، فصاروا بعد إلى الكوفة،

انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر، وقال: الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم؛ ألا فيهم سكنت المدائن والقرى، وعليهم جرى الصلح؛ وإليهم أدي الجزاء، وبهم سُدَّت الفروج ودُوخ العدو. ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطيائهم إعطاء واحداً سنة خمس عشرة.

وقال قائل: يا أمير المؤمنين، لو تركت في بيوت الأموال عدة لكون إن كان! فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرّها؛ وهي فتنة لمن بعدي؛ بل أعدّ لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة الله ورسوله؛ فيها عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد؛ قالوا: لما فتح الله على المسلمين وقُتِل رستم، وقدمت على عمر الفتوح من الشام جمع المسلمين، فقال: ما يحلّ للوالي من هذا المال؟ فقالوا جميعاً: أمّا لخاصته فقوته وقوت عياله، لا وكس ولا شطط، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف، ودأبتان إلى جهاده وحوائجه ومُحْلانته إلى حجة وعمرته، والقسم بالسوية، أن يعطى أهل البلاء على قدر بلائهم، ويرمّ أمور الناس بعد؛ ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تُكشَف، ويبدأ بأهل الفياء.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنت امرأ تاجراً، يغني الله عيالي بتجارتِي وقد شغلتموني بأمركم، فماذا ترون أنه يحلّ لي من هذا المال؟ فأكثر القوم وعليّ عليه السلام ساكت، فقال: ما تقول يا علي؟ فقال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا المال غيره، فقال القوم: القول قول ابن أبي طالب.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله، عن نافع، عن أسلم، قال: قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: ما يحلّ لك من هذا المال؟ فقال: ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف، وحلة الشتاء وحلة الصيف، وراحلة عمر للحج والعمرة، ودابة في حوائجه وجهاده.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مُبَشَّر بن الفضيل، عن سالم بن عبد الله، قال: لما ولي عمر قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له، فكان بذلك؛ فاشتدّت حاجته، فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان، وعليّ وطلحة، والزبير، فقال الزبير: لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إيّاه في رزقه! فقال عليّ: وددنا قبل ذلك؛ فانطلقوا بنا، فقال عثمان: إنه عمر! فهلموا فلنستبرئ ما عنده من وراء؛ تأتي حفصة فنسألها ونستكتمها، فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر، ولا تسمي له أحداً، إلا أن يقبل، وخرجوا من عندها، فلقيت عمر في ذلك، فعرفت الغضب في وجهه، وقال: من هؤلاء؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك، فقال: لو علمت من هم لسؤت وجوههم؛ أنت بيني وبينهم! أنشدك بالله؛ ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد، ويخطب فيهما للجُمع؛ قال: فأبي الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خُبزة شعير، فصبينا عليها وهي حارة أسفل عكّة لنا، فجعلناها هشة دسمة؛ فأكل منها وتطعم منها استطابة لها. قال: فأبي مُبَسِّط كان يبسطه عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء لنا تخين كنا نربّعه في الصيف، فنجعلهُ تحتنا، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدرّنا بنصفه، قال: يا حفصة؛

فأبلغهم عني أن رسول الله ﷺ قدّر فوضع الفضول مواضعها؛ وتبلغ بالترجية، وإنّي قدّرت فوالله لأضعن الفضول مواضعها، ولأبلغن بالترجية؛ وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً؛ فمضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ، ثم أتبعه الآخر فسلكت طريقه، فأفضى إليه، ثم أتبعه الثالث، فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وكان معهما؛ وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أصحابه. والضحاك عن ابن عباس، قال: لما افتتحت القادسيّة وصالح من صالح من أهل السواد وافتتحت دمشق، وصالح أهل دمشق، قال عمر للناس: اجتمعوا فأحضرني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسيّة وأهل الشام. فاجتمع رأي عمر وعليّ على أن يأخذوا من قبل القرآن، فقالوا: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ - يعني من الخمس - ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾؛ إلى الله وإلى الرسول؛ من الله الأمر وعلى الرسول القسم ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾. الآية، ثم فسروا ذلك بالآية التي تليها: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾. (١) الآية، فأخذوا الأربعة أخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بُدئ به وتُني وتُلث، وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم. ثم استشهدوا على ذلك أيضاً: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ (٢)، فقسم الأخماس على ذلك، واجتمع على ذلك عمر وعليّ، وعمل به المسلمون بعده، فبدأ بالمهاجرين، ثم بالأنصار، ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم، ثم فوض الأعطية من الجزاء على من صالح أو دُعي إلى الصلح من جزائه، مردود عليهم بالمعروف؛ وليس في الجزاء أخماس، والجزاء لمن منع الذمة. ووقى لهم ممن ولي ذلك منهم؛ ولن لحق بهم فأعانهم، إلا أن يؤاسوا بفضلة من طيب أنفس منهم من لم ينل مثل الذي نالوا.

قال الطبريّ: وفي هذه السنة - أعني سنة خمس عشرة - كانت وقعات في قول سيف بن عمر، وفي قول ابن إسحاق: كان ذلك في سنة ست عشرة، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل؛ وكذلك ذلك في قول الواقدي. نذكر الآن الأخبار التي وردت بما كان بين ما ذكرت من الحروب إلى انقضاء السنة التي ذكرت أنهم اختلفوا فيما كان فيها من ذلك:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: عهد عمر إلى سعد حين أمره بالسّير إلى المدائن أن يخلف النساء والعيال بالعتيق، ويجعل معهم كُتُفًا من الجند، ففعل وعهد إليه أن يُشركهم في كلّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم. قالوا: وكان مقام سعد بالقادسيّة بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر في العمل بما ينبغي، فقدم زهرة نحو اللسان - واللسان لسان البر الذي أدلعه في الريف، وعليه الكوفة اليوم، والحيرة قبل اليوم - والتخيرجان معسكره، فافرض ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه، فلحق بأصحابه. قالوا: فكان مما يلعب به الصبيان في العسكر وتلقيه النساء عليهم، وهم على شاطئ العتيق، أمر كان النساء يلعبن به في زرود وذي قار؛ وتلك الأمواه حين أمروا بالسير في جمادى إلى القادسيّة، وكان كلاماً أبَدَنَ فيه كالأوابد من الشعر؛ لأنه ليس بين جمادى ورجب شيء:

(١) سورة الحشر: ٧، ٨.

(٢) سورة الأنفال: ٤١.

العَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبٍ
أَمْرٌ قَضَاهُ قَدْ وَجَبَ يَخْبُرُهُ مَنْ قَدْ شَجَبَ
تَحْتَ غِبَارٍ وَلَجَبَ

خبر يوم بُرس

قال: ثم إنَّ سعداً ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسيّة كلّهُ، وبعد تقديم زُهرة بن الحويّة في المقدمات إلى اللسان، ثم أتبعه عبد الله بن المعتّم، ثم أتبع عبد الله شُرْحِبِيل بن السَّمَط، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة، وقد ولّاه خلافته، عملَ خالد بن عُرْفُطَة، وجعل خالداً على الساقّة، ثم أتبعهم وكلّ المسلمين فارس مُؤدٍ قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكُراع ومال، لأيّام بقين من شَوّال، فسار زُهرة حتى ينزل الكوفة - والكوفة كلّ حَصَباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين - ثم نزل عليه عبدُ الله وشرحبيل، وارتحل زُهرة حين نزلاً عليه نحو المدائن، فلما انتهى إلى بُرس لقيه بها بُصْبُهري في جمع فناوشوه فهزمهم، فهرب بُصْبُهري ومن معه إلى بابل وبها فآلة القادسيّة وبقايا رؤسائهم: النّخيرجان ومِهران الرازيّ والهُرمزان وأشباههم؛ فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرزان، وقدم عليهم بُصْبُهري وقد نجا بطعنة، فمات منها.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النّضر بن السريّ، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: طعن زهرة بُصْبُهري في يوم بُرس، فوقع في النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل؛ ولما هُزم بُصْبُهري أقبل بسطام دِهقان بُرس، فاعتقد من زُهرة وعقد له الجسور، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل.

يوم بابل

قالوا: ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فُلّال القادسيّة، أقام وكتب إلى سعد بالخبر. ولما نزل سعد على مَنْ بالكوفة مع هاشم بن عتبة، وأتاه الخبر عن زُهرة باجتماع الفُرس ببابل على الفيرزان، قدّم عبدُ الله، وأتبعه شُرْحِبِيل وهاشم، ثم ارتحل بالناس، فلما نزل عليهم بُرس، قدّم زهرة فأتبعه عبد الله وشرحبيل وهاشم، وأتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل، وقد قالوا: نقاتلهم دَسْتاً قبل أن نفرق، فاقتتلوا ببابل، فهزموهم في أسرع من لَفَتِ الرِّداء، فانطلقوا على وجوههم؛ ولم يكن لهم همّة إلا الافتراق، فخرج الهرمزان متوجّهاً نحو الأهواز، فأخذها فأكلها ومِهران قَذَق، وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند، وبها كنوز كسرى؛ فأخذها وأكل الماهين، وصمد النّخيرجان ومِهران الرازيّ للمدائن، حتى عبأ بهرسيّر إلى جانب دجلة الآخر، ثم قطعاً الجسر، وأقام سعد ببابل أيّاماً، وبلغه أن النّخيرجان قد خلف شهریار؛ دهقاناً من دهاقين الباب بكوثر في جمع، فقدّم زهرة ثم أتبعه الجنود فخرج زهرة حتى ينزل على شهریار بكوثر بعد قتل فيومان والفرخان فيما بين سورا والدّير.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النّضر بن السريّ، عن ابن الرّفيل، عن أبيه، قال: كان سعد قدّم زهرة من القادسيّة فمضى متشعباً في حربه وجنده، ثم لم يلقَ جمعاً فهزمهم إلّا قدّم، فأتبعهم لا يمرّون بأحد إلّا قتلوه ثمّ لحقوا به منهم أو أقام لهم، حتى إذا قدّمه من بابل قدّم زهرة بُكَيْر بن عبد الله الليثي وكثير بن شهاب السعديّ أخا الغلّاق حين عبّر الصّراة، فيلحقون بأخريات

القوم وفيهم فيومان والفَرَّخَان؛ هذا مِيسَانِي وهذا أهوازي، فقتل بكير الفَرَّخَان، وقتل كثير فيومان سُورًا. ثم مضى زُهرة حتى جاوز سُورًا، ثم نزل، وأقبل هاشم حتى نزل عليه، وجاء سعد حتى ينزل عليهم، ثم قَدَمَ زُهرة، فسار تَلْقَاءَ القوم، وقد أقاموا له فيما بين الدَّير وكُوَيْ، وقد استخلف النُّخَيْرِجَان ومِهْرَان على جنودهما شهریار، دِهْقَان الباب. وَمَضَيَا إلى المدائن، وأقام شهریار هنالك، فلما التقوا بأكناف كُوَيْ؛ جيش شهریار وأوائل الخيل، خرج فنادى: ألا رجل، ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إليّ حتى أنكل به! فقال زُهرة: لقد أردت أن أبارزك؛ فأما إذ سمعت قولك، فإنني لا أخرج إليك إلا عبدًا؛ فإن أقمّت له قتلك إن شاء الله ببغيك؛ وإن فررت منه فإنما فررت من عبد، وكأيد؛ ثم أمر أبا نباتة نائل بن جُعشم الأعرجي - وكان من شجعان بني تميم - فخرج إليه، ومع كل واحد منهما الرمح، وكلاهما وثيق الخلق؛ إلا أن الشهریار مثل الجمل، فلما رأى نائلاً ألقى الرمح ليعتقه، وألقى نائلُ رمحه ليعتقه، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا، ثم اعتنقا فخرًا عن دأبتيهما، فوقع على نائل كأنه بيت، فضغطة بفخذه، وأخذ الخنجر وأراغ حلّ أزرار درعه، فوقعت إبهامه في فم نائل، فحطم عظمها، ورأى منه فتورًا، فتاوره فجلد به الأرض، ثم قعد على صدره، وأخذ خنجره، فكشف درعه عن بطنه، فطعنه في بطنه وجنبه حتى مات، فأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه، فذهبوا في البلاد، وأقام زهرة بكوئي حتى قدم عليه سعد، فأق به سعدًا، فقال سعد: عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقبّاءه ودرّعه، ولتركتين بردونه! وغنمته ذلك كله. فانطلق، فندرّع سلبه، ثم أتاه في سلاحه على دابته، فقال: اخلع سواريك إلا أن ترى حرباً فتلبسهما؛ فكان أول رجل من المسلمين سُورًا بالعراق.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: فأقام سعد بكوئي أيامًا، وأتى المكان الذي جلس فيه إبراهيم عليه السلام بكوئي، فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشرون إبراهيم، وأتى البيت الذي كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوسًا، فنظر إليه وصلى على رسول الله وعلى إبراهيم، وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم، وقرأ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١).

حديث بهر سير

في ذي الحجة سنة خمس عشرة في قول سيف

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد والنضر، عن ابن الرُّفَيْل، قالوا: ثم إن سعدًا قدم زهرة إلى بهر سير، فمضى زهرة من كُوَيْ في المقدمات حتى ينزل بهر سير، وقد تلقاه شيرازد بساباط بالصِّلح وتادية الجزاء، فأمضاه إلى سعد، فأقبل معه وتبعته المجنّبات، وخرج هاشم، وخرج سعد في أثره، وقد فلّ زهرة كتية كسرى بُوران حول المظلم، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط، ووقف لسعد حتى لحق به، فوافق ذلك رجوع المقرّط. أسد كان لكسرى قد أُلِفّه وتخيّره من أسود المظلم؛ وكانت به كتائب كسرى التي تُدعى بُوران، وكانوا يحلفون بالله كل يوم: لا يزول مُلك فارس ما عشنا -، فبادر المقرّط الناس حين انتهى إليهم سعد، فنزل إليه هاشم فقتله، وسُمّي سيفه المتّن، فقبّل سعد رأس هاشم، وقبل هاشم قَدَمَ سعد، فقدمه سعد إلى بهر سير، فنزل إلى المظلم وقرأ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ

زَوَالٍ ﴿١﴾، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ هَدَاةً ارْتَحَلَ، فَتَزَلَّ عَلَى النَّاسِ بِبَهْرَسِيرٍ، وَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهَا قَدَمْتَ خَيْلٍ عَلَى بُهْرَسِيرٍ وَقَفُوا ثُمَّ كَبَّرُوا، فَكَذَلِكَ حَتَّى نَجَزَ آخِرَ مَنْ مَعَ سَعْدٍ، فَكَانَ مَقَامَهُ بِالنَّاسِ عَلَى بُهْرَسِيرٍ شَهْرَيْنِ، وَعَبَرُوا فِي الثَّالِثِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ عَامِلُهُ فِيهَا عَلَى مَكَّةَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ، وَعَلَى الطَّائِفِ يَعْلَى بْنُ مُنِيَّةٍ، وَعَلَى الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَعَلَى عُثْمَانَ حُذَيْفَةُ بْنُ مَحْصَنٍ، وَعَلَى كُورِ الشَّامِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ وَأَرْضِهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَلَى قِصَائِهَا أَبُو قُرَّةٍ؛ وَعَلَى الْبَصْرَةِ وَأَرْضِهَا الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ.

ثم دخلت سنة ست عشرة

قال أبو جعفر: ففيها دخل المسلمون مدينة بَهرسير، وافتتحوا المدائن، وهرب منها يَزْدَجَرْدُ بن شهریار.

ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بَهرسير

كتب إليّ السريّ، عن شعيب: عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: لما نزل سعد على بَهرسير بثّ الخيول، فأغارت على ما بين دجلة إلى مَنْ له عهد من أهل الفرات، فأصابوا مائة ألف فلاح، فحسبوا، فأصاب كلّ منهم فلاحاً؛ وذلك أنّ كلهم فارس ببهرسير. فخذق لهم، فقال له شیرزاد دِهقان ساباط: إنك لا تصنع هؤلاء شيئاً؛ إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجرّوا إليك، فدعهم إليّ حتى يفرّق لكم الرأي. فكتب عليه بأسمائهم، ودفعهم إليه، فقال شیرزاد: انصرفوا إلى قراكم.

وكتب سعد إلى عمر: إنّنا وردنا بَهرسير بعد الذي لقينا فيها بين القادسيّة وبَهرسير، فلم يأتنا أحد لقتال؛ فثبّت الخيول، فجمعت الفلاحين من القرى والآجام؛ فرأيتك.

فأجابه: إنّ مَنْ أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يُعينوا عليكم فهو أمانهم، ومَنْ هرب فأدر كتموه فشأنكم به.

فلما جاء الكتاب خلّى عنهم. وراسله الدهاقين، فدعاهم إلى الإسلام والرجوع، أو الجزاء ولهم الذمّة والمنعة، فتراجعوا على الجزاء والمنعة ولم يدخل في ذلك ما كان لال كسرى، ومَنْ دخل معهم؛ فلم يبق في غربيّ دجلة إلى أرض العرب سواديّ إلاّ أَمِنَ واعتبط بملك الإسلام. واستقبلوا الخراج؛ وأقاموا على بَهرسير شهرين يرمونها بالمجانيق ويدبّون إليهم بالدبابات، يقاتلونهم بكلّ عُدّة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المقدام بن شريح الحارثيّ، عن أبيه، قال: نزل المسلمون على بَهرسير، وعليها خنادقها وخرسها وعُدّة الحرب، فرمّوهم بالمجانيق والعرادات، فاستصنع سعد شیرزاد المجانيق، فنصب على أهل بَهرسير عشرين منجنيقاً، فشغلوهم بها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السريّ، عن ابن الرّفيل، عن أبيه قال: فلما نزل سعد على بَهرسير، كانت العرب مطيفة بها، والعجم متحصّنة فيها، وربما خرج الأعاجم يمشون على المَسْنِيّات المشرفة على دجلة في جماعتهم وعُدّتهم لقتال المسلمين؛ فلا يقومون لهم، فكان آخر ما خرجوا في رجالة وناشبة، وتجردوا للحرب، وتبايعوا على الصّبر، فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم، فكذبوا وتولّوا؛ وكانت على

زُهْرَة بن الجَوْيَّة درع مفصومة، فقيل له: لو أمرت بهذا الفَصْم فسرد! فقال: ولم؟ قالوا: نخاف عليك منه، قال: إني لَكريم على الله، أن ترك سهم فارسَ الجندَ كُلَّهُ ثم أتاني من هذا الفصم، حتى يثبت في! فكان أول وجل من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة، فثبتت فيه من ذلك الفَصْم؛ فقال بعضهم: انزعوها عنه، فقال: دعوني، فإن نفسي معي ما دامت في، لعلِّي أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة، فمضى نحو العدو، ففُضِرَ بسيفه شَهْرَبْرَاز من أهل إصطخر، فقتله، وأحيط به فقتل وانكشفوا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، عن عَمْرَة ابنة عبد الرحمن بن أسعد، عن عائشة أم المؤمنين، قالت: لما فتح الله عز وجل رُستَم وأصحابه بالقادسية وفُضَّت جموعهم، اتَّبَعهم المسلمون حتى نزلوا المدائن، وقد ارفضت جموع فارس، ولحقوا بجبالهم، وتفرقت جماعتهم وفرسانهم، إلا أن الملك مقيم في مدينتهم، معه من بقي من أهل فارس على أمره.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سماك بن فلان الهُجيمِي، عن أبيه ومحمد بن عبد الله، عن أنس بن الحليس، قال: بينا نحن محاصرو بهرُسير بعد زحفهم وهزيمتهم، أشرف علينا رسول فقال: إنَّ الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم! فبدر الناس أبو مفزَّر الأسود بن قُطبة، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن؛ فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن، فقلنا: يا أبا مفزَّر، ما قلت له؟ فقال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو؛ إلا أن عليّ سكيته، وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذي هو خير؛ وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد؛ فجاءنا فقال: يا أبا مفزَّر، ما قلت؟ فوالله إنهم لهُرَّاب؛ فحدثه بمثل حديثه إيانا، فنادى في الناس، ثم هد بهم؛ وإنَّ مجانيقنا لتخطر عليهم؛ فما ظهر على المدينة أحد، ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان فآمنه، فقال: إن بقيَ فيها أحد فما يمنعكم! فتسورها الرجال، وافتتحناها، فما وجدنا فيها شيئاً ولا أحداً؛ إلا أسارى أسرناهم خارجاً منها، فسألناهم وذلك الرجل: لأي شيء هربوا؟ فقالوا: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح، فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريزين بآترج كوثي؛ فقال الملك: واويله! ألا إن الملائكة تكلم على ألسنتهم، ترد علينا وتُجيبنا عن العرب، والله لئن لم يكن كذلك؛ ما هذا إلا شيء ألقِي عليّ في هذا الرجل لنتهي؛ فأرزوا إلى المدينة القصوى.

كتب إلى السري عن سيف، عن سعيد بن المرزبان، عن مسلم بمثل حديث سماك.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما دخل سعد والمسلمون بهرُسير أنزل سعد الناس فيها، وتحول العسكر إليها، وحاول العبور فوجدوهم قد ضموا السفن فيما بين البطائح وتكرت. ولما دخل المسلمون بهرُسير - وذلك في جوف الليل - لاح لهم الأبيض، فقال ضرار بن الخطاب: الله أكبر! أبيض كسرى؛ هذا ما وعد الله ورسوله، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا. فقال محمد وطلحة: وذلك ليلة نزلوا على بهرُسير.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأعمش، عن حبيب بن صُهبان أبي مالك، قال: دفعنا إلى المدائن - يعني بهرُسير - وهي المدينة الدنيا، فحصرنا ملكهم وأصحابه، حتى أكلوا الكلاب والسنانير. قال: ثم لم يدخلوا حتى ناداهم مناد: والله ما فيها أحد؛ فدخلوها وما فيها أحد.

حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى

قال سيف: وذلك في صفر سنة ست عشرة، قالوا: ولما نزل سعد بهرسير، وهي المدينة الدنيا؛ طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى، فلم يقدر على شيء، ووجدهم قد ضموا السفن، فأقاموا ببهرسير أياماً من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين، حتى أتاه أعلاج فدلّوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي، فأبى وتردد عن ذلك، وفجئهم المدّ، فرأى رؤيا، أنّ خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المدّ بأمر عظيم؛ فعزم لتأويل رؤياه على العبور؛ وفي سنة جود صيفها متتابع. فجمع سعد الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنّ عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا، فينا وشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه؛ فقد كفاكمهم أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا. ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل. فندب سعد الناس إلى العبور، ويقول: من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوه من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات، فاستعمل عليهم عاصماً، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة، وقال: من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون؛ منهم أصمّ بن ولاد وشرحبيل، في أمثالهم، فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكورة، ليكون أساساً لغوم الخيل. ثم اقتحموا دجلة، واقتحم بقية الستمائة على أثرهم، فكان أول من فصل من الستين أصمّ التيم، والكلج، وأبو مفزّر، وشرحبيل، وجحل العجلي، ومالك بن كعب الهمداني، وغلّام من بني الحارث بن كعب فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعداً مثلها، فاقتحموا عليهم دجلة، فأعاموها إليهم، فلقوا عاصماً في السرعان، وقد دنا من الفراض، فقال عاصم: الرماح الرماح! أشرعوها وتوخّوا العيون؛ فالتقوا فاطعنوا، وتوخّى المسلمون عيونهم، فولّوا نحو الجُدّ، والمسلمون يشمّصون بهم خيلهم، ما يملك رجالها منع ذلك منها شيئاً. فلحقوا بهم في الجُدّ، فقتلوا عامتهم، ونجا من نجا منهم عوراناً، وتزلزلت بهم خيولهم، حتى انتقضت عن الفراض، وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين غير متعتين. ولما رأى سعد عاصماً على الفراض قد منعها، أذن للناس في الاقتحام، وقال: قولوا نستعين بالله، ونتوكّل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! وتلاحق عظم الجند، فركبوا اللجة، وإنّ دجلة لترمي بالزبد، وإنها لمُسودة، وإنّ الناس ليتحدّثون في عومهم وقد اقتربوا ما يكثرثون، كما يتحدّثون في مسيرهم على الأرض، ففجئوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم، فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم، ودخلها المسلمون في صفر سنة ست عشرة، واستولوا على ذلك كله مما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف، ومما جمع شيري ومن بعده. وفي ذلك يقول أبو بجيد نافع بن الأسود:

وَأَسْلَمْنَا عَلَى الْمَدَائِنِ خِيَلًا بَحَرَهَا مِثْلَ بَرِّهِنَّ أَرِيضًا
فَانْتَشَلْنَا خَزَائِنَ الْمَرْءِ كِسْرَى يَوْمَ وَلَّوْا وَحَاصَ مِنَّا جَرِيضًا

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة، عن أبيه، قال: لما أقام

سعد على دجلة أتاه عِلج، فقال: ما يقيمك! لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزْدَجْدُ بكل شيء في المدائن؛ فذلك مما هيّجه على القيام بالدعاء إلى العبور.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن رجل، عن أبي عثمان النهديّ في قيام سعد في الناس في دعائهم إلى العبور بمثله، وقال: طبّقنا دجلة خَيْلاً وَرَجُلًا ودوابّ حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد، فخرجت بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها، لها سهيل. فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يُلَوْن على شيء، فانتھينا إلى القصر الأبيض، وفيه قوم قد تحصّنوا، فأشرف بعضهم فكلمنا، فدعوناهم وعرضنا عليهم، فقلنا: ثلاث تختارون منهنّ أيّتهنّ شئتم، قالوا: ما هنّ؟ قلنا: الإسلام فإن أسلمتم فلکم ما لنا وعليکم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فمناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فأجابنا مجيئهم: لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ولكن الوسطى.

وكتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية بمثله. قال: والسفير سلمان.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السريّ، عن ابن الرّفيل، قال: لما هزموهم في الماء وأخرجوهم إلى الفِراض، ثم كشفوهم عن الفِراض أجلوهم عن الأموال، إلّا ما كانوا تقدّموا فيه - وكان في بيوت أموال كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف - فبعثوا مع رستم بنصف ذلك، وأقرّوا نصفه في بيوت الأموال.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن بذر بن عثمان، عن أبي بكر بن حفص بن عمر، قال: قال سعد يومئذ وهو واقف قبل أن يُقحم الجمهور، وهو ينظر إلى حُمة الناس وهم يقاتلون على الفِراض: والله أن لو كانت الخرساء - يعني الكتيبة التي كان فيها القعقاع بن عمرو وحّمّال بن مالك والرّبيل بن عمرو، فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هذه الخيل - لكانت قد أجزأت وأغنت؛ وكتيبة عاصم هي كتيبة الأهوال؛ فشبه كتيبة الأهوال - لما رأى منهم في الماء والفِراض - بكتيبة الخرساء. قال: ثمّ إنهم نادوا بعد هنّات قد اعتوروها عليهم وهم. فخرجوا حتى لحقوا بهم، فلما استووا على الفِراض هم وجميع كتيبة الأهوال بأسرهم، أقحم سعد الناس - وكان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسيّ - فعامت بهم الخيل، وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل! والله لينصرنّ الله وليّه، وليظهرنّ الله دينه، وليهزمّنّ الله عدوّه؛ إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذلّت لهم والله البحور كما ذلّ لهم البرّ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجنّ منه أفواجا كما دخلوه أفواجا. فطبّقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ، وهم فيه أكثر حديثاً منهم في البرّ لو كانوا فيه، فخرجوا منه - كما قال سلمان - لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمر دثار، عن أبي عثمان النهديّ، أنهم سلموا من عند آخرهم إلّا رجلاً من بارق يدعى غرقدة، زال عن ظهر فرس له شقراء، كأني أنظر إليها تنفض أعرافها عرياً والغريق طاف، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذ بيده فجرّه حتى عبر، فقال البارقيّ - وكان من أشدّ الناس: أعجز الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع! وكان للقعقاع فيهم خُولة.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: فما ذهب لهم في الماء يومئذ إلّا قدح كانت علاقته رثّة، فانقطعت، فذهب به الماء، فقال الرجل الذي كان يعاوم صاحب القدح معيراً له: أصابه القدر فطاح، فقال: والله إني لعلّ جديلة ما كان الله ليسلبي قدحي من بين أهل

العسكر. فلما عبروا إذا رجل ممن كان يحمي الفِراض، قد سفل حتى طلع عليه أوائل الناس، وقد ضربته الرياح والأمواج حتى وقع إلى الشاطئ، فتناوله برمحه، فجاء به إلى العسكر فعرفه، فأخذه صاحبه، وقال للذي كان يعاومه: ألم أقل لك! وصاحبه خليف لقريش من عَنَز، يُدعى مالك بن عامر، والذي قال: « طاح » يُدعى عامر بن مالك.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن الوليد، عن عُمر الصائدي، قال: لما أقحم سعد الناس في دجلة اقترنوا، فكان سلمان قرين سعد إلى جانبه يسايره في الماء، وقال سعد: ذلك تقدير العزيز العليم؛ والماء يطمو بهم، وما يزال فرس يستوي قائماً إذا أعيا يُنَشِّر له تلعة فيستريح عليها؛ كأنه على الأرض، فلم يكن بالمدائن أمر أعجب من ذلك، وذلك يوم الماء، وكان يدعى يوم الجراثيم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد، قالوا: كان يوم ركوب دجلة يدعى يوم الجراثيم، لا يعيا أحد إلا أنشزت له جرثومة يُريح عليها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: خُضْنَا دجلة وهي تطفح، فلما كنّا في أكثرها ماء لم يزل فارس واقف ما يبلغ الماء حزامه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأعمش، عن حبيب بن صُهبان أبي مالك، قال: لما دخل سعد المدينة الدنيا، وقطع القوم الجسر، وضموا السفن، قال المسلمون: ما تنتظرون بهذه النطفة! فاقتحم رجل، فخاض الناس فما غرق منهم إنسان ولا ذهب لهم متاع، غير أنّ رجلاً من المسلمين فقد قدحاً له انقطعت علاقته، فرأيته يطفح على الماء.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة، قالوا: وما زالت حُماة أهل فارس يقاتلون على الفِراض حتى أتاهم آتٍ فقال: علام تقتلون أنفسكم! فوالله ما في المدائن أحد.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما رأى المشركون المسلمين وما يهيمون به بعثوا من يمنعهم من العبور، وتحملوا فخرجوا هرباً، وقد أخرج يزدجرد - قبل ذلك وبعد ما فُتحت بهرسير - عياله إلى حُلوان، فخرج يزدجرد بعدُ حتى ينزل حُلوان، فلحق بعياله، وخلف مهران الرازي والنخيجان - وكان على بيت المال - بالنهروان، وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خرم متاعهم وخفيفه، وما قدروا عليه من بيت المال، وبالنساء والذراري، وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والأنية والفضول والألطف والأدهان ما لا يُدرى ما قيمته، وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة والأشربة، فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال، ثم الخرساء، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً ولا يُحسونه إلا من كان في القصر الأبيض، فأحاطوا بهم ودعّوهم، فاستجابوا لسعد على الجزاء والذمة، وتراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم؛ ليس في ذلك ما كان لال كسرى ومن خرج معهم، ونزل سعد القصر الأبيض، وسرح زهرة في المقدمات في آثار القوم إلى النهروان، فخرج حتى انتهى إلى النهروان، وسرح مقدار ذلك في طلبهم من كل ناحية.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأعمش، عن حبيب بن صُهبان أبي مالك، قال: لما غبر المسلمون يوم المدائن دجلة، فنظروا إليهم يعبرون، جعلوا يقولون بالفارسية: « ديوان آمد ». وقال

بعضهم لبعض : والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن . فانهزموا .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية بن الحارث وعطاء بن اسائب، عن أبي البختريّ، قال : كان رائد المسلمين سلّمان الفارسيّ، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس . قال عطية : وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بهرسير، وأمروه يوم القصر الأبيض، فدعاهم ثلاثاً . قال عطية وعطاء : وكان دعاؤه إليّهم أن يقول : إني منكم في الأصل، وأنا أرق لكم، ولكم في ثلاث أدعوكم إليها ما يصلحكم : أن تسلموا فإخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا . وإلا فالجزية، وإلا نابذناكم على سواء ؛ إن الله لا يحب الخائنين . قال عطية : فلما كان اليوم الثالث في بهرسير أبوا أن يجيبوا إلى شيء، فقاتلهم المسلمون حين أبوا . ولما كان اليوم الثالث في المدائن قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا، ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيوان مصلىً، وإن فيه لتمائيل حصّ فما حرّكها .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، وشاركهم سمالك الهجيميّ، قالوا : وقد كان الملك سرب عياله حين أخذت بهرسير إلى حُلوان، فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هرباً، وخيلهم على الشاطيء يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور، فاقتلواهم والمسلمون قتلاً شديداً، حتى ناداهم مناد : علام تقاتلون أنفسكم ! فوالله ما في المدائن من أحد . فانهزموا واقتحمها الخيول عليهم، وعبر سعد في بقيّة الجيش .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا : أدرك أوائل المسلمين أخريات أهل فارس، فأدرك رجل من المسلمين يدعى ثقيفاً أحد بني عديّ بن شريف ؛ رجلاً من أهل فارس، معترضاً على طريق من طرقها يحمي أدبار أصحابه، فضرب فرسه على الإقدام عليه، فأحجم ولم يُقدّم، ثم ضربه للهرب فتقاعس حتى لحقه المسلم، فضرب عنقه وسلبه .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية وعمرو وديار أبي عمر، قالوا : كان فارس من فرسان العجم في المدائن يومئذ مما يلي جازر، فقيل له : قد دخلت العرب وهرب أهل فارس ؛ فلم يلتفت إلى قولهم، وكان واثقاً بنفسه، ومضى حتى دخل بيت أعلاج له، وهم ينقلون ثياباً لهم، قال : ما لكم ؟ قالوا : أخرجتنا الزنابير، وغلبتنا على بيوتنا، فدعا بجُلاهق وبطين، فجعل يرميهم حتى ألزقهم بالحيطان، فأفناهم . وانتهى إليه الفرع، فقام وأمر عُلجاً فأسرج له، فانقطع جِزاهم، فشده على عَجَل، وركب، ثم خرج فوقف . ومرّ به رجل قطعنه، وهو يقول : خذها وأنا ابن المخارق ! فقتله ثم مضى ما يلتفت إليه .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن المرزبان بمثله، وإذا هو ابن المخارق بن شهاب .

قالوا : وأدرك رجل من المسلمين رجلاً منهم معه عصاية يتلاومون، ويقولون : من أي شيء فررنا ! ثم قال قائل منهم لرجل منهم : ارفع لي كُرة، فرماها لا يُخطيء، فلما رأى ذلك عاج وعاجوا معه وهو أمامهم ؛ فأنهى إلى ذلك الرجل، فرماه من أقرب مما كان يرمي منه الكُرة ما يصيبه، حتى وقف عليه الرجل، ففلق هامته، وقال : أنا ابن مُشرط الحجارة . وتفار عن الفارسيّ أصحابه .

وقالوا جميعاً ؛ محمد والمهلب وطلحة وعمرو وأبو عمر وسعيد، قالوا : ولما دخل سعد المدائن، فرأى

خلوتها، وانتهى إلى إيوان كسرى، أقبل يقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١). وصلى فيه صلاة الفتح - ولا تصلى جماعة - فصلى ثماني ركعات لا يفصل بينهن، واتخذ مسجداً، وفيه تماثيل الجص رجال وخيل، ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك، وتركوها على حالها. قالوا: وأتم سعد الصلاة يوم دخلها، وذلك أنه أراد المقام فيها. وكانت أول جمعة بالعراق جمعت جماعة بالمداثن، في صفر سنة ست عشرة.

ذكر ما جمع من فيء أهل المداثن

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وعقبة وعمرو وأبي عمر وسعيد، قالوا: نزل سعد إيوان كسرى، وقدم زهرة، وأمره أن يبلغ النهروان. فبعث في كل وجه مقدار ذلك لنفي المشركين وجمع الفقيء، ثم تحول إلى القصر بعد ثلثة، ووكل بالأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن، وأمره بجمع ما في القصر والإيوان والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب؛ وقد كان أهل المداثن تناهبوا عند الهزيمة غارة، ثم طاروا في كل وجه، فما أفلت أحد منهم بشيء لم يكن في عسر مهراً بالنهروان ولا بخيط. وألح عليهم الطلب فتنقذوا ما في أيديهم، ورجعوا بما أصابوا من الأقباض، فضمموه إلى ما قد جمع؛ وكان أول شيء جمع يومئذ ما في القصر الأبيض ومنازل كسرى وسائر دور المداثن.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأعمش، عن حبيب بن صهبان، قال: دخلنا المداثن، فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص، فما حسبنها إلا طعاماً، فإذا هي آنية الذهب والفضة فقسمت بعد بين الناس. وقال حبيب: وقد رأيت الرجل يطوف ويقول: من معه بيضاء بصفراء؟ وأتينا على كافور كثير، فما حسبنه إلا ملحاً، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري، عن ابن الرقيل، عن أبيه الرقيل بن ميسور، قال: خرج زهرة في المقدمة يتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان، وهم عليه، فازدحوا، فوقع بغل في الماء ففعلوا وكلبوا عليه، فقال زهرة: إني أقسم بالله إن لهذا البغل لشأناً! ما كلب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلا لشيء بعد ما أرادوا تركه، وإذا الذي عليه حلية كسرى؛ ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر، وكان يجلس فيها للمباهاة؛ وترجل زهرة يومئذ حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه، فأخرجوه فجاءوا بما عليه، حتى رده إلى الأقباض، ما يدرون ما عليه، وارتجز يومئذ زهرة.

فدَى لقومي اليوم أحوالي وأعمامي	هم كرهوا بالنهر خذلاني وإسلامي
هُمْ فَلَجُوا بالبغل في الخصام	بكل قطّاع شؤون الهام
وصرّعوا الفرس على الآكام	كأنهم نغم من الأنعام

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هُبيرة بن الأشعث، عن جدّه الكلج، قال: كنت فيمن خرج في الطلب، فإذا أنا ببغالين قد ردا الخيل عنهما بالنشاب، فما بقي معهما غير نشابتين، فالظظت بهما، فاجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: ارمه وأحميك، أو أرميه وتحميني! فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بها.

ثم إنني حملت عليهما فقتلتها وجئت بالبغلين ما أدري ما عليهما، حتى أبلغتهما صاحب الأقباض، وإذا هو يكتب ما يأتيه به الرجال وما كان في الخزائن والدور، فقال: على رسلك حتى ننظر ما معك! فحططت عنهما، فإذا سَفْطَان على أحد البغلين فيها تاج كَسْرَى مفسحاً - وكان لا يحمله إلا أسطوانتان - وفيهما الجوهر، وإذا على الآخر سَفْطَان فيها ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: وخرج القَعْقَاع بن عمرو يومئذ في الطلب، فلحق بفارسي يحمي الناس؛ فاقتتلا فقتله؛ وإذا مع المقتول جنية عليها عيبتان وغلافان في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف؛ وإذا في العيبتين أدراع، فإذا في الأدراع درع كسرى ومغفره وساقاه وساعده، ودُرْع هرقل، ودُرْع خاقان ودُرْع داهر ودُرْع بهرام شوبين ودُرْع سياوخش ودُرْع النعمان؛ وكانوا استلبوا ما لم يرثوا، استلبوها أيام غزاتهم خاقان وهرقل وداهر؛ وأما النعمان وبهرام فحين هربا وخالفًا كسرى، وأما أحد الغلافين ففيه سيف كسرى وهرمز وقبازو فيروز، وإذا السيوف الأخر، سيف هرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان. فجاء به إلى سعد، فقال: اختر أحد هذه الأسياف، فاختر سيف هرقل، وأعطاه دُرْع بهرام، وأما سائرهما فنقلها في الخرساء إلا سيف كسرى والنعمان - ليعثوا بهما إلى عمر لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما، وجسوهما في الأخماس - وحل كسرى وتاجه وثيابه، ثم بعثوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون، ولتسمع بذلك العرب، وعلى هذا الوجه سلب خالد بن سعيد عمرو بن معد يكرب سيفه الصمصامة في الردة والقوم يستحيون من ذلك.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبيدة بن مُعْتَب، عن رجل من بني الحارث بن طريف، عن عصمة بن الحارث الضبي، قال: خرجت فيمن خرج يطلب، فأخذت طريقاً مسلوكة وإذا عليه حمار، فلما رأيته فلقه بآخر قدّامه، فمالا، وحثاً حماريهما، فأنتهيا إلى جدول قد كسر جسره، فثبتا حتى أتيتهما، ثم تفرقا، ورماني أحدهما فألظظت به فقتلته وأفلت الآخر، ورجعت إلى الحمامين، فأتيت بهما صاحب الأقباض، فنظر فيما على أحدهما، فإذا سَفْطَان في أحدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة، على ثفره ولبّيه الياقوت، والزُّمَرْد منظوم على الفضة، ولجام كذلك، وفارس من فضة مكّلل بالجوهر، وإذا في الآخر ناقة من فضة، عليها شليل من ذهب، وبطان من ذهب ولها شناق - أو زمام - من ذهب، وكل ذلك منظوم بالياقوت؛ وإذا عليها رجل من ذهب مكّلل بالجوهر، كان كسرى يضعهما إلى أسطوانتي التاج.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هبيرة بن الأشعث، عن أبي عبيدة العنبري، قال: لما هبط المسلمون المدائن، وجعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما أرينا مثل هذا قط، ما يعد له ما عندنا ولا يقاربه؛ فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أنّ للرجل شأنًا، فقالوا: مَنْ أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: قال سعد: والله إن الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت: وإيم الله - على فضل أهل بدر - لقد تتبعت

من أقوامٍ منهم هنأت وهنأت فيما أحرزوا، ما أحسبها ولا أسمعُها من هؤلاء القوم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مُبَشَّر بن الفُضَيْل، عن جابر بن عبد الله، قال: والله الذي لا إله إلا هو؛ ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية، أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزُهدهم: طليحة بن خُوَيْلد، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مخلد بن قيس العجليّ، عن أبيه، قال: لما قُدم بسيف كسرى على عمر ومِنْطَقته وزُبرجه، قال: إن أقواماً أدّوا هذا لذو أمانة! فقال عليّ: إنك عفتت فعفت الرعيّة. كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبيّ، قال: قال عمر حين نظر إلى سلاح كسرى: إن أقواماً أدّوا هذا لذو أمانة.

ذكر صفة قسم الفيء الذي أصيب بالمدائن بين أهله

وكانوا - فيما زعم سيف - ستين ألفاً

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب، قالوا: ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن في طلب الأعاجم، بلغ الطلب النّهران؛ ثمّ تراجعوا، ومضى المشركون نحو حُلوان، فقسّم سعد الفيء بين الناس بعد ما خُسمه؛ فأصاب الفارس اثنا عشر ألفاً، وكلّهم كان فارساً ليس فيهم راجل؛ وكانت الجنائب في المدائن كثيرة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبيّ بمثله، وقالوا جميعاً: ونقل من الأخماس ولم يُجْهَدْها في أهل البلاء. وقالوا جميعاً: قسم سعد دور المدائن بين الناس، وأوطنوها، والذي وليّ القبض عمرو بن عمرو المزيّ، والذي وليّ القسم سلمان بن ربيعة؛ وكان فُتِح المدائن في صفر سنة ست عشرة. قالوا: ولما دخل سعد المدائن أتمّ الصلاة وصام، وأمر الناس بإيوان كسرى فجعل مسجداً للأعياد، ونصب فيه منبراً، فكان يصلّي فيه - وفيه التماثيل - ويُجمّع فيه، فلما كان الفطر قيل: ابرزوا، فإنّ السنّة في العيدين البراز. فقال سعد: صلّوا فيه؛ قال: فصلّي فيه، وقال: سواء في عُقر القرية أو في بطنها.

كتب إليّ السريّ: عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، قال: لما نزل سعد المدائن، وقسم المنازل، بعث إلى العيالات، فأنزلهم الدّور وفيها المرافق، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلّولاء وتكريت والموصل، ثمّ تحوّلوا إلى الكوفة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد والمهلب، وشاركهم عمرو وسعيد: وجمع سعد الخمس، وأدخل فيه كلّ شيء أراد أن يعجب منه عمر؛ من ثياب كسرى وحُلّيه وسيفه ونحو ذلك، وما كان يُعجب العرب أن يقع إليهم، ونقل من الأخماس، وفضل بعد القسّم بين الناس وإخراج الخمس القُطْف، فلم تعدل قسمته، فقال للمسلمين: هل لكم في أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه، فنبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى، فإنّا لا نراه يتفق قسمته؛ وهو بيننا قليل؛ وهو يقع من أهل المدينة موقعاً! فقالوا: نعم ها الله إذا؛ فبعث به على ذلك الوجه، وكان القُطْف ستين ذراعاً في ستين ذراعاً، بساطاً واحداً مقدار جريب؛ فيه طُرق كالصّور وفصوص كالأنهار؛ وخلال ذلك كالديّر، وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة

بالنبت في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونوّاره بالذهب والفضة وأشباه ذلك. فلما قدم على عمر نفل من الخمس أناساً، وقال: إنّ الأخماس ينفل منها من شهد ومن غاب من أهل البلاء فيما بين الخمسين؛ ولا أرى القوم جهدوا الخمس بالنفل؛ ثم قسم الخمس في مواضعه، ثم قال: أشيروا عليّ في هذا القطف! فأجمع ملوهم على أن قالوا: قد جعلوا ذلك لك، فرأيتك، إلّا ما كان من عليّ فإنه قال: يا أمير المؤمنين، الأمر كما قالوا، ولم يبق إلا التروية؛ إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعد في غد من يستحقّ به ما ليس له، قال: صدقتني ونصحتني. فقطعه بينهم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عمير، قال: أصاب المسلمون يوم المدائن بهار كسرى، ثقل عليهم أن يذهبوا به، وكانوا يعدّونه للشتاء إذا ذهب الرياحين، فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه؛ فكانهم في رياض بساط ستين في ستين؛ أرضه بذهب، ووشيه بفصوص، وثمره بجوهر، وورقه بحرير وماء الذهب؛ وكانت العرب تسميه القطف، فلما قسم سعد فيهم فضل عنهم، ولم يتفق قسمته، فجمع سعد المسلمين، فقال: إن الله قد ملأ أيديكم، وقد عسر قسم هذا البساط، ولا يقوى على شرائه أحد، فأرى أن تطيبوا به نفساً لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء؛ ففعلوا. فلما قدم على عمر المدينة رأى رؤيا فجمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه، واستشارهم في البساط، وأخبرهم خبره؛ فمن بين من أشار بقبضه، وآخر مفوض إليه، وآخر مرقق، فقام عليّ حين رأى عمر يابى حتى انتهى إليه، فقال: لم تجعل علمك جهلاً، ويقينك شكاً! إنه ليس لك من الدنيا إلّا ما أعطيت فأمضيت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفانيت. قال: صدقتني. فقطعه فقسّمه بين الناس، فأصاب عليّاً قطعة منه، فباعها بعشرين ألفاً؛ وما هي بأجود تلك القطع.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: وكان الذي ذهب بالأخماس؛ أخماس المدائن، بشير بن الخصاصية، والذي ذهب بالفتح خنيس بن فلان الأسديّ، والذي وليّ القبض عمرو، والقسم سلمان. قالوا: ولما قسم البساط بين الناس أكثر الناس في فضل أهل القادسية، فقال عمر: أولئك أعيان العرب وغررها، اجتمع لهم مع الأخطار الدّين، هم أهل الأيام وأهل القوادس. قالوا: ولما أتى بحليّ كسرى وزّيه في المباهاة وزّيه في غير ذلك. وكانت له عدّة أزياء لكلّ حالة زيّ. قال: عليّ بمحلّم - وكان أجسم عربيّ يومئذ بأرض المدينة - فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب، وصبّ عليه أوشحته وقلائده وثيابه، وأجلس للناس؛ فنظر إليه عمر، ونظر إليه الناس، فرأوا أمراً عظيماً من أمر الدنيا وفتنتها، ثم قام عن ذلك، فألبس زيّه الذي يليه، فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع، حتى أتى عليها كلها؛ ثم ألبسه سلاحه، وقلّده سيفه، فنظروا إليه في ذلك، ثم وضعه ثم قال: والله إن أقواماً أدّوا هذا لذو أمانة. ونفل سيف كسرى محلماً، وقال: أحقّ بامرئ من المسلمين غرته الدنيا! هل يبلغن مغرور منها إلّا دون هذا أو مثله! وما خير امرئ مسلم سبقه كسرى فيما يضرّه ولا ينفعه! إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتي عن آخرته، فجمع لزوج امرأته أو زوج ابنته، أو امرأة ابنه، ولم يقدم لنفسه، فقدم امرؤ لنفسه ووضع الفضول مواضعها تحصيل له، وإلّا حصلت للثلاثة بعده؛ وأحقّ بمن جمع لهم أولعدوّ جارِف!

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن كُريب، عن نافع بن جُبَيْر، قال: قال عمر مقدّم الأخماس عليه حين نظر إلى سلاح كسرى وثيابه وحلّيه، مع ذلك سيف النعمان بن المنذر؛ فقال لجُبَيْر: إن أقواماً أدّوا هذا لذو أمانة! إلى من كنتم تنسبون النعمان؟ فقال جُبَيْر: كانت العرب تنسبه إلى الأشلاء، أشلاء

قَنَص، وكان أحد بني عجم بن قَنَص، فقال: خذ سيفه فنقله إياه، فجعل الناس «عجم»، وقالوا «لَحْم». وقالوا جميعاً: وولّى عمر سعد بن مالك صلاة ما غلب عليه وحرّبه، فولى ذلك؛ وولّى الخراج النعمان وسويداً ابني عمرو بن مقرن؛ سويداً على ما سقى الفرات، والنعمان على ما سقت دجلة، وعقدوا الجسور، ثم ولى عملهما، واستعفيا حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزني، ثم ولى عملهما بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف.

قال: وفي هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كانت وقعة جُلُولاء، كذلك حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق. وكتب إليّ السريّ يذكر أن شعيباً حدّثه عن سيف بذلك.

ذكر الخبر عن وقعة جلُولاء الوقعة

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: لما أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقتسمنا ما فيها، وبعثنا إلى عمر بالأخماس، وأوطأناها، أتانا الخبر بأن مهراّن قد عسكر بجلُولاء، وخذق عليه؛ وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة البجليّ، عن أبيه بمثله؛ وزاد فيه: فكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إلى سعد: أن سرّح هاشم بن عتبة إلى جُلُولاء في اثني عشر ألفاً، واجعل على مقدّمته القعقاع بن عمرو، وعلى ميمنته سَعْر بن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة، واجعل على ساقته عمرو بن مُرّة الجهنيّ.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وزياد، قالوا: وكتب عمر إلى سعد: إن هزم الله الجنديّين: جند مهراّن وجند الأنطاك؛ فقدّم القعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حدّ سوادكم، وشاركهم عمرو وسعيد. قالوا: وكان من حديث أهل جُلُولاء، أنّ الأعاجم لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جلُولاء، واقتربت الطرق بأهل أذربيجان والباب وبأهل الجبال وفارس، تذاَمروا وقالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرّق بيننا، فهلّموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم، فإن كانت لنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا، وأبلىنا عذراً. فاحتفروا الخندق، واجتمعوا فيه على مهراّن الرازيّ، ونفذ يَزْدَجُرد إلى حُلوان فنزل بها، ورماهم بالرجال؛ وخلف فيهم الأموال، فأقاموا في خندقهم، وقد أحاطوا به الحسك من الخشب إلّا طرفهم. قال عمرو، عن عامر الشعبيّ: كان أبو بكر لا يستعين في حربه بأحد من أهل الرّدة حتى مات، وكان عمر قد استعان بهم؛ فكان لا يؤمّر منهم أحداً إلّا على نفر وما دون ذلك؛ وكان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد من يجزى عنه في حربه؛ فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان؛ ولا يُطمع من انبعث في الرّدة في الرياسة؛ وكان رؤساء أهل الرّدة في تلك الحروب حشوة إلى أن ضرب الإسلام بجُرانه.

ثم اشترك عمرو ومحمد والمهلب وطلحة وسعيد، فقالوا: ففصل هاشم بن عتبة بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة، في اثني عشر ألفاً؛ منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتدّ ومن لم يرتدّ؛ فسار من المدائن إلى جُلُولاء أربعاً، حتى قدم عليهم، وأحاط بهم، فحاصروهم وطاولهم أهل فارس، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلّا إذا أرادوا؛ وزاحفهم المسلمون بجلُولاء ثمانين زحفاً، كلّ ذلك يعطي الله المسلمين عليهم

الظفر، وغلبوا المشركين على حَسَك الخشب، فأتخذوا حَسَك الحديد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عُقبة بن مكرم، عن بطن بن بشر، قال: لما نزل هاشم على مِهْران بجُلُولاء حصرهم في خندقهم، فكانوا يزاحفون المسلمين في زُهاء وأهاويل، وجعل هاشم يقوم في الناس، ويقول: إنّ هذا المنزل منزل له ما بعده؛ وجعل سعد يُمدّه بالفرسان حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين؛ فخرجوا عليهم، فقام هاشم في الناس، فقال: أبلّوا الله بلاء حسناً يتم لكم عليه الأجر والمغنم، واعملوا لله. فالتقوا فاقتتلوا، وبعث الله عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهافت فرسانهم في الخندق؛ فلم يجدوا بُدّاً من أن يجعلوا قُرضاً مما يليهم؛ تصعد منه خيلهم؛ فأفسدوا حصنهم؛ وبلغ ذلك المسلمين، فنظروا إليه، فقالوا: أنهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه! فلما نهّد المسلمون الثانية خرج القوم، فرموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل، وتركوا للمجال وجهاً، فخرجوا على المسلمين منه، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهريز، إلا أنه كان أكمش وأعجل؛ وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به، وأمر منادياً فنادى: يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه؛ ولا يمنعنكم من بينكم وبينه من دخوله. وإنما أمر بذلك ليقوّي المسلمين به، فحمل المسلمون ولا يشكّون إلا أن هاشماً فيه، فلم يقم لحملتهم شيء، حتى انتهوا إلى باب الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو، وقد أخذ به؛ وأخذ المشركون في هزيمة يمينه ويسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم؛ فهلكوا فيما أعدّوا للمسلمين فُعُقرت دوابهم، وعادوا رجالة؛ وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يعدّ، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسُميت جلُولاء بما جللها من قتلاهم؛ فهي جلُولاء الوقعة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن محمّز، عن أبيه، قال: إني لفي أوائل الجمهور، مُدخلهم ساباط ومظلمها، وإني لفي أوائل الجمهور حين عَبَرُوا دجلة، ودخلوا المدائن؛ ولقد أصبت بها تمثالاً لو قسم في بكر بن وائل لسدّ منهم مسدداً، عليه جوهر، فأدبته؛ فما لبثنا بالمدائن إلا قليلاً حتى بلغنا أنّ الأعاجم قد جمعت لنا بجلُولاء جمعاً عظيماً، وقدموا عياليتهم إلى الجبال، وحبسوا الأموال؛ فبعث إليهم سعد عمرو بن مالك بن عتبة بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وكان جُند جلُولاء اثني عشر ألفاً من المسلمين، على مقدّمهم القعقاع بن عمرو، وكان قد خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم؛ فلما مرّوا ببابل مَهْرُود صالحه دِهْقَانها، على أن يفرش له جريب أرض دراهم؛ ففعل وصالحه. ثم مضى حتى قدم عليهم بجلُولاء، فوجدهم قد خندقوا وتحصنوا في خندقهم، ومعهم بيت مالهم، وتواثقوا وتعاهدوا بالنيران ألا يفرّوا، ونزل المسلمون قريباً منهم، وجعلت الأمداد تقدم على المشركين كلّ يوم من حُلوان، وجعل يُمدّهم بكلّ من أمده من أهل الجبال، واستمدّ المسلمون سعداً فأمدّهم بمائتي فارس، ثم مائتين، ثم رأى أهل فارس أمداد المسلمين بادروا بقتال المسلمين. وعلى خيل المسلمين يومئذ طليحة بن فلان، أحد بني عبد الدار، وعلى خيل الأعاجم خرزاذ بن خرّه رمز - فاقتتلوا قتالاً شديداً، لم يقاتلوا المسلمين مثله في موطن من المواطن، حتى أنفذوا النبل؛ وحتى أنفذوا النشاب، وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والظبرزيئات. فكانوا بذلك صَدَر نهارهم إلى الظهر؛ ولما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء، حتى إذا كان بين الصلاتين خَنَسَت كتيبة وجاءت أخرى فوقفت مكانها، فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس، فقال: أهالتكم هذه؟ قالوا: نعم؛ نحن مُكَلُون وهم مُريجون،

والكأل يخاف العجز إلا أن يُعقِب؛ فقال: إنا حاملون عليهم ومجادوهم وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا [وبينهم] فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم، ولا يكذب أحد منكم. فحمل فانفرجوا، فما نهيه أحد عن باب الخندق، وألبسهم الليل رواقه، فأخذوا يمينه ويسره؛ وجاء في الأمداد طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب وحُجر بن عدي، فوافقوهم قد تحاجزوا مع الليل، ونادى منادي القعقاع بن عمرو: أين تحاجزون وأميركم في الخندق! فتفأر المشركون، وحمل المسلمون، فأدخل الخندق، فآق فسطاطاً فيه مرافق وثياب؛ وإذا فُرش على إنسان فأثبثه، فإذا امرأة كالغزال في حسن الشمس، فأخذتها وثيابها، فأدّيت الثياب، وطلبت في الجارية حتى صارت إليّ فاتخذتها أم ولد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن حماد بن فلان البرجمي، عن أبيه، أن خارجة بن الصلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب أو فضة موشحة بالدرّ والياقوت مثل الجفرة إذا وُضعت على الأرض، وإذا عليها رجل من ذهب موشح كذلك، فجاء بها وبه حتى أداها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد والوليد بن عبد الله والمجالد وعُقبه بن مكرم، قالوا: وأمر هاشم القعقاع بن عمرو بالطلب، فطلبهم حتى بلغ خانقين، ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبال، وقدم القعقاع حلوان، وذلك أن عمر كان كتب إلى سعد: إن هزم الله الجندين؛ جند مهران وجند الأنطاق، فقدم القعقاع؛ حتى يكون بين السواد والجبل، على حدّ سوادكم. فنزل القعقاع بحلوان في جند من الأفناء ومن الحمراء، فلم يزل بها إلى أن تحوّل الناس من المدائن إلى الكوفة؛ فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به القعقاع؛ واستعمل على الثغر قُبّاذ - وكان من الحمراء، وأصله من خراسان - ونقل منها من شهداها، وبعض من كان بالمدائن نائياً.

وقالوا - واشتركوا في ذلك: وكتبوا إلى عمر بفتح جُلّولاء وبنزول القعقاع حلوان واستأذنه في إبتاعهم، فأبى، وقال: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم؛ حسبنا من الرّيف السواد، إنّي آثرت سلامة المسلمين على الأنفال. قالوا: ولما بعث هاشم القعقاع في آثار القوم، أدرك مهران بخانقين، فقتله وأدرك الفيرزان فنزل، وتوقّل في الطّراب، وخلّى فرسه، وأصاب القعقاع سبائاً، فبعث بهم إلى هاشم من سبائهم، واقتسموهم فيما اقتسموا من الفيء؛ فأنّخذن، فولدن في المسلمين. وذلك السبي ينسب إلى جُلّولاء، فيقال: سبيّ جُلّولاء، ومن ذلك السبي أم الشعبي، وقعت لرجل من بني عبس، فولدت فمات عنها فخلف عليها شراحيل، فولدت له عامراً، ونشأ في بني عبس.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب، قالوا: واقتسم في جُلّولاء على كلّ فارس تسعة آلاف، تسعة آلاف، وتسعة من الدواب، ورجع هاشم بالأخماس إلى سعد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: أفاء الله على المسلمين ما كان في عسكرهم بجُلّولاء وما كان عليهم، وكلّ دابة كانت معهم إلاّ اليسير لم يفلتوا بشيء من الأموال، ووليّ قسّم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة؛ فكانت إليه يومئذ الأقباض والأقسام، وكانت العرب تسميه لذلك سلمان الخيل؛ وذلك أنه كان يقسم لها ويقصّر بما دونها، وكانت العتاق عنده ثلاث طبقات، وبلغ سهم الفارس بجُلّولاء مثل سهمه بالمدائن.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد وعمرو، عن الشعبيّ، قال: اقتسم الناس فيء جُلّولاء على ثلاثين ألف ألف، وكان الخمس ستة آلاف ألف.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة ومحمد والمهلب وسعيد، قالوا: ونقل سعد من أخماس جُلّولاء من أعظم البلاء ممن شهدا ومن أعظم البلاء ممن كان نائياً بالمدائن، وبعث بالأخماس مع فضاعيّ بن عمرو الدؤليّ من الأذهاب والأوراق والآنية والثياب، وبعث بالسبي مع أبي مفرّر الأسود، فمضيا.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن زهرة ومحمد بن عمرو، قالوا: بعث الأخماس مع قضاعيّ وأبي مفرّر، والحساب مع زياد بن أبي سفيان، وكان الذي يكتب للناس ويدونهم، فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء له، ووصف له، فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به؟ فقال: والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام في الناس بما أصابوا وبما صنعوا، وبما يستأذنون فيه من الانسياح في البلاد. فقال عمر: هذا الخطيب المصقع، فقال: إنّ جُنْدنا أطلقوا بالفعال لساننا.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن زهرة ومحمد، عن أبي سلمة، قال: لما قُدم على عمر بالأخماس من جُلّولاء، قال عمر: والله لا يُجَنّهُ سقّف بيت حتى أقسمه. فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه في صحن المسجد، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلابيّه - وهي الأنطاع - فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، فوالله إنّ هذا لموطن شكر! فقال: عمر: والله ما ذاك يبكيك، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلّا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلّا ألقى بأسهم بينهم. وأشكل على عمر في أخماس القادسيّة حتى خطر عليه ما أفاء الله - يعني من الخمس - فوضع ذلك في أهله، فأجرى خمس جُلّولاء مجرى خمس القادسيّة عن ملاء وتشاور وإجماع من المسلمين، ونقل من ذلك بعض أهل المدينة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد وعمرو، قالوا: وجمع سعد من وراء المدائن، وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف؛ ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت، ووجد قسّمهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهلهم؛ فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن أقرّ الفلاحين على حالهم؛ إلّا من حارب أو هرب منك إلى عدوك فأدركته، وأجر لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم؛ وإذا كتبت إليك في قوم فأجروا أمثالهم مجراهم. فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحاً فأجابه: أما من سوى الفلاحين فذاك إليكم ما لم تغنموه - يعني تقتسموه - ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلّاها فهي لكم؛ فإن دعوتهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتهم قبل قسمتها فذمة؛ وإن لم تدعهم ففيء لكم لمن أفاء الله ذلك عليه. وكان أحظى بفيء الأرض أهل جُلّولاء؛ استأثروا بفيء ما وراء التّهران، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك، فأقرّوا الفلاحين ودعوا من لجّ، ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبل الذّمة، واستصفّوا ما كان لآل كسرى ومن لجّ معهم فيئاً لمن أفاء الله عليه، لا يُجاز بيع شيء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلّا من أهله الذين أفاء الله عليهم، ولم يجوزوا بيع ذلك فيما بين الناس - يعني فيمن لم يُفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عزّ وجلّ عليه - فأقرّه المسلمون، لم يقتسموه؛ لأن قسمته لم تتأت لهم؛ فمن ذلك

الآجام ومَغِيض المِياه وما كان لبيوت النار ولسكك البُرْد، وما كان لكسرى ومَن جامعهُ، وما كان لمن قُتل، والأرحاء؛ فكان بعضٌ من يُرَقّ يسأل الولاية قسَم ذلك؛ فيمنعهم من ذلك الجمهور، أبوا ذلك، فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا، وقالوا: لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا؛ ولو كان طلبُ ذلك منهم عن ملأ لقسمها بينهم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن ماهان، قال: لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين أهل الأيام إلّا أهل قريّات، أخذوها عنوة، كلهم نكث؛ ما خلا أولئك القرّيات، فلما دُعوا إلى الرجوع صاروا ذمّة، وعليهم الجزاء، ولهم المنعة، إلّا ما كان لآل كسرى ومَن معهم، فإنه صافية فيما بين حلوان والعراق؛ وكان عمر قد رضي بالسّواد من الرّيف.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن ماهان، قال: كتبوا إلى عمر في الصّوافي، فكتب إليهم: أن أعمدوا إلى الصّوافي التي أصفاكموها الله، فوزّعوها على مَن أفاءها الله عليه؛ أربعة أخماس للجنّد، وخمس في مواضعه إليّ، وإن أحبّوا أن ينزلوها فهو الذي لهم. فلما جعل ذلك إليهم رأوا إلّا يفترقوا في بلاد العجم، وأقروها حبساً لهم يؤلّونها مَن تراضوا عليه، ثم يقتسمونها في كلّ عام، ولا يؤلّونها إلّا مَن أجمعوا عليه بالرّضا، وكانوا لا يجمعون إلّا على الأمراء، كانوا بذلك في المدائن؛ وفي الكوفة حين تحوّلوا إلى الكوفة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة، عن أبيه، قال: كتب عمر: أن احتازوا فينكم فإنكم إن لم تفعلوا فتقادم الأمر بالحج؛ وقد قضيت الذي عليّ. اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الوليد بن عبد الله، عن أبيه، قال: فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحِث والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قَدْر طاقتهم؛ وكانت الدّهاقين للجزية عن أيديهم والعِمارة، وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل من المهاجرين، وكانت الضيّافة لمن أفاءها الله خاصّة ميراثاً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت بنحو منه، وقالوا جميعاً: كان فتح جَلولاء في ذي القعدة سنة ستّ عشرة في أولها، بينها وبين المدائن تسعة أشهر. وقالوا جميعاً: كان صلح عمر الذي صالح عليه أهل الذمّة؛ أنهم إن غشوا المسلمين لعدوّهم برئت منهم الذمّة، وإن سبّوا مسلماً أن ينهكوا عقوبة، وإن قاتلوا مسلماً أن يُقتلوا؛ وعلى عمر منعتهم؛ وبرىء عمر إلى كلّ ذي عهد من معرّة الجيوش.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله والمستنير، عن إبراهيم بمثله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن ماهان، قال: كان أشقى أهل فارس بجلولاء أهل الرّي؛ كانوا بها حُماة أهل فارس، ففتى أهل الرّي يوم جَلولاء. وقالوا جميعاً: ولما رجع أهل جَلولاء إلى المدائن نزلوا قطائعهم، وصار السواد ذمّة لهم إلّا ما أصفاهم الله به من مال الأكاسرة، ومَن لجّ معهم. وقالوا جميعاً: ولما بلغ أهل فارس قول عمر ورأيه في السواد وما خلفه، قالوا: ونحن نرضى بمثل الذي رضوا به، لا يرضى أكراد كلّ بلد أن ينالوا من ريفهم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المستير بن يزيد وحكيم بن عمير، عن إبراهيم بن يزيد، قال: لا يحلّ اشتراء أرض فيما بين حلوان والقادسيّة؛ والقادسيّة من الصوافي، لأنه لمن أفاءه الله عليه.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد؛ عن الشعبيّ مثله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن المغيرة بن شبل، قال: اشترى جرير من أرض السواد صافيةً على شاطئ الفُرات، فأق عمر فأخبره، فردّ ذلك الشراء وكرهه، ونهى عن شراء شيء لم يقسمه أهله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، قال: قلت للشعبيّ: أخذ السواد عنوة؟ قال: نعم، وكلّ أرض إلّا بعض القلاع والحصون؛ فإن بعضهم صالح وبعضهم غلب، قلت: فهل لأهل السواد ذمّة اعتقدوها قبل الحرب؟ قال: لا، ولكنهم لما دُعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمّة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد العزيز، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: ليس لأحد من أهل السواد عقد إلّا بني صلوبا وأهل الحيرة وأهل كِلوآدى وقرى من قرى الفُرات، ثم غدروا، ثم دُعوا إلى الذمّة بعد ما غدروا. وقال هاشم بن عتبة في يوم جُلّولاء:

يَوْمَ جَلُولَاءَ وَيَوْمَ رُسْتَمَ	وَيَوْمَ رَحْفِ الْكُوفَةِ الْمُقَدَّمِ
وَيَوْمَ عَرَضِ النَّهْرِ الْمَحْرَمِ	مِنْ بَيْنِ أَيَّامِ خَلَوْنَ صُرْمَ
شَيْبَنَ أَصْدَاغِي فَهَنْ هُرْمَ	مِثْلُ ثَغَامِ الْبَلَدِ الْمَحْرَمِ

وقال أبو بَجيد ذلك:

وَيَوْمَ جَلُولَاءَ الْوَقِيعَةِ أَصْبَحَتْ	كَتَائِبُنَا تَرْدِي بِأَسَدِ عَوَاسِ
فَقَضْتُ جَمْعَ الْفَرَسِ ثُمَّ أَمْتُهُمْ	فَتَبّاً لِأَجْسَادِ الْمَجُوسِ النَّجَاسِ!
وَأَفْلَتَهُنَّ الْفَيْرَزَانُ بِجَرْعَةٍ	وَمِهْرَانُ أَرَدَتْ يَوْمَ حَزِّ الْقَوَاسِ
أَقَامُوا بِدَارِ لِمَنِيَّةٍ مَوْعِدِ	وَلِلْتَرَبِ تَحْثُوهَا خَجُوجُ الرُّوَاسِ

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: وقد كان عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد: إن فتح الله عليكم جُلّولاء فسرّح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحلوان. فيكون رداءً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم. فلما هزم الله عزّ وجلّ أهل جُلّولاء، أقام هاشم بن عتبة بجُلّولاء، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين في جند من أفناء الناس ومن الحمراء، فأدرك سبياً من سبيهم؛ وقتل مقاتلة من أدرك، وقتل مِهْرَانُ وأفلت الفيرزان؛ فلما بلغ يزّجدر هزيمة أهل جُلّولاء ومصاب مِهْرَان، خرج من حلوان سائراً نحو الرّيّ، وخلف بحلوان خيلاً عليها خُسروشنوم؛ وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج إليه خُسروشنوم، وقدم الزّينبي دِهْقَانُ حلوان، فلقيه القعقاع فاقتلوا فقتل الزّينبي، واحتقّ فيه عميرة بن طارق وعبد الله، فجعله وسلبه بينهما، فعذّ عميرة ذلك حُفْرَةً وهرب خُسروشنوم، واستولى المسلمون على حلوان وأنزلها القعقاع الحمراء، وولّى عليهم قُبَاد، ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزء بعد ما دعاهم، فتراجعوا وأقروا بالجزء إلى أن تحوّل سعد من المدائن إلى

الكوفة، فلحق به، واستخلف قُبَاذَ على الثغر، وكان أصله خراسانياً.

وكان في هذه السنة - أعني سنة ست عشرة في رواية سيف - فتح تَكْرِيت، وذلك في جُمادى منها.

ذكر الخبر عن فتحها:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة والمهلب وسعيد، وشاركهم الوليد بن عبد الله بن أبي طَيِّبَة، قالوا: كتب سعد في اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق وإقباله حتى نزل بتكريت، وخندق فيه عليه ليحمي أرضه، وفي اجتماع أهل جلولاء على مهران معه؛ فكتب في جلولاء ما قد فرغنا منه، وكتب في تكريت واجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق بها: أن سَرَّحَ إلى الأنطاق عبد الله بن المعتّم، واستعمل على مقدّمته ربعي بن الأفكل العنزيّ، وعلى ميمته الحارث بن حسان الذهليّ، وعلى ميسرته فُرات بن حيّان العجليّ، وعلى ساقته هانيء بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة؛ ففصل عبد الله بن المعتّم في خمسة آلاف من المدائن، فسار إلى تكريت أربعاً؛ حتى نزل على الأنطاق؛ ومعه الرّوم وإياد وتغلب والنّمر ومعه الشّهارجة وقد خندقوا بها، فحصرهم أربعين يوماً، فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفاً؛ وكانوا أهون شوكة، وأسرع أمراً من أهل جلولاء، ووكل عبد الله بن المعتّم بالعرب ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الرّوم؛ فهم لا يُخفون عليه شيئاً؛ ولما رأت الرّوم أنهم لا يخرجون خرّجة إلّا كانت عليهم، ويُهْزَمون في كلّ ما زاحفهم؛ تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنّمر إلى عبد الله بن المعتّم بالخبر، وسألوه للعرب السلم، وأخبروه أنهم قد استجابوا له؛ فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقرّوا بما جاء به من عند الله؛ ثم أعلمونا رأيكم. فرجعوا إليهم بذلك، فردّوهم إليه بالإسلام؛ فردّهم إليهم، وقال: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد هُذِنّا إلى الأبواب التي تليها لندخل عليهم منها، فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة، وكبّروا واقتلوا من قدرتم عليه؛ فانطلقوا حتى تَوَاطَوهُم على ذلك. ونهّد عبد الله والمسلمون لما يليهم وكبّروا، وكبّرت تغلب وإياد والنّمر؛ وقد أخذوا بالأبواب؛ فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم، فدخلوا عليهم مما يلي دجلة، فبادروا الأبواب التي عليها المسلمون، فأخذتهم السيوف؛ سيوف المسلمين مستقبلتهم، وسيوف الرّبعيين الذين أسلموا ليلتذ من خلفهم؛ فلم يفلت من أهل الخندق إلّا مَنْ أسلم من تغلب وإياد والنّمر. وقد كان عمر عهد إلى سعد؛ إن هم هُزموا أن يأمر عبد الله بن المعتّم بتسريح ابن الأفكل العنزيّ إلى الحصنين؛ فسَرَّحَ عبد الله بن المعتّم ابن الأفكل العنزيّ إلى الحصنين، فأخذ بالطريق، وقال: اسبق الخبر، وسر ما دون القيل، وأحي الليل. وسَرَّحَ معه تغلب وإياد والنّمر، فقدمهم وعليهم عُتْبَة بن الوعل؛ أحد بني جشم بن سعد وذو القُرط وأبوداعة بن أبي كرب وابن ذي السُّنينة قتيل الكلاب وابن الحجر الإياديّ وبشر بن أبي حَوط متساندين، فسبقوا الخبر إلى الحصنين. ولما كانوا منها قريباً قدّموا عُتْبَة بن الوعل فادّعى بالظفر والنّفل والقفل، ثم ذو القُرط، ثم ابن ذي السُّنينة، ثم ابن الحجر، ثم بشر؛ ووقفوا بالأبواب، وقد أخذوا بها، وأقبلت سَرَعَان الخيل مع ربعي بن الأفكل حتى اقتحمت عليهم الحصنين، فكانت إيّاها، فنادوا بالإجابة إلى الصلح، فأقام من استجاب، وهرب مَنْ لم يستجب، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتّم، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لَجَّ وذهب، ووفّى لمن أقام، فتراجع الهَرَابَ واغبت المقيم، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة، واقتسموا في تَكْرِيت على كلّ سهم ألف درهم، للفراس، ثلاثة آلاف

وللرجال ألف، وبعثوا بالأخماس مع فُرات بن حَيَّان، وبالفَتْح مع الحارث بن حسان وولى حربَ الموصل ربِعي بن الأفلح، والخراجَ عَرفجة بن هرثمة.

وفي هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كان فتح ماسَبَذان أيضاً.

ذكر الخبر عن فتحها:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة ومحمد والمهلب وعمرو وسعيد قالوا: ولما رجع هاشم بن عُتبة من جُلُولاء إلى المدائن، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعاً، فخرج بهم إلى السهل، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جُنْد واجعل على مقدّمته ابن الهذيل الأسديّ، وعلى مجنّبيه عبد الله بن وهب الراسبيّ حليف بَجيلة، والمضارب بن فلان العجليّ؛ فخرج ضرار بن الخطاب، وهو أحد بني محارب بن فُهْر في الجند، وقَدّم ابن الهذيل حتى انتهى إلى سهل ماسَبَذان، فالتقوا بمكان يدعى هَنْدَف، فاقتتلوا بها، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضرار آذين سَلماً، فأسره فانهمز عنه جيشه فقَدّمه فضرب عنقه. ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ماسَبَذان عنوة فتطايّر أهلها في الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه، فنزل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسَبَذان فكانت إحدى فروع الكوفة.

وفيهما كانت وقعة قَرْقيسياء في رَجَب.

ذكر الخبر عن الوقعة بها:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن طلحة ومحمد والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: ولما رجع هاشم بن عُتبة عن جُلُولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة، فأمدّوا هرقل على أهل جَمص، وبعثوا جنداً إلى أهل هيت، وكتب بذلك سعد إلى عمر، فكتب إليه عمر أن ابعث إليهم عمر بن مالك بن عُتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند، وابعث على مقدّمته الحارث بن يزيد العامريّ، وعلى مجنّبيه ربِعي بن عامر ومالك ابن حبيب، فخرج عمر بن مالك في جنده سائراً نحو هيت، وقَدّم الحارث بن يزيد حتى نزل على مَنْ بهيت، وقد خندقوا عليهم. فلما رأى عمر بن مالك امتناعَ القوم بخندقهم واعتصامهم به، استطال ذلك، فترك الأخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد محاصراً، وخرج في نصف النَّاس يعارض الطريق حتى يجيء قَرْقيسياء في عِرة، فأخذها عنوة، فأجابوا إلى الجزاء، وكتب إلى الحارث بن يزيد إن هم استجابوا فخلّ عنهم فليخرجوا، وإلاّ فخندق على خندقهم خندقاً أبوابه ممّا يليك حتى أرى من رأيي. فسمحوا بالاستجابة، وانضمّ الجند إلى عمر والأعاجم إلى أهل بلادهم.

وقال الواقديّ: وفي هذه السنة غَرَبَ عمرُ أبا مَحْجَن الثَّقَفِيّ إلى باضع.

وقال: وفيها تزوّج ابن عمرَ صفية بنت أبي عُبيدة.

قال: وفيها ماتت مارية أمّ ولد رسول الله ﷺ، أم إبراهيم؛ وصلى عليها عمر، وقبرها بالبقيع، في المحرّم.

قال: وفيها كتب التاريخ في شهر ربيع الأول.

قال: وحَدَّثني ابنُ أبي سبرة، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع، عن ابن المسيَّب، قال: أوَّل مَنْ كَتَب التاريخَ عمر، لستين ونصف من خلافته، فكتبَ لستَ عشرة من الهجرة بمشورة عليّ بن أبي طالب.

حدَّثني عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدَّثنا نعيم بن حماد، قال: حدَّثنا الدراوردي، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت سعيد بن المسيَّب يقول: جمع عمرُ بن الخطاب الناسَ، فسألهم من أيّ يوم نكتب؟ فقال عليّ: من يوم هاجر رسول الله ﷺ، وترك أرضَ الشرك. ففعله عمر.

وحَدَّثني عبدُ الرحمن، قال: حدَّثني يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد، قال: حدَّثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: كان التاريخ في السنة التي قَدِم فيها رسول الله ﷺ المدينة. وفيها وُلد عبد الله بن الزبير.

وحجَّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، واستخلف على المدينة - فيما زعم الواقدي - زيد بن ثابت. وكان عامل عمر في هذه السنة على مكة عتّاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى بن أمية، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى عُمان حذيفة بن محصن، وعلى الشام كلها أبو عبيدة بن الجراح، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص، وعلى قضائها أبو قرة، وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة، وعلى حرب الموصل ربعي بن الأفكل، وعلى الخراج بها عرفة بن هزيمة في قول بعضهم، وفي قول آخرين عتبة بن فرقد على الحرب والخراج - وقيل ذلك كلّه كان إلى عبد الله بن المعتّم - وعلى الجزيرة عياض بن عمرو الأشعري.

ثم دخلت سنة سبع عشرة

ففيها اختطت الكوفة، وتحول سعد بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عمر وروايته.

ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفة

وسبب اختطاطهم الكوفة في رواية سيف

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما جاء فتح جلولاء وحُلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحُلوان فيمن معه، وجاء فتح تكريت والحِصْنين، ونزول عبدالله بن المعتّم وابن الأفكل الحِصْنين فيمن معه؛ وقدمت الوفود بذلك على عُمر، فلما رآهم عمر قال: والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها؛ ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وإنهم لكما أبدؤوا، ولقد انتكيتم فما غيركم؟ قالوا: وخومة البلاد. فنظر في حوائجهم، وعجل سراحهم؛ وكان في وفود عبدالله بن المعتّم عُتبة بن الوعل، وذو القُرط، وابن ذي السُنينة، وابن الحجر وبشر، فعاهدوا عمر على بني تغلب، فعقد لهم؛ على أن من أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومن أبي فعلية الجزاء؛ وإنما الإِجبار من العرب على من كان في جزيرة العرب. فقالوا: إذا يهربون وينقطعون فيصيرون عجمًا؛ فأمر أجمل الصدقة؛ فقال: ليس إلا الجزاء، فقالوا: تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم، فهو مجهودهم، ففعل على ألا ينصّروا وليدًا ممن أسلم آباؤهم، فقالوا: لك ذلك، فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم من النمرين والأَياديّين إلى سعد بالمدائن وخطوا معه بعد بالكوفة، وأقام من أقام في بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهم وذميهم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن شبرمة، عن الشعبي، قال: كتب حذيفة إلى عمر: إن العرب قد أترفت بطونها، وخفت أعضادها، وتغيرت ألوانها. وحذيفة يومئذ مع سعد.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأصحابها، قالوا: كتب عمر إلى سعد: أنبئي ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟ فكتب إليه: إن العرب خدّدهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة؛ فكتب إليه: إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائدًا وحذيفة - وكانا رائدي الجيش - فليرتادا منزلا بريًا بحريًا، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر، ولم يكن بقي من أمر الجيش شيء إلا وقد أسنده إلى رجل، فبعث سعد حذيفة وسلمان، فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار، فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئًا، حتى أتى الكوفة. وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئًا حتى أتى الكوفة،

والكوفة على خَصْبَاء - وكلّ رملة حمراء يقال لها سِهْلَة، وكلّ حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة - فأتيا عليها، وفيها ديرات ثلاثة: دير حُرقة، ودير أم عمرو، ودير سِلْسِلَة، وخصاصٌ خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة، فنزلا فصلياً، وقال كل واحد منهما: اللهم ربّ السماء وما أظلت، وربّ الأرض وما أقلت، والرياح وما دُزّت، والنجوم وما هوت، والبحار وما جرت، والشياطين وما أضلت، والخصاص وما أجنّت، بارك لنا في هذه الكوفة، واجعله منزل ثبات. وكتب إلى سعد بالخبر.

حدّثني محمد بن عبدالله بن صفوان، قال: حدّثنا أميّة بن خالد، قال: حدّثنا أبو عوانة، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن، قال: لما هزِمَ الناس يوم جُلُولاء، رجع سعد بالناس، فلمّا قدم عمار خرج بالناس إلى المدائن فاجتووها؛ قال عمار: هل تصلح بها الإبل؟ قالوا: لا؛ إنّ بها البعوض، قال: قال عمر: إنّ العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل. . قال: فخرج عمار بالناس حتى نزل الكوفة.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مخلّد بن قيس، عن أبيه، عن النّسِير بن ثور، قال: ولما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلناها وأذاهم الغبار والذّباب، وكتب إلى سعد في بعثه رُوَاداً يرتادون منزلاً برياً بحرياً، فإنّ العرب لا يصلحها من البلدان إلّا ما أصلح البعير والشاة؛ سأل من قبله عن هذه الصفة فيما بينهم، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان - وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين إلى العين، عين بني الحذاء، كانت العرب تقول: أدلع البرّ لسانه في الريف، فما كان يلي الفرات منه فهو المِلطاط، وما كان يلي الطين منه فهو النّجاف - فكتب إلى سعد يأمره به.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: ولما قدم سلمان وحذيفة على سعد، وأخبراه عن الكوفة، وقدم كتاب عمر بالذي ذكرا له، كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو: أن خلف على الناس بجلولاء قبّاذ فيمن تبعكم إلى من كان معه من الحمراء. ففعل وجاء حتى قدم على سعد في جنده، وكتب سعد إلى عبدالله بن المعتم: أن خلف على الموصل مسلّم بن عبدالله الذي كان أسير أيام القادسية فيمن استجاب لكم من الأساورة، ومن كان معكم منهم. ففعل، وجاء حتى قدم على سعد في جنده، فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة في المحرم سنة سبع عشرة. وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران، وكان بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر؛ اختطت سنة أربع من إمارة عمر في المحرم سنة سبع عشرة من التاريخ، وأعطوا العطايا بالمدائن في المحرم من هذه السنة قبل أن يرتحلوا. وفي بهرسير، في المحرم سنة ست عشرة، واستقرّ بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث نزلات قبلها، كلها ارتحلوا عنها في المحرم سنة سبع عشرة، واستقرّ باقي قرارهما اليوم في شهر واحد.

وقال الواقدي: سمعتُ القاسم بن معن يقول: نزل الناس الكوفة في آخر سنة سبع عشرة.

قال: وحدّثني ابن أبي الرقاد، عن أبيه، قال: نزلوها حين دخلت سنة ثمانى عشرة، في أوّل السنة.

رجع الحديث إلى حديث سيف. قالوا: وكتب عمر إلى سعد بن مالك وإلى عُتْبَة بن غَزْوَان أن يتربّعا بالناس في كلّ حين ربيع في أطيب أرضهم، وأمر لهم بمعاونهم في الربيع من كلّ سنة، وبإعطائهم في المحرم من كلّ سنة، وبفئتهم عند طلوع الشّعري في كلّ سنة؛ وذلك عند إدراك الغلات، وأخذوا قبل نزول الكوفة عطاءين.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مخلد بن قيس، عن رجل من بني أسد يدعى المغرور، قال: لما نزل سعد الكوفة، كتب إلى عمر: إني قد نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفُرات برياً بحرياً، يُنبِت الحليّ والنّصي، وخيّرُ المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة. فبقي أقوام من الأفاء، وأكثرهم بنو عُبس.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب، قالوا: ولما نزل أهل الكوفة الكوفة، واستقرّت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم، وثاب إليهم ما كانوا فقدوا. ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنين القصب، واستأذن فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أجْدُ لحربكم وأذكى لكم، وما أحبّ أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا: العكرش إذا روي قصب فصار قصباً، قال: فشأنكم؛ فابتنى أهل المصرين بالقصب.

ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة في سؤال، فما زال الناس يذكرون ذلك. فبعث سعد منهم نفرأ إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم - وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلّا وأمره فيه - فقال: افعلوا؛ ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنين، والزموا السنّة تلزمكم الدولة. فرجع القوم إلى الكوفة بذلك. وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك؛ وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهيثاج بن مالك، وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدلف الجرباء.

قال: وعهد عمر إلى الوفد وتقدّم إلى الناس ألا يرفعوا بنياناً فوق القدر. قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السرف، ولا يخرجكم من القصد.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد إلى أبي الهيثاج فأخبره بكتاب عمر في الطرُق، أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعاً إلّا الذي لبني ضبة. فاجتمع أهل الرأي للتقدير؛ حتى إذا أقاموا على شيء قسّم أبو الهيثاج عليه؛ فأول شيء خطّ بالكوفة وبُني حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتّمارين من السوق، فاخطوه، ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى به بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين. فترك المسجد في مربّعة غلوة من كلّ جوانبه، وبني طلّة في مقدمه، ليست لها مجنّبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا - وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمة، وكانت طلّته مائتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة، سماؤها كأسمية الكنائس الروميّة، وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد بنيان، وبَنُوا لسعد داراً بحiale بينهما طريق منقّب مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم، بنى ذلك له روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة، ونهج في الودّعة من الصحن خمسة مناهج، وفي قبلته أربعة مناهج، وفي شرقيّه ثلاثة مناهج، وفي غربيّه ثلاثة مناهج، وعلمها، فأنزل في ودّعة الصحن سليماً وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقين، وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات

على آخرهم وتغلب، وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق، وبين بني أسد والنخع طريق، وبين النخع وكندة طريق، وبين كندة والأزد طريق، وأنزل في شرقي الصحن الأنصار، ومزينة على طريق، وغمياً ومحارباً على طريق، وأسدأ وعامراً على طريق، وأنزل في غربي الصحن بجاله وبجلة على طريق، وجديلة وأخلاطاً على طريق، وجُهينة وأخلاطاً على طريق، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك. واقتسمت على السُّهْمَانِ؛ فهذه مناهجها العظمى. وبنوا مناهج دونها تحاذي هذه ثم تلاقيها، وأخر تُتبعها، وهي دونها في الدَّرْع، والمحال من ورائها؛ وفيما بينها، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس، وحمل لأهل الثغور والموصل أماكن حتى يوافوا إليها؛ فلما ردتهم الروادف، البدء والثناء، وكثروا عليهم، ضيق الناس المحال فمن كانت رادفته كثيرة شخص إليهم وترك محلته، ومن كانت رادفته قليلة أنزلوهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم؛ وإلا وسعوا على روادفهم وضيقوا على أنفسهم؛ فكان الصحن على حاله زماناً عمر كله، لا تطمع فيه القبائل؛ ليس فيه إلا المسجد والقصر، والأسواق في غير بنيان ولا أعلام. وقال عمر: الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له؛ حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه؛ وقد كانوا أعدوا مناخاً لكل رادف؛ فكان كل من يجيء سواء فيه - وذلك المناخ اليوم دور بني البكاء - حتى يأتوا بالهياج، فيقوم في أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبوا. وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصرأ بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، فشيدته، وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته. ثم إن بيت المال نُقب عليه نقباً، وأخذ من المال، وكتب سعد بذلك إلى عمر، ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار. فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار، واجعل الدار قبلته؛ فإن للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل؛ وفيهم حصن لما هم، فنقل المسجد وأراغ بنيانه، فقال له دهقان من أهل همدان؛ يقال له روزبه بن بُزْرجهر: أنا أبنيه لك، وأبني لك قصرأ فأصلهما، ويكون بنياناً واحداً. فخط قصر الكوفة على ما خط عليه، ثم أنشأه من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم، ولم يسمح به، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر، يمتد على القبلة، ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رجة علي بن أبي طالب عليه السلام، والرجة قبلته، ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرجة وميمنة القصر، وكان بنيانه على أساطين من رُخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبتات؛ فلم يزل على ذلك حتى بنى أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم؛ على يد زياد. ولما أراد زياد بنيانه دعا ببنائين من بنائي الجاهلية، فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء، وقال: أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته؛ فقال له بناء قد كان بناءً لكسرى: لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز، تنقر ثم تثقب، ثم تحشى بالرصاص وبسفايد الحديد، فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء، ثم تسقفه، وتجعل له مجنبتات ومواخير؛ فيكون أثبت له. فقال: هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها. وغلق باب القصر، وكانت الأسواق تكون في موضعه بين يديه، فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث؛ فلما بنى ادعى الناس عليه ما لم يقل، وقالوا: قال سعد: سَكَنَ عني الصَّوَيْت. وبلغ عمر ذلك، وأن الناس يسمونه قصر سعد، فدعا محمد بن مسلمة، فسرَّحه إلى الكوفة، وقال: اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه، ثم ارجع عودك على بدئك؛ فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطباً، ثم أتى به القصر، فأحرق الباب، وأتى سعد فأخبر الخبر، فقال: هذا رسول أرسل لهذا الشأن، وبعث لينظر من هو؟ فإذا هو محمد بن مسلمة، فأرسل إليه رسولاً بأن أدخل، فأبى

فخرج إليه سعد، فأراد على الدخول والنزول، فأبى، وعرض عليه نفقة فلم يأخذ، ودفع كتاب عمر إلى سعد: بلغني أنك بنيت قصرًا اتخذته حصنًا، ويسمى قصر سعد، وجعلت بينك وبين الناس بابًا؛ فليس بقصرك؛ ولكنه قصر الخيال؛ انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت؛ فحلف له سعد ما قال الذي قالوا. ورجع محمد بن مسلمة من فوره؛ حتى إذا دنا من المدينة فنى زأده، فتبلغ بلحاء من لحاء الشجر، فقدم على عمر، وقد سنى فأخبره خبره كله، فقال: فهلاً قبلت من سعد! فقال: لو أردت ذلك كتبت لي به، أو أذنت لي فيه، فقال عمر: إن أكمل الرجال رأياً من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم، أو قال به، ولم ينكل؛ وأخبره بيمين سعد وقوله، فصَدَّق سعداً وقال: هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغني.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطاء أبي محمد، مولى إسحاق بن طلحة، قال: كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد؛ وليست له مجنّبات ولا مواخير، فأرى منه دير هند وباب الجسر. كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن شبرمة، عن الشعبي، قال: كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمر بن عياش أخي أبي بكر بن عياش، عن أبي كثير، أن روزبه بن بزرجمهر بن ساسان كان همدانيًا، وكان على فرج من فروج الروم، فأدخل عليهم سلاحاً، فأخافه الأكاسرة، فلحق بالروم، فلم يأمن حتى قدم سعد بن مالك، فبنى له القصر والمسجد. ثم كتب معه إلى عمر، وأخبره بحاله، فأسلم، وفرض له عمر وأعطاه، وصرفه إلى سعد مع أكريائه - والأكرياء يومئذ هم العباد - حتى إذا كان بالمكان الذي يقال له قبر العبادي مات، فحفروا له، ثم انتظروا به من يمر بهم ممن يشهدونه موته، فمر قوم من الأعراب، وقد حفروا له على الطريق، فأروهموه ليبرؤوا من دمه، وأشهدوهم ذلك، فقالوا: قبر العبادي - وقيل قبر العبادي لمكان الأكرياء - قال أبو كثير: فهو والله أبي، قال: فقلت: أفلا تخبر الناس بحاله! قال: لا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد وزياد، قالوا: ورجح الأعشار بعضهم بعضاً رجحاناً كثيراً، فكتب سعد إلى عمر تعديلهم، فكتب إليه: أن عَدَلَهُمْ، فأرسل إلى قوم من نساب العرب وذوي رأيهم وعقلاتهم منهم سعيد بن غمران ومشعلة بن نعيم، فعَدَلُوهم عن الأسباع، فجعلوهم أسباعاً، فصارت كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم، وجديلة - وهم بنو عمرو بن قيس عيلان - سباعاً، وصارت قضاة - ومنهم يومئذ غسان بن شبام - وبجيلة وخثعم وكندة وحضر موت، والأزد سباعاً، وصارت مذحج وحمر وهمدان وحلفاؤهم سباعاً، وصارت تميم وسائر الرّباب وهوازن سباعاً، وصارت أسد وغطفان ومحارب والنّمر وضبيعة وتغلب سباعاً، وصارت إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سباعاً، فلم يزلوا بذلك زمان عمر وعثمان وعلي، وعامة إمارة معاوية، حتى ربّعهم زياد.

إعادة تعريف الناس

وعرفوهم على مائة ألف درهم، فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال، لهم مائة ألف درهم، وكلّ عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين

امراً، وكلّ عيّل على مائة، على مائة ألف درهم، وكلّ عرافة من الرّادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم، ثم على هذا من الحساب.

وقال عطية بن الحارث: قد أدركت مائة عريف، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة، كان العطاء يُدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب، فيدفعونه إلى العُرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم.

فتوح المدائن قبل الكوفة

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: فتوح المدائن السّواد وحُلوان وماسَبَذان وقرقيسياء، فكانت الثُّغور ثغور الكوفة أربعة: حُلوان عليها القعقاع بن عمرو، وماسَبَذان عليها ضرار بن الخطاب الفهريّ، وقرقيسياء عليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، والموصل عليها عبد الله بن المعتّم، فكانوا بذلك، والناس مقيمون بالمدائن بعدما تحوّل سعد إلى تمصير الكوفة، وانضمام هؤلاء النفر إلى الكوفة واستخلافهم على الثُّغور من يمسك بها ويقوم عليها؛ فكان خليفة القعقاع على حُلوان قُباذ بن عبد الله، وخليفة عبد الله على الموصل مسلم بن عبد الله، وخليفة ضرار رافع بن عبد الله، وخليفة عمر عشق بن عبد الله، وكتب إليهم عمر أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة، ويرفعوا عنهم الجزاء، ففعلوا. فلما اختطّت الكوفة وأذن للناس بالبناء، نقل الناس أبوابهم من المدائن إلى الكوفة فعلقوها على ما بنوا وأوطنوا الكوفة. وهذه ثغورهم، وليس في أيديهم من الرّيف إلا ذلك.

كتب السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد عن عامر، قال: كانت الكوفة وسوادها والفروج: حُلوان، والموصل، وماسَبَذان وقرقيسياء. ثم وافقهم في الحديث عمرو بن الريان، عن موسى بن عيسى الهمدانيّ بمثل حديثهم، ونهاهم عمّا وراء ذلك، ولم يأذن لهم في الانسياح. وقالوا جميعاً: وليّ سعد بن مالك على الكوفة بعد ما اختطّت ثلاث سنين ونصفاً سوى ما كان بالمدائن قبلها، وعمالته ما بين الكوفة وحُلوان والموصل وماسَبَذان وقرقيسياء إلى البصرة، ومات عتبة بن غزوان وهو على البصرة فُطِعَ بعمله، وسعد على الكوفة فوُلّي عمر أبا سبرة مكان عتبة بن غزوان، ثم عزل أبا سبرة عن البصرة، واستعمل المغيرة، ثم عزل المغيرة، واستعمل أبا موسى الأشعريّ.

ذكر خبر حمص

حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم

وفي هذه السنة قصدت الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من جند المسلمين بَحْمَصَ لحربهم؛ فكان من أمرهم وأمر المسلمين ما ذكر أبو عبيدة؛ وهو فيما كتب به إلى السريّ عن شعيب، عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد - قالوا: أوّل ما أذن عمر للجند بالانسياح؛ أن الروم خرجوا، وقد تكاثبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بَحْمَصَ، فضمّ أبو عبيدة إليه مسالحه، وعسكروا بفناء مدينة حِمَصَ، وأقبل خالد من قنسرين حتى انضمّ إليهم فيمن انضمّ من أمراء المسالح، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصّن إلى مجيء الغياث، فكان خالد يأمره أن ينجزهم، وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصّن، ويكتب إلى عمر، فأطاعهم وعصى خالداً، وكتب إلى عمر يخبره بخروجهم عليه، وشغلهم أجناد أهل الشام عنه، وقد كان عمر اتّخذ في كلّ مِصرٍ على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عُدة لكون إن كان، فكان

بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس . فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد بن مالك : أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ؛ فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم إليهم في الجلد والحث .

وكتب أيضاً إليه أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة فإن أهل الجزيرة . هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ؛ وإن أهل قرقيسياء لهم سلف . وسرح عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى نصيبين ، فإن أهل قرقيسياء لهم سلف ، ثم لينفضا حران والرهاء . وسرح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياضاً ؛ فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم - وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدّين لأهل الشام ، ومن انصرف أيام انصرف أهل العراق ممدّين لأهل القادسية ، وكان يرأفد أبا عبيدة - فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص ؛ وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض ؛ وتوجه كل أمير إلى الكورة التي أمر عليها . فأتى الرقة ، وخرج عمر من المدينة مغياً لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية . ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص واستثاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة منهم بأن الجنود قد ضربت من الكوفة ، ولم يدروا : الجزيرة يريدون أم حمص ! فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم ، وخلوا الروم . ورأى أبو عبيدة أمراً لما انفصوا غير الأول ، فاستشار خالداً في الخروج ، فأمره بالخروج ، ففتح الله عليهم . وقدم القعقاع بن عمرو في أهل الكوفة في ثلاث من يوم الوقعة ، وقدم عمر فنزل الجابية ، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم في ثلاث ، وبالحكم في ذلك . فكتب إليهم أن أشركوهم ، وقال : جزى الله أهل الكوفة خيراً ! يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكرياء بن سياه ، عن الشعبي ، قال : استمد أبو عبيدة عمر ، وخرجت عليه الروم ، وتابعهم النصارى فحصره ، فخرج وكتب إلى أهل الكوفة ، فنفر إليهم في غداة أربعة آلاف على البغال يجنبون الخيل ، فقدموا على أبي عبيدة في ثلاث بعد الوقعة ، فكتب فيهم إلى عمر ، وقد انتهى إلى الجابية ، فكتب إليه : أن أشركهم ، فإنهم قد نفروا إليكم ، وتفرق لهم عدوكم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون إن كان ، يشتيها في قبة قصر الكوفة وميسرته ؛ ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الآري إلى اليوم ، ويربّعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي العاقول ، فسّمته الأعاجم «آخر الشاهجان» ، يعنون مغلّف الأمراء ، وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة ، يصنع سوابقها ، ويجريها في كل عام ، وبالبصرة نحو منها ، وقيمه عليها جزء بن معاوية ، وفي كل مصر من الأمصار الثمانية على قدرها ، فإن نابتهم نائبة ركب قوم وتقدموا إلى أن يستعد الناس .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلام ، عن شهر بن مالك بنحو منه . فلما فرغوا رجعوا . وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - افتتحت الجزيرة في رواية سيف . وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أنها افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة ، وذكر من سبب فتحها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ؛ أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص : إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق ، فابعث من عندك جنداً إلى

الجزيرة، وأمر عليهم أحد الثلاثة: خالد بن عُرْفُطَة، أو هاشم بن عتبة، أو عياض بن غنم. فلما انتهى إلى سعد كتابُ عمر، قال: ما أحرَّ أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلَّا أنه له فيه هوًى أو أوليُّه؛ وأنا موليه. فبعثه وبعث معه جيشاً، وبعث أبا موسى الأشعري، وابنه عمر بن سعد - وهو غلام حدث السن ليس إليه من الأمر شيء - وعثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، وذلك في سنة تسع عشرة. فخرج عياض إلى الجزيرة، فنزل بجنده على الرُّهاء فصالحه أهلها على الجزية، وصالحت حرَّان حين صالحت الرُّهاء، فصالحه أهلها على الجزية. ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين، ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل ردءاً للمسلمين، وسار بنفسه في بقيَّة الناس إلى دارا، فنزل عليها حتى افتتحها، فافتتح أبو موسى نصيبين، وذلك في سنة تسع عشرة. ثم وجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شيء من قتال؛ أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً. ثم صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزية، على كلِّ أهل بيت دينار. ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل.

وأما في رواية سيف؛ فإن الخبر في ذلك، فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد؛ قالوا: خرج عياض بن غنم في أثر القَعْقَاع، وخرج القَوَاد - يعني حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القَعْقَاع في أربعة آلاف من جنده مدداً لأبي عبيدة حين قصدته الروم وهو بحمص - فسلوكوا طريق الجزيرة على الفِراض وغيرها، فسلك سُهَيْل بن عدي وجنده طريق الفِراض حتى انتهى إلى الرِّقَّة، وقد ارفضَّ أهل الجزيرة عن حصِّ إلى كُورهم حين سمعوا بمُقبِل أهل الكوفة، فنزل عليهم، فأقام محاصرهم حتى صالحوه؛ وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: أنتم بين أهل العراق وأهل الشام؛ فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء! فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة؛ فرأى أن يقبل منهم؛ فبايعوه وقبل منهم؛ وكان الذي عقد لهم سُهَيْل بن عدي عن أمر عياض، لأنه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عَنوة، ثم أجابوا مُجرى أهل الدِّمَّة، وخرج عبدالله بن عبدالله بن عتبَّان، فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل، فعبر إلى بلد حتى أتى نصيبين، فلقوه بالصلح، وصنعوا كما صنع أهل الرِّقَّة، وخافوا مثل الذي خافوا؛ فكتبوا إلى عياض، فرأى أن يقبل منهم، فعقد لهم عبدالله بن عبدالله، وأجروا ما أخذوا عَنوة، ثم أجابوا مُجرى أهل الدِّمَّة، وخرج الوليد بن عُقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة، فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلَّا إياد بن نزار، فإنهم ارتحلوا بقلبيتهم، فافتحموا أرض الروم، فكتب بذلك الوليد إلى عمر بن الخطاب. ولما أعطى أهل الرِّقَّة ونصيبين الطاعة ضمَّ عياض سهيلاً وعبدالله إليه فسار بالناس إلى حرَّان، فأخذ ما دونها. فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم، وأجرى من أجاب بعد غلبه مُجرى أهل الدِّمَّة. ثم إن عياضاً سرح سهيلاً وعبدالله إلى الرُّهاء، فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية، وأجرى من دونهم مجراهم؛ فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً، وأيسره فتْحاً، فكانت تلك السهولة مهجئة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين، وقال عياض بن غنم:

حَوَّتِ الْجَزِيرَةَ يَوْمَ ذَاتِ زَحَامٍ
عَمَّنْ بِحِمَصَ غِيَابَةَ الْقَدَامِ
فَضُّوا الْجَزِيرَةَ عَنْ فِرَاحِ الْهَامِ
عَنْ غَزْوِ مَنْ يَأْوِي بِلَادَ الشَّامِ

مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنَّ جُمُوعَنَا
جَمَعُوا الْجَزِيرَةَ وَالْغِيَاثَ فَنَفَّسُوا
إِنَّ الْأَعِزَّةَ وَالْأَكَارِمَ مَعَشَرُ
غَلَبُوا الْمُلُوكَ عَلَى الْجَزِيرَةِ فَاثْنَهَا

ولما نزل عمر الجابية، وفرغ أهل حمص أمدة عياض بن غنم بحبيب بن مسلمة، فقدم على عياض مدداً، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذ ضم خالداً إلى المدينة، فصرفه إليه، وصرف سهيل بن عديّ وعبدالله بن عبدالله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق، واستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحرها، والوليد بن عتبة على عرب الجزيرة، فأقاما بالجزيرة على أعمالهما.

قالوا: ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب إلى ملك الروم: إنه بلغني أنّ حيّاً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك؛ فوالله لتُخرجنه أولئذٍ إلى النصراني؛ ثم لنخرجنهم إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرجوا فتّم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عديّ بن زياد، وخنس بقيتهم، فتفرقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم؛ فكلّ إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف؛ وأبى الوليد بن عتبة أن يقبل من بني تغلب إلاّ الإسلام؛ فقالوا له: أما من نقب على قومه في صلح سعد ومن كان قبله فأنتم وذاك، وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يُجر ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه! فكتب فيهم إلى عمر، فأجابه عمر: إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلاّ الإسلام، فدعهم على ألاّ ينصّروا وليداً، وأقبل منهم إذا أسلموا. فقبل منهم على ألاّ ينصّروا وليداً، ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام، فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به، وأبى بعضهم إلاّ الجزاء، فرضي منهم بما رضي من العباد وتنوخ.

كتب إلى السريّ! عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أبي سيف التّغلبيّ، قال: كان رسول الله ﷺ قد عاهد وفّدهم على ألاّ ينصّروا وليداً، فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفّدهم، ولم يكن على غيرهم، فلما كان زمان عمر قال مسلموهم: لا تنفّروهم بالخراج فيذهبوا، ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء؛ فإنهم يغضبون من ذكر الجزاء على ألاّ ينصّروا مولوداً إذا أسلم آباؤهم. فخرج وفّدهم في ذلك إلى عمر؛ فلما بعث الوليد إليه برؤوس النصراني وبديانهم، قال لهم عمد: أدوا الجزية، فقالوا لعمر: أبلغنا مأمنا، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم، والله لتفضحننا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتن أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافترض من عرب الضاحية، وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قماة، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم، ثم لأسبينكم. قالوا: فخذ منا شيئاً ولا تسمّه جزاء، فقال: أما نحن فنسميه جزاء، وسمّوه أنتم ما شئتم. فقال له عليّ بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين، ألم يُضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه، فرضي به منهم جزاء، فرجعوا على ذلك، وكان في بني تغلب عزّ وامتناع، ولا يزالون ينازعون الوليد، فهم بهم الوليد، وقال في ذلك:

إذا ما عصبتُ الرأسَ مني بِمَشْوَدٍ فغَيِّكَ مِنِّي تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِلَ

وبلغت عنه عمر، فخاف أن يخرجه وأن يضعف صبره فيسطو عليهم، فعزله وأمر عليهم فُرات بن حيّان وهند بن عمرو الجَمَلِيّ، وخرج الوليد واستودع إبلأ له حُرَيْث بن النعمان، أحد بني كنانة بن تميم من بني تغلب، وكانت مائة من الإبل فاخاتنها بعد ما خرج الوليد.

وكان فتح الجزيرة في سنة سبع عشرة في ذي الحجة.

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - خرج عمر من المدينة يريد الشام حتى بلغ سرّغ، في قول ابن إسحاق، حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه، وفي قول الواقدي.

ذكر الخبر عن خروجه إليها:

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: خرج عُمر إلى الشام غازياً في سنة سبع عشرة؛ حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، فأخبروه أنَّ الأرض سقيمة، فرجع بالناس إلى المدينة.

وقد كان عمر - كما حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس - خرج غازياً، وخرج معه المهاجرون والأنصار، وأوعب الناس معه، حتى إذا نزل بسرغ، لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشُرحبيل بن حَسَنَة؛ فأخبروه أنَّ الأرض سقيمة، فقال عمر: اجمع إليَّ المهاجرين الأولين، قال: فجمعهم له، فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل: خرجت لوجهٍ تريد فيه الله وما عنده، ولا نرى أن يصدَّك عنه بلاء عرض لك. ومنهم القائل: إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدِّم عليه؛ فلما اختلفوا عليه قال: قوموا عني، ثم قال: اجمع لي مهاجرة الأنصار، فجمعهم له، فاستشارهم فسلَّكوا طريق المهاجرين، فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله. فلما اختلفوا عليه قال: قوموا عني، ثم قال: اجمع لي مهاجرة الفُتُح من قريش، فجمعهم له، فاستشارهم فلم يختلف عليه منهن اثنان، وقالوا: ارجع بالناس، فإنه بلاء وفناء. قال: فقال لي عمر: يابنَ عباس، اصْرُخْ في الناس فقل: إنَّ أمير المؤمنين يقول لكم إني مُصبح على ظُهر، فأصبحوا عليه قال: فأصبح عمر على ظُهر، وأصبح الناس عليه، فلما اجتمعوا عليه قال: أيُّها الناس؛ إني راجع فارجعوا، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قَدَر الله! قال: نعم فراراً من قَدَر الله إلى قَدَر الله؛ أرايت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان: إحداهما خَصْبَة والأخرى جَدْبَة، أليس يرعى مَنْ رعى الجدْبَة بقَدَر الله، ويرعى مَنْ رعى الخَصْبَة بقَدَر الله! ثم قال: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! ثم خلا به بناحية دون الناس؛ فبينما الناس على ذلك إذ أتى عبدُ الرحمن بن عوف - وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس - فقال: ما شأن الناس؟ فأخبر الخبر، فقال: عندي من هذا علم، فقال عمر: فأنت عندنا الأمين المصدق، فماذا عندك؟ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببِلَد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه»؛ ولا تخرجنكم إلَّا ذلك، فقال عمر: فله الحمد! انصرفوا أيُّها الناس، فانصرف بهم.

حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبد الله بن عمر؛ أنها حدَّثاه أنَّ عمر إنما رجع بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف؛ فلما رجع عمر رجع عمَّال الأجناد إلى أعمالهم.

وأما سيف، فإنه روى في ذلك ما كُتِب به إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان والربيع، قالوا: وقع الطاعون بالشَّام ومصر والعراق، واستقرَّ بالشَّام، ومات فيه الناس الذين هم في كلِّ الأمصار في المحرَّم وصفر، وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشَّام، فخرج حتى إذا كان منها قريباً بلغه أنه أشدُّ ما كان، فقال وقال الصحابة: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان بأرض وباء فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»، فرجع حتى ارتفع عنها؛ وكتبوا بذلك إليه وبما في أيديهم من الموارث، فجمع الناس في جمادى الأولى سنة سبع عشرة، فاستشارهم في البُلدان، فقال: إني قد بدا لي أن أطرف على

المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم، فأشيروا عليّ - وكعب الأحبار في القوم، وفي تلك السنة من إمارة عمر أسلم - فقال كعب: بأيّا تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين؟ قال: بالعراق، قال: فلا تفعل؛ فإن الشرّ عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء، فجزء من الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب، وإنّ جزءاً من الشرّ بالمغرب وتسعة بالمشرق، وبها قرن الشيطان، وكلّ داء عضال.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد، عن الأصبع، عن عليّ، قال: قام إليه عليّ، فقال: يا أمير المؤمنين، والله إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنّها لقبّة الإسلام، وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن إلّا أناها وحنّ إليها؛ والله لينصّرنّ بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المطرّح، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: وقال عثمان: يا أمير المؤمنين؛ إنّ المغرب أرض الشرّ، وإنّ الشرّ قسم مائة جزء؛ فجزء في الناس وسائر الأجزاء بها.

كتب إليّ السريّ، عن سيف، عن أبي يحيى التميمي، عن أبي ماجد، قال: قال عمر: الكوفة رمح الله، وقبّة الإسلام، وجمجمة العرب، يكفون ثغورهم، ويمدون الأمصار، فقد ضاعت موارث أهل عمّواس، فأبدأ بها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان، قالوا: قال عمر: ضاعت موارث الناس بالشّام؛ أبدأ بها فأقسم الموارث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثمّ أرجع فأثقلّب في البلاد، وأنبذ إليهم أمري. فأق عمر الشّام أربع مرّات، مرّتين في سنة ست عشرة، ومرّتين في سنة سبع عشرة، لم يدخلها في الأولى من الآخريتين.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن بكر بن وائل، عن محمد بن مسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «قُسّم الحفظ عشرة أجزاء، فتسعة في التّرك وجزء في سائر الناس، وقُسّم البخل عشرة أجزاء، فتسعة في فارس، وجزء في سائر الناس؛ وقُسّم السخاء عشرة أجزاء، فتسعة في السودان، وجزء في سائر الناس، وقُسّم الشّبّ عشرة أجزاء، فتسعة في الهند، وجزء في سائر الناس؛ وقُسّم الحياء عشرة أجزاء، فتسعة في النساء، وجزء في سائر الناس، وقُسّم الحسد عشرة أجزاء، فتسعة في العرب وجزء في سائر الناس، وقُسّم الكبر عشرة أجزاء، فتسعة في الرّوم وجزء في سائر الناس.

واختلف في خبر طاعون عمّواس وفي أيّ سنة كان، فقال ابن إسحاق ما حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عنه، قال: ثم دخلت سنة ثمانٍ عشرة؛ ففيها كان طاعون عمّواس، فتفانى فيها الناس، فتوفي أبو عبيدة بن الجراح؛ وهو أمير الناس، ومُعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسُهَيْل بن عمرو، وعُتْبَةُ بن سهيل، وأشرفُ الناس.

وحَدَّثني أحمد بن ثابت الرازيّ، قال: حَدَّثنا عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كان طاعون عمّواس والجابية في سنة ثمانٍ عشرة.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن شعبة بن الحجاج، عن المخارق بن عبدالله البجليّ، عن طارق بن شهاب البجليّ، قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدّث عنده، فلما جلسنا قال: لا عليكم أن تحفّوا، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تنزّهوا عن هذه

القرية، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزّوها حتى يُرفع هذا الوباء؛ سأخبركم بما يكره مما يتقي، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، ويظن من أقام فأصابه ذلك لو أنه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج، وأن يتنزه عنه؛ إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشّام عام طاعون عموّاس، فلما اشتغل الوجع، وبلغ ذلك عمر، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد، فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشفهك فيها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألاّ تضعه من يدك حتى تقبل إليّ. قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء، قال: يغفر الله لأمر المؤمنين! ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين، إن قد عرفت حاجتك إليّ، وإني في جند من المسلمين لا أجد نفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاه؛ فحلّلي من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي. فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أمت أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأنّ قد. قال: ثم كتب إليه: سلام عليك، أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضاً غميقة، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزّهة. فلما أتاه كتابه دعاني فقال: يا أبا موسى، إنّ كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فاخرج فارتدّ للناس منزلاً حتى أتبعك بهم، فرجعت إلى منزلي لأرتحل، فوجدت صاحبتني قد أصيبت، فرجعت إليه، فقلت له: والله لقد كان في أهلي حدّث، فقال: لعلّ صاحبتك أصيبت! قلت: نعم، فأمر ببيعه فرجل له، فلما وضع رجله في غرزة طعن فقال: والله لقد أصيبت. ثم سار بالناس حتى نزل الجابية، ورفع عن الناس الوباء.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن شهر بن حوشب الأشعري، عن رابة - رجل من قومه، وكان قد خلف على أمه بعد أبيه، كان شهد طاعون عموّاس - قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في الناس خطيباً، فقال: أيّها الناس، إنّ هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد ﷺ، وموت الصالحين قبلكم، وإنّ أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظّه. فطعن فمات، واستخلف على الناس مُعاذ بن جبل. قال: فقام خطيباً بعده، فقال: أيّها الناس، إنّ هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإنّ مُعاذاً يسأل الله أن يقسم لآل مُعاذ منه حظهم، فطعن ابنه عبد الرحمن بن مُعاذ، فمات. ثم قام فدعا به نفسه، فطعن في راحته؛ فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه، ثم يقول: ما أحبّ أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا، فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام خطيباً في الناس، فقال: أيّها الناس، إنّ هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتجلبوا منه في الجبال. فقال أبو وائلة الهذلي: كذبت، والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شرّ من حماري هذا! قال: والله ما أردّ عليك ما تقول، وإيم الله لا نقيم عليه. ثم خرج وخرج الناس فتفرّقوا، ورفع الله عنهم. قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص، فوالله ما كرهه.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن رجل، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرّمي، أنه كان يقول: بلغني هذا من قول أبي عبيدة وقول مُعاذ بن جبل: إنّ هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم؛ فكنت أقول: كيف دعا به رسول الله ﷺ لأمتّه، حتى حدّثني بعض من لا أتهم عن رسول الله أنه سمعه منه، وجاءه جبريل عليه السلام فقال: «إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون»؛ فجعل رسول الله ﷺ يقول: اللهم فناء الطاعون! فعرفت أنها التي كان قال أبو عبيدة ومُعاذ.

حدثنا ابنُ مُحمَّد، قال : حدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال : ولما انتهى إلى عمر مصابُ أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان، أمر معاوية بن أبي سفيان على جُند دمشق وخراجها، وأمر شُرْحبيل بن حَسَنَة على جُند الأردن وخراجها.

وأما سيف، فإنه زعم أن طاعونَ عَمَواس كان في سنة سبع عشرة.

كتب إليَّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بإسنادهم، قالوا : كان ذلك الطاعون - يعنون طاعونَ عَمَواس - موتاناً لم يُر مثله، طمع له العدو في المسلمين، وتخوّف له قلوب المسلمين، كثر موته، وطال مكثه، مكث أشهراً حتى تكلم في ذلك الناس.

كتب إليَّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن أبي سعيد، قال : أصاب البصرة من ذلك موت ذريع، فأمر رجل من بني تميم غلاماً له أعجمياً أن يحمل ابناً له صغيراً ليس له ولد غيره على حمار، ثم يسوق به إلى سفوان، حتى يلحقه. فخرج في آخر الليل ثم اتّبعه، وقد أشرف على سفوان، ودنا من ابنه وغلامه، فرفع الغلام عقيرته يقول :

لَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ عَلَى جِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي غُرَّةٍ مُطَارٍ
قَدْ يُصْبِحُ الْمَوْتُ أَمَامَ السَّارِي

فسكت حتى انتهى إليهم، فإذا هم هم ؟ قال : ويحك، ما قلت ! قال : ما أدري، قال : ارجع، فرجع بابنه، وعلم أنه قد أسمع آيةً وأريها.

قال : وعزم رجل على الخروج إلى أرض بها الطاعون فتردد بعدما طعن، فإذا غلام له أعجميّ يحذوبه :

يَأْيُهَا الْمُشْعَرُ هَمًّا لَا تُهَمُّ إِنَّكَ إِنْ تُكْتُبَ لَكَ الْحَمَى تُحَمُّ

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - كان خروج عمر إلى الشام الخرجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك في قول سيف ؟ وأما ابن إسحاق فقد مضى ذكره.

ذكر الخبر عن سيف في ذلك، والخبر عما ذكره عن عمر

في خروجه تلك أنه أحدث في مصالح المسلمين :

كتب إليَّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع، قالوا : وخرج عمر وخلف عليّاً على المدينة، وخرج معه بالصحابة وأغدوا السير واتخذوا أيلة طريقاً؛ حتى إذا دنا منها تنحى عن الطريق، واتّبعه غلامه، فنزل فبال، ثم عاد فركب بعير غلامه، وعلى رَحْله قَروم مقلوب، وأعطى غلامه مركبه، فلما تلقاه أوائل الناس، قالوا : أين أمير المؤمنين؟ قال : أمامكم - يعني نفسه - وذهبوا هم إلى أمامهم، فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها وقيل للمتلقين : قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها. فرجعوا إليه.

كتب إليَّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال : لما قدم عمر بن الخطاب أيلة، ومعه المهاجرون والأنصار دفع قميصاً له كرايس قد انجاب مؤخره عن قَعْدته من طول السير إلى الأسقف، وقال : اغسل هذا ورقعه، فانطلق الأسقف بالقميص، ورقعه، وخاط له آخر مثله، فراح به إلى عمر، فقال : ما هذا؟ قال : الأسقف : أمّا هذا فقميصك قد غسلته ورقعته، وأمّا هذا فكسوة لك مني. فنظر

إليه عمر ومسحه، ثم لبس قميصه، وردّ عليه ذلك القميص، وقال: هذا أنشفه للعرق.

كتب إلى السريّ، عن سيف، عن عطية وهلال، عن رافع بن عمر، قال: سمعتُ العباس بالجابية يقول لعمر: أربع مَنْ عَمِلَ بِهِنَّ استوجب العدل: الأمانة في المال، والتسوية في القَسَم، والوفاء بالعدة، والخروج من العيوب؛ نَظَّفَ نَفْسَكَ وأهلك.

كتب إلى السريّ، عن شعيب عن سيف، عن أبي عثمان والربيع وأبي حارثة بإسنادهم، قالوا: قسم عمر الأرزاق، وسمّى الشوائب والصوائف، وسدّ فروج الشام ومسالجها، وأخذ يدور بها، وسمّى ذلك في كلّ كورة، واستعمل عبدالله بن قيس على السواحل من كلّ كورة، وعزل شرحبيل، واستعمل معاوية، وأمر أبا عبيدة وخالدًا تحتَه، فقال له شرحبيل: أَعَن سُخْطَةُ عَزَلْتَنِي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لكما أحبّ، ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل، قال: نعم، فاعذرني في الناس لا تُدركني هُجْنَةٌ، فقام في الناس، فقال: أيها الناس، إني والله ما عزلتُ شرحبيل عن سُخْطَةٍ، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل. وأمر عمرو بن عَبْسة على الأهراء، وسمى كل شيء، ثم قام في الناس بالوداع.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي ضَمْرَةَ وأبي عمرو، عن المستورد، عن عديّ بن سُهيل، قال: لما فرغ من فروجه وأموره قسم الموارث، فورثَ بَعْضُ الورثة من بعض، ثم أخرجها إلى الأحياء من ورثة كلّ امرئ منهم.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي: وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته، فلم يرجع منهم إلا أربعة، فقال المهاجر بن خالد بن الوليد:

مَنْ يَسْكُنِ الشَّامَ يُعَرِّسُ بِهِ	والشَّامُ إن لم يُفِنَّا كَارِبُ
أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فُرسَانُهُمْ	عِشْرُونَ لم يُقْصَصْ لَهُم شَارِبُ
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلُهُمْ	لِمِثْلِ هَذَا أَعْجَبَ الْعَاجِبُ
طَعْنَا وَطَاعُونَا مَنَائَاهُمْ	ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

قال: وقفل عمر من الشام إلى المدينة في ذي الحجة، وخطب حين أراد القفول، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا إني قد وليتُ عليكم وقضيتُ الذي عليّ في الذي ولّاني الله من أمركم، إن شاء الله قسطنًا بينكم فينكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغنا ما لديكم، فجنّدنا لكم الجنود، وهيأنا لكم الفروج، وبوأناكم ووسّعنا عليكم ما بلغ فينكم وما قاتلتم عليه من شأمكم، وسمّينا لكم أطماعكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم، وأرزاقكم ومغانمكم فمن علم عِلْمَ شَيْءٍ ينبغي العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله، ولا قوّة إلا بالله. وحضرت الصلاة، وقال الناس: لو أمرت بلالاً فأذن! فأمره فأذن، فما بقي أحدٌ كان أدرك رسولَ الله ﷺ وبلال يؤذّن له إلا بكى حتى بلّ لحيته، وعمر أشدهم بكاء، وبكى مَنْ لم يدركه بيكائهم، ولذكره ﷺ.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: فما زال خالد على قنسرين حتى غزا غزواته التي أصاب فيها، وقسم فيها ما أصاب لنفسه.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي المجالد مثله. قالوا: وبلغ عمر أن خالدًا دخل

الحمام. فتدلك بعد النورة بشخين عُصفر معجون بخمر؛ فكتب إليه: بلغني أنك تدلكت بخمر؛ وإن الله قد حرّم ظاهر الخمر وباطنه، كما حرّم ظاهر الإثم وباطنه، وقد حرّم مسّ الخمر إلا أن تغسل كما حرّم شربها، فلا تمسوها أجسادكم فإنها نجس، وإن فعلتم فلا تعودوا.

فكتب إليه خالد: إنّا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إنّي أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء، فلا أمانتكم الله عليه! فأنتهى إليه ذلك.

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم في رواية سيف عن

شيوخه.

ذكر من قال ذلك:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والمهلب، قالوا: وأدرب سنة سبع عشرة خالد وعياض، فسارا فأصابا أموالاً عظيمة، وكانا توجّها من الجابية، مرجع عمر إلى المدينة، وعلى حصص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قنسرين، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان، وعلى الأردن معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مجرز، وعلى الأهراء عمرو بن عبّسة، وعلى السواحل عبدالله بن قيس، وعلى كلّ عمل عامل. فقامت مسالح الشام ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم لم تجز أمة إلى أخرى عملها بعد؛ إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم، فيقدّموا مسالحهم بعد ذلك، فاعتدل ذلك سنة سبع عشرة.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي المجالد وأبي عثمان والربيع وأبي حارثة، قالوا: ولما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابت تلك الصّائفة انتجعه رجال، فانتجع خالداً رجالاً من أهل الآفاق، فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالداً بقنسرين، فأجازه بعشرة آلاف. وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله، كتب إليه من العراق بخروج من خرج، ومن الشام بجائزة من أجيز فيها - فدعا البريد، وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث؛ أمن ماله أم من إصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقرّ بخيانة، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف. واعزله على كلّ حال، وأضمم إليك عمله. فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم عليه، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فقال: يا خالد، أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال إليه، فقال: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال: ما تقول! أمن مالك أم من إصابة؟ قال: لا بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده، ثم قال: نسمع ونطيع لولائنا، ونفخ ونخدم مواليّنا، قالوا: وأقام خالد متحيراً لا يدري أمعزول أم غير معزول؟ وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظنّ الذي قد كان، فكتب إليه بالإقبال، فأتى خالد أبا عبيدة، فقال: رحمك الله، ما أردت إلى ما صنعت! كتمتني أمراً كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم! فقال أبو عبيدة: إنّي والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدءاً، وقد علمت أن ذلك يروحك. قال: فرجع خالد إلى قنسرين، فخطب أهل عمله وودّعهم وتحمل، ثم أقبل إلى حصص فخطبهم وودّعهم، ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر، فشكاه وقال: لقد شكوتك إلى المسلمين؛ وبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر، فقال عمر: من أين هذا الشراء؟ قال: من الأنفال والسهمان، ما زاد على الستين ألفاً فلك. فقوم عمر غروضه فخرجت إليه

عشرون ألفاً، فأدخلها بيت المال . ثم قال : يا خالد، والله إنك عليّ لكریم، وإنك إليّ لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبدالله بن المستورد، عن أبيه، عن عديّ بن سهيل، قال : كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً عن سُخْطه ولا خيانه، ولكنّ الناس فتّنوا به، فخفت أن يُوكّلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أنّ الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، عن سالم، قال : لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلاً :

صَنَعْتَ فَلَمْ يَصْنَعْ كَصُنْعِكَ صَانِعٌ وَمَا يَصْنَعُ الْأَقْوَامُ فَاللَّهُ يَصْنَعُ

فأغرمه شيئاً، ثم عوّضه، وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذرهم عندهم وليبصّرهم .

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - اعتمر عمر، وبنى المسجد الحرام - فيها زعم الواقديّ - ووسّع فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها .

قال : وكان ذلك الشهر الذي اعتمر فيه رجب، وخلف على المدينة زيد بن ثابت .

قال الواقديّ : وفي عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مخزّمة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزيّ وسعيد بن يربوع .

قال : وحديثي كثير بن عبد الله المزنيّ، عن أبيه، عن جدّه، قال : قدمنا مع عمر مكة في عمرته سنة سبع عشرة، فمرّ بالطريق فكلمه أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء - فأذن لهم، وشرط عليهم أنّ ابن السبيل أحقّ بالظلّ والماء .

قال : وفيها تزوّج عمر بن الخطاب أمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة .

قال : وفي هذه السنة ولّى عمر أبا موسى البصرة، وأمره أن يُشخّص إليه المغيرة في ربيع الأول - فشهد عليه - فيما حدّثني معمر، عن الزهريّ، عن ابن المسيّب - أبو بكر، وشبّل بن معبد البجليّ، ونافع بن كلدة، وزيايد .

قال : وحديثي محمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه، قال : كان يختلف إلى أمّ جميل، امرأة من بني هلال؛ وكان لها زوّج هلك قبل ذلك من ثقيف، يقال له الحجاج بن عبّيد، فكان يدخل عليها، فبلغ ذلك أهل البصرة، فأعظموه، فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها، وقد وضعوا عليها الرّصد، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعاً، فكشفوا الستر، وقد واقعها . فوفد أبو بكر إلى عمر، فسمع صوته وبينه وبينه حجاب، فقال : أبو بكر؟ قال : نعم، قال : لقد جئت لشرّ، قال : إنما جاء بي المغيرة، ثم قصّ عليه القصّة، فبعث عمر أبا موسى الأشعريّ عاملاً، وأمره أن يبعث إليه المغيرة، فأهدى المغيرة لأبي موسى عقيلة، وقال : إني رضيته لك، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر .

قال الواقدي: وحَدَّثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان، قال: حضرتُ عمر حين قُدِمَ بالمغيرة، وقد تزوّج امرأة من بني مَرّة، فقال له: إنك لفارغ القلب، طويل الشَّبَق، فسمعتُ عمر يسأل عن المرأة. فقال: يقال لها الرقطاء، وزوجها من ثقيف، وهو من بني هلال.

قال أبو جعفر: وكان سبب ما كان بين أبي بكر والشهادة عليه - فيما كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو بإسنادهم، قالوا: كان الذي حدث بين أبي بكر والمغيرة بن شعبة أن المغيرة كان يناغيه، وكان أبو بكر ينافره عند كل ما يكون منه، وكانا بالبصرة، وكانا متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين متقابلتين لهما في داريهما في كل واحدة منهما كُوّة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكر نفر يتحدثون في مشربته، فهبت ريح، ففتحت باب الكُوّة، فقام أبو بكر ليصْفقه، فبصر بالمغيرة، وقد فتحت الريح باب كُوّة مشربته، وهو بين رجلَي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا، فقاموا فنظروا، ثم قال: اشهدوا، قالوا: من هذه؟ قال: أم جميل ابنة الأفقم - وكانت أم جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، وكانت غاشية للمغيرة، وتغشى الأمراء والأشراف - وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها - فقالوا: إنما رأينا أعجازاً، ولا ندري ما الوجه؟ ثم إنهم صمّموا حين قامت، فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكر بينه وبين الصلاة وقال: لا تصل بنا. فكتبوا إلى عمر بذلك، وتكاتبوا، فبعث عمر إلى أبي موسى، فقال: يا أبا موسى، إني مستعملك؛ إني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرّخ، فالزم ما تعرف، ولا تستبدل فيستبدل الله بك. فقال: يا أمير المؤمنين، أعني بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالمخ لا يصلح الطعام إلّا به. فاستعين بمن أحببت. فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً: منهم أنس بن مالك وعمران بن حصّين وهشام بن عامر. ثم خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمربد، وبلغ المغيرة أن أبا موسى قد أناخ بالمربد فقال: والله ما جاء أبو موسى زائراً، ولا تاجراً، ولكنه جاء أميراً. فأنهم لفي ذلك، إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم، فدفع إليه أبو موسى كتاباً من عمر، وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس؛ أربع كلم عزل فيها، وعاتب، واستحث، وأمر: أما بعد، فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميراً، فسلم إليه ما في يدك، والعجل. وكتب إلى أهل البصرة: أمّا بعد، فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم، ليأخذ لضعيفكم من قوَّيكم، وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم، وليحصي لكم فيئكم ثم ليقسمه بينكم، ولينقي لكم طرقكم.

وأهدى له المغيرة وليدة من مولدات الطائف تدعى عقيلة، وقال: إني قد رضيتها لك - وكانت فارهة - وارتحل المغيرة وأبو بكر ونافع بن كلدة وزياد وشبل بن معبد البجلي حتى قدِموا على عمر، فجمع بينهم وبين المغيرة، فقال المغيرة: سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني؛ مستقبلهم أو مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة أو عرفوها؟ فإن كانوا مستقبلي فكيف لم أستر، أو مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي! والله ما أتيت إلّا امرأتى - وكانت شبهها - فبدأ بأبي بكر، فشهد عليه أنه رآه بين رجلَي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة، قال: كيف رأيتهما؟ قال مستدبرهما، قال: فكيف استثبتت رأسها؟ قال: تحملت. ثم دعا بشبل بن معبد، فشهد بمثل ذلك، فقال: استدبرتهما أو استقبلتهما؟ قال: استقبلتهما. وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكر، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم؛ قال: رأيته جالساً بين رجلَي امرأة، فرأيت قدمين مخضوبتين تحفّقان، واستين

مكشوفتين، وسمعت حَفْزَانًا شديدًا. قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا، قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا، ولكن أشبهها، قال: فتَنَحَّ، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحدَّ، وقرأ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١)، فقال المغيرة: اشفني من الأعبء، فقال: اسكت أسكت الله نأمتك! أما والله لو تَمَّت الشهادة لرجمتك بأحجارك.

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - فتحت سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى في قول بعضهم، وفي قول آخرين: كان ذلك في سنة ست عشرة من الهجرة.

ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يدي من جرى:

كتب إلى السري، يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف بن عمر، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: كان الهُرمزان أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أمته مَهْرَجَان قَذَق وكُور الأهواز، فهؤلاء بيوتات دون سائر أهل فارس، فلما انهزم يوم القادسية كان وجهه إلى أمته، فملكهم وقاتل بهم من أرادهم، فكان الهُرمزان يُغير على أهل ميسان ودستميسان من وجهين، من مناذر ونهر تيرى، فاستمد عتبة بن غزوان سعداً، فأمدّه سعد بنعيم بن مُقَرّن ونعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى. ووجه عتبة بن غزوان سُلمى بن القين وحرملة بن مُرَيْطَة - وكانا من المهاجرين مع رسول الله ﷺ، وهما من بني العدوية من بني حنظلة - فتزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان، بينهم وبين مناذر، ودعوا بني العم، فخرج إليهم غالب الوائلي وکليب بن وائل الكلبي، فتركا نعيماً ونعيماً ونكبا عنهما، وأتيا سُلمى وحرملة، وقالوا: أنتما من العشيرة، وليس لكما مترك؛ فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهْرمزان، فإن أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى؛ فنقتل المقاتلة، ثم يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهُرمزان شيء إن شاء الله. ورجعاً وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك.

قال: وكان من حديث العمي؛ والعمي مرة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم - أنه تَنَحَّت عليه وعلى العُصية بن امرئ القيس أفناء معدّ فعمّاه عن الرشد من لم ير نصره فارس على آل أزدوان، فقال في ذلك كعب بن مالك أخوه - ويقال: صدي بن مالك:

لقد عم عنها مرة الخير فانصمى وصم فلم يسمع دعاء العشائر
ليتنخ عنا رغبة عن بلاده ويطلب ملكاً عالياً في الأساور

فهذا البيت سمي العم؛ فليل بنو العم؛ عمّوه عن الصواب بنصره أهل فارس كقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾^(٢)؛ وقال يربوع بن مالك:

لقد علمت علياً معداً بأننا غداة التباهي غرّ ذاك التبادر
تنحنا على رغم العداة ولم نُنخ بحي تميم والعديد الجماهير
نفينا عن الفرس النبط فلم يزل لنا فيهم إحدى الهنات البهاتير

(١) سورة النور: ٣٣.

(٢) سورة المائدة: ٧١.

إذا العَرَبُ العَلِيَاءُ جاشت بحورُها فخرنا على كلِّ البحورِ الزواجرِ

وقال أيوب بن العَصِيَّة بن امرئ القيس :

لَنَحْنُ سَبَقْنَا بالتُّنُوخِ القَبَائِلَا وَعَمَدًا تَنَحُّنَا حَيْثُ جَاؤُوا قَنَابِلَا
وَكُنَّا مُلُوكًا قَدْ عَزَزْنَا الأَوَائِلَا وَفِي كُلِّ قَرْنٍ قَدْ مَلَكْنَا الحَلَالِلَا

فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سُلمى وحرملة وغالب وكُليب، والهُرمزان يومئذ بين نهر تيرى بين دُث، خرج سُلمى وحرملة صبيحتها في تعبٍ، وأنهما نُعيًا ونُعيًا فالتقوا هم والهُرمزان بين دُث ونهر تيرى، وسُلمى بن القَيْن على أهل البصرة، ونُعيم بن مقرن على أهل الكوفة. فاقتتلوا فيناهم في ذلك أقبل المدد من قِبَل غالب وكُليب، وأتى الهمزان الخبرُ بأن مَنَادر ونهر تيرى قد أخذتا، فكسر الله في ذُرعه وذُرْع جنده، وهزمه وإياهم، فقتلوا منهم ما شَاؤوا، وأصابوا منهم ما شَاؤوا، وأنبعهم حتى وقفوا على شاطئ دُجِيل، وأخذوا ما دونه، وعسكروا بحيال سوق الأهواز، وقد عبر الهمزان جسرَ سوق الأهواز، وأقام بها، وصار دُجِيل بين الهمزان وحرملة وسُلمى ونُعيم وغالب وكُليب.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المغيرة العبدي، عن رجل من عبد القيس يدعى ضحاراً، قال: قدمت على هَرم بن حَيان - فيما بين الدلوث ودُجِيل - بجلال من تمر، وكان لا يصبر عنه، وكان جل زاده إذا تزود التمر، فإذا فنى انتخب له مزاد من جلال وهم ينفرون فيحملها فيأكلها ويطعمها حيثما كان من سهل أو جبل.

قالوا: ولما دهم القوم الهمزان ونزلوا بحياه من الأهواز رأى ما لا طاقة له به، فطلب الصلح، فكتبوا إلى عُتْبة بذلك يستأمرونه فيه، وكتبه الهمزان، فأجاب عُتْبة إلى ذلك على الأهواز كلها ومَهْرَجَان قَدَق، ما خلا نهر تيرى ومَنَادر، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنه لا يُرد عليهم ما تنقذنا. وجعل سُلمى بن القَيْن على مَنَادر مسلحةً وأمرها إلى غالب، وحرملة على نهر تيرى وأمرها إلى كُليب؛ فكانا على مسالحي البصرة وقد هاجرت طوائف بني العَم، فنزلوا منازلهم من البصرة، وجعلوا يتتابعون على ذلك، وقد كتب بذلك عُتْبة إلى عمر، ووقد وقدأ منهم سُلمى، وأمره أن يستخلف على عمله، وحرملة - وكانا من الصحابة - وغالب وكُليب، ووقد وفود من البصرة يومئذ، فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم، فكلهم قال: أما العامة فأت صاحبها، ولم يبق إلا خواص أنفسنا، فطلبوا لأنفسهم، إلا ما كان من الأحنف بن قيس، فإنه قال: يا أمير المؤمنين؛ إنك لكما ذكروا، ولقد يعزب عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة، وإنما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر، ويسمع بأذانهم، وإننا لم نزل منزلًا بعد منزل حتى أرزنا إلى البر، وإن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حَذَقَة البعير الغاسقة؛ من العيون العذاب، والجنان الخصاب، فتأتيهم ثمارهم ولم تُخَصَّد، وإننا معشر أهل البصرة نزلنا سَبْخَة هَشَاشَة، زَعَقَة نَشَاشَة، طَرَف لها في الفلاة وطَرَف لها في البحر الأجاج، يجري إليها ما جرى في مثل مَرَى النعامة. دارنا فَعْمَة، ووظيفتنا ضَيِّقَة، وعددنا كثير، وأشرفنا قليل، وأهل البلاء فينا كثير، ودرهمنا كبير، وقفيزنا صغير؛ وقد وسَّع الله علينا، وزادنا في أرضنا، فوسَّع علينا يا أمير المؤمنين، وزدنا وظيفة تُوظَّف علينا، ونعيش بها. فنظر إلى منازلهم التي كانوا بها إلى أن صاروا إلى الحَجَر فنقلهموه وأقطعهموه، وكان مما كان لآل كسرى، فصار فيئاً فيما بين دجلة والحَجَر، فاقسموه، وكان سائر ما كان لآل

كسرى في أرض البصرة على حال ما كان في أرض الكوفة يُنزلونه من أحبوا، ويقتسمونه بينهم؛ لا يستأثرون به على بدء ولا ثنى، بعدما يرفعون خمسة إلى الوالي. فكانت قطائع أهل البصرة نصفين: نصفها مقسوم، ونصفها متروك للعسكر وللإجماع؛ وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية. ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء في الألفين حتى ساواهم بهم، ألحق جميع من شهد الأهواز. ثم قال: هذا الغلام سيد أهل البصرة، وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه ويشرب برأيه، ورد سلمي وحرمله وغالباً وكليلاً إلى مناذر ونهر تيرى، فكانوا عدة فيه لكون إن كان، وليميزوا خراجها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر، قالوا: بينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وکليب في حدود الأرضين اختلاف وادعاء، فحضر ذلك سلمي وحرمله لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالباً وکليباً محقين والهرمزان مبطلا، فحالا بينه وبينهما، فكفر الهرمزان أيضاً ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جنده. وكتب سلمي وحرمله وغالب وکليب ببغية الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة بن غزوان، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بأمره، وأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ، وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه. فنهد الهرمزان بمن معه وسلمي وحرمله وغالب وکليب، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال: اعبروا إلينا، فعبروا من فوق الجسر، فاقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الأهواز، حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشغرة حتى حل برامهرمز، وافتتح حرقوص سوق الأهواز، فأقام بها ونزل الجبل، وآسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر، ووقد وفداً بذلك، فحمد الله، ودعا له بالثبات والزيادة. وقال الأسود بن سريع في ذلك - وكانت له صحبة:

لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو أَبِينَا	وَلَكِنْ حَافَظُوا فَيَمَنْ يُطِيعُ
أَطَاعُوا رَبَّهُمْ وَعَصَاهُ قَوْمُ	أَضَاعُوا أَمْرَهُ فَيَمَنْ يُضِيعُ
مَجُوسٌ لَا يُنْهِنُهَا كِتَابُ	فَلَا قُوا كِبَةً فِيهَا قُبُوعُ
وَوَلَّى الْهُرْمُزَانُ عَلَى جَوَادِ	سَرِيعِ الشَّدِّ يَثْفُنُهُ الْجَمِيعُ
وَحَلَّى سُرَّةَ الْأَهْوَازِ كَرَهَا	غَدَاةَ الْجِسْرِ إِذْ نَجَمَ الرَّبِيعُ

وقال حرقوص:

غَلَبْنَا الْهُرْمُزَانَ عَلَى بِلَادِ	لَهَا فِي كُلِّ نَاجِيَةٍ ذَخَائِرُ
سَوَاءَ بَرُّهُمْ وَالْبَحْرُ فِيهَا	إِذَا صَارَتْ نَوَاجِبُهَا بَوَاكِرُ
لَهَا بَحْرٌ يَعِجُ بِجَانِبَيْهِ	جَعَا فِرُّ لَا يَزَالُ لَهَا زَوَاخِرُ

وفيها فتحت تستر في قول سيف وروايته - أعني سنة سبع عشرة - وقال بعضهم: فتحت سنة ست عشرة، وبعضهم يقول: في سنة تسع عشرة.

ذكر الخبر عن فتحها:

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر، قالوا: لما انهزم الهرمزان

يوم سوق الأهواز، وافتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز، أقام بها، وبعث جزء بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سُرَق، وقد كان عهد إليه فيه: إن فتح الله عليهم أن يُتبعه جزءاً، ويكون وجهه إلى سُرَق. فخرج جزء في أثر الهرمزان، والهرمزان متوجّه إلى رامهرمز هارباً، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشَّعْر، وأعجزه بها الهرمزان؛ فمال جزء إلى دورق من قرية الشَّعْر؛ وهي شاعرة برجلها - ودورق مدينة سُرَق فيها قوم لا يطيقون منعها - فأخذها صافية، وكتب إلى عمر بذلك وإلى عُتْبَة، وبدعائه من هرب إلى الجزاء والمنعة، وإجابتهما إلى ذلك. فكتب عمر إلى جزء بن معاوية وإلى حرقوص بن زهير بلزوم ما غلبا عليه، وبالمقام حتى يأتيهما أمره، وكتب إليه مع عُتْبَة بذلك، ففعلا واستأذن جزء في عمران بلاده عمر، فأذن له، فشقَّ الأنهار، وعمر الموات. ولما نزل الهرمزان رامهرمز وضافت عليه الأهواز والمسلمون حلالاً فيها فيما بين يديه، طلب الصلح، وراسل حرقوصاً وجزءاً في ذلك، فكتب فيه حرقوص إلى عمر، فكتب إليه عمر وإلى عُتْبَة، يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها على رامهرمز وتُسْتَر والسوس وجُنْدَى سابور، والبُنيان ومهرجا نَقْدَق، فأجابهم إلى ذلك، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم، وأقام الهرمزان على صلحة يجيئ إليهم ويمنعونه، وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذُّبوا عنه. وكتب عمر إلى عُتْبَة أن أوفد عليّ وفداً من صلحاء جند البصرة عشرة، فوفد إلى عمر عشرة، فيهم الأحنف. فلما قدم على عمر قال: إنك عندي مصدّق، وقد رأيتك رجلاً، فأخبرني أن ظلمت الذمة، المظلمة نفروا أم لغير ذلك؟ فقال: لا بل لغير مظلمة، والناس على ما تحب. قال: فنعم إذا! انصرفوا إلى رجالكم. فانصرف الوفد إلى رحالهم، فنظر في ثيابهم فوجد ثوباً قد خرج طرفه من عيبة فشمه، ثم قال: لمن هذا الثوب منكم؟ قال الأحنف: لي، قال: فبكم أخذته؟ فذكر ثمناً يسيراً، ثمانية أونحوها، ونقص مما كان أخذه به - وكان قد أخذه باثني عشر - قال: فهلاً بدون هذا، ووضعت فضلته موضعاً تغني به مسلماً! حُصُوا وضعوا الفضول مواضعها تريخوا أنفسهم وأموالكم، ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم؛ إن نظر امرؤ لنفسه وقدم لها يُخْلَفْ له. وكتب عمر إلى عُتْبَة أن أعزب الناس عن الظلم، واتقوا واحذروا أن يُدال عليكم لغدر يكون منكم أوبغي، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدّم إليكم فيما أخذ عليكم. فأوفوا بعهد الله، وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً.

وبلغ عمر أنّ حرقوصاً نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه، والجبل كؤود يشقّ على من راحه. فكتب إليه: بلغني أنك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤقّ فيه إلّا على مشقة، فأسهل ولا تشقّ على مسلم ولا معاهد، وقم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا، ولا تدركك فترة ولا عجلة، فتكدر دنياك، وتذهب آخرتك.

ثم إن حرقوصاً تحرّر يوم صَفَيْن وبقي على ذلك، وشهد النهروان مع الحرورية.

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - غزا المسلمون أرض فارس من قِبَل البحرين فيما زعم سيف ورواه.

ذكر الخبر بذلك:

كتب إلى السريّ، يقول: حدّثنا شعيب، قال: حدّثنا سيف، عن محمد والمهلب وعمرو، قالوا: كان

المسلمون بالبصرة وأرضها - وأرضها يومئذ سوادها، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم، ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم، وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله، يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم، ولهم الذمة والمنعة - وعميد الصلح الهرمزان. وقد قال عمر: حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز، وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم، كما قال لأهل الكوفة: وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا من نار لا يصلون إلينا منه، ولا نصل إليهم.

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر، فعزله عمر، وجعل قدامة بن المظعون مكانه، ثم عزل قدامة وردّ العلاء، وكان العلاء يباري سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعد في الردّة بالفضل؛ فلما ظفر سعد بالقادسيّة، وأزاح الأكاسرة عن الدار، وأخذ حدود ما يلي السواد، واستعلّى، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به، سرّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم، فرجا أن يُدال كما قد كان أديل، ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجدّ، وكان أبو بكر قد استعمله، وأذن له في قتال أهل الردّة، واستعمله عمر، ونهاه عن البحر، فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبها، فندب أهل البحرين إلى فارس، فترسّعوا إلى ذلك، وفرّقهم أجناداً؛ على أحدهما الجارود بن المعلّى، وعلى الآخر السّوار بن همام، وعلى الآخر خُليد بن المنذر بن ساوى؛ وخُليد على جماعة الناس، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً؛ يكره التغرير بجنده استنانياً بالنبي ﷺ وبأبي بكر، لم يغز فيه النبي ﷺ ولا أبو بكر. فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا في إصطخر، وبيزائهم أهل فارس، وعلى أهل فارس الهُرَيْذ، اجتمعوا عليه، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خُليد في الناس، فقال: أما بعد؛ فإنّ الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه، وإنّ هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم؛ وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، فاستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. فأجابوه إلى ذلك فصلّوا الظهر، ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طاؤس، وجعل السّوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه، ويقول:

يا آلَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَلْقِرَاعِ قَدْ حَفَلَ الْأُمْدَادُ بِالْجِرَاعِ
وَكُلُّهُمْ فِي سَنَنِ الْمِصَاعِ يَحْسِنُ ضَرْبَ الْقَوْمِ بِالْقَطَاعِ

حتى قتل. وجعل الجارود يرتجز ويقول:

لو كان شيئاً أمماً أكلته أو كان ماءً سادماً جهرته
لكنّ بحراً جاءنا أنكرته

حتى قتل. ويومئذ وليّ عبد الله بن السّوار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا. وجعل خُليد يومئذ يرتجز ويقول:

يَا تَمِيمِ أَجْمِعُوا النُّزُولَ وَكَادَ جَيْشُ عُمَرَ يَزُولُ
وَكُلُّكُمْ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ

انزلوا، فنزلوا. فاقتتل القوم فقتل أهل فارس مقتلة لم يُقتلوا مثلها قبلها. ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم، ثم لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً. ثم وجدوا شهرك قد أخذ على المسلمين بالطرق؛

فعمسكروا وامتنعوا في نُشوبهم . ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر أَلقيَ في رُوعه نحوُ من الذي كان . فاشتد غضبه على العلاء ، وكتب إليه يعزله وتوعده ، وأمره بأنقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه ؛ بتأمر سعد عليه ، وقال : الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك ، فخرج بمن معه نحو سعد . وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين ، فأقطعهم أهل فارس ، وعصاني ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إلا يُنصروا أن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس ، واضممهم إليك من قبل أن يُجتاحوا . فندب عتبة الناس ، وأخبرهم بكتاب عمر . فانتدب عاصم بن عمرو ، وعرفجة بن حرثمة ، وحذيفة بن محصن ، ومجزأة بن ثور ، ونهار بن الحارث ، والترجمان بن فلان ، والحصين بن أبي الحر ، والأحنف بن قيس ، وسعد بن أبي العرجاء ، وعبد الرحمن بن سهل ، وصعصعة بن معاوية ؛ فخرجوا في اثني عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل ، وعليهم أبو سبرة بن أبي رُهم أحد بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، والمسالح على حالها بالأهواز والذمة ، وهم رداء للغازي والمقيم . فسار أبو سبرة بالناس ، وساحل لا يلقاه أحد ، ولا يعرض له ؛ حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطرق غب وقعة القوم بطاوس ، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطخر وحدهم ، والشذاذ من غيرهم ؛ وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق ، وأنشبوهم ، استصرخوا عليهم أهل فارس كلهم ؛ فضربوا إليهم من كل وجه وكورة ، فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس ، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم ، وعلى المشركين شهرک ؛ فاقتتلوا ، ففتح الله على المسلمين ، وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شأوا - وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة ؛ وكانوا أفضل نوابت الأمصار ؛ فكانوا أفضل المصيرين نابتة - ثم انكفؤوا بما أصابوا ، وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحث وقلة العرجة ، فانضموا إليه بالبصرة ، فخرج أهلها إلى منازلهم منها ، وتفرق الذين تنقذوا من أهل هجر إلى قبائلهم ، والذين تنقذوا من عبد القيس في موضع سوق البحرين . ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس ؛ استأذن عمر في الحج ، فأذن له ، فلما قضى حجه استعفاه ، فأبى أن يعفيه ، وعزم عليه ليرجعن إلى عمله ؛ فدعا الله ثم انصرف ؛ فمات في بطن نخلة ، فدفن ؛ وبلغ عمر ، فمر به زائراً لقبره ، وقال : أنا قتلتك ، لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم ؛ وأثنى عليه بفضلته ، ولم يخط فيمن اختط من المهاجرين ؛ وإنما ورث ولده منزلهم من فاختة ابنة غزوان ، وكانت تحت عثمان بن عفان ، وكان خباب مولاة قد لزم سمته فلم يخط ، ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمدائن ، وقد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبي رُهم ، وعماله على حالهم ، ومساحه على نهر تيرى ومناذر وسوق الأهواز وسرق والهزمان برامهرمز مصالح عليها ، وعلى السوس والبنيان وجندي سابور ومهرجان قذق ؛ وذلك بعد تنقذ الذين كان حمل العلاء في البحر إلى فارس ، ونزولهم البصرة .

وكان يقال لهم أهل طاوس ، نسيبوا إلى الوقعة . وأقر عمر أبا سبرة بن أبي رُهم على البصرة بقية السنة . ثم استعمل المغيرة بن شعبة في السنة الثانية بعد وفاة عتبة ، فعمل عليها بقية تلك السنة والسنة التي تليها ، لم ينتقص عليه أحد في عمله ؛ وكان مرزوقاً السلامة ؛ ولم يحدث شيئاً إلا ما كان بينه وبين أبي بكر .

ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة ، ثم صرف إلى الكوفة ، ثم استعمل عمر بن سراقه ، ثم صرف عمر بن سراقه إلى الكوفة من البصرة ، وصرف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة ؛ فعمل عليها ثانية .

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - كان فتح رامهرمز والسوس وتُسْتَر. وفيها أسر الهَرَمَزَان في رواية سيف.

ذكر الخبر عن فتح ذلك من روايته:

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو؛ قالوا: ولم يزل يَزْدَجِرْد يُثير أهل فارس أسفاً على ما خرج منهم؛ فكتب يَزْدَجِرْد إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرو، يذكرهم الأحقاد ويؤثبهم؛ أن قد رضى بكم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه، والأهواز. ثم لم يرضوا بذلك حتى تورّدوكم في بلادكم وعُقر داركم، فتحرّكوا وتكاتبوا: أهل فارس وأهل الأهواز، وتعاهدوا وتعاهدوا وتوثقوا على النصرة، وجاءت الأخبار حرقوص بن زهير، وجاءت جزءاً وسُلْمى وحرملة عن خبر غالب وكليب؛ فكتب سُلْمى وحرملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة، فسبق كتاب سُلْمى حرملة، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن، وعجل وابعث سويد بن مقرن، وعبد الله بن ذي السهمين، وجريز بن عبد الله الحميري، وجريز بن عبد الله البجلي؛ فلينزلوا بإزاء الهَرَمَزَان حتى يتبينوا أمره. وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهل بن عدي - أخا سهيل بن عدي - وابعث معه البراء بن مالك، وعاصم بن عمرو، ومجزأة بن ثور، وكعب بن سور، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، وعبد الرحمن بن سهل، والحصين بن معبد؛ وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رُهم؛ وكل من أتاه فمدد له.

وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان، ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، وانتهى إلى نهر تيرى فجازها، ثم جاز منادر، ثم جاز سوق الأهواز، وخلف حرقوصاً وسُلْمى وحرملة، ثم سار نحو الهَرَمَزَان - والهَرَمَزَان يومئذ برامهرمز - ولما سمع الهَرَمَزَان بمسير النعمان إليه بادره الشدة، ورجا أن يقطعه، وقد طمع الهَرَمَزَان في نصر أهل فارس، وقد أقبلوا نحوه، ونزلت أوائل أمدادهم بتُسْتَر، فالتقى النعمان والهَرَمَزَان بأربك، فاقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إن الله عز وجل هزم الهَرَمَزَان للنعمان، وأخلى رامهرمز وتركها ولحق بتُسْتَر، وسار النعمان من أربك حتى ينزل برامهرمز، ثم صعد لإيذج، فصالحه عليها تيرويه، فقبل منه وتركه ورجع إلى رامهرمز فأقام بها.

قالوا: ولما كتب عمر إلى سعد وأبي موسى، وسار النعمان وسهل، سبق النعمان في أهل الكوفة سهلاً وأهل البصرة، ونكب الهَرَمَزَان، وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الأهواز، وهم يريدون رامهرمز، فأتتهم الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أن الهَرَمَزَان قد لحق بتُسْتَر، فمالوا من سوق الأهواز نحوه، فكان وجههم منها إلى تُسْتَر، ومال النعمان من رامهرمز إليها، وخرج سُلْمى وحرملة وحرقوص وجزء، فنزلوا جميعاً على تُسْتَر والنعمان على أهل الكوفة، وأهل البصرة متساندون، وبها الهَرَمَزَان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق، وكتبوا بذلك إلى عمر، واستمدّه أبو سبرة فأمدّهم بأبي موسى، فسار نحوهم، وعلى أهل الكوفة النعمان، وعلى أهل البصرة أبو موسى، وعلى الفريقين جميعاً أبو سبرة، فحاصروهم أشهراً، وأكثروا فيهم القتل. وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارز، سوى من قتل في غير ذلك، وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، وقتل كعب بن سور مثل ذلك، وقتل أبو تيمية مثل ذلك في عدة

من أهل البصرة. وفي الكوفيين مثل ذلك؛ منهم حبيب بن قرة، وربيع بن عامر، وعامر بن عبد الأسود. وكان من الرؤساء. في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم، وزاحفهم المشركون في أيام تُسْتَرُّ ثمانين رَحْفًا في حصارهم؛ يكون عليهم مرةً ولهم أخرى؛ حتى إذا كان في آخر رَحْفًا في حصارهم؛ يكون عليهم مرةً ولهم أخرى؛ حتى إذا كان في آخر رَحْف منها واشتد القتال قال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك ليهزمهم لنا! فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني. قال: فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثم اقتحموها عليهم، وأرزوا إلى مدينتهم، وأحاطوا بها، فبيناهم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة، وطالت حربهم، خرج إلى النعمان رجل فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يُوثَن منه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم [فقال]: قد وثقت بكم وأمنتكم واستأمنتكم على أن دللتكم على ما تأتون منه المدينة، ويكون منه فتحها، فأمّوه في نُشابة فرمى إليهم بآخر، وقال: انهضوا من قبل مخرج الماء؛ فإنكم ستفتحونها، فاستشار في ذلك وندب إليه، فانتدب له عامر بن عبد قيس، وكعب بن سور، ومجزأة بن ثور، وحسكة الحبطي، وبشر كثير؛ فنهضوا لذلك المكان ليلاً، وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرجل، فانتدب له سويد بن المثعبة، وورقاء بن الحارث، وبشر بن ربيعة الخثعمي، ونافع بن زيد الحميري، وعبد الله بن بشر الهلالي، فنهضوا في بشر كثير، فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج، وقد انسرب سويد وعبد الله بن بشر، فأتبعهم هؤلاء وهؤلاء؛ حتى إذا اجتمعوا فيها - والناس على رجل من خارج - كبروا فيها، وكبر المسلمون من خارج، وفتحت الأبواب؛ فاجتلدوا فيها، فأناموا كل مقاتل، وأررز الهرمزان إلى القلعة، وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء؛ فلما عاينوه وأقبلوا قبله قال لهم: ما شئتم! قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم، ومعني في جعيتي مائة نُشابة؛ ووالله ما تصلون إلي ما دام معي منها نُشابة؛ وما يقع لي سهم؛ وما خبر إساري إذا أصبت منكم مائة بين قتيل أو جريح! قالوا: فتريد ماذا؟ قال: أن أضع يدي في أيديكم على حُكْم عُمر يصنع بي ما شاء، قالوا: فلك ذلك، فرمى بقوسه، وأمكنهم من نفسه، فشدّوه وثاقاً، واقتسموا ما أفاء الله عليهم؛ فكان سهم الفارس [فيها] ثلاثة آلاف، والراجل ألفاً؛ ودعا صاحب الرمية بها، فجاء هو والرجل الذي خرج بنفسه، فقالا: من لنا بالأمان الذي طلبنا؛ علينا وعلى من مالٍ معنا؟ قالوا: ومن مال معكم؟ قالوا: من أغلق باباً عليه مدخلكم. فأجازوا ذلك لهم، وقتل من المسلمين ليلتئذ أناس كثير، ومن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور، والبراء بن مالك.

قالوا: وخرج أبو سبرة في أثر الفل من تُسْتَر. وقد قصدوا للسوس - إلى السوس، وخرج بالنعمان وأبي موسى ومعهم الهرمزان؛ حتى اشتملوا على السوس، وأحاط المسلمون بها، وكتبوا بذلك إلى عمر. فكتب عمر إلى عمر بن سُرّاقه بأن يسير نحو المدينة، وكتب إلى أبي موسى فردّه على البصرة، وقد ردّ أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه، وردّ عمر عليها مرتين؛ وكتب إلى زبّ بن عبد الله بن كليب الفقيمي أن يسير إلى جُنْدِي سابور، فسار حتى نزل عليها، وانصرف أبو موسى إلى البصرة بعد ما أقام إلى رجوع كتاب عمر، وأمر عمر على جند البصرة المقرب، الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك، وكان الأسود وزيراً من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين - وكان الأسود قد وفد على رسول الله وقال: جئت لأقترب إلى الله عز وجل بصحبتك، فسماه المقرب؛ وكان زبّ قد وفد على رسول الله ﷺ، وقال: فتى بطني، وكثر إخوتنا، فادع الله لنا، فقال: اللهم أوف لزرعمره، فتحول إليهم العدد - وأوفد أبو سبرة وفداً؛ فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس، وأرسل الهرمزان معهم، فقدموا مع أبي موسى البصرة، ثم خرجوا نحو المدينة؛ حتى إذا دخلوا هيئوا الهرمزان في هيئته،

فألْبَسُوهُ كُسُوتَهُ مِنَ الدِّيبَاجِ الَّذِي فِيهِ الذَّهَبُ، وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا يَدْعَى الْآذِينَ، مَكْلَلًا بِالْيَاقُوتِ، وَعَلَيْهِ حِلْيَتُهُ، كَيْمَا يَرَاهُ عَمْرُو وَالْمُسْلِمُونَ فِي هَيْئَتِهِ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ يَرِيدُونَ عَمْرًا فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَسَأَلُوا عَنْهُ، فَقِيلَ [لَهُمْ]: جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ لَوْفَدَ قَدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُوفَةِ، فَاَنْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمْ يَرَوْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مَرُّوا بِغُلَّامَانِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَلْعَبُونَ، فَقَالُوا لَهُمْ: مَا تَلَدَّكُمْ؟! تَرِيدُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَإِنَّهُ نَائِمٌ فِي مِمْنَةِ الْمَسْجِدِ، مَتَوَسِدٌ بَرْنَسِهِ - وَكَانَ عَمْرٌو قَدْ جَلَسَ لَوْفَدَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فِي بُرْنَسٍ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَارْتَفَعُوا عَنْهُ، وَأَخْلَوْهُ نَزَعَ بُرْنَسَهُ ثُمَّ تَوَسَّدَهُ فَنَامَ - فَاَنْطَلَقُوا وَمَعَهُمُ النَّظَّارَةُ، حَتَّى إِذَا رَأَوْهُ جَلَسُوا دُونَهُ، وَلَيْسَ فِي الْمَسْجِدِ نَائِمٌ وَلَا يَقْظَانِ غَيْرُهُ، وَالْدَّرَّةُ فِي يَدِهِ مَعْلَقَةٌ، فَقَالَ: الْهَرَمْزَانُ: أَيْنَ عَمْرٌو؟ فَقَالُوا: هُوَذَا؛ وَجَعَلَ الْوَفْدُ يَشِيرُونَ إِلَى النَّاسِ أَنْ اسْكُنُوا عَنْهُ؛ وَأَصْغَى الْهَرَمْزَانُ إِلَى الْوَفْدِ، فَقَالَ: أَيْنَ حَرُّهُ وَحِجَابُهُ عَنْهُ؟ قَالُوا: لَيْسَ لَهُ حَارِسٌ وَلَا حَاجِبٌ، وَلَا كَاتِبٌ وَلَا دِيْوَانٌ، قَالَ: فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، فَقَالُوا: بَلْ يَعْمَلُ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ؛ وَكَثُرَ النَّاسُ؛ فَاسْتَيْقِظَ عَمْرٌو بِالْجَلْبَةِ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْهَرَمْزَانِ، فَقَالَ: الْهَرَمْزَانُ؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ فَتَأَمَّلَهُ، وَتَأَمَّلَ مَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، وَأَسْتَغِيثُ اللَّهَ! وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ بِالْإِسْلَامِ هَذَا وَأَشْيَاعَهُ؛ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَذَا الدِّينِ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ، وَلَا تَبْطَرُنْكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ. فَقَالَ الْوَفْدُ: هَذَا مَلِكُ الْأَهْوَازِ، فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: لَا، حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ حِلْيَتِهِ شَيْءٌ، فَرُمِيَ عَنْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ إِلَّا شَيْئًا يَسْتَرُهُ، وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبًا صَفِيْقًا، فَقَالَ عَمْرٌو: هَيْه يَا هَرَمْزَانُ! كَيْفَ رَأَيْتَ وَبَالَ الْغَدْرِ وَعَاقِبَةُ أَمْرِ اللَّهِ! فَقَالَ: يَا عَمْرُ، إِنَّا وَإِيَّاكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ اللَّهُ قَدْ خَلَّى بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَغَلَبْنَاكُمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا وَلَا مَعَكُمْ، فَلَمَّا كَانَ مَعَكُمْ غَلَبْتُمُونَا. فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّمَا غَلَبْتُمُونَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِاجْتِمَاعِكُمْ وَتَفَرَّقْنَا. ثُمَّ قَالَ عَمْرٌو: مَا عُذْرُكَ وَمَا حُجَّتُكَ فِي انْتِقَاضِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَقْتُلَنِي قَبْلَ أَنْ أَخْبِرَكَ، قَالَ: لَا تَخَفْ ذَلِكَ. وَاسْتَسْقَى مَاءً، فَأَتَى بِهِ فِي قَدَحٍ غَلِيظٍ، فَقَالَ: لَوْ مِتَّ عَطْشًا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَشْرَبَ فِي مِثْلِ هَذَا، فَأَتَى بِهِ فِي إِنَاءٍ يَرْضَاهُ، فَجَعَلَتْ يَدُهُ تَرْجُفُ، وَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَقْتُلَ وَأَنَا أَشْرَبُ الْمَاءِ، فَقَالَ عَمْرٌو: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَهُ، فَأَكْفَاهُ، فَقَالَ عَمْرٌو: أُعِيدُوا عَلَيْهِ، وَلَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِ الْقَتْلَ وَالْعَطْشَ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي الْمَاءِ، إِنَّمَا أُرَدْتُ أَنْ أَسْتَأْمِنَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: إِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: قَدْ آمَنْتَنِي! فَقَالَ: كَذَبْتَ! فَقَالَ أَنْسُ: صَدَقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ آمَنْتَهُ، قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَنْسُ! أَنَا أَوْمَنْ قَاتِلُ مَجْزَاةَ الْبَرَاءِ! وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنَّ بِمَخْرَجٍ أَوْ لَأَعَاقِبَنَّكَ! قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَخْبَرَنِي، وَقُلْتُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَهُ، وَقَالَ لَهُ مَنْ حَوْلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْهَرَمْزَانِ، وَقَالَ: خَدَعْتَنِي، وَاللَّهِ لَا أَنْخَدِعُ إِلَّا لِمُسْلِمٍ؛ فَاسْلَمْ. فَفَرَضَ لَهُ عَلَى الْفَيْنِ، وَأَنْزَلَهُ الْمَدِينَةَ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنِ عِيسَى، قَالَ: كَانَ التُّرْجَمَانُ يَوْمَ الْهَرَمْزَانِ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْمُتَرْجِمُ، وَكَانَ الْمَغِيرَةُ يَفْقَهُ شَيْئًا مِنَ الْفَارْسِيَّةِ، فَقَالَ عَمْرٌو لِلْمَغِيرَةِ: قُلْ لَهُ: مَنْ أَيْ أَرْضِ أَنْتَ؟ فَقَالَ الْمَغِيرَةُ: أَزْكُدَامُ أَرْضِي؟ فَقَالَ: مِهْرَجَانِي، فَقَالَ: تَكَلِّمْ بِحُجَّتِكَ، قَالَ: كَلَامٌ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٌ؟ قَالَ: بَلْ كَلَامٌ حَيٍّ، قَالَ: قَدْ آمَنْتَنِي، قَالَ: خَدَعْتَنِي، إِنَّ لِمُخْدَعٍ فِي الْحَرْبِ حُكْمَهُ؛ لَا وَاللَّهِ لَا أَوْمَنْكَ حَتَّى تَسْلِمَ، فَأَيُّقِنُ أَنَّهُ الْقَتْلُ أَوْ الْإِسْلَامُ، فَاسْلَمْ، فَفَرَضَ لَهُ عَلَى الْفَيْنِ وَأَنْزَلَهُ الْمَدِينَةَ. وَقَالَ لِلْمَغِيرَةِ: مَا أَرَاكَ بِهَا حَازِقًا، مَا أَحْسَنَهَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا خَبَّ، وَمَا خَبَّ إِلَّا دَقَّ. إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا، فَإِنَّهَا تَنْقُضُ الْإِعْرَابَ. وَأَقْبَلَ زَيْدٌ فَكَلَّمَهُ، وَأَخْبَرَ عَمْرٌو بِقَوْلِهِ، وَالْهَرَمْزَانُ بِقَوْلِ عَمْرٍو.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرٍو، وَسَفْيَانَ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ

عمر للوفد: لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ما ينتقصون بكم! فقالوا: ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكة، قال: فكيف هذا؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ويبصر به مما يقولون، إلا ما كان من الأحنف، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرك أنك نهيتمنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتنا بالاعتصام على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم؛ وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم؛ ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه؛ وقد رأيت أننا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم. ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس، ونخرجه من مملكته وعز أمته، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربون جأشاً. فقال: صدقتني والله، وشرحت لي الأمر عن حقه. ونظر في حوائجهم وسرحهم.

وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتهاء أهل مَهْرَجَا نَقْدَق وأهل كُور الأهواز إلى رأي الهرمزان ومشيتته، فذلك كان سبب إذن عمر لهم في الإنساح.

ذكر فتح السوس

اختلف أهل السير في أمرها؛ فأما المدائني فإنه - فيما حدثني عنه أبو زيد - قال: لما انتهى فل جُلُولاء إلى يزدجرد وهو بجلوان، دعا بخاصته والمؤبد، فقال: إن القوم لا يلقون جمعاً إلا فلوهم، فما ترون؟ فقال المؤبد: نرى أن تخرج فتتزل إصطخر؛ فإنها بيت المملكة، وتضم إليك خزائنك، وتوجه الجنود. فأخذ برأيه، وسار إلى أصبهان دعا سياه، فوجهه في ثلاثمائة، فيهم سبعون رجلاً من عظمائهم، وأمره أن ينتخب من كل بلدة يمر بها من أحب، فمضى سياه وأتبعه يزدجرد، حتى نزلوا إصطخر وأبو موسى محاصر السوس، فوجه سياه إلى السوس، والهرمزان إلى تُسْتَر، فنزل سياه الكلبائية، وبلغ أهل السوس أمر جُلُولاء ونزول يزدجرد إصطخر منهزماً، فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح، فصالحهم، وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبائية، وقد عظم أمر المسلمين عنده، فلم يزل مقيماً حتى صار أبو موسى إلى تُسْتَر، فتحول سياه، فنزل بين رامهرمز وتُسْتَر، حتى قدم عمار بن ياسر، فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبهان؛ فقال: قد علمتم أننا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة، وتروث دوابهم في إيوانات إصطخر ومصانع الملوك، ويشدون خيولهم بشجرها، وقد غلبوا على ما رأيتم، وليس يلقون جنداً إلا فلوهم، ولا ينزلون بحصن إلا فتحوه، فانظروا لأنفسكم. قالوا: رأينا رأيك، قال: فليكني كل رجل منكم حشمه والمنقطعين إليه، فإني أرى أن ندخل في دينهم. ووجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى يأخذ شروطاً على أن يدخلوا في الإسلام. فقدم شيرويه على أبي موسى، فقال: إننا قد رغينا في دينكم، فنسلم على أن نقاتل معكم العجم، ولا نقاتل معكم العرب؛ وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منه، وننزل حيث شئنا، ونكون فيمن شئنا منكم، وتلحقونا بأشراف العطاء، ويعقد لنا الأمير الذي هو فوقك بذلك. فقال أبو موسى: بل لكم ما لنا، وعليكم ما علينا، قالوا: لا نرضى.

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب، فكتب إلى أبي موسى: أعطهم ما سألك. فكتب أبو موسى لهم، فأسلموا، وشهدوا معه حصار تُسْتَر فلم يكن أبو موسى يرى منهم جدًّا ولا نكايه، فقال لسياه: يا أعور، ما أنت وأصحابك كما كنا نرى! قال: لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائركم، وليس لنا فيكم حرم نحامي

عنهم، ولم تُلحقنا بأشراف العطاء ولنا سلاح وكُراع وأنتم حَسَر. فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك، فكتب إليه عمر: أن ألحقهم على قَدَرِ البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذَه أحد من العرب. ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين، ولستة منهم في ألفين، وخمسمائة لسياه وخُسُرو - ولقبه مِقْلاص - وشَهْرِيَار، وشَهْرَوِيه، وأفروذين. فقال الشاعر:

ولمَّا رأى الفاروقُ حُسْنَ بِلَائِهِمْ وكان بما يأتي من الأمر أبْصَرَ
فَسَنَ لهم ألفِينَ فَرَضاً وقد رأى ثلاثِمِئِينَ فَرَضَ عَكَ وَجَمِيرَا

قال: فحاصروا حصناً بفارس، فانسَلَّ سياه في آخر الليل في زِيَّ العجم حتى رمى بنفسه إلى جَنْبِ الحِصْن، ونَضَحَ ثِيابه بالدم، وأصبح أهلُ الحصن، فرأوا رجلاً في زِيَّهم صريعاً، فظنُّوا أنه رجل منهم أصيبوا به، ففتحوا باب الحِصْن ليدخلوه، فثار وقاتلهم حتى خَلُّوا عن باب الحصن وهربوا، ففتح الحصن وحده، ودخله المسلمون، وقوم يقولون: فعَلَ هذا الفعل سياه بُتْشَر، وحاصروا حصناً، فمَشَى خُسُرو إلى الحصن، فأشرف عليه رجل منهم يكلمه، فرماه خُسُرو بنشابة فقتله.

وأما سيف فإنه قال في روايته ما كتب به إلى السريِّ، عن شعيب، عنه، عن محمد وطلحة وعمر ووديثار أبي عمر، عن أبي عثمان، قالوا: لما نزل أبو سَبْرَة في الناس على السُّوس، وأحاط المسلمون بها، وعليهم شهر يار أخو الهرمزان، ناوشوهم مرَّات؛ كلَّ ذلك يصيبُ أهلُ السُّوس في المسلمين، فأشرف عليهم يوماً الرُّهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب، إنَّ ما عهد إلينا علمائنا وأوائلنا؛ أنه لا يفتح السُّوس إلَّا الدِّجَال أو قوم فيهم الدِّجَال، فإن كان الدِّجَال فيكم فستفتحونها، وإن لم يكن فيكم فلا تُعَنَّا بحصارنا. وجاء صَرَفُ أبي موسى إلى البَصْرَة، وعَمِلَ على أهل البَصْرَة المقترَب مكانَ أبي موسى بالسُّوس، واجتمع الأعاجم بنهاوند والنعمان على أهل الكوفة محاصراً لأهل السُّوس مع أبي سَبْرَة، وزرَّ محاصر أهل نِهاوند من وجهه ذلك؛ وضرب على أهل الكوفة البعث مع حُذيفة، وأمرهم بموافاته بنهاوند؛ وأقبل النُّعمان على التهيؤ للسير إلى نِهاوند، ثم استقلَّ في نفسه، فناوشهم قبل مضيِّه، فعاد الرُّهبان والقسيسون، وأشرفوا على المسلمين، وقالوا: يا معشر العرب، لا تُعَنَّا فإنه لا يفتحها إلَّا الدِّجَال أو قوم معهم الدِّجَال، وصاحوا بالمسلمين وغازوهم، وصافى بن صيَّاد يومئذ مع النعمان في خيله، وناهدهم المسلمون جميعاً، وقالوا: نقاتلهم قبل أن نفرق؛ ولما يخرج أبو موسى بعد. وأتى صافى بابَ السُّوس غضبان، فدقَّ برجله، وقال: انفتح فطار فتقطعت السلاسل، وتكسَّرت الأغلاق، وتفتَّحت الأبواب، ودخل المسلمون، فألقى المشركون بأيديهم، وتنادوا: الصِّلح الصِّلح! وأمسكوا بأيديهم، فأجابوا إلى ذلك بعد ما دخلوها عَنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصِّلح؛ ثم افرقوا. فخرج النُّعمان في أهل الكوفة من الأهواز حتى نزل على ماه، وسرَّح أبو سَبْرَة المقترَب حتى ينزل على جندي سابور مع زَرِّ، فأقام النعمان بعد دخول ماه، حتى وافاه أهل الكوفة، ثم نهَّد بهم إلى أهل نِهاوند، فلما كان الفتح رجع صافى إلى المدينة، فأقام بها، ومات بالمدينة.

كتب إليَّ السريِّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عمَّن أورد فتح السُّوس، قال: وقيل لأبي سَبْرَة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة، قال: وما لنا بذلك! فأقره بأيديهم - قال عطية بإسناده: إنَّ دانيال كان لزم أسياف فارس بعد بختنصر؛ فلما حضرته الوفاة، ولم يَر أحدًا ممن هو بين ظهرَيَّهم على الإسلام؛ أكرم كتاب الله

عَمَّن لم يجبه ولم يقبل منه، فأودعه ربّه، فقال لابنه: ائت ساحل البحر، فاخذف بهذا الكتاب فيه، فأخذه الغلام، وضمّ به، وغاب مقدار ما كان ذاهباً وجائياً؛ وقال: قد فعلت، قال: فما صنع البحر حين هوى فيه؟ قال: لم أره يصنع شيئاً، فغضب وقال: والله ما فعلت الذي أمرتُك به. فخرج من عنده، ففعل مثل فعلته الأولى، ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: كيف رأيت البحر حين هوى فيه؟ قال: ماج واصطفق، فغضب أشدّ من غضبه الأول، وقال: والله ما فعلت الذي أمرتُك به بعد، فعزم ابنه على إلقائه في البحر الثالثة، فانطلق إلى ساحل البحر، وألقاه فيه، فانكشف البحر عن الأرض حتى بدت، وانفجرت له الأرض عن هواء من نور، فهوى في ذلك النور، ثم انطبقت عليه الأرض، واختلط الماء، فلما رجع إليه الثالثة سأله فأخبره الخبر، فقال: الآن صدقت، ومات دانيال بالسُّوس؛ فكان هنالك يُستسقى بجسده، فلما افتتحها المسلمون أتوا به فأقروه في أيديهم، حتى إذا ولي أبو سبرة عنهم إلى جُنْدِي سابور أقام أبو موسى بالسُّوس. وكتب إلى عُمَر فيه؛ فكتب إليه يأمره بتوريته، فكفّنه ودفنه المسلمون. وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا، فكتب إليه أن تحثّمه، وفي فصّه نقش رجل بين أسدين.

وفيها - أعني سنة سبع عشرة - كانت مصالحة المسلمين أهل جُنْدِي سابور.

ذكر الخبر عن أمرهم وأمرها:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي عمرو وأبي سفيان والمهلب، قالوا: لما فرغ أبو سبرة من السُّوس خرج في جنده حتى نزل على جُنْدِي سابور، وزرّ بن عبدالله بن كليب محاصريهم؛ فأقاموا عليها يغادونهم ويراحونهم القتال؛ فما زالوا مقيمين عليها حتى رُمي إليهم بالأمان عن عسكر المسلمين، وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين، فلم يفجأ المسلمين إلّا وأبوابها تفتح، ثم خرج السُّرح، وخرجت الأسواق، وانبث أهلها، فأرسل المسلمون: أن مالكم؟ قالوا: رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم الجزاء على أن تمنعونا. فقالوا: ما فعلنا، فقالوا: ما كذبنا، فسأل المسلمون فيما بينهم؛ فإذا عبد يدعى مُكْنِفاً كان أصله منها؛ هو الذي كتب لهم. فقالوا: إنما هو عبد، فقالوا: إنا لا نعرف حُرّكم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه، ولم نبذل، فإن شئتم فاغدروا. فأمسكوا عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: إن الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفؤا، ما دمت من شكّ أجيزوهم، وفؤا لهم. فوفؤا لهم، وانصرفوا عنهم.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: أذن عمر في الانسِيّاح سنة سبع عشرة في بلاد فارس، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف وقيس، وعرف فضله وصدقه، وفرّق الأمراء والجنود، وأمر على أهل البصرة أمراء، وأمر على أهل الكوفة أمراء، وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره، وأذن لهم في الانسِيّاح سنة سبع عشرة، فساحوا في سنة ثمان عشرة، وأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع دمة البصرة؛ فيكون هنالك حتى يحدث إليه؛ وبعث بالوية من ولي مع سهيل بن عديّ حليف بني عبد الأشهل، فقدم سهيل بالألوية، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء أردشير خُزّه وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء فسّا ودارابجرد إلى سارية بن زُئيم الكناني، ولواء كُزّمان مع سهيل بن عديّ، ولواء سِجِسْتان إلى عاصم بن عمرو. وكان عاصم من الصحابة - ولواء مُكران إلى الحُكم بن عمير التغلبيّ. فخرجوا في سنة عشرة،

فَعَسَكُرُوا لِيُخْرِجُوا إِلَى هَذِهِ الْكُورِ فَلَمْ يَسْتَيْبَ مَسِيرَهُمْ ، حَتَّى دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِ عَشْرَةَ ، وَأَمَدَّهُمْ عَمْرُ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ فَأَمَدَّ سَهِيلَ بْنَ عَدِيٍّ بَعِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَانَ ، وَأَمَدَّ الْأَحْنَفَ بَعْلَقَمَةَ بْنَ النَّضْرِ ، وَبَعِيدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَبِرُبُعِيٍّ بْنَ عَامِرٍ ، وَبَابِنَ أُمَّ غَزَالٍ . وَأَمَدَّ عَاصِمَ بْنَ عَمْرٍو بَعِيدَ اللَّهِ بْنِ عَمِيرِ الْأَشْجَعِيِّ ، وَأَمَدَّ الْحَكَمَ بْنَ عُمَيْرٍ بِشَهَابِ بْنِ الْمُخَارِقِ الْمَازِنِيِّ . قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ فَتَحَ السُّوسَ وَرَامَهُرْمَزَ وَتَوَجَّاهُ الْهَرَمَزَانَ إِلَى عَمَّرَ مِنْ تُسْتَرَفٍ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ - عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؛ وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ ، وَعَلَى الْيَمَنِ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ ، وَعَلَى الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ وَعَلَى عُثْمَانَ حَذِيفَةُ بْنُ مَحْصَنٍ ، وَعَلَى الشَّامِ مَنْ قَدْ ذَكَرْتَ أَسْمَاءَهُمْ قَبْلَ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ وَأَرْضِهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَلَى قَضَائِهَا أَبُو قُرَّةَ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ وَأَرْضِهَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ - وَقَدْ ذَكَرْتَ فِيهَا مَضَى الْوَقْتُ الَّذِي عَزَلَ فِيهِ عَنْهَا ، وَالْوَقْتُ الَّذِي رَدَّ فِيهِ إِلَيْهَا أَمِيرًا . وَعَلَى الْقَضَاءِ - فِيهَا قَيْلٌ - أَبُو مَرْيَمَ الْحَنْفِيُّ . وَقَدْ ذَكَرْتَ مَنْ كَانَ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ قَبْلُ .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة - أعني سنة ثمان عشرة - أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبة، وجُذوب وقحوط؛ وذلك هو العام الذي يسمّى عام الرّمادة.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلّمة، عن محمد بن إسحاق، قال: دخلت سنة ثمان عشرة، وفيها كان عام الرّمادة وطاعون عمّواس، فتفانى فيها الناس.

وحَدّثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حَدّثت عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت الرّمادة سنة ثمان عشرة. قال: وكان في ذلك العام طاعون عمّواس.

كتب إليّ السريّ يقول: حدّثنا شعيب، عن سيف، عن الرّبيع وأبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: وكتب أبو عبيدة إلى عمر: إنّ نفرًا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار، وأبو جندل، فسألناهم فتأوّلوا، وقالوا: خَيْرْنَا فاخترنا، قال: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾! ولم يعزم علينا. فكتب إليه عمر: فذلك بيننا وبينهم، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾؛ يعني «فانتهاوا». وجمع الناس، فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة، ويضمتوا الفسق من تأوّل عليها بمثل هذا، فإن أبي قتيل. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم؛ فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم، وإن زعموا أنها حرام فاجلدوهم ثمانين. فبعث إليهم فسألهم على رؤوس الناس، فقالوا: حرام، فجلدوهم ثمانين ثمانين، وحَدّ القوم، وندموا على لجأتهم، وقال: ليحدّثن فيكم يا أهل الشام حادث؛ فحدّثت الرّمادة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن شبرمة عن العشيّ بمثله.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، قال: لما قدم على عمر كتاب أبي عبيدة في ضرار وأبي جندل، كتب إلى أبي عبيدة في ذلك، وأمره أن يدعّوهم على رؤوس الناس فيسألهم: أحرام الخمر أم حلال؟ فإن قالوا: حرام، فاجلدوهم ثمانين جلدة، واستتبّهم، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فدعّا بهم فسألهم، فقالوا: بل حرام، فجلدوهم، فاستحيوا فلزموا البيوت. ووسوس أبو جندل، فكتب أبو عبيدة إلى عمر: إنّ أبا جندل قد وسوس، إلّا أن يأتيه الله على يدك بفرج، فكتب إليه وذكره، فكتب إليه عمر وذكره، فكتب إليه: من عمر إلى أبي جندل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾، فتبّ وارفع رأسك، وابرز ولا تقنط، فإنّ الله عزّ وجلّ، يقول: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا

عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ . فلما قرأه عليه أبو عبيدة تطلق وأسفر عنه . وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا ، وكتب إلى الناس : عليكم أنفسكم ، ومن استوجب التغير فغيروا عليه ، ولا تعيروا أحداً فيفسدوا فيكم البلاء .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن عطاء نحواً منه ، إلا أنه لم يذكر أنه كتب إلى الناس ألا يغيروهم ، وقال : قالوا : جاشت الروم ، دُعونا نغزوهم ، فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك ، وإلا عَمَدَتِ للذي يريد . فاستشهد ضرار بن الأزور في قوم ، وبقي الآخرون فُحِدُوا . وقال أبو الزهراء القشيري في ذلك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى وَلَيْسَ عَلَى صَرْفِ الْمَنُونِ بِقَادِرٍ
صَبَرْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي وَلَسْتُ عَنِ الصُّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرٍ
رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا فَخُلَانُهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاصِرِ

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن الربيع بن النعمان وأبي المجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني ، وأبي حارثة مُحَرِّزُ الْعُبَيْمِيِّ بِإِسْنَادِهِمْ ، ومحمد بن عبد الله ، عن كريب ، قالوا : أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سَنَةٌ بِالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا ، فَكَانَتْ تَسْفَى إِذَا رِيحَتْ تَرَابًا كَالرَّمَادِ ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْعَامُ عَامَ الرَّمَادَةِ ، فَالَى عَمْرٌ أَلَّا يَذُوقَ سَمْنًا وَلَا لَبْنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَحْيِيَ النَّاسُ مِنْ أَوَّلِ الْحَيَا ، فَكَانَ بِذَلِكَ حَتَّى أَحْيَا النَّاسُ مِنْ أَوَّلِ الْحَيَا ، فَقَدِمَتِ السُّوقُ عُكَّةً مِنْ سَمْنٍ وَوُطْبٍ مِنْ لَبْنٍ ؛ فَاشْتَرَاهَا غَلَامٌ لِعَمْرٍ بِأَرْبَعِينَ ، ثُمَّ أَتَى عَمْرٌ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَبْرَأَ اللَّهُ يَمِينَكَ ، وَعَظَّمَ أَجْرَكَ ، قَدِمَ السُّوقَ وَطْبٍ مِنْ لَبْنٍ وَعُكَّةً مِنْ سَمْنٍ فَابْتَعْتَهُمَا بِأَرْبَعِينَ ، فَقَالَ عَمْرٌ : أَغْلَيْتَ بِهِمَا ، فَتَصَدَّقْ بِهِمَا ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَكُلَ إِسْرَافًا ، وَقَالَ عَمْرٌ : كَيْفَ يَعْنِينِي شَأْنُ الرِّعْيَةِ إِذَا لَمْ يَمَسَّنِي مَا مَسَّهُمْ !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف السلمي ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كانت في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثمان عشرة ، وكانت الرَّمَادَةُ جَوْعًا أَصَابَ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا فَأَهْلَكَهُمْ حَتَّى جَعَلَتِ الْوَحْشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنْسِ ، وَحَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَعَاظُهَا مِنْ قُبْحِهَا ، وَإِنَّهُ لَمُقْفَرٌ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن عبد الرحمن بن كعب ، قال : كان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار ؛ حتى أقبل بلال بن الحارث المزني ، فاستأذن عليه ، فقال : أنا رسول الله إليك ؛ يقول لك رسول الله ﷺ : لقد عهدتُك كَيْسًا ، وما زلت على رجل ؛ فما شأنك ! فقال : متى رأيت هذا ؟ قال : البارحة ، فخرج فنأى في الناس : الصلاة جامعة ! فصلّى بهم ركعتين ؛ ثم قام فقال : أيها الناس ، أنشدكم الله ، هل تعلمون مني أمراً غيره خير منه ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : فإن بلال بن الحارث يزعم دَيَّةً وَدَيَّةً ؛ فقالوا : صدق بلال ، فاستغث بالله وبالمسلمين ، فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر : الله أكبر ! بلغ البلاء مدته فانكشف ؛ ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رُفِعَ عنهم البلاء ؛ فكتب إلى أمراء الأمصار : أغثوا أهل المدينة ومن حولها ، فإنه قد بلغ جهدهم ؛ وأخرج الناس إلى الاستسقاء ، فخرج وخرج معه بالعباس ماشياً ، فخطب فأوجز ؛ ثم صلى ، ثم جثا لركبتيه ، وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ؛ اللهم

اغفر لنا وارحمنا وارض عنا. ثم انصرف، فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن جبير بن صخر، عن عاصم بن عمر بن الخطاب، قال: قحط الناس زمان عمر عاماً، فهزل المال، فقال أهل بيت من مزية من أهل البادية لصاحبهم: قد بلغنا، فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة، فسلخ عن عظم أحمر، فنادى: يا محمداه! فأري فيما يرى النائم أن رسول الله ﷺ أتاه، فقال: أبشّر بالحيا! أتت عمر فأقرئه مني السلام، وقل له: إن عهدي بك وأنت وفي العهد، شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر؛ فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله ﷺ، فأتى عمر فأخبره، ففرع وقال: رأيت به مسأ! قال: لا، قال: فأدخله، فدخل فأخبره الخبر، فخرج فنادى في الناس، وصعد المنبر، وقال: أنشدكم بالذي هداكم للإسلام؛ هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه! قالوا: اللهم لا، قالوا: ولم ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفتن؛ فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء، فاستسقى بنا، فنادى في الناس، فقام فخطب فأوجز، ثم صلى ركعتين فأوجز، ثم قال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم فاسقنا، وأخي العباد والبلاد!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان وجراد أبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، كلهم عن رجاء - وزاد أبو عثمان وأبو حارثة: عن عبادة وخالد، عن عبد الرحمن بن غنم - قالوا: كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها، ويستمدّهم، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح في أربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم، فقال: لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين؛ إنما أردت الله وما قبله، فلا تدخل علي الدنيا، فقال: خذها فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه، فأبى فقال: خذها فإنّي قد وليت لرسول الله ﷺ مثل هذا، فقال لي مثل ما قلت لك، فقلت له كما قلت فأعطاني. فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز، وأحيوا مع أول الحيا.

وقالوا بإسنادهم: وجاء كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر في الاستغاثة: إن البحر الشامي حُفر لمبعث رسول الله ﷺ حفيراً، فصب في بحر العرب، فسده الروم والقبط، فإن أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر، حفرت له نهراً وبنيت له قناطر. فكتب إليه عمر: أن افعل وعجل ذلك؛ فقال له أهل مصر: خراجك زاج وأميرك راض؛ وإن تم هذا انكسر الخراج. فكتب إلى عمر بذلك، وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها. فكتب إليه عمر: اعمل فيه وعجل، أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها، فعالجه عمرو وهو بالقلم، فكان سعر المدينة كسعر مصر، ولم يزد ذلك مصر إلا رخاء، ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها، حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضي الله عنه. فذلوا وتقاصروا وخشعوا.

قال أبو جعفر: وزعم الواقدي أن الرقة والرّها وحرّان فتحت في هذه السنة على يدي عياض بن غنم، وأن عين الوردة فتحت فيها على يدي عمير بن سعد. وقد ذكرت قول من خالفه في ذلك فيما مضى، وزعم أن عمر رضي الله عنه حوّل المقام في هذه السنة في ذي الحجة إلى موضعه اليوم، وكان مُلصّقاً بالبيت قبل ذلك. وقال: مات في طاعون عمّواس خمسة وعشرون ألفاً.

قال أبو جعفر: وقال بعضهم: وفي هذه السنة استقضى عمر شريح بن الحارث الكِنديّ على الكوفة، وعلى البصرة كعب بن سُور الأزديّ.

قال: وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

وكانت وُلاته في هذه السنة على الأمصار الوُلاة الذين كانوا عليه في سنة سبع عشرة.

ثم دخلت سنة تسع عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة تسع عشرة

قال أبو جعفر: قال أبو معشر - فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عمّن حدثه، عن إسحاق بن عيسى عنه: إن فتح جُلُولاء كان في سنة تسع عشرة على يديّ سعد، وكذلك قال الواقديّ.

وقال ابن إسحاق: كان فتح الجزيرة والرّهاء وحرّان ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة.

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا قول من خالفهم في ذلك قبل.

وقال أبو معشر: كان فتح قيساريّة في هذه السنة - أعني سنة تسع عشرة - وأميرها معاوية بن أبي سفيان؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، عمّن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وكالذي قال أبو معشر في ذلك قال الواقديّ.

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال: كان فتح قيساريّة من فلسطين وهربُ هرقل وفتحُ مصر في سنة عشرين؛ حدّثنا بذلك ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عنه.

وأما سيف بن عمر فإنه قال: كان فتحها في سنة ستّ عشرة. قال: وكذلك فتح مصر.

وقد مضى الخبر عن فتح قيساريّة قبل، وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها بعدُ في قول؛ من قال: فُتحت سنة عشرين، وفي قول من خالف ذلك.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة - أعني سنة تسع عشرة - سالت حرّة ليلي ناراً - فيما زعم الواقديّ - فأراد عمر الخروج إليها بالرجال، ثم أمرهم بالصدقة فانطفأت.

وزعم أيضاً الواقديّ أنّ المدائن وجُلُولاء فُتحتا في هذه السنة، وقد مضى ذكر من خالفه في ذلك.

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

وكان عمّاله على الأمصار وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها في سنة ثمان عشرة.

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من مغازي المسلمين وغير ذلك من أموالهم

قال أبو جعفر: ففي هذه السنة فتحت مصر في قول ابن إسحاق. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فتحت مصر سنة عشرين.

وكذلك قال أبو معشر؛ حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، أنه قال: فتحت مصر سنة عشرين، وأميرها عمرو بن العاص.

وحدثني أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: فتحت الإسكندرية سنة خمس وعشرين.

وقال الواقدي - فيما حدثت عن ابن سعد عنه: فتحت مصر والإسكندرية في سنة عشرين.

وأما سيف فإنه زعم - فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف - أنها فتحت والإسكندرية في سنة ست عشرة.

ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية

قال أبو جعفر: قد ذكرنا اختلاف أهل السير في السنة التي كان فيها فتح مصر والإسكندرية، ونذكر الآن سبب فتحها، وعلى يدي من كان؛ على ما في ذلك من اختلاف بينهم أيضاً؛ فأما ابن إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه، أنّ عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر في جنده؛ فخرج حتى فتح باب اليون في سنة عشرين.

قال: وقد اختلف في فتح الإسكندرية، فبعض الناس يزعم أنها فتحت في سنة خمس وعشرين، وعلى ستين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعليها عمرو بن العاص.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدثني القاسم بن قُرْطُمان - رجل من أهل مصر - عن زياد بن جَزء الزبيدي، أنه حدثه أنه كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية، قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين - أو سنة اثنتين وعشرين - قال: لما افتتحنا باب اليون تدنينا قري الرّيف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية فقريّة؛ حتى انتهينا إلى بلّهب - قرية من قري الرّيف، يقال لها قرية الرّيش - وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن.

قال: فلما انتهينا إلى بلهيب أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص: إني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم معشر العرب لفارس والروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبابا فعلت.

قال: فبعث إليه عمرو بن العاص: إن ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه، فإن شئت أن أمسك عنك وتُمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي، فإن هو قبل ذلك منك قبلت، وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره. قال: فقال: نعم. قال: فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب - قال: وكانوا لا يُخفون علينا كتاباً كتبوا به - يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية. قال: وفي أيدينا بقايا من سبيهم. ثم وقفنا بلهيب؛ وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا؛ فقرأه علينا عمرو وفيه: أما بعد؛ فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبابا أرضه؛ ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي من فيء يقسم، ثم كأنه لم يكن؛ فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية؛ على أن تُخبروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه؛ فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين؛ له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن اختار دين قومه، وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن، فإننا لا نقدر على ردّهم، ولا نحب أن نصلحه على أمر لا نفي له به. قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين. قال: فقال: قد فعلت. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبابا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا، ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيراً هي أشد من تكبيرنا حين تُفتح القرية؛ قال: ثم نحوزه إلينا، وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى، ثم حازوه إليهم؛ ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً؛ حتى كأنه رجل خرج منا إليهم. قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم، وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن - قال القاسم: وقد أدركته وهو عريف بني زُبيد - قال: فوقفناه، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية - وأبوه وأمه وإخوته في النصارى - فاختار الإسلام، فحزنا إلينا، ووُثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا؛ حتى شققوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى. ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها، وإن هذه الكناسة التي ترى يابن أبي القاسم لكناسة بناحية الإسكندرية حولها أحجار كما ترى، ما زادت ولا نقصت، فمن زعم غير ذلك أن الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد؛ فقد والله كذب. قال القاسم: وإنما حاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أن مصر إنما دخلت غنوة؛ وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا، ونضع ما شئنا.

قال أبو جعفر: وأما سيف؛ فإنه ذكر فيما كتب به إلي السري، يذكر أن شعبياً حدثه عنه، عن الربيع أبي سعيد، وعن أبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: أقام عمر بإبلياء بعد ما صالح أهلها، ودخلها أياماً، فأمضى عمرو بن العاص إلى مصر وأمره عليها، إن فتح الله عليه، وبعث في أثره الزبير بن العوام مدداً له، وبعث أبا عبيدة إلى الرماة، وأمره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، قال: حدثنا أبو عثمان عن خالد وعبادة، قالوا: خرج عمرو بن العاص إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة؛ حتى انتهى إلى باب اليون، وأتبعه الزبير؛ فاجتمعوا، فلقاهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف في أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم. فلما نزل بهم

عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجلولنا لنُعذِر إليكم، وترون رأيكم بعدُ. فكفوا أصحابهم، وأرسل إليهم عمرو: إني بارز فليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام، فأجابوه إلى ذلك، وآمن بعضهم بعضاً، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا، إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً ﷺ بالحقّ وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا كلّ الذي أمر به، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذي عليه، وتركنا على الواضحة؛ وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم، وإنّ لكم إن أجبتُمونا بذلك ذمّة إلى ذمّة. وما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقِبطيّين خيراً؛ فإنّ رسول الله ﷺ أوصانا بالقِبطيّين خيراً، لأنّ لهم رَحماً وذمّة، فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلّا الأنبياء، معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا، وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم، فأدبل عليهم أهل عين شمس، فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً، آمنا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إنّ مثلي لا يخدع، ولكني أوْجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما؛ وإلّا ناجزتك، قالوا: زدنا، فزادهم يوماً، فقالوا: زدنا، فزادهم يوماً، فرجعا إلى المقوقس فهم، فأبى أرطبون أن يجيبهما، وأمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم، ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام، فلا تصابون فيها بشيء إلّا رجونا أن يكون له أمان. فلم يفجأ عمراً والزبير إلّا البيات من فرْقَب، وعمرو على عُدّة، فلقوه فقتل ومن معه، ثم ركبوا أكساءهم، وقصد عمرو والزبير لعين شمس، وبها جمعهم، وبعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح، فنزل عليها، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية. فنزل عليها، فقال كلّ واحد منهما لأهل مدينته: إن تنزلوا فلکم الأمان، فقالوا: نعم، فراسلوهم، وترىص بهم أهل عين شمس، وسى المسلمون من بين ذلك. وقال عوف بن مالك: ما أحسن مدينتكم يا أهل الإسكندرية! فقالوا: إنّ الإسكندر قال: إني أبني مدينة إلى الله فقيرة، وعن الناس غنيّة - أو لأبني مدينة إلى الله فقيرة، وعن الناس غنيّة - فبقيت بهجتها.

وقال أبرهة لأهل الفرما: ما أخلق مدينتكم يا أهل الفرما؟ قالوا: إنّ الفرما قال: إني أبني مدينة عن الله غنيّة، وإلى الناس فقيرة، فذهبت بهجتها.

وكان الإسكندر والفرما أخوين.

قال أبو جعفر: قال الكلبيّ: كان الإسكندر والفرما أخوين، ثم حدّث بمثل ذلك، فنسبتا إليهما، فالفرما ينهدم فيها كل يوم شيء، وخُلقت مرآتها، وبقيت جدّة الإسكندرية.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما نزل عمرو على القوم بعين شمس؛ وكان الملك بين القبط والنوب، ونزل معه الزبير عليها. قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلّوا كسرى وقيصر، وغلبوهم على بلادهم! صالح القوم واعتقد منهم، ولا تعرّض لهم، ولا تعرّضنا لهم - وذلك في اليوم الرابع - فأبى، وناهدوهم فقاتلوهم، وارتقى الزبير سورها، فلما أحسّوه فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مصالحين؛ فقبل منهم، ونزل الزبير عليهم عنوة؛ حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة، فأجروا ما أخذ عنوة تجرى ما صالح عليه؛ فصاروا ذمّة، وكان صلحهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم

وأموالهم وكنائسهم وصلبهم، وبرهم وبحرهم؛ لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا يُنتقص، ولا يساكنهم التوب. وعلى أهل مصر أن يُعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وعليهم ما جنى لصوتهم، فإن أبي أحد منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذممتنا بمن أبي بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والتوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبي واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا. عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلاث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته ورسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يُعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا وكذا فرساً، على ألا يُغزوا ولا يَمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة. شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابنه. وكتب وردان وحضر.

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم، وقبلوا الصلح، واجتمعت الخيول فمصر عمرو الفسطاط، ونزله المسلمون، وظهر أبو مريم وأبو مريام، فكلما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة، فقال: أولهم عهد وعقد؟ ألم نحالفكما ويُغار علينا من يومكما! وطردهما، فرجعا وهما يقولان: كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم ففي ذمة منكم، فقال لهما: أغيرون علينا وهم في ذمة؟ قالوا: نعم، وقسم عمرو ذلك السبي على الناس، وتوزعوه، ووقع في بلدان العرب. وقدم البشير على عمر بعد بالأخماس، وبعث الوفود فسألهم عمر، فما زالوا يُخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق وصاحبه، فقال: ألا أراهما يبصران وأنتم تُجاهلون ولا تبصرون! من قاتلكم فلا أمان له، ومن لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة حتى تنصرم، وبعث في الأفاق حتى رُد ذلك السبي الذي سبوا ممن لم يقاتل في الأيام الخمسة إلا من قاتل بعد، فترادوهم إلا ما كان من ذلك الضرب، وحضرت القبط باب عمرو، وبلغ عمراً أنهم يقولون: ما أرت العرب وأهون عليهم أنفسهم! ما رأينا مثلنا دان لهم! فخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم، فأمر بُجزر فذبحت، فطبحت بالماء والملح، وأمر أمراء الأجناد أن يحضروا، وأعلموا أصحابهم، وجلس وأذن لأهل مصر، وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين؛ فأكلوا أكلاً عربياً، انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح، فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعاً وجرأة، وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد؛ وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم، وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا، وأذن لأهل مصر؛ فأرأوا شيئاً غير ما رأوا بالأمس، وقام عليهم القوام بألوان مصر، فأكلوا أكل أهل مصر، ونحواً نحوهم، فافترقوا وقد ارتابوا، وقالوا: كدنا. وبعث إليهم أن تسلحوا للعرض غداً، وغدا على العرض، وأذن لهم فعرضهم عليهم. ثم قال: إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم، فخشيت أن تهلكوا، فأحببت أن أريكم حالهم، وكيف كانت في أرضهم، ثم حالهم في أرضكم، ثم حالهم في الحرب، فظفروا بكم، وذلك عيشهم، وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني، فأحببت أن تعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني، وراجع إلى عيش اليوم الأول. ففترقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم.

وبلغ عمر، فقال لجلسائه: والله إن حربه للينة ما لها سطوبة ولا سؤرة كسورات الحروب من غيره؛ إن عمراً لبعض. ثم أمره عليها وقام بها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سعيد الربيع بن النعمان، عن عمرو بن شعيب،

قال: لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس، واقتتلت خيلاهما، جعل المسلمون يحولون بعد البعد. فدمرهم عمرو، فقال: رجل من أهل اليمن: إننا لم نخلق من حجارة ولا حديد! فقال: اسكت؛ فإنما أنت كلب، قال: فأنت أمير الكلاب، قال: فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو: أين أصحاب رسول الله ﷺ؟ فحضر من شهدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: تقدّموا، فيكم ينصر الله المسلمين. فتقدّموا وفيهم يومئذ أبو بردة وأبو بزة، وناهدهم الناس يتبعون الصحابة، ففتح الله على المسلمين، وظفروا أحسن الظفر. وافتتحت مصر في ربيع الأول سنة ست عشرة، وقام فيها ملك الإسلام على رجل، وجعل يفيض على الأمم والملوك؛ فكان أهل مصر يتدفقون على الأجل، وأهل مكران على راسل وداهر، وأهل سجستان على الشاه وذويه، وأهل خراسان والباب على خاقان، وخاقان ومن دونها من الأمم، فكفكفهم عمر إبقاء على أهل الإسلام، ولو خلى سربهم لبلغوا كل منهل.

حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني بن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا ثوبة مصر، فقتل المسلمون بالجرافات، وذهاب الحدق من جودة الرمي، فسموا رماة الحدق، فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، ولّاه إياها عثمان بن عفان رضي الله عنه، صالحهم على هدية عدّة رؤوس منهم، يؤدّونهم إلى المسلمين في كل سنة، ويهدي إليهم المسلمون في كل سنة طعاماً مسمّى وكسورة من نحو ذلك.

قال علي: قال الوليد: قال ابن لهيعة: وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والأمراء، وأقره عمر بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين، وإبقاء عليهم.

قال سيف: ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة، وضع عمر رضي الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها، وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشام في البحر، ونهد لأهل حمص بنفسه، وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر رضي الله عنه.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة - أعني سنة عشرين - غزا أرض الروم أبو بخرية الكندي عبد الله بن قيس؛ وهو أول من دخلها - فيما قيل. وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبيسي، فسلم وغنم.

قال: وقال الواقدي: وفي هذه السنة عزل قدامة بن مظعون عن البحرين، وحده في شرب الخمر.

وفيها استعمل عمر أبا هريرة على البحرين واليمامة.

قال: وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

قال: وفيها توفي بلال بن رباح رضي الله عنه، ودُفن في مقبرة دمشق.

وفيها عزل عمر سعداً عن الكوفة لشكايتهم إياه، وقالوا: لا يحسنُ يصلي.

وفيها قسم عمر خير بين المسلمين، وأجلى اليهود منها؛ وبعث أبا حبيبة إلى فدك فأقام لهم نصف. . . ، فأعطاهم؛ ومضى إلى وادي القرى فقسمها.

وفيها أجلى يهود نجران إلى الكوفة - فيما زعم الواقدي.

قال الواقدي: وفي هذه السنة - أعني سنة عشرين - دّون عمر رضي الله عنه الدواوين. قال أبو جعفر:

قد ذكرنا قول من خالفه .

وفيهما بعث عمر رضي الله عنه علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر؛ وذلك أن الحبشة كانت تطرفت - فيما ذكر - طرفاً من أطراف الإسلام؛ فأصيبوا، فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً أبداً. وأما أبو معشر فإنه قال - فيما حدثني أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: كانت غزوة الأساودة في البحر سنة إحدى وثلاثين .

قال الواقدي: وفيها مات أسيد بن الحضير في شعبان .

وفيهما ماتت زينب بنت جحش .

وحجّ في هذه السنة عمر رضي الله عنه .

وكانت عماله في هذه السنة على الأمصار عماله عليها في السنة التي قبلها، إلا من ذكرت أنه عزله واستبدل به غيره، وكذلك قضاته فيها كانوا القضاة الذين كانوا في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

قال أبو جعفر: وفيها كانت وقعة نهاوند في قول ابن إسحاق؛ حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة. عنه

وكذلك قال أبو معشر؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وكذلك قال الواقدي.

وأما سيف بن عمر فإنه قال: كانت وقعة نهاوند في سنة ثمان عشرة في سنة ست من إمارة عمر؛ كتب إلي بذلك السري، عن شعيب، عن سيف.

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند

وكان ابتداء ذلك - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال - كان من حديث نهاوند أن النعمان بن مقرن كان عاملاً على كسكر؛ فكتب إلى عمر رضي الله عنه يخبره أن سعد بن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج، وقد أحببت الجهاد ورغبت فيه.

فكتب عمر إلى سعد: إن النعمان كتب إلي يذكر أنك استعملته على جباية الخراج، وأنه قد كره ذلك، ورغب في الجهاد، فابعث به إلى أهم وجوهك؛ إلى نهاوند.

قال: وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم، عليهم ذو الحاجب - رجل من الأعاجم - فكتب عمر إلى النعمان بن مقرن:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن، سلام عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو؛ أما بعد؛ فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند؛ فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله؛ بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم؛ ولا تدخلهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار. والسلام عليك.

فسار النعمان إليه ومعه وجوه أصحاب النبي ﷺ؛ منهم حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وجريز بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي. فلما انتهى النعمان بن مقرن في جنده إلى نهاوند، طرحوا له حسكر

الحديد، فبعث عيوناً، فساروا لا يعلمون بالحسك، فزجر بعضهم فرسه؛ وقد دخلت في يده حَسَكَة، فلم يبرح، فنزل، فنظر في يده فإذا في حافره حَسَكَة، فأقبل بها، وأخبر النعمان الخبر، فقال النعمان للناس: ما ترون؟ فقالوا: انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم، فيخرجوا في طلبك؛ فانتقل النعمان من منزله ذلك، وكُنست الأعاجم الحسك، ثم خرجوا في طلبه، وعطف عليهم النعمان، فضرب عسكره، ثم عبى كتائبه، وخطب الناس فقال: إن أُصِبتُ فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أُصيب فعليكم جرير بن عبد الله، وإن أُصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح؛ فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه، فأتاه، فقال له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: إذا أظهرت قاتلتهم، لأي رأيت رسول الله ﷺ يستحب ذلك؛ فقال المغيرة: لو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال، قال له النعمان: ربما باكرت القتال؛ ثم لم يسود الله وجهك. وذلك يوم الجمعة. فقال النعمان: نصلي إن شاء الله، ثم تلقى عدوئاً دُبر الصلاة، فلما تصافوا قال النعمان للناس: إني مكبر ثلاثاً؛ فإذا كبرت الأولى فشد رجل شِشْعه، وأصلح من شأنه؛ فإذا كبرت الثانية، فشد رجل إزاره، وتباً لوجه حملته؛ فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم؛ فإني حامل. وخرجت الأعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لثلاث يفرّوا، وحمل عليهم المسلمون فقاتلوه، فرمى النعمان بنشابة فقتل رحمه الله، فلفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه، وكنتم قتله حتى فتح الله عليهم، ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، وقتل الله ذا الحجاب، وافتتحت نهاوند، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة.

قال أبو جعفر: وقد كان - فيما ذكر لي - بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السائب بن الأقرع، مولى ثقيف - وكان رجلاً كاتباً حاسباً - فقال: الحق بهذا الجيش فكن فيهم؛ فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيئهم، وخذ خمس الله وخمس رسوله؛ وإن هذا الجيش أُصيب، فاذهب في سواد الأرض، فبطن الأرض خير من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح الله على المسلمين نهاوند، أصابوا غنائم عظماً، فوالله إني لأقسم بين الناس، إذ جاءني علج من أهلها فقال: أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي؛ على أن أدلك على كنوز النخريجان - وهي كنوز آل كسرى - تكون لك ولصاحبك، لا يشركك فيها أحد؟ قال: قلت: نعم، قال: فابعث معي من أدله عليها، فبعثت معه، فأق سَفَطَيْنِ عظيمين ليس فيها إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت؛ فلما فرغت من قسيمي بين الناس احتملتها معي؛ ثم قدمت على عمر بن الخطاب؛ فقال: ما وراءك يا سائب؟ فقلت: خير يا أمير المؤمنين؛ فتح الله عليك بأعظم الفتح؛ واستشهد النعمان بن مقرن رحمه الله. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: ثم بكى فنشج، حتى إني لأنظر إلى فروع منكبیه من فوق كتفه. قال: فلما رأيت ما لقي قلت: والله يا أمير المؤمنين ما أُصيب بعده من رجل يُعرف وجهه. فقال المستضعفون من المسلمين: لكن أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم، وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر! ثم قام ليدخل، فقلت: إن معي مالاً عظيماً قد جئت به، ثم أخبرته خبر السَفَطَيْنِ، قال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما، والحق بجندك. قال: فأدخلتهما بيت المال، وخرجت سريعاً إلى الكوفة. قال: وبات تلك الليلة التي خرجت فيها؛ فلما أصبح بعث في أثري رسولاً، فوالله ما أدركني حتى دخلت الكوفة، فأنخت بعيري، وأناخ بعيره على عُرقوبي بعيري، فقال: الحق بأمر المؤمنين، فقد بعثني في طلبك، فلم أقدر عليك إلا الآن. قال: قلت: ويلك! ماذا ولماذا؟ قال: لا أدري والله، قال: فركبت معه حتى قدمت عليه، فلما رأيته قال: مالي ولا ابن أم السائب! بل ما لابن أم

السائب ومالي! قال: قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ويحك! والله ما هو إلا أن نمت في الليلة التي خرجت فيها، فباتت ملائكة ربي تسحبني إلى ذنك السفطين يشتعلان ناراً، يقولون: لنكويَنَّك بهما، فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين؛ فخذهما عني لا أبالك والحق بهما، فبعتهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم. قال: فخرجتُ بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة، «وغشيتي التجار، فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف؛ ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم، فباعهما بأربعة آلاف ألف، فما زال أكثر أهل الكوفة مالاً بعد.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن زياد بن حدير، قال: حدثني أبي؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال للهرمزان حين آمنه: لا بأس، انصح لي، قال: نعم، قال: إن فارس اليوم رأس وجناحان؛ قال: وأين الرأس؟ قال: إنهاوند مع بُندار؛ فإن معه أساورة كسرى وأهل أصبهان، قال: وأين الجناحان؟ فذكر مكاناً نسيته، قال: فاقطع الجناحين بين الرأس. فقال عمر: كذبت يا عدو الله! بل أعمد إلى الرأس فأقطعه، فإذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان. قال: فأراد أن يسير إليه بنفسه، فقالوا: نذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك إلى حلبة العجم؛ فإن أصبت لم يكن للمسلمين نظام؛ ولكن ابعث الجنود؛ فبعث أهل المدينة فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وفيهم المهاجرون والأنصار؛ وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن سر بأهل البصرة، وكتب إلى حذيفة بن اليمان أن سر بأهل الكوفة حتى تجتمعوا جميعاً إنهاوند؛ وكتب: إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزني؛ فلما اجتمعوا إنهاوند، أرسل بُندار العِلاج إليهم: أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه؛ فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة. قال أبي: كأني أنظر إليه؛ رجلاً طويل الشعر أعور؛ فأرسلوه إليه، فلما جاء سألناه، فقال: وجدته قد استشار أصحابه؛ فقال: بأي شيء نأذن لهذا العربي؟ بشارتنا وبهجتنا ومُلْكنا، أو نتكشف له فيما قبلنا حتى يزهد؟ فقالوا: لا، بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدّة، فتهيؤوا بها فلما أتيناهم كادت الحراب والنيازك يُلْتَمَع منها البصر، فإذا هم على رأسه مثل الشياطين، وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج. قال: فمضيت كما أنا ونكست، قال: فدفعته وذهبت، فقلت: الرسل لا يفعل بهم هذا، فقالوا: إنما أنت كلب، فقلت: معاذ الله! لأنا أشرف في قومي من هذا في قومه؛ فانتهروني، وقالوا: اجلس؛ فأجلسوني. قال - وترجم له قوله: إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء، وأقذر الناس قدراً، وأبعد داراً؛ وما منعني أن أمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينظموكم بالنشاب إلا تنجسوا لجيفكم، فإنكم أرجاس؛ فإن تذهبوا نُحَلَّ عنكم، وإن تأتوا نركم مصارعكم؛ قال: فحمدت الله، وأثنت عليه، فقلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً، ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشد الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء؛ وأبعد الناس من كل خير، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله ﷺ؛ فوعدنا النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة؛ فوالله ما زلنا نتعرّف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر، حتى أتيناكم، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم؛ أو نقتل بأرضكم. فقال: أما والله إن الأعور قد صدقكم الذي في نفسه. قال: فقمّت وقد والله أرعبت العِلاج جهدي. قال: فأرسل إلينا العِلاج: إمّا أن تعبروا إلينا إنهاوند؛ وإمّا أن نعبر إليكم. فقال النعمان: اعبروا، قال أبي: فلم أر والله مثل ذلك اليوم، إنهم يجيئون كأنهم جبال حديد، قد توائقوا ألا يفروا من العرب، وقد قرن بعضهم بعضاً؛ سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد خلفهم، وقالوا: من فرمنا عقره حسك الحديد. فقال المغيرة حين رأى كثرتهم: لم أر كالיום فشلاً، إن عدونا يُتركون يتأهبون لا

يُعجلون، أما والله لو أن الأمر لي لقد أعجلتهم - وكان النعمان بن مقرن رجلاً لينا - فقال له: فالله عز وجل يُشهدك أمثالها فلا يُجزئك ولا يعيبك موقفك، إنه والله ما منعي من أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ؛ أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة، وتهب الأرواح، ويطيب القتال؛ فما منعي إلا ذلك. اللهم إني أسألك أن تُقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذلل يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، أمّنوا برحمكم الله! فأمّنّا وبكىنا. ثم قال: إني هارز لوائي فتيسروا للسلاح، ثم هارز الثانية، فكونوا متأهبين لقتال عدوكم، فإذا هزرت الثالثة فليحمل كل قوم على من يليهم من عدوهم على بركة الله.

قال: وجاؤوا بحسك الحديد. قال: فجعل يلبث حتى إذا حضرت الصلاة وهبت الأرواح كبر وكبرنا، ثم قال: أرجو أن يستجيب الله لي؛ ويفتح عليّ، ثم هز اللواء، فتيسرنا للقتال، ثم هز الثانية فكنا بإزاء العدو، ثم هز الثالثة.

قال: فكبر وكبر المسلمون، وقالوا: فتحاً يعز الله به الإسلام وأهله، ثم قال النعمان: إن أصبت فعلى الناس حذيفة بن اليمان، وإن أصيب حذيفة ففلان؛ وإن أصيب فلان ففلان؛ حتى عد سبعة آخرهم المغيرة، ثم هز اللواء الثالثة، فحمل كل إنسان على من يليه من العدو. قال: فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله، حتى يُقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة، وثبتوا لنا، فما كنّا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد، حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة؛ بعضهم على بعض في فياد، فيقتلون جميعاً، وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم. فقال النعمان رضي الله عنه: قدّموا اللواء، فجعلنا نقدّم اللواء، ونقتلهم ونهزمهم. فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح، جاءته نصابة فأصابته خاصرته، فقتلته. قال: فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوباً، وأخذ اللواء فقاتل، ثم قال: تقدّموا نقتلهم ونهزمهم؛ فلما اجتمع الناس قالوا: أين أميرنا؟ قال معقل: هذا أميركم، قد أقر الله عينه بالفتح؛ وختم له بالشهادة. قال: فبايع الناس حذيفة وعمر بالمدينة يستنصر له، ويدعوه له مثل الحبل.

قال: وكتب إلى عمر بالفتح مع رجل من المسلمين؛ فلما أتاه قال له: أبشّر يا أمير المؤمنين بفتح أعز الله به الإسلام وأهله، وأذل به الكفر وأهله. قال: فحمد الله عز وجل، ثم قال: النعمان بعثك؟ قال: احتسب النعمان يا أمير المؤمنين، قال: فبكى عمر واسترجع. قال: ومن يحك! قال: فلان وفلان؛ حتى عد له ناساً كثيراً، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم، فقال عمر وهو يبكي: لا يضرهم ألا يعرفهم عمر؛ ولكن الله يعرفهم.

وأما سيف، فإنه قال - فيها كتب إلى السري يذكر أن شعيباً حدثه عنه؛ وعن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد - إن الذي هاج أمر نهاوند أن أهل البصرة لما أشجوا الهرمزان، وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء، ووطئوا أهل فارس، كاتبوا ملكهم؛ وهم يومئذ بمرو، فحركوه، فكتب الملك أهل الجبال من بين الباب والسند وخراسان وحلوان، فتحركوا وتكاثبوا، وركب بعضهم إلى بعض، فأجمعوا أن يوافوا نهاوند، ويبرموا فيها أمورهم، فتوافى إلى نهاوند أهلهم.

وبلغ سعد الخبر عن قباذ صاحب حلوان، فكتب إلى عمر بذلك، فترا بسعد أقوام، وألبوا عليه فيما بين تراسل القوم واجتماعهم إلى نهاوند، ولم يشغلهم ما دهم المسلمين من ذلك؛ وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي في نفر، فقال عمر: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر، وقد استعد لكم من استعدوا، وإيم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم. فبعث عمر محمد بن مسلمة، والناس في الاستعداد للأعاجم، والأعاجم في الاجتماع - وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شكي زمان عمر - فقدم محمد على سعد ليطوف به في أهل الكوفة، والبعوث تضرب على أهل الأمصار إلى نهاوند، فطوف به على مساجد أهل الكوفة، لا يتعرض للمسألة عنه في السر، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك؛ وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا: لا نعلم إلا خيراً، ولا نشتهي به بدلاً، ولا نقول فيه، ولا نعين عليه؛ إلا من مالا الجراح بن سنان وأصحابه، فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً، ولا يسوغ لهم، ويتعمدون ترك الثناء، حتى انتهوا إلى بني عيس، فقال محمد: أنشد بالله رجلاً يعلم حقاً إلا قال! قال أسامة بن قتادة: اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية. فقال سعد: اللهم إن كان قالها كاذباً ورتاء وسمعة فأعم بصره، وأكثر عياله، وعرضه لمضلات الفتن. فعيي، واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يحسها؛ فإذا عثر عليه قال: دعو سعد الرجل المبارك. ثم أقبل على الدعاء على النفر، فقال: اللهم إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً وكذباً فاجهد بلاءهم؛ فجهد بلاؤهم، ففقطع الجراح بالسيوف يوم ثاور الحسن بن علي ليغتناله بسباط، وشديخ قبيصة بالحجارة، وقتل أربد بالوجع وبنعال السيوف. وقال سعد: إني لأول رجل أهرق دماً من المشركين؛ ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، وما جمعها لأحد قبلي، ولقد رأيته خمس الإسلام، وبنو أسد تزعم أنني لا أحسن أن أصلي، وأن الصيد يلهمني. وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر، فقال: يا سعد؛ ويحك، كيف تصلي! فقال: أطيل الأوليين، وأحذف الآخرين، فقال: هكذا الظن بك! ثم قال: لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيتاً. ثم قال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟ قال: عبدالله بن عبدالله بن عتبان، فأقره واستعمله؛ فكان سبب نهاوند وبدء مشورتها وبعوثها في زمان سعد؛ وأما الواقعة ففي زمان عبد الله.

قالوا: وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزيد جرد الملك، فتوافوا إلى نهاوند، فتوافى إليها من بين خراسان إلى حلوان؛ ومن بين الباب إلى حلوان، ومن بين سجستان إلى حلوان؛ فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج أهل الجبال من بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل؛ ومن بين خراسان إلى حلوان ستون ألف مقاتل، ومن بين سجستان إلى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل، واجتمعوا على الفيروزان، وإليه كانوا توافوا وشاركهم موسى.

عن حمزة بن المغيرة بن شعبة، عن أبي طعمة الثقفي - وكان قد أدرك ذلك - قال: ثم إنهم قالوا: إن محمداً الذي جاء العرب بالدين لم يغرّض غرضنا، ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرّض غرض فارس؛ إلا في غارة تعرّض لهم فيها؛ وإلا فيما يلي بلادهم من السواد. ثم ملك عمر من بعده، فطال ملكه وعرض؛ حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز، وأوطأها، ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة في غفر دارهم، وهو آتيكم إن لم تأتوه؛ فقد أخرب بيت مملكتهم، واقتحم بلاد مملكتكم، وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده، وتقلعوا هذين المصرين، ثم تشغلوه في بلاده وقراره. وتعاهدوا وتعاقدوا، وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً، وتمالؤوا عليه.

وبلغ الخبرُ سعداً، وقد استخلف عبدُ الله بن عبد الله بن عتبَّان. ولَمَّا شَخَّصَ لقي عمرَ بالخبرِ مشافهةً، وقد كان كتب إلى عمر بذلك، وقال: إِنَّ أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح قبل أن يبادروهم الشدَّة - وقد كان عمر منعهم من الانسياح في الجبل.

وكتب إليه أيضاً عبدُ الله وغيره بأنه قد تجمَّع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل؛ فإن جاؤونا قبل أن نبادرهم الشدَّة ازدادوا جرأة وقوَّة؛ وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلكم؛ وكان الرسول بذلك قريب بن ظَفَر العبدِيّ.

ثم خرج سعد بعده فوافَى مشورة عُمَر؛ فلما قدم الرسول بالكتاب إلى عمر بالخبر فرآه قال: ما اسمك؟ قال: قَرِيب، قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن ظَفَر، فتفاءل إلى ذلك، وقال: ظَفَر قريب إن شاء الله، ولا قوَّة إلَّا بالله! ونودي، في الناس: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس، ووافاه سعد، فتفاءل إلى سعد بن مالك، وقام على المنبر خطيباً، فأخبره الناس الخبر، واستشارهم، وقال: هذا يوم له ما بعده من الأيام؛ ألا وإني قد هممتُ بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه، ثم أخبروني وأوجزوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، ولا تكثرُوا ولا تطيلوا، فتُفْشَغَ بكم الأمور، ويلتوي عليكم الرأي؛ أفمن الرأي أن أسيرَ فيمن قبلي ومن قدرتُ عليه، حتى أنزل منزلاً واسطاً بين هذين المصرين، فاستنفرهم ثم أكونَ لهم رُدءاً حتى يفتح الله عليهم، ويقضي ما أحب؛ فإن فُتِحَ الله عليهم أن أضربَ بهم عليهم في بلادهم؛ وليتنازعوا ملكهم. فقام عثمان بن عفَّان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف؛ في رجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فتكلموا كلاماً، فقالوا: لا نرى ذلك؛ ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرُك؛ وقالوا: بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم، ومن قد فضَّ جموعهم، وقتل ملوكهم، وبأشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه؛ وإنما استأذنونك ولم يستصرخوك، فأذن لهم، وانْدُب إليهم؛ وادعُ لهم. وكان الذي ينتقد له الرأي إذا عُرِض عليه العباس رضي الله عنه.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن حمزة، عن أبي طُعْمَة، قال: فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي، وفهموا ما كتب به إليك؛ وإنَّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلَّة؛ هو دينه الذي أظهر؛ وجنده الذي أعزَّ وأيده بالملائكة؛ حتى بلغ ما بلغ؛ فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده؛ ومكانك منهم مكان النظام من الخرز، يجمعه ويمسكه؛ فإن انحَلَّ تفرَّق ما فيه وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهي كثير عزيز بالإسلام؛ فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم؛ ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأحدُّ وأجدُّ من هؤلاء فليأتهم الثلثان وليُقم الثلث؛ واكتب إلى أهل البصرة أن يمدُّوهم ببعض من عندهم.

فسرَّ عمر بحسن رأيهم، وأعجبه ذلك منهم. وقال سعد فقال: يا أمير المؤمنين؛ خفَّض عليك، فإنهم إنما جمعوا لِنِقْمَة.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي بكر الهذلي، قال: لما أخبرهم عمر الخبر واستشارهم، وقال: أوجزوا في القول، ولا تطيلوا فتُفْشَغَ بكم الأمور، واعلموا أنَّ هذا يوم له ما بعده من الأيام، تكلموا، فقام طلحة بن عبيد الله - وكان من خطباء أصحاب رسول الله ﷺ - فتشهد، ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد أحكمتكم الأمور، وعجمتكم البلايا، واحتكتكتكم التجارب، وأنت وشأنك؛ وأنت

ورأيك، لا ننبؤ في يديك، ولا نكل عليك، إليك هذا الأمر، فمرنا نطع، وادعنا نجب، واحملنا نركب، ووقدنا نفد، وقدنا ننقد؛ فإنك وليّ هذا الأمر، وقد بلوت وجربت واختبرت؛ فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار. ثم جلس. فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا. فقام عثمان بن عفان، فتشهد، وقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأهم، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين: الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين؛ فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعزّزاً وأكثر؛ يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية، ولا تمتع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز؛ إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام؛ فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه. ثم جلس.

فعاد عمر، فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا؛ فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين؛ فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات؛ أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرهم وذراريهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم، لثلاث ينتقضوا عليهم، ولتسير فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم؛ إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير العرب، وأصل العرب؛ فكان ذلك أشدّ لكلبهم، وألبتهم على نفسك. وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره؛ وأما ما ذكرت من عددهم؛ فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة؛ ولكننا كنا نقاتل بالنصر.

فقال عمر: أجل والله، لئن شخصت من البلدة لتنتقضن عليّ الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرت إليّ الأعاجم لا يفارقن العرصة، وليمدنهم من لم يمدهم، وليقولن: هذا أصل العرب؛ فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب، فأشيروا عليّ برجل أوله ذلك الثغر غداً. قالوا: أنت أفضل رأياً، وأحسن مقدرة، قال: أشيروا عليّ به، واجعلوه عراقياً. قالوا: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم بأهل العراق، وجندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم، فقال: أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكوننّ لأول الأئمة إذا لقياها غداً، فقيل: من يا أمير المؤمنين؟ فقال: النعمان بن مقرن المزني. فقالوا: هو لها - والنعمان يومئذ بالبصرة معه قواد من قواد أهل الكوفة أمدهم بهم عمر عند انتقاض الهرمزان؛ فافتتحوا رامهرمز وإبذج، وأعانوهم على تسير وجندي سابور والسوس. فكتب إليه عمر مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة بالخبر؛ وأني قد وليتك حربهم، فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا الله، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وروي عن أبي وائل في سبب توجيه عمر النعمان بن مقرن إلى نهاوند، ما حدثني به محمد بن عبد الله بن صفوان الثَّقَفِيّ، قال: حدثنا أمية بن خالد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن، قال: قال أبو وائل: كان النعمان بن مقرن على كسكر، فكتب إلى عمر: مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب وإلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأشددك الله لما عزلتني عن كسكر، وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين!

قال: فكتب إليه عمر: أن ائتِ الناسَ بنِهاوند، فأنتَ عليهم. قال: فالتقوا، فكانَ أوَّلَ قتيل، وأخذَ الرايةَ أخوه سُويد بن مقرن، ففتحَ الله على المسلمين؛ ولم يكن لهم - يعني للفرس - جماعة بعد يومئذ؛ فكانَ أهل كلِّ مصر يغزُون عدوهم في بلادهم.

رجع الحديث إلى حديث سيف. وكتب - يعني عمر - إلى عبد الله بن عبد الله مع ربِعي بن عامر، أن استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا، فإني قد كتبتُ إليه بالتوجه من الأهواز إلى ماه، فليوافوه بها، وليسر بهم إلى نهاوند؛ وقد أمرت عليهم خذيفة بن اليمان، حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن؛ وقد كتبت إلى النعمان: إن حدث بك حدث فعلى الناس خذيفة بن اليمان؛ فإن حدثت بخذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن، وردَّ قريب بن ظفر وردَّ معه السائب بن الأقرع أميناً. وقال: إن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم، ولا تحذعني ولا ترفع إليّ باطلاً، وإن نكب القوم فلا تراني ولا أراك. فقدموا إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحاث؛ وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الروادف، ليلبوا في الدين، وليدركوا حظاً، وخرج خذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم حتى قدموا على النعمان بالطَّزَر، وجعلوا بمَرَجِ القلعة خيلاً عليها السُّيَر. وقد كتب عمر إلى سُلمي بن القَيْنِ وَحَرْملة بن مُريطة وَزَرَّ بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة، وقواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز، أن اشغلوا فارس عن إخوانكم، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري. وبعث مجاشع بن مسعود السُّلَميَّ إلى الأهواز، وقال له: انصل منها على ماه؛ فخرج حتى إذا كان بغُضَي شَجَر، أمره النعمان أن يقيم مكانه، فأقام بين غُضَي شجر ومَرَجِ القلعة، ونصل سُلمي وَحَرْملة وَزَرَّ والمقترب، فكانوا في تحومِ إصْبَهان وفارس، فقطعوا بذلك عن أهل نهاوند أمداد فارس.

ولما قدِم أهل الكوفة على النعمان بالطَّزَر جاءه كتاب عمر مع قريب: إن معك حدَّ العرب ورجالهم في الجاهلية، فأدخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب، واستعن بهم، واشرب برأيهم، وسلَّ طليحة وعمرأ وعمرأ ولا تؤلِّم شيئاً. فبعث من الطَّزَر طليحة وعمرأ وعمرأ طليحة لياتوه بالخبر، وتقدَّم إليهم ألا يغلوا. فخرج طليحة بن خويلد وعمر بن أبي سُلمي الغَزَري، وعمر بن معد يكرب الزُّبيدي، فلما ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبي سُلمي، فقالوا: ما رجعت؟ قال: كنت في أرض العجم؛ وقتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها. ومضى طليحة وعمر بن أبي سُلمي حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو، فقالوا: ما رجعت؟ قال: سرنا يوماً وليلة، ولم نر شيئاً، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق. ونفذ طليحة ولم يحفل بها. فقال الناس: ارتد الثانية، ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند، وبين الطَّزَر ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً. فعلم علم القوم، واطلع على الأخبار، ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور كبر الناس، فقال: ما شأن الناس؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه، فقال: والله لو لم يكن دينٌ إلا العربية ما كنت لأجزر العُجم الطماطم هذه العرب العاربة. فأقى النعمان فدخل عليه، فأخبروه الخبر، وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه، ولا أحد. فنأدى عند ذلك النعمان بالرحيل، فأمرهم بالتعبية. وبعث إلى مجاشع بن مسعود أن يسوق الناس، وسار النعمان على تعبيته، وعلى مقدَّمته نعيم بن مقرن، وعلى مجنبيه خذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع؛ وقد توافى إليه أمداد المدينة، فيهم المغيرة وعبد الله، فانتهوا إلى الإسيذهان والقوم وقوف دون أي خُرد على تعبيتهم وأميرهم الفيروزان، وعلى مجنبيه الزردق وبهمن جاذويَّه الذي جعل مكان ذي

الحاجب، وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب عن القادسيّة والأيام من أهل الثغور وأمرائها وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادم، وعلى خيولهم أنوشق. فلما رآهم النعمان كبر وكبر الناس معه فتزلزلت الأعاجم، فأمر النعمان وهو واقف بحطّ الأثقال وبضرب الفسطاط، فضرب وهو واقف، فابتدره أشراف أهل الكوفة [وأعيانهم، فسبق إليه يومئذ عدّة من أشراف أهل الكوفة] تسابقوا فبنوا له فسطاطاً سابقوا أكفاءهم فسبقوهم؛ وهم أربعة عشر، منهم حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وبشير بن الخصاصيّة، وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوثر، وربيع بن عامر، وعامر بن مطر، وجريز بن عبد الله الحميري، والأقرع بن عبد الله الحميري، وجريز بن عبد الله البجلي، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني، ووائل بن حُجر، فلم ير بناءً فسطاط بالعراق كهؤلاء. وأنشبت النعمان بعدما حطّ الأثقال القتال؛ فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس، والحرب بينهم في ذاك سجال في سبع سنين من إمارة عمر، في سنة تسع عشرة، وإنهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة، وحصرهم المسلمون، فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار؛ لا يخرجون إلّا إذا أرادوا الخروج، فاشتدّ ذلك على المسلمين، وخافوا أن يطول أمرهم [وسرهم أن يناجزهم عدوهم]؛ حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من المسلمين، فتكلموا، وقالوا: نراهم علينا بالخيار. وأتوا النعمان في ذلك فأخبروه، فوافقوه وهو يروّي في الذي رَوَوْا فيه. فقال: على رسلكم، لا تبرحوا! وبعث إلى من بقي من أهل النجدات والرأي في الحروب، فتوافوا إليه، فتكلم النعمان، فقال: قد ترون المشركين واعتصامهم بالحُصون من الخنادق والمداخن؛ وأنهم لا يخرجون إلّا إذا شأوا، ولا يقدر المسلمون على إنغاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم؛ وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه من الخيار عليهم في الخروج؛ فما الرأي الذي به نُحْمِشهم ونستخرجهم إلى المنابذة، وترك التطويل؟

فتكلم عمرو بن نُثَي - وكان أكبر الناس يومئذ سنّاً، وكانوا إنّما يتكلمون على الأسنان - فقال: التحصّن عليهم أشدّ من المطاولة عليكم، فدعهم ولا تحرّجهم وطاولهم، وقاتل من أذاك منهم؛ فردّوا عليه جميعاً رأيه. وقالوا: إنا على يقين من إنجاز ربّنا موعده لنا.

وتكلم عمرو بن معد يكرب، فقال: ناهضهم وكاثّرهم ولا تحفّهم. فردّوا عليه جميعاً رأيه، وقالوا: إنّما تناطح بنا الجدران، والجدران لهم أعوان علينا.

وتكلم طليحة فقال: قد قالا ولم يصيبا ما أرادا؛ وأمّا أنا فأرى أن تبعث خيلاً مؤدبة، فيُحدّقوا بهم، ثم يرموا لينشبوا القتال، ويحمّشوهم، فإذا استحمّشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً؛ فإنّا لم نستطدّ لهم في طول ما قاتلناهم، وإنّا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منّا طمّعوا في هزيمتنا ولم يشكّوا فيها، فخرجوا فجادونا وجاددناهم؛ حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحبّ.

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو - وكان على المجردة - ففعل؛ وأنشبت القتال بعد احتجاز من العجم، فأغصّهم فلم يخرجوا نكص، ثم نكص، ثم نكص، واغتنمها الأعاجم، ففعلوا كما ظنّ طليحة وقالوا: هي هي؛ فخرجوا فلم يبق أحد إلّا من يقوم لهم على الأبواب؛ وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس، وانقطع القوم عن حصنهم بعض الانقطاع؛ والنعمان بن مقرن والمسلمون على تعبيتهم في يوم جمعة في صدر

النهار، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم؛ ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفسحوا فيهم الجراحات، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض، ثم قالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه! ألا ترى إلى ما لقي الناس، فما تنتظر بهم! ائذن للناس في قتالهم، فقال لهم النعمان: رويداً رويداً! قالوا له ذلك مراراً، فأجابهم بمثل ذلك مراراً: رويداً رويداً، فقال المغيرة: لو أن هذا الأمر إليّ علمت ما أصنع! فقال: رويداً ترى أمرك؛ وقد كنت تلي الأمر فتحسين، فلا يخذلنا الله ولا إياك؛ ونحن نرجو في المكث مثل الذي نرجو في الحث. وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحب إلى رسول الله ﷺ في القتال أن يلقي فيها العدو؛ وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح. فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشش النعمان، وسار في الناس على بردون أحوى قريب من الأرض، فجعل يقف على كل راية، ويحمد الله ويثني عليه، ويقول: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هوداي وما وعدكم وصدوره؛ وإنما بقيت أعجازه وأكارعه؛ والله منجز وعده، ومتبّع آخر ذلك أوله، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة، فأنتم اليوم عباد الله حقاً وأوليائه، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذي لهم في ظفركم وعزكم؛ والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم، وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم، وما أخطرتكم وما أخطروا لكم؛ فأما ما أخطروا لكم فهذه الرئة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرتكم لهم فدينكم ويئسركم، ولا سواء ما أخطرتكم وما أخطروا؛ فلا يكونن على دنياهم أحى منكم على دينكم؛ واتقى الله عبد صدق الله؛ وأبلى نفسه فأحسن البلاء؛ فإنكم بين خيرين منتظرين؛ إحدى الحسنين؛ من بين شهيد حي مرزوق، أو فتح قريب وظفر يسير. فكفى كل رجل ما يليه، ولم يكل قرنه إلى أخيه؛ فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه، وذلك من الملامة، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه؛ فكل رجل منكم مسلط على ما يليه؛ فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثاً، فإذا كبرت التكبرة الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ؛ فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض؛ فإذا كبرت الثالثة؛ فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معاً. اللهم أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

فلما فرغ النعمان من التقدّم إلى أهل المواقف، وقضى إليهم أمره، رجع إلى موقفه، فكبر الأولى والثانية والثالثة؛ والناس سامعون مطيعون مستعدون للمناهضة، يُنحي بعضهم بعضاً عن سَنَنهم، وحمل النعمان وحمل الناس، وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب، والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد [قتالاً] منها، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دماً يزلق الناس والدواب فيه، وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء، فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه، وأصيب النعمان حين زلق به فرسه، وصرع. وتناول الراية نعيم بن مقرن قبل أن تقع، وسجى النعمان بثوب، وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه، وكان اللواء مع حذيفة، فجعل حذيفة نعيم بن مقرن مكانه، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان فأقام اللواء، وقال له المغيرة: اكنموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم؛ لكيلاً بين الناس؛ واقتتلوا حتى إذا أظلمهم الليل انكشف المشركون وذهبوا، والمسلمون ملطون بهم متلبسون، فعُمي عليهم قصدتهم، فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان، فوقعوا فيه، وجعلوا لا يهوي منهم أحد إلا قال: «وايه

خُرْد»، فسمي بذلك «وايه خُرْد» إلى اليوم، فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون، سوى من قتل في المعركة منهم أعدادهم، لم يفلت إلا الشريد، ونجا الفيروزان بين الصرعى في المعركة، فهرب نحو همدان في ذلك الشريد، فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع قدامه فأدركه حين انتهى إلى ثنية همدان، والثنية مشحونة من بغال وحير موقرة عسلا، فحبسه الدواب على أجله، فقتله على الثنية بعد ما امتنع، وقال المسلمون: إن الله جنوداً من عسل، واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال، فأقبل بها، وسميت الثنية بذلك ثنية العسل؛ وإن الفيروزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل في الجبل إذ لم يجد مساعاً، وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه، ومضى الفلال حتى انتهوا إلى مدينة همدان والخيول في آثارهم، فدخلوها، فنزل المسلمون عليهم، وحووا ما حولها، فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم، وقبل منهم على أن يضمن لهم همدان ودستبي، وألا يؤق المسلمون منهم؛ فأجابوهم إلى ذلك وآمنوهم؛ وأمن الناس، وأقبل كل من كان هرب، ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتوا ما فيها وما حولها، وجمعوا الأسلاب والرثا إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع.

فبيناهم كذلك على حالهم وفي عسكرهم يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمدان، أقبل الهربذ صاحب بيت النار على أمان؛ فأبلغ حذيفة، فقال: أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم؟ قال: نعم، قال: إن النخيرجان وضع عندي ذخيرة لكسرى، فأنا أخرجها لك على أمان وأمان من شئت، فأعطاه ذلك، فأخرج له ذخيرة كسرى؛ جوهرأ كان أعدّه لنواب الزمان، فنظروا في ذلك، فأجمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر، فجعلوه له؛ فأخروه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم، فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين، وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند، ورفع ما بقي من الأخماس إلى السائب بن الأقرع، فقبض السائب الأخماس، فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى. وأقام حذيفة بعد الكتاب بفتح نهاوند بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره؛ وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم، أخو بني ربيعة بن مالك.

فلما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همدان قد أخذت، ونزلها نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو اقتدوا بخسروشنوم، فراسلوا حذيفة، فأجابهم إلى ما طلبوا، فأجمعوا على القبول، وعزموا على إتيان حذيفة، فخذعهم دينار - وهو دون أولئك الملوك، وكان ملكاً، إلا أن غيره منهم كان أرفع منه؛ وكان أشرفهم قارن - وقال: لا تلقوهم في جمالكم ولكن تقهلوهم؛ ففعلوا، وخالفهم فأتاهم في الديباج والخلي، وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا، فعاقدوه عليهم؛ ولم يجد الآخرون بداً من متابعتة والدخول في أمره، فقبل «ماه دينار» لذلك. فذهب حذيفة بماء دينار؛ وقد كان النعمان عاقد بهراذان على مثل ذلك، فُسبت إلى بهراذان، ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدهم؛ فافتتحها فُسبت إلى النسير، وقسم حذيفة لمن خلّفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضى شجر ولأهل المسالحي جميعاً في في نهاوند مثل الذي قسم لأهل المعركة، لأنهم كانوا رداءً للمسلمين لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه. وتكمل عمر تلك الليلة التي كان قدّر للقائهم، وجعل يخرج ويلتمس الخبر؛ فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه، فرجع إلى المدينة ليلاً، فمر به راكب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة. فقال: يا عبدالله، من أين أقبلت؟ قال: من نهاوند، قال: ما الخبر؟ قال: الخبر خير؛ فتح الله على النعمان؛ واستشهد، واقتسم المسلمون في نهاوند، فأصاب الفارس ستة آلاف.

وطواه الرّاكب حتّى انغمس في المدينة، فدخل الرجل، فبات فأصبح فتحدث بحديثه، ونمى الخبر حتّى بلغ عمر؛ وهو فيما هو فيه، فأرسل إليه، فسأله فأخبره، فقال: صدق وصدقت؛ هذا عُثيم يريد الجنّ، وقد رأى يريد الإنس، فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك، فقال: الخبر! فقال: ما عندي أكثر من الفتح، خرجتُ والمسلمون في الطلب وهم على رجل؛ وكنتمه إلّا ما سرّه.

ثم خرج وخرج معه أصحابه، فأمعن؛ فرفع له راكب، فقال: قولوا، فقال عثمان بن عفّان: السائب، فقال: السائب، فلما دنا منه قال: ما وراءك؟ قال: البُشرى والفتح، قال: ما فعل النعمان؟ قال: زلّق فرسه في دماء القوم، فصرّع فاستشهد، فانطلق راجعاً والسائب يسايره، وسأل عن عدد من قتل من المسلمين؛ فأخبره بعدد قليل؛ وأنّ النعمان أوّل من استشهد يوم فتح الفتوح - وكذلك كان يسمّيه أهل الكوفة والمسلمون - فلما دخل المسجد حطّت الأحمال فوضعت في المسجد، وأمر نفرّاً من أصحابه - منهم عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم - بالمبيت فيه، ودخل منزله، وأتبعه السائب بن الأقرع بذَيْنِكَ السّفْطَيْنِ، وأخبره خبرهما وخبر الناس؛ فقال: يابنْ مُليكة؛ والله ما درّوا هذا، ولا أنت معهم! فالنّجاء النّجاء، عودك على بدئك حتّى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه؛ فأقبل راجعاً بقبْلٍ حتّى انتهى إلى حذيفة بماء؛ فأقامهما فباعهما، فأصاب أربعة آلاف ألف.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس الأسديّ؛ أنّ رجلاً يقال له جعفر بن راشد، قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند: لقد أخذتُنا خلّة؛ فهل بقي من أعاجيبك شيء تنفعنا به؟ فقال: كما أنتم حتّى أنظر، فأخذ كساء فتقنّع به غير كثير، ثم قال: البيان البيان، غنم الدّهقان، في بستان، مكان أرونان. فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمّنة.

كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي معبد العبيّ وعروة بن الوليد، عمّن حدّثهم من قومهم، قال: بينما نحن محاصرو أهل نهاوند خرجوا علينا ذات يوم، فقاتلونا فلم نلبّثهم أن هزمهم الله، فتبع سماك بن عُبيد العبيّ - رجلاً منهم - معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم؛ فلم يبرز له أحد إلّا قتله، حتّى أتى عليهم. ثم حمل على الذي كانوا معه، فأسره وأخذ سلاحه، ودعا له رجلاً اسمه عبد، فوكّله به، فقال: اذهبوا بي إلى أميركم حتّى أصلحه على هذه الأرض؛ وأودّيّ إليه الجزية، وسلّني أنت عن إيسارك ما شئت، وقد مننت عليّ إذ لم تقتلني؛ وإنّما أنا عبدك الآن؛ وإن أدخلتني على الملك، وأصلحت ما بيني وبينه وجدت لي شكراً، وكنت لي أخاً. فخلّى سبيله وآمنه؛ وقال: من أنت؟ قال: أنا دينار - والبيت منهم يومئذ في آل قارن - فأتى به حذيفة، فحدّثه دينار عن نجدة سماك وما قتل ونظره للمسلمين، فصالحه على الخراج، فنسبت إليه ماه، وكان يواصل سماكاً ويهدى له، ويوافي الكوفة كلما كان عمله إلى عامل الكوفة، فقدم الكوفة في إمارة معاوية، فقام في الناس بالكوفة، فقال: يا معشر أهل الكوفة؛ أنتم أوّل ما مررتم بنا كنتم خيار الناس، فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان، ثم تغيّرتم وفشت فيكم خصال أربع؛ بُخل، وخبّ، وغدر، وضيق؛ ولم يكن فيكم واحدة منهنّ، فرمقّتكم، فإذا ذلك في مولديكم، فعلمت من أين أنيتم، فإذا الخبّ من قبل النّبْط، والبخل من قبل فارس، والغدر من قبل خراسان، والضيق من قبل الأهواز.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشّعبيّ، قال: لما قُدم بسبي

نِهاوند إلى المدينة ؛ جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه ويكى وقال :
أكلَ عمر كبدي - وكان نِهاوندياً ، فأسرته الروم أيام فارس ، وأسرهُ المسلمون بعد ، فنُسِبَ إلى حيث سُبي .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبيّ ، قال : قُتِلَ في اللَّهَبِ مَنْ
هوَى فيه ثمانون ألفاً ، وفي المعركة ثلاثون ألفاً مقترين ، سوى مَنْ قُتِلَ في الطلب ؛ وكان المسلمون ثلاثين ألفاً ،
وافْتُتحت مدينة نِهاوند في أوّل سنة تسع عشرة ، لسبع سنين من إمارة عمر ، لتمام سنة ثمان عشرة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة في كتاب النعمان بن مقرّن
وحُذيفة لأهل الماهين :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما أعطى النعمان بن مقرّن أهل ماه بَهْرَازان ؛ أعطاهم الأمانَ على أنفسهم
وأموالهم وأراضيهم ؛ لا يُغيّرون على ملّة ، ولا يُحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنّة ما أدّوا الجزية في كلّ سنة
إلى مَنْ وَلِيَهُمْ ؛ على كلّ حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته ؛ وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقرّوا
جنودَ المسلمين مَنْ مرّ بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ، ووفّوا ونصحوا ، فإن غَشُوا وبدّلوا ؛ فذمّنا منهم بريئة . شهد
عبد الله بن ذي السهمين ، والققعاق بن عمرو ، وجريز بن عبد الله .

وكتب في المحرم سنة تسع عشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى حُذيفة بن اليمان أهل ماه دينار ؛ أعطاهم الأمانَ على أنفسهم
وأموالهم وأراضيهم ، لا يُغيّرون عن ملّة ، ولا يُحال بينهم وبين شرائعهم ؛ ولهم المنّة ما أدّوا الجزية في كلّ سنة
إلى مَنْ وَلِيَهُمْ من المسلمين ؛ على كلّ حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا
الطرق ، وقرّوا جنود المسلمين ، مَنْ مرّ بهم ؛ فأوى إليهم يوماً وليلة ، ونصحوا ، فإن غَشُوا وبدّلوا فذمّنا منهم
بريئة . شهد الققعاق بن عمرو ، ونعيم بن مقرّن ، وسويد بن مقرّن . وكتب في المحرم .

قالوا : وألحق عُمر مَنْ شهد نِهاوند فأبلى من الروادف بلاءً فاضلاً في ألفين ألفين ، ألحقهم بأهل
القادسية .

وفي هذه السنة أمر عمر جيوشَ العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت ؛ وأمر بعض مَنْ كان بالبصرة
من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكُرْمان وإصبهان ، وبعض مَنْ كان منهم بناحية الكوفة
وماهاتها إلى أصبهان وأذربيجان والرّي ، وكان بعضهم يقول : إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة .
وهو قول سيف بن عمر .

ذكر الخبر عَمَّا كان في هذه السنة - أعني سنة إحدى وعشرين - من أمر الجنديّين اللّذين ذكرتُ أن
عمر أمرهما بما ذُكر أنه أمرهما به :

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : لما رأى
عمر أنّ يزدجّرذ يبعث عليه في كلّ عام حرباً ، وقيل له : لا يزال هذا الذّأب حتى يخرج من مملكته ؛ اذِن للناس في
الانسياح في أرض العجم ؛ حتى يغلبوا يزدجّرذ على ما كان في يدي كسرى ، فوجّه الأمراء من أهل البصرة بعد
فَتْح نِهاوند ، ووجّه الأمراء من أهل الكوفة بعد فَتْح نِهاوند ؛ وكان بين عمل سعد بن أبي وقاص وبين عمل

عمّار بن ياسر أميران: أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبّان - وفي زمانه كانت وقعة نهاوند - وزياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصيّ - وفي زمانه أمر بالانسياح - وعزل عبد الله بن عبد الله، وبُعث في وجه آخر من الوجوه، ووُلّي زياد بن حنظلة - وكان من المهاجرين - فعمل قليلاً، وألح في الاستعفاء، فأعفي، ووُلّي عمّار بن ياسر بعد زياد؛ فكان مكانه، وأمدّ أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله، وأمدّ أهل الكوفة بأبي موسى، وجعل عمر بن سُراقَة مكانه، وقُدِمت الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة، فقدم لواء منها على نُعيم بن مقرّن، وقد كان أهل هَمَذان كفروا بعد الصلح؛ فأمره بالسَّير نحو هَمَذان؛ وقال: فإن فتح الله على يدك فألى ما وراء ذلك، في وجهك ذلك إلى خراسان. وبعث عتبة بن فرقد وبُكير بن عبد الله وعقد لهما على أذربيجان، وفرّقها بينهما، وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حُلوان إلى ميمتها، وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها، فتيامن هذا عن صاحبه، وتياسر هذا عن صاحبه. وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بلواء؛ وأمره أن يسير إلى إصبهان، وكان شجاعاً بطلاً من أشرف الصحابة ومن وجوه الأنصار؛ حليفاً لبني الحُبلى من بني أسد؛ وأمدّه بأبي موسى من البصرة، وأمر عمر بن سُراقَة على البصرة.

وكان من حديث عبد الله بن عبد الله أن عمر حين أتاه فتح نهاوند بدا له أن يأذن في الانسياح فكتب إليه: أن سير من الكوفة حتى تنزل المدائن؛ فاندبهم ولا تتخبهم، واكتب إليّ بذلك؛ وعمر يريد توجيهه إلى إصبهان. فانتدب له فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدي. والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبد الله بن بُذيل بن ورقاء الخُزاعي، لذكر ورقاء، وظنوا أنه نُسب إلى جدّه، وكان عبد الله بن بُذيل بن ورقاء قُتل بصفين بن أربع وعشرين سنة، وهو أيام عمر صبيّ.

ولما أتى عمر انبعاث عبد الله، بعث زياد بن حنظلة، فلما أتاه انبعاث الجنود وانسياحهم أمر عمّاراً بعد، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١). وقد كان زياد صُرف في وَسْطٍ من إمارة سعد إلى قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان وعبد الرحمن ابني ربيعة، ليقضي إلى أن يقدم عبد الله بن مسعود من حِمْص، وقد كان عمِلَ لعمر على ما سقى الفرات ودجلة النعمان وسويد ابنا مقرّن، فاستعفيا، وقالوا: أعفنا من عمل يتغول ويتزيّن لنا بزينة المومسة. فأعفاهما، وجعل مكانها حذيفة بن أسيد الغفاري وجابر بن عمرو المزني، ثم استعفيا فأعفاهما، وجعل مكانها حذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنيف؛ حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها، وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعاً، وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثت إليكم عمّار بن ياسر أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وولّيت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها، وولّيت عثمان بن حُنيف الفرات وما سقى.

ذكر الخبر عن إصبهان

قالوا: ولما قدم عمّار إلى الكوفة أميراً، وقدم كتاب عمر إلى عبد الله: أن سرّ إلى إصبهان وزياد على الكوفة، وعلى مقدّمك عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعلى محبّتك عبد الله بن ورقاء الأسدي وعصمة بن عبد الله - وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث - فسار عبد الله في الناس حتى قديم على حذيفة، ورجع حذيفة إلى عمله، وخرج عبد الله فيمن كان معه ومن انصرف معه من جُند النعمان من نهاوند

نحو جند قد اجتمع له من أهل إصبهان عليهم الأستندار؛ وكان على مقدمته شهر براز جاذويه، شيخ كبير في جمع عظيم؛ فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق إصبهان؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودعا الشيخ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن ورقاء؛ فقتله وانهزم أهل إصبهان، وسمى المسلمون ذلك الرستاق رُستاق الشيخ، فهو اسمه إلى اليوم. ودعا عبد الله بن عبد الله من يليه، فسأل الأستندار الصلح، فصالحهم؛ فهذا أول رُستاق أخذ من إصبهان. ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جَيّ حتى انتهى إلى جَيّ والمملك بإصبهان يومئذ الفاذوسفان، ونزل بالناس على جَيّ؛ فحاصروهم، فخرجوا إليه بعد ما شاء الله من زحف؛ فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبد الله: لا تقتل أصحابي؛ ولا أقتل أصحابك؛ ولكن أبرز لي؛ فإن قتلتك رجع أصحابك وإن قتلتي سالمك أصحابي؛ وإن كان أصحابي لا يقع لهم نُشابة. فبرز له عبد الله وقال: إما أن تحمِل عليّ، وإما أن أحمل عليك؛ فقال: أحمل عليك، فوقف له عبد الله، وحمل عليه الفاذوسفان، فطعنه، فأصاب قَرْبُوس سرّجه فكسره، وقطع اللَّبَّ والحِزام، وزال اللَّبْد والسَّرج، وعبد الله على الفرس؛ فوقع عبد الله قائماً، ثم استوى على الفرس عُرياً؛ وقال له: اثبت، فحاجزه، وقال: ما أحب أن أقاتلك؛ فإني قد رأيتك رجلاً كاملاً ولكن أرجع معك إلى عسكرك فأصالحك؛ وأدفع المدينة إليك؛ على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله؛ وعلى أن تُجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم، ويتراجعون، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء؛ ولكم أرضه. قال: لكم ذلك.

وقدم عليه أبو موسى الأشعري من ناحية الأهواز، وقد صالح الفاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جَيّ، ودخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل إصبهان خالفوا قومهم وتجمّعوا فلاحقوا بكرمان في حاشيتهم؛ لجمع كان بها؛ ودخل عبد الله وأبو موسى جَيّ - وجَيّ مدينة إصبهان - وكتب بذلك إلى عمر، واغبط من أقام، وندم من شخص. فقدم كتاب عمر على عبد الله: أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتجامعه على قتال من بكرمان، وخلف في جَيّ من بقي عن جَيّ، واستخلف على إصبهان السائب بن الأقرع.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن نفر من أصحاب الحسن؛ منهم المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أسيد بن المشتمس بن أخي الأحنف، قال: شهدت مع أبي موسى فتح إصبهان، وإنما شهدّها مدداً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد، قالوا: كتاب صلح إصبهان:

بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل إصبهان وحواليها؛ إنكم آمنون ما أديتم الجزية، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم؛ ودلالة المسلم وإصلاح طريقه وقراه يوماً وليلة، ومُحْلان الرّاجل إلى مرحلة، لا تسلطوا على مسلم، وللمسلمين نصْحُكم وأداء ما عليكم، ولكم الأمان ما فعلتم؛ فإذا غيرتم شيئاً أو غير غير منكم ولم تُسلموه فلا أمان لكم؛ ومن سب مسلماً بلغ منه؛ فإن ضربه قتلناه. وكتب وشهد عبد الله بن قيس، وعبد الله بن ورقاء، وعصمة بن عبد الله.

فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله، وأمر فيه باللاحق بسهيل بن عديّ بكرمان خرج في جريدة خيل، واستخلف السائب، ولحق بسهيل قبل أن يصل إلى كُرمان.

وقد روي عن معقل بن يسار أن الذي كان أميراً على جيش المسلمين حين غزوا إصبعان النعمان بن مقرن .

ذكر الرواية بذلك :

حدثنا يعقوب بن إبراهيم وعمرو بن عليّ، قالوا : حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال : حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجونيّ، عن علقمة بن عبد الله المزني، عن معقل بن يسار؛ أنّ عمر بن الخطاب شاور الهُرَمَزان، فقال : ما ترى؟ أبدأ بفارس، أم بأذربيجان، أم بإصبعان؟ فقال : إنّ فارس وأذربيجان الجناحان، وإصبعان الرأس . فإن قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر؛ فإن قطعت الرأس وقع الجناحان؛ فابداً بالرأس . فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلي؛ فقعده إلى جنبه، فلما قضى صلاته، قال : إني أريد أن أستعملك، قال : أما جابياً فلا؛ ولكن غازياً؛ قال : فأنت غاز . فوجهه إلى إصبعان، وكتب إلى أهل الكوفة أن يُمدّوه، فأتاها وبينه وبينهم النهر، فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة، فأتاهم، فقيل لملكهم - وكان يقال له ذو الحاجين : إنّ رسول العرب على الباب، فشاؤوا أصحابه، فقال : ما ترون؟ أقعد له في بهجة الملك؟ فقالوا : نعم، فقعده على سريره، ووضع التاج على رأسه؛ وقعد أبناء الملوك نحو السّماطين عليهم القُرطة وأسورة الذهب وثياب الدّيباج . ثم أذن له فدخل ومعه رمحه وترسه، فجعل يطعن برمحه بسطهم ليتطيروا، وقد أخذ بضبعيه رجلاً، فقام بين يديه، فكلّمه ملكهم، فقال : إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم؛ فإن شئتم أمرناكم ورجعتم إلى بلادكم . فتكلّم المغيرة؛ فحمّد الله، وأثنى عليه، ثم قال : إنا معاشر العرب؛ كنا نأكل الجيف والميتة، ويطؤونا الناس ولا نطوهم؛ وإنّ الله عزّ وجلّ ابتعث منا نبياً، أوسطنا حسباً، وأصدقنا حديثاً - فذكر النبيّ ﷺ بما هو أهله - وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال؛ وإنه وعدنا أنا سنظهر عليكم، ونغلب على ما ها هنا . وإني أرى عليكم بزة وهيئة ما أرى من خلفي يذهبون حتى يصيبوها .

قال : ثمّ قلت في نفسي : لو جمعت جراميزي، فوثبت وثبة، فقعدت مع العِلاج على سريره لعلّه يتطيّر! قال : فوجدت غفلة؛ فوثبت؛ فإذا أنا معه على سريره . قال : فأخذوه يتوجّثونه ويطؤونه بأرجلهم . قال : قلت : هكذا تفعلون بالرسول! فإننا لا نفعل هكذا، ولا نفعل برسلكم هذا . فقال الملك : إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئتم قطعنا إليكم . قال : فقلت : بل نقطع إليكم . قال : فقطعنا إليهم فتسلسلوا كلّ عشرة في سلسلة، وكلّ خمسة وكلّ ثلاثة . قال : فصاففناهم، فرشقونا حتى أسرعوا فينا؛ فقال المغيرة للنعمان : يرحمك الله! إنه قد أسرع في الناس فاحمل، فقال : والله إنك لذو مناقب؛ لقد شهدت مع رسول الله ﷺ القتال؛ فكان إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس، وتهبّ الرياح، وينزل النصر .

قال : ثمّ قال : إني هارّ لوائي ثلاث مرات؛ فأما الهزّة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضّأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شِسْعِه فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا، ولا يلويّن أحدٌ على أحد؛ وإن قتل النعمان فلا يلُو عليه أحد؛ فإني أدعو الله عزّ وجلّ بدعوة؛ فعزمت على كلّ امرئ منكم لما أمّن عليها! اللهم أعط اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين، وافتح عليهم؛ وهزّ لواءه أول مرة، ثم هزّ الثانية، ثم هزّ الثالثة، ثم شلّ درعه، ثم حمل فكان أول صريع، فقال معقل : فأثيت عليه؛ فذكرت عزمته، فجعلت عليه علماً، ثم ذهبت - وكنا إذا قتلنا رجلاً شغل عنا أصحابه - ووقع ذو الحاجين عن بغلته فانشقّ بطنه، فهزمهم الله؛ ثم جثّ إلى

النعمان ومعني إداوة فيها ماء، فغسلت عن وجهه التراب، فقال: مَنْ أنت؟ قلت: معقل بن يسار، قال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم، قال: الحمد لله؛ اكتبوا بذلك إلى عمر؛ وفاضت نفسه.

واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس، وفيهم ابن عمر وابن الزبير، وعمر بن معد يكرب وحذيفة، فبعثوا إلى أم ولده، فقالوا: أما عهد إليك عهداً؟ فقالت: ها هنا سَفَط فيه كتاب، فأخذه، فكان فيه: إن قُتل النعمان ففلان، وإن قتل فلان ففلان.

وقال الواقدي: في هذه السنة - يعني سنة إحدى وعشرين - مات خالد بن الوليد بحمص، وأوصى إلى عمر بن الخطاب.

قال: وفيها غزا عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمرو وأبو سُرُوعة، فقدموا مصر، فشرب عبد الرحمن وأبو سُرُوعة الخمر، وكان من أمرهما ما كان.

قال: وفيها: سار عمرو بن العاص إلى أنطاكس - وهي بركة - فافتتحها، وصالح أهل بركة على ثلاثة عشر ألف دينار، وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا في جزيتهم.

قال: وفيها ولي عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة، وابن مسعود على بيت المال، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض؛ فشكا أهل الكوفة عماراً، فاستعفى عمار عمر بن الخطاب، فأصاب جبير بن مطعم خالياً فولاه الكوفة، فقال: لا تذكره لأحد؛ فبلغ المغيرة بن شعبة أن عمر خلا بجبير بن مطعم، فرجع إلى امرأته؛ فقال: اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم، فاعرضي عليها طعام السفر؛ فأتتها فعرضت عليها، فاستعجمت عليها، ثم قالت: نعم، فجيئني به؛ فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر، فقال: بارك الله لك فيمن وليت! قال: فمن وليت؟ فأخبره أنه ولي جبير بن مطعم، فقال عمر: لا أدري ما أصنع! وولى المغيرة بن شعبة الكوفة؛ فلم يزل عليها حتى مات عمر.

قال: وفيها بعث عمرو بن العاص عتبة بن نافع الفهري، فافتتح زويلة بصلح وما بين بركة وزويلة سلم للمسلمين.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان بالشأم في سنة إحدى وعشرين غزوة الأمير معاوية بن أبي سفيان، وعمير بن سعد الأنصاري على دمشق والبثينة وخوران وحصن وقنسرين والجزيرة، ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعرة مصرين وقلقيّة. وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قلقيّة وأنطاكية ومعرة مصرين.

وقيل: وفيها ولد الحسن البصري وعامر الشعبي.

قال الواقدي: وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وخلف على المدينة زيد بن ثابت؛ وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والشأم ومصر والبصرة من كان عليها في سنة عشرين، وأما الكوفة فإن عامله عليها كان عمار بن ياسر، وكان إليه الأحداث، وإلى عبد الله بن مسعود بيت المال، وإلى عثمان بن حنيف الخراج، وإلى شريح - فيما قيل - القضاء.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

قال أبو جعفر: ففيها فتحت أذربيجان، فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت أذربيجان سنة اثنتين وعشرين، وأميرها المغيرة بن شعبة. وكذلك قال الواقدي.

وأما سيف بن عمر، فإنه قال فيما كتب إلي به السري عن شعيب عنه، قال: كان فتح أذربيجان سنة ثمان عشرة من الهجرة بعد فتح همدان والري وجرجان وبعد صلح إصبهذ طبرستان المسلمين. قال: وكل ذلك كان في سنة ثمان عشرة.

قال: فكان سبب فتح همدان - فيما زعم - أن محمداً والمهلب وطلحة وعمرأ وسعيداً أخبروه أن النعمان لما صُرف إلى الماهين لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند، وصُرف إليه أهل الكوفة وافوه مع حذيفة؛ ولما فصل أهل الكوفة من حلوان وأفضوا إلى ماء هجموا على قلعة في مرج فيها مسلحة، فاستزلوهم، وكان أول الفتح، وأنزلوا مكانهم خيلاً يسكون بالقلعة، فسمّوا معسكرهم بالمرج؛ مرج القلعة؛ ثم ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند؛ حتى إذا انتهوا إلى قلعة - فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحيفة؛ فُسببت إليه؛ وافتتحها بعد فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي - أقاموا مع النسير على القلعة، فلما جمعوا فيء نهاوند والقلاع أشركوا فيها جمعاً؛ لأن بعضهم قوى بعضاً. ثم وصفوا ما استقروا فيها بين مرج القلعة وبين نهاوند مما مروا به قبل ذلك فيها استقروا من المرج إليها بصفتها، وازدحت الركاب في ثنية من ثانيا ماء، فسميت بالركاب، فقليل: ثنية الركاب. وأتوا على أخرى تدور طريقها بصخرة، فسموها ملوثة، فدرست أسماؤها الأولى، وسميت بصفتها، ومروا بالجليل الطويل المشرف على الجبال، فقال قائل منهم: كأنه سن سُميرة - وسُميرة امرأة من المهاجرات من بني معاوية، ضبية لها سن مشرفة على أسنانها، فسمي ذلك الجبل بسنّها - وقد كان حذيفة أتبع الفالة - فالة نهاوند - نعيم بن مقرن والققعاق بن عمرو؛ فبلغا همدان، فصالحهم خسروشنوم، فرجعا عنهم، ثم كفر بعد. فلما قدم عهد في اليهود من عند عمر ودّع حذيفة ودّعه حذيفة؛ هذا يريد همدان، وهذا يريد الكوفة راجعاً، واستخلف على الماهين عمرو بن بلال بن الحارث!

وكان كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن: أن سير حتى تأتي همدان، وابعث على مقدمتك سويد بن مقرن، وعلى مجنبتك ربيعي بن عامر ومهلهل بن زيد؛ هذا طائي، وذاك تميمي. فخرج نعيم بن مقرن في تعبته حتى نزل ثنية العسل - وإنما سُميت ثنية العسل بالعسل الذي أصابوا فيها غب وقعة نهاوند حيث أتبعوا الفالة -

فانتهى الفيروزان إليها، وهي غاصّة بحوامل تحمل العسل وغير ذلك؛ فحبست الفيروزان حتى نزل؛ فتوقل في الجبل وغار فرسه فأدرك فأصيب. ولما نزلوا كُنُكُور سرقَت دواب من دواب المسلمين، فسَمِّي قصر اللصوص.

ثم انحدر نُعيم من الثَّنية حتى نزل على مدينة هَمْدان، وقد تحصَّنوا منهم، فحصرهم فيها، وأخذ ما بين ذلك وبين جَرْمِيزان، واستولوا على بلاد هَمْدان كلها. فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح، على أن يُجرِّمهم ومن استجاب مُجرى واحداً، ففعل، وقبل منهم الجزاء على المنعة، وفرَّق دَسْتَبِي بين نفر من أهل الكوفة، بين عصمة بن عبدالله الضَّبِّي ومهلhel بن زيد الطائِي وِسْمَاك بن عُبيد العسِي وِسْمَاك بن مخرمة الأسدي، وِسْمَاك بن خرشة الأنصاري؛ فكان هؤلاء أول من وليّ مسالح دَسْتَبِي وقاتل الدَّيلم.

وأما الواقدي فإنه قال: كان فتح هَمْدان والرِّي في سنة ثلاث وعشرين. قال: ويقال افتتح الرِّي قَرظة بن كعب.

وحَدَّثني ربيعة بن عثمان أن فتح هَمْدان كان في جُمادى الأولى، على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب؛ وكان أميرها المغيرة بن شعبة.

قال: ويقال: كان فتح الرِّي قبل وفاة عمر بستين، ويقال: قتل عُمر وجيوشه عليها. رجع الحديث إلى حديث سيف. قال: فبينما نُعيم في مدينة هَمْدان في توطئتها في اثني عشر ألفاً من الجنْد تكاتب الدَّيلم وأهل الرِّي وأهل أَذربيجان، ثم خرج موتا في الدَّيلم حتى ينزل بواج رُود؛ وأقبل الزينبي أبو الفَرخَان في أهل الرِّي حتى انضمَّ إليه، وأقبل إسْفَنْدِيَاذ أخورُستَم في أهل أَذربيجان؛ حتى انضمَّ إليه، وتحصَّن أمراء مسالح دَسْتَبِي، وبعثوا إلى نُعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس، وخرج إليهم في الناس حتى نزل عليهم بواج الرُود، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً؛ وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند؛ ولم تكن دونها، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصون ولا تقصر ملحماتهم من الملاحم الكبار؛ وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم، ففزع منها عمر، واهتم بحربها، وتوقع ما يأتيه عنهم، فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة، فقال: أبشیر! فقال: بل عروة؛ فلما ثنى عليه: أبشیر؟ فظن، فقال: بشیر؛ فقال عمر: رسول نُعيم؟ قال: رسول نُعيم، قال: الخبر؟ قال: البشیر بالفتح والنصر؛ وأخبره الخبر؛ فحمد الله، وأمر بالكتاب فقرأ على الناس؛ فحمدوا الله. ثم قدم سِمْماك بن مخرمة وِسْمَاك بن عُبيد وِسْمَاك بن خرشة في وفود من أهل الكوفة بالأخماس على عمر، فنسبهم، فانتسب له سِمْماك وِسْمَاك وِسْمَاك، فقال: بارك الله فيكم؛ اللهم اسْمُك بهم الإسلام وأيدهم بالإسلام. فكانت دَسْتَبِي من هَمْدان ومسالحها إلى هَمْدان، حتى رجع الرسول إلى نُعيم بن مقرن بجواب عمر بن الخطاب: أما بعد، فاستخلف على هَمْدان، وأمد بُكير بن عبدالله بسِمْماك بن خرشة، وسر حتى تقدم الرِّي، فتلقى جمعهم، ثم أقم بها، فإنها أوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد. فأقر نُعيم يزيد بن قيس الهَمْداني على هَمْدان، وسار من واج الرُود بالناس إلى الرِّي.

وقال نُعيم في واج الرُود:

بني باسِلِ جَرُّوا جُنُودَ الأعاجِمِ
لأَمْنَعِ منهم ذِمَّتِي بالقَوَاصِمِ
جِبَالِ تَرَأَى مِنْ فُرُوعِ الْقَلَاسِمِ

لَمَّا أَتَانِي أَنْ مَوْتَا وَرَهْطُهُ
نَهَضَتْ إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ مُسَامِيماً
فَجِئْنَا إِلَيْهِمْ بِالْحَدِيدِ كَأَنَّا

فلما لَقِينَاهُمْ بِهَا مُسْتَفِيزَةً
صَدَمْنَاهُمْ فِي وَاجٍ رُودٌ يَجْمَعُنَا
فَمَا صَبَرُوا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ سَاعَةً
كَأَنَّهُمْ عِنْدَ انْبِثَاطِ جُمُوعِهِمْ
أَصَبْنَا بِهَا مَوْتًا وَمَنْ لَفَّ جَمْعُهُ
تَبَعْنَاهُمْ حَتَّى أَوَّأُوا فِي شِعَابِهِمْ
كَأَنَّهُمْ فِي وَاجٍ رُودٌ وَجَوَّهُ
وسماك بن مخزومة هو صاحب مسجد سِمَاك .

وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح هَمْدَان، وخَلَفَ عليها يزيد بن قيس الهمداني، وسار بالجنود حتى لَحِقَ بالرِّيِّ، وكان أول نسل الدَّيْلَم من العرب، وقولهم فيه نعيم .

فتح الرِّيِّ

قالوا: وخرج نعيم بن مقرن من واج رُود في الناس - وقد أخربها - إلى دَسْتَبِي، ففصل منها إلى الرِّيِّ، وقد جمعوا له، وخرج الزينبي أبو الفُرخان، فلقية الزينبي بمكان يقال له قَهَا مسلماً ومخالفاً لملك الرِّيِّ، وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حسد سَيَاوُخْش وأهل بيته، فأقبل مع نعيم والملك يومئذ بالرِّيِّ سَيَاوُخْش بن مهران بن بهرام شوبين، فاستمد أهل دُنْبَاوَنْد وطبرستان وقومس وجُرجان . وقال: قد علمتم أن هؤلاء قد حلُّوا بالرِّيِّ، إنه لا مقام لكم، فاحتشدوا له، فناهذه سَيَاوُخْش، فالتقوا في سَفْح جبل الرِّيِّ إلى جنب مدينتها، فاقتتلوا به، وقد كان الزينبي قال لنعيم: إن القوم كثير، وأنت في قلّة؛ فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهذهم أنت، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك . فبعث معه نعيم خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزينبي المدينة، ولا يشعر القوم، وبيّتهم نعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم . ثم إنهم انهزموا فقتلوا مقتلة عُدُوا بالقُصْب فيها، وأفاء الله على المسلمين بالرِّيِّ نحواً من فيء المدائن، وصالحه الزينبي على أهل الرِّيِّ ومَرْزَبِه عليهم نعيم، فلم يزل شرف الرِّيِّ في أهل الزينبي الأكبر، ومنهم شَهْرَام وفُرخان، وسقط آل بهرام، وأخرب نعيم مدينتهم، وهي التي يقال لها العتيقة - يعني مدينة الرِّيِّ - وأمر الزينبي فبنى مدينة الرِّيِّ الحُدُثَى . وكتب نعيم إلى عمر بالذي فتح الله عليه مع المضارب العجلي، ووقد بالأخماس مع عُتْبِيَةَ بن النَّهَاس وأبي مَفْزَر في وجوه من وجوه أهل الكوفة، وأمدّ بكير بن عبدالله بسماك بن خَرْشَةَ الأنصاري بعد ما فتح الرِّيِّ، فسار سِمَاك إلى أذربيجان مدداً لبكير، وكتب نعيم لأهل الرِّيِّ كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبي بن قوله، أعطاه الأمان على أهل الرِّيِّ وَمَنْ كان معهم من غيرهم على الجزاء، طاقة كلِّ حالم في كلِّ سنة، وعلى أن ينصحوا ويدلُّوا ولا يُعْلُوا ولا يُسَلُّوا، وعلى أن يَقْرُوا المسلمين يوماً وليلة، وعلى أن يَفْحَمُوا المسلم، فمن سَبَّ مسلماً أو استخفَّ به نُهْكَ عقوبة، وَمَنْ ضربه قُتِلَ، وَمَنْ بَدَّلَ منهم فلم يسلم برُمته فقد غيَّرَ جماعتكم . وكتب وشهد .

وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدى به منهم من غير أن يسأله النصر والمنعة، فقبل منه، وكتب

بينه وبينه كتاباً على غير نصر ولا معونة على أحد، فجرى ذلك لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمردأشاه مضمغان دُبَاوند وأهل دُبَاوند والخوار واللاز والشرز . إنك آمن ومن دخل معك على الكف، أن تكف أهل أرضك، وتتقي من ولي الفرَج بمائتي ألف درهم ووزن سبعة في كل سنة، لا يغار عليك، ولا يدخل عليك إلا بإذن؛ ما أقمت على ذلك حتى تغير، ومن غير فلا عهد له ولا لمن لم يسلمه . وكتب وشهد .

فتح قومس

قالوا : ولما كتب نعيم بفتح الرّي مع المضارب العجليّ، وقد بالأخماس كتب إليه عمر : أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس، وابعث على مقدمته سماك بن مخزّمة وعلى مجنّبيه عتيبة بن النّحاس وهند بن عمرو الجمليّ، ففصل سويد بن مقرن في تعبّيته من الرّي نحو قومس؛ فلم يبق له أحد؛ فأخذها سليماً، وعسكر بها، فلما شربوا من نهر لهم يقال له ملاذ، فشا فيهم القصر؛ فقال لهم سويد : غيروا ماءكم حتى تعودوا كأهلها؛ ففعلوا، واستمروا، وكتبه الذين لجؤوا إلى طبرستان منهم، والذين أخذوا المفاوز، فدعاهم إلى الصلح والجزاء، وكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشوا من الأمان على أنفسهم ومللهم وأموالهم، على أن يؤدّوا الجزية عن يد؛ عن كلّ حالم بقدر طاقته؛ وعلى أن ينصحوا ولا يغشوا، وعلى أن يدلّوا، وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم، وإن بدّلوا واستخفّوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة . وكتب وشهد .

فتح جرجان

قالوا : وعسكر سويد بن مقرن ببسطام، وكتب ملك جرجان رُزبان صول ثم سار إليها، وكتبه رُزبان صول، وبادره بالصلح على أن يؤدّي الجزاء، ويكفيه حرب جرجان، فإن غلب أعانه . فقبل ذلك منه، وتلقاه رُزبان صول قبل دخول سويد جرجان؛ فدخل معه، وعسكر بها حتى جبي إليه الخراج، وسمى فروعها، فسدها بترك دِهستان، فرفع الجزاء عمّن أقام يمنعها، وأخذ الخراج من سائر أهلها؛ وكتب بينهم وبينه كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن لرُزبان صول بن رُزبان وأهل دِهستان وسائر أهل جرجان؛ إنّ لكم الذمة، وعلينا المنعة؛ على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم؛ على كلّ حالم؛ ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً من جزائه؛ ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، ولا يغير شيء من ذلك هو إليهم ما أدّوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقرّوا المسلمين، ولم يبد منهم سلّ ولا غلّ، ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه؛ وعلى أن من سب مسلماً بلغ جهده، ومن ضربه حلّ دمه . شهد سواد بن قطبة، وهند بن عمرو، وسماك بن مخزّمة، وعتيبة بن النّحاس . وكتب في سنة ثمان عشرة .

وأما المدائنيّ، فإنه قال - فيما حدّثنا أبو زيد، عنه : فُتحت جرجان في زمن عثمان سنة ثلاثين .

فتح طبرستان

قالوا : وأرسل الإصبهيد سويداً في الصلح، على أن يتوادعا؛ ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على

أحد؛ فقبل ذلك منه، وجرى ذلك لهم، وكتب له كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سُويد بن مقرن للفرخان إصبهذ خراسان على طبرستان وجيل جيلان من أهل العدو؛ إنك آمن بأمان الله عز وجل على أن تكف لُصوتك وأهل حواشي أرضك، ولا تُؤوي لنا بُغية، وتتقي من ولي فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يُغير عليك، ولا يتطرق أرضك، ولا يدخل عليك إلا بإذنك؛ سبيلنا عليكم بالإذن آمنة؛ وكذلك سبيلكم، ولا تؤون لنا بغية، ولا تسلون لنا إلى عدو، ولا تغلون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم. شهد سواد بن قطبة التميمي، وهند بن عمرو المراتي، وسماك بن خزيمة الأسدي، وسماك بن عبيد العبيسي، وعتيبة بن النحاس البكري. وكتب سنة ثمان عشرة.

فتح أذربيجان

قال: ولما افتتح نعيم همدان ثانية، وسار إلى الري من واج رُوذ، كتب إليه عمر: أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري مُدّاً لبكير بن عبدالله بأذربيجان؛ فأخّر ذلك حتى افتتح الري، ثم سرّحه من الري، فسار سماك نحو بُكير بأذربيجان؛ وكان سماك بن خرشة وعُتْبة بن فرقد من أغنياء العرب؛ وقدا الكوفة بالغنى؛ وقد كان بكير سار حين بُعث إليها؛ حتى إذا طلع بحيال جرميدان - طلع عليهم إسفندياذ بن الفرخزاد مهزوماً من واج رُوذ، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان، فاقتتلوا، فهزم الله جنده؛ وأخذ بُكير إسفندياذ أسيراً، فقال له إسفندياذ: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح، قال: فأمسكني عندك؛ فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجبي لم يقيموا لك، وجلّوا إلى الجبال التي حوّلها من القبيج والروم ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما، فأمسكه عنده، فأقام وهو في يده، وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن. وقدم عليه سماك بن خرشة مُدّاً وإسفندياذ في إيساره، وقد افتتح ما يليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه. وقال بُكير لسماك مقدّمه عليه، ومازحه: ما الذي أصنع بك وبعتبة بأغنيين؟ لئن أطعت ما في نفسي لأمضين قداماً ولأخلفنكها، فإن شئت أقمت معي، وإن شئت أتيت عُتْبة فقد أذنت لك، فإني لا أراي إلا تارككها وطالباً وجهاً هو أكره من هذا. فاستغفى عمر؛ فكتب إليه بالإذن على أن يتقدّم نحو الباب؛ وأمره أن يستخلف على عمله، فاستخلف عُتْبة على الذي افتتح منها، ومضى قداماً، ودفع إسفندياذ إلى عُتْبة، فضمّه عُتْبة إليه، وأمر عُتْبة سماك بن خرشة - وليس بأبي دُجّانة - على عمل بُكير الذي كان افتتح، وجمع عمر أذربيجان كلّها لعُتْبة بن فرقد.

قالوا: وقد كان بهرام بن الفرخزاد أخذ بطريق عُتْبة بن فرقد، وأقام له في عسكره حتى قدم عليه عُتْبة، فاقتتلوا، فهزمه عُتْبة، وهرب بهرام. فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهر به إسفندياذ وهو في الإيسار عند بُكير، قال: الآن تمّ الصلح، وطفئت الحرب، فصالحه، وأجاب إلى ذلك كلهم، وعادت أذربيجان سِلماً، وكتب بذلك بُكير وعُتْبة إلى عمر، وبعثوا بما خمسوا مما أفاء الله عليهم، ووقدوا الوفود بذلك؛ وكان بُكير قد سبق عُتْبة بفتح ما ولى، وتمّ الصلح بعد ما هزم عتبة بهرام. وكتب عُتْبة بينه وبين أهل أذربيجان كتاباً حيث جُمع له عمل بكير إلى عمله:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عُتْبة بن فرقد، عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان - سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل ملّها - كلّهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم

وشرائعهم؛ على أن يؤدّوا الجزية على قَدَر طاقتهم، ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه شيء من الدنيا، ولا متعبّد متخلّ ليس في يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولن سكن معهم؛ وعليهم قِرَى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته، ومَنْ حُشِر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة، ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك، ومَنْ خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى جرّزه. وكتب جندب، وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشة الأنصاري. وكتب في سنة ثمان عشرة.

قالوا: وفيها، قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهده له، وذلك أن عمر كان يأخذ عمّاله بموافاة الموسم في كلّ سنة يحجر عليهم بذلك الظلم، ويحجزهم به عنه.

فتح الباب

وفي هذه السنة كان فتح الباب في قول سيف وروايته، قال: وقالوا - يعني الذين ذكرت أسماءهم قبل: ردّ عمر أبا موسى إلى البصرة، وردّ سُراقة بن عمرو - وكان يدعى ذا النور - إلى الباب، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة - وكان أيضاً يدعى ذا النور - وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري، وسمّى للأخري بكير بن عبد الله الليثي - وكان بإزاء الباب قبل قدوم سُراقة بن عمرو عليه، وكتب إليه أن يلحق به - وجعل على المقاسم سلّمان بن ربيعة. فقدّم سُراقة عبد الرحمن بن ربيعة، وخرج في الأثر، حتى إذا خرج من أذربيجان نحو الباب، قدم على بُكير في أداني الباب، فاستدقّ ببكير، ودخل بلاد الباب على ما عبّاه عمر. وأمّده عمر بحبيب بن مسلمة، صرفه إليه من الجزيرة، وبعث زياد بن حنظلة مكانه على الجزيرة. ولما أطلّ عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب - والملك بها يومئذ شهربراز، رجل من أهل فارس؛ وكان على ذلك الفرج، وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذي أفسد بني إسرائيل، وأعرى الشام منهم - فكاتبه شهربراز، واستأمنه على أن يأتيه، ففعل فأتاه، فقال: إني بإزاء عدوّ كلب وأمم مختلفة، لا يُنسبون إلى أحساب، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يُعين أمثال هؤلاء، ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان، ولست من القُبج في شيء؛ ولا من الأرمن؛ وإنكم قد غلبتم على بلادتي وأمتي، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم، وصغوي معكم، وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم النصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تذلّونا بالجزية فتوهنونا لعدوّكم. فقال عبد الرحمن: فوقي رجلٌ قد أظلك فسرّ إليه، فجوزّه، فسار إلى سُراقة فلقية بمثل ذلك، فقال سُراقة: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، ولا بدّ من الجزاء ممّن يقيم ولا ينهض. فقبل ذلك، وصار سنة فيمن كان يحارب العدوّ من المشركين، وفيمن لم يكن عنده الجزاء، إلّا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة. وكتب سُراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسنه، وليس لتلك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نَبك لم يُقم الأرمن بها إلّا على أوفاز؛ وإنما هم سكان ممّن حولها ومن الطّراء استأصلت الغارات نَبكها من أهل القرار، وأرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم، وجلّوا عن قرار أرضهم، فكان لا يقيم بها إلّا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم؛ واكتبوا من سُراقة بن عمرو كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سُراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملّتهم ألا يضارّوا ولا ينتقصوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب؛ الطّراء منهم والثّناء ومَنْ حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكلّ غارة، وينفذوا لكلّ أمر ناب

أولم يُنبِ رآه الوالي صلاحاً؛ على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر، والحشر عَوْضٌ من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملاً، فإن حُشِرُوا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به. شهد عبد الرحمن بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، وبكير بن عبد الله. وكتب مَرْضِيٌّ بن مقرن وشهد.

ووجه سُرَاقَة بعد ذلك بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجه بكيراً إلى مُوقان، ووجه حبيباً إلى تَفْلِس وحذيفة بن أسيد إلى مَنْ بجبال اللان، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر، وكتب سُرَاقَة بالفتح وبالذي وجه فيه هؤلاء نفر إلى عمر بن الخطاب، فأق عمر أمر لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه في سَرِيح بغير مؤونة. وكان فرجاً عظيماً به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صَنِيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها.

فلما استوسقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سُرَاقَة، واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة، وقد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سُرَاقَة، فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير فإنه فضّ مُوقان، ثم تراجعوا على الجزية، فكتب لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل مُوقان من جبال القَبُح على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء، دينار على كلّ حالم أو قيمته، والنصح، ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته، فلهم الأمان ما أقرّوا ونصّحو، وعلينا الوفاء؛ والله المستعان. فإن تركوا ذلك واستبان منهم غشّ فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برؤمتهم؛ وإلا فهم متمالثون. شهد الشماخ بن ضرار والرُسارس بن جنادب، وحمة بن جوية. وكتب سنة إحدى وعشرين.

قالوا: ولما بلغ عمر موت سُرَاقَة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره بغزو الترك، فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر؛ قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال: لكننا لا نرضى منهم بذلك حتى تأتيهم في ديارهم؛ وتالله إن معنا لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الرّدْم. قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنية، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية، فازداد حياءهم وتكرّمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّروهم من يغلبهم، وحتى يُلْقُوا عن حالهم من غيرهم. فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تيم فيها امرأة، ولم ييم فيها صبي، وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم، ثم غزا غزوات في زمان عثمان، وأصيب عبد الرحمن حين تبدّل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتدّ استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا، وعَضَلُوا بعثمان حتى جعل يتمثل:

وَكُنْتُ وَعَمراً كَالْمُسَمَّنِ كَلْبُهُ فَخَذَّشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظْفَرُهُ

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل، عن سلمان بن ربيعة، قال: لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخروج عليه، وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعه الملائكة تمنعه من الموت؛ فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغنم والظفر، وذلك في إمارة عمر؛ ثم إنه

غزاهم غزوات في زمن عثمان، ظفر كما كان يظفر، حتى إذا تبدّل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتدّ فغزاهم بعد ذلك، تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض: إنهم لا يموتون، قال: انظروا، وفعلوا فاخففوا لهم في الغياض؛ فرمى رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين على غِرّة فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا فاشتدّ قتالهم، ونادى منادٍ من الجوّ: صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة! فقاتل عبدُ الرحمن حتى قُتل، وانكشف الناس، وأخذ الرّاية سلمان بن ربيعة، فقاتل بها، ونادى المنادي من الجوّ: صبراً آل سلمان بن ربيعة! فقال سلمان: أو ترى جزعاً! ثم خرج بالناس، وخرج سلمان وأبو هريرة الدّوسيّ على جيلان، فقطعوها إلى جرجان، واجترأ الترك بعدها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن، فهم يستسقون به حتى الآن.

وحَدّث عمرو بن معد يكرب عن مطر بن ثُلج التميميّ، قال: دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالبواب وشهربراز عنده، فأقبل رجل عليه شُحوبة؛ حتى دخل على عبد الرحمن، فجلس إلى شهربراز، وعلى مطر قباء بُرود يمينيّة، أرضه حمراء، ووشيه أسود - أو ووشيه أحمر - وأرضه سوداء، فساءلا.

ثم إنَّ شهربراز، قال: أيّها الأمير، أتدري من أين جاء هذا الرجل؟ هذا الرجل بعثته منذ سنين نحو السّد لينظر ما حاله ومن دونه، وزوّدته مالاً عظيماً، وكتبته له إلى من يليني، وأهديت له، وسألته أن يكتب له إلى من وراءه، وزوّدته لكلّ ملك هديّة؛ ففعل ذلك بكلّ ملك بينه وبينه، حتى انتهى إلّاه، فأنتهى إلى الملك الذي السّد في ظهر أرضه، فكتب له إلى عامله على ذلك البلد، فأثاء فبعث معه بازياره ومعه عقابه، فأعطاه حريرة، قال: فتشكر لي البازيار، فلما انتهينا فإذا جيلان بينها سُدّ مسدود، حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما، وإذا دون السّد خندق أشدّ سواداً من الليل لبعده، فنظرت إلى ذلك كله، وتفرّست فيه، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي البازيار: على رسلك أكافك! إنه لا يلي ملك بعد ملك إلّا تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا، فيرمي به في هذا اللّهب، فشرّح بضعة لحم معه، فألقاها في ذلك الهواء، وانقضّت عليها العقاب، وقال: إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء؛ وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء؛ فخرجت علينا العقاب باللحم في مخالباها؛ وإذا فيه ياقوته، فأعطانيها؛ وها هي هذه. فتناولها شهربراز حمراء، فناولها عبدُ الرحمن، فنظر إليها، ثم ردّها إلى شهربراز، وقال شهربراز: لَهْذه خير من هذا البلد - يعني الباب - وأيمُ الله لأنتم أحبّ إليّ ملكة من آل كسرى؛ ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني؛ وأيمُ الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر.

فأقبل عبدُ الرحمن على الرّسول، وقال: ما حال هذا الرّدم وما شبهه؟ فقال: هذا الثوب الذي على هذا الرّجل، قال: فنظر إلى ثوبي، فقال مطر بن ثُلج لعبد الرحمن بن ربيعة: صدق والله الرّجل؛ لقد نفذ ورأى، فقال: أجل، وصف صفة الحديد والصّففر، وقال: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ...﴾^(١) إلى آخر الآية.

وقال عبد الرحمن لشهربراز: كم كانت هديّتك؟ قال: قيمة مائة ألف في بلادِي هذه، وثلاثة آلاف ألف أو أكثر في تلك البلدان.

وزعم الواقديّ أنّ معاوية غزا الصائفة في هذه السّنة، ودخل بلاد الروم في عشرة آلاف من المسلمين.

وقال بعضهم: في هذه السّنة كانت وفاة خالد بن الوليد.

(١) سورة الكهف: ٩٦.

وفيهما ولد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان .

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى سائر أمصار المسلمين الذين كانوا عمّاله في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم قبل .

وفي هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم .

ذكر الخبر بذلك :

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، وسعيد ، قالوا : أقام عمار بن ياسر عاملاً على الكوفة سنة في إمارة عمر وبعض أخرى . وكتب عمر بن سراقه وهو يومئذ على البصرة إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة ، وعجز خراجهم عنهم ؛ ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان . وبلغ ذلك أهل الكوفة ، فقالوا لعمار : أكتب لنا إلى عمر أن رأمهرمز وإيدج لنا دونهم ، لم يعينونا عليهما بشيء ؛ ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما ، فقال عمار : مالي ولما هاهنا ! فقال له عطارد : فعلم تدعُ فيئنا أيها العبد الأجدع ! فقال : لقد سببت أحبّ أذني إليّ . ولم يكتب في ذلك فأبغضوه ؛ ولما أبى أهل الكوفة إلا الخصومة فيهما لأهل البصرة شهد لهم أقوام على أبي موسى ؛ أنه قد كان آمن أهل رأمهرمز وإيدج ؛ وأنّ أهل الكوفة والنعمان راسلوهم وهم في أمان . فأجاز لهم عمر ذلك ، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود . وادّعى أهل البصرة في إصبهان قريات افتتحها أبو موسى دون جيّ ، أيام أمدهم بهم عمر إلى عبدالله بن عبدالله بن عتبّان ، فقال أهل الكوفة : أتيتمونا مدداً وقد افتتحنا البلاد ، فآسيناكم في المغانم ، والذمة ذمتنا ، والأرض أرضنا ؛ فقال عمر : صدقوا . ثم إنّ أهل الأيام وأهل القادسية من أهل البصرة أخذوا في أمر آخر حتى قالوا : فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادهم وحواشيه . فقال لهم عمر : أترضون بماه ؟ وقال لأهل الكوفة : أترضون أن نعطيهم من ذلك أحد الماهين ؟ فقالوا : ما رأيت أنه ينبغي فاعمل به ، فأعطاهم مائة دينار بنصيبهم لمن كان شهد الأيام والقادسية منهم إلى سواد البصرة ومهرجأنقدق ، وكان ذلك لمن شهد الأيام والقادسية من أهل البصرة . ولما ولي معاوية بن أبي سفيان - وكان معاوية هو الذي جند قنسرين من رافضة العراقيين أيام عليّ ، وإنما كانت قنسرين رُستاقاً من رساتيق حمص حتى مضى معاوية وجنّدها بمن ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان ، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب ، فضمّها فيما ضمّ ، وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقله رُميتا بكلّ من كان ترك هجرته من أهل البلدين ؛ وكانت الباب وأذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة - نقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمان عليّ ؛ وإلى من رُميت به الجزيرة والموصل من كان ترك هجرته أيام عليّ ، وكفر أهل أرمينية زمان معاوية ؛ وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب - وحبيب يومئذ بجُرزان - وكاتب أهل تفلّيس وتلك الجبال ؛ ثم ناجزهم ؛ حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب . وكتب بينه وبينهم كتاباً بعد ما كاتبهم : بسم الله الرحمن الرحيم . من حبيب بن مسلمة إلى أهل تفلّيس من جُرزان أرض الهرمز . سلّم أنتم ؛ فإنّي أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ؛ فإنه قد قديم علينا رسولكم تفلّ ، فبلغ عنكم ، وأدّى الذي بعثتم . وذكر تفلّ عنكم أنا لم نكن أمة فيما تحسبون ؛ وكذلك كنا حتى هدانا الله عزّ وجلّ بمحمد ﷺ ، وأعزّنا بالإسلام بعد قلة وذلة وجاهلية . وذكر تفلّ أنكم أحببتم سلمنا . فما كرهت والذين آمنوا معي ، وقد بعثت إليكم عبد الرحمن بن جَزء السلميّ ؛ وهو من أعلمنا من أهل العلم بالله وأهل

القرآن ؛ وبعثت معه بكتابي بأمانكم ، فإن رضيتم دفعه إليكم ؛ وإن كرهتم آذنكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تَفْلِيس من جُرْزَان أرض الهُرْمُز ؛ بالأمان على أنفسكم وصوامعكم وبيعكم وصلواتكم ؛ على الإقرار بصغار الجزية ؛ على كل أهل بيت دينار وافٍ ، ولنا نصحكم ونصركم على عدو الله وعدونا ، وقرى المجتاز ليلة من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شراهم ، وهداية الطريق في غير ما يُضَرّ فيه بأحد منكم . فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، فإخواننا في الدين وموالينا ؛ ومن تولى عن الله ورسله وكتبه وجزبه فقد آذناكم بحرب على سواء ؛ إن الله لا يحب الخائنين . شهد عبد الرحمن بن خالد ؛ والحجاج ، وعياض . وكتب رباح ، وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا ، وكفى بالله شهيداً .

وفي هذه السنة عزل عمر بن الخطاب عمّاراً عن الكوفة ؛ واستعمل أبا موسى في قول بعضهم ؛ وقد ذكرت ما قال الواقدي في ذلك قبل .
ذكر السبب في ذلك :

قد تقدّم ذكرى بعض سبب عزله ، ونذكر بقيته . ذكر السري - فيما كتب به إليّ - عن شعيب ، عن سيف ، عن عمّ بن تقدّم ذكرى من شيوخه ، قال : قالوا : وكتب أهل الكوفة ؛ عطار ذلك وأناس معه إلى عمر في عمّار ، وقالوا : إنه ليس بأمر ، ولا يحتمل ما هو فيه ، ونزاه به أهل الكوفة . فكتب عمر إلى عمّار : أن أقبل ؛ فخرج بوفد من أهل الكوفة ، ووَفِدَ رجالاً ممن يرى أنه معه ، فكانوا أشدّ عليه ممن تخلف ، فجزع فقيل له : يا أبا اليَقْظان ، ما هذا الجزع ! فقال : والله ما أحمِد نفسي عليه ؛ ولقد ابتليت به - وكان سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار ، وجريز بن عبد الله معه - فسعيأ به ، وأخبرنا عمر بأشياء يكرهها ، فعزله عمر ولم يولّه . كتب إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطُّفَيْل ، قال : قيل لعمّار : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرّني حين استعملت ، ولقد ساءني حين عُزلت .

كتب إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ومجالد ، عن الشعبي ، قال : قال عمر لأهل الكوفة : أيّ منزلتكم أعجب إليكم ؟ - يعني الكوفة أو المدائن - وقال : إني لأسألكم وإني لأعرف فضل أحدهما على الآخر في وجوهكم ، فقال جريز : أما منزلنا هذا الأدنى فإنه أدنى محلّة من السواد من البرّ ، وأما الآخر فوعك البحر وغمّه وبَعوضه . فقال عمار : كَذَبْتُ ؛ فقال عمر لعمّار : بل أنت أكذب منه ، وقال : ما تعرفون من أميركم عمّار ؟ فقال جريز : هو والله غير كافٍ ولا مجزٍ ولا عالم بالسياسة .

كتب إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكرياء بن سياه ، عن هشام بن عبد الرحمن الثقفي ، أن سعد بن مسعود ، قال : والله ما يدري علام استعملته ! فقال عمر : علام استعملتُك يا عمّار ؟ قال : على الحيرة وأرضها . فقال : قد سمعتُ بالحيرة تجاراً تختلف إليها ، قال : وعلى أيّ شيء ؟ قال : على بابل وأرضها ، قال : قد سمعتُ بذكرها في القرآن . قال : وعلى أيّ شيء ؟ قال : على المدائن وما حولها ، قال : أمدائن كسرى ؟ قال : نعم . قال : وعلى أيّ شيء ؟ قال : على مهرجا نقدق وأرضها . قالوا : قد أخبرناك أنه لا يدري علام بعثته ! فعزله عنهم ، ثم دعاه بعد ذلك ، فقال : أساءك حين عزلتُك ؟ فقال : والله ما فرحتُ به حين بعثتني ، ولقد ساءني حين

عزّلني . فقال : لقد علمتُ ما أنت بصاحب عمل ، ولكني تأوّلت : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(١) .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خُليد بن ذُفَرة السَّمَرِيّ ، عن أبيه بمثله وزيادة ، فقال : أو تُحَمَّدَ نَفْسَكَ بمعرفة من تُعالجه منذ قدمت ! وقال : والله يا عَمَّار لا ينتهي بك حدُّك حتى يلقيك في هُنة ، وتالله لئن أدركك عمر لترقنّ ، ولئن رَقَقْتَ لَتُبْتَلِيَنَّ ، فسل الله الموت . ثمّ أقبل على أهل الكوفة فقال : مَنْ تريدون يا أهل الكوفة ؟ فقالوا : أبا موسى . فأمره عليهم بعد عمار ، فأقام عليهم سنة ، فباع غلامه العَلَفَ . وسمعه الوليد بن عبد شمس ، يقول : ما صحبتُ قوماً قطّ إلا آثرتهم ؛ ووالله ما منعتني أن أكذب شهودَ البصرة إلا صحبتُهم ، ولئن صحبتُكم لأمنحنكم خيراً . فقال الوليد : ما ذهب بأرضنا غيرُك ؛ ولا جرم لا تعمل علينا . فخرج وخرج معه نفر ، فقالوا : لا حاجة لنا في أبي موسى ، قال : ولم ؟ قالوا : غلام له يتّجر في حَشْرنا . فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة ، وصرف عمر بن سراقه إلى الجزيرة . وقال لأصحاب أبي موسى الذين شخصوا في عزله من أهل الكوفة : أقوىّ مشدّد أحبّ إليكم أم ضعيف مؤمن ؟ فلم يجد عندهم شيئاً ، فتنحّى ، فخلا في ناحية المسجد ، فنام فأناه المغيرة بن شعبة فكلّاه حتى استيقظ ، فقال : ما فعلتَ هذا يا أمير المؤمنين إلّا من عظيم ؛ فهل نابك من نائب ؟ قال : وأيّ نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ، ولا يرضى عنهم أمير ! وقال في ذلك ما شاء الله .

واختطّت الكوفة حين اختطّت على مائة ألف مقاتل ؛ وأناه أصحابه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما شأنك ؟ قال : شأني أهل الكوفة قد عَصَلُوا بي . وأعاد عليهم عمر المشورة التي استشار فيها ، فأجابه المغيرة فقال : أمّا الضعيف المسلم فضعهف عليك وعلى المسلمين وفضله له ، وأمّا القويّ المشدّد فقوّته لك وللمسلمين ، وشِداده عليه وله . فبعثه عليهم .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن سعيد بن عمرو ؛ أنّ عمر قال قبل أن استعمل المغيرة : ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قويّ مشدّد ؟ فقال المغيرة : أمّا الضعيف المسلم فإنّ إسلامه لنفسه وضعفه عليك ، وأمّا القويّ المشدّد فإنّ شِداده لنفسه وقوّته للمسلمين . قال : فإنّا باعشوك يا مغيرة . فكان المغيرة عليها حتى مات عمر رضي الله تعالى عنه وذلك نحو من سنتين وزيادة . فلما ودّعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة ، قال له : يا مغيرة . ليأمنك الأبرار ، وليخفك الفجّار . ثمّ أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل قبل أن يبعثه ، فأوصى به ؛ وكان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عمّاله بموافاة الحجّ في كل سنة للسياسة ، وليحجزهم بذلك عن الرعيّة ، وليكون لشكاة الرعيّة وقتاً وغاية ينهونها فيه إليه .

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس - في قول بعضهم خراسان - وحارب يزّجرده ؛ وأمّا في رواية سيف فإنّ خروجَ الأحنف إلى خراسان كان في سنة ثمان عشرة من الهجرة .

ذكر مصير يَزْدَجَرْد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

اختلف أهل السير في سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه ؛ فأما ما ذكره سيف عن أصحابه في ذلك ، فإنه فيما كتب به إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : كان يَزْدَجَرْد بن شهریار بن كسرى - وهو يومئذ ملك فارس - لما انهزم أهل جَلُولاء خرج يريد الرّي ، وقد جعل له محمل واحد يُطبق ظهر بَعيره ، فكان إذا سار نام فيه ولم يعرّس بالقوم . فانتهوا به إلى مخاضة وهو نائم في محمله ، فأنبهوه ليُعلم ، ولثلا يفزع إذا خاض البعير إن هو استيقظ ، فعنفهم وقال : بشما صنعتم ! والله لو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة ، إني رأيتُ أني ومحمداً تناجينا عند الله ، فقال له : أملكهم مائة سنة ، فقال : زدني ، فقال : عشراً ومائة سنة ، فقال : زدني ، فقال : عشرين ومائة سنة ، فقال : زدني ، فقال : لك . وأنبهتموني ، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة .

فلما انتهى إلى الرّي ، وعليها آبان جاذويه ، وثب عليه فأخذه ، فقال : يا آبان جاذويه ، تغدري ! قال : لا ، ولكن قد تركتُ مُلكك ، وصار في يد غيرك ، فأحببت أن أكتب على ما كان لي من شيء ، وما أردتُ غير ذلك . وأخذ حاتم يَزْدَجَرْد ووصل الأدم ؛ واكتب الصّكّاك وسجّل السجلات بكلّ ما أعجبه ، ثم ختم عليها ورد الخاتم . ثم أتى بعدُ سعداً فردّ عليه كلّ شيء في كتابه . ولما صنع آبان جاذويه بيزْدَجَرْد ما صنع خرج يَزْدَجَرْد من الرّي إلى إصبهان ، وكره آبان جاذويه ، فأرأ منه ولم يأمنه . ثم عزم على كرمان ، فأتاها والنار معه ، فأراد أن يضعها في كرمان ، ثم عزم على خراسان ، فأتى مرو ، فنزلها وقد نقل النار ، فبنى لها بيتاً واتخذ بستاناً ، وبنى أزجاً فرسخين من مرو إلى البستان ؛ فكان على رأس فرسخين من مرو ، واطمأن في نفسه وأمن أن يؤتى ؛ وكتب من مرو من بقي من الأعاجم فيما لم يفتحه المسلمون ، فدأنوا له ، حتى أثار أهل فارس والهَرَمزان فنكثوا ، وثار أهل الجبال والفيروزان فنكثوا ، وصار ذلك داعية إلى إذن عمر للمسلمين في الانسياح ، فانساح أهل البصرة وأهل الكوفة حتى أئخذوا في الأرض ؛ فخرج الأحنف إلى خراسان ، فأخذ على مَهْرَجَا نَقْدَق ، ثم خرج إلى إصبهان - وأهل الكوفة محاصرو جَيّ - فدخل خراسان من الطّبيين ، فافتتح هَرَاة عَنوة ، واستخلف عليها صُحار بن فلان العبدي . ثم سار نحو مرو الشاهجان ، وأرسل إلى نيسابور - وليس دونها قتال - مطرف بن عبد الله بن الشخير والحارث بن حسان إلى سرّخس ؛ فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يَزْدَجَرْد نحو مرو الروذ حتى نزلها ، ونزل الأحنف مرو الشاهجان ؛ وكتب يَزْدَجَرْد وهو بمرو الروذ إلى خاقان يستمده ؛ وكتب إلى ملك الصُّغد يستمده ؛ فخرج رسوله نحو خاقان وملك الصُّغد ، وكتب إلى ملك الصين يستعينه ، وخرج الأحنف من مرو الشاهجان ؛ واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة ، على أربعة أمراء : علقمة بن النضر النضري ، وربيعي بن عامر التميمي ، وعبد الله بن أبي عَقِيل الثقفي ، وابن أمّ غزال الهمداني ؛ وخرج سائراً نحو مرو الروذ ؛ حتى إذا بلغ ذلك يَزْدَجَرْد خرج إلى بلخ ، ونزل الأحنف مرو الروذ ؛ وقدم أهل الكوفة ؛ فساروا إلى بلخ ، وأتبعهم الأحنف ، فالتقى أهل الكوفة ويَزْدَجَرْد ببلخ ؛ فهزم الله يَزْدَجَرْد ، وتوجه في أهل فارس إلى النهر فعب ، ولحق الأحنف بأهل الكوفة ؛ وقد فتح الله عليهم ؛ فبلخ من فتوح أهل الكوفة . وتتابع أهل خراسان ممن شذّ أو تحصّن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان ممن كان في مملكة كسرى ؛

وعاد الأحنف إلى مرو الروذ، فنزلها واستخلف على طخارستان ربعي بن عامر؛ وهو الذي يقول فيه النجاشي - ونسبه إلى أمه؛ وكانت من أشراف العرب:

ألا ربُّ من يُدعى فتى ليس بالفتى ألا إنَّ ربعيَّ ابنَ كأسٍ هو الفتى
طويلُ قُعودِ القومِ في قعرِ بيته إذا شَبِعُوا من ثقلِ جَفَّتِهِ سقى

كتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان، فقال: لوددت أني لم أكن بعثت إليها جنداً، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار؛ فقال علي: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن أهلها سينفضون منها ثلاث مرّات، فيحتاجون في الثالثة، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب إليّ من أن يكون بالمسلمين.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عبد الرحمن الفزاريّ، عن أبي الجنوب الشكريّ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: لما قديم عمر على فتح خراسان، قال: لوددت أن بيننا وبينها بحراً من نار، فقال علي: وما يشتد عليك من فتحها! فإن ذلك لموضع سرور، قال: أجل ولكني... حتى أتى على آخر الحديث.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عيسى بن المغيرة، وعن رجل من بكر بن وائل يدعى الوازع بن زيد بن خُلَيْدة، قال: لما بلغ عمر غلبة الأحنف على المرويين وبلخ، قال: وهو الأحنف، وهو سيّد أهل المشرق المسمّى بغير اسمه. وكتب عمر إلى الأحنف: أما بعد، فلا تجوزنّ النهر واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم بأيّ شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر؛ وإياكم أن تعبروا فتفضّوا.

ولما بلغ رسولا يزّجرد خاقان وغوزك، لم يستتب لهما إنجاده حتى عبر إليهما النهر مهزوماً، وقد استتب فأنجده خاقان - والملك ترى على أنفسها إنجاد الملك - فأقبل في الترك، وحشر أهل قرغانة والصغد؛ ثم خرج بهم، وخرج يزّجرد راجعاً إلى خراسان، حتى عبر إلى بلخ، وعبر معه خاقان، فأرّز أهل الكوفة إلى مرو الروذ إلى الأحنف، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ. وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان والصغد نهر بلخ غازياً له، خرج في عسكره ليلاً يتسمع: هل يسمع برأي ينتفع به؟ فمرّ برجلين ينقيان علفاً، إما تيناً وإما شعيراً، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أنّ الأمير أسندنا إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً؛ وكان الجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله. فرجع واجتزأ بها، وكان في ليلة مظلمة، فلما أصبح جمع الناس، ثم قال: إنكم قليل، وإن عدوكم كثير، فلا يهولتكم؛ فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين؛ ارتحلوا من مكانكم هذا، فاسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه في ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم، وقتلوه من وجه واحد. ففعلوا، وقد أعدوا ما يصلحهم، وهو في عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم. وأقبلت الترك ومن أجلبت حتى نزلوا بهم، فكانوا يغادونهم ويراهونهم ويتنحّون عنهم بالليل ما شاء الله. وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل، فخرج ليلة بعد ما علم علمهم؛ طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من عسكر خاقان فوقف، فلما كان في وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه، وضرب بطله، ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف فقتله، وهو يرتجز ويقول:

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصُّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا
إِنَّ لَنَا شَيْخًا بِهَا مُلْقَى سَيْفَ أَبِي حَفْصٍ الَّذِي تَبَقَّى

ثم وقف موقف التركي وأخذ طوقه، وخرج آخر من الترك، ففعل فعل صاحبه الأول، ثم وقف دونه فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز:

إِنَّ الرَّئِيسَ يَرْتَبِي وَيَطْلُعُ وَيَمْنَعُ الْخُلَاءَ إِمَّا أَرْبُعُوا

ثم وقف موقف التركي الثاني، وأخذ طوقه، ثم خرج ثالث من الترك، ففعل فعل الرجلين، ووقف دون الثاني منها، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف، فقتله وهو يرتجز:

جَرِي الشَّمُوسِ نَاجِزًا بِنَاجِزٍ مُحْتَفِلًا فِي جَرِيهِ مُشَارِزٍ

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره؛ ولم يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعد. وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء؛ كلهم يضرب بطله، ثم يخرجون بعد خروج الثالث، فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث، فأتوا على فرسانهم مقتلين، فتشاءم خاقان وتطير، فقال: قد طال مقامنا، وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يُصب بمثله قط؛ ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا؛ فكان وجوههم راجعين، وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً، وأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ. وقد كان يزدرج بن شهریار بن كسرى ترك خاقان بمرو الروذ، وخرج إلى مرو الشاهجان؛ فتحصن منه حاتم بن النعمان ومن معه، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها؛ وخاقان ببلخ مقيم له، فقال المسلمون للأحنف: ما ترى في اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. ولما جمع يزدرج ما كان في يديه مما وضع بمرو، فأعجل عنه؛ وأراد أن يستقل به منها، إذ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس، وأراد اللحاق بخاقان فقال له أهل فارس: أي شيء تريد أن تصنع؟ فقال: أريد اللحاق بخاقان، فأكون معه أو بالصين، فقالوا له: مهلاً؛ فإن هذا رأي سوء، إنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع أرضك وقومك؛ ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصلحهم؛ فإنهم أوفياء وأهل دين؛ وهم يلون بلادنا، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم؛ ولا ندري ما وفاؤهم؛ فأبى عليهم وأبوا عليه؛ فقالوا: فدع خزائننا نردّها إلى بلادنا ومن يليها، ولا تخرجها من بلادنا إلى غيرها، فأبى؛ فقالوا: فإننا لا ندعك؛ فاعتزلوا وتركوه في حاشيته، فاقتتلوا، فهزموه وأخذوا الخزائن، واستولوا عليها ونكبوها، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر، فاعترضهم المسلمون والمشركون بمرو يثفونونه، فقاتلوه وأصابوه في آخر القوم، وأعجلوه عن الأثقال؛ ومضى مؤائلا حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك؛ فلم يزل مقيماً زماناً عمر رضي الله عنه كله يكتبهم ويكاتبونه، أو من شاء الله منهم. فكفر أهل خراسان زمان عثمان. وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه، ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال، وترجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة؛ فكانوا كأنما هم في ملكهم؛ إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم، فاغبطوا وغبطوا؛ وأصاب الفارس يوم يزدرج كسهم الفارس يوم القادسية.

ولما خلع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزدرج حتى نزل بمرو، فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان. أوى إلى طاحونة، فأتوا عليه يأكل من كرد حول الرّحا؛ فقتلوه ثم رموا به في النهر.

ولما أصيب يَزْدَجَرْدُ بِمَرَوْ - وهو يومئذ مختبئ في طاحونة يريد أن يطلب للحاق بِكَرْمَانَ - فاحتوى فيئة المسلمون والمشركون، وبلغ ذلك الأحنف، فسار من قَوْره ذلك في الناس إلى بَلْخ يريد خاقان، ويتبع حاشية يَزْدَجَرْدُ وأهله في المسلمين والمشركين من أهل فارس، وخاقان والترك ببلخ. فلما سمع بما ألقى يَزْدَجَرْدُ وبخروج المسلمين مع الأحنف من مَرَوْ الرّوذ نحوه، ترك بَلْخ وعبر النهر؛ وأقبل الأحنف حتى نزل بَلْخ؛ ونزل أهل الكوفة في كورها الأربع، ثم رجع إلى مَرَوْ الرّوذ فنزل بها؛ وكتب بفتح خاقان ويَزْدَجَرْدُ إلى عمر، وبعث إليه بالأخماس، ووقد إليه الوفود. قالوا: ولما عبر خاقان النهر، وعبرت معه حاشية آل كسرى، أو من أخذ نحو بَلْخ منهم مع يَزْدَجَرْدُ، لقوا رسول يزدجرد الذي كان بعث إلى ملك الصين، وأهدي إليه معه هدايا، ومعه جواب كتابه من ملك الصين. فسألوه عما وراءه، فقال: لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما ترؤن - وأراهم هديته. وأجاب يَزْدَجَرْدُ، فكتب إليه بهذا الكتاب بعد ما كان قال لي: قد عرفت أن حقاً على الملوك إيجاد الملوك على من غلبهم، فصِف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم؛ فإنني أراك تذكر قلّة منهم وكثرة منكم؛ ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم؛ فقلت: سلني عما أحببت، فقال: أيوفون بالعهد؟ قلت: نعم، قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إمّا دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة، أو المنازعة. قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطوع قوم لمرشدهم، قال: فما يحلون وما يحرمون؟ فأخبرته، فقال: أيحرمون ما حلل لهم، أو يحلون ما حرم عليهم؟ قلت لا، قال: فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم. ثم قال: أخبرني عن لباسهم؛ فأخبرته، وعن مطاياهم، فقلت: الخيل العراب - ووصفتها - فقال: نعمت الحصون هذه! ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها، فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق.

وكتب معه إلى يزدجرد كتاباً: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمَرَوْ وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدّوها، ولو حلّ سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف؛ فسألهم وارض منهم بالمساكنة؛ ولا تهجم ما لم يهيجوك. وأقام يَزْدَجَرْدُ وآل كسرى بفرغانة، معهم عهد من خاقان. ولما وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم بعمر بن الخطاب من قبل الأحنف، جمع الناس وخطبهم، وأمر بكتاب الفتح فقرأ عليهم، فقال في خطبته: إنّ الله تبارك وتعالى ذكر رسوله ﷺ وما بعثه به من الهدى، ووعد على أتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة. فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)؛ فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر جنده. ألا إنّ الله قد أهلك ملك المجوسية، وفرّق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرب بمسلم. ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم؛ لينظر كيف تعملون! ألا وإنّ المصرين من مسالحها اليوم كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد، وقد غلوا في البلاد، والله بالغ أمره، ومنجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله، فقوموا في أمره على رجل يوف لكم بعهده، ويؤتكم وعده؛ ولا تبدّلوا ولا تغيروا، فيستبدل الله بكم غيركم؛ فإنني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤق إلا من قبلكم.

قال أبو جعفر: ثمَّ إنَّ أداني أهل خراسان وأقاصيه اعترضوا زمانَ عثمان بن عفان لستين خلّتا من إمارته؛ وسنذكر بقية خبر انتقاضهم في موضعه إن شاء الله مع مقتل يزيدَ جرد.

وحجَّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وكانت عمّالُه على الأمصار فيها عمّالُه الذين كانوا عليها في سنة إحدى وعشرين غير الكوفة والبصرة؛ فإنَّ عامله على الكوفة وعلى الأحداث كان المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبا موسى الأشعريّ.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

فكان فيها فتح إصطخر في قول أبي معشر؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت إصطخر الأولى وهمذان سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدي مثل ذلك. وقال سيف: كان فتح إصطخر بعد توج الآخرة.

ذكر الخبر عن فتح توج

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: خرج أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس؛ ومعهم سارية بن زُئيم ومن بُعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهل فارس مجتمعون بتوج؛ فلم يصمدوا لجمعهم بجمعهم، ولكن قصد كل أمير كورة منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها؛ وبلغ ذلك أهل فارس؛ فافترقوا إلى بلدانهم؛ كما افترق المسلمون ليمنعوها؛ وكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم وتفريق جموعهم؛ فطير المشركون من ذلك؛ وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه؛ فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خُره فيمن معه من المسلمين، فالتقوا بتوج وأهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله. ثم إن الله عز وجل هزم أهل توج للمسلمين، وسلط عليهم المسلمين، فقتلوهم كل قتل، وبلغوا منهم ما شاؤوا، وغنمهم ما في عسكرهم فحووه، وهذه توج الآخرة؛ ولم يكن لها بعدها شوكة، والأولى التي تنقذ فيها جنود العلاء أيام طاوس، الوقعة التي اقتتلوا فيها؛ والوقعتان الأولى والآخرة كلتاها متساجلتان. ثم دُعوا إلى الجزية والذمة؛ فراجعوا وأقروا، وخمس مجاشع الغنائم، وبعث بها، ووقد وفداً؛ وقد كانت البُشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم، لسنة جرت بذلك من رسول الله ﷺ.

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سوقة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين توج، فحاصرناهم، وقتلناهم ما شاء الله، فلما افتتحناها وحوينا نهبها نهباً كثيراً، وقتلنا قتلى عظيمة؛ وكان علي قميص قد تحرق؛ فأخذت إبرة وسلكاً وجعلت أحيط قميصي بها. ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته، فأثيت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه، فلبسته؛ فلما جمعت الرثة، قام مجاشع خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، فقال: أيها الناس لا تغلوا، فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة. ردوا ولو المخيط. فلما سمعت ذلك نزع القميص فألقيته في الأخماس.

فتح إصطخر

قال: وقصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر؛ فالتقى هو وأهل إصطخر بجور فاقتتلوا ما شاء الله. ثم إن الله عز وجل فتح لهم جور؛ وفتح المسلمون إصطخر، فقتلوا ما شاء الله، وأصابوا ما شاؤوا، وفر من فر. ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة، فراسلوه وراسلهم، فأجابته الهريذ وكل من هرب أو تنحى؛ فتراجعوا وباحوا بالجزاء، وقد كان عثمان لما هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم، فخمسه، وبعث بالخمس إلى عمر، وقسم أربعة أخماس المغنم في الناس، وعفت الجند عن النهاب، وأدوا الأمانة، واستدقوا الدنيا. فجمعهم عثمان؛ ثم قام فيهم، وقال: إن هذا الأمر لا يزال مقبلاً؛ ولا يزال أهله معافين مما يكرهون، ما لم يغلوا، فإذا غلوا رأوا ما ينكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سفيان، عن الحسن، قال: قال عثمان بن أبي العاص يوم إصطخر: إن الله إذا أراد بقوم خيراً كفهم، ووفر أمانتهم، فاحفظوها؛ فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة؛ فإذا فقدتموها جدد لكم في كل يوم فقدان شيء من أموركم.

ثم إن شهرک خلع في آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان، ونشط أهل فارس، ودعاهم إلى النقص، فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثمانية، وبعث معه جنوداً أمدهم، عليهم عبيد الله بن معمر، وشبل بن معبد البجلي، فالتقوا بفارس، فقال شهرک لابنه وهو في المعركة؛ وبينهم وبين قرية تدعى ريشهر ثلاثة فراسخ، وكان بينهم وبين قرارهم اثنا عشر فرسخاً: يا بني، أين يكون غذاؤنا؟ ها هنا أوريشهر؟ فقال: يا أبت إن تركونا فلا يكون غذاؤنا ها هنا ولا ريشهر، ولا يكونن إلا في المنزل، ولكن والله ما أراهم يتركوننا. فما فرغا من كلامها حتى أنشب المسلمون القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، قتل فيه شهرک وابنه، وقتل الله جل وعز منهم مقتلة عظيمة وولى قتل شهرک الحكم بن أبي العاص بن بشر بن دهمان، أخو عثمان.

وأما أبو معشر فإنه قال: كانت فارس الأولى وإصطخر الآخرة في سنة ثمان وعشرين. قال: وكانت فارس الآخرة وجور سنة تسع وعشرين؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثني من سمع إسحاق بن عيسى، يذكر ذلك عن أبي معشر. وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سليمان بن صالح، قال: حدثني عبيد الله، قال: أخبرنا عبيد الله بن سليمان، قال: كان عثمان بن أبي العاص أرسل إلى البحرين، فأرسل أخاه الحكم بن أبي العاص في ألفين إلى توج؛ وكان كسرى قد فر عن المدائن، ولحق بجور من فارس.

قال: فحدثني زياد مولى الحكم بن أبي العاص، عن الحكم بن أبي العاص، قال: قصد إلى شهرک - قال عبيد: وكان كسرى أرسله - قال الحكم: فصعد إلي في الجنود فهبطوا من عقبة، عليهم الحديد، فخشيت أن تغشوا أبصار الناس، فأمرت منادياً، فنادى أن من عليه عمامة فليلفها على عينيه، ومن لم يكن عليه عمامة فليغمض بصره؛ وناديت أن حطوا عن دوابكم. فلما رأى شهرک ذلك حط أيضاً. ثم ناديت: أن اركبوا، فصففتنا لهم وركبوا، فجعلت الجارود العبدى على الميمنة وأبا صفرة على الميسرة - يعني أبا المهلب - فحملوا على المسلمين فهزموهم؛ حتى ما أسمع لهم صوتاً، فقال لي الجارود: أيها الأمير؛ ذهب الجند، فقلت: إنك ستري أمرك، فما لبثنا أن رجعت خيلهم، ليس عليها فرسانها، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنثرت الرؤوس بين

يديّ، ومعني بعض ملوكهم - يقال له المُكْبَر، فارَقَ كسرى ولحق بي - فأتيتُ برأس ضخم؛ فقال المُكْبَر: هذا رأس الأَرْدَهاق - يعني شهرَك - فحوصروا في مدينة سابور، فصالحهم - وملكهم آذَرِيان - فاستعان الحَكَمُ بآذَرِيان على قتال أهل إصْطَخر، ومات عُمر رضي الله عنه؛ فبعث عثمان عُبيد الله بن معمر مكانه، فبلغ عبيد الله أن آذَرِيان يريد أن يغدر بهم، فقال له: إني أحب أن تتخذ لأصحابي طعاماً، وتذبح لهم بقرة، وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني، فإني أحب أن أتمشش العظام. ففعل، فجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالفؤوس، فكسره بيده، فيتمخّحه - وكان من أشدّ الناس - فقام الملك، فأخذ برجله، وقال: هذا مقام العائذ. فأعطاه عهداً، فأصاب عبيد الله منجنيقة، فأوصاهم، فقال: إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بي فيها ساعة. ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً.

وكان عثمان بن أبي العاص لحق الحَكَم، وقد هزم شهرَك، فكتب إلى عمر: إن بني وبين الكوفة فُرْجة أخاف أن يأتيني العدو منها. وكتب صاحب الكوفة بمثل ذلك: إن بني وبين كذا فُرْجة. فاتفق عنده الكتابان، فبعث أبا موسى في سبعمائة، فأنزلهم البصرة.

ذكر فتح فسا ودارا بِجَرْدَ

كتبَ إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: وقصد سارية بن زُئيم، فسا ودارا بِجَرْدَ، حتى انتهى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله. ثم إنهم استمدّوا، فتجمّعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمرٌ عظيم، وجمع كثير؛ فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعة من النهار، فنادى من الغد: الصّلاة جامعة! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم؛ وكان أريهم والمسلمون بصحراء؛ إن أقاموا فيها أحيط بهم، وإن أَرزُوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلّا من وجه واحد. ثم قام فقال: يأيها الناس؛ إني رأيت هذين الجمعين - وأخبر بحالهما - ثم قال: يا سارية، الجبل، الجبل! ثم أقبل عليهم، وقال: إنّ الله جنوداً، ولعل بعضها أن يبلغهم؛ ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد؛ فهزمهم الله لهم؛ وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم.

كتبَ إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمر دثار بن أبي شبيب، عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء، عن رجل من بني مازن، قال: كان عمر قد بعث سارية بن زُئيم الدؤليّ إلى فسا ودارا بِجَرْدَ؛ فحاصرهم. ثم إنهم تداعوا فأصحروا له، وكثروه فأتوه من كلّ جانب؛ فقال عمر وهو يخطب في يوم جمعة: يا سارية بن زُئيم، الجبل، الجبل! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل، إن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلّا من وجه واحد، فليجؤوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم فهزموهم، فأصاب مغائهم، وأصاب في المغانم سَفْطاً فيه جوهر، فاستوهبه المسلمين لعمر، فوهبه له، فبعث به مع رجل، وبالفتح. وكان الرّسل والوفد يُجازون وتقضى لهم حوائجهم، فقال له سارية: استقرض ما تُبَلِّغ به وما تُخلِّفه لأهلك على جائزتك. فقدم الرّجل البصرة، ففعل، ثم خرج فقدم على عمر، فوجده يُطعم الناس، ومعه عصاه التي يزجر بها بعيّره، فقصد له، فأقبل عليه بها، فقال: اجلس، فجلس حتى إذا أكل القوم انصرف عمر، وقام فأتبعه، فظنّ عمر أنه رجل لم يشبع، فقال حين انتهى إلى باب داره: ادخل - وقد أمر الخباز أن يذهب بالخبّوان إلى مطبخ المسلمين - فلما جلس في البيت أتى

بغدائه خبز وزيت وملح جريش، فوضع وقال: ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ قالت: إني لأسمع حسَّ رجل؛ فقال: أجل، فقالت: لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة؛ فقال: أو ما ترصين أن يقال: أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر! فقالت: ما أقلَّ غناء ذلك عني! ثم قال للرجل: ادنُ فكل؛ فلو كانت راضيةً لكان أطيب مما ترى، فأكلا حتى إذا فرغ قال: رسولُ سارية بن زُنيَم يا أمير المؤمنين. فقال: مرحباً وأهلاً، ثم أدناه حتى مسَّت ركبته ركبته، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن سارية بن زُنيَم، فأخبره، ثم أخبره بقصة الدُّرج، فنظر إليه ثم صاح به، ثم قال: لا ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم. فطرده، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني قد أنضيتُ إبلِي واستقرضت في جائزتي، فأعطني ما أتبلغ به؛ فما زال عنه حتى أبدله بغيراً ببيعه من إبل الصدقة، وأخذ بغيره فأدخله في إبل الصدقة، ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً حتى قدم البصرة، فنفذ لأمر عمر، وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية، وعن الفتح وهل سمعوا شيئاً يوم الواقعة؟ فقال: نعم، سمعنا: «يا سارية، الجبل»، وقد كدنا نهلك، فلجأنا إليه، ففتح الله علينا.

كتب إلى السري، عن شعيب عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، مثل حديث عمرو.

ذكر فتح كَرْمَان

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو؛ قالوا: وقصد سهيل بن عديٍّ إلى كَرْمَان، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عُبَّان، وعلى مقدَّمة سهيل بن عديٍّ النُّسير بن عمرو العجلي، وقد حشد له أهل كَرْمَان، واستعانوا بالقُفُس؛ فاقتتلوا في أدنى أرضهم، ففضَّهم الله، فأخذوا عليهم بالطريق، وقتل النُّسير مرزبانها، فدخل سهيل من قِبَل طريق القُرى، اليوم إلى جِيفَت، وعبد الله بن عبد الله من مَفَاة شِير، فأصابوا ماشأوا من بغير أو شاء، فقوموا الإبل والغنم فتحاصُّوها بالأثمان لعظم البُخت على العِراب، وكروها أن يزيديا، وكتبوا إلى عمر؛ فكتب إليهم: إن البعير العربيَّ إنما قوم بتعير اللحم؛ وذلك مثله؛ فإذا رأيتم أن في البُخت فضلاً فزيديا فإنما هي من قيمه.

وأما المدائني، فإنه ذكر أن علي بن مجاهد أخبره عن حنبل بن أبي حريدة - وكان قاضي قُهستان - عن مرزبان قُهستان، قال: فتح كَرْمَان عبد الله بن بُذيل بن ورقاء الخُزاعي في خلافة عمر بن الخطاب، ثم أتى الطبسين من كَرْمَان، ثم قدم على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني افتتحت الطبسين فأقطعهنَّ، فأراد أن يفعل، فقبل لعمر: إنها رُستاقان عظيمان، فلم يقطعهنَّ إياهما؛ وهما بابا خُراسان.

ذكر فتح سِجِسْتَان

قالوا: وقصد عاصم بن عمرو لسِجِسْتَان، ولحقه عبد الله بن عمير، فاستقبلوهم فالتقوا هم وأهل سِجِسْتَان في أدنى أرضهم، فهزموهم ثم أتبعوهم، حتى حصروهم بَزَرْج، وغزوا أرض سِجِسْتَان ماشأوا. ثم إنهم طلبوا الصلح على زَرْج وما احتازوا من الأرضين؛ فأعطوه، وكانوا قد اشتروا في صلحهم أن فدا فِدَاهِي؛ فكان المسلمون إذا خرجوا تناذروا خِشية أن يصيبوا منها شيئاً، فيُخفروا. فتم أهل سِجِسْتَان على الخراج والمسلمون على الإعطاء؛ فكانت سِجِسْتَان أعظم من خُراسان، وأبعد فروجاً، يقاتلون القُنْدُهار والترك وأما كثيرة، وكانت فيها بين السند إلى نهر بَلْخ بحiale، فلم تزل أعظم البلدين، وأصعب الفرجين، وأكثرهما عدداً وجُنداً؛ حتى زمان معاوية، فهرب الشاه من أخيه - واسم أخيه الشاه يومئذ رُتْبِيل - إلى بلد فيها يدعى

آمل، ودانوا لِسَلَم بن زياد، وهو يومئذ على سِجستان، وفرح بذلك وعقد لهم، وأنزلهم بتلك البلاد، وكتب إلى معاوية بذلك يُري أنه قد فُتِح عليه. فقال معاوية: إن ابن أخي ليفرح بأمر إنه لِيَحْزُنُنِي وينبغي له أن يحزنه، قالوا: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن آمل بلدة بينها وبين زَرْجَجِ صُعبوبة وتضايِق، وهؤلاء قوم نُكْر عُذْر، فيضطرب الحبل غداً، فأهون ما يجيء منهم أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها. وتم لهم على عهد ابن زياد؛ فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه، وغلب على آمل، وخاف رُتَبيل الشاه فاعتصم منه بمكانه الذي هو به اليوم، ولم يُرْضِه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع في زَرْجَجِ، فغزاها فحصرهم حتى أتتهم الأمداد من البصرة، فصار رُتَبيل والذين جاؤوا معه؛ فنزلوا تلك البلاد شَجاً، لم يُتْرَعْ إلى اليوم؛ وقد كانت تلك البلاد مذلة إلى أن مات معاوية.

فتح مُكران

قالوا: وقصد الحَكَم بن عمرو التغلبيّ مُكران؛ حتى انتهى إليها؛ ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب، فانضمَّ إليه، وأمدّه سهيل بن عديّ، وعبد الله بن عبد الله بن عَتَبان بأنفسهما، فانتھوا إلى دُوين النهر، وقد انفضَّ أهل مُكران إليه حتى نزلوا على شاطئه، فعسكروا، وعبر إليهم راسل ملكهم ملك السند، فازدلف بهم مستقبل المسلمين. فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مُكران من النهر على أيام، بعد ما كان قد انتهى إليه أوائلهم، وعسكروا به ليلحق أخرهم، فهزم الله راسل وسلّبه، وأباح المسلمين عسكره، وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة، وأتبعوهم يقتلونهم أياماً، حتى انتهوا إلى النهر. ثم رجعوا فأقاموا بمُكران. وكتب الحَكَم إلى عمر بالفتح، وبعث بالأخماس مع صُحار العبدِيّ، واستأمره في الفيلة، فقدم صُحار على عمر بالخبر، والمغانم، فسأله عمر عن مُكران - وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه - فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جَبَل، وماؤها وشل، وتمرها دَقَل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرّها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شرّ منها. فقال: أسْجَاعُ أنت أم مخْبِر؟ قال: لا بل مخْبِر، قال: لا، والله لا يغزوها جيش لي ما أُطْعْتُ؛ وكتب إلى الحَكَم بن عمرو وإلى سهيل ألا يجوزن مُكران أحد من جنودكما، واقتصرا على ما دون النهر؛ وأمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام، وقسم أثمانها على مَنْ أفاءها الله عليه.

وقال الحَكَم بن عمرو في ذلك:

لقد شَبِعَ الأَرَامِلُ غَيْرَ فَخْرٍ	بفِيءٍ جاءَهُم من مُكرانٍ
أَتَاهُم بعد مَسْغَبَةٍ وَجْهَدٍ	وقد صَفَرَ الشَّتَاء من الدُّخانِ
فإنِّي لا يَدُمُ الجَيْشُ فِعْلي	ولا سَيْفِي يُدْمُ ولا سِنَانِي
غَدَاةُ أَدْفَعُ الأُوبَاشَ دَفْعاً	إلى السَّنَدِ العَرِيضَةِ والمَدَانِي
ومِهْرَانُ لَنَا فيما أَرَدْنَا	مُطِيعٌ غَيْرَ مُسْتَرْخِي العِنانِ
فلَوْلَا ما نهى عنه أَمِيرِي	قَطَعْنَاهُ إلى البُدْدِ الزَّوَانِي

خبر بَيْرُود من الأهواز

قالوا: ولما فصلت الخيول إلى الكُور اجتمع بَيْرُود جمع عظيم من الأكراد وغيرهم، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الكُور أن يسير حتى ينتهي إلى ذِمّة البصرة، كي لا يؤتَى المسلمون من خَلْفهم،

وخشي أن يُستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف، أو يخلفوا في أعقابهم؛ فكان الذي حذر من اجتماع أهل بيروذ؛ وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا، فخرج أبو موسى حتى ينزل بيروذ على الجمع الذي تجمعوا بها في رمضان؛ فالتقوا بين نهر تيرى ومناذر؛ وقد توافى إليها أهل النجدات من أهل فارس والأكراد، ليكيدوا المسلمين، وليصيبوا منهم غورة؛ ولم يشكوا في واحدة من اثنتين. فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل، فقال لأبي موسى، أقسم على كل صائم لما رجع فأفطر. فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القسم، وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال؛ وتقدم فقاتل حتى قتل، ووهن الله المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة؛ وأقبل أخوه الربيع، فقال: هنيء يا والى الدنيا؛ واشتد جزعه عليه؛ فرق أبو موسى للربيع للذي رآه دخله من مصاب أخيه، فخلفه عليهم في جند؛ وخرج أبو موسى حتى بلغ إصبهان، فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصري جي، ثم انصرف إلى البصرة؛ بعد ظفر الجنود، وقد فتح الله على الربيع بن زياد أهل بيروذ من نهر تيرى؛ وأخذ ما كان معهم من السبي، فتتقى أبو موسى رجالاً منهم ممن كان لهم فداء - وقد كان الفداء أرد على المسلمين من أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم - ووعد الوفود والأخماس؛ فقام رجل من غزاة فاستوفده؛ فأبى؛ فخرج فسعى به فاستجلبه عمر، وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذر إلا في أمر خادمه، فضغفه فردّه إلى عمله، وفجر الآخر؛ وتقدم إليه في ألا يعود لمثلها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر، قالوا: لما رجع أبو موسى عن إصبهان بعد دخول الجنود الكور، وقد هزم الربيع أهل بيروذ، وجمع السبي والأموال؛ فغدا على ستين غلاماً من أبناء الدهاقين تنقاهم وعزلهم؛ وبعث بالفتح إلى عمر، ووعد وفداً فجاءه رجل من غزاة، فقال: اكتنبي في الوفد، فقال: قد كتبنا من هو أحق منك؛ فانطلق مغاضباً مراغماً، وكتب أبو موسى إلى عمر: إن رجلاً من غزاة يقال له ضبة بن محصن، كان من أمره. . . وقص قصته. فلما قدم الكتاب والوفد والفتح على عمر قدم العنزى فأتى عمر فسلم عليه، فقال: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا مرحباً ولا أهلاً! فقال: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل؛ فاختلف إليه ثلاثاً، يقول له هذا ويردّ عليه هذا؛ حتى إذا كان في اليوم الرابع، دخل عليه، فقال: ماذا نقيمت على أميرك؟ قال: تنقى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه؛ وله جارية تدعى عقيلة، تغذى جفنة وتعضى جفنة، وليس منا رجل يقدر على ذلك؛ وله قفيزان، وله خاتمان، وفوض إلى زياد بن أبي سفيان - وكان زياد يلي أمور البصرة - وأجاز الخطيئة بألف. فكتب عمر كل ما قال.

فبعث إلى أبي موسى؛ فلما قدم حجه أياماً، ثم دعا به، ودعا ضبة بن محصن؛ ودفع إليه الكتاب، فقال: اقرأ ما كتبت، فقرأ: أخذ ستين غلاماً لنفسه. فقال أبو موسى: دُللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم، فأخذته فقسّمته بين المسلمين؛ فقال ضبة: والله ما كذب ولا كذبت، وقال: له قفيزان؛ فقال أبو موسى: قفيز لأهلي أقوتهم، وقفيز للمسلمين في أيديهم؛ يأخذون به أرزاقهم؛ فقال ضبة: والله ما كذب ولا كذبت؛ فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر؛ وعلم أن ضبة قد صدقة. قال: وزياد يلي أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي؛ قال: وجدت له نبلاً ورأياً، فأسندت إليه عملي. قال: وأجاز الخطيئة بألف، قال: سددت فمه بما لي أن يشتمني، فقال: قد فعلت ما فعلت. فردّه عمر وقال: إذا قدمت فأرسل إليّ زياداً وعقيلة، ففعل، فقدمت عقيلة قبل زياد؛ وقدم زياد فقام بالباب، فخرج عمر وزياد بالباب قائم، وعليه ثياب بياض كتان، فقال [له]: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشيء يسير، وصدقه، فقال له: كم عطاؤك؟ قال

ألفان، قال: ما صنعت في أول عطاء خرج لك؟ قال: اشتريت والدتي فأعتقتها، واشتريت في الثاني ربيبي عبيداً فأعتقته، فقال: وفقت، وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن، فوجده فقيهاً. فردّه، وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه، وحبس عقيلة بالمدينة. وقال عمر: ألا إن ضبة العنزي غضب على أبي موسى في الحق أن أصابه، وفارقه مراغماً أن فاته أمر من أمور الدنيا، فصدق عليه وكذب، فأفسد كذبُه صدقَه؛ فإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى النار. وكان الحطيئة قد لقيَه فأجازه في غزاة بيروذ، وكان أبو موسى قد ابتداء حصارهم وغزاتهم حتى فلَّهم، ثم جازهم ووكل بهم الربيع؛ ثم رجع إليهم بعد الفتح فولي القسَم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن الحسن، عن أسيد بن المشتمس بن أخي الأحنف بن قيس، قال: شهدت مع أبي موسى يوم إصبهان فتح القرى، وعليها عبدالله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن ورقاء الأسدي. ثم إن أبا موسى صُرف إلى الكوفة، واستعمل على البصرة عمر بن سراقه المخزومي، بدوي.

ثم إن أبا موسى رُدَّ على البصرة، فمات عمر وأبو موسى على البصرة على صلاتها، وكان عملها مفترقاً غير مجموع؛ وكان عمر ربما بعث إليه فأمدَّ به بعض الجنود، فيكون مدداً لبعض الجيوش.

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

حدثني عبد الله بن كثير العبدي، قال: حَدَّثَنَا جعفر بن عون، قال: أخبرنا أبو جَنَاب، قال: حَدَّثَنَا أَبُو المحجَّل الرَّدِينِي، عن مَخْلَد البكري وعلقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُريدة، أن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه؛ فاجتمع إليه جيش، فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي فقال: سرّ باسم الله، قاتل في سبيل الله من كفر بالله؛ فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال: ادعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة؛ وليس لهم في فيء المسلمين نصيب، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم، وعليهم مثل الذي عليكم؛ فإن أبوا فادعوهم إلى الخراج؛ فإن أقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم؛ وفرغوهم لخراجهم؛ ولا تكلفوهم فوق طاقتهم؛ فإن أبوا فقاتلوهم؛ فإن الله ناصركم عليهم؛ فإن تحصنوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله؛ فلا تنزلوهم على حكم الله؛ فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم؛ وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله؛ وأعطوهم ذمة أنفسكم، فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً. قال سلمة: فسرنا حتى لقينا عدونا من المشركين، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين، فأبوا أن يسلموا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا أن يقرّوا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وجعنا الرثة؛ فرأى سلمة بن قيس شيئاً من حلية، فقال: إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً، فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين، فإن له بُرداً ومؤونة؟ قالوا: نعم، قد طابت أنفسنا. قال: فجعل تلك الحلية في سَفَط، ثم بعث برجل من قومه، فقال: اركب بها؛ فإذا أتيت البصرة فاشتر على جوائز أمير المؤمنين راحلتين؛ فأوقرهما زاداً لك ولغلامك، ثم سرّ إلى أمير المؤمنين.

قال: ففعلت، فأتيت أمير المؤمنين وهو يغدي الناس متكئاً على عصا كما يصنع الراعي وهو يدور على القِصاع، يقول: يا يرفأ؛ زد هؤلاء لحماً، زد هؤلاء خبزاً، زد هؤلاء مَرَقَة، فلما دُفعت إليه، قال: اجلس؛

فجلست في أدنى الناس؛ فإذا طعام فيه خشونة طعامي، الذي معي أطيب منه. فلما فرغ الناس من قصاعهم قال: يا يرفأ، ارفع قصاعك ثم أدبر؛ فاتبته فدخل داراً، ثم دخل حجرة، فاستأذنت وسلمت، فأذن لي، فدخلت عليه فإذا هو جالس على مسح متكى على وسادتين من أدم محشوتين ليفاً؛ فنبذ إليّ بإحداهما، فجلست عليها، وإذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستير، فقال: يا أم كلثوم، غداءنا! فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرصها ملح لم يدق، فقال: يا أم كلثوم، ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا؟ قالت: إني أسمع عندك حس رجل، قال: نعم ولا أراه من أهل البلد - قال: فذلك حين عرفت أنه لم يعرفني - قالت: لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته، وكما كسا الزبير امرأته، وكما كسا طلحة امرأته! قال: أو ما يكفيك أن يقال: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر! فقال: كل؛ فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا. قال: فأكلت قليلاً - وطعامي الذي معي أطيب منه - وأكل، فما رأيت أحداً أحسن أكلاً منه ما يتلبس طعامه بيده ولا فمه، ثم قال: اسقونا، فجاءوا بعس من سلت فقال: أعط الرجل، قال: فشربت قليلاً، سويقي الذي معي أطيب منه، ثم أخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته، وقال: الحمد لله الذي أطعنا فأشبعنا، وسقانا فأروانا. قال: قلت: قد أكل أمير المؤمنين فشيء، وشرب فروي؛ حاجتي يا أمير المؤمنين! قال: وما حاجتك؟ قال: قلت: أنا رسول سلمة بن قيس، قال: مرحباً بسلمة بن قيس ورسوله، حدثني عن المهاجرين كيف هم؟ قال: قلت: هم يا أمير المؤمنين كما تحب من السلامة والظفر على عدوهم. قال: كيف أسعارهم؟ قال: قلت: أرخص أسعار. قال: كيف اللحم فيهم فإنها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها؟ قال: قلت: البقرة فيهم بكذا، والشاة فيهم بكذا يا أمير المؤمنين، سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ما أمرتنا به من الإسلام فأبوا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة، وسبنا الذرية، وجعنا الرثة؛ فرأى سلمة في الرثة حلية، فقال للناس: إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً، فتطيب أنفسكم أن أبعث به إلى أمير المؤمنين؟ فقالوا: نعم. فاستخرجت سقطي، فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر، وثب ثم جعل يده في خاصرته، ثم قال: لا أشبع الله إذاً بطن عمر! قال: فظن النساء أني أريد أن أغتاله، فجئن إلى الستر، فقال: كف ما جئت به، يا يرفأ، جأ عنقه. قال: فأنا أصلح سقطي وهو يحيا عنقي! قلت: يا أمير المؤمنين ألدغ بي فاحملني، قال: يا يرفأ أعطه راجلتين من الصدقة، فإذا لقيت أفقر إليهما منك فادفعهما إليه. قلت: أفعل يا أمير المؤمنين، فقال: أما والله لئن تفرق المسلمون في مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقة.

قال: فارتحلت حتى أتيت سلمة، فقلت: ما بارك الله لي فيما اختصصتني به، أقسم هذا في الناس قبل أن تصيبي وإياك فاقة، فقسمه فيهم، والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم؛ وهو خير من عشرين ألفاً.

وأما السري فإنه ذكر - فيما كتب به إليّ يذكر عن شعيب، عن سيف، عن أبي جناب، عن سليمان بن بريدة - قال: لقيت رسول سلمة بن قيس الأشجعي، قال: كان عمر بن الخطاب إذا اجتمع إليه جيش من العرب... ثم ذكر نحو حديث عبدالله بن كثير عن جعفر بن عون؛ غير أنه قال في حديثه عن شعيب عن سيف: وأعطوهم ذمم أنفسكم. قال: فلقينا عدونا من الأكراد، فدعوناهم.

وقال أيضاً: وجعنا الرثة، فوجد فيها سلمة حقتين جوهرأ، فجعلنا في سقط.

وقال أيضاً: أو ما كفاك أن يقال: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب امرأة عمر بن الخطاب! قالت: إن ذلك عني لقليل الغناء، قال: كل.

وقال أيضاً: فجاءوا بعُسٍّ من سُلت، كلّمَا حرّكه فارّ فوقه مما فيه؛ وإذا تركوه سكن. ثم قال: اشرب، فشربت قليلاً؛ شرابي الذي معي أطيب منه، فأخذ القدح فضرب به جبهته. ثم قال: إنك لضعيف الأكل، ضعيف الشرب.

وقال أيضاً: قلت: رسول سلمة، قال: مرحباً بسلمة وبرسوله؛ وكأنا خرجت من صلبه؛ حدّثني عن المهاجرين.

وقال أيضاً: ثم قال: لا أشيع الله إذا بطن عمر! قال: وظنّ النساء أني قد اغتلتته، فكشفن الستر؛ وقال: يا يرفأ، جأ عنقه؛ فوجأ عنقي وأنا أصبح، وقال: النّجاء؛ وأظنك ستبطنى. وقال: أما والله الذي لا إله غيره لئن تفرّق الناس إلى مشاتيهم... وسائر الحديث نحو حديث عبد الله بن كثير.

وحَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا شُهَابُ بْنُ خِرَاشٍ الْحَوْشِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلْمَةَ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الَّذِي جَرَى بَيْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَسَلْمَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: نَدَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ إِلَى سَلْمَةَ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْجَعِيِّ بِالْحَيْرَةِ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ... ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير، عن جعفر.

قال أبو جعفر: وحجّ عمر بأزواج رسول الله ﷺ في هذه السنة؛ وهي آخر حَجَّةٍ حجّها بالناس؛ حدّثني بذلك الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، عن الواقدي.

وفي هذه السنة كانت وفاته.

ذكر الخبر عن مقتله:

حدّثني سلم بن جُنادة، قال: حدّثنا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ خُرْمَةَ. - وكانت أمّه عاتكة بنت عوف. - قال: خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق، فلقيه أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة؛ وكان نصرانياً، فقال: يا أمير المؤمنين، أعدني على المغيرة بن شعبة؛ فإنّ عليّ خراجاً كثيراً، قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان في كلّ يوم، قال: وأيش صناعتك؟ قال: نجّار، نقّاش، حدّاد، قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال؛ قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أعمل رَحاً تطحن بالريح فعلت، قال: نعم؛ قال: فاعمل لي رَحاً، قال: لئن سلمت لأعملنّ لك رَحاً يتحدّث بها مَنْ بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه؛ فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لقد توعّدي العبد أنفاً! قال: ثم انصرف عمر إلى منزله؛ فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد، فإنك ميّت في ثلاثة أيام؛ قال: وما يُدريك؟ قال: أجده في كتاب الله عزّ وجلّ التوراة، قال عمر: آله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا؛ ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك. - قال: وعمر لا يحسّ وجعاً ولا ألماً. فلما كان من الغد جاءه كعب؛ فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم وبقي يومان، قال: ثم جاءه من غد الغد؛ فقال: ذهب يومان

وبقي يوم وليلة؛ وهي تلك إلى صبحتها. قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة؛ وكان يوكل بالصفوف رجالاً؛ فإذا استوت جاء هو فكبر. قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سُرته؛ وهي التي قتله؛ وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي - وكان خلفه - فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، هو ذا؛ قال: تقدّم فصلّ بالناس، قال: فصلّى عبد الرحمن بن عوف، وعمر طريح، ثم احتمل فأدخل داره، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: إني أريد أن أعهد إليك؛ فقال: يا أمير المؤمنين نعم؛ إن أشرت عليّ قبلت منك؛ قال: وما تريد؟ أنشدك الله؛ أشير عليّ بذلك؟ قال: اللهم لا، قال: والله لا أدخل فيه أبداً، قال: فهب لي صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. ادع لي عليّاً وعثمان والوزير وسعداً. قال: وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم؛ أنشدك الله يا عليّ إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس؛ أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي مُعيط على رقاب الناس؛ أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب الناس؛ قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم؛ وليصلّ بالناس صهيّب.

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري، فقال: قم على بابهم؛ فلا تدع أحداً يدخل إليهم؛ وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان، أن يُحسن إلى محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم؛ وأوصي الخليفة من بعدي بالعرب؛ فإنها مادة الإسلام، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فيوضع في فقرائهم، وأوصي الخليفة من بعدي بدمّة رسول الله ﷺ أن يوفّي لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت! تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة؛ يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر مَنْ قتلني؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل منّي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة، يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى عائشة فسألها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي ﷺ وأبي بكر، يا عبد الله بن عمر، إن اختلف القوم فكُن مع الأكثر؛ وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتّبع الحزب الذي فيه عبد الرحمن؛ يا عبد الله ائذن للناس، قال: فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه، ويقول لهم: أعن ملاً منكم كان هذا؟ فيقولون: معاذ الله! قال: ودخل في الناس كعب، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فأوعَدَنِي كَعْبٌ ثَلَاثًا أَعُدُّهَا وَلَا شَكَّ أَنْ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَعْبٌ
وَمَا بِي جِذَاؤُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ وَلَكِنْ جِذَاؤُ الذَّنْبِ يَتَّبَعُهُ الذَّنْبُ

قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين لو دعوت الطبيب! قال: فدعى طبيب من بني الحارث بن كعب، فسقاه نبيذاً فخرج النبيذ مشكلاً، قال: فاسقوه لبناً، قال: فخرج اللبن محضاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين، اعهد، قال: قد فرغت.

قال: ثم توفي ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. قال: فخرجوا به بكرة يوم الأربعاء، فدفن في بيت عائشة مع النبي ﷺ وأبي بكر. قال: وتقدّم صهيّب فصلّى عليه، وتقدّم قبل ذلك رجُلان من أصحاب رسول الله ﷺ: عليّ وعثمان، قال: فتقدّم واحد من عند رأسه، والآخر من عند رجله؛ فقال عبد الرحمن: لا إله إلا الله؛ ما أحرصكما على الإمرة! أما علمتما أن أمير المؤمنين قال: لِيُصَلَّ بالناس

صهيب! فتقدم صهيب فصلّى عليه . قال : ونزل في قبره الخمسة .

قال أبو جعفر : وقد قيل إن وفاته كانت في غرة المحرم سنة أربع وعشرين .

ذكر من قال ذلك :

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد ، عن أبيه قال : طعن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ؛ فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلةً ، من متوفى أبي بكر ، على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً من الهجرة . وبويع لعثمان بن عفان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم .

قال : فذكرت ذلك لعثمان الأحنسيّ ، فقال : ما أراك إلا وهلت ؛ توفى عمر رضي الله تعالى عنه لأربع ليال بقين من ذي الحجة ، وبويع لعثمان بن عفان لليلة بقيت من ذي الحجة ، فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين .

وحدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حدّثنا محدّث ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : قتل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة تمام ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، ثم بويع عثمان بن عفان .

قال أبو جعفر : وأما المدائنيّ ، فإنه قال فيما حدّثني عمر عنه ، عن شريك ، عن الأعمش - أو عن جابر الجعفيّ - عن عوف بن مالك الأشجعيّ وعامر بن أبي محمد ، عن أشياخ من قومه ؛ وعثمان بن عبد الرحمن ، عن ابني شهاب الزهريّ ، قالوا : طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة . قال : وقال غيرهم : لست بقين من ذي الحجة .

وأما سيف ، فإنه قال فيما كتب إليّ به السريّ يذكر أن شعيباً حدّثه عنه ، عن خُليد بن ذُفَرَة ومجالد ، قال : استُخلف عثمان لثلاث مضي من المحرم سنة أربع وعشرين ، فخرج فصلّى بالناس العصر ؛ وزاد : ووَقَدَ فاستُت به .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان ؛ لثلاث مضي من المحرم ؛ وقد دخل وقت العصر ، وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمعوا بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلّى بالناس ، وزاد الناس مائة ؛ ووَقَدَ أهل الأمصار ، وصنع فيهم . وهو أوّل من صنع ذلك .

وحدّث عن هشام بن محمد ، قال : قتل عمر لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام .

ذكر نسب عمر رضي الله عنه

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . وحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ،

عن محمد بن عمرو وهشام بن محمد. وحَدَّثني عُمر، قال: حَدَّثنا عليُّ بن محمد، قالوا: جميعاً في نسب عمر: هو عمرُ بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. وكنيته أبو حفص، وأمه حَتِّمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

قال أبو جعفر: وكان يقال له الفاروق.

وقد اختلف السلف فيمن سَمَّاه بذلك، فقال بعضهم: سماه بذلك رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حَدَّثني الحارث، قال: حَدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حَدَّثنا أبو حَزْرة يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي عمرو ذُكوان، قال: قلتُ لعائشة: من سَمَّى عمر الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ.

وقال بعضهم: أوَّل مَنْ سَمَّاه بهذا الأسم أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حَدَّثنا الحارث، قال: حَدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، قال: قال ابن شهاب: بلغنا أنَّ أهل الكتاب كانوا أوَّل مَنْ قال لعمر: الفاروق؛ وكان المسلمون يَأْثُرُونَ ذلك من قولهم؛ ولم يبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ ذكر من ذلك شيئاً.

ذكر صفته

حَدَّثنا هناد بن السري، قال: حَدَّثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم بن أبي النُّجود، عن زَرِّ بن حُبَيْش، قال: خرج عمر في يوم عيد - أو في جنازة زينب - آدم طَوَّالاً أصْلَعَ أعْسَرَ يَسْراً، يمشي كأنه راكب.

حَدَّثنا هناد؛ قال: حَدَّثنا شريك، عن عاصم، عن زَرِّ، قال: رأيتُ عمر يأتي العيد ماشياً حافياً أعْسَرَ أَيْسَرَ متلبِّياً بُرْداً قَطْرِيّاً، مشرفاً على الناس كأنه على دابة؛ وهو يقول: أيها الناس؛ هاجروا ولا تهجروا.

وحَدَّثني الحارث، قال: حَدَّثنا ابنُ سعد؛ قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حَدَّثنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: رأيتُ عمرَ رجلاً أبيضَ أمْهَقَ، تعلوه حُمْرة، طَوَّالاً أصْلَعَ.

وحَدَّثني الحارث، قال: حَدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حَدَّثنا شُعَيْب بن طلحة، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، قال: سمعتُ ابنَ عمر يصفُ عمر يقول: رجل أبيض، تعلوه حُمْرة، طَوَّال، أشيب، أصْلَعَ.

وحَدَّثني الحارث، قال: حَدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا خالد بن أبي بكر، قال: كان عُمر يصفَّر لحيته، ويرجِّل رأسه بالحناء.

ذكر مولده ومبلغ عمره

حَدَّثني الحارث، قال: حَدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حَدَّثني أسامة بن زيد بن

أسلم، عن أبيه، عن جده، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب، يقول: وُلدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين.

قال أبو جعفر: واختلف السلف في مبلغ سني عمر، فقال بعضهم: كان يوم قتل ابن خمس وخمسين سنة.

ذكر بعض من قال ذلك:

حدَّثني زيد بن أحمز الطائي، قال: حدَّثنا أبو قتيبة، عن جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وحدَّثني عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم، قال: حدَّثنا نعيم بن حماد، قال: حدَّثنا الدراوردي، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: توفي عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وحدَّثت عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن ابن شهاب أن عمر توفي على رأس خمس وخمسين سنة. وقال آخرون: كان يوم توفِّي ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر.

ذكر من قال ذلك:

حدَّثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبي.

وقال آخرون توفِّي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدَّثنا ابن المثنى، قال: حدَّثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر، قال: مات عُمر وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال آخرون: توفِّي وهو ابن إحدى وستين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدَّثت بذلك، عن أبي سلمة التَّبُوكِيِّ، عن أبي هلال، عن قتادة.

وقال آخرون: توفِّي وهو ابن ستين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: توفِّي عمر وهو ابن ستين سنة.

قال محمد بن عمر: وهذا أثبت الأقاويل عندنا؛ وذكر عن المدائني أنه قال: توفِّي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة.

ذكر أسماء ولده ونسائه

حدَّثني أبو زيد عمر بن شبة، عن علي بن محمد والحارث، عن محمد بن سعد؛ عن محمد بن عمر.

وَحَدَّثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ - اجْتَمَعَتْ مَعَانِي أَقْوَاهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ الْأَلْفَاظُ بِهَا - قَالُوا: تَزَوَّجَ عُمَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ زَيْنَبَ بِنْتَ مِظْعُونِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ وَهَبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَكْبَرُ وَحَفْصَةُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: وَتَزَوَّجَ مَلِيكَةُ بِنْتُ جَرَّوَلِ الْخَزَاعِيِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَفَارَقَهَا فِي الْهُدْنَةِ، فَخَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ عُمَرَ أَبُو الْجَهْمِ بْنُ حُذَيْفَةَ.

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، فَإِنَّهُ قَالَ: زَيْدُ الْأَصْغَرِ وَعَبِيدُ اللَّهِ الَّذِي قَتَلَ يَوْمَ صِفِّينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، أُمُّهُمَا أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ جَرَّوَلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أَصْرَمِ بْنِ ضُبَيْسِ بْنِ حَرَامِ بْنِ حَبْشَةَ بْنِ سَلُولِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُزَاعَةَ؛ وَكَانَ الْإِسْلَامُ فَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عُمَرَ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: تَزَوَّجَ قُرَيْبَةُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةِ الْمُخَزُومِيِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَفَارَقَهَا أَيْضاً فِي الْهُدْنَةِ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقُ.

قَالُوا: وَتَزَوَّجَ أُمُّ حَكِيمِ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُخَزُومٍ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَوُلِدَتْ لَهُ فَاطِمَةُ فَطَلَّقَهَا. قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: وَقَدْ قِيلَ: لَمْ يَطْلُقَهَا.

وَتَزَوَّجَ جَمِيلَةَ أُخْتِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ - وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَصَمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضَبِيعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْأَوْسِ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْإِسْلَامِ - فَوُلِدَتْ لَهُ عَاصِمًا، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْدَقَهَا - فِيمَا قِيلَ - أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَوُلِدَتْ لَهُ زَيْدًا وَرَقِيَّةً.

وَتَزَوَّجَ هُثَيْةً، امْرَأَةً مِنَ الْيَمَنِ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: وَلِدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَصْغَرُ. قَالَ: وَيُقَالُ كَانَتْ أُمُّ وَلَدٍ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: هُثَيْةٌ هَذِهِ أُمُّ وَلَدٍ. وَقَالَ أَيْضاً: وَلِدَتْ لَهُ هُثَيْةٌ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَصْغَرُ أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ.

وَكَانَتْ عِنْدَهُ فَكَّيْهَةً، وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ وَفِي أَقْوَاهُمْ فَوُلِدَتْ لَهُ زَيْنَبُ. وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: هِيَ أَصْغَرُ وَلَدِ عُمَرَ. وَتَزَوَّجَ عَاتِكَةَ بِنْتَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ؛ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ؛ فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ تَزَوَّجَهَا الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَّامِ.

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: وَخَطَبَ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَهِيَ صَغِيرَةٌ، وَأَرْسَلَ فِيهَا إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: الْأَمْرُ إِلَيْكَ، فَقَالَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ؛ فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: تَرْغِبِينَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَتْ: نَعَمْ؛ إِنَّهُ خَشِنَ الْعَيْشَ، شَدِيدَ عَلَى النِّسَاءِ؛ فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ: أَكْفَيْكَ؛ فَأَتَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ بَلَّغْنِي خَبَرَ أَعْيَاذِكَ بِاللَّهِ مِنْهُ؛ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: خَطَبْتُ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ! قَالَ: نَعَمْ؛ أَفَرِغْتَ بِي عَنْهَا، أَمْ رَغِبْتَ بِهَا عَنِّي؟ قَالَ: لَا وَاحِدَةً؛ وَلَكِنَّا حَدَّثَتْ نَشَأْتُ تَحْتَ كَنَفِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي لَيْلٍ وَرَفَقٍ؛ وَفِيكَ غُلْظَةٌ، وَنَحْنُ نَهَابُكَ وَمَا نَقْدَرُ أَنْ نَرُدَّكَ عَنْ خُلُقٍ مِنْ أَخْلَاقِكَ؛ فَكَيْفَ بِهَا إِنْ خَالَفَتْكَ فِي شَيْءٍ، فَسَطَوَتْ بِهَا! كُنْتُ قَدْ خَلَفْتُ أَبَا بَكْرٍ فِي وَلَدِهِ بَغِيرَ مَا يَحِقُّ عَلَيْكَ. قَالَ: فَكَيْفَ بِعَائِشَةَ وَقَدْ كَلَّمْتُهَا؟ قَالَ: أَنَا لَكَ بِهَا؛ وَأَدْلَكَ عَلَى خَيْرِ مِنْهَا، أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، تَعَلَّقَتْ مِنْهَا بِنَسَبٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: وَخَطَبَ أُمُّ أَبَانَ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، فَكَرِهَتْهُ، وَقَالَتْ: يُغْلِقُ بَابَهُ، وَيَمْنَعُ خَيْرَهُ، وَيَدْخُلُ عَابِسًا، وَيَخْرُجُ عَابِسًا.

ذكر وقت إسلامه

قال أبو جعفر: دُكر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة.

ذكر من قال ذلك:

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، قال: ذكرت له حديث عمر، فقال: أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صُعبير، قال: أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة.

ذكر بعض سيره

حدّثني أبو السائب، قال: حدّثنا ابنُ فضيل، عن ضرار، عن حصين المري، قال: قال عمر: وإنما مثلُ جمل أنفٍ اتبع قائده، فليُنظر قائده حيث يقوده، فأما أنا فوَرَبَّ الكعبة لأهملهم على الطريق.

وحدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: إذا كنت في منزلة تسعني وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوة للناس.

حدّثنا خلاد بن أسلم، قال: حدّثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا قطن، قال: حدّثنا أبو يزيد المدني، قال: حدّثنا مولى لعثمان بن عفان، قال: كنت رديفاً لعثمان بن عفان؛ حتى أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحرّ شديد السموم؛ فإذا رجل عليه إزار ورداء، قد لفّ رأسه برداء يطرد الإبل يُدخلها الحظيرة؛ حظيرة إبل الصدقة؛ فقال عثمان: مَنْ ترى هذا؟ قال: فانتبهينا إليه؛ فإذا هو عمر بن الخطاب، فقال: هذا والله القوي الأمين.

حدّثني جعفر بن محمد الكوفي وعباس بن أبي طالب؛ قالا: حدّثنا أبو زكرياء يحيى بن مصعب الكلبي، قال: حدّثنا عمر بن نافع، عن أبي بكر العسبي، قال: دخلت حير الصدقة مع عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب، قال: فجلس عثمان في الظلّ يكتب، وقام عليّ على رأسه يملّ عليه ما يقول عمر، وعمر في الشمس قائم في يوم حارّ شديد الحرّ، عليه بُردان أسودان؛ متزراً بواحد، وقد لفّ على رأسه آخر، يعدّ إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها، فقال عليّ لعثمان - وسمعه يقول: نعت بنت شعيب في كتاب الله: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١)، ثم أشار عليّ بيده إلى عمر، فقال: هذا القوي الأمين!

حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيل، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعيّة حوّلاً، فإني أعلم أنّ للناس حوائج تقطع دوني؛ أما عمّالهم فلا يرفعونها إليّ؛ وأما هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى الشام؛ فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين؛ والله لنعم الحول هذا!

حدّثني محمد بن عوف؛ قال: حدّثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، قال حدّثنا صفوان بن عمرو، قال: حدّثني أبو المخارق زهير بن سالم، أنّ كعب الأحمبار، قال: نزلت على رجل يقال له مالك - وكان جاراً

لعمر بن الخطاب - فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين؟ فقال : ليس عليه باب ولا حجاب، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : حدثنا سفيان، عن يحيى، قال : أخبرني سالم، عن أسلم، قال : بعثني عمر بببل من إبل الصدقة إلى الحمى، فوضعت جهازي على ناقة منها؛ فلما أردت أن أصدرها، قال : اعرضها علي، فعرضتها عليه، فرأى متاعي على ناقة منها حسناء، فقال : لا أم لك! عمدت إلى ناقة تغني أهل بيت المسلمين! فهلاً ابن لبون بوالا، أو ناقة شصوصاً!

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمداني، قال : حدثنا أبو معاوية عن أبي حيان، عن أبي الزنابع، عن أبي الدهقانة، قال : قيل لعمر بن الخطاب : إن ها هنا رجلاً من أهل الأنبار له بصر بالديوان؛ لو اتخذته كاتباً! فقال عمر : لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين!

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه، عن جده، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس، فقال : والذي بعث محمداً بالحق، لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب. قال أبو زيد : آل الخطاب يعني نفسه، ما يعني غيرها.

حدثنا ابن المثنى، قال : حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي عمران الجوني، قال : كتب عمر إلى أبي موسى : إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم؛ فأكرم من قبلك من وجوه الناس، وبحسب المسلم الضعيف من العدل؛ أن يُنصف في الحكم وفي القسم.

وحدثنا أبو كريب، قال : حدثنا ابن إدريس، قال : سمعت مطرفاً، عن الشعبي، قال : أتى أعرابي عمر، فقال : إن ببيعيري ثقباً ودبراً فاحملني؛ فقال له عمر؛ ما ببيعيرك ثقب ولا دبر، قال : فولى وهو يقول :
أقسَم بالله أبو خفص عَمَرُ ما مسّها مِن ثَقْبٍ ولا دَبْرٍ
فاغفر له اللهم إن كان فاجر

فقال : اللهم اغفر لي! ثم دعا الأعرابي فحملة.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا إسماعيل، قال : أخبرنا أيوب، عن محمد، قال : بُنِيتُ أن رجلاً كان بينه وبين عمر قرابة، فسأله فزبره، وأخرجه فكلم فيه؛ فقليل : يا أمير المؤمنين؛ فلان سألك فزبرته وأخرجته، فقال : إنه سألني من مال الله؛ فما معذرتي إن لقيته ملكاً خائناً! فلولا سألني من مالي! قال : فأرسل إليه بعشرة آلاف.

وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملاً له على عمل يقول - ما حدثنا به محمد بن المثنى، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال : حدثنا شعبة، عن يحيى بن حُصَيْن، سمع طارق بن شهاب يقول : قال عمر في عماله : اللهم إني لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم؛ ولا ليضربوا بأشارهم؛ من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني.

وحدثنا ابن بشار، قال : حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس يوم الجمعة، فقال : اللهم إني أشهدك

على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم؛ وأن يقسموا فيهم فيثهم، وأن يعدلوا؛ فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ.

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، قال: سمعت أبا حصين، قال: كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيِّعهم، فيقول: إني لم أستعملكم على أمة محمد ﷺ على أشعارهم، ولا على أبشارهم؛ إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بينهم بالعدل؛ وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم؛ ولا تجلدوا العرب فؤدلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تغلفوا عنها فتحرموها؛ جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن محمد ﷺ؛ وأنا شريككم. وكان يقتص من عماله، وإذا شكي إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه؛ فإن صحَّ عليه أمرٌ يجب أخذه به أخذ به.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخبرنا سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي فراس، قال: خطب عمر بن الخطاب، فقال: يا أيها الناس؛ إني والله ما أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم؛ ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وستتكم؛ فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ؛ فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه. فوثب عمرو بن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين؛ أرايتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية، فأدب بعض رعيته، إنك لتقصه منه! قال: إي والذي نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه، وكيف لا أقصنه منه وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يُقص من نفسه! ألا لا تضربوا المسلمين فؤدلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوها، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم.

وكان عمر رضي الله عنه - فيما ذكر عنه - يُعس بنفسه، ويرتاد منازل المسلمين، ويتفقد أحوالهم بيديه.

ذكر الخبر الوارد عنه بذلك:

حدثنا ابنُ بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا قرة بن خالد، عن بكر بن عبد الله المزني، قال: جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبد الرحمن بن عوف فضربه، فجاءت المرأة ففتحته؛ ثم قالت له: لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسي، فلم يدخل حتى جلست، ثم قالت: ادخل، فدخل، ثم قال: هل من شيء؟ فأنته بطعام فأكل، وعبد الرحمن قائم يصلي، فقال له: تجوز أيها الرجل؛ فسلم عبد الرحمن حينئذ، ثم أقبل عليه، فقال: ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ قال: رُفقة نزلت في ناحية السوق خشيتُ عليهم سراق المدينة، فانطلق فلنحرسهم، فانطلقا فأتيا السوق، فقعدا على نَشْرٍ من الأرض يتحدثان، فرفع لهما مصباح، فقال عمر: ألم أنه عن المصابيح بعد النوم! فانطلقا، فإذا هم قوم على شراب لهم، فقال: انطلق فقد عرفته؛ فلما أصبح أرسل إليه فقال: يا فلان، كنت وأصحابك البارحة على شراب؟ قال: وما علمك يا أمير المؤمنين؟ قال: شيء شهدته؛ فقال: أو لم ينهك الله عن التجسس! قال: فتجاوز عنه.

قال بكر بن عبد الله المزني: وإنما نهى عمر عن المصابيح، لأن الفأرة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت فيحترق، وكان إذ ذاك سقف البيت من الجريد.

وحدثني أحمد بن حرب، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: حدثني أبي، عن ربيعة بن عثمان، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم، حتى إذا كنا

بصرار؛ إذا نار تَوَثَّرَتْ؛ فقال يا أسلم؛ إني أرى هؤلاء ركباً قصر بهم الليل والبرد؛ انطلق بنا؛ فخرجنا نهرولاً حتى دنونا منهم؛ فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون؛ فقال عمر: السَّلام عليكم يا أصحاب الضَّوء - وكره أن يقول: يا أصحاب النار - قالت: وعليك السَّلام؛ قال: أأدنو؟ قالت: أدن بخير أو دُع؛ فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بن الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: وأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر! قال: أي رحمتك الله، ما يُدري عمر بكم! قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا! فأقبل عليّ، فقال: انطلق بنا؛ فخرجنا نهرولاً؛ حتى أتينا دار الدقيق؛ فأخرج عدلاً فيه كُبة شحم؛ فقال: احمله عليّ فقلت: أنا أحمله عنك، قال: احمله عليّ؛ مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك أقول: أنا أحمله عنك؛ فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة، لا أم لك! فحملته عليه؛ فانطلق وانطلقت معه نهرولاً، حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: دُري عليّ، وأنا أحرك لك؛ وجعل ينفخ تحت القدر - وكان ذا لحية عظيمة - فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها، وقال: ابغني شيئاً، فأثته بصحفة فأفرغها فيها، ثم جعل يقول: أطعميهم، وأنا أسطح لك؛ فلم يزل حتى شبعوا؛ ثم خلّى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيراً! أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيراً، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتي هناك إن شاء الله. ثم تنحى ناحية عنها؛ ثم استقبلها وربض مربض السبع، فجعلت أقول له: إن لك شأنًا غير هذا، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدؤوا، فقام وهو يحمّد الله، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلم؛ إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم.

وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله، وتقَدَّم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره كالذي حدَّثنا أبو كُريب محمد بن العلاء، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عيَّاش، قال: حدَّثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة، عن سالم، قال: كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير - يعني إلى اللحم - وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة.

قال أبو جعفر: وكان رضي الله عنه شديداً على أهل الرِّيب، وفي حق الله صلياً حتى يستخرجه، وليناً سهلاً فيما يلزمه حتى يؤدِّيه، وبالضعيف رحباً رؤوفاً. حدَّثني عبيد الله بن سعيد الزُّهرِّي، قال: حدَّثنا عمِّي، قال: حدَّثنا أبي، عن الوليد بن كثير، عن محمد بن عجلان، أن زيد بن أسلم حدَّثه عن أبيه، أن نفراً من المسلمين كلّموا عبد الرحمن بن عوف، فقالوا: كلّم عمر بن الخطاب؛ فإنه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا. قال: فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر، فقال: أوقد قالوا ذلك! فوالله لقد لنت لهم حتى تخوّف الله في ذلك؛ ولقد اشتدّت عليهم حتى خشيت الله في ذلك، وإيم الله لأنا أشدّ منهم فرقاً منهم مني.

وحَدَّثنا أبو كُريب، قال: حدَّثنا أبو بكر، عن عاصم، قال: استعمل عُمر رجلاً على مصر، فبينما عمر يوماً ماراً في طريق من طرق المدينة إذ سمع رجلاً وهو يقول: الله يا عمر! تستعمل من يخون وتقول: ليس عليّ

شيء، وعاملتك يفعل كذا! قال: فأرسل إليه، فلما جاءه أعطاه عصاً وجبة صوف وغنماً، فقال: ارعها - واسمه عياض بن غنم - فإن أباك كان راعياً، قال: ثم دعاه، فذكر كلاماً، فقال: إن أنا رددتك! فردّه إلى عمله، وقال: لي عليك ألا تلبس رقيقاً، ولا تركب برذوناً!

حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الوليد، عن عاصم، عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصاري، قال: كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار، واشترط عليه ألا يركب برذوناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس.

وحَدَّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: حدّثنا مسلم بن إبراهيم، عن سلام بن مسكين، قال: حدّثنا عمران، أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أقر صاحب بيت المال، فاستقرضه؛ قال: فرجماً أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه، فيحتال له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه.

وعن أبي عامر العقدي، قال: حدّثنا عيسى بن حفص، قال: حدّثني رجل من بني سلمة، عن ابن البراء بن معمر أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً حتى أتى المنبر، وقد كان اشتكى شكوى له، فنجت له العسل، وفي بيت المال عكة، فقال: إن أذنتم لي فيها أخذتها، وإلا فهي عليّ حرام.

تسمية عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين

قال أبو جعفر: أوّل مَنْ دُعِيَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ ثم جرت بذلك السّنة، واستعمله الخلفاء إلى اليوم.

ذكر الخبر بذلك:

حدّثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري، قال: حدّثني أم عمرو بنت حسان الكوفيّة، عن أبيها، قال: لما ولي عمر قيل: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال عمر رضي الله عنه: هذا أمر يطول، كلّما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة خليفة رسول الله! بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمّي أمير المؤمنين.

قال أحمد بن عبد الصمد: سألتها كم أتى عليك من السنين؟ قالت: مائة وثلاث وثلاثون سنة.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا يحيى بن واضح، قال: حدّثنا أبو حمزة، عن جابر، قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: يا خليفة الله، قال: خالف الله بك! فقال: جعلني الله فداك! قال: إذا يُهينك الله!

وضعه التاريخ

قال أبو جعفر: وكان أوّل مَنْ وضع التاريخ وكتبه - فيما حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر - في سنة ستّ عشرة في شهر ربيع الأول منها، وقد مضى ذكرى سبب كتابه ذلك؛ وكيف كان الأمر فيه.

وعمر رضي الله عنه أوّل مَنْ أرخ الكتب، وختم بالطين. وهو أوّل مَنْ جمع الناس على إمام يصلي بهم

التراويح في شهر رمضان، وكتب بذلك إلى البلدان، وأمرهم به، وذلك - فيما حدثني به الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، عن محمد بن عمر - في سنة أربع عشرة، وجعل للناس قارئين: قارئاً يصلي بالرجال وقارئاً يصلي بالنساء.

حملة الدرة وتدوينه الدواوين

وهو أول من حمل الدرة، وضرب بها؛ وهو أول من دَوَّن للناس في الإسلام الدواوين، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لهم العطاء.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني عائذ بن يحيى، عن أبي الحويرث، عن جُبَيْر بن الحُوَيْرث بن نُقَيْد، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، فلا تمسك منه شيئاً. وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ من لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام، فرأيت ملوكها قد دَوَّنوا ديواناً، وجندوا جنداً، فدَوَّن ديواناً، وجند جنداً. فأخذ بقوله، فدعا عَقِيل بن أبي طالب ومُحَرَّم بن نوفل وجُبَيْر بن مطعم، وكانوا من نَسَاب قريش - فقال: اكتبوا الناس على منازلهم؛ فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم؛ ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة؛ فلما نظرفيه عمر قال: لوددت والله أنه هكذا؛ ولكن ابدؤوا بقراءة رسول الله ﷺ؛ الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، قال: رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عُرض عليه الكتاب، وبنو تميم على أثر بني هاشم وبنو عديّ على أثر بني تميم، فأسمعُهُ يقول: ضعوا عمر موضعه، وابدؤوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله، فجاءت بنو عديّ إلى عمر، فقالوا: أنت خليفة رسول الله، قال: أو خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله، قالوا: وذاك، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم! قال: بخ بخ بني عديّ! أردتم الأكل على ظهري؛ وأن أذهب حسناتي لكم! لا والله حتى تأتاكم الدعوة، وإن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تكتبوا في آخر الناس؛ إن لي صاحبين سلكا طريقاً، فإن خالفتها خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد ﷺ؛ فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب؛ إن العرب شرفت برسول الله، ولعل بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة. وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة؛ مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عمل، فهم أولى بمحمد منّا يوم القيامة، فلا ينظر رجل إلى قرابة، وليعمل لما عند الله، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني حزام بن هشام الكعبي، عن أبيه، قال: رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحمل ديوان خُزاعة حتى ينزل قديداً، فنأتيه بقديد، فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب، فيعطيهن في أيديهن، ثم يروح فينزل عسفان، فيفعل مثل ذلك

أيضاً حتى تُوفي.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني عبد الله بن جعفر الزهريّ وعبد الملك بن سليمان، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن السائب بن يزيد، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب، يقول: والله الذي لا إله إلا هو؛ ثلاثاً؛ ما من أحدٍ إلّا له في هذا المال حقٌّ أعطيه أو مُنعه؛ وما أحدٌ أحقُّ به من أحدٍ إلا عبدٌ مملوكٌ؛ وما أنا فيه إلّا كأحدهم؛ ولكنّا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله ﷺ، والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقَدَمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته؛ والله لئن بقيتُ ليأتينّ الراعي بجبل صنعاء حظّه من هذا المال وهو مكانه.

قال إسماعيل بن محمد: فذكرت ذلك لأبي، فعرف الحديث.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني محمد بن عبد الله عن الزهريّ، عن السائب بن يزيد، قال: رأيتُ خيلاً عنده عمر بن الخطاب موسومة في أفخاذها: « حبيس في سبيل الله ».

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني قيس بن الربيع، عن عطاء بن السائب، عن زاذان، عن سلمان؛ أنّ عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جيت من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر؛ ثم وضعته في غير حقه؛ فأنت ملك غير خليفة؛ فاستعبر عمر.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أسامة بن زيد، قال: حدّثني نافع مولى آل الزبير، قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: يرحم الله ابن حنّمة! لقد رأيتُه عام الرّمادة؛ وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعُكّة زيت في يده؛ وإنه ليعتقب هو وأسلم؛ فلما رأيَ قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً؛ فأخذت أعقبه؛ فحملناه حتى انتهينا إلى صرار؛ فإذا صرّم نحو من عشرين بيتاً من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويّاً كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقة كانوا يستقونها؛ فرأيت عمر طرح رداءه، ثم اتّزر، فما زال يطبخ لهم حتى شبّعوا، فأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبيرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبّانة، ثم كساهم. وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرني موسى بن يعقوب، عن عمه، عن هشام بن خالد، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: لا تُدرّن إحداكنّ الدقيق حتى يسخن الماء ثم تذرّه قليلاً قليلاً، وتسوطه بمسوطها، فإنه أريع له؛ وأخرى ألا يتقرّد.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن مصعب القرقيسانيّ، قال: حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مریم، عن راشد بن سعد؛ أنّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتى بمال؛ فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس، حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة، وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض؛ فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك.

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثنا عمر بن سليمان بن أبي حنّمة، عن أبيه، قال: قالت الشّفا ابنة عبد الله - ورأيت فتیاناً يقصدون في المشي، ويتكأمون رويداً،

فقلت: ما هذا؟ قالوا: نُسَّاك، فقلت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، هو والله النَّاسِكُ حقاً.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي بن محمد، قال: حدَّثنا عبد الله بن عامر، قال: أعان عمر رجلاً على حمل شيء، فدعا له الرجل، وقال: نفعلك بنوك يا أمير المؤمنين! فقال: بل أغناني الله عنهم.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي بن محمد، عن عمر بن مجاشع. قال: قال عمر بن الخطاب: القوَّة في العمل ألا تؤخِّر عمل اليوم لغد، والأمانة ألا تخالف سريرة علانية؛ واتَّقوا الله عزَّ وجلَّ، فإنما التقوى بالتقوى، ومن يتق الله يقق الله يقه.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي، عن عوانة، عن الشعبي - وغير عوانة زاد أحدهما على الآخر - أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يطوف في الأسواق، ويقرأ القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي، عن محمد بن صالح، أنه سمع موسى بن عُقبة يحدث أن رهطاً أتوا عمر، فقالوا: كثر العيال، واشتدَّت المؤونة، فزدنا في أعطياتنا، قال: فعلتموها، جمعتم بين الضرائر، واتخذتم الخدم في مال الله عزَّ وجلَّ! أما والله لوددت أني وإياكم في سفينة في لجة البحر، تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يُعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم؛ فإن استقام اتبعوه، وإن جنَّف قتلوه، فقال طلحة: وما عليك لو قلت: إن تعوج عزُّوه! فقال: لا، القتل أنكل لمن بعده؛ احذروا فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلا على الرضا، ويضحك عند الغضب؛ وهو يتناول من فوقه ومن تحته.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي، عن عبد الله بن داود الواسطي، عن زيد بن أسلم، قال: قال عمر: كنا نعدُّ المقرض بخيلاً، إنما كانت المواساة.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي، عن ابن دأب، عن أبي معبد الأسلمي، عن ابن عباس، أن عمر قال لناس من قريش: بلغني أنكم تتخذون مجالس؛ لا يجلس اثنان معاً حتى يقال: من صحابة فلان؟ من جلساء فلان؟ حتى تُحوميت المجالس؛ وإيم الله إنَّ هذا السريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بينكم؛ ولكأنني بمن يأتي بعدكم يقول: هذا رأي فلان، قد قسموا الإسلام أقساماً؛ أفيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معاً؛ فإنه أودم لأفتكم، وأهيب لكم في الناس. اللهم ملّوني ومللتهم، وأحسست من نفسي وأحسوا مني؛ ولا أدري بأيّنا يكون الكون، وقد أعلم أن لهم قبلاً منهم؛ فاقبضني إليك.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي، قال: حدَّثنا إبراهيم بن محمد، عن أبيه، قال: اتخذ عبد الله بن أبي ربيعة أفراساً بالمدينة، فمنعه عمر بن الخطاب، فكلموه في أن يأذن له، قال: لا آذن له، إلا أن يجيء بعلفها من غير المدينة. فأرتبط أفراساً، وكان يحمل إليها علفاً من أرض له باليمن.

حدَّثني عمر، قال: حدَّثنا علي، قال: حدَّثنا أبو إسماعيل الهمداني، عن مجالد، قال: بلغني أن قوماً ذكروا لعمر بن الخطاب رجلاً؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ فاضل لا يعرف من الشر شيئاً، قال: ذاك أوقع له فيه!

ذكر بعض خطبه رضي الله تعالى عنه

حدَّثني عمر، قال: حدَّثني علي، عن أبي معشر، عن ابن المنكدر وغيره؛ وأبي معاذ الأنصاري عن

الزهرى، ويزيد بن عياض عن عبد الله بن أبي بكر، وعلي بن مجاهد عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عياض، عن عبد الله بن أبي إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أن عمر رضي الله تعالى عنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر، ثم قال: يا أيها الناس؛ إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم؛ ولكفى عمر مهمًا محزنًا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها، ووضعها أين أضعها؛ وبالسير فيكم كيف أسير! فرى المستعان؛ فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأنيده.

ثم خطب فقال:

إن الله عز وجل قد ولاني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم؛ وإني أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده، كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به؛ وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله؛ إنما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم: إن عمر تغير منذ ولي. أعقل الحق من نفسي وأتقدم؛ وأبين لكم أمري؛ فأئما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلومة، أو عتب علينا في خلق؛ فليؤذني، فأئما أنا رجل منكم؛ فعليكم بتقوى الله في سرركم وعلانياتكم، وحرماتكم وأعراضكم؛ وأعطوا الحق من أنفسكم؛ ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلي؛ فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هودة؛ وأنا حبيب إلي صلاحكم، عزيز علي عتبكم. وأنتم أناس عاقتكم حضرة في بلاد الله؛ وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه. وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه؛ ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله؛ لا أكله إلى أحد؛ ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصيح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله.

وخطب أيضاً، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ:

أيها الناس، إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأمّلون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور. كنتم على عهد رسول الله ﷺ، تؤخذون بالوحي، فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته؛ فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم؛ والله أعلم بالسرائر؛ فإنه من أظهر شيئاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً. واعلموا أن بعض الشخّ شعبة من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شخّ نفسه فأولئك هم المفلحون.

أيها الناس، أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم؛ واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القبايطي؛ فإنه إن لم يشف فإنه يصف.

أيها الناس؛ إني لوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا علي، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أنه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه؛ ولم ينصب إليه يوماً. وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله؛ ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حتف من الحتوف، يصيب البرّ والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه. وإذا أراد أحدكم بعيداً

فليعبد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه؛ فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره.

قالوا: وخطب أيضاً فقال:

إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، وأتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا؛ عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون.

ثم جعل لكم سمعاً وبصراً. ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بني آدم؛ ومنها نعم اختص بها أهل دينكم؛ ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم؛ وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله؛ فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصيخ أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان؛ أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يُستصفون معاشهم وكدائحهم ورشح جباههم؛ عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة؛ قد ملأ الله قلوبهم رعباً؛ فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام؛ والله المحمود؛ مع الفتوح العظام في كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين؛ مع هذه النعم التي لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه! فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته؛ والمسارة إلى مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني وفرادي، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾^(١). وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها؛ مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت؛ لكان ذلك؛ ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبتهم بالله جهالة. فلو كان هذا الذي استشلاككم به لم يكن معه حظ في دنياكم؛ غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب؛ وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرى أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره؛ فبله ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم؛ فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعت مع السرور بالنعم خوفاً لها ولا تنقائها، ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا

(١) سورة إبراهيم: ٥.

(٢) سورة الأنفال: ٢٦.

شيء أسلب للنعمة من كُفْرانها، وإنَّ الشكر أمنٌ للغير، وغماءٌ للنعمة؛ واستيجابٌ للزيادة؛ هذا الله عليّ من أمركم ونهيكم واجب.

مَنْ نَدِبَ عَمْرَ وَرِثَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذَكَرَ بَعْضُ مَا رُئِيَ بِهِ

حَدَّثَنِي عَمْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُرْجَمِيُّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، أَنَّ بَاكِيَةَ بَكَتْ عَلَى عَمْرٍ، فَقَالَتْ: وَاحَرَّى عَلَى عَمْرٍ! حَرَّانْتَشَرَ، فَمَلَأَ الْبَشْرَ. وَقَالَتْ أُخْرَى: وَاحَرَّى عَلَى عَمْرٍ! حَرَّانْتَشَرَ، حَتَّى شَاعَ فِي الْبَشْرِ.

حَدَّثَنِي عَمْرٌ، قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ دَأْبٍ وَسَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكْتُهُ ابْنَةُ أَبِي حَثْمَةَ، فَقَالَتْ: وَأَعْمَرَاهُ! أَقَامَ الْأَوْدَ، وَأَبْرَأَ الْعَمَدَ، أَمَاتَ الْفَتَنَ، وَأَحْيَا السُّنَنَ؛ خَرَجَ نَفْيَ الثَّوْبِ، بَرِيئاً مِنَ الْعَيْبِ.

قَالَ: وَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: لَمَّا دَفِنَ عَمْرُ أَتَيْتُ عَلِيّاً وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ فِي عَمْرٍ شَيْئاً، فَخَرَجَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ وَلَحِيَّتَهُ وَقَدْ اغْتَسَلَ، وَهُوَ مَلْتَحِفٌ بِثَوْبٍ، لَا يَشْكُ أَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ الْخُطَابِ! لَقَدْ صَدَقَتْ ابْنَةُ أَبِي حَثْمَةَ؛ لَقَدْ ذَهَبَ بِخَيْرِهَا، وَنَجَا مِنْ شَرِّهَا، أَمَا وَاللَّهِ مَا قَالَتْ، وَلَكِنْ قَوْلْتُ.

وَقَالَتْ عَاتِكَةُ ابْنَةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْخُطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَجَّعَنِي فَيُرُورُ لَا دَرَّ دَرُّهُ	بَأْبَيْضَ تَالٍ لِلْكِتَابِ مُنِيبٍ
رَوْوَفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا	أَخِي ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُجِيبٍ
مَتَى مَا يَقُلْ لَا يُكْذِبِ الْقَوْلُ فِعْلُهُ	سَرِيعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبٍ

وَقَالَتْ أَيْضاً:

عَيْنٌ جُودِي بَعْبَرَةٌ وَنَحِيبٌ	لَا تَمَلِّي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ
فَجَعَتْنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعَدِّ	لِمَ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَالتَّلْبِيبِ
عِصْمَةُ النَّاسِ وَالْمُعِينُ عَلَى الدَّهْدِ	رِوَعِيثُ الْمُنتَابِ وَالْمَحْرُوبِ
قُلْ لِأَهْلِ السَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مَوْتُوا	قَدْ سَقَتُهُ الْمَنُونُ كَأْسَ شَعُوبِ

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ تَبْكِيهِ:

سَيَبْكِيكَ نِسَاءُ الْحَدِّ	يَّ يَبْكِينَ شَجِيَّاتِ
وَيُخْمِشْنَ وُجُوهًا كَالدِّ	نَانِيرِ نَقِيَّاتِ
وَيَلْبَسْنَ ثِيَابَ الْحَزِّ	نِ بَعْدَ الْقَصَبِيَّاتِ

شيء من سيره مما لم يمض ذكره

حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جُعْدَبَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: حَجَّ عَمْرٌ، فَلَمَّا كَانَ بِضُجْنَانَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْعَلِيُّ، الْمَعْطِيُّ مَا شَاءَ مِنْ

شاء! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مِدرعةِ صوف، وكان فظاً يُتبعني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أمسيت وليس بيني وبين الله أحد؛ ثم تمثل:

لا شَيْءَ فِيمَا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى إِلَهُ وَيُودِي الْمَالِ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمِزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادُ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَجْرِي الرِّيحُ لَهُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا بَيْنَهَا تَرْدُ
أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ
حَوْضاً هُنَالِكَ مَوْرُوداً بِلَا كَذِبٍ لَا بُدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

حدّثني عمر بن شبة، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا أبو الوليد، المكيّ، قال: بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تظّل؛ حتى وقف عليه، فقال:

إِنَّكَ مُسْتَرْعَى وَإِنَّا رَعِيَّةٌ وَإِنَّكَ مَدْعُوٌّ بِسِيْمَاكَ يَا عُمَرُ
إِذَا يَوْمٌ شَرُّ شَرِّهِ لِشِرَارِهِ فَقَدْ حَمَلْتِكَ الْيَوْمَ أَحْسَابَهَا مُضَرُّ

فقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله. وشكا الرجل ظلّ عمر الناقة وحمله على جمل أحمر وزوّده؛ وانصرف. ثم خرج عمر في عقب ذلك حاجاً، فيينا هو يسير إذ لحق راكباً يقول:

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَبْرُّ بِالْأَقْصَى وَلَا بِالْأَصْحَابِ
بَعْدَ النَّبِيِّ صَاحِبِ الْكِتَابِ

فنخسه عمر بمخصرة معه، وقال: فأين أبو بكر!

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، عن محمد بن صالح، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال: استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة، فقدم معه جمال، فقال: ما هذا يا عتبة؟ قال: مال خرجت به معي وتجرت فيه، قال: ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه! فصيّره في بيت المال. فلما قام عثمان قال لأبي سفيان: إن طلبت ما أخذ عمر من عتبة رددته عليه، فقال أبو سفيان: إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأيي الناس فيك، إياك أن تردّ على من كان قبلك، فبرّد عليك من بعدك.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان وأبي المجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان وأبي حارثة وأبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قالوا: إنّ هند ابنة عتبة قامت إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمّنها، فأقرضها، فخرجت فيها إلى بلاد كلب، فاشتريت وباعت؛ فبلغها أنّ أبا سفيان وعمرو بن أبي سفيان قد أتيا معاوية، فعدلت إليه من بلاد كلب، فأتت معاوية، وكان أبو سفيان قد طلقها، قال: ما أقدمك أي أمّه؟ قالت: النظر إليك أي بني؛ إنه عمر؛ وإنما يعمل الله، وقد أتاك أبوك فخشيت أن تُخرج إليه من كلّ شيء؛ وأهل ذلك هو؛ فلا يعلم الناس من أين أعطيت فيؤثّبونك ويؤثّبك عمر، فلا يستقبلها أبداً، فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار، وكساهما وحملها، فتعظّمها عمرو؛ فقال أبو سفيان: لا تعظّمها؛ فإنّ هذا عطاء لم تغب عنه هند، ومشورة قد حضرتها هند، ورجعوا جميعاً، فقال أبو سفيان لهند: أربحت؟ فقالت: الله أعلم، معي تجارة إلى

المدينة. فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركته لك، ولكنه مال المسلمين، وهذه مشورة لم يَغِب عنها أبو سفيان، فبعث إليه فحبسه حتى أوفته، وقال لأبي سفيان: بكم أجازك معاوية؟ فقال: بمائة دينار.

وحَدَّثني عمر، قال: حَدَّثنا عليّ، عن مسلمة بن محارب، عن خالد الحذاء! عن عبد الله بن أبي صعصعة عن الأحنف، قال: أتى عبد الله بن عمير عمر؛ وهو يفرض للناس - واستشهد أبوه يوم حُنين - فقال: يا أمير المؤمنين، افرض لي؛ فلم يلتفت إليه، فنخسه، فقال عمر: حسّ! وأقبل عليه فقال: مَنْ أنت؟ قال: عبد الله بن عمير، قال: يا يرفأ، أعطه ستمائة، فأعطاه خمسمائة، فلم يقبلها، وقال: أمر لي أمير المؤمنين بستمائة، ورجع إلى عمر فأخبره، فقال عمر: يا يرفأ، أعطه ستمائة وحُلّة، فأعطاه فلبس الحُلّة التي كساه عمر، ورمى بما كان عليه، فقال له عمر: يا بُنيّ، خذ ثيابك هذه فتكون لمهنة أهلك، وهذه لزيّنتك.

حَدَّثني عمر، قال: حَدَّثنا عليّ، قال حَدَّثنا أبو الوليد المكيّ، عن رجل من ولد طلحة، عن ابن عباس، قال: خرجت مع عمر في بعض أسفاره، فإنا لنسير ليلة، وقد دنوت منه، إذ ضرب مقدّم رحله بسوطه، وقال:

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ يُقْتَلُ أَحْمَدُ وَلَمَّا نَطَاعِن دُونَهُ وَنَنَاضِلْ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلْ

ثم قال، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، ثم سارَ فلم يتكلم قليلا، ثم قال:

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَكْسَى لُيْرِدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرَّدِ

ثم قال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، يابن عباس، ما منع عليّا من الخروج معنا؟ قلت: لا أدري، قال: يابن عباس، أبوك عمّ رسول الله ﷺ، وأنت ابن عمه، فما منع قومكم منكم؟ قلت: لا أدري، قال: لكنني أدري؛ يكرهون ولايتكم لهم! قلت: لم، ونحن لهم كالخير؟ قال: اللهم غفراً، يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة، فيكون بَجْحاً بَجْحاً، لعلكم تقولون: إن أبا بكر فعل ذلك، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره، ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم، أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله:

إِذَا ابْتَدَرْتَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً مِنْ الْمَجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يُسَوِّدُ

فأنشدته وطلع الفجر، فقال: اقرأ «الواقعة»، فقرأتها، ثم نزل فصلى، وقرأ بالواقعة.

حَدَّثني ابن حميد، قال: حَدَّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق. عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذكرون الشعر، فقال بعضهم: فلان أشعر؛ وقال بعضهم: بل فلان أشعر، قال: فأقبلت، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها، فقال عمر: مَنْ شاعر الشعراء يابن عباس؟ قال: فقلت: زهير بن أبي سلمى، فقال عمر: هَلَمْ مِنْ شعره ما نستدلّ به على ما ذكرت؟ فقلت: امتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان، فقال:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوْلِيهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
قَوْمٌ أَبَوْهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا

إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا، جُنُّ إِذَا فَزَعُوا مُرَزَّوْنَ بِهَا لَيْلٌ إِذَا حَشَدُوا
مَحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا

فقال عمر: أحسن؛ وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم! لفضل رسول الله ﷺ وقرابتهم منه، فقلت: وفقت يا أمير المؤمنين، ولم تزل موقفاً، فقال: يابن عباس، أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟ فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يُدريني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم ببحاً ببحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصاب ووفقت. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام، وثمط عني الغضب تكلمت. فقال: تكلم يابن عباس، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصاب ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا عَنْهُمْ﴾ (١). فقال عمر: هيهات والله يابن عباس! قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها، فتزيل منزلتك مني؛ فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً! فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين؛ ظلماً؛ فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، فإن إبليس حسد آدم؛ فنحن ولده المحسودون؛ فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاً ما يزول. فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين؛ لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإن قلب رسول الله ﷺ من قلوب بني هاشم. فقال عمر: إليك عني يابن عباس، فقلت: أفعل؛ فلما ذهبت لأقوم استحياني فقال: يابن عباس، مكانك، فوالله إني لراع لحقك، محب لما سرك؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم، فمن حفظه حفظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ. ثم قام فمضى.

حدثني أحمد بن عمرو، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السوق ومعه الدرة، فخففتي بها خفقة، فأصاب طرف ثوبي، فقال: أمط عن الطريق، فلما كان في العام المقبل لقيني فقال: يا سلمة، تريد الحج؟ فقلت: نعم، فأخذ بيدي، فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمائة درهم، وقال: استعن بها على حجك، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك؛ قلت: يا أمير المؤمنين ما ذكرت! قال: وأنا ما نسيتها.

حدثني عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سلمة بن كهيل، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أيها الرعية: إن لنا عليكم حقاً. النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير؛ إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورفقه. أيها الرعية؛ إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شراً من جهل إمام وخرقه. أيها الرعية، إنه من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرائه، يؤتي الله العافية من فوقه.

حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن معين، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا

عيسى بن يزيد بن دأب؛ عن عبد الرحمن بن أبي زيد، عن عمران بن سواده، قال: صليت الصبح مع عمر، فقرأ: «سبحان» وسورة معها، ثم انصرف وقمت معه، فقال: أحاجة؟ قلت: حاجة، قال: فالحق، قال: فلحقت؛ فلما دخل أذن لي؛ فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء، فقلت: نصيحة، فقال: مرحباً بالناصح غدواً وعشياً؛ قلت: عابت أمتك منك أربعاً، قال: فوضع رأس درته في ذقنه، ووضع أسفلها على فخذه، ثم قال: هات؛ قلت: ذكروا أنك حرمت العمرة في أشهر الحج، ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه؛ وهي حلال، قال: هي حلال، لو أنهم اعتَمَرُوا في أشهر الحج رأوها مجزيةً من حجهم؛ فكانت قائمة قُوبَ عامها، ففَرَعَ حجهم، وهو بهاء من بهاء الله، وقد أصبت. قلت: وذكروا أنك حرمت مُتعة النساء وقد كانت رُخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. قال: إن رسول الله ﷺ أحلها في زمان ضرورة، ثم رجع الناس إلى السعة، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها، فالآن مَنْ شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق، وقد أصبت. قال: قلت: وأعتقت الأمة أن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها، قال: ألحقت حرمة بحرمة، وما أردت إلا الخير، وأستغفر الله. قلت: وتشكروا منك نهر الرعية وعُنف السياق. قال: فشرع الدرة، ثم مسحها حتى أتى على آخرها، ثم قال: أنا زميل محمد - وكان زامله في غزوة قرقرة الكدر - فوالله إني لأرتع فأشبع، وأسقي فاروي، وأنز اللقوت، وأزجر العروض، وأذب قذري، وأسوق خطوي، وأضمم العنود، وألحق القطوف، وأكثر الزجر، وأقل الضرب، وأشهر العصا؛ وأدفع باليد؛ لولا ذلك لأغدرت. قال: فبلغ ذلك معاوية، فقال: كان والله عالماً برعيته.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن ابن عون، عن محمد، قال: بُنيت أن عثمان قال: إن عمر كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله، وإني أعطي أهلي وأقربائي ابتغاء وجه الله، ولن يلقي مثل عمر ثلاثة.

وحدثني علي بن سهل، قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن أبي سليمان، عن أبيه، قال: قدمت المدينة، فدخلت داراً من دورها، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه إزار قطري، يدهن إبل الصدقة بالقطران.

وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن حبيب، عن أبي وائل، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأخذت فضول أموال الأغنياء، فقسمتها على فقراء المهاجرين.

وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود بن يزيد، قال: كان الوفد إذا قدموا على عمر رضي الله عنه سألهم عن أميرهم، فيقولون خيراً، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم؛ فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها: لا، عزله.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو، قال: كان عمر بن الخطاب يقول: أربع من أمر الإسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء أبداً: القوة في مال الله وجمعه حتى إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله، وقعدنا آل عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء. والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف؛ ألا

يَحْبَسُوا وَلَا يَجْمُرُوا، وَأَنْ يُؤْفَرُ فِيءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى عِيَالَتِهِمْ، وَأَكُونُ أَنَا لِلْعِيَالِ حَتَّى يَقْدَمُوا. وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ أَعْطَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصِيبًا، وَقَاتَلُوا النَّاسَ كَافَّةً؛ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مَسِيئَتِهِمْ؛ وَأَنْ يُشَاوِرُوا فِي الْأَمْرِ. وَالْأَعْرَابُ الَّذِينَ هُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَةُ الْإِسْلَامِ؛ أَنْ تَتَّخِذَ مِنْهُمْ صَدَقَتَهُمْ عَلَى وَجْهِهَا، وَلَا يَتَّخِذَ مِنْهُمْ دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن جريج، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، قال: قال عمر: إني لأعلم أن الناس لا يعدلون بهذين الرجلين اللذين كان رسول الله ﷺ يكون نجياً بينهما وبين جبريل يتبلغ عنه ويملّ عليهما.

قصة الشورى

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصاري، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب وأبي مخنف، عن يوسف بن يزيد، عن عباس بن سهل ومبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر ويونس بن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودي، أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين؛ لو استخلفت! قال: مَنْ أَسْتَخْلَفُ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته؛ فإن سألتني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة»، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألتني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: «إن سالماً شديد الحب لله». فقال له رجل: أدلك عليه؟ عبد الله بن عمر، فقال: قاتلك الله؛ والله ما أردت الله بهذا، ويحك! كيف أَسْتَخْلَفُ رجلاً عجز عن طلاق امرأته! لا أرب لنا في أموركم، ما حدثها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي؛ إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فشرعنا آل عمر؛ بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد؛ ويسأل عن امرأمة محمد؛ أما لقد جهدت نفسي، وحرمت أهلي؛ وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد؛ وأنظر فإن استخلفت فقد استخلف مَنْ هو خير مني، وإن أترك فقد ترك مَنْ هو خير مني، ولن يضيع الله دينه. فخرجوا ثم راحوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ لو عهدت عهداً! فقال: قد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أنظر فأولي رجلاً أمركم؛ هو أحراكم أن يملككم على الحق - وأشار إلى علي - ورهقني غشية، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطع كل غضة ويأنعه فيضمه إليه ويصيره تحته؛ فعلمت أن الله غالب أمره، ومتوفى عمر؛ فما أريد أن أحملها حياً وميتاً؛ عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ: «إنهم من أهل الجنة»؛ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم؛ ولست مدخله؛ ولكن الستة: علي وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام حوارتي رسول الله ﷺ وابن عمته، وطلحة الخير بن عبيد الله؛ فليختاروا منهم رجلاً؛ فإذا ولوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه، إن ائتمن أحداً منكم فليؤد إليه أمانته وخرجوا، فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم، قال: أكره الخلاف، قال: إذا ترى ما تكره! فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام، فقال: إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم؛ ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم؛ وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض؛ إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم؛ ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم، فيختلف الناس، فانفضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها، فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم. ثم قال: لا تدخلوا حجرة عائشة؛ ولكن كونوا قريباً، ووضع رأسه وقد نزفه الدم.

فدخلوا ففناجوا، ثم ارتفعت أصواتهم، فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله! إن أمير المؤمنين لم يمُت بعد؛ فأسمعه فانتبه فقال: ألا أعرضوا عن هذا أجمعون؛ فإذا مِت فشاؤروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صهييب، ولا يأتين اليوم الرابع إلّا وعليكم أمير منكم؛ ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً، ولا شيء له من الأمر؛ وطلحة شريككم في الأمر؛ فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضره أمركم؛ وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم، ومن لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به؛ ولا يخالف إن شاء الله. فقال عمر: أرجو ألا يخالف إن شاء الله؛ وما أظن أن يلي إلّا أحد هذين الرجلين: عليّ أو عثمان؛ فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي عليّ ففيه دُعابة، وأحر به أن يحملهم على طريق الحق؛ وإن تولوا سعداً فأهلها هو؛ وإلّا فليستعن به الوالي؛ فإنني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف؛ ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف! مسدد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار؛ فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في حُفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم، وقال لصهييب: صل بالناس ثلاثة أيام، وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم؛ وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر؛ وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه - أو اضرب رأسه بالسيف - وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبد الله بن عمر؛ فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم؛ فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

فخرجوا، فقال عليّ لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً. وتلقاه العباس، فقال: عدلت عَنّا! فقال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف؛ فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن؛ وعبد الرحمن صهر عثمان؛ لا يختلفون، فيوليها عبد الرحمن عثمان، أو يوليها عثمان عبد الرحمن؛ فلو كان الآخران معي لم ينفعاني؛ بله إني لا أرجو إلّا أحدهما. فقال له العباس: لم أرفعك في شيء إلّا رجعت إليّ مستأخراً بما أكره؛ أشرت عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أن تسأله فيمن هذا الأمر؛ فأبيت، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت، وأشرت عليك حين سَمَاكَ عمر في الشورى ألا تدخل معهم فأبيت؛ احفظ عني واحدة؛ كلما عرض عليك القوم، فقل: لا، إلّا أن يولوك؛ واحذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا، وإيم الله لا يناله إلّا بشر لا ينفع معه خير. فقال عليّ: أما لئن بقي عثمان لأذكرنه ما أتى ولئن مات ليتداولنها بينهم، ولئن فعلوا ليجدني حيث يكرهون؛ ثم تمثل:

حَلَقْتُ بِرَبِّ الرَاقِصَاتِ عَشِيَّةً غَدَوْتُ خِفَافاً فَابْتَدَرْتُ الْمُحَصَّبَا
لِيَخْتَلِيَنَّ رَهْطُ ابْنِ يَعْمَرَ مَارِئاً نَجِيعاً بَنُو الشُّدَاخِ وَرِداً مُصَلَّبَا

والتفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لم تُرغ أبا الحسن. فلما مات عمر وأخرجت جنازته، تصدّى عليّ وعثمان: أيهما يصلي عليه، فقال عبد الرحمن: كلاهما يحبُّ الإمرة، لستما من هذا في شيء؛

هذا إلى صهيب، استخلفه عمر، يصلي بالناس ثلاثاً حتى يجتمع الناس على إمام. فصلى عليه صهيب، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة - ويقال في بيت المال، ويقال في حجرة عائشة بإذنها - وهم خمسة، معهم ابن عمر، وطلحة غائب؛ وأمر أبو طلحة أن يحجبهم، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب، فحصبهما سعد وأقامهما، وقال: تريدان أن تقولاً: حضرنا وكنا في أهل الشورى! فتنافس القوم في الأمر؛ وكثر بينهم الكلام؛ فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها! لا والذي ذهب بنفس عمر؛ لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمرتم، ثم أجلس في بيتي؛ فأنظر ما تصنعون! فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد، فقال: فأنا أنخلع منها؛ فقال عثمان: أنا أول من رضي، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أمين في الأرض أمين في السماء»، فقال القوم: قد رضينا - وعليّ ساكت - فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني موثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخصّ ذارحهم، ولا تألوا الأمة! فقال: أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغير، وأن ترضوا من اخترت لكم، عليّ ميثاق الله ألاّ أخصّ ذارحهم لرحمه، ولا آلو المسلمين. فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، فقال لعليّ، إنك تقول: إني أحقّ من حضر بالأمر لقربتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد؛ ولكن أرايت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحقّ بالأمر؟ قال: عثمان. وخلا بعثمان؛ فقال: تقول: شيخ من بني عبد مناف؛ وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه، لي سابقة وفصل - لم تبعد - فلن يصرف هذا الأمر عني، ولكن لو لم تحضر فأني هؤلاء الرهط تراه أحقّ به؟ قال: عليّ. ثم خلا بالزبير، فكلّمه بمثل ما كلّم به علياً وعثمان؛ فقال: عثمان ثم خلا بسعد، فكلّمه، فقال: عثمان. فلقي عليّ سعداً، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، أسألك برحمة ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرحمة عمي حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً عليّ؛ فإني أدلي بما لا يُدلي به عثمان. ودار عبد الرحمن لياليه يلقي أصحاب رسول الله ﷺ ومن وافق المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس، يشاورهم، ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان؛ حتى إذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها الأجل، أتى منزل المسور بن مخرمة بعد ابهيرار من الليل؛ فأيقظه فقال: ألا أراك نائماً ولم أذق في هذه الليلة كثير غمض! انطلق فادعُ الزبير وسعداً.

فدعاهما فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد في الصفة التي تلي دار مروان، فقال له: خلّ ابني عبد مناف وهذا الأمر، قال: نصيب لي، وقال لسعد: أنا وأنت كلاله، فاجعل نصيبك لي فأختار، قال: إن اخترت نفسك فنعم، وإن اخترت عثمان فعليّ أحب إليّ؛ أيها الرجل بايع لنفسك وأرخنا، وارفع رؤوسنا، قال: يا أبا إسحاق؛ إني قد خلعت نفسي منها علي أن أختار، ولو لم أفعل وجعل الخيار إليّ لم أردّها، إني أريت كروضة خضراء كثيرة العُشب، فدخل فحلّ فلم أرفحلاً قطّ أكرم منه، فمرّ كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة حتى قطعها، لم يعرج. ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج من الروضة، ثم دخل فحلّ عبقرئ يجر خطامه، يلتفت يمناً وشمالاً ويمضي قصد الأولين حتى خرج، ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة؛ ولا والله لا أكون الرابع؛ ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه. قال سعد: فإني أخاف أن يكون الضعف قد أدركك، فامض لرأيك؛ فقد عرفت عهد عمر.

وانصرف الزبير وسعد؛ وأرسل المسور بن مخرمة إلى عليّ، فواجه طويلاً؛ وهو لا يشك أنه صاحب الأمر، ثم نهض؛ وأرسل المسور إلى عثمان. فكان في نجيتهما؛ حتى فرّق بينهما أذان الصبح. فقال عمرو بن ميمون: قال لي عبد الله بن عمر: يا عمرو، مَنْ أخبرك أنه يعلم ما كَلَّمَ به عبد الرحمن بن عوف عليّاً وعثمان فقد قال بغير علم؛ فوقع قضاء ربك على عثمان. فلما صلوا الصبح جمع الرهط، وبعث إلى مَنْ حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى التجّ المسجد بأهله، فقال: أيّها الناس، إنّ الناس قد أحبّوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا مَنْ أميرهم. فقال سعيد بن زيد: إنّنا نراك لها أهلاً، فقال: أشيروا عليّ بغير هذا، فقال عمار: إن أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع عليّاً. فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار؛ إن بايعت عليّاً قلنا: سمعنا وأطعنا، قال ابن أبي سرح: إن أردت ألاّ يختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق؛ إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتّم عمار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين!

فتكلم بنو هاشم وبنو أميّة، فقال عمار: أيّها الناس؛ إنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بنبية، وأعزّنا بدينه، فأنيّ تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم! فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا بن سمية؛ وما أنت وتأمير قريش لأنفسها! فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن، افرغ قبل أن يفتتن الناس، فقال عبد الرحمن: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً. ودعا عليّاً، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفيتين من بعده؟ قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي؛ ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ، قال: نعم، فبايعه، فقال عليّ: حبوته حَبَوْدهر؛ ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون؛ والله ما وليت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك؛ والله كلّ يوم هو في شأن؛ فقال عبد الرحمن: يا عليّ لا تجعل على نفسك سبيلاً؛ فإني قد نظرت وشاورتُ الناس؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان. فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله. فقال المقداد: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. فقال: يا مقداد، والله لقد اجتهدتُ للمسلمين؛ قال: إن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيتُ مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم. إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل؛ أما والله لو أجد عليه أعواناً! فقال عبد الرحمن: يا مقداد؛ اتق الله؛ فإني خائف عليك الفتنة، فقال رجل للمقداد: رحمك الله! مَنْ أهل هذا البيت ومَنْ هذا الرجل؟ قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل عليّ بن أبي طالب. فقال عليّ: إنّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول: إن وُلّي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم. وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان، فقبل له: بايع عثمان، فقال: أكّل قريش راضٍ به؟ قال: نعم، فأقّ عثمان فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك، إن أبييت رددتها، قال: أتردّها؟ قال: نعم؛ قال: أكّل الناس بايعوك؟ قال: نعم، قال: قد رضيت؛ لا أغرب عما قد أجمعوا عليه، وبايعه.

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد، قد أصبت إذ بايعت عثمان! وقال لعثمان: لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا، فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور؛ لو بايعت غيره لبايعته، ولقلت هذه المقالة.

وقال الفرزدق؛

صَلَّى صُحَيْبٌ ثَلَاثًا ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى ابْنِ عَفَّانَ مُلْكًا غَيْرَ مَقْصُورٍ
خِلَافَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ لِصَاحِبِهِ كَانُوا أَخِلَاءَ مَهْدِيِّ وَمَأْمُورٍ

وكان المِسُور بن مخزُمة يقول: ما رأيت رجلاً بذَّ قومًا فيما دخلوا فيه بأشدَّ مما بذَّهم عبد الرحمن بن عوف. قال أبو جعفر: وأما المِسُور بن مخزُمة، فإنَّ الرواية عندنا عنه ما حدَّثني سلَم بن جُنادة أبو السائب، قال: حدَّثنا سُليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدَّثنا أبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المِسُور بن مخزُمة - وكانت أمه عاتكة ابنة عوف - في الخبر الذي قد مضى ذكرى أوله في مقتل عمر بن الخطَّاب؛ قال: ونزل في قبره - يعني في قبر عمر - الخمسة، يعني أهل الشورى. قال: ثم خرجوا يريدون بيوتهم؛ فناداهم عبد الرحمن: إلى أين؟ هلمَّوا! فتبعوه، وخرج حتى دخل بيت فاطمة ابنة قيس الفهرية، أخت الضحَّاك بن قيس الفهري - قال بعض أهل العلم: بل كانت زوجته؛ وكانت نجوداً، يريد ذات رأي - قال: فبدأ عبد الرحمن بالكلام، فقال: يا هؤلاء؛ إنَّ عندي رأياً؛ وإنَّ لكم نظراً؛ فاسمعوا تعلِّموا، وأجيبوا تفقهوا؛ فإنَّ حابياً خير من زاهق؛ وإنَّ جُرعة من شَرُوب بارد أنفع من عذب مُوب؛ أنتم أئمة يهتدى بكم؛ وعلماء يصدر إليكم؛ فلا تفلُّوا المذَى بالاختلاف بينكم، ولا تُغمِدوا السيوف عن أعدائكم؛ فتوتروا ثأركم، وتؤلُّوا أعمالكم؛ لكلِّ أجل كتاب؛ ولكل بيت إمام بأمره يقومون، وبنييه يرعون. قلِّدوا أمركم واحداً منكم تمشوا الهوينى وتلحقوا الطلب؛ لولا فتنة عمياء، وضلالة حياء؛ يقول أهلها ما يرون، وتحلِّهم الحبُّ كرى. ما عدت نياتكم معرفتكم، ولا أعمالكم نياتكم. احذروا نصيحة الهوى، ولسان الفُرقة؛ فإنَّ الحيلة في المنطق أبلغ من السيوف في الكلِّم؛ علِّقوا أمركم رَحْب الذراع فيما حلَّ، مأمون الغيب فيما نزل، رضا منكم وكلِّكم رضا، ومقترعاً منكم وكلِّكم منتهى، لا تطيعوا مفسداً ينتصح؛ ولا تخالفوا مرشداً ينتصر؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم عثمان بن عفان، فقال: الحمد لله الذي اتَّخذ محمداً نبياً، وبعثه رسلاً، صدقه وعده، ووهب له نصره على كلِّ من بُعد نسباً، أو قرب رَجماً؛ ﷺ؛ جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين؛ فهو لنا نور؛ ونحن بأمره نقوم، عند تفرُّق الأهواء؛ ومجادلة الأعداء؛ جعلنا الله بفضلِه أئمة وبطاعته أمراء، لا يخرج أمرنا منَّا، ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سفَه الحق؛ ونكل عن القصد، وأحربها يابن عوف أن تترك، وأحذر بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك؛ فأنا أوَّل مجيب لك، وداعٍ إليك، وكفيل بما أقول زعيم؛ وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم الزبير بن العوام بعده، فقال: أمَّا بعد؛ فإنَّ داعي الله لا يجهل، ومجيبه لا يخذل، عند تفرُّق الأهواء ولي الأعناق؛ ولن يقصِّر عما قلت إلا غويٌّ، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقيٌّ، لولا حدود الله فرضت؛ وفرائض الله حدَّت؛ تراخ على أهلها؛ وتحيا لا تموت؛ لكان الموت من الإمارة نجاة، والفرار من الولاية عصمة؛ ولكن الله علينا إجابة الدعوة، وإظهار السنَّة؛ لئلا نموت ميتة عميَّة؛ ولا نَعْمَى عمى جاهليَّة؛ فأنا مجيبك إلى ما دعوت، ومعينك على ما أمرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص، فقال: الحمد لله بديئاً كان، وآخراً يعود، أحمده لما نَجَّاني من الضلالة، وبصَّرني من الغواية، فبهدي الله فاز من نجا، وبرحمته أفلح من زكا، وبمحمد بن عبد الله ﷺ أنارت الطرق،

واستقامت السبل، وظهر كل حق، ومات كل باطل؛ إياكم أيها النفر وقول الزور، وأمنية أهل الغرور، فقد سلبت الأمانى قوماً قبلكم ورثوا ما ورثتم، ونالوا ما نلتهم؛ فاتخذهم الله عدوًّا، ولعنهم لعناً كبيراً. قال الله عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾. إني نكيت قرني فأخذت سهمي الفالاح، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسي؛ فأنا به كفيل، وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا بن عوف؛ بجهد النفس، وقصد النصح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، وأستغفر الله لي ولكم؛ وأعوذ بالله من مخالفتكم.

ثم تكلم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه؛ فقال: الحمد لله الذي بعث محمداً من نبياً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة؛ وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نعطه نأخذه؛ وإن منعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى؛ لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لأنفذنا عهده؛ ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت. لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلا بالله اسمعوا كلامي، وعوا منطقي؛ عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تنتضي فيه السيوف، وتُحان فيه العهود؛ حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة، ثم أنشأ يقول:

فإن تك جاسمٌ هلكتُ فإني بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيعٌ في الهواجر كل عيٍّ بصيرٌ بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن: أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر ويوليه غيره؟ قال: فأمسكوا عنه، قال: فإني أخرج نفسي وابن عمي، فقلده القوم الأمر، وأحلفهم عند المنبر؛ فحلفوا لبايعن من بايع، وإن بايع بإحدى يديه الأخرى. فأقام ثلاثاً في داره التي عند المسجد التي يقال لها اليوم رجة القضاء - وبذلك سميت رجة القضاء - فأقام ثلاثاً يصلي بالناس صهيح.

قال: وبعث عبد الرحمن إلى علي، فقال له: إن لم أبايعك فأشر علي؛ فقال: عثمان، ثم بعث إلى عثمان، فقال: إن لم أبايعك، فمن تشير علي؟ قال: علي، ثم قال لهما: انصرفا. فدعا الزبير، فقال: إن لم أبايعك؛ فمن تشير علي، قال: عثمان، ثم دعا سعداً، فقال: من تشير علي؟ فأما أنا وأنت فلا نريدها، فمن تشير علي؟ قال: عثمان. فلما كانت الليلة الثالثة، قال: يا مسور، قلت: لبيك، قال: إنك لنائم؛ والله ما اكتحلت بغماض منذ ثلاث. اذهب فادع لي علياً وعثمان؛ قال: قلت: يا خال، بأيها أبدأ؟ قال: بأيهما شئت، قال: فخرجت فأتيت علياً - وكان هواي فيه - فقلت: أجب خالي، فقال: بعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم؛ قال: إلى من؟ قلت: إلى عثمان، قال: فأينا أملك أن تبدأ به؟ قلت: قد سألته فقال: بأيها شئت، فبدأت بك، وكان هواي فيك. قال: فخرج معي حتى أتينا المقاعد، فجلس عليها علي، ودخلت على عثمان فوجدته يوتر مع الفجر، فقلت: أجب خالي، فقال: بعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم، إلى علي، قال: بأيها أملك أن تبدأ؟ قلت: سألته فقال: بأيها شئت؛ وهذا علي على المقاعد، فخرج معي حتى دخلنا جميعاً على خالي وهو في القبلة قائم يصلي، فانصرف لماً رأنا، ثم التفت إلى علي وعثمان، فقال: إني قد سألت عنكما وعن

غيركها، فلم أجد الناس يعدلون بكما؛ هل أنت يا عليّ مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. فالتفت إلى عثمان، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم، فأشار بيده إلى كتفيه، وقال: إذا شئتما! فنهضنا حتى دخلنا المسجد، وصاح صائح: الصلاة جامعة - قال عثمان: فتأخرت والله حياء لما رأيت من إسرعه إلى عليّ؛ فكننت في آخر المسجد - قال: وخرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عممه بها رسول الله ﷺ، متقلداً سيفه؛ حتى ركب المنبر؛ فوقف وقوفاً طويلاً، ثم دعا بما لم يسمعه الناس.

ثم تكلم، فقال: أيها الناس؛ إني قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم؛ فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما عليّ وإما عثمان؛ فقم إليّ يا عليّ، فقام إليه عليّ، فوق تحت المنبر؛ فأخذ عبد الرحمن بيده، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا؛ ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده ثم نادى: قم إليّ يا عثمان؛ فأخذ بيده - وهو في موقف عليّ الذي كان فيه - فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم؛ قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان، ثم قال: اللهم اسمع واشهد؛ اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان. قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه عند المنبر، فقع عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر، وأقعده عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه، وتلكأ عليّ، فقال عبد الرحمن: ﴿فَمَنْ نَكُتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)؛ فرجع عليّ يشق الناس؛ حتى بايع وهو يقول: خدعة وأيما خدعة!

قال عبد العزيز: وإنما سبب قول عليّ: «خدعة»؛ أن عمرو بن العاص كان قد لقي عليّاً في ليالي الشورى، فقال: إنّ عبد الرحمن رجل مجتهد، وإنّه متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك؛ ولكن الجهد والطاقة؛ فإنه أرغب له فيك. قال: ثم لقي عثمان، فقال: إنّ عبد الرحمن رجل مجتهد؛ وليس والله يبايعك إلا بالعزيمة، فأقبل؛ فلذلك قال عليّ: «خدعة».

قال: ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس، فجلس والناس معه، فقام المغيرة بن شعبة خطيباً، فقال: يا أبا محمد، الحمد لله الذي وفّقك؛ والله ما كان لها غير عثمان - وعليّ جالس - فقال عبد الرحمن: يا بن الدّباغ؛ ما أنت وذاك! والله ما كنت أبايح أحداً إلا قلت فيه هذه المقالة!

قال: ثم جلس عثمان في جانب المسجد؛ ودعا بعبيد الله بن عمر - وكان محبوساً في دار سعد بن أبي وقاص، وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جُفينة والهُرْمران وابنة أبي لؤلؤة، وكان يقول: والله لأقتلن رجلاً ممن شرك في دم أبي - يعرض بالمهاجرين والأنصار - فقام إليه سعد، فنزع السيف من يده؛ وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه؛ فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار: أشيروا عليّ في هذا الذي فتّق في الإسلام ما فتّق، فقال عليّ: أرى أن تقتله، فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم! فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين؛ إنّ الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدّث كان ولك على المسلمين سلطان؛ إنما كان هذا الحدّث ولا سلطان لك؛ قال عثمان: أنا وليهم، وقد

جعلتها ديةً ، واحتملتها في مالي .

قال : وكان رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبید البياضي إذا رأى عبید الله بن عمر ، قال :

ألا يا عبید الله مالك مهربٌ
أصببتَ دماً والله في غير حِلِّه
على غير شيءٍ غير أن قال قائلٌ
فقال سفيهٌ - والحوادث جَمَّة
وكان سلاحُ العبدِ في جوف بيتِه
يُقلِّبها والأمرُ بالأمرِ يُعتَبَر

قال : فشكا عبید الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبید وشعره ، فدعا عثمان زياد بن لبید ، فنهاه . قال :

فأنشأ زياد يقول في عثمان :

أبا عمرو عبید الله رَهْنٌ
فإنك إن غفرتَ الجرمَ عنه
أتَعَفُّو إذ عَفَوْتَ بغير حقٍّ
فما لك بالذي تحكى يدان !

فدعا عثمان زياد بن لبید فنهاه وشدَّ به .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب ، أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة طُعن عمر : مررت على أبي لؤلؤة عشيّ أمس ؛ ومعه جُفينة والهرمزان ، وهم نجى ، فلما رهقْتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصأه في وسطه ؛ فانظروا بأيّ شيء قتل ؛ وقد تخلّل أهل المسجد ، وخرج في طلبه رجل من بني تميم ، فرجع إليهم التميمي ، وقد كان ألطأ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر ، حتى أخذه فقتله ؛ وجاء بالخنجر الذي وصفه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فسمع بذلك عبید الله بن عمر ؛ فأمسك حتى مات عمر ؛ ثم اشتمل على السيف ؛ فأقى الهرمزان فقتله ؛ فلما عضه السيف قال : « لا إله إلا الله » . ثم مضى حتى أتى جُفينة - وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظئراً لسعد بن مالك ، أقدمه إلى المدينة للصالح الذي بينه وبينهم ، وليعلم بالمدينة الكتابة - فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه . وبلغ ذلك صهيياً ؛ فبعث إليه عمرو بن العاص ، فلم يزل به وعنه ، ويقول : السيف بأبي وأمي ! حتى ناوله إياه ، وثاوره سعد فأخذ بشعره ، وجاؤوا إلى صهييب .

عمّال عمر رضي الله عنه على الأمصار

وكان عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه - في السنة التي قُتل فيها ؛ وهي سنة ثلاث وعشرين - على مكّة نافع بن عبد الحارث الخزاعي ، وعلى الطائف سُفيان بن عبد الله الثقفي ، وعلى صنعاء يعلى بن مُنية ؛ حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ؛ وعلى البصرة أبو موسى الأشعري ، وعلى مصر عمرو بن العاص ؛ وعلى حصّ عُمر بن سعد ، وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان ؛ وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص الثقفي .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث وعشرين - توفي، فيما زعم الواقدي - قتادة بن النعمان الطُّفَرِيُّ، وصلى عليه عمر بن الخطاب.

وفيهما غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية؛ ومعه من أصحاب رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن زيد وأبو ذرٍّ وشَدَّاد بن أوس. وفيما فتح معاوية عسقلان على صلح.

وقيل: كان على قضاء الكوفة في السنة التي توفي فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه شريح، وعلى البصرة كعب بن سور؛ وأما مصعب بن عبد الله فإنه ذكر أن مالك بن أنس روى عن ابن شهاب؛ أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكن لهما قاض.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها بويع لعثمان بن عفان بالخلافة، واختلف في الوقت الذي بويع له فيه؛ فقال بعضهم ما حدثني به الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن عثمان بن محمد الأحنسي. قال: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن يعقوب بن زيد عن أبيه، قال: بويع عثمان بن عفان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين.

وقال آخرون: ما حدثني به أحمد بن ثابت الرازي، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: بويع لعثمان عام الرعاف سنة أربع وعشرين، قيل: إنما قيل لهذه السنة عام الرعاف؛ لأنه كثير الرعاف فيها في الناس.

وقال آخرون - فيما كتب به إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن خلّيد بن ذفرة ومجالد؛ قالوا: استخلف عثمان ثلاث مضيئ من المحرم سنة أربع وعشرين، فخرج فصلّى بالناس العصر، وزاد: ووقد فاستنّ به.

وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمر، عن الشعبي، قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان ثلاث مضيئ من المحرم، وقد دخل وقت العصر، وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلّى بالناس، وزاد الناس مائة، ووقد أهل الأمصار؛ وهو أول من صنع ذلك.

وقال آخرون - فيما ذكر ابن سعد، عن الواقدي، عن ابن جريج عن ابن مملكة، قال: بويع لعثمان لعشر مضيئ من المحرم، بعد مقتل عمر بثلاث ليال.

خطبة عثمان

رضي الله عنه وقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن عثمان، عن عمه، قال: لما بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قلعة، وفي بقيّة أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه؛ فلقد أتيتكم، صبحتكم أو مسيتكم؛ ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور.

اعتبروا بمن مضى، ثم جدّوا ولا تغفلوا، فإنه لا يُغفل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمرّوها، ومُتّعوا بها طويلاً؛ ألم تلفظهم! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإن الله قد ضرب لها مثلاً؛ وللذي هو خير، فقال عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ - إلى قوله - ﴿أَمْلاً﴾^(١)، وأقبل الناس يبايعونه.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي منصور، قال: سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمرّ فيروز بأبي، ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟ فقال: آنسُ به؛ فراه رجل، فلما أصيب عمر، قال: رأيتُ هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز. فأقبل عبید الله فقتله؛ فلما ولي عثمان دعائي فأمكنني منه، ثم قال: يا بنيّ، هذا قاتل أبيك؛ وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله؛ فخرجت به وما في الأرض أحد إلّا معي؛ إلّا أنهم يطلبون إليّ فيه. فقلت لهم: ألي قتلته؟ قالوا: نعم - وسبّوا عبید الله - فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبّوه فتركته الله ولهم. فاحتملوني؛ فوالله ما بلغت المنزل إلّا على رؤوس الرّجال وأكفهم.

ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولّاها سعد بن أبي وقاص - فيما كتب به إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، قال: كان عمر قال: أوصي الخليفة من بعدي أن يستعمل سعد بن أبي وقاص، فإنّي لم أعزله عن سوء، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك. وكان أوّل عامل بعث به عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة، وعزل المغيرة بن شعبة، والمغيرة يومئذ بالمدينة، فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى، وأقرّ أبا موسى سنوات.

وأما الواقديّ فإنه ذكر أنّ أسامة بن زيد بن أسلم حدّثه، عن أبيه؛ أن عمر أوصى أن يُقرّ عمّاله سنة؛ فلما وليّ عثمان أقرّ المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة، ثم عزله، واستعمل سعد بن أبي وقاص ثم عزله، واستعمل الوليد بن عُقبه. فإن كان صحيحاً ما رواه الواقديّ من ذلك، فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة خمس وعشرين.

كتب عثمان رضي الله عنه إلى عمّاله وولاته والعامة

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالوا: لما وليّ عثمان بعث عبدالله بن عامر إلى كابل - وهي عمالة سجستان - فبلغ كابل حتى استفرغها، فكانت عمالة سجستان أعظم من خراسان؛ حتى مات معاوية، وامتنع أهل كابل.

قالوا: وكان أوّل كتاب كتبه عثمان إلى عمّاله: أما بعد؛ فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدّم إليهم أن يكونوا جُباة؛ وإنّ صدر هذه الأمة خلّفوا رعاة، لم يُخلّفوا جُباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جُباة ولا يكونوا رعاة؛ فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإنّ أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تُثّنوا بالذمة، فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي

عليهم . ثم العدو الذي تنتابون ؛ فاستفتحوا عليهم بالوفاء .

قالوا : وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد في الفروج : أما بعد ، فإنكم حمة المسلمين وذادتهم ؛ وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان عن ملاء منا ، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ؛ فانظروا كيف تكونون ، فإنني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه ، والقيام عليه .

قالوا : وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج : أما بعد ، فإن الله خلق الخلق بالحق ؛ فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق به . والأمانة الأمانة ؛ قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يسلبها ، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء ؛ لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم .

قالوا : وكان كتابه إلى العامة : أما بعد ، فإنكم إنما بلغت ما بلغت بالافتداء والاتباع ؛ فلا تلتفتكم الدنيا عن أمركم ؛ فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ؛ فإن رسول الله ﷺ قال : « الكفر في العجمة » ؛ فإذا استعجم عليهم أمر تكلّفوا وابتدعوا .

وكتب إليّ السريّ ! عن شعيب ، عن سيف ، عن عاصم بن سليمان ، عن عامر الشعبي ، قال : أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة عثمان ؛ فجرت . وكان عمر يجعل لكل نفس منقوسة من أهل الفياء في رمضان درهماً في كلّ يوم ، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ درهمين درهمين ؛ فقبل له : لو صنعت لهم طعاماً فجمعتهم عليه ! فقال : أشيع الناس في بيوتهم . فأقر عثمان الذي كان صنع عمر ؛ وزاد فوضع طعام رمضان ، فقال : للمتعب الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعتريّ بالناس في رمضان .

غزوة أذربيجان وأرمينية

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية ، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر في رواية أبي مخنف ؛ وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين .

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم في هذه الغزوة :

ذكر هشام بن محمد ، أن أبا مخنف حدّثه عن فروة بن لقيط الأزديّ ، ثم الغامديّ ؛ أن مغازي أهل الكوفة كانت الرّيّ وأذربيجان ، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ؛ ستة آلاف بأذربيجان وأربعة آلاف بالرّيّ ، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل ؛ وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كلّ سنة ؛ فكان الرجل يصيبه في كلّ أربع سنين غزوة ؛ فغزا الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في سلطان عثمان أذربيجان وأرمينية ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهليّ فبعثه أمامه مقدّمة له ، وخرج الوليد في جماعة الناس ؛ وهو يريد أن يمعن في أرض أرمينية ، فمضى في الناس حتى دخل أذربيجان ، فبعث عبدالله بن شبيب بن عوف الأحمسيّ في أربعة آلاف ، فأغار على أهل موقان والبيّر والطّيلسان ؛ فأصاب من أموالهم وغنم ، وتحوّر القوم منه ، وسبى منهم سبياً يسيراً ، فأقبل إلى الوليد بن عقبة .

ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم ؛ وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة . ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر ، فلما ولي

عثمان وولي الوليد بن عقبة الكوفة، سار حتى وطئهم بالجيش؛ فلما رأوا ذلك انقادوا له، وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح، ففعل؛ فقبض منهم المال، وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات؛ فلما رجع إليه عبدالله بن شبيب الأحسي من غارته تلك - وقد سلم وغنم - بعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أرمينية في اثني عشر ألفاً، سنة أربع وعشرين. فسار في أرض أرمينية فقتل وسبى وغنم. ثم إنه انصرف وقد ملأ يديه حتى الوليد. فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته.

إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة

وفي هذه السنة - في رواية أبي مخنف - جاشت الروم، حتى استمد من بالشأم من جيوش المسلمين من عثمان مدداً.

ذكر الخبر عن ذلك:

قال هشام: حدثني أبو مخنف، قال: حدثني فروة بن لقيط الأزدي، قال: لما أصاب الوليد حاجته من أرمينية في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين من تاريخه، ودخل الموصل فنزل الحديث، أتاه كتاب من عثمان رضي الله عنه:

أما بعد؛ فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة؛ فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي؛ والسلام.

فقام الوليد في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس؛ فإن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً؛ ردّ عليهم بلادهم التي كفرت؛ وفتح بلاداً لم تكن أفتحت، وردّهم سالين غانمين مأجورين، فالحمد لله رب العالمين. وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف، ثمّدون إخوانكم من أهل الشأم، فإنهم قد جاشت عليهم الروم؛ وفي ذلك الأجر العظيم، والفضل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي. قال: فانتدب الناس، فلم يمض ثالثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشأم إلى أرض الروم؛ وعلى جند أهل الشأم حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة [الباهلي]؛ فشئوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاؤوا من سبي، وملؤوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة.

وزعم الواقدي أن الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، وقال: كان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزّي حبيب بن مسلمة في أهل الشأم أرمينية، فوجهه إليها، فبلغ حبيباً أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والترك، فكتب بذلك حبيب إلى معاوية، فكتب معاوية به إلى عثمان، فكتب عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة، فأمدّه بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف، وكان حبيب صاحب كيد، فأجمع على أن يبيت الموريان، فسمعت امرأته أم عبدالله بنت يزيد الكلبيّة يذكر ذلك، فقالت له: فأين موعدك؟ قال: سرادق الموريان أو الجنة، ثم بيّتهم، فقتل من أشرف له، وأتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت؛ وكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق،

ومات عنها حبيب، فخلفَ عليها الضَّحَّاك بن قيس الفهريّ، فهي أمّ ولده.

واختلفَ فيمن حجّ بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان؛ كذلك قال أبو معشر والواقديّ.

وقال آخرون: بل حجّ في هذه السنة عثمان بن عفان.

وأما الاختلاف في الفتوح التي نسبها بعض الناس إلى أنها كانت في عهد عمر، وبعضهم إلى أنها كانت في إمارة عثمان، فقد ذكرتُ قبلُ فيما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تاريخ كلّ فتح كان من ذلك.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فقال أبو معشر، فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدّثني محدّث، عن إسحاق بن عيسى عنه: كان فتح الإسكندرية سنة خمس وعشرين.

وقال الواقدي: وفي هذه السنة نقضت الإسكندرية عهدها، فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم؛ وقد ذكرنا خبرها قبل فيما مضى، ومن خالف أبا معشر الواقدي في تأريخ ذلك.

وفيهما كان أيضاً - في قول الواقدي - توجيهُ عبدالله بن سعد بن أبي سرح الخيل إلى المغرب.

قال: وكان عمرو بن العاص قد بعث بعثاً قبل ذلك إلى المغرب، فأصابوا غنائم، فكتب عبدالله يستأذنه في الغزو إلى إفريقيا، فأذن له.

قال: وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان، واستخلف على المدينة.

قال: وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبي سفيان.

قال: وفيها وُلد يزيد بن معاوية.

قال: وفيها كانت سابور الأولى [فتحت].

ثم دخلت سنة ست وعشرين ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فكان فيها - في قول أبي معشر والواقدي - فتح سابور؛ وقد مضى ذكر الخبر عنها في قول من خالفهما في ذلك .

وقال الواقدي: فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم .

وقال: فيها زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسّعه وابتاع من قوم وأبي آخرون؛ فهدم عليهم؛ ووضع الأثمان في بيت المال؛ فصيحوا بعثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جرّأكم عليّ! ما جرّأكم عليّ إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به . ثم كلّمه عبد الله بن خالد بن أسيد، فأخرجوا .

قال: وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان .

وفي هذه السنة عزل عثمان سعداً عن الكوفة، وولّاه الوليد بن عقبة في قول الواقدي؛ وأمّا في قول سيف فإنه عزله في سنة خمس وعشرين .

وفيهما وليّ الوليد عليها، وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر، ووجّه سعداً إليها عاملاً، فعمل له عليها سنة وأشهرًا .

ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعداً واستعماله عليها الوليد

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: كان أوّل ما نزع به بين أهل الكوفة - وهو أوّل مصرٍ نزع الشيطان بينهم في الإسلام - أنّ سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً، فأقرضه، فلمّا تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً، يلوم هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كنت جالساً عند سعد، وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة، فأق ابن مسعود سعداً، فقال له: أذّ المال الذي قبلك، فقال له سعد: ما أراك إلا ستلقى شراً! هل أنت إلا ابن مسعود، عبد من هذيل! فقال: أجل؛ والله إني لابن مسعود، وإنك لابن حُمينة، فقال هاشم: أجل والله إنكما لصاحبا رسول الله ﷺ، يُنظر إليكما. فطرح سعد

عوداً كان في يده - وكان رجلاً فيه جدّة - ورفع يديه، وقال: اللهم ربّ السموات والأرض... فقال عبدالله: ويلك! قل خيراً، ولا تلعن، فقال سعد عند ذلك: أما والله ولولا اتّقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك. فولى عبدالله سريعاً حتى خرج.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن الوليد، عن المسيّب بن عبد خير، عن عبدالله بن عُكَيْم، قال: لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قَرْضِ أقرضه عبدالله إياه؛ فلم يتيسر على سعد قضاؤه؛ غضب عليهما عثمان، وانتزعها من سعد، وعزله وغضب على عبدالله وأقرّه، واستعمل الوليد بن عُقْبَة - وكان عاملاً لعمر على ربيعة بالجزيرة - فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره باباً حتى خرج من الكوفة.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما بلغ عثمان الذي كان بين عبدالله وسعد فيها كان، غضب عليهما وهمّ بهما، ثم ترك ذلك، وعزل سعداً، وأخذ ما عليه، وأقرّ عبدالله، وتقدّم إليه، وأمر مكان سعد الوليد بن عُقْبَة - وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب - فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى، فقدم الكوفة، وكان أحبّ الناس في الناس وأرفقهم بهم؛ فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك فتح إفريقية على يد عبدالله بن سعد بن أبي سرح، كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر؛ وهو قول الواقدي أيضاً.
ذكر الخبر عن فتحها، وعن سبب ولاية عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر، وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها:

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهمي، فولي عثمان، فأقرهما سنتين من إمارته ثم عزل عمرًا، واستعمل عبدالله بن سعد بن أبي سرح.

وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان؛ قالوا: لما ولي عثمان أقر عمرو بن العاص على عمله، وكان لا يعزل أحداً إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة؛ وكان عبدالله بن سعد من جند مصر، فأمر عبدالله بن سعد على جنده، ورماه بالرجال، وسرحه إلى إفريقية وسرح معه عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحَصين الفهريين، وقال لعبد الله بن سعد: إن فتح الله عز وجل عليك غداً إفريقية، فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نقلاً. وأمر العبدن على الجند، ورماهما بالرجال، وسرحهما إلى الأندلس؛ وأمرهما وعبدالله بن سعد بالاجتماع على الأجل، ثم يقيم عبدالله بن سعد في عمله ويسيران إلى عملهما.

فخرجوا حتى قطعوا مصر، فلما غلوا في أرض إفريقية فأمعنوا انتهوا إلى الأجل، ومعه الأفناء، فاقتتلوا، فقتل الأجل، قتله عبدالله بن سعد وفتح إفريقية سهلها وجبلها. ثم اجتمعوا على الإسلام، وحسنت طاعتهم، وقسم عبدالله ما أفاء الله عليهم على الجند؛ وأخذ خمس الخمس، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النصرى، وضرب فسطاطاً في موضع القيروان، ووَقَدَ وفداً، فشكوا عبدالله فيها أخذ، فقال لهم: إنا نقتله - وكذلك كان يصنع - وقد أمرت له بذلك؛ وذاك إليكم الآن؛ فإن رضيتم فقد جاز، وإن سخطتم فهو رد. قالوا: إنا نسخطه، قال: فهو رد، وكتب إلى عبد الله برد ذلك واستصلاحهم، قالوا: فاعزله عنا، إنا لا نريد أن يتأمر علينا، وقد وقع ما وقع؛ فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلاً ممن ترضى ويرضون واقسم الخمس الذي كنت نفلت في سبيل الله؛ فإنهم قد سخطوا النفل. ففعل، ورجع عبدالله بن سعد إلى مصر وقد فتح

إفريقية، وقتل الأجل. فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك؛ أحسن أمة سلاماً وطاعة؛ حتى دب إليهم دعاة أهل العراق فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستشاروهم، شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم. وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء، فقالوا: إنا لا نخالف الأئمة بما تحبني العمال، ولا نحمل ذلك عليهم؛ فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورهم؛ فخرج ميسرة في بضعة عشر انساناً حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن، فصعب عليهم، فأتوا الأبرش، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نقلهم دوننا وقال: هم أحق به؛ فقلنا: هو أخلص لجهادنا، لأننا لا نأخذ منه شيئاً، إن كان لنا فهم منه في حل؛ وإن لم يكن لنا لم نرده. وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدّموا وأخر جنده، فقلنا: تقدّموا، فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم. ثم إنهم عمّدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها على السّخال يطلبون الفراء البيض لأمر المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمر المؤمنين! فاحتملنا ذلك، وخلصناهم وذلك. ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون؛ فأحببنا أن نعلم: أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟ قال: نفع، فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم، كتبوا أسماؤهم في رِقاع، ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا: هذه أسماؤنا وأنسابنا؛ فإن سألكم أمير المؤمنين عنّا فأخبروه، ثم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على عامل هاشم فقتلوه، واستولوا على إفريقية؛ وبلغ هشام الخبر، وسأل عن النفر، فرفعت إليه أسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا.

وكتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وأرسل عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقية إلى الأندلس، فأتياهما من قبل البحر. وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس: أما بعد، فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس؛ وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر، والسلام. وقال كعب الأحبار: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتتحونها، يعرفون بنورهم يوم القيامة.

وكتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: فخرجوا ومعهم البربر! فأتوها من برّها؛ ففتحها الله على المسلمين وإفرنجة؛ وازدادوا في سلطان المسلمين مثل إفريقية؛ فلما عزل عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح صرف إلى عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس؛ وكان عليها، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر؛ ولم يزل أمر الأندلس كأمر إفريقية حتى كان زمان هشام، فمنع البربر أرضهم؛ وبقي من في الأندلس على حاله.

وأما الواقدي فإنه ذكر أن ابن أبي سبرة حدّثه عن محمد بن أبي حرّملة، عن كريب، قال: لما نزع عثمان عمرو بن العاص عن مصر غضب عمرو غضباً شديداً، وحقد على عثمان، فوجه عبد الله بن سعد، وأمره أن يمضي إلى إفريقية؛ وندب عثمان الناس إلى إفريقية، فخرج إليها عشرة آلاف من قریش والأنصار والمهاجرين. قال الواقدي: وحدّثني أسامة بن زيد الليثي، عن ابن كعب، قال: لما وجه عثمان عبد الله بن سعد إلى إفريقية، كان الذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جرجير ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث ملك الروم رسولا، وأمره أن يأخذ منهم ثلثمائة قنطار؛ كما أخذ منهم عبد الله بن سعد؛ فجمع

رؤساء إفريقية، فقال: إن الملك قد أمرني أن آخذ منكم ثلثمائة قنطار ذهب مثل ما أخذ منكم عبدالله بن سعد؛ فقالوا: ما عندنا مال نعطيه؛ فأما ما كان بأيدينا فقد افتدينا به أنفسنا، وأما الملك فإنه سيدنا فليأخذ ما كان له عندنا من جائزة كما كنا نعطيه كل سنة. فلما رأى ذلك أمر بحبسهم، فبعثوا إلى قوم من أصحابهم، فقدموا عليه، فكسروا السجن فخرجوا، وكان الذي صالحهم عليه عبدالله بن سعد ثلثمائة قنطار ذهب، فأمر عثمان لآل الحكم. قلت: أولمروا؟ قال: لا أدري.

قال ابن عمر: وحدثني أسامة بن زيد، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج، فتباغيا، فكتب عبدالله بن سعد إلى عثمان يقول: إن عمراً كسر الخراج. وكتب عمرو: إن عبدالله كسر علي حيلة الحرب، فكتب عثمان إلى عمرو: انصرف؛ وولي عبدالله بن سعد الخراج والجند، فقدم عمرو مغضباً، فدخل على عثمان وعليه جبة يمانية محشوة قطناً، فقال له عثمان: ما حشوّ جبتك؟ قال: عمرو، قال عثمان: قد علمت أن حشوّها عمرو ولم أرد هذا، إنما سألت: أظن هو أم غيره؟

قال الواقدي: وحدثني أسامة بن زيد، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: بعث عبدالله بن سعد إلى عثمان بمال من مصر، قد حشد فيه، فدخل عمرو على عثمان؛ فقال عثمان: يا عمرو، هل تعلم أن تلك اللقاح ذرت بعدك! فقال عمرو: إن فصاها هلكت.

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقال الواقدي: وفي هذه السنة كان فتح إصطخر الثاني على يد عثمان بن أبي العاص.

قال: وفيها غزا معاوية قنسرين.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فما ذُكر أنه كان فيها فتح قبرس، على يد معاوية، غزاها بأمر عثمان إِيَّاه؛ وذلك في قول الواقدي. فأما أبو معشر فإنه قال: كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وقال بعضهم: كانت قبرس سنة سبع وعشرين، غزاها - فيما ذكر - جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم أبو ذرّ وعبد الله بن الصامت؛ ومعه زوجته أمّ حرام والمقداد وأبو الدرداء، وشداد بن أوس. ذكر الخبر عن غزوة معاوية إِيَّاهَا:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان النُصَريّ وأبي المجالد جراد بن عمرو، عن رجاء بن حيوة وأبي حارثة وأبي عثمان، عن رجاء وعبد الله وخالد: قالوا: ألحّ معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حصص؛ وقال: إن قرية من قرى حصص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم؛ حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر؛ فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه؛ فإن نفسي تنازعني إليه.

وقال عبادة وخالد: لما أخبره ما للمسلمين في ذلك وما على المشركين، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير؛ إن ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول؛ يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود؛ إن مال غرق، وإن نجا برق.

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سعيد، عن عبادة بن نُمي، عن جنادة بن أبي أمية الأزدي، قال: كان معاوية كتب إلى عمر كتاباً في غزو البحر يرغبه فيه، ويقول: يا أمير المؤمنين؛ إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم؛ وهم تلقاء ساحل من سواحل حصص؛ فاتهمه عمر لأنه المشير؛ فكتب إلى عمرو: أن صف لي البحر؛ ثم اكتب إليّ بخبره؛ فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، إني رأيت خلقاً عظيماً، يركبه خلق صغير؛ ليس إلا السماء والماء؛ وإنما هم كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة، عن عبادة، عن جنادة بن أبي أمية والربيع وأبي المجالد، قالوا: كتب عمر إلى معاوية: إنا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على

الأرض؛ يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يُفيض على الأرض فيغرقها؛ فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب؛ وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم؛ فإياك أن تعرض لي؛ وقد تقدّمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء مني، ولم أتقدّم إليه في مثل ذلك.

وقالوا: ترك ملك الروم الغزو، وكاتب عمر وقاربه، وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله، فكتب إليه: أحب للناس ما تحب لنفسك، وكره لهم ما تكره لها، تجتمع لك الحكمة كلها. واعتبر الناس بما يليك، تجتمع لك المعرفة كلها.

وكتب إليه ملك الروم - وبعث إليه بقارورة: أن املا لي هذه القارورة من كل شيء، فملأها ماء، وكتب إليه: إن هذا كل شيء من الدنيا.

وكتب إليه ملك الروم: ما بين الحق والباطل؟ فكتب إليه: أربع أصابع الحق، فيما يرى عياناً، والباطل كثيراً يستمع به فيما لم يعاين.

وكتب إليه ملك الروم يسأله عما بين السماء والأرض وبين المشرق والمغرب، فكتب إليه: مسيرة خمسمائة عام للمسافر؛ لو كان طريقاً مبسوطاً.

قال: وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش النساء، ودستته إلى البريد، فأبلغه لها، وأخذ منه. وجاءت امرأة هرقل، وجمعت نساءها، وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب، وبنيت نبّيهم، وكاتبته وكافأته، وأهدت لها؛ وفيها أهدت لها عقد فاخر. فلما انتهى به البريد إليه أمره بإمساكه، ودعا: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلّى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شوري من أموري؛ قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم؛ فأهدت لها امرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بدمّة فتصانع به، ولا تحت يدك فتتقيك.

وقال آخرون: قد كنّا نُهدي الثياب لنسثيب، ونبعث بها لتباع، ولنصيب ثمناً. فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين، والبريد بريدهم، والمسلمون عظموها في صدرها. فأمر بردها إلى بيت المال، وردّ عليها بقدر نفقتها.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة، عن خالد بن معدان، قال: أوّل من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمان عثمان بن عفان، وقد كان استأذن عمر فيه فلم يأذن له، فلما وليّ عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك بأخرة، وقال: لا تنتخب الناس، ولا تُقرع بينهم؛ خيرهم؛ فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه، ففعل واستعمل على البحر عبدالله بن قيس الجاسي حليف بني قزارة، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب؛ وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألاّ يبتليّه بمصاب أحد منهم، ففعل، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده؛ خرج في قارب طليعة، فأنتهى إلى المرقى من أرض الروم؛ وعليه سؤال يعترون بذلك المكان، فتصدّق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟ قالت: في المرقى، قالوا: أي عدوة الله! ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبّختهم، وقالت: أنتم أعجز من أن يخفي عبد الله على أحد. فثاروا إليه، فهجموا عليه، فقاتلوه

وقاتلهم، فأصيب وحده؛ وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه، فجاؤوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي، فخرج فقاتلهم، فضجر وجعل يعث بأصحابه ويشتمهم، فقالت جارية عبد الله: واعبد الله، ما هكذا كان يقول حين يقاتل! فقال سفيان: وكيف كان يقول؟ قالت:

الغمرات ثم ينجلينا

فترك ما كان يقول، ولزم: «الغمرات ثم ينجلينا». وأصيب في المسلمين يومئذ، وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسي؛ وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفته؟ قالت: بصدقته؛ أعطى كما يعطى الملوك؛ ولم يقبض قبض التجار.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: قيل لتلك المرأة التي استشارت الروم على عبد الله بن قيس: كيف عرفته؟ قالت: كان كالتاجر، فلما سألته أعطاني كالمملك؛ فعرفت أنه عبد الله بن قيس.

وكتب إلى معاوية والعمال: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم، فردوه إلينا نجمع عليه الأمة، ثم نرده عليكم؛ وإياكم أن تغيروا، فإنني لست قابلا منكم إلا ما كان عمر يقبل. وقد كانت تنتقض فيما بين صلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه، فيحسب له ذلك، وأما الفتوح فلا أول من وليها.

قال أبو جعفر: ولما غزا معاوية قبرس؛ صالح أهلها - فيما حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني سليمان بن أبي كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق؛ أن صلح قبرس وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة، ويؤدون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك، على ألا يغزوه ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من خلفهم، وعليهم أن يؤذوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم؛ وعلى أن يبطر إمام المسلمين عليهم منهم.

وقال الواقدي: غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قبرس، وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، حتى لقوا معاوية، فكان على الناس.

قال: وحدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، قال: لما سبيناهم نظرت إلى أبي الدرداء يبكي، فقلت له: ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذل فيه الكفر وأهله؟ قال: فضرب بيده على منكبي، وقال: ثكلتك أمك يا جبير! ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم المملك؛ إذ تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى، فسلط عليهم السباء، وإذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة.

قال الواقدي: وحدثني أبو سعيد، أن معاوية بن أبي سفيان صالح أهل قبرس في ولاية عثمان؛ وهو أول من غزا الروم؛ وفي العهد الذي بينه وبينهم ألا يتزوجوا في عدونا من الروم إلا بأذننا.

قال الواقدي: وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم.

وفيه تزوّج عثمان نائلة ابنة الفرافصة الكلبية وكانت نصرانية، فتحشّت قبل أن يدخل بها.
قال: وفيها بنى داره بالمدينة، الزّوراء، وفرغ منها.
قال: وفيها كان فتح فارس الأول، وإصطخر الآخر وأميرها هشام بن عامر.
قال: وحجّ بالناس عثمان في هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة، وكان عامله عليها ست سنين، وولّاها عبد الله بن عامر بن كُريز، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، فقدمها. وقد قيل: إنّ أبا موسى إنما عمل لعثمان على البصرة ثلاث سنين.

وذكر عليّ بن محمد أن محارباً أخبره، عن عوف الأعرابي، قال: خرج غيلان بن خرشة الضبيّ إلى عثمان بن عفان، فقال: أما لكم صغير فتستشّبوه فتولّوه البصرة! حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة! يعني أبا موسى؛ وكان وليها بعد موت عمر ست سنين.

قال: فعزله عثمان عنها، وبعث عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمه دجاجة ابنة أساء السلمي؛ وهو ابن خال عثمان بن عفان. قال مسلمة: فقدم البصرة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، سنة تسع وعشرين.

ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

كتب إليّ السريّ، يذكر أنّ شعيباً حدّثه، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما ولي عثمان أقرّ أبا موسى على البصرة ثلاث سنين، وعزله في الرابعة، وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثي - وهو من كنانة - فأثنى فيها إلى كابل، وأثنى عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دُونها كورة إلا أصلحها؛ وبعث إلى مُكران عبيد الله بن معمر التيمي، فأثنى فيها حتى بلغ النهر. وبعث على كَرَمَان عبد الرحمن بن غُبَيْس؛ وبعث إلى فارس والأهواز نفراً، وضمّ سواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحرّ، ثم عزل عبد الله بن عُمَيْر، واستعمل عبد الله بن عامر فأقرّه عليها سنة ثم عزله، واستعمل عاصم بن عمرو، وعزل عبد الرحمن بن غُبَيْس، وأعاد عديّ بن سُهيل بن عديّ.

ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل إيدج والأكراد، فنَادَى أبو موسى في الناس، وحضّهم وندبهم؛ وذكر من فضل الجهاد في الرُّجْلة؛ حتى حمل نفر على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رُجْلاً. وقال آخرون: لا والله لا نجعل بشيء حتى ننظر ما صنيعة؟ فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل أصحابنا.

فلما كان يوم خرج أخرج ثَقْلَه من قصره على أربعين بغلاً، فتعلقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرُّجْلة فيما رغبنا فيه، فقنّع القوم حتى تركوا دابّته ومضى، فأتوا عثمان، فاستعفوه منه،

وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقوله، فأبّد لنا به، فقال: مَنْ تحبّون؟ فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عَوْض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا ننك من أشعريّ كان يعظّم ملكه عن الأشعريّين؛ ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمّرت علينا صغيراً كان فيه عَوْض منه، أو مهترأ كان فيه عَوْض منه؛ ومَنْ بين ذلك من جميع الناس خير منه.

فدعا عبد الله بن عامر وأمره على البصرة، وصرف عبّيد الله بن معمر إلى فارس، واستعمل على عمله عمير بن عثمان بن سعد. فاستعمل على خراسان في سنة أربع أمّين بن أحمَر اليشكريّ، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفَصِيل البرجميّ، وعلى كرّمان عاصم بن عمرو، فمات بها. فجاشت فارس، وانتفضت بعبّيد الله بن معمر، فاجتمعوا له بإصطخر، فالتقوا على باب إصطخر، فقتل عبّيد الله وهزم جنده؛ وبلغ الخبر عبد الله بن عامر، فاستنفر أهل البصرة؛ وخرج معه الناس، وعلى مقدّمته عثمان بن أبي العاص، فالتقوا هم وهم بإصطخر، وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزلوا منها في ذلّ؛ وكتب بذلك إلى عثمان؛ فكتب إليه يأمّره هرم بن حسان اليشكريّ، وهَرَم بن حيّان العبديّ من عبد القيس، والحريّ بن راشد من بني سامة، والمنجّاب بن راشد، والترجمان الهُجيميّ، على كورفاس، وفرّق خراسان بين نفر ستة: الأحنف على المروّين، وحبيب بن قرّة اليربوعيّ على بلخ - وكانت مما افتتح أهل الكوفة - وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة، وأمّين، بن أحمد اليشكريّ على طوس، وقيس بن الهيثم السلميّ على نيسابور - وهو أول من خرج - وعبد الله بن خازم، وهو ابن عمه. ثم إن عثمان جمعها له قبل موته؛ فمات وقيس على خراسان، واستعمل أمّين بن أحمَر على سجستان، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سُمرة - وهو من آل حبيب بن عبد شمس؛ فمات عثمان وهو عليها؛ ومات وعمران على كرّمان - وعمير بن عثمان بن سعد على فارس، وابن كندير القشيريّ على مكرّان.

وقال عليّ بن محمد: أخبرنا عليّ بن مجاهد، عن أشياخه، قال: قال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان: أما منكم خسيس فترفعوه! أما منكم فقير فتجبروه! يا معشر قريش، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعريّ هذه البلاد! فانتبه لها الشيخ؛ فولّاها عبد الله بن عامر.

قال عليّ بن محمد: أخبرنا أبو بكر الهذليّ؛ قال: ولّى عثمان ابن عامر البصرة؛ فقال الحسن: قال أبو موسى: يأتيكم غلام خراج ولّاج كريم الجدّات والخالات والعمات؛ يُجمع له الجنّان. قال: قال الحسن: فقدم ابن عامر، فجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفيّ؛ وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عبّر من عُمان والبحرين.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وقد قيس بن هيثم عبد الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر في زمان عثمان؛ وكان عبد الله بن خازم على عبد الله بن عامر كريماً؛ فقال له: اكتب لي على خراسان عهداً إن خرج منها قيس بن الهيثم. ففعل، فرجع إلى خراسان؛ فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر، وجاش العدو لذلك، قال قيس: ما ترى يا عبد الله؟ قال: أرى أن تُخلفني ولا تُخلف عن المضيّ حتى تنظر فيما تنظر. ففعل واستخلفه، فأخرج عبد الله عهد خلافته، وثبت على خراسان إلى أن قام عليّ رضي الله تعالى عنه؛ وكانت أم عبد الله عجلى، فقال قيس: أنا كنت أحقّ أن أكون ابن عجلى من عبد الله؛ وغضب مما صنع به الآخر.

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وفي قول أبي معشر؛ حدّثني بقول أبي معشر أحمد بن ثابت، عمّن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وأما قول سيف فقد ذكرناه قبل.

وفي هذه السنة - أعني سنة تسع وعشرين - زاد عثمان في مسجد رسول الله ﷺ ووسّعه وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الأول؛ وكانت القصّة تحمّل إلى عثمان من بطن نخل؛ وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمّده من حجارة فيها رصاص، وسقّفه ساجاً، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه مائة وخمسين ذراعاً، وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر، ستّة أبواب.

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان، فضرب بمنى فسطاطاً، فكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنى، وأتم الصلاة بها وبعرفة.

فذكر الواقدي، عن عمر بن صالح بن نافع، عن صالح مولى التوءمة، قال: سمعت ابن عباس يقول: إن أوّل ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه صلى بالناس بمنى في ولايته ركعتين؛ حتى إذا كانت السنة السادسة أتمّها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي ﷺ؛ وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه؛ حتى جاءه عليّ فيمن جاءه، فقال: والله ما حدث أمر ولا قدّم عهد؛ ولقد عهدت نبيك ﷺ يصلي ركعتين. ثم أبا بكر، ثم عمر، وأنت صدراً من ولايتك، فما أدري ما ترجع إليه! فقال: رأيي رأيته.

قال الواقدي: وحدّثني داود بن خالد، عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي، عن عمّه، قال: صلى عثمان بالناس بمنى أربعاً، فأتى عبد الرحمن بن عوف، فقال: هل لك في أخيك؟ قد صلى بالناس أربعاً! فصلّى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين؛ ثم خرج حتى دخل على عثمان، فقال له: ألم تصلّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟ قال: بلى، قال: أفلم تصلّ مع أبي بكر ركعتين؟ قال: بلى، قال: أفلم تصلّ مع عمر ركعتين؟ قال: بلى، قال: ألم تصلّ صدراً من خلافتك ركعتين؟ قال: بلى، قال: فاسمع مني يا أبا محمد، إني أخبرت أنّ بعض من حجّ من أهل اليمن وجفّة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين، وقد اتخذت بمكة أهلاً، فرأيت أن أصلي أربعاً لخوف ما أخاف على الناس؛ وأخرى قد اتخذت بها زوجة، ولي بالطائف مال؛ وربما أطلعت فاقمت فيه بعد الصّدْر. فقال عبد الرحمن ابن عوف: ما من هذا شيء لك فيه عُذر؛ أما قولك: اتخذت أهلاً، فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وتقدم بها إذا شئت؛ إنما تسكن بسكنائك. وأما قولك: ولي مال بالطائف؛ فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف. وأما قولك: يرجع من حجّ من أهل اليمن وغيرهم فيقولون: هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وهو مقيم؛ فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل؛ ثم أبو بكر مثل ذلك، ثم عمر، فضرب الإسلام بجراحه، فصلّى بهم عمر حتى مات ركعتين، فقال عثمان: هذا رأيي رأيته.

قال: فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود، فقال: أبا محمد، غير ما يُعلم؟ قال: لا، قال: فما أصنع؟ قال: اعمل أنت بما تعلم؛ فقال ابن مسعود: الخلاف شر؛ قد بلغني أنه صلى أربعاً فصلّيت بأصحابي أربعاً، فقال عبد الرحمن بن عوف: قد بلغني أنه صلى أربعاً، فصلّيت بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوف يكون الذي تقول - يعني نصلي معه أربعاً.

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمما كان فيها غزوة سعيد بن العاص طبرستان في قول أبي معشر، حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمّ حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وفي قول الواقدي وقول علي بن محمد المدائني: حدثني بذلك عمر بن شبة عنه. وأما سيف بن عمر، فإنه ذكر أن إصْبَهَبْذَا صالِح سويد بن مقرن على ألا يغزوها؛ على مال بذله له. قد مضى ذكر الخبر عن ذلك قبل في أيام عمر رضي الله عنه.

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه قال - فيما حدثني به عنه عمر: لم يغزها أحد حتى قام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فغزاها سعيد بن العاص سنة ثلاثين.

ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طبرستان

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي بن محمد، عن علي بن مجاهد، عن حنش بن مالك، قال: غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير؛ وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً ونزل أبرشهر، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً. فنزل سعيد قوميس؛ وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند؛ فأقى جرجان، فصالحوه على مائتي ألف، ثم أقى طميسة، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف، فقال لحذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره، فصلى بها سعيد صلاة الخوف، وهم يقتتلون، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السيف من تحت مرفقه؛ وحاصره، فسألوا الأمان؛ فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً؛ وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سقطاً عليه قفل، فظن فيه جوهراً؛ وبلغ سعيداً، فبعث إلى النهدي، فأتاه بالسفط، فكسروا قفله؛ فوجدوا فيه سفطاً، ففتحوه، فإذا فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها، فوجدوا خرقة حمراء فنشروها، فإذا خرقة صفراء؛ وفيها أيران: كُميّت ووَرْد، فقال شاعر يهجو بني نهد:

أَبَ الْكِرَامِ بِالسَّبَايَا غَنِيْمَةً وَفَازَ بَنُو نَهْدٍ بِأَيْرَيْنِ فِي سَفْطٍ
كُميّتٍ وَوَرْدٍ وَإَيْرَيْنِ كِلَاهُمَا فَظَنُّوهُمَا غَنَمًا فَنَاهِيكَ مِنْ غَلْطٍ!

وفتح سعيد بن العاص نامية، وليست بمدينة، هي صحارى.

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرني علي بن مجاهد، عن حنش بن مالك التغلبي، قال: غزا سعيد سنة ثلاثين، فأق جرجان وطبرستان؛ معه عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص؛ فحدثني عُلج كان يخدمهم قال: كنت أتيتهم بالسفرة، فإذا أكلوا أمروني فنفضتها وعلقتها، فإذا أمسوا أعطوني باقية. قال: وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، جد يوسف بن عمر، فقال يوسف لقحذم: يا قحذم، أندري أين مات محمد بن الحكم؟ قال: نعم، استشهد مع سعيد بن العاص بطبرستان، قال: لا، مات بها وهو مع سعيد، ثم قفل سعيد إلى الكوفة، فمدحه كعب بن جعيل، فقال:

فَنِعَمَ الْفَتَى إِذْ جَالَ جِيْلَانُ دَوْنَهُ وَإِذْ هَبَطُوا مِنْ دَسْتَبَى ثُمَّ أَبْهَرَا
تَعَلَّمَ سَعِيدُ الْخَيْرِ أَنَّ مَطِيطِي إِذَا هَبَطْتُ أَشْفَقْتُ مِنْ أَنْ تُعْقَرَا
كَأَنَّكَ يَوْمَ الشَّعْبِ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ تَحَرَّدَ مِنْ لَيْثِ الْعَرِينِ وَأَصْحَرَا
تَسْوَسُ الَّذِي مَاسَاسَ قَبْلَكَ وَاحِدٌ ثَمَانِينَ أَلْفًا دَارِعِينَ وَحُسْرَا

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن كليب بن خلف وغيره؛ أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق؛ فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قُومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، وكان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان، فأول من صير الطريق من قُومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان.

وحدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن كليب بن خلف العمي، عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة العمي؛ أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان؛ وكانوا يجيئون أحياناً مائة ألف ويقولون: هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلاثمائة ألف؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعه؛ ثم امتنعوا وكفروا، فلم يُعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد بن المهلب، فلم يعاذه أحد حين قدمها؛ فلما صالح صولاً وفتح البُحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة، وولاه سعيد بن العاص في قول سيف بن عمر.

ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله وسعد غضب عليهما وهم بهما، ثم ترك ذلك وعزل سعداً، وأخذ ما عليه، وأقر عبد الله، وتقدم إليه، وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة - وكا على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب - فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان؛ وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى؛ فقدم الكوفة، وكان أحب الناس في الناس وأدفعهم بهم؛ فكان كذلك خمس سنين، وليس على داره باب. ثم إن شباباً من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي، وكاثروه، فنذر بهم، فخرج عليهم بالسيف، فلما رأى كثرتهم استصرخ، فقالوا له:

اسكت، فإنما هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة - وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم - فصاح بهم وضربوه فقتلوه، وأحاط الناس بهم فأخذوهم؛ وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي، وشبيل بن أبي الأزدي، في عدة. فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضاً من الناس، فقتله بعضهم، فكتب فيهم إلى عثمان، فكتب إليه في قتلهم، فقتلهم على باب القصر في الرحبة، وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي:

لا تَأْكُلُوا أَبَدًا جِيرَانَكُمْ سَرَفًا أَهْلَ الزَّعَارَةِ فِي مُلْكِ ابْنِ عَفَّانٍ

وقال أيضاً:

إِنَّ ابْنَ عَفَّانَ الَّذِي جَرَّبْتُمْ فَطَمَ اللَّصُوصَ بِمُحَكِّمِ الْفُرْقَانِ
مَا زَالَ يَعْمَلُ بِالْكِتَابِ مُهَيِّمًا فِي كُلِّ عُنُقٍ مِنْهُمْ وَبَنَانِ

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن أبي سعيد، قال: كان أبو شريح الخزاعي من أصحاب رسول الله ﷺ، فتحول من المدينة إلى الكوفة ليدنو من الغزو؛ فبينما هو ليلة على السطح، إذ استغاث جاره، فأشرف فإذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيتوا جاره؛ وجعلوا يقولون له: لا تصح، فإنما هي ضربة حتى نريحك؛ فقتلوه. فارتحل إلى عثمان، ورجع إلى المدينة ونقل أهله، ولهذا الحديث حين كثر أحدثت القسامة؛ وأخذ بقول ولي المقتول: لِيُفْطَمَ النَّاسُ عَنِ الْقَتْلِ عَنْ مِلٍّ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن كريب، عن نافع بن جبير، قال: قال عثمان: القسامة على المدعى عليه وعلى أوليائه؛ يحلف منهم خمسون رجلاً إذا لم تكن بيته؛ فإن نقصت قسامتهم، أو إن نكل رجل واحد ردت قسامتهم ووليها المدعون؛ وأحلفوا، فإن حلف منهم خمسون استحقوا.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغضن بن القاسم، عن عون بن عبد الله، قال: كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر أنه بلغه أن أبا سمّال الأسدي في نفر من أهل الكوفة، ينادي منادٍ لهم إذا قدم الميَّار: مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ كَلْبٍ أَوْ بَنِي فُلَانٍ لَيْسَ لِقَوْمِهِمْ بَهَا مَنْزِلَ فَمَنْزِلُهُ عَلَى أَبِي سَمَّالٍ. فَاتَّخَذَ مَوْضِعَ دَارِ عَقِيلِ دَارِ الضُّيْفَانِ وَدَارِ ابْنِ هَبَّارٍ؛ وَكَانَ مَنْزِلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذَا فِي مَوْضِعِ الرَّمَادَةِ، فَزَلَ مَوْضِعَ دَارِهِ، وَتَرَكَ دَارَهُ دَارَ الضُّيَافَةِ، وَكَانَ الْأَضْيَافُ يَنْزِلُونَ دَارَهُ فِي هَذَا إِذَا ضَاقَ عَلَيْهِمْ مَا حَوْلَ الْمَسْجِدِ.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المعيرة بن مقسم، عن أدركم من علماء أهل الكوفة، أن أبا سمّال كان ينادي مناديه في السوق والكناسة: مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ - لَمْ يَلَيْسْ لَهُ بَهَا خُطَّةٌ - فَمَنْزِلُهُ عَلَى أَبِي سَمَّالٍ؛ فَاتَّخَذَ عُثْمَانُ لِلْأَضْيَافِ مَنَازِلَ.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مولى لآل طلحة، عن موسى بن طلحة مثله.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: كان عمر بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة، فنزل في بني تغلب. وكان أبو زبيد في الجاهلية والإسلام في بني تغلب حتى أسلم؛ وكانت بنو تغلب أخواله؛ فاضطهده أخواله ديناً له؛ فأخذ له الوليد بحقه، فشكرها له أبو زبيد، وانقطع إليه، وغشيه بالمدينة؛ فلما ولي الوليد الكوفة أتاه مسلماً معظماً على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة،

فنزول دار الضيفان، وآخر قدمه قدمها أبو زيد على الوليد؛ وقد كان ينتجعه ويرجع، وكان نصرانياً قبل ذلك، فلم يزل الوليد به وعنه حتى أسلم في آخر إمارة الوليد، وحسن إسلامه، فاستدخله الوليد، وكان عربياً شاعراً حين قام على الإسلام؛ فأقأت أبا زينب وأبا مورع وجندباً، وهم يحقدون له مذقتل أبناءهم، ويضعون له العيون، فقال لهم: هل لكم في الوليد يشارب أبا زبيد؟ فثاروا في ذلك، فقال أبو زينب وأبو مورع وجندب لأناس من وجوه أهل الكوفة: هذا أميركم وأبو زبيد خيرته، وهما عاكفان على الخمر، فقاموا معهم - ومنزل الوليد في الرحبة مع عمارة بن عقبة، وليس عليه باب - فاقتحموا عليه من المسجد وبابه إلى المسجد، فلم يُفجأ الوليد إلا بهم، ففتح شياً، فأدخله تحت السرير، فأدخل بعضهم يده فأخرج له لا يؤامره؛ فإذا طبق عليه تفاريق عنب - وإنما نحاه استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب - فقاموا فخرجوا على الناس، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، وسمع الناس بذلك، فأقبل الناس عليهم يسبونهم ويلعنونهم؛ ويقولون: أقوام غضب الله لعمله، وبعضهم أرغمه الكتاب؛ فدعاهم ذلك إلى التحسس والبحث؛ فستر عليهم الوليد ذلك، وطواه عن عثمان، ولم يدخل بين الناس في ذلك بشيء، وكره أن يفسد بينهم، فسكت عن ذلك وصبر.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الفيض بن محمد، قال: رأيت الشعبيّ جلس إلى محمد بن عمرو بن الوليد - يعني ابن عقبة - وهو خليفة محمد بن عبد الملك؛ فذكر محمد غزو مسلمة، فقال: كيف لو أدركتم الوليد؛ غزوه وإمارته! إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما قصر ولا انتقص عليه أحد حتى عزل عن عمله؛ وعلى الباب يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي؛ وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر؛ يتسعون بها من غير أن ينقص مواليتهم من أرزاقهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن عون بن عبد الله، قال: جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود، فقالوا: الوليد يعتكف على الخمر؛ وأذاعوا ذلك حتى طرح على ألسن الناس، فقال ابن مسعود: من استتر عناً بشيء لم تنتب عورته، ولم نهتك ستره؛ فأرسل إلى ابن مسعود فأتاه فعاتبه في ذلك، وقال: أئريض من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت علي! أي شيء أستتر به! إنما يقال هذا للمريب، فتلاحيا وافترقا على تغاضب، لم يكن بينهما أكثر من ذلك.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وأقأت الوليد بساحر؛ فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده، فقال: وما يدريك أنه ساحر! قال: زعم هؤلاء النفر - لنفر جاؤوا به - أنه ساحر، قال: وما يدريك أنه ساحر؟ قال: أساحر أنت؟ قال: نعم، قال: وتدرى ما السحر؟ قال: نعم، وثار إلى حمار، فجعل يركبه من قبل ذنبه، ويربهم أنه يخرج من فمه واسته. فقال ابن مسعود: فاقته. فانطلق الوليد، فنادوا في المسجد أن رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد، فأقبلوا، وأقبل جندب - واغتنمها - يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أراه! فضربه، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه؛ حتى كتب إلى عثمان، فأجابهم عثمان أن استحلّفوه بالله ما علم برأيكم فيه. وإنه لصادق بقوله فيما ظن من تعطيل حده. وعزروه، وخلّوا سبيله. وتقدم إلى الناس في ألا يعملوا بالظنون، وألا يقيموا الحدود دون السلطان، فإننا نقيد المخطيء، ونؤدب المصيب. ففعل ذلك به، وترك لأنه أصاب حداً، وغضب لجندب أصحابه، فخرجوا إلى المدينة، فيهم أبو خشة الغفاري

وَجَثَامَةُ بْنُ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ وَمَعَهُمْ جُنْدُبٌ، فَاسْتَعْفَوْهُ مِنَ الْوَلِيدِ، فَقَالَ لَهُمْ عَثْمَانُ: تَعْمَلُونَ بِالظُّنُونِ، وَتَحْطُثُونَ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَخْرُجُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ؛ ارْجِعُوا. فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْكُوفَةِ، لَمْ يَبْقَ مَوْتُورٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا أَنَاهُمْ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى رَأْيٍ فَأَصْدَرُوهُ، ثُمَّ تَغَفَّلُوا الْوَلِيدَ - وَكَانَ لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ - فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو زَيْنَبٍ الْأَزْدِيُّ وَأَبُو مَوْرَعٍ الْأَسَدِيُّ، فَسَلَّأَ خَاتَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَا إِلَى عَثْمَانَ، فَشَهِدَا عَلَيْهِ؛ وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَثْمَانُ، فَلَمَّا قَدِمَ أَمْرُهُ سَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْشُدَكَ اللَّهَ! فَوَاللَّهِ إِنَّمَا لَخِصْمَانِ مَوْتُورَانِ. فَقَالَ: لَا يَضُرُّكَ ذَلِكَ؛ إِنَّمَا نَعْمَلُ بِمَا يَنْتَهِي إِلَيْنَا، فَمَنْ ظَلَمَ فَاللَّهُ وَلِيَّ انتِقَامِهِ، وَمَنْ ظَلَمَ فَاللَّهُ وَلِيَّ جَزَائِهِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ أَبِي غَسَّانٍ سَكَنَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَعَمِلُوا فِي عَزْلِ الْوَلِيدِ، فَانْتَدَبَ أَبُو زَيْنَبُ بْنُ عَوْفٍ وَأَبُو مَوْرَعُ بْنُ فُلَانٍ الْأَسَدِيُّ لِلشَّهَادَةِ عَلَيْهِ، فَغَشُّوا الْوَلِيدَ، وَأَكْبُوا عَلَيْهِ؛ فَبَيْنَا هُمْ مَعَهُ يَوْمًا فِي الْبَيْتِ وَلَهُ امْرَأَتَانِ فِي الْمَخْدَعِ؛ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ سِتْرٌ؛ إِحْدَاهُمَا بِنْتُ ذِي الْخِمَارِ وَالْأُخْرَى بِنْتُ أَبِي عَقِيلٍ، فَتَنَامَ الْوَلِيدُ، وَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَنْهُ؛ وَتَبَتِ أَبُو زَيْنَبُ وَأَبُو مَوْرَعُ، فَتَنَاولَ أَحَدُهُمَا خَاتَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَا، فَاسْتَقِظَ الْوَلِيدُ وَامْرَأَتَاهُ عِنْدَ رَأْسِهِ؛ فَلَمْ يَرِ خَاتَمَهُ، فَسَأَلَهُمَا عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَأَيُّ الْقَوْمِ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ؟ قَالَتَا: رَجُلَانِ لَا نَعْرِفُهُمَا، مَا غَشِيَاكَ إِلَّا مِنْذُ قَرِيبٍ. قَالَ: حَلِيَاهُمَا، فَقَالَتَا: عَلَى أَحَدِهِمَا خَمِيصَةٌ، وَعَلَى الْآخَرِ مُطْرَفٌ، وَصَاحِبُ الْمُطْرَفِ أَبْعَدُهُمَا مِنْكَ، فَقَالَ: الطُّوَالُ؟ قَالَتَا: نَعَمْ؛ وَصَاحِبُ الْخَمِيصَةِ أَقْرَبُهُمَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: الْقَصِيرُ؟ قَالَتَا: نَعَمْ؛ وَقَدْ رَأَيْنَا يَدَهُ عَلَى يَدِكَ. قَالَ: ذَاكَ أَبُو زَيْنَبُ، وَالْآخَرُ أَبُو مَوْرَعُ؛ وَكَانَ وَجْهُهُمَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَدِمَا عَلَى عَثْمَانَ؛ وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِمَّنْ يَعْرِفُ عَثْمَانَ، مِمَّنْ قَدْ عَزَلَ الْوَلِيدَ عَنِ الْأَعْمَالِ، فَقَالُوا لَهُ، فَقَالَ: مَنْ يَشْهَدُ؟ قَالُوا: أَبُو زَيْنَبُ وَأَبُو مَوْرَعُ، وَكَاعَ الْآخَرَانِ، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتُمَا؟ قَالَا: كُنَّا مِنْ غَاشِيَتِهِ؛ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَقِيءُ الْخَمْرَ، فَقَالَ: مَا يَقِيءُ الْخَمْرَ إِلَّا شَارِبُهَا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عَثْمَانَ رَأَاهُمَا، فَقَالَ مَتَمَثِّلًا:

مَا إِنْ خَشِيتُ عَلَى أَمْرٍ خَلَوْتُ بِهِ فَلَمْ أُخَفِّكَ عَلَى أَمْثَالِهَا حَارَ

فَحَلَفَ لَهُ الْوَلِيدُ وَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُمْ، فَقَالَ: نَقِيمُ الْخُدُودِ وَيَبُوءُ شَاهِدَ الزُّورِ بِالنَّارِ؛ فَاصْبِرْ يَا أَخِي! فَأَمَرَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَجَلَدَهُ، فَأُورِثَ ذَلِكَ عِدَاوَةً بَيْنَ وَلَدَيْهِمَا حَتَّى الْيَوْمِ؛ وَكَانَتْ عَلَى الْوَلِيدِ خَمِيصَةٌ يَوْمَ أَمْرِهِ أَنْ يَجْلَدَ، فَتَزَعَهَا عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عُبَيْدِ الطَّنَافِسِيِّ، عَنْ أَبِي عَبِيدَةَ الْإِيَادِيِّ، قَالَ: خَرَجَ أَبُو زَيْنَبُ وَأَبُو مَوْرَعُ حَتَّى دَخَلَا عَلَى الْوَلِيدِ بَيْتَهُ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتَانِ: بِنْتُ ذِي الْخِمَارِ وَبِنْتُ أَبِي عَقِيلٍ: وَهُونَائِمُ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا: فَأَكْبَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا فَأَخَذَ خَاتَمَهُ، فَسَأَلَهُمَا حِينَ اسْتَقِظَ، فَقَالَتَا: مَا أَخَذْنَاهُ، قَالَ: مَنْ بَقِيَ آخِرَ الْقَوْمِ؟ قَالَتَا: رَجُلَانِ؛ رَجُلٌ قَصِيرٌ عَلَيْهِ خَمِيصَةٌ، وَرَجُلٌ طَوِيلٌ عَلَيْهِ مُطْرَفٌ، وَرَأَيْنَا صَاحِبَ الْخَمِيصَةِ أَكْبَ عَلَيْكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبُو زَيْنَبُ. فَخَرَجَ يَطْلُبُهُمَا، فَإِذَا هُوَ وَجْهُهُمَا عَنْ مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِ لَهَا؛ وَلَا يَدْرِي الْوَلِيدَ مَا أَرَادَا مِنْ ذَلِكَ. فَقَدِمَا عَلَى عَثْمَانَ، فَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْوَلِيدِ، فَقَدِمَ، فَإِذَا هُوَ بِهِمَا. وَدَعَا بِهِمَا عَثْمَانُ، فَقَالَ: بِمِ تَشْهَدَانِ؟ أَتَشْهَدَانِ أَنَّكُمَا رَأَيْتُمَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ فَقَالَا: لَا، وَخَافَا، قَالَ: فَكَيْفَ؟ قَالَا: اعْتَصَرْنَاهَا مِنْ لَحِيَّتِهِ وَهُوَ يَقِيءُ الْخَمْرَ. فَأَمَرَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَجَلَدَهُ، فَأُورِثَ ذَلِكَ عِدَاوَةً بَيْنَ أَهْلِيهِمَا.

وَكُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي الْعَرِيفِ وَيَزِيدَ الْفَقْعَسِيِّ، قَالَا: كَانَ

الناس في الوليد فرقتين: العامة معه والخاصة عليه؛ فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كانت صفتين، فولى معاوية، فجعلوا يقولون: عيب عثمان بالباطل، فقال لهم علي عليه السلام: إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردّفه، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله، وعزله عن عمله! وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا!

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن كريب، عن نافع بن جبير، قال: قال عثمان رضي الله عنه: إذا جلد الرجل الحدّ ثم ظهرت توبته جازت شهادته.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي كبران، عن مولاة لهم - وأثنى عليها خيراً - قالت: كان الوليد أدخل على الناس خيراً، حتى جعل يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجّع عليه الأحرار والمماليك، كان يسمع الولائد وعليهنّ الحداد يقلنّ:

يَا وَيْلَتَا قَدْ عُزِلَ الْوَلِيدُ وَجَاءَنَا مُجُوعاً سَعِيدُ
يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ فَجُوعَ الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدُ

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، قال: كان الناس يقولون حين عزل الوليد وأمر سعيد:

لَا يَبْعِدِ الْمُلْكُ إِذْ وَلَّتْ شَمَائِلُهُ وَلَا الرِّيَاسَةُ لِمَا رَأَسَ كُتَابُ

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قال: قدّم سعيد بن العاص في سنة سبع من إمارة عثمان، وكان سعيد بن العاص بقية العاص بن أمية، وكان أهله كثيراً تتابعوا، فلما فتح الله الشام قدمها، فأقام مع معاوية، وكان يتباً نشأ في حجر عثمان، فتذكر عمر قريشاً، وسأل عنه فيها يتفقد من أمور الناس، فقليل: يا أمير المؤمنين، هو بدمشق، عهد العاهد به وهو مأموم بالموت. فأرسل إلى معاوية: أن ابعث إليّ سعيد بن العاص في منقل، فبعث به إليه وهو ديف، فما بلغ المدينة حتى أفاق، فقال: يابن أخي؛ قد بلغني عنك بلاء وصلاح، فازدد يزدك الله خيراً. وقال: هل لك من زوجة؟ قال: لا؛ قال: يا أبا عمرو، ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوجته؟ قال: قد عرضت عليه فأبى، فخرج يسير في البرّ، فانتهى إلى ماء، فلقني عليه أربع نسوة، فقمّن له، فقال: مالكنّ؟ ومن أنتنّ؟ فقلنّ: بنات سفيان بن عوف - ومعهن أمهّن - فقالت: أمهّن: هلك رجالنا، وإذا هلك الرجال ضاع النساء، فضعهنّ في أكفائهنّ، فزوّج سعيداً إحداهنّ وعبد الرحمن بن عوف الأخرى، والوليد بن عتبة الثالثة؛ وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشليّ، فقلنّ: قد هلك رجالنا، وبقي الصبيان، فضعنّا في أكفائنا، فزوّج سعيداً إحداهنّ، وجبير بن مطعم إحداهنّ، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء، وقد كان عمومته ذوي بلاء في الإسلام، وسابقة حسنة، وقُدّمة مع رسول الله ﷺ؛ فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس.

فقدّم سعيد الكوفة في خلافة عثمان أميراً، وخرج معه من مكة - أو المدينة - الأشتر وأبو حشّة الغفاريّ وجندب بن عبد الله وأبو مُصعب بن جثّامة - وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيونه، فرجعوا مع هذا - فصعد سعيد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره؛ ولكني لم أجد بداً إذ أمرت أن

أُثْمِرَ. أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ أَطْلَعْتَ خَطْمَهَا وَعَيْنَيْهَا؛ وَوَاللَّهِ لِأَضْرِبَنَّ وَجْهَهَا حَتَّى أَقْمَعَهَا أَوْ تُعَيِّنِي؛ وَإِنِّي لَرَأَيْتُ نَفْسِي الْيَوْمَ. وَنَزَلَ. وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَأَقِيمَ عَلَى حَالِ أَهْلِهَا.

فَكُتِبَ إِلَى عَثْمَانَ بِالَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ: إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ اضْطَرَبَ أَمْرُهُمْ، وَغُلِبَ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْهُمْ وَالْبُيُوتَاتُ وَالسَّابِقَةُ وَالْقُدَمَةُ؛ وَالْغَالِبُ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ رَوَادِفُ رَدْفَتِ، وَأَعْرَابُ لَحَقَتْ؛ حَتَّى مَا يُنْظَرُ إِلَى ذِي شَرَفٍ وَلَا بِلَاءٍ مِنْ نَازِلَتِهَا وَلَا نَابَتِهَا.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَثْمَانُ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَفَضَّلْ أَهْلَ السَّابِقَةِ وَالْقُدَمَةَ مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْبِلَادَ، وَلِيَكُنْ مَنْ نَزَلَهَا بِسَبَبِهِمْ تَبْعاً لَهُمْ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا تَثَاقُلُوا عَنِ الْحَقِّ، وَتَرَكُوا الْقِيَامَ بِهِ وَقَامَ بِهِ هَؤُلَاءِ. وَاحْفَظْ لِكُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَأَعْطِهِمْ جَمِيعاً بِقِسْطِهِمْ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِالنَّاسِ بِهَا يَصَابُ الْعَدْلُ.

فَأَرْسَلَ سَعِيدٌ إِلَى وَجْهِ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْأَيَّامِ وَالْقَادِسِيَّةِ، فَقَالَ: أَنْتُمْ وَجُوهٌ مِنْ وَرَاءِكُمْ، وَالْوَجْهَ يَنْبِئُ عَنْ الْجَسَدِ؛ فَأَبْلَغُونَا حَاجَةَ ذِي الْحَاجَةِ وَخَلَّةَ ذِي الْخَلَّةِ. وَأَدْخَلَ مَعَهُمْ مَنْ يَحْتَمِلُ مِنَ اللَّوَاخِقِ وَالرَّوَادِفِ؛ وَخَلَّصَ بِالْقِرَاءِ وَالْمُتَسَمِّتِينَ فِي سَمَرِهِ، فَكَأَنَّمَا كَانَتِ الْكُوفَةُ يُسَأُّ شَمْلَتَهُ نَارٌ؛ فَانْقَطَعَ إِلَى ذَلِكَ الضَّرْبِ ضَرْبُهُمْ، وَفُشَّتِ الْقَالَةُ وَالْإِذَاعَةُ.

فَكُتِبَ سَعِيدٌ إِلَى عَثْمَانَ بِذَلِكَ، فَنَادَى مُنَادِي عَثْمَانُ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ! فَاجْتَمِعُوا، فَأَخْبَرَهُم بِالَّذِي كُتِبَ بِهِ إِلَى سَعِيدٍ، وَبِالَّذِي كُتِبَ بِهِ إِلَيْهِ فِيهِمْ؛ وَبِالَّذِي جَاءَهُ مِنَ الْقَالَةِ وَالْإِذَاعَةِ، فَقَالُوا: أَصَبْتَ فَلَا تُسَعِّفُهُمْ فِي ذَلِكَ؛ وَلَا تُطْعِمُهُمْ فِيمَا لَيْسُوا لَهُ بِأَهْلٍ، فَإِنَّهُ إِذَا نَهَضَ فِي الْأُمُورِ مَنْ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ لَمْ يَحْتَمِلْهَا وَأَفْسَدَهَا.

فَقَالَ عَثْمَانُ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ اسْتَعِدُّوا وَاسْتَمْسِكُوا، فَقَدْ دَبَّتْ إِلَيْكُمُ الْفِتْنَةُ.

وَنَزَلَ. فَأَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ، وَتَمَثَّلَ مِثْلَهُ وَمَثَلَ هَذَا الضَّرْبِ الَّذِينَ شَرَعُوا فِي الْخِلَافِ:

أَبْنِي عُيَيْدٍ قَدْ أَتَى أَشْيَاعَكُمْ عَنْكُمْ مَقَالَتُكُمْ وَشِعْرُ الشَّاعِرِ
فَإِذَا أَتَتْكُمْ هَذِهِ فَتَلَبَّسُوا إِنَّ الرَّمَاخَ بِصِيرَةٍ بِالْحَاسِرِ

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ: كَانَ عَثْمَانُ أَرَوَى النَّاسِ لِلْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ إِلَى الْخُمْسَةِ.

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي: إِنَّ عَثْمَانَ جَمَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ؛ إِنَّ النَّاسَ يَتَمَخَّضُونَ بِالْفِتْنَةِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَتَخَلَّصَنَّ لَكُمْ الَّذِي لَكُمْ حَتَّى أَنْقِلَهُ إِلَيْكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ؛ فَهَلْ تَرَوْنَهُ حَتَّى يَأْتِيَ مَنْ شَهِدَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْفَتْوحَ فِيهِ؛ فَيُقِيمَ مَعَهُ فِي بِلَادِهِ؟ فَقَامَ أَوْلَئِكَ، وَقَالُوا: كَيْفَ تَنْقُلُ لَنَا مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ الْأَرْضِينَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: نَبِيعُهَا مَنْ شَاءَ بِمَا كَانَ لَهُ بِالْحِجَازِ. فَفَرَحُوا وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ أَمراً لَمْ يَكُنْ فِي حَسَابِهِمْ؛ فَافْتَرَقُوا وَقَدْ فَرَّجَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ بِهِ. وَكَانَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قَدْ اسْتَجْمَعَ لَهُ عَامَّةُ سُهْمَانَ خَيْرٍ إِلَى مَا كَانَ لَهُ سِوَى ذَلِكَ، فَاشْتَرَى طَلْحَةُ مِنْهُ مِنْ نَصِيبِ مَنْ شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَالْمَدَائِنَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَنْ أَقَامَ وَلَمْ يَهَاجِرْ إِلَى الْعِرَاقِ النَّشَاسْتِجَ بِمَا كَانَ لَهُ بِخَبِيرٍ وَغَيْرِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَمْوَالِ، وَاشْتَرَى مِنْهُ بَبْثَرُ أَرِيسَ شَيْئاً كَانَ لِعَثْمَانَ بِالْعِرَاقِ، وَاشْتَرَى مِنْهُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِمَا كَانَ لَهُ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ عَثْمَانُ نَهْرَ مَرْوَانَ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَجْمَةٌ - وَاشْتَرَى مِنْهُ رِجَالَ مِنَ الْقَبَائِلِ

بالعراق بأموال كانت لهم في جزيرة العرب من أهل المدينة ومكة والطائف واليمن وحضرموت؛ فكان مما اشترى منه الأشعث بمالٍ كان له في حضرموت ما كان له بطيز ناباذ. وكتب عثمان إلى أهل الآفاق في ذلك وبعده جربان الفيء، والفيء الذي يتداعاه أهل الأمصار، فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصرو ومن تابعهم من أهل بلادهم. فأجل عنه، فأتاهم شيء عرفوه. وأخذ بقدر عدة من شهدها من أهل المدينة، وبقدر نصيبهم، وضم ذلك إليهم، فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكة واليمن وحضرموت، يرد على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة مثل ذلك، إلا أنها قالوا: اشترى هذا الضرب رجال من كل قبيلة ممن كان له هنالك شيء؛ فأراد أن يستبدل به فيما يليه، فأخذوا، وجاز لهم عن تراض منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق؛ إلا أن الذين لا سابقة لهم ولا قدمة لا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقدمة في المجالس والرياسة والحظوة، ثم كانوا يعيبون التفضيل، ويجعلونه جفوة، وهم في ذلك يخشون به ولا يكادون يظهره، لأنه لا حجة لهم والناس عليهم، فكان إذا لحق بهم لاجئ من ناشئ أو أعرابي أو محرر استحل كلامهم؛ فكانوا في زيادة، وكان الناس في نقصان حتى غلب الشر.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: صُرف حذيفة عن غزو الرّي إلى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذربيجان. وكذلك كانوا يصنعون، يجعلون للناس رداءً - فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - سقط خاتم رسول الله ﷺ من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة، وكانت من أقل الآبار ماء، فما أدرك حتى الساعة قعرها.

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر أريس

حدثني محمد بن موسى الحرشي، قال: حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز، قال: وكان شريك يونس بن عبيد قال: حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتباً يدعوهم إلى الله عز وجل؛ فقال له رجل: يا رسول الله؛ إنهم لا يقبلون كتاباً إلا محتوماً، فأمر رسول الله ﷺ أن يعمل له خاتم من حديد، فجعله في إصبعه، فأتاه جبريل، فقال له: انبذه من إصبعك، فنبذه رسول الله ﷺ من إصبعه، وأمر بخاتم آخر يعمل له، فعمل له خاتم من نحاس، فجعله في إصبعه، فقال له جبريل عليه السلام: انبذه من إصبعك، فنبذه رسول الله ﷺ من إصبعه، وأمر رسول الله ﷺ بخاتم من ورق، فصنع له خاتم من ورق فجعله في إصبعه، فأقره جبريل، وأمر أن ينقش عليه: «محمد رسول الله»، فجعل يتختم به، ويكتب إلى من أراد أن يكتب إليه من الأعاجم، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر. فكتب كتاباً إلى كسرى بن هرمز، فبعثه مع عمر بن الخطاب، فأق به عمر كسرى فقرأ الكتاب، فلم يلتفت إلى كتابه، فقال عمر: يا رسول الله، جعلني الله فداك! أنت على سرير مرمول بالليف، وكسرى بن هرمز على سرير من ذهب، وعليه الديباج! فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة!». فقال: جعلني الله فداك! قد رضيت.

وكتب كتاباً آخر، فبعث به مع دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم يدعو إلى الإسلام، فقرأه

وضمه إليه، ووضعه عنده؛ فكان الخاتم في إصبع رسول الله ﷺ يتختم به حتى قبضه الله عز وجل، ثم ولي عمر بن الخطاب بعد فجعل يتختم به حتى قبضه الله، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان، فتختم به ست سنين، فحفر بئراً بالمدينة شرباً للمسلمين، فقع على رأس البئر، فجعل يعبث بالخاتم، ويديره بإصبعه، فانسل الخاتم من إصبعه فوقع في البئر، فطلبوه في البئر، ونزحوا ما فيها من الماء، فلم يقدروا عليه، فجعل فيه مالا عظيماً لمن جاء به، واغتم لذلك غمماً شديداً، فلما يش من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله، خلقه من فضة، على مثاله وشبهه، ونقش عليه: « محمد رسول الله »؛ فجعله في إصبعه حتى هلك؛ فلما قتل ذهب الخاتم من يده فلم يُدر من أخذه.

أخبار أبي ذرّ رحمه الله تعالى

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها.

فأما العاذرون معاوية في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب إليّ بها السري، يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذرّ، فقال: يا أبا ذرّ، ألا تعجب إلى معاوية، يقول: المال مال الله! ألا إن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجّمه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذرّ، فقال: ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله! قال: يرحمك الله يا أبا ذرّ؛ ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره! قال: فلا تقله، قال: فإني لا أقول: إنه ليس لله، ولكن سأقول: مال المسلمين.

قال: وأق ابن السوداء أبا الدرداء، فقال له: من أنت؟ أظنك والله يهودياً! فأق عبادة بن الصامت فتعلق به، فأق به معاوية، فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ؛ وقام أبو ذرّ بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء، واسوا الفقراء. بُشّر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الأغنياء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس.

فكتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذرّ قد أعضل بي، وقد كان من أمره كيت وكيت. فكتب إليه عثمان: إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها فلم يبق إلا أن تثب، فلا تنكأ القرح، وجهز أبا ذرّ إليّ، وابعث معه دليلاً وزوده، وارفق به، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت؛ فإنك تمسك ما استمسكت. فبعث بأبي ذرّ ومعه دليل؛ فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع، قال: بشّر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكّار.

ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذرّ، ما لأهل الشام يشكون ذربك! فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال: مال الله ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا. فقال: يا أبا ذرّ؛ عليّ أن أقضي ما عليّ، وأخذ ما على الرعية، ولا أجبرهم على الزهد، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد.

قال: فتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار؟ فقال: أو تستبدل بها إلا شراً منها! قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً؛ قال: فانفذ لما أمرك به. قال: فخرج حتى نزل الرّبدة، فخطّ

بها مسجداً، وأقطعته عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين، وأرسل إليه، أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابياً؛ ففعل.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عون، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أبوذر يختلف من الربة إلى المدينة مخافة الأعرابية، وكان يحب الوحدة والخلة. فدخل على عثمان، وعنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف؛ وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان، ويصل القربات. فقال كعب: من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه. فرفع أبوذر محجته فضربه فشجه، فاستوبه عثمان، فوهبه له، وقال: يا أباذر، اتق الله واكفف يدك ولسانك، وقد كان قال له: يا بن اليهودية، ما أنت وما ها هنا! والله لتسمعن مني أو لأدخل عليك.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الأشعث بن سوار، عن محمد بن سيرين، قال: خرج أبوذر إلى الربة من قبل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع له، وأخرج معاوية أهله من بعده، فخرجوا إليه ومعهم جراب يثقل يد الرجل، فقال: انظروا إلى هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده! فقالت امرأته: أما والله ما فيه دينار ولا درهم، ولكنها فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا.

ولما نزل أبوذر الربة أقيمت الصلاة، وعليها رجل يلي الصدقة، فقال: تقدم يا أباذر، فقال: لا، تقدم أنت، فإن رسول الله ﷺ قال لي: «اسمع وأطع»، وإن كان عليك عبد مجذع، فأنت عبد ولست بأجدع - وكان من رقيق الصدقة؛ وكان أسود يقال له مجاشع.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن جابر، قال: أجرى عثمان على أبي ذر كل يوم عظماً، وعلى رافع بن خديج مثله، وكانا قد تنحيا عن المدينة لشيء سمعاه لم يفسر لهما، وأبصرا وقد أخطئا.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سودة، عن عاصم بن كليب، عن سلمة بن نباتة، قال: خرجنا معتمرين، فأتينا الربة، فطلبنا أبا ذر في منزله، فلم نجده، وقالوا: ذهب إلى الماء. فتنحينا، ونزلنا قريباً من منزله، فمرّ ومعه عظم جزور يحمله معه غلام، فسلم ثم مضى حتى أتى منزله، فلم يمكث إلا قليلاً حتى جاء، فجلس إلينا وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «اسمع وأطع» وإن كان عليك حبشي مجذع، فنزلت هذا الماء وعليه رقيق من رقيق مال الله، وعليهم حبشي - وليس بأجدع، وهو ما علمت، وأثنى عليه - ولهم في كل يوم جزور؛ ولي منها عظم آكله أنا وعيالي. قلت: مالك من المال؟ قال: صرمة من الغنم وقطيع من الإبل، في أحدهما غلامي وفي الآخر أمي، وغلامي حرّ إلى رأس السنة. قلت: إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالاً، قال: أما إنهم ليس لهم في مال الله حق إلا ولي مثله.

وأما الآخرون، فإنهم رَوْوا في سبب ذلك أشياء كثيرة، وأموراً شنيعة، كرهت ذكرها.

وفي هذه السنة، هرب يزْدَجْرْد بن شهريار في قول بعضهم من فارس إلى خراسان.

ذكر من قال ذلك وما قال فيه:

ذكر علي بن محمد أن مسلمة أخبره عن داود، قال: قدم ابن عامر البصرة، ثم خرج إلى فارس فافتتحها،

وهرب يَزْدَجَرْد من جُوز - وهي أردشير خُرّه - في سنة ثلاثين . فوجه ابنُ عامر في أثره مجاشع بن مسعود السُّلمي ، فأتبعه إلى كَرْمَان ، فنزل مجاشع السَّيرجان بالعسكر ، وهرب يَزْدَجَرْد إلى خُراسان . قال : وعبدُ القيس تقول : وجه ابنُ عامر هرم بن حَيَّان العبديّ ، وبكر بن وائل تقول : وجه ابنُ حسان اليشكريّ . قال : وأصحّه عندنا مجاشع .

قال عليّ : وأخبرنا سلّمة بن عثمان - وكان فاضلاً - عن شيخ من أهل كَرْمَان والفضل الكرمانيّ ، عن أبيه ، قال : أتبع مجاشع يَزْدَجَرْد فخرج من السَّيرجان ، فلما كان عند القصر في يَمَند - وهو الذي يقال له قصر مجاشع - أصابهم الثلج والدَّمَق ، فوقع الثلج ، واشتدَّ البرد ، وصار الثلج قامة رُمَح ، فهلك الجند ، وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية ، فشقَّ بطن بعير ، فأدخلها فيه وهرب ؛ فلما كان من الغد ، جاء فوجدها حيّة فحملها ، فسَمِّيَ ذلك القصر قصر مجاشع ؛ لأن جيشه هلكوا فيه ؛ وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السَّيرجان .

قال عليّ : أخبرنا أبو المقدام ، عن بعض مشيخته ، قال : خرج مجاشع على وفد أهل البصرة من تُسْتَر - وفيهم الأحنف - وأخذ في غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفاً ، سبق على الصّفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء ، فأخذها منه عمر حين قاسم عمّاله الأموال .

قال عليّ : فقلت للنضر بن إسحاق : إنّ أبا المقدام ذكر هذا الحديث ! فقال : صدق ، سمعته من عدّة من الحيّ وغيرهم ، وفرسه الصّفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء . وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائذ بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سَمّال بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سُليم . ويكنّى أبا سليمان .

قال : وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزّوراء ، وصلى بمَنَى أربعاً .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عثمان رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمما كان فيها من ذلك غزوة المسلمين الروم التي يقال لها :

غزوة الصواري

في قول الواقدي . فأما أبو معشر فإنه قال فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين ، وقال : كانت في سنة إحدى وثلاثين الأساودة في البحر ووقائع كسرى .

وقال الواقدي : غزوة الصواري والأساودة كلتاها كانتا في سنة إحدى وثلاثين .

ذكر الخبر عن هاتين الغزوتين :

ذكر الواقدي أن محمد بن صالح حدثه ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أهل الشام خرجوا ؛ عليهم معاوية بن أبي سفيان ، وكانت الشام قد جمع جمعها لمعاوية بن أبي سفيان .

ذكر السبب في جمعها له :

كتب إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك والربيع وأبي مجالد وأبي عثمان وأبي حارثة ، قالوا : لما حضر أبو عبيدة استخلف على عمله عياض بن غنم - وهو خاله وابن عمه - وقد كان وليّ بالجزيرة عملاً ، فعزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ فلحق بأبي عبيدة بالشام ؛ وكان معه ؛ وكان جواداً مشهوراً بالجوّد ، لا يليق شيئاً ، ولا يمنع أحداً . فكلم عمر في ذلك ، فقبل له : عزلت خالداً وعتبت عليه العطاء ، وعياض أجود العرب وأعطاهم ؛ لا يمنع شيئاً يسأله ؛ فقال عمر : متى سيمه عياض في ماله حتى يخلص إلى مالنا ! وإني مع ذلك لم أكن مغيراً أمراً قضاه أبو عبيدة . ومات عياض بن غنم بعد أبي عبيدة ، فأمر عمر على عمله سعيد بن جذيم الجمحي ، ومات سعيد بعد ؛ فأمر عمر مكانه عمير بن سعد الأنصاري ؛ ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن ، وعمير بن سعد على حمص وقنسرين ؛ وإنما مصر قنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقين ومات يزيد بن أبي سفيان ، فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبي سفيان ، فقال : من جعلت على عمله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : معاوية ، فقال : وصلتك رحم ؛ فاجتمعت لمعاوية الأردن ودمشق ؛ ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن وعمير بن سعد على حمص وقنسرين ، وعلقمة بن مجرر على فلسطين وعمرو بن العاص على مصر .

وكتب إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر ، عن سالم ، قال : كان أول عامل استعمله عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن وصية عمر . ثم إن عمير بن سعد طعن فأضنى منها ، فاستعفى عثمان

واستأذنه في الرجوع إلى أهله؛ فأذن له؛ وضمَّ حمص وقنسرين إلى معاوية.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، عن خالد بن معدان؛ قال: لما ولي عثمان أقرَّ عمال عمر على الشام؛ فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكناي - وكان على فلسطين - ضمَّ عمله إلى معاوية، ومرض عُمير بن سعد في إمارة عثمان مرضاً طال به، فاستعفاه واستأذنه فأذن له، وضمَّ عمله إلى معاوية؛ فاجتمع الشام على معاوية لستين من إمارة عثمان. وكان عمرو بن العاص على مصر زمان عمر، مجتمعةً له، فأقرَّه عثمان صَدرًا من إمارته.

رجع الحديث إلى حديث الواقدي عن خبر الغزوتين اللتين ذكرتهما:

إنَّ أهل الشام خرجوا، عليهم معاوية بن أبي سفيان؛ وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وقال: وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية، فخرجوا في جمْعٍ لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام، فخرجوا في خمسمائة مركب؛ فالتقوا هم وعبد الله بن سعد، فأمن بعضهم بعضاً حتى قنونا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواربها.

قال ابن عمر: حدَّثني عيسى بن علقمة، عن عبد الله بن أبي سفيان، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان، قال: كنت معهم، فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلاًها قط؛ وكانت الريح علينا، فأرسلنا ساعة، وأرسلوا قريباً منا؛ وسكنت الريح عنا، فقلنا: الأمن بيننا وبينكم. قالوا: ذلك لكم ولنا منكم، ثم قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم؛ وإن شئتم فالبحر. قال: فنخروا نخرة واحدة، وقالوا: الماء؛ فدنونا منهم؛ فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنّا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم، فقاتلنا أشدَّ القتال، ووثبت الرجال يضطربون بالسيوف على السفن، ويتواجهون بالخنجر، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاباً.

قال ابن عمر: فحدَّثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن حمّان ذلك اليوم، قال: رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج؛ وإنَّ عليه مثل الطَّرب العظيم من جثث الرجال، وإنَّ الدم لغالب على الماء، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير، وقُتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط [مثله]. ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام، وانهزم القسطنطين مدبراً، فما انكشف إلّا لما أصابه من القتل والجراح؛ ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حيناً جريحاً.

قال ابن عمر: حدَّثني مولى أمِّ محمد، عن خالد بن أبي عمران، عن حنَّش بن عبد الله الصنعاني، قال: كان أول ما سَمِع من محمد بن أبي حذيفة حين ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين، لما صلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالناس العصر، كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما انصرف سأل: ما هذا؟ فقليل له: هذا محمد بن أبي حذيفة يكبر، فدعاه عبد الله بن سعد، فقال له: ما هذه البدعة والحديث؟ فقال له: ما هذه بدعة ولا حديث؛ وما بالتكبير بأس، قال: لا تعودن.

قال: فأسكت محمد بن أبي حذيفة، فلما صلى المغرب عبد الله بن سعد كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً أرفع من الأول، فأرسل إليه: إنك غلام أحق؛ أما والله لولا أني لا أدري ما يُوافق أمير المؤمنين لقاربت بين

خَطُّوكَ . فقال محمد بن أبي حذيفة : والله ما لَكَ إلى ذلك سبيل ؛ ولو هممتَ به ما قدرتَ عليه . قال : فَكُفَّ خَيْرٌ لَكَ ؛ والله لا تركبُ معنا ، قال : فَأَرْكَبُ مع المسلمين ؟ قال : اركبْ حيث شئتَ . قال : فركب في مركبٍ وحده ما معه إلا القبط ؛ حتى بلغوا ذات الصواري ؛ فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل ، فقال : أشيروا عليّ ، قالوا : ننظر الليلة ، فباتوا يضربون بالنواقيس ، وبات المسلمون يصلّون ويدعون الله .

ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل ، فقرّبوا سفنهم ، وقرّب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض ، وصفت عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن ، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ، ويأمرهم بالصبر ، ووثبت الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها ؛ فكانوا يقاتلون على غير صفوف . قال : فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إنّ الله نصر المؤمنين ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد .

قال : وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم ؛ ثم أقبل راجعاً ؛ وجعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل : أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقاً ، فيقول الرجل : وأيّ جهاد ؟ فيقول : عثمان بن عفان فعل كذا وكذا ، وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس . فقدموا بلدهم وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به .

قال محمد بن عمر : فحدثني معمر بن راشد ، عن الزُّهريّ ، قال : خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عامَ خرج عبد الله بن سعد ، فأظهرا عيب عثمان وما غيرَ وما خالف به أبا بكر وعمر ؛ وأنّ دم عثمان حلال . ويقولان : استعمل عبد الله بن سعد ؛ رجلاً كان رسول الله ﷺ أباح دمه ونزل القرآن بكفره ، وأخرج رسول الله ﷺ قوماً وأدخلهم ، ونزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر . فبلغ ذلك عبد الله بن سعد ، فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو ؛ وكانا أكَلَ المسلمين قتالا ، فقيل لهما في ذلك ، فقالا : كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه ! عبد الله بن سعد استعمله عثمان ، وعثمان فعل وفعل ؛ فأفسدا أهل تلك الغزاة ، وعابا عثمان أشدَّ العيب . فأرسل عبد الله بن سعد إليهما ينهما أشدَّ النهي ، وقال : والله لولا أي لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما .

قال الواقديّ : وفي هذه السنة تُوفِّي أبو سفيان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين - فتحت في قول الواقديّ أرمينية على يديّ حبيب بن مسلمة الفهريّ .

وفي هذه السنة قُتِلَ يزيدجرد ملك فارس .

ذكر الخبر عن سبب مقتله :

اختلف في سبب مقتله ؛ وكيف كان ذلك ؛ فقال عليّ بن محمد : أخبرنا غياث بن إبراهيم ، عن ابن إسحاق ، قال : هرب يزيدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو ، فسأل مرزبانها مالاً فمنعه ، فخافوا على أنفسهم ، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه ، فأتوه فيبتهوه ، فقتلوا أصحابه ، وهرب يزيدجرد حتى أتى منزلاً

رجل ينقر الأرحاء على شطّ المرغاب، فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله.

قال عليّ: وأخبرنا الهذليّ، قال: أتى يزّجرد مرّو هارباً من كرّمان، فسأل مرزبانها وأهلها مالاً، فمنعوه وخافوه، فبيّتوه ولم يستجيشوا عليه الترك، فقتلوا أصحابه، وخرج هارباً على رجلية، معه منطقته وسيفه وتاجه؛ حتى انتهى إلى منزل نقّار على شطّ المرغاب، فلما غفل يزّجرد قتله النّقّار، وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب، وأصبح أهل مرّو فاتّبِعوا أثره، حتى خفيّ عليهم عند منزل النّقّار، فأخذوه، فأقرّ لهم بقتله وأخرج متاعه؛ فقتلوا النّقّار وأهل بيته، وأخذوا متاعه ومتاع يزّجرد، وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب.

قال: فرغم بعضهم أنهم حملوه إلى إصطخر فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين، وسمّيت مرّو «خذاه دُشْمَن»، وقد كان يزّجرد وطيء امرأة بها فولدت له غلاماً ذاهب الشقّ - وذلك بعد ما قتل يزّجرد - فسمى المخذج، فولد له أولاد بخراسان، فوجد قُتيبة حين افتتح الصُغد أو غيرها جاريّتين فقيل له: إنهما من ولّد المخذج، فبعث بهما - أو بإحدهما - إلى الحجّاج بن يوسف، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص.

قال عليّ: وأخبرنا رُوح بن عبد الله، عن خُرّداذه الرازيّ؛ أنّ يزّجرد أتى خُراسان ومعه خُرّزاد مهر، أخورستّم، فقال لماهويه مرزبان مرّو: إني قد سلّمت إليك الملك. ثم انصرف إلى العراق وأقام يزّجرد بمرو، وهم بعزل ماهويه، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانضمام يزّجرد وبقدومه عليه، وعاهدهم على مؤازرتهم عليه، وخلّى لهم الطريق.

قال: وأقبل الترك إلى مرّو، وخرج إليهم يزّجرد فيمن معه من أصحابه، فقاتلهم ومعه ماهويه في أساورة مرّو، فأثنى يزّجرد في الترك، فخشى ماهويه أن ينهزم الترك، فتحول إليهم في أساورة مرّو، فانهزم جند يزّجرد وقيلوا، وعُقر فرس يزّجرد عند المساء، فمضى ماشياً هارباً حتى انتهى إلى بيت فيه رحاً على شطّ المرغاب، فمكث فيه ليلتين، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه، فلما أصبح اليوم الثاني دخل صاحب الرّحا بيته، فلما رأى هيئة يزّجرد قال: ما أنت؟ إنسيّ أوجنيّ! قال: إنسيّ؛ فهل عندك طعام؟ قال: نعم، فأتاه به، فقال: إني مُزْمَمٌ فأتني بما أزمزم به، فذهب الطحان إلى إسوار من الأساورة، فطلب منه ما يزمزم به، قال: وما تصنع به؟ قال: عندي رجل لم أر مثله قطّ؛ وقد طلب هذا مني. فأدخله على ماهويه، فقال: هذا يزّجرد، اذهبوا فجيئوني برأسه، فقال له المؤبّد: ليس ذلك لك، قد علمت أنّ الدّين والمُلْك مقتَرنان لا يستقيم أحدهما إلّا بالآخر، ومتى فعلت انتهكت الحرّمة التي لا بعدها. وتكلم الناس وأعظموا ذلك، فشتمهم ماهويه، وقال للأساورة: مَنْ تكلم فاقتلوه. وأمر عدّة فذهبوا مع الطّحان، وأمرهم أن يقتلوا يزّجرد، فانطلقوا فلما رأوه كرهوا قتله، وتدافعوا ذلك وقالوا للطّحان، ادخل فاقتله، فدخل عليه وهونائم ومعه حجر فشدخ به رأسه، ثم احتزّ رأسه، فدفعه إليهم، وألقى جسده في المرغاب. فخرج قوم من أهل مرّو، فقتلوا الطّحان، وهدموا رِحاءه، وخرج أسقّف مرّو، فأخرج جسد يزّجرد من المرغاب، فجعله في تابوت، وحمله إلى إصطخر، فوضعه في ناووس.

وقال آخرون في ذلك ما ذكر هشام بن محمد؛ أنه ذُكر له أن يزّجرد هرب بعد وقعة نهاوند، وكانت آخر

وقعاتهم حتى سقط إلى أرض أصبهان، وبها رجل يقال له مطيار من دهاقينها - وهو المنتدب كان لقتال العرب حين نكلت الأعاجم عنها - فدعاهم إلى نفسه، فقال: إن وليت أموركم وسرت بكم إليهم ما تجعلون لي؟ فقالوا: نُقرّ لك بفضلك. فسار بهم، فأصاب من العرب شيئاً يسيراً، فحظي به عندهم، ونال به أفضل الدرجات فيهم. فلما رأى يزّجرد أمر أصبهان ونزلها، أتاه مطيار ذات يوم زائراً، فحجبه بوابه، وقال له: قف حتى أستاذن لك عليه، فوثب عليه فشجّه أنفّه وحميّة لحجبه إياه، ودخل البواب على يزّجرد مدّمي، فلما نظر إليه أفضّعه ذلك، وركب من ساعته مرتحلاً عن أصبهان، وأشير عليه أن يأتي أقصى مملكته فيكون بها، لا اشتغال العرب عنه بما هم فيه إلى يوم. فسار متوجّهاً إلى ناحية الرّي، فلما قدمها خرج إليه صاحب طبرستان، وعرض عليه بلاده، وأخبره بحصانتها، وقال له: إن أنت لم تجبني يومك هذا ثم أتيتني بعد ذلك لم أقبلك ولم أوك؛ فأتى عليه يزّجرد، وكتب له بالأصبهنيّة، وكان له فيما خلا عليه درجة أوضع منها.

وقال بعضهم: إن يزّجرد مضى من فوره ذلك إلى سجستان، ثم سار منها إلى مرو في ألف رجل من الأساورة.

وقال: بعضهم: إن يزّجرد وقع إلى أرض فارس، فأقام بها أربع سنين، ثم أتى أرض كرمان، فأقام بها سنتين أو ثلاث سنين؛ فطلب إليه ديهقان كرمان أن يقيم عنده، فلم يفعل؛ وطلب من الدهقان أن يعطيه رهينة، فلم يعطه ديهقان كرمان شيئاً، فلم يعطه ما طلب، فأخذ برجله فسحبه وطرده عن بلاده؛ فوقع منها إلى سجستان، فأقام بها نحواً من خمس سنين. ثم أجمع أن ينزل خراسان فيجمع الجموع فيها ويسير بهم إلى من غلبه على مملكته، فسار بمن معه إلى مرو، ومعه الرهن من أولاد الدهاقين، ومعه من رؤسائهم فرخزاد، فلما قدم مرو استغاث منهم بالملوك، وكتب إليهم يستمدّهم، وإلى صاحب الصين وملك قرغانة وملك كابل وملك الخزر والدهقان يومئذ بمرو ماهويه بن مافناه بن فيد أبو براز. ووكل ماهويه ابنه براز مدينة مرو - وكانت إليه - وأراد يزّجرد دخول المدينة لينظر إليها وإلى قهّندزها - وكان ماهويه قد تقدّم إلى ابنه ألا يفتحها له إن رام دخولها تحوفاً لمكره وغدره - فركب يزّجرد في اليوم الذي أراد دخولها، فأطاف بالمدينة، فلما انتهى إلى باب من أبوابها، وأراد دخولها منه صاح أبو براز ببراز: أن افتح - وهو في ذلك يشدّ منطقتة، ويومئء إليه ألا يفعل - وفطن لذلك رجل من أصحاب يزّجرد، فأعلمه ذلك، واستأذنه في ضرب عنق ماهويه، وقال: إن فعلت صفت لك الأمور بهذه الناحية؛ فأبى عليه.

وقال بعضهم: بل كان يزّجرد ولّى مرو فرخزاد، وأمر براز أن يدفع القهّندز والمدينة إليه، فأبى أهل المدينة ذلك؛ لأن ماهويه أبا براز تقدّم إليهم بذلك، وقال لهم: ليس هذا لكم بملك، فقد جاءكم مفلولاً مجروحاً، ومرو لا تحتل ما يحتمل غيرها من الكور، فإذا جئتمكم غداً فلا تفتحوا الباب. فلما أتاهم فعلوا ذلك، وانصرف فرخزاد، فجثا بين يدي يزّجرد، وقال: استصعبت عليك مرو؛ وهذه العرب قد أتتك. قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نلحق ببلاد الترك ونقيم بها، حتى يتبين لنا أمر العرب؛ فإنهم لا يدعون بلدة إلا دخلوها. قال: لست أفعل؛ ولكنني أرجع عودِي على بدئي؛ فعصاه ولم يقبل رأيه، وسار يزّجرد، فأتى براز ديهقان مرو، وأجمع على صرف الدهقنة إلى سنجان ابن أخيه، فبلغ ذلك ماهويه أبا براز، فعمل في هلاك يزّجرد وكتب إلى نيزك طرخان يخبره أن يزّجرد وقع إليه مفلولاً، ودعاه إلى القدوم عليه لتكون أيديهما معاً في أخذه، والاستيثاق منه، فيقتلوه أو يصالحوا عليه العرب، وجعل له إن هو أراحه منه أن يفّي له كل يوم بألف

درهم، وسأله أن يكتب إلى يزْدَجَرْد مذكراً له لينحّي عنه عامّة جنده، ويحصل في طائفة من عسكريه وخواصّه، فيكون أضعف لركنه، وأهون لشوكته، وقال: تُعلّمه في كتابه إليه الذي عزمّت عليه؛ من مناصحته ومعونته على عدوّه من العرب، حتى يقهرهم، وتطلب إليه أن يشتقّ لك اسماً من أسماء أهل الدّرجات بكتاب مختوم بالذهب، وتُعلّمه أنك لست قادماً عليه حتى يُنحّي عنه فرّخزاد.

فكتب نيزك بذلك إلى يزْدَجَرْد، فلمّا ورد عليه كتابه بعث إلى عظماء مَرُو فاستشارهم، فقال له سَنَجان: لست أرى أن تنحّي عنك جندك وفرّخزاد لشيء، وقال أبو براز: بل أرى أن تتألف نيزك وتجيّه إلى ما سأل. فقيل رأيه، وفرّق عنه جنده، وأمر فرّخزاد أن يأتي أجمّة سرّخس، فصاح فرّخزاد، وشقّ جيّه، وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب أبي براز به، وقال: يا قتلة الملوك، قتلتم ملكين، وأظنكم قاتلي هذا! ولم يبرح فرّخزاد حتى كتب له يزْدَجَرْد بخطّ يده كتاباً: هذا كتاب لفرّخزاد؛ إنك قد سلّمت يزْدَجَرْد وأهله وولده وحاشيته وما معه إلى ماهويه دهقان مَرُو. وأشهد عليه بذلك.

فأقبل نيزك إلى موضع بين المروين، يقال له حلسدان؛ فلما أجمع يزْدَجَرْد على لقائه والمسير إليه، أشار عليه أبو براز ألاّ يلقيه في السلاح فيرتاب به، وينفر عنه؛ ولكن يلقاه بالمزامير والملاهي؛ ففعل فسار فيمن أشار عليه ماهويه، وسمّى له، وتقاعس عنه أبو براز، وكردّس نيزك أصحابه كراديس. فلمّا تدانوا استقبله نيزك ماشياً، ويزْدَجَرْد على فرس له، فأمر لنيزك بجنيبة من جنائبه فركبها؛ فلمّا توسط عسكريه تواقفا، فقال له نيزك فيما يقول: زوجني إحدى بناتك وأناصحك، وأقاتل معك عدوك. فقال له يزْدَجَرْد: وعليّ تجترى أيّها الكلب! فعلاه نيزك بمخففته، وصاح يزْدَجَرْد: غدر الغادر! وركض منهزماً، ووضع أصحاب نيزك سيوفهم فيهم، فأكثروا فيهم القتل.

وانتهى يزْدَجَرْد من هزيمته إلى مكان من أرض مَرُو، فنزل عن فرسه، ودخل بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام؛ فقال له الطحان: أيّها الشقيّ، اخرج فاطعم شيئاً، فإنك قد جعت منذ ثلاث، قال: لست أصيل إلى ذلك إلا بززمة وكان رجل من زمزمة مَرُو أخرج حنطة له ليطحنها، فكلّمه الطحان أن يزمزم عنده ليأكل، ففعل ذلك؛ فلما انصرف سمع أبا براز يذكر يزْدَجَرْد، فسألهم عن جليته؛ فوصفوه له، فأخبرهم أنه رآه في بيت طحان، وهو رجل جعد مقرون حسن الثنايا، مقرّط مسور. فوجّه إليه عند ذلك رجلاً من الأساورة، وأمره إن هو ظفر به أن يخنقه بوتر، ثم يطرحه في نهر مَرُو؛ فلقوا الطحان، فضربوه ليدلّ عليه فلم يفعل، وجحدهم أن يكون يعرف أين توجه. فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم: إني أجدر ربح المسك؛ ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فاجتذبه إليه؛ فإذا هو يزْدَجَرْد، فسأله ألاّ يقتله ولا يدلّ عليه، ويجعله له خاتمه وسواره ومنطقته؛ قال الآخر: أعطني أربعة دراهم وأخليّ عنك؛ قال يزْدَجَرْد: ويحك خاتمي لك، وثنمه لا يحصى! فأبى عليه؛ قال يزْدَجَرْد: قد كنت أخبرني سأحتاج إلى أربعة دراهم؛ وأضطر إلى أن يكون أكلي أكل الهرّ، فقد عاينت، وجاءني بحقيقته؛ وانتزع أحد قُرطيه فأعطاه الطحان مكافأة له لكتمانه عليه، ودنا منه كأنه يكلمه بشيء، فوصف له موضعه، وأندّر الرجل أصحابه، فأتوه، فطلب إليهم يزْدَجَرْد ألاّ يقتلوه وقال: ويحكم! إنّا نجد في كتبنا أنّ من أقتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا؛ مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني وأتوني الدهقان أو سرّحوني إلى العرب؛ فإنهم يستحيون مثلي من الملوك؛ فأخذوا ما كان عليه من الحليّ، فجعلوه في جراب، وختموا عليه؛ ثم خنقوه بوتر، وطرحوه في نهر مَرُو، فجرى به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرّزّيق، فتعلّق

بُعُود، فَأَتَاهُ أَسْقَفَ مَرُوءٍ، فَحَمَلَهُ وَلَقَّهَ فِي طِيلَسَانَ مَمْسُكٍ، وَجَعَلَهُ فِي تَابُوتٍ، وَحَمَلَهُ إِلَى بَائِي بَابَانَ أَسْفَلَ مَاجَانَ، فَوَضَعَهُ فِي عَقْدٍ كَانَ يَكُونُ مَجْلِسَ الْأَسْقَفِ فِيهِ وَرَدَمَهُ، وَسَأَلَ أَبُو بَرَّازٍ عَنْ أَحَدِ الْقُرْطِينِ حِينَ افْتَقَدَهُ، فَأَخَذَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ حَتَّى أَتَى عَلَى نَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِمَا أَصِيبَ لَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَوْمُئِذٍ، فَأَغْرَمَ الْخَلِيفَةُ الدَّهْقَانَ قِيَمَةَ الْقُرْطِ الْمَفْقُودِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ سَارَ يَزْدَجَرْدُ مِنْ كَرْمَانَ قَبْلَ وَرُودِ الْعَرَبِ إِيَّاهَا، فَأَخَذَ عَلَى طَرِيقِ الطَّبَسَيْنِ وَقُهِسْتَانَ، حَتَّى شَارَفَ مَرُوءٍ فِي زَهَاءِ أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ، لِيَجْمَعَ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ جُمُوعاً، وَيَكْرُرَ إِلَى الْعَرَبِ وَيَقَاتِلَهُمْ، فَتَلْقَاهُ قَائِدَانِ مَتَبَاغِضَانِ مَتَحَاسِدَانِ كَانَا يَمْرُوءَانِ؛ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا بَرَّازٌ وَالْآخَرُ سَنْجَانٌ؛ وَمَنْحَاهُ الطَّاعَةُ، وَأَقَامَ يَمْرُوءٌ، وَخَصَّ بَرَّازٌ فَحَسَدَهُ ذَلِكَ سَنْجَانٌ؛ وَجَعَلَ بَرَّازٌ يَبْغِي سَنْجَانَ الْغَوَائِلَ، وَيُوغِلُ صَدْرَ يَزْدَجَرْدٍ عَلَيْهِ، وَسَعَى بِسَنْجَانَ حَتَّى عَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ؛ وَأَفْشَى مَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ كَانَ بَرَّازٌ وَاطَّأَهَا؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَى بَرَّازٍ بِنِسْوَةٍ زَعَمَتْ بِإِجْمَاعِ يَزْدَجَرْدٍ عَلَى قَتْلِ سَنْجَانَ، وَفُشِيَ مَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ يَزْدَجَرْدُ مِنْ ذَلِكَ. فَذَرَّ سَنْجَانَ، وَأَخَذَ حَذْرَهُ، وَجَمَعَ جَمْعاً كُنْهَوُ أَصْحَابِ بَرَّازٍ، وَمَنْ كَانَ مَعَ يَزْدَجَرْدٍ مِنَ الْجُنْدِ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْقَصْرِ الَّذِي كَانَ يَزْدَجَرْدُ نَازِلَهُ. وَبَلَغَ ذَلِكَ بَرَّازٌ، فَانْكَصَ عَنْ سَنْجَانَ لَكثَرَةِ جُمُوعِهِ، وَرَعِبَ جَمْعَ سَنْجَانَ يَزْدَجَرْدُ وَأَخَافَهُ، فَخَرَجَ مِنْ قَصْرِهِ مَتَنَكِّراً، وَمَضَى عَلَى وَجْهِهِ رَاجِلاً لِيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ، فَمَشَى نَحْوَاً مِنْ فَرَسَخَيْنِ حَتَّى وَقَعَ إِلَى رَحَاً مَا، فَدَخَلَ بَيْتَ الرَّحَا، فَجَلَسَ فِيهِ كَالْأَلْغَبَاءِ، فَرَأَاهُ صَاحِبُ الرَّحَا ذَا هَيْئَةٍ وَطَرَةٍ وَبِزَّةٍ كَرِيمَةٍ، فَفَرَشَ لَهُ، فَجَلَسَ وَأَتَاهُ بِطَعَامٍ فَطَعِمَ، وَمَكَثَ عِنْدَهُ يَوْماً وَلَيْلَةً، فَسَأَلَهُ صَاحِبُ الرَّحَا أَنْ يَأْمُرَ لَهُ بِشَيْءٍ، فَبَذَلَ لَهُ مَنَظِقَةً مَكْلَلَةً بِجَوْهَرٍ كَانَتْ عَلَيْهِ؛ فَأَبَى صَاحِبُ الرَّحَا أَنْ يَقْبِلَهَا، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ يَرْضِيَنِي مِنْ هَذِهِ الْمَنَظِقَةِ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ كُنْتُ أَطْعَمُ بِهَا وَأَشْرِبُ، فَأُخْبِرُهُ أَنَّهُ لَا وَرَقَ مَعَهُ، فَتَمَلَّقَهُ صَاحِبُ الرَّحَا؛ حَتَّى إِذَا غَفَا قَامَ إِلَيْهِ بِفَأْسٍ لَهُ فَضْرَبَ بِهَا هَامَتَهُ فَقَتَلَهُ، وَاحْتَرَّ رَأْسُهُ؛ وَأَخَذَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ ثِيَابٍ وَمَنَظِقَةٍ، وَأَلْقَى جِيْفَتَهُ فِي النِّهْرِ الَّذِي كَانَ تَدُورُ بِمَاءَتِهِ رَحَاهُ؛ وَبَقِرَ بَطْنُهُ، وَأَدْخَلَ فِيهِ أَصُولاً مِنْ أَصُولِ طُرْفَاءٍ كَانَتْ نَابِتَةً فِي ذَلِكَ النِّهْرِ لَتَحْبِسَ جُثَّتَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَلْقَاهُ فِيهِ، فَلَا يَسْفِلُ فَيَعْرِفُ وَيَطْلُبُ قَاتِلَهُ وَمَا أَخَذَ مِنْ سَلْبِهِ، وَهَرَبَ عَلَى وَجْهِهِ. وَبَلَغَ قَتْلُ يَزْدَجَرْدٍ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ كَانَ مُطْرَاناً عَلَى مَرُوءٍ؛ يُقَالُ لَهُ إِيْلِيَاءُ، فَجَمَعَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ النَّصَارَى، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مَلِكَ الْفَرَسِ قَدْ قَتَلَ، وَهُوَ ابْنُ شَهْرِيَارَ بْنِ كَسْرَى؛ وَإِنَّمَا شَهْرِيَارٌ وَلَدُ الْمُؤْمِنَةِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ حَقَّهَا وَإِحْسَانَهَا إِلَى أَهْلِ مِلَّتِهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ؛ وَهَذَا الْمَلِكُ عَنَصَرَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ مَعَ مَا نَالَ النَّصَارَى فِي مُلْكِ جَدِّهِ كَسْرَى مِنَ الشَّرَفِ؛ وَقَبْلَ ذَلِكَ فِي مَمْلَكَةِ مَلُوكٍ مِنْ أَسْلَافِهِ مِنَ الْخَيْرِ؛ حَتَّى بَنَى لَهُمْ بَعْضُ الْبَيْعِ، وَسَدَّدَ لَهُمْ بَعْضُ مِلَّتِهِمْ؛ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ لِقَتْلِ هَذَا الْمَلِكِ مِنْ كِرَامَتِهِ بِقَدْرِ إِحْسَانِ أَسْلَافِهِ وَجَدَّتِهِ شِيرِينَ، كَانَ إِلَى النَّصَارَى؛ وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَبْنِيَ لَهُ نَائِوَساً، وَأَحْمِلَ جُثَّتَهُ فِي كِرَامَةٍ حَتَّى أَوَارِيَهَا فِيهِ.

فَقَالَ النَّصَارَى: أَمَرْنَا لِأَمْرِكَ أَيُّهَا الْمَطْرَانُ تَبِعْ؛ وَنَحْنُ لَكَ عَلَى رَأْيِكَ هَذَا مَوَاطِثُونَ. فَأَمَرَ الْمَطْرَانُ فَبْنِيَ فِي جَوْفِ بَسْتَانِ الْمَطَارَنَةِ يَمْرُوءَ نَائِوَساً؛ وَمَضَى بِنَفْسِهِ وَمَعَهُ نَصَارَى مَرُوءٍ حَتَّى اسْتَخْرَجَ جُثَّةَ يَزْدَجَرْدٍ مِنَ النِّهْرِ وَكَفَّنَهَا، وَجَعَلَهَا فِي تَابُوتٍ، وَحَمَلَهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ النَّصَارَى عَلَى عَوَاتِقِهِمْ حَتَّى أَتَوْا بِهِ النَّائِوَسَ الَّذِي أَمَرَ بِنَائِهِ لَهُ وَوَارُوهُ فِيهِ، وَرَدَمُوا بِأَبَاهُ؛ فَكَانَ مُلْكُ يَزْدَجَرْدٍ عَشْرِينَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُ سِنِينَ فِي دَعَاةٍ وَسِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ فِي تَعَبٍ مِنْ مُحَارَبَةِ الْعَرَبِ إِيَّاهُ وَغُلْظَتِهِمْ عَلَيْهِ.

وَكَانَ آخِرُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ آلِ أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابَكٍ؛ وَصَفَا الْمَلِكُ بَعْدَهُ لِلْعَرَبِ.

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين - شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان ففتح أبرشهر وطوس وبيورد ونسا حتى بلغ سرخس، وصالح فيها أهل مرو.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه أوس بن حبيب التميمي، فقال: أصلح الله الأمير! إن الأرض بين يديك، ولم تفتح من ذلك إلا القليل، فسر فإن الله ناصرُك؛ قال: أو لم تأمر بالمسير! وكره أن يظهر أنه قبل رأيه؛ فذكر علي بن محمد أن مسلمة بن محارب أخبره عن السكن بن قتادة العريني، قال: فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة، واستعمل على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي، فبنى شريك مسجد إصطخر، فدخل على ابن عامر رجل من بني تميم، قال: كنا نقول: إنه الأحنف - ويقال: أوس بن جابر الجشمي جشم تميم - فقال له: إن عدوك منك هارب؛ وهولك هائب، والبلاد واسعة؛ فسر فإن الله ناصرُك، ومعز دينه.

فتجهز ابن عامر، وأمر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة زياداً، وسار إلى كرمان؛ ثم أخذ إلى خراسان، فقوم يقولون: أخذ طريق أصبهان؛ ثم سار إلى خراسان.

قال علي: أخبرنا المفضل الكرماني، عن أبيه، قال: كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر نزل المعسكر بالسيرجان، ثم سار إلى خراسان، واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي، وأخذ ابن عامر على مفازة رابر؛ وهي ثمانون فرسخاً، ثم سار إلى الطبيين يريد أبرشهر؛ وهي مدينة نيسابور، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس، فأخذ إلى قهستان، وخرج إلى أبرشهر فلقية الهياطلة؛ وهم أهل هراة؛ فقاتلهم الأحنف فهزمهم؛ ثم أتى ابن عامر نيسابور.

قال علي: وأخبرنا أبو مخنف، عن ثمر بن وعلة، عن الشعبي، قال: أخذ ابن عامر على مفازة خبيص؛ ثم على خواست - ويقال: على يزرد - ثم على قهستان؛ فقدم الأحنف فلقية الهياطلة، فقاتلهم فهزمهم؛ ثم أتى أبرشهر، فنزلها ابن عامر؛ وكان سعيد بن العاص في جند أهل الكوفة، فأتى جرجان وهو يريد خراسان؛ فلما بلغه نزول ابن عامر أبرشهر، رجع إلى الكوفة.

قال علي: أخبرنا علي بن مجاهد، قال: نزل ابن عامر على أبرشهر فغلب على نصفها عنوة، وكان النصف الآخر في يد كناري، ونصف نساوطوس؛ فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو، فصالح كناري، فأعطاه ابنه أبا الصلت بن كناري وابن أخيه سليماً رهناً، ووجه عبد الله بن خازم إلى هراة وحاتم بن النعمان إلى مرو، فأخذ ابن عامر ابني كناري، فصارا إلى النعمان بن الأفقم النصري فاعتقهما.

قال علي: وأخبرنا أبو حفص الأزدي، عن إدريس بن حنظلة العمي، قال: فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة؛ وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وخران، وذلك سنة إحدى وثلاثين.

قال علي: أخبرنا أبو السري المروزي، عن أبيه، قال: سمعت موسى بن عبد الله بن خازم يقول: أبي صالح أهل سرخس، بعثه إليهم عبد الله بن عامر من أبرشهر وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلحاً، فأعطوه جارين من آل كسرى بابونج وطهميج - أو طهميج - فأقبل بهما معه، وبعث أمين بن أحرم اليشكري، ففتح ما حول أبرشهر: طوس وبيورد ونسا وخران، حتى انتهى إلى سرخس.

قال عليّ: وأخبرنا الصُّلّت بن دينار، عن ابن سيرين، قال: بعث ابن عامر عبد الله بن خازم إلى سَرْخُس؛ ففتحها وأصاب ابن عامر جاريّتين من آل كسرى، فأعطى إحداهما التَّوشجان؛ وماتت بابونج.

قال عليّ: وأخبرنا أبو الذِّيال زهير بن هُنَيْد العَدَوِيّ، عن أشياخ من أهل خراسان، أنّ ابن عامر سَرَح الأسود بن كُلثوم العَدَوِيّ - عديّ الرُّباب - إلى بَيْهَق؛ وهو من أبرشهر، بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخاً، ففتحها وقتل الأسود بن كُلثوم. قال: وكان فاضلاً في دينه، كان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبريّ وكان عامر يقول بعد ما أخرج من البصرة: ما آسى من العراق على شيء إلاّ على مماء الهواجر، وتجاوب المؤذنين، وإخوان مثل الأسود بن كُلثوم.

قال عليّ: وأخبرنا زهير بن هُنَيْد، عن بعض عمومته، قال: غلب ابن عامر على نيسابور، وخرج إلى سَرْخُس، فأرسل إلى أهل مَرَوْ يَطْلُب الصِّلح؛ فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النُّعْمان الباهليّ، فصالح براز مرزبان مَرَوْ على ألفي ألف ومائتي ألف.

قال: فأخبرنا مصعب بن حَيَّان عن أخيه مقاتل بن حَيَّان، قال: صالحهم على ستة آلاف ومائتي ألف. وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان رضي الله عنه.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فمن ذلك غزوة معاوية بن أبي سفيان المصبيق، مضيق القسطنطينية؛ ومعه زوجته عاتكة ابنة قرطبة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف.

وقيل: فاختة؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق، عن أبي معشر، وهو قول الواقدي.

وفي هذه السنة استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على قَرْج بَلَنْجَر، وأمدّ الجيش الذي كان به مقيماً مع خُذَيْفَة بأهل الشام؛ عليهم حبيب بن مسلمة الفهري - في قول سيف - فوقع الاختلاف بين سلمان وحبيب في الأمر، وتنازع في ذلك أهل الشام وأهل الكوفة.

ذكر الخبر بذلك:

فمما كتب به إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: كتب عثمان إلى سعيد: أن أغز سلمان الباب؛ وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب: إن الرعية قد أبطرت كثيراً منهم البطنة، فقصر، ولا تقتحم بالمسلمين؛ فإني خاش أن يُبتلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته، وكان لا يقصر عن بَلَنْجَر، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بَلَنْجَر؛ حصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات، فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعتوه أو قتلوه؛ فأسرعوا في الناس؛ وقتل معضد في تلك الأيام.

ثم إنَّ الترك اتعدوا يوماً، فخرج أهل بَلَنْجَر؛ وتوافت إليهم الترك فاقتتلوا؛ فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذو النور - وانهمز المسلمون ففرقوا، فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماء حتى خرج من الباب، وأما من أخذ طريق الحَزْر، وبلادها، فإنه خرج على جيلان وجُرجان وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، وأخذ القوم جسد عبد الرحمن فجعلوه في سَفَط، فبقي في أيديهم، فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به.

كتب إلى السريّ عن شعيب، عن سيف، عن داود بن يزيد، عن الشعبي، قال: والله لسلمان بن ربيعة كان أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجُزور.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل من بني كنانة، قال: لما تابعت الغزوات على الحَزْر، وتذايمروا وتعايروا وقالوا: كُنَّا أمة لا يُقرن لنا أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة،

فصرنا لا نقوم لها . فقال بعضهم لبعض : إن هؤلاء لا يموتون ؛ ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا . وما أصيب في غزواتها أحد إلا في آخر غزوة عبد الرحمن ، فقالوا : أفلا تجربون ! فكنموا في الغياض ، فمرّ بأولئك الكمين مُرار من الجند ، فرموهم منها ؛ فقتلوهم ، فواعدوا رؤوسهم ، ثم تداعوا إلى حربهم ؛ ثم اتعدوا يوماً ؛ فاقتتلوا ، فقتل عبد الرحمن ، وأسرع في الناس فافترقوا فرّقين ؛ فرّق نحو الباب فحماهم سلمان حتى أخرجهم ، وفرّق أخذوا نحو الخزر ؛ فطلعوا على جيلان وجرجان ، فيهم سلمان الفارسيّ وأبو هريرة .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن أخيه قيس ، عن أبيه : قال كان يزيد بن معاوية وعلقمة بن قيس ومعضد الشيبانيّ وأبو مفرز التميميّ في خباء ، وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال بن دُرّيّ والقرنّ في خباء ، وكانوا متجاورين في عسكر بَلَنْجَر ؛ وكان القرنّ يقول : ما أحسن لمع الدماء على الثياب ! وكان عمرو بن عتبة يقول لِقَباء عليه أبيض : ما أحسن حمرة الدماء في بياضك !

وغزا أهل الكوفة بَلَنْجَر سنين من إمارة عثمان لم يَتَمَّ فيهنّ امرأة ، ولم يَتَمَّ فيهنّ صبيّ من قتل ، حتى كان سنة تسع ؛ فلما كان سنة تسع قبل المزاخفة بيومين رأى يزيد بن معاوية أنّ غزالا جيء بأمره بجائته ، لم ير غزالا أحسن منه حتى لُفَّ في ملحفته ، ثم أتى به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبراً أشدَّ استواء منه ولا أحسن منه ، حتى دفن فيه ؛ فلما تغادى الناس على الترك رُمي يزيد بحجر ، فهشم رأسه ، فكأنما زُيّن ثوبه بالدماء زينة ، وليس يتلَطَّخ ؛ فكان ذلك الغزال الذي رأى ، وكان بذلك الدم على ذلك القباء الحسن ، فلما كان قبل المزاخفة بيوم تغادوا ، فقال معضد لعلقمة : أعزني بُرْدك أعصّب به رأسي ؛ ففعل ، فأنى البُرْج الذي أصيب فيه يزيد ؛ فرماهم فقتل منهم ، ورُمي بحجر في عرّادة ، ففضخ هامته ، واجتره أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد ، وأصاب عمرو بن عتبة جراحة ؛ فرأى قباءه كما انتهى . وقتل ؛ فلما كان يوم المزاخفة قاتل القرنّ حتى خرّق بالحرايب ، فكأنما كان قباؤه ثوباً أرضه ووشيه أحر ، وما زال الناس ثبوتاً حتى أصيب ، وكانت هزيمة الناس مع مقتله .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن يزيد ، قال : كان يزيد بن معاوية النخعيّ رضي الله عنه وعمرو بن عتبة ومعضد أصيبوا يوم بَلَنْجَر ؛ فأما معضد فإنه اعتجر ببرد لعلقمة ، فأناه شطيّة من حجر منجنيق فأماه ، فاستصغره ، ووضع يده عليه فمات فغسل دمه علقمة ، فلم يخرج ؛ وكان يحضر فيه الجمعة ، وقال يحرضني عليه : إنّ فيه دم معضد . فأما عمرو فلبس قباء أبيض ، وقال : ما أحسن الدم على هذا ! فأناه حجر فقتله ، وملاه دماً ، وأما يزيد فدليّ عليه شيء فقلته ، وقد كانوا حفروا قبراً فأعدّوه ؛ فنظر إليه يزيد ، فقال : ما أحسنه ! وأريّ فيها يرى النائم أنّ غزالاً لم ير غزالاً أحسن منه ، جيء به حتى دفن فيه ؛ فكان هو ذلك الغزال . وكان يزيد رقيقاً جليلاً رحمه الله ، وبلغ ذلك عثمان ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! انتكث أهل الكوفة . اللهم تَبَّ عليهم وأقبل بهم .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : استعمل سعيد على ذلك الفرّج سلمان بن ربيعة ، واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان ؛ وكان على ذلك الفرّج قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة ؛ وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام ؛ عليهم حبيب بن مسلمة القرشيّ ، فتأمّر عليه سلمان ، وأبى عليه حبيب ؛ حتى قال أهل الشام : لقد هممنا بضرب سلمان ، فقال في ذلك الناس : إذا والله نضرب حبيباً ونحبسه ؛ وإن أبيت كثرت القتلى فيكم وفينا . وقال أوس بن مغراء في ذلك :

إِنْ تَصْرِبُوا سَلَمَانَ نَضْرِبَ حَبِيبُكُمْ وَإِنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ آبِنِ عَفَّانَ نَرْحَلُ
وَلِنْ تَقْسِطُوا فَالْتَّغَرُّ تُغَرُّ أَمِيرَنَا وَهَذَا أَمِيرُ فِي الْكَتَائِبِ مَقْبِلُ
وَنَحْنُ وَلَاةُ الثَّغَرِ كُنَّا حُمَاتِهِ لِيَالِي نَرْمِي كُلَّ ثَغَرٍ وَنُنْكِلُ

فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة؛ فلما أحس حذيفة أقر وأقرّوا؛ فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات؛ فقتل عثمان في الثالثة؛ ولقيهم مقتل عثمان، فقال: اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشناة عثمان. اللهم إنا كنّا نعاتبه ويعاتبنا، متى ما كان من قبله يعاتبنا ونعاتبه! فاتخذوا ذلك سلماً إلى الفتنة؛ اللهم لا تُمَتِّهم إلا بالسيف.

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه؛ زعم الواقدي أن عبد الله بن جعفر حدثه بذلك عن يعقوب بن عُتْبَةَ؛ وأنه يوم مات كان ابن خمس وسبعين سنة.

قال: وفيها مات العباس بن عبد المطلب؛ وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة؛ وكان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

قال: وفيها مات عبد الله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله؛ الذي أرى الأذان.

قال: وفيها توفي عبد الله بن مسعود بالمدينة، فدفن بالبقيع رحمه الله فقال قائل: صلى عليه عمّار، وقال قائل: صلى عليه عثمان.

وفيها مات أبو طلحة رحمه الله.

قال: وفيها مات أبو ذر رضي الله عنه في رواية سيف.

ذكر الخبر عن وفاته:

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطية عن يزيد الفقعسيّ، قال: لما حضرت أبا ذرّ الوفاة؛ وذلك في سنة ثمان في ذي الحجة من إمارة عثمان، نزل بأبي ذرّ؛ فلما أشرف قال لابنته: استشري في يا بنية فانظري هل ترين أحداً! قالت: لا، قال: فما جاءت ساعتى بعد؛ ثم أمرها فذبحت شاة، ثم طبختها، ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنونني فقول لهم: إن أبا ذرّ يقسم عليكم ألا تركبوا حتى تأكلوا؛ فلما نصبت قدرها قال لها: انظري هل ترين أحداً؟ قالت: نعم؛ هؤلاء ركب مقبلون، قال: استقبلي بي الكعبة. ففعلت، وقال: بسم الله، وبالله، وعلى ملّة رسول الله ﷺ. ثم خرجت ابنته فتلقّتهم وقالت: رحمكم الله! اشهدوا أبا ذرّ - قالوا: وأين هو؟ فأشارت لهم إليه وقد مات - فادفنوه، قالوا: نعم ونعمة عين! لقد أكرمنا الله بذلك؛ وإذا ركب من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود، فمالوا إليه وابن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ: «يموت وحده، ويُبِعث وحده»؛ فغسلوه وصلّوا عليه ودفنوه، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم: إن أبا ذرّ يقرأ عليكم السلام، وأقسم عليكم ألا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا، وحملوهم حتى أقدموهم مكّة، ونعوه إلى عثمان، فضمّ ابنته إلى عياله، وقال: يرحم الله أبا ذرّ، ويغفر لرافع بن خديج سكونه.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن القعقاع بن الصلت، عن رجل، عن كليب بن الحلال، عن الحلال بن ذرّي، قال: خرجنا مع ابن مسعود سنة إحدى وثلاثين ونحن أربعة عشر ركباً حتى

أتينا على الرَبْذَةِ فإذا امرأة قد تَلَقَّتْنا، فقالت: اشهدوا أبا ذَرٍّ - وما شعرنا بأمره ولا بلغنا - فقلنا: وأين أبو ذَرٍّ؟ فأشارت إلى خِباء، فقلنا: مَالَهُ؟ قالت: فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها، ففارقها. قال: ابن مسعود: ما دعاه إلى الإعراب؟ فقالت: أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك؛ ولكنه كان يقول: هي بَعْدُ، وهي مدينة. فمال ابن مسعود إليه وهو يبكي، فغسلناه وكفَّناه؛ وإذا خِباء منضوخ بمِسْك، فقلنا للمرأة: ما هذا؟ فقالت: كانت مِسْكَةً، فلما حُضِر قال: إن المَيِّتَ يَحْضُرُهُ شهود يجدون الرِّيحَ؛ ولا يأكلون، فَدُوفِي تلك المسكة بماء، ثم رشي بها الخِباءَ فاقْرِبِهِم ريحها، واطبخي هذا اللحم؛ فإنه سيَشْهَدُنِي قوم صالحون يلون دُفْنِي، فاقْرِبِهِم؛ فلما دَفَنَاهُ دَعَتْنَا إلى الطعام فأكلنا، وأردنا احتمالها، فقال ابن مسعود: أمير المؤمنين قريب، نستأمره؛ فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر، فقال: يرحم الله أبا ذَرٍّ، ويغفر له نزولُه الرَبْذَةَ!

ولما صَدَرَ خَرَجَ فأخذ طريق الرَبْذَةِ، فضَمَّ عياله إلى عياله، وتوجَّه نحو المدينة، وتوجَّهنا نحو العراق؛ وعَدَّتْنا: ابن مسعود وأبو مَفْزَرِ التَّمِيمِيِّ، وبكر بن عبد الله التَّمِيمِيِّ، والأسود بن يزيد النُّخَعِيِّ، وعَلْقَمَةُ بن قيس النُّخَعِيِّ، والحلحال بن ذرى الضَّبِّيِّ، والحارث بن سويد التَّمِيمِيِّ، وعمرو بن عتبة بن فرقد السُّلَمِيِّ، وابن ربيعة السُّلَمِيِّ، وأبو رافع المَزْنِيِّ، وسويد بن مشبة التَّمِيمِيِّ، وزِيَادُ بن معاوية النُّخَعِيِّ، وأخو القَرْنِ الضَّبِّيِّ؛ وأخو مَعْضَدِ الشَّيْبَانِيِّ.

وفي سنة اثنتين وثلاثين فتح ابن عامر مَرُورُذَ والطَّالْقَانَ والفَارِيَّابَ والجُوزْجَانَ وطُخَارِسْتَانَ.
ذكر الخبر عن ذلك:

قال عليّ: أَخْبَرَنَا سلمة بن عثمان وغيره، عن إسماعيل بن مسلم، عن ابن سيرين، قال: بعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مَرُورُذَ، فحصر أهلها، فخرجوا إليهم فقاتلوهم، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم، فأشرفوا عليهم، فقالوا: يا معشر العرب، ما كنتم عندنا كما نرى؛ ولو علمنا أنكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه؛ فأمهلونا ننظر يومنا، وارجعوا إلى عسكركم. فرجع الأحنف، فلما أصبح غاداهم وقد أعدوا له الحرب؛ فخرج رجلٌ من العجم معه كتاب من المدينة، فقال: إني رسول فأمّونوني، فأمّنوه، فإذا رسول من مرزبان مَرُورُذَ بن أخيه وترجمانه، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف، فقرأ الكتاب؛ قال: فإذا هو: إلى أمير الجيش؛ إنا نحمد الله الذي بيده الدّول، يغيّر ما شاء من الملك، ويرفع من شاء بعد الدّلة، ويضع من شاء بعد الرّفعة. إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدّي، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة؛ فمرحبا بكم وأبشروا؛ وأنا أدعوكم إلى الصّلاح فيما بينكم وبيننا؛ على أن أؤدّي إليكم خراجا ستين ألف درهم؛ وأن تُقرّوا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جدّ أبي حيث قتل الحيّة التي أكلت الناس، وقطعت السّبل من الأرضين والقرى بما فيها من الرّجال، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئا من الخراج، ولا تخرج المرزبة من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك؛ وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت.

قال: فكتب إليه الأحنف: بسم الله الرحمن الرحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مَرُورُذَ ومن معه من الأساورة والأعاجم. سلام على من أتبع الهدى، وآمن واتقى. أما بعد؛ فإن ابن أخيك ماهك قدم عليّ، فنصح لك جهده، وأبلغ عنك؛ وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين، وأنا وهم فيما عليك سواء؛ وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدّي عن أكرتِك وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إليّ

وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين؛ إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جدّ أبيك لما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض وقطعت السبل. والأرض لله ولرسوله يُورثها من يشاء من عباده، وإنّ عليك نصرة المسلمين وقاتل عدوّهم بمن معك من الأساورة؛ إنّ أحبّ المسلمون ذلك وأرادوه؛ وإنّ لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملّتك، جارٍ لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي، ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام؛ وإنّ أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم؛ ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمم المسلمين وذمم آبائهم. شهد على ما في هذا الكتاب جرّء بن معاوية - أو معاوية بن جزء السعديّ - وحمزة بن الهرمّاس وحميد بن الحارث المازنيّان، وعياض بن ورقاء الأسديّ. وكتب كيّسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم. وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس. ونقش خاتم الأحنف: «نعبد الله».

قال عليّ: أخبرنا مصعب بن حيّان، عن أخيه مقاتل بن حيّان، قال: صالح ابن عامر أهل مرو، وبعث الأحنف في أربعة آلاف إلى طخارستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مروروذ، وجمع له أهل طخارستان، وأهل الجوزجان والطاقان والفارياب؛ فكانوا ثلاثة زحوف، ثلاثين ألفاً. وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له، فاستشار الناس فاختلفوا؛ فبين قاتل: نرجع إلى مرو، وقاتل: نرجع إلى أبرشهر، وقاتل: نقيم نستمدّ، وقاتل: نلقاهم فنناجزهم.

قال: فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر، ويستمع حديث الناس، فمرّ بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن؛ وهم يتحدثون ويذكرون العدو؛ فقال بعضهم: الرأي للأمير أن يسير إذا أصبح؛ حتى يلقي القوم حيث لقيهم - فإنه أرعب لهم - فيناجزهم. فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم؛ أتأمرونه أن يلقي حدّ العدو مصجراً في بلادهم، فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل، فإن جالوا جولة اصطلمونا! ولكنّ الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجل، فيجعل المرغاب عن يمينه والجل عن يساره، فلا يلقاه من عدوّه وإن كثروا إلا عدد أصحابه. فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال؛ فضرب عسكره، وأقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه؛ فقال: إنّي أكره أن أستنصر بالمشرّكين، فأقيموا على ما أعطيناكم؛ وجعلنا بيننا وبينكم؛ فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم؛ وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم.

قال: فوافق المسلمين صلاة العصر؛ فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم؛ وصبر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل بشعر ابن جُؤيّة الأعرجي:

أحقّ من لم يكره المنيّة حزورٌ ليست له ذريّة

قال عليّ: أخبرنا أبو الأشهب السعديّ، عن أبيه، قال: لقي الأحنف أهل مروروذ والطاقان والفارياب والجوزجان في المسلمين ليلاً، فقاتلهم حتى ذهب عامّة الليل، ثم هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رُسكن - وهي على اثنين عشر فرسخاً من قصر الأحنف - وكان مرزبان مروروذ، قد تربّص بحمل ما كانوا صالحوه عليه؛ لينظر ما يكون من أمرهم.

قال: فلما ظفر الأحنف سرّح رجلين إلى المرزبان، وأمرهما ألا يكلماه حتى يقبضاه. ففعلا. فعلم أنهم لم يصنعوا ذاك به إلا وقد ظفروا، فحمل ما كان عليه.

قال عليّ: وأخبرنا المفَضَّل الضبيّ، عن أبيه، قال: سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان؛ بعثه الأحنف في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الرّحوف الذين هزمهم الأحنف، فقاتلهم، فجال المسلمون جولة، فقتل فرسان من فرسانهم؛ ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم، فقال كثيرُ النهشليّ:

سَقَى مُزْنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَهَلَّتْ مَصَارِعَ فِتْيَةٍ بِالْجُوزْجَانِ
إِلَى الْقُصْرَيْنِ مِنْ رُسْتَاقِ خُوطٍ أَقَادَهُمْ هُنَاكَ الْأَقْرَعَانِ

وهي طويلة .

وفي هذه السنة، جرى صلح بين الأحنف وبين أهل بلخ .

ذكر الخبر بذلك :

قال عليّ: أخبرنا زهير بن الهنيد، عن إياس بن المهلب، قال: سار الأحنف من مرو الرّوذ إلى بلخ فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمئة ألف، فرضيَ منهم بذلك، واستعمل ابن عمّه، وهو أسيد بن المتشّمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه، ومضى إلى خارزم، فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال لأصحابه: ما ترون؟ قال له حصين: قد قال لك عمرو بن معديكرب، قال: وما قال؟ قال: قال:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

قال: فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ، وقد قبض ابن عمّه ما صالحهم عليه، وكان وافق وهو يجيهم المهرجان، فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضّة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب، فقال ابن عمّ الأحنف: هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا: لا؛ ولكنّ هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمنّ ولينا نستعطفه به، قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المهرجان، قال: ما أدري ما هذا؟ وإني لأكره أن أردّه؛ ولعله من حقّي، ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر [فيه]؛ فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه فقالوا [له] مثل ما قالوا لابن عمه، فقال: آتي به الأمير؛ فحمّله إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: أقبضه يا أبا بحر؛ فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابن عامر: ضمّه إليك يا مسمار، قال: قال الحسن: فضّمه القرشيّ وكان مضىً.

قال عليّ: وأخبرنا عمرو بن محمد المريّ، عن أشياخ من بني مرة، أنّ الأحنف استعمل عليّ بلخ بشربن المتشّمس .

قال عليّ: وأخبرنا صدقة بن حميد، عن أبيه، قال: بعث ابن عامر - حين صالح أهل مرو، وصالح الأحنف أهل بلخ - خليد بن عبد الله الحنفيّ إلى هراة وباذغيس؛ فافتتحهما، ثم كفروا بعد فكانوا مع قارن .

قال عليّ: وأخبرنا مسلمة، عن داود، قال: ولما رجع الأحنف إلى ابن عامر قال الناس لابن عامر: ما فتح على أحد ما قد فتح عليك؛ فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان! قال: لا جرم، لأجعلنّ شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً معتمراً من موقفي هذا. فأحرّم بعمره من نيسابور؛ فلما قديم على عثمان لأمه على إحرامه من خراسان، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس!

قال عليّ: أخبرنا مسلمة، عن السّكن بن قتادة العريّنيّ، قال: استخلف ابن عامر على خراسان قيس بن الهيثم، وخرج ابن عامر منها في سنة اثنتين وثلاثين. قال: فجمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطّبيين وأهل

بأذغيس وهرة وقهستان، فأقبل في أربعين ألفاً، فقال لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تُخْلِى البلاد فإني أميرها؛ ومعى عهد من ابن عامر؛ إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها - وأخرج كتاباً قد افتعله عمداً - فكره قيس مشاغبتة، وخلاه والبلاد؛ وأقبل إلى ابن عامر، فلامه ابن عامر، وقال: تركت البلاد حرباً وأقبلت! قال: جاءني بعهد منك. فقالت له أمه قد نهيتك أن تدعها في بلد، فإنه يشغب عليه.

قال: فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف، وأمر الناس فحملوا الودك؛ فلما قرب من عسكره أمر الناس، فقال: ليدرج كل رجل منكم على رُج رحه ما كان معه من خرقة أو قطن أو صوف؛ ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة. ثم سار حتى إذا أمسى قدم مقدمته ستمائة، ثم أتبعهم، وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرماح؛ وجعل يقتبس بعضهم من بعض. قال: وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن، فأتوهم نصف الليل؛ ولهم حرس، فناوشوهم، وهاج الناس على دهش، وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات، ودنا ابن خازم منهم، فرأوا النيران يمينه ويسرة، وتتقدم وتتأخر، وتتخفص وترتفع؛ فلا يرون أحداً. فهاهم ذلك، ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم؛ ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين، فقتل قارن، وانهمز العدو فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤوا، وأصابوا سبياً كثيراً؛ فزعم شيخ من بني تميم، قال: كانت أم الصلت بن حريث من سبي قارن، وأم زياد بن الربيع منهم؛ وأم عون أبي عبد الله بن عون الفقيه منهم.

قال علي: حدثنا مسلمة، قال: أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه، وكتب بالفتح إلى ابن عامر؛ فرضي وأقره على خراسان، فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل، فأقبل إلى البصرة، فشهد وقعة ابن الحضرمي، وكان معه في دار سبيل.

قال علي: وأخبرنا الحسن بن رشيد، عن سليمان بن كثير [العمي] الخزاعي، قال: جمع قارن للمسلمين جمعاً كثيراً، فضاق المسلمون بأمرهم، فقال قيس بن الهيثم لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أنك لا تطيق كثرة من قد أتانا، فاخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة من قد جمعوا لنا، ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم ويأتينا مددكم.

قال: فخرج قيس بن الهيثم، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً، وقال: قد ولّاني ابن عامر خراسان؛ فسار إلى قارن، فظفر به، وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فأقره ابن عامر على خراسان؛ فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

ففيها كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية مَلَطِيَّة في قول الواقدي .

وفيهما كانت غزوة عبدالله بن سعد بن أبي سرح إفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد .

وفيهما قدّم عبدالله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلها، ففتح المروين : مرو الشاهجان صلحاً، ومرو الروذ بعد قتال شديد، وتبعه عبدالله بن عامر، فنزل أبرشهر، ففتحها صلحاً في قول الواقدي .

وأما أبو معشر فإنه قال - فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي، عمّ حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه، قال: كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين، وقد ذكرنا قول من خالفه في ذلك، والخبر عن قبرس .

وفيهما: كان تسيير عثمان بن عفان من سير من أهل العراق إلى الشام .

ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة إليها

اختلف أهل السير في ذلك، فأما سيف فإنه ذكر فيما كتب به إلي السري عن شعيب عنه، عن محمد وطلحة، قالوا: كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء أهل البصرة والمتسمتون، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس الناس فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس الناس يوماً، فدخلوا عليه؛ فبيناهم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان: ما أجود طلحة بن عبيدالله! فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جواداً؛ والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن خنيس - وهو حدث: والله لوددت أن هذا الملطاط لك - يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة - قالوا: فض الله فاك! والله لقد هممنا بك، فقال: خنيس غلام فلا تجازوه، فقالوا: يتمنى له من سوادنا! قال: ويتمنى لكم أضعافه، قالوا: لا يتمنى لنا ولا له، قال: ما هذا بكم! قالوا: أنت والله أمرته بها، فنار إليه الأشر وابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكُمَيْل بن زياد وعُمير بن ضابئ؛ فأخذوه فذهب أبوه ليمنع منه فضر بهما حتى عُشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبئون، حتى قضوا منها وطراً، فسمعت بذلك بنو أسد، فجاؤوا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقصر، وركبت القبائل، فعادوا بسعيد، وقالوا: أفلتنا وخلصنا .

فخرج سعيد إلى الناس، فقال: أيها الناس، قوم تنازعوا وتهاووا، وقد رزق الله العافية. ثم قعدوا

وعادوا في حديثهم، وتراجعوا فسأهم وردّهم، وأفاق الرّجلان؛ فقال: أبكما حياة؟ قالوا: قتلنا غاشيتك، قال: لا يغشوني والله أبداً، فاحفظا عليّ ألسنتكما ولا تجربتا عليّ الناس. ففعلا. ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا في بيوتهم، وأقبلوا على الإذاعة حتى لأمه أهل الكوفة في أمرهم؛ فقال: هذا أميركم وقد نهاني أن أحرّك شيئاً، فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحرّكه.

فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب: إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فالحقوهم بمعاوية. فأخرجوهم، فذلّوا وانقادوا حتى أتوه - وهم بضعة عشر - فكتبوا بذلك إلى عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية: إنّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلّقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم؛ فإن أنست منهم رشداً فاقبل منهم؛ وإن أعيتوك فارددهم عليهم. فلما قدموا على معاوية رحّب بهم وأنزلهم كنيسة تسمّى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغذى ويتعشى معهم، فقال لهم يوماً: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم وحويتُم مراتبهم ومواريتهم، وقد بلغني أنكم نقمتُم قريشاً؛ وإن قريشاً لو لم تكن عدتم أدلة كما كنتم، إنّ أئمتكم لكم إلى اليوم جنة فلا تشدّوا عن جنتكم؛ وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحملون منكم المؤونة؛ والله لتنتهّن أو ليتلينكم الله بمن يسومكم؛ ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاء لهم فيما جرّرتهم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم.

فقال رجل من القوم: أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوّفنا؛ وأما ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا احترقت خُلص إلينا.

فقال معاوية: عرفتكم الآن، علمت أنّ الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم، ولا أرى لك عقلاً، أعظم عليك أمر الإسلام، وأذكرك به، وتذكرني الجاهلية! وقد وعظتُك. وتزعّم لما يجيئك أنه يُحترق، ولا ينسب ما يخرق إلى الجنة؛ أخزى الله أقواماً أعظموا أمرهم، ورفعوا إلى خليفتك! افقهوا - ولا أظنكم تفقهون - أنّ قريشاً لم تُعزّ في جاهلية ولا إسلام إلّا بالله عزّ وجلّ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم؛ ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأحضرهم أنساباً، وأعظمهم أخطاراً؛ وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضاً إلّا بالله الذي لا يُستذلّ منّ عزّ، ولا يوضع منّ رفع؛ فبؤأهم حرماً آمناً يُتخطّف الناس من حوّلهم! هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً إلّا قد أصابه الدهر في بلده وحرّمته بدولة؛ إلّا ما كان من قريش؛ فإنه لم يردهم أحدٌ من الناس بكيد إلّا جعل الله خذّه الأسفل، حتى أراد الله أن يتنقذ من أكرم وأتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرّة الآخرة، فارتضى لذلك خبر خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة عليهم؛ ولا يصلح ذلك إلّا عليهم؛ فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله؛ أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم! أف لك ولأصحابك! ولو أنّ متكلماً غيرك تكلم؛ ولكنك ابتدأت. فأما أنت يا صعصعة فإن قريبتك شرّ قرى عربية؛ أنتها نباتاً، وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشرّ، وألأمها جيراناً، لم يسكنها شريف قطّ ولا وضع إلا سبّ بها؛ وكانت عليه هُجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقاباً، وألأمه أصهاراً، نزاع الأمم؛ وأنتم جيران الخطّ وفعلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبي ﷺ ونكبتك دعوته؛ وأنت نزيح شطير في عُمان، لم تسكن

البَّحرين فتشركهم في دعوة النبي ﷺ، فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام، وخلطك بالناس، وحملك على الأمم التي كانت عليك؛ أقبلت تبغي دين الله عوجاً؛ وتنزع إلى اللأمة والذلة. ولا يضع ذلك قريشاً، ولن يضرهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم؛ إنَّ الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم، فأغرى بكم الناس؛ وهو صارعكم. لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاءه الله، ولا أمراً أرادته الله، ولا تدركون بالشر أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شراً منه وأخرى.

ثم قام وتركهم؛ فتذامروا. فتقاصرت إليهم أنفسهم، فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال: إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم؛ لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضره؛ ولا أنتم رجال منفعة ولا مضرة؛ ولكنكم رجال نكير. وبعد، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم؛ وليسعكم ما وسع الدُّهْماء، ولا يبطركم الإنعام؛ فإن البطر لا يعترى الخيار؛ اذهبوا حيث شئتم، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

فلما خرجوا دعاهم فقال: إني معيد عليكم. إنَّ رسول الله ﷺ كان معصوماً فولاني، وأدخلني في أمره، ثم استخلف أبو بكر رضي الله عنه فولاني؛ ثم استخلف عمر فولاني، ثم استخلف عثمان فولاني، فلم أَلْ لأحد منهم ولم يولني إلا وهو راضٍ عني؛ وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغناء؛ ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها؛ وإنَّ الله ذو سطوات ونقِمات يكر بمن مكر به، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون؛ فإنَّ الله غير تارككم حتى يختبركم ويبيد للناس سرائركم؛ وقد قال عز وجل: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل؛ لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة؛ إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة؛ والله مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزهم؛ وليسوا بالذين يكون أحداً إلا مع غيرهم، فانه سعيداً ومن قبله عنهم؛ فإنهم ليسوا الأكثر من شغب أو نكير.

وخرج القوم من دمشق فقالوا: لا ترجعوا إلى الكوفة، فإنهم يشمتون بكم، وميلوا بنا إلى الجزيرة، ودعوا العراق والشام. فأووا إلى الجزيرة، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان معاوية قد ولّاه حصص وولى عامل الجزيرة حرّان والرقة - فدعا بهم، فقال: يا آله الشيطان، لا مرحباً بكم ولا أهلاً! قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ نشاط؛ خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم حتى يحسركم. يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية؛ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقى الردّة، والله لئن بلغني يا صعصعة ابن ذلّ أنّ أحداً من معي دقّ أنفك ثم أمصّك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى. فأقامهم أشهراً كلّما ركب أمشاهم، فإذا مرّ به [صعصعة] قال: يا ابن الخطيئة، أعلمت أنّ من لم يصلحه الخير أصلحه الشر! مالك لا تقول كما كان يبلغني أنّك تقول لسعيد ومعاوية! فيقول ويقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله! فما زالوا به حتى قال: تاب الله عليكم.

وسرح الأشر إلى عثمان، وقال لهم: ما شئتم، إن شئتم فاخرجوا، وإن شئتم فأقيموا. وخرج الأشر، فأقى عثمان بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه، فقال: سلّمكم الله. وقدم سعيد بن العاص، فقال

عثمان للأشتر: احلل حيث شئت، فقال: مع عبد الرحمن بن خالد؟ وذكر من فضله، فقال: ذاك إليكم، فرجع إلى عبد الرحمن.

وأما محمد بن عمر؛ فإنه ذكر أن أبا بكر بن إسماعيل حدثه عن أبيه، عن عامر بن سعد، أن عثمان بعث سعيد بن العاص إلى الكوفة أميراً عليها، حين شهد على الوليد بن عُقبة بشرب الخمر من شهد عليه، وأمره أن يبعث إليه الوليد بن عُقبة. قال: قَدِمَ سعيد بن العاص الكوفة، فأرسل إلى الوليد: إن أمير المؤمنين يأمرُك أن تلحق به. قال: فتضجّع أياماً، فقال له: انطلق إلى أخيك؛ فإنه قد أمرني أن أبعثك إليه، قال: وما صعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يُغسل، فناشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بني أمية، وقالوا: إن هذا قبيح؛ والله لو أراد هذا غيرك لكان حقاً أن تذب عنه؛ يلزمه عارٌ هذا أبداً. قال: فأبى إلا أن يفعل، فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحوّل من دار الإمارة، فتحوّل منها، ونزل دار عُمارة بن عُقبة، فقدم الوليد على عثمان، فجمع بينه وبين خصمائه، فرأى أن يجلدّه، فجلده الحدّ.

قال محمد بن عمر: حدثني شيبان، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قَدِمَ سعيد بن العاص الكوفة، فجعل يختار وجوه يدخلون عليه ويسمّرون عنده؛ وإنه سمر عنده ليلة وجوه أهل الكوفة، منهم مالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، وفيهم مالك الأشتر في رجال، فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان لقريش؛ فقال الأشتر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيفنا بستان لك ولقومك! والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كأحدنا، وتكلم معه القوم.

قال: فقال عبد الرحمن الأسدي - وكان على شُرطة سعيد: أتردّون على الأمير مقالته! وأغلظ لهم، فقال الأشتر: مَنْ ها هنا! لا يفوتنكم الرجل؛ فوثبوا عليه فوطئوه وطأ شديداً، حتى غشي عليه، ثم جرّ برجله فلقبي، فنضج بقاء فأفاق، فقال له سعيد: أبك حياة؟ فقال: قتلتني مَنْ انتخبت - زعمت - للإسلام، فقال: والله لا يسمر منهم عندي أحد أبداً، فجعلوا يجلسون في مجالسهم وبيوتهم يشتمون عثمان وسعيداً؛ واجتمع الناس إليهم؛ حتى كثر من يختلف إليهم. فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك، ويقول: إن رهطاً من أهل الكوفة - سَمَاهم له عشرة - يؤلّون ويجمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا، وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا؛ فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيرهم إلى معاوية - ومعاوية يومئذ على الشام - فسيرهم - وهم تسعة نفر - إلى معاوية؛ فيهم مالك الأشتر، وثابت بن قيس بن مُنقَع، وكُمَيْل بن زياد النخعي، وصعصعة بن صُوحان. ثم ذكر نحو حديث السري، عن شعيب؛ إلا أنه قال: فقال صعصعة: فإن اخترقت الجنة، أفليس يُخلّص إلينا؟ فقال معاوية: إن الجنة لا تحترق، فضع أمر قريش على أحسن ما يحضرك.

وزاد فيه أيضاً: إن معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكرهم، قال فيها يقول: وإني والله ما آمركم بشيء إلا قد بدأت فيه بنفسي وأهل بيتي وخاصتي؛ وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة ﷺ؛ فإن الله انتخبه وأكرمه، فلم يخلق في أحد من الأخلاق الصالحة شيئاً إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها؛ ولم يخلق من الأخلاق السيئة شيئاً في أحد إلا أكرمه الله عنه ونزّهه؛ وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حازماً. قال صعصعة: كذبت! قد ولّهم خير من أبي سفيان؛ مَنْ خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ والفاجر، والأحق والكيس. فخرج تلك الليلة من

عندهم، ثم أتاهم القابلة، فتحدّث عندهم طويلاً، ثم قال: أيّها القوم، ردّوا عليّ خيراً أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم، وينفع عشائركم، وينفع جماعة المسلمين؛ فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم. فقال صعصعة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله. فقال: أوليس ما ابتدأكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه ﷺ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرّقوا! قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي ﷺ. قال: فإني آمركم الآن، إن كنت فعلت فأتوب إلى الله، وأمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه ﷺ ولزوم الجماعة، وكرهة الفرقة، وأن توقروا أثمتكم وتدلّوا على كلّ حسن ما قدرتم، وتعيظوهم في لين ولطف في شيء إن كان منهم. فقال صعصعة: فإنّا نأمرُك أن تعتزل عملك؛ فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك، قال: من هو؟ قال: من كان أبوه أحسن قدماً من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدماً منك في الإسلام، فقال: والله إنّ لي في الإسلام قدماً؛ ولغيري كان أحسن قدماً مني؛ ولكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني؛ ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هودة ولا لغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي؛ ولورأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إليّ بخطّ يده فاعتزلت عمله؛ ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت ألا يعزم له على ذلك إلا وهو خير؛ فمهلاً فإنّ في ذلك وأشباهه ما يتمنّى الشيطان ويأمر؛ ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم وأمانيتكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبرها؛ وهو بالغ أمره؛ فعاودوا الخبر وقولوه.

فقالوا: لست لذلك أهلاً، فقال: أما والله إن الله لسطّوات ونقمات، وإني لخائف عليكم أن تتايعوا في مطاوعة الشيطان حتى تُحلّكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نعم الله في عاجل الأمر، والخزي الدائم في الآجل.

فوثبوا عليه؛ فأخذوا برأسه ولحيته، فقال: مه؛ إنّ هذه ليست بأرض الكوفة، والله لورأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا أمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم. فلعمري إنّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً، ثم أقام من عندهم، فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت.

ثم كتب إلى عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد يا أمير المؤمنين، فإنك بعثت إليّ أقواماً يتكلّمون بالسنة الشياطين وما يُملّون عليهم، ويأتون الناس - زعموا - من قبل القرآن، فيشبهون على الناس، وليس كلّ الناس يعلم ما يريدون؛ وإنما يريدون فرقة؛ ويقربون فتنة؛ قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكّنت رُقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرائيّهم من أهل الكوفة؛ ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم؛ فأردّدهم إلى مصرهم، فلتكنّ دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم؛ والسلام. فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم إليه، فلم يكونوا إلّا أطلق السنة منهم حين رجعوا.

وكتب سعيد إلى عثمان يضحّ منهم؛ فكتب عثمان إلى سعيد أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ وكان أميراً على حمص.

وكتب إلى الأشتر وأصحابه: أمّا بعد؛ فإني قد سيّرتكم إلى حمص، فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها؛

فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شراً. والسلام.

فلما قرأ الأشر الكتاب، قال: اللهم أسوأنا نظراً للرعية وأعملنا فيهم بالمعصية؛ فعجل له النعمة.

فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، وسار الأشر وأصحابه إلى حمص؛ فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل، وأجرى عليهم رزقاً.

قال محمد بن عمر: حدثني عيسى بن عبد الرحمن، عن أبي إسحاق الهمداني، قال: اجتمع نفر بالكوفة - يطعنون على عثمان - من أشرف أهل العراق: مالك بن الحارث الأشر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان العبدي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمر بن الحقيق الخزاعي.

فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم، فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام وألزمهم الدروب. ذكر الخبر.

عن تسيير عثمان من سير من أهل البصرة إلى الشام

مما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي؛ قال: لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين، بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حكيم بن جبلة، وكان حكيم بن جبلة رجلاً لصاً، إذا قفل الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس، فغير على أهل الذمة، ويتنكر لهم، ويفسد في الأرض، ويصيب ما شاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان. فكتب إلى عبد الله بن عامر: أن احبسه، ومن كان مثله فلا يخرج من البصرة حتى تأنسوا منه رُشداً؛ فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها. فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح، فقبلوا منه، واستعظموه، وأرسل إليه ابن عامر، فسأله: ما أنت؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب، رغب في الإسلام، ورغب في جوارك؛ فقال: ما يبلغني ذلك، اخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر، وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: إن حمران بن أبان تزوج امرأة في عدتها، فنكل به عثمان، وفرق بينهما، وسيره إلى البصرة، فلزم ابن عامر، فتذاكروا يوماً الركوب والمروءة بعامر بن عبد قيس - وكان منقبضاً عن الناس - فقال حمران: ألا أسبقكم فأخبره! فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف، فقال: الأمير أراد أن يمر بك فأحببت أن أخبرك، فلم يقطع قراءته ولم يقبل عليه، فقام من عنده خارجاً. فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر، فقال: جئتك من عند امرئ لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً؛ واستأذن ابن عامر، فدخل عليه، وجلس إليه، فأطبق عامر المصحف، وحذته ساعة، فقال له ابن عامر، ألا تغشانا؟ فقال: سعد بن أبي العرجاء يحب الشرف، فقال: ألا نستعملك؟ فقال: حصين بن أبي الحر يحب العمل، فقال: ألا تزوجك! فقال: ربيعة بن عسل يعجبه النساء، قال: إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً، فنصفح المصحف؛ فكان أول ما وقع عليه وافتتح منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)، فلما رَدَّ حمران تتبع ذلك منه، فسعى به، وشهد له أقوام فسيره

إلى الشام، فلما علموا علمه أذنوا له فأبى ولزم الشام.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، أن عثمان سیر حُران بن أبان؛ أن تزوج امرأة في عِدتها، وفرق بينهما، وضربه وسيّره إلى البصرة؛ فلما أتى عليه ما شاء الله، وأتاه عنه الذي يحب، أذن له. فقدم عليه المدينة، وقدم معه قوم سَعَوْا بعامر بن عبد قيس؛ أنه لا يرى التزويج، ولا يأكل اللحم؛ ولا يشهد الجمعة - وكان مع عامر انقباض؛ وكان عمله كله خفية - فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك، فألحقه بمعاوية؛ فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة فأكل أكلاً غريباً؛ فعرف أن الرجل مكذوب عليه، فقال: يا هذا، هل تدري فيم أخرجت؟؟ قال: لا، قال: أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم، ورأيتك وعرفت أن قد كُذِبَ عليك، وأنت لا ترى التزويج، ولا تشهد الجمعة، قال: أما الجمعة فإني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس؛ وأما التزويج فإني خرجت وأنا يُحْطَبُ عليّ؛ وأما اللحم فقد رأيت، ولكني كنت امرأ لا أكل ذبائح القضاة منذ رأيت قصاباً يجرّ شاة إلى مذبحتها، ثم وضع السكين على مذبحتها، فما زال يقول: النفاق النفاق، حتى وجبت. قال: فارجع، قال: لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله مني ما استحلوا ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي. وكان يكون في السواحل؛ وكان يلقي معاوية، فيكثر معاوية أن يقول: حاجتك؟ فيقول: لا حاجة لي، فلما أكثر عليه، قال: تردّ عليّ من حرّ البصرة لعلّ الصوم أن يشتدّ عليّ شيئاً، فإنه يخفّ عليّ في بلادكم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما قدم مسيرة أهل الكوفة على معاوية، أنزلهم داراً، ثم خلا بهم، فقال لهم وقالوا له: فلما فرغوا قال: لم تُوتُوا إلا من الحمق، والله ما أرى منطقاً سديداً، ولا عذراً مبيناً، ولا حلاً ولا قوة؛ وإنك يا صعصعة لأحقهم؛ اصنعوا وقولوا ما شئتم ما لم تدعوا شيئاً من أمر الله؛ فإن كل شيء يحتمل لكم إلا معصيته، فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم. فرآهم بعد وهم يشهدون الصلاة، ويقفون مع قاصّ الجماعة، فدخل عليهم يوماً وبعضهم يقرئ بعضاً، فقال: إن لحلفاً مما قدّمتم به عليّ من النزاع إلى أمر الجاهلية، اذهبوا حيث شئتم، واعلموا أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم؛ وإن لم تلزموها شقيتم بذلك دونهم؛ ولم تضروا أحداً، فجزّوه خيراً، وأثنوا عليه، فقال: يابن الكواء، أي رجل أنا؟ قال: بعيد الثرى، كثير المرعى، طيب البديهة، بعيد الغور، الغالب عليك الحلم، ركن من أركان الإسلام، صُدّت بك فرجة مخوفة. قال: فأخبرني عن أهل الإحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك؛ قال: كاتبهم وكاتبوني، وأنكروني وعرفتهم؛ فأما أهل الإحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشرّ، وأعجزه عنه. وأما أهل الإحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظر الناس في صغير، وأركبه لكبير. وأما أهل الاحداث من أهل البصرة، فإنهم يردّون جميعاً، ويصدرون شتّى، وأما أهل الإحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشرّ، وأسرع ندامة؛ وأما أهل الإحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدتهم، وأعصاه لمغويهم.

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان.

وزعم أبو مشعر أن فتح قبرس كان في هذه السنة، وقد ذكرت من خالفه في ذلك.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فزعم أبو معشر أن غزوة الصواري كانت فيها، حدثني بذلك أحمد، عمن حدثه، عن إسحاق، عنه .
وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر من خالف أبا معشر في وقتها .
وفيهما كان ردّ أهل الكوفة سعيد بن العاص عن الكوفة .
وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيها كانوا يذكرون أنهم
نقموا عليه .

ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرعة :

مما كتب إليّ به السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن قيس بن يزيد النخعيّ،
قال : لما رجع معاوية المسيّرين، قالوا : إنّ العراق والشام ليسا لنا بدار؛ فعليكم بالجزيرة . فأتوها اختياراً . فغدا
عليهم عبد الرحمن بن خالد، فسامهم الشدة، فضرعوا له وتابعوه . وسرّح الأشر إلى عثمان، فدعا به، وقال :
اذهب حيث شئت، فقال : أرجع إلى عبد الرحمن، فرجع . ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى
عشرة من إمارة عثمان . وقبل مخرج سعيد بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان . وقبل
مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الأشعث بن قيس على أدريجان، وسعيد بن قيس
على الرّيّ ؛ وكان سعيد بن قيس على همدان، فعزل وجعل عليها النّسير العجليّ، وعلى إصبهان السائب بن
الأقرع، وعلى مائة مالك بن حبيب اليربوعيّ، وعلى الموصل حكيم بن سلامة الحزاميّ، وجريير بن عبد الله على
قرقيسياء، وسلّمان بن ربيعة على الباب؛ وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى حُلوان عُتيبة بن النّحاس؛
ونخلت الكوفة من الرؤساء إلّا منزعاً أو مفتوناً . فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلّع عثمان، فدخل المسجد،
فجلس فيه، وثاب إليه الذين كان فيه ابن السوداء يكاتبهم؛ فانقضّ عليه القعقاع، فأخذ يزيد بن قيس،
فقال : إنّما نستعفي من سعيد، قال : هذا ما لا يعرض لكم فيه، لا تجلس لهذا ولا يجتمعنّ إليك، واطلب
حاجتك، فلعمري لتعطيتها . فرجع إلى بيته واستأجر رجلاً، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتي المسيّرين . وكتب
إليهم : لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا، فإنّ أهل المصر قد جامعوننا . فانطلق الرجل، فأتى عليهم وقد
رجع الأشر؛ فدفع إليهم الكتاب، فقالوا : ما اسمك؟ قال : بُغث؛ قالوا : ممن؟ قال : من كلب، قالوا : سُبّع
ذليل يبغي النفوس؛ لا حاجة لنا بك . وخالفهم الأشر، ورجع عاصياً، فلما خرج قال أصحابه : أخرجنا
أخرجه الله؛ لا نجد بداً عما صنع؛ إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدّقنا ولم يستقلّها، فاتّبعوه فلم يلحقوه؛ وبلغ عبد

الرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم في السواد، فسار الأشتر سبعاً والقوم عشراً، فلم يفاجأ الناس في يوم جمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول: أيها الناس؛ إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركت سعيداً يريد على نقصان نسائكم إلى مائة درهم. ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين، ويقول: ما بال أشراف النساء؛ وهذه العلاوة بين هذين العذلين! ويزعم أن فيثكم بستان قريش؛ وقد سايرته مرحلة، فما زال يزجر بذلك حتى فارقت؛ يقول:

وَيْلٌ لِأَشْرَافِ النِّسَاءِ مِنِّي صَمَحَمَحْ كَأَنِّي مِن جَنْ

فاستخفت الناس، وجعل أهل الحجى ينهونه فلا يسمع منهم، وكانت نفجة، فخرج يزيد، وأمر منادياً ينادي: مَنْ شَاءَ أَنْ يَلْحَقَ بِبِزِيدَ بْنِ قَيْسٍ لَرْدَ سَعِيدٍ وَطَلَبَ أَمِيرٍ غَيْرِهِ فَلْيَفْعَلْ. وبقي حُلَمَاءُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، وَذَهَبَ مَنْ سَوَاهُمْ، وَعَمَرُو بْنُ حُرَيْثٍ يَوْمُئِذٍ الْخَلِيفَةُ، فَصَعِدَ الْمُنْبَرُ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا، فَلَا تَعُودُوا فِي شَرِّ قَدْ اسْتَنْقَذَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ. أَبْعَدَ الْإِسْلَامَ وَهَذِيهِ وَسْتَهُ لَا تَعْرِفُونَ حَقًّا، وَلَا تَصِيْبُونَ بَابَهُ! فَقَالَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو: أَتَرَدُّ السَّيْلَ عَنْ عُقْبَاهُ! فَارْدُدِ الْفِرَاتَ عَنْ أَدْرَاجِهِ، هِيَهَاتَ! لَا وَاللَّهِ لَا تُسَكِّنُ الْغَوَّاءَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةَ وَيُوشِكُ أَنْ تُنْتَضَى، ثُمَّ يَعْبَجُونَ عَجِيجَ الْعِتْدَانِ وَيَتَمَنُّونَ مَا هُمْ فِيهِ فَلَا يَرُدُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا. فَاصْبِرْ؛ فَقَالَ: أَصْبِرْ، وَتَحَوَّلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَخَرَجَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى نَزَلَ الْجَرَعَةَ؛ وَمَعَهُ الْأَشْتَرُ، وَقَدْ كَانَ سَعِيدٌ تَلَبَّثَ فِي الطَّرِيقِ، فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ سَعِيدٌ وَهُمْ مَقِيمُونَ لَهُ مَعْسُكِرُونَ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا بِكَ. فَقَالَ: فَمَا اخْتَلَفْتُمْ الْآنَ؛ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكُمْ أَنْ تَبْعَثُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلًا وَتَضَعُوا إِلَيْهِ رَجُلًا. وَهَلْ يَخْرُجُ الْأَلْفُ لَهُمْ عَقُولٌ إِلَى رَجُلٍ! ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ وَتَحَسَّوْا بِمَوْتِهِ عَلَى بَعِيرٍ قَدْ حُسِرَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لِسَعِيدٍ أَنْ يَرْجِعَ. فَضْرَبَ الْأَشْتَرُ عُنُقَهُ، وَمَضَى سَعِيدٌ حَتَّى قَلِمَ عَلَى عُثْمَانَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرُ، فَقَالَ: مَا يَرِيدُونَ؟ أَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ؟ قَالَ: أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْبَدَلَ. قَالَ: فَمَنْ يَرِيدُونَ؟ قَالَ: أَبَا مُوسَى؛ قَالَ: قَدْ أَثْبَتْنَا أَبَا مُوسَى عَلَيْهِمْ، وَوَاللَّهِ لَا نَجْعَلُ لِأَحَدٍ عُذْرًا، وَلَا نَتْرَكُ لَهُمْ حُجَّةً، وَلَنْصَبِرَنَّ كَمَا أَمَرْنَا حَتَّى نَبْلُغَ مَا يَرِيدُونَ. وَرَجَعَ مَنْ قَرَّبَ عَمَلُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، وَرَجَعَ جَرِيرٌ مِنْ قَرْقِيسِيَاءَ وَعُتَيْبَةُ مِنْ حُلَوَانَ. وَقَامَ أَبُو مُوسَى فَتَكَلَّمَ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَنْفَرُوا فِي مِثْلِ هَذَا، وَلَا تَعُودُوا لِمِثْلِهِ، الزَّمُوا جَمَاعَتَكُمْ وَالطَّاعَةَ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْعَجَلَةَ، اصْبَرُوا، فَكَأَنَّكُمْ بِأَمِيرٍ. قَالُوا: فَصَلِّ بِنَا، قَالَ لَا، إِلَّا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ؛ قَالُوا: عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعُثْمَانَ.

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحْمَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ بْنُ طَلْحَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ بْنُ عَيْسَى، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَيْسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ الْعَنْبَرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَتَذَاكُرُوا أَعْمَالَ عُثْمَانَ وَمَا صَنَعَ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْهِ رَجُلًا يَكَلِّمُهُ، وَيُخْبِرُهُ بِأَحْدَاثِهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ ثُمَّ الْعَنْبَرِيَّ - وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ - فَأَتَاهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اجْتَمَعُوا فَظَنُّوا فِي أَعْمَالِكَ، فَوَجَدُوكَ قَدْ رَكِبْتَ أُمُورًا عَظِيمًا؛ فَاتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَتُبْ إِلَيْهِ، وَانْزِعْ عَنْهَا. قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: انْظُرْ إِلَى هَذَا، فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَارِءٌ، ثُمَّ هُوَ يَجِيءُ فَيَكَلِّمُنِي فِي الْمُحَقَّرَاتِ، فَوَاللَّهِ مَا يَدْرِي أَيْنَ اللَّهُ! قَالَ عَامِرٌ: أَنَا لَا أَدْرِي أَيْنَ اللَّهُ! قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي أَيْنَ اللَّهُ؛ قَالَ عَامِرٌ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأَدْرِي أَنَّ اللَّهَ بِالْمُرْصَادِ لَكَ.

فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإلى سعيد بن العاص، وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وإلى عبد الله بن عامر؛ فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه، وما بلغه عنهم، فلما اجتمعوا عنده قال لهم: إن لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحايتي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلي أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم، وأشيروا عليّ.

فقال له عبد الله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلولوا لك فلا يكون همّة أحدهم إلّا نفسه، وما هو فيه من دبرة دابته، وقمل فروه. ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كنت ترى رأينا فاحسم عنك الداء، واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي نصيب؛ قال: وما هو؟ قال: إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا، ولا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: إن هذا الرأي لولا ما فيه. ثم أقبل معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن تردّ عمالك على الكفاية لما قبلهم، وأنا ضامن لك قبلي.

ثم أقبل على عبد الله بن سعد، فقال: ما رأيك؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم. ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون؛ فاعتزم أن تعتدل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزمًا، وامض قُدماً؛ فقال عثمان: ما لك قِبل فروك؟ أهذا الجحد منك! فأسكت عنه دهرًا، حتى إذا تفرق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أعز عليّ من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا، فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي، فأقود إليك خيراً، أو أدفع عنك شراً.

حدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن عمرو بن أبي المقدام، عن عبد الملك بن عمير الزهري، أنه قال: جمع عثمانُ أمراء الأجناد: معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعمرو بن العاص، فقال: أشيروا عليّ، فإن الناس قد تنمّروا لي، فقال له معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء أجنادك فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك أنا أهل الشام؛ فقال له عبد الله بن عامر: أرى لك أن تجمرهم في هذه البعوث حتى يهّم كل رجل منهم دبر دابته، وتشغلهم عن الإرجاف بك، فقال عبد الله بن سعد: أشير عليك أن تنظر ما أسخطهم فترضيهم، ثم تخرج لهم هذا المال فيقسم بينهم.

ثم قام عمرو بن العاص فقال: يا عثمان؛ إنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية، فقلت وقالوا: وزغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزمًا، وامض قُدماً؛ فقال له عثمان: مالك قِبل فروك! أهذا الجحد منك! فأسكت عمرو حتى إذا تفرقوا قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أكرم عليّ من ذلك، ولكني قد علمت أن بالباب قوماً قد علموا أنك جمعتنا لنشير عليك، فأحببت أن يبلغهم قولي، فأقود لك خيراً، أو أدفع عنك شراً. فردّ عثمانُ عماله على أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعث، وعزم على تحريم أعطيائهم ليطيعوه، ويحتاجوا إليه، وردّ سعيد بن العاص أميراً على الكوفة، فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح، فتلقوه فردّوه، وقالوا: لا والله لا يلي علينا حُكماً ما حملنا سيوفنا.

حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو وَعَلِيٌّ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى عَمِيرِ بْنِ سَعْدِ النَّخَعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْأَشْتَرِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ عَلَى وَجْهِهِ الْغُبَارُ، وَهُوَ مُتَقَلِّدُ السِّيفِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا مَا حَمَلْنَا سَيُوفَنَا - يَعْنِي سَعِيداً، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجَرَّعَةِ، وَالْجَرَّعَةُ مَكَانٌ مُشْرِفٌ قُرْبَ الْقَادِسِيَّةِ - وَهَنَّاكَ تَلْقَاهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ.

حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو وَعَلِيٌّ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَمْرُو بْنِ مَرَّةَ الْجَمَلِيِّ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ، عَنْ أَبِي ثَوْرٍ الْحَدَّائِيِّ - وَحَدَّثَنَا حَيٌّ مِنْ مُرَادٍ - أَنَّهُ قَالَ: دَفَعْتُ إِلَى حَدِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَأَبِي مَسْعُودِ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرُو الْأَنْصَارِيِّ وَهُمَا فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الْجَرَّعَةِ، حَيْثُ صَنَعَ النَّاسُ بِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مَا صَنَعُوا، وَأَبُو مَسْعُودٍ يُعْظِمُ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: مَا أَرَى أَنْ تُرَدَّ عَلَى عَقْبِيهَا حَتَّى يَكُونَ فِيهَا دِمَاءٌ، فَقَالَ حَدِيفَةُ: وَاللَّهِ لَتُرَدَّنَّ عَلَى عَقْبِيهَا، وَلَا يَكُونُ فِيهَا مُحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ، وَمَا أَعْلَمُ مِنْهَا الْيَوْمَ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُهُ وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَيٌّ؛ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصْبِحُ عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ يُمْسِي وَمَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ يِقَاتِلُ أَهْلَ الْقُبْلَةِ وَيَقْتُلُهُ اللَّهُ غَدًا، فَيَنْكُصُ قَلْبُهُ، فَتَعْلُوهُ أَسْتُهُ. فَقُلْتُ لِأَبِي ثَوْرٍ: فَلَعَلَّهُ قَدْ كَانَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ. فَلَمَّا رَجَعَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُثْمَانَ مَطْرُوداً، أَرْسَلَ أَبَا مُوسَى أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ، فَأَقْرَوَهُ عَلَيْهَا.

كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: قَامَ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْفِتْنَةِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْكُتُوا، فَلَمَّا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَرَجَ وَعَلَى النَّاسِ إِمَامٌ - وَاللَّهِ مَا قَالَ: عَادِلٌ - لَيْشَقَّ عَصَاهُمْ، وَيَفْرَقَ جَمَاعَتَهُمْ، فَاقْتُلُوهُ كَاتِئاً مَنْ كَانَ».

كُتِبَ إِلَيَّ السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطْلُحَةَ، قَالَا: لَمَّا اسْتَعْوَى يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ النَّاسَ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، خَرَجَ مِنْهُ ذِكْرُ عُثْمَانَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرُو حَتَّى أَخَذَهُ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ أَلَاكَ عَلَيْنَا فِي أَنْ نَسْتَعْفِيَ سَبِيلَ؟ قَالَ: لَا، فَهَلْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاسْتَعْفِ. وَاسْتَجَلَبَ يَزِيدُ أَصْحَابَهُ مِنْ حَيْثُ كَانُوا، فَرَدُّوا سَعِيداً، وَطَلَبُوا أَبَا مُوسَى، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ اخْتِرْتُمْ، وَأَعْفَيْتُكُمْ مِنْ سَعِيدٍ، وَاللَّهُ لَأَفْرُسَنَّكُمْ عَرْضِي، وَلَأَبْذُلَنَّ لَكُمْ صَبْرِي، وَلَأَسْتَصْلِحَنَّكُمْ بِجَهْدِي، فَلَا تَدْعُوا شَيْئاً أَحْبَبْتُمُوهُ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ إِلَّا سَأَلْتُمُوهُ، وَلَا شَيْئاً كَرِهْتُمُوهُ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ إِلَّا اسْتَعْفَيْتُمْ مِنْهُ؛ أَنْزَلَ فِيهِ عِنْدَمَا أَحْبَبْتُمْ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَكُمْ عَلَيَّ حِجَّةٌ.

وَكُتِبَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ، فَقَدِمَتْ إِمَارَةُ أَبِي مُوسَى وَغَزَوْ حُدَيْفَةَ وَتَأَمَّرَ أَبُو مُوسَى، وَرَجَعَ الْعَمَّالُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، وَمَضَى حُدَيْفَةُ إِلَى الْبَابِ.

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ كُتِبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: أَنْ أَقْدَمُوا، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْجِهَادَ فَعِنْدَنَا الْجِهَادُ. وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ، وَنَالُوا مِنْهُ أَقْبَحَ مَا نِيلَ مِنْ أَحَدٍ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرُونَ وَيَسْمَعُونَ؛ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يَنْهَى وَلَا يَذُبُّ إِلَّا نَفِيرَ؛ [مِنْهُمْ] زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو أَسِيدٍ السَّاعِدِيُّ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَحُسَيْنُ بْنُ ثَابِتٍ. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، وَكَلَّمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؛ فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: النَّاسُ وَرَائِي، وَقَدْ كَلَّمُونِي فِيكَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي

ما أقول لك، وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه؛ إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وما خصصنا بأمر دونك، وقد رأيت وسمعت، وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينال، ولا سبقاك إلى شيء. فالله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمي، ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة. تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هادي وهدي، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة متروكة، فوالله إن كلاً لبين، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر، ضلّ وضلّ به، فأمات سنة معلومة، وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤق يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم، فيدور في جهنم كما تدور الرّحا، ثم يرتطم في غمرة جهنم». وإني أحذرك الله، وأحذرك سطوته ونقماته؛ فإن عذابه شديد أليم. وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه يقال: يُقتل في هذه الأمة إمام، فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتُلّس أمورُها عليها، ويتركهم شيعاً، فلا يُبصرون الحق لعلو الباطل؛ يمجون فيها موجاً؛ ويمرجون فيها مرجاً.

فقال عثمان: قد والله علمت، ليقولن الذي قلت، أما والله لو كنت مكاني ما عفتك، ولا أسلمتك، ولا عبت عليك، ولا جثت منكراً أن وصلت رحماً، وسدّدت خلة، وآويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي. أنشدك الله يا علي، هل تعلم أن المغيرة بن شعبه ليس هناك! قال: نعم؛ قال: فتعلم أن عمر ولّاه؟ قال: نعم، قال: فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رّحه وقربته؟ قال علي: سأخبرك، إن عمر بن الخطاب كان كل من ولي فإنما يطأ على صمّاحه، إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية؛ وأنت لا تفعل، ضعفت ورقت على أقربائك. قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً. فقال علي: لعمري إن رّحهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم؛ قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولي معاوية خلافته كلها؟ فقد وليته. فقال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرّفا غلام عمو منه؟ قال: نعم. قال علي: فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها، فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك ولا تغير على معاوية. ثم خرج علي من عنده، وخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فقال: أما بعد، فإن لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، عيابون طعانون، يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون؛ يقولون لكم وتقولون، أمثال النعمان يتبعون أول ناعق؛ أحب مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلا نغصاً ولا يردون إلا عكراً، لا يقوم لهم رائد، وقد أعيتهم الأمور، وتعدّرت عليهم المكاسب. ألا فقد والله عبت علي بما أقررت لابن الخطاب بمثله؛ ولكنه وطثكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتهم أو كرهتم، ولنت لكم، وأوطأت لكم كتفي، وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي. أما والله لانا أعز نفراً، وأقرب ناصراً وأكثر عدداً، وأقمن إن قلت هلمّ أتي إلي، ولقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشّرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقاً لمن أكن أحسنه، ومنطقاً لم أنطق به، فكفوا عليكم ألسنتكم، وطعنكم وعيبكم على ولا تكم، فإنني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيت منه بدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حقكم؟ والله ما قصّرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي، ومن لم تكونوا تحتلفون عليه. فضل فضل من مال، فما لي لا أصنع في الفضل

ما أريد! فلم كنتُ إماماً!

فقام مروان بن الحَكَم، فقال: إن شئتم حَكَمنا والله بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر:

فَرَشْنَا لَكُمْ أَعْرَاضَنَا فَتَبَّتْ بِكُمْ مَعَارِسُكُمْ تَبْنُونَ فِي دَمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان: اسكت لاسكت، دعني وأصحابي، ما منطقتُك في هذا! ألم أتقدم إليك ألا تنطق! فسكت مروان، ونزل عثمان.

وفي هذه السنة مات أبو عَبَس بن جَبْر بالمدينة، وهو بدريّ. ومات أيضاً مُسْطَح بن أثاثه، وعافل بن أبي البَكِير من بني سعد بن ليث، حليف لبني عديّ، وهما بدريّان.

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك نزول أهل مصرَ ذا خُشب، حدَّثني بذلك أحمد بن ثابت، عن عمن حدَّته، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كان ذو خُشب سنة خمس وثلاثين، وكذلك قال الواقدي.

ذكر مسير من سار إلى ذي خُشب من أهل

مصرَ وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من أهل العراق

فما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصرَ، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لَعَجِبُ ممن يزعم أنَّ عيسى يرجع، ويكذب بأنَّ محمداً يرجع، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (١). فمحمَّد أحقُّ بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصيَّ محمد؛ ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: مَنْ أظلم ممن لم يُجزِ وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك: إنَّ عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فانفضوا في هذا الأمر فحرِّكوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ تستميلوا الناس، وادعواهم إلى هذا الأمر.

فبثَّ دعائه، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السرِّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عُيوب وُلاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كلِّ مصرٍ منهم إلى مصرٍ آخر بما يصنعون؛ فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يُظهرون، ويُسرِّون غير ما يُبدون، فيقول أهل كلِّ مصر: إنَّا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلَّا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنَّا لفي عافية مما فيه الناس، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيا تيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله، ما جاءني إلَّا السلامة، قالوا: فإننا قد أتانا. وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم؛ قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا علي؛ قالوا: نُشير عليك

أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم؛ وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يُقْسِطون بينهم، ويقومون عليهم. واستبطن الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفاجئهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه؛ منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن مَلَجَم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعطية، قالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار: أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيتُهُ، وليس لي ولعوالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يُشتمون، وآخرون يُضربون، فإما من ضرب سراً، وشتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان؛ مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين. فلما قرىء في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان وقالوا: إن الأمة لتمخض بشراً. وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه: عبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد؛ وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً، فقال: ويحكم! ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يُعصب هذا إلا بي؛ فقالوا له: ألم تبعث! ألم ترجع إليك الخبر عن القوم! ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد شيء! لا والله ما صدقوا ولا برّوا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء؛ وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا عليّ؛ فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يُصنع في السرّ، فيُلقي به غير ذي المعرفة، فيُخبر به، فيُتحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم؛ فإنه خير من أن تدعهم. قال معاوية: قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيتك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما؛ قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وتراخيت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين. إن الشدة تنبغي لمن لا يالو الناس شراً، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتها جميعاً اللين.

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتكم به عليّ قد سمعتُ، ولكل أمر باب يؤق منه؛ إن هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يُغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها، فإن سده شيء فرّق، فذاك والله ليُفتح، وليست لأحد عليّ حجة حق، وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً، ولا نفسي. والله إن رحا الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغترفوا لهم، وإذا تعوطيت حقوق

الله فلا تُذهِنوا فيها.

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه. ولما استقل عثمان رَجَزَ الحادي :

قَد عَلِمْتُ ضَوَامِرُ الْمَظِيٍّ وَضَامِرَاتُ عَوَجِ الْقِسِيِّ
أَنَّ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ وَفِي الزُّبَيْرِ خَلْفٌ رَضِيٌّ
وطلحة الحامي لها وليٌّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان : الأميرُ والله بعده صاحبُ البغلة - وأشار إلى معاوية .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن الخليل بن عثمان بن قطبة الأسديِّ ، عن رجل من بني أسد ، قال : ما زال معاويةُ يطمع فيها بعد مقدِّمه على عثمان حين جمعهم ، فاجتمعوا إليه بالموسم ، ثم ارتحل ، فحدَّا به الرَّاجز :

إِنَّ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ وَفِي الزُّبَيْرِ خَلْفٌ رَضِيٌّ

قال كعب : كَذَبْتَ! صاحبُ الشُّهَاء بعده - يعني معاوية - فأخبر معاوية ، فسأله عن الذي بلغه ، قال : نعم ، أنت الأمير بعده ، ولكنَّها والله لا تصل إليك حتى تُكَذِّبَ بحديثي هذا . فوقعت في نفس معاوية .

وشارَكهم في هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان ، عن رَجاء بن حَيوة وغيره . قالوا : فلما وردَ عثمانُ المدينة ردَّ الأمراء إلى أعمالهم ، فمَضُوا جميعاً ، وأقام سعيد بعدهم ، فلما ودَّع معاويةُ عثمانَ خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلِّداً سيفه ، متنكباً قوسه ، فإذا هو بنفر من المهاجرين ، فيهم طلحة والزبير وعليٌّ ، فقام عليهم ، فتوكَّأ على قوسه بعد ما سلَّم عليهم ، ثم قال : إنَّكم قد علمتم أنَّ هذا الأمر كان إذ الناس يتغالَّبون إلى رجال ، فلم يكن منكم أحد إلَّا وفي فصيلته من يَرِثه ، ويستبدُّ عليه ، ويقطع الأمرُ دونه ، ولا يُشْهده ، ولا يؤمِّره ، حتى بعث الله جلَّ وعزَّ نبيَّه ﷺ ، وأكرم به من اتبعه ؛ فكانوا يَرِثُسون من جاء من بعده ، وأمرهم شورى بينهم ، يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد ؛ فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمرُ أمرهم ، والناس تبعٌ لهم ، وإن أصغوا إلى الدُّنيا وطلبوها بالتغالُّب سلبوا ذلك ، وردَّه الله إلى من كان يرثُهم . وإلَّا فليَحذروا الغَيْرَ ، فإنَّ الله على البَدَل قادر ، وله المشيئة في ملكه وأمره . إنِّي قد خلَّفت فيكم شيخاً فاستوصُوا به خيراً ، وكانفوه تكونوا أسعدَ منه بذلك . ثم ودَّعهم ومضى ؛ فقال عليٌّ : ما كنتُ أرى أنَّ في هذا خيراً ؛ فقال الزبير : لا والله ، ما كان قطَّ أعظمَ في صدرك وصدورنا منه الغداة .

حدَّثني عبد الله بن أحمد بن شَبَّوْه ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة ، قال : أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه ؛ فخرجتُ معه حتى دخل عليَّ عثمان ، وإذ عليٌّ وسعد والزبير وعثمان ومعاوية ، فحمد الله معاويةً وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أنتم أصحاب رسول الله ﷺ ، وخيرته في الأرض ، وولاة أمر هذه الأمة ، لا يطمع في ذلك أحد غيركم ، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع ، وقد كبرت سنُّه ، وولَّى عمره ، ولو انتظرتُم به الهرم كان قريباً ؛ مع أنَّي أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغ به ذلك ، وقد فشئتُ قاله خفتُّها عليكم ، فما عتبتُم فيه من شيء فهذه يدي لكم به ، ولا تُطمعوا الناس في

أمركم، فوالله لئن طمعوا في ذلك لا رأيتم فيها أبداً إلا إداراً. قال عليّ: ومالكٌ وذلك! وما أدراك لا أم لك! قال: دع أُمّي مكانها، ليست بشرّ أمّهاتكم، قد أسلمت وبأيعت النبي ﷺ وسلم، وأجّبتني فيما أقول لك. فقال عثمان: صدق ابن أخي، إنّي أخبركم عني وعمّا وليتُ، إنّ صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً، وإنّ رسول الله ﷺ كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عيلة، وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك المال، لمكان ما أقوم به فيه، ورأيت أنّ ذلك لي، فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه، فأمرني لأمركم تبع. قالوا: أصبت وأحسنّت؛ قالوا: أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد مروان - وكانوا يزعمون أنه أعطي مروان خمسة عشر ألفاً، وابن أسيد خمسين ألفاً - فردّوا منها ذلك، فرضّوا وقبلوا، وخرجوا راضين.

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن شيوخه:

وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج: يا أمير المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبيل لك به، فإنّ أهل الشام على الأمر لم يزلوا. فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء؛ وإن كان فيه قطع خيطٍ عنقي. قال: فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهرائي أهل المدينة لئلا تابت المدينة أو إياك. قال: أنا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجندٍ تساكهم، وأضيق على أهل دار الهجرة والنصرة! قال: والله يا أمير المؤمنين، لتغتالن أو لتغزين؛ قال: حسبي الله ونعم الوكيل. وقال معاوية: يا أيسار الجزور، وأين أيسار الجزور! ثم خرج حتى وقف على النفر، ثم مضى. وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجاهم أن يثوروا خلاف أمرائهم. وأتعدوا يوماً حيث شخص أمراؤهم، فلم يستقم ذلك لأحد منهم، ولم ينهض إلا أهل الكوفة، فإنّ يزيد بن قيس الأرحبيّ شار فيها، واجتمع إليه أصحابه، وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو، فأتاه فأحاط الناس بهم وناشدوهم؛ فقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء! فوالله إني لسامع مطيع، وإني للآزم لجماعتي إلا أنّي أستعفي ومن ترى من إمارة سعيد، فقال: استعفى الخاصة من أمر قد رضيته العامة؟ قال: فذاك إلى أمير المؤمنين. فتركهم والاستعفاء، ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك، فاستقبلوا سعيداً، فردّوه من الجرعة، واجتمع الناس على أبي موسى، وأقره عثمان رضي الله تعالى عنه. ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرّون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس، ولتحقق عليه؛ فتوافوا بالمدينة، وأرسل عثمان رجلين: مخزومياً وزُهرياً، فقال: انظرا ما يريدون، واعلما علمهم - وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب، فاصطبرا للحق، ولم يضطغنا - فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة؟ قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: هل إلّا؟ قالوا لا! قالوا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرّعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أننا قرّرنا بها، فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإنّ أبي قتلناه. وكانت إياها، فرجعا إلى عثمان بالخبر، فضحك وقال: اللهم سلّم هؤلاء، فإنك إن لم تسلمهم شقوا.

أمّا عمّار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه. وأمّا محمّد بن أبي بكر فإنه أعجب حتى رأى أنّ الحقوق لا تلزمه، وأمّا ابن سهلة فإنه يتعرّض للبلاء. فأرسل إلى الكوفيين والبصريين، ونادى: الصلاة جامعة! وهم عنده في أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه،

وأخبرهم خبر القوم، وقام الرجال، فقالوا جميعاً: اقتلهم، فإن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أحل لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم.

فقال عثمان: بل نغفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا، ولا نُحاذِ أحداً حتى يركب حداً، أو ييدي كُفراً. إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذكرونها ليُوجبوا عليّ عند مَنْ لا يعلم.

وقالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تُتم، ألا وإنّي قدمت بلداً فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين؛ أو كذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: وحيث حمي؛ وإنّي والله ما حميت، حمي قبلي، والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعية أحداً، واقتصروا لصداقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحووا منها أحداً إلا من ساق درهماً؛ ومالي من بعير غير راحلتين، ومالي ثاغية ولا راغية، وإنّي قد وليت، وإنّي أكثر العرب بعيراً وشاء، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجتي، أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: كان القرآن كُتِباً، فتركتهما إلا واحداً. ألا وإن القرآن واحد، جاء من عند واحد؛ وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء؛ أكذاك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقللهم.

وقالوا: إنّي رددت الحكم وقد سيّره رسول الله ﷺ. والحكم مكّي، سيّره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله ﷺ؛ فرسول الله ﷺ سيّره، ورسول الله ﷺ رده؛ أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: استعملت الأحداث، فلم أستعمل إلا مجتمعاً محتماً مرضياً، وهؤلاء أهل عملهم، فسألوه عنهم، وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولي من قبلي أحدث منهم، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة؛ أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبن للناس ما لا يفسرون.

وقالوا: إنّي أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه. وإنّي إنما نقلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس، فكان مائة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم وليس ذاك لهم، أكذاك؟ قالوا: نعم.

وقالوا: إنّي أحب أهل بيتي وأعطيتهم؛ فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإنّي ما أعطيتهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي؛ ولا لأحد من الناس؛ ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ وأنا يومئذ شحيح حريض، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، ودعت الذي لي في أهلي، قال الملحدون ما قالوا! وإنّي والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله؛ ولقد رددته عليهم، وما قدم عليّ إلا الأخماس، ولا يحل لي منها شيء؛ فولي المسلمون وضعها في أهلها دوني؛ ولا يُتلف من مال الله بفلس فما فوقه؛ وما أتبلغ منه ما آكل إلا مالي.

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً؛ وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت؛

فَمَنْ أَقَامَ بِمَكَانٍ مِنْ هَذِهِ الْفَتْوحِ فَهُوَ أَسْوَأُ أَهْلِهِ، وَمَنْ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ لَمْ يَذْهَبْ ذَلِكَ مَا حَوَى اللَّهُ لَهُ؛ فَظَنَرْتُ فِي الَّذِي يُصَيِّبُهُمْ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَبَعَثَهُ لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ عَقَارٍ بِلَادِ الْعَرَبِ فَنَقَلْتُ إِلَيْهِمْ نَصِيْبَهُمْ، فَهُوَ فِي أَيْدِيهِمْ دُونِي.

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية، وجعل ولده كعبض مَنْ يعطى، فبدأ ببني أبي العاص، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف، عشرة آلاف، فأخذوا مائة ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب، ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف، وأبى المسلمون إلا قتلهم، وأبى إلا تركهم؛ فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوه مع الحجاج كالحجاج؛ فتكاتبوا وقالوا: موعدكم ضواحي المدينة في شوال؛ حتى إذا دخل شوال من سنة اثنتي عشرة، ضربوا كالحجاج فنزلوا قرب المدينة.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء؛ المقلل يقول: ستمائة، والمكثريقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التميمي، وعروة بن شبيب الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وسواد بن رومان الأصبغي، وزرع بن يشكر الياضي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيبة بن فلان السكوني، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنما أخرجوا كالحجاج، ومعهم ابن السوداء، وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي، وزباد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، أحد بني عارم بن صعصعة؛ وعددهم كعدد أهل مصر؛ وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم. وخرج أهل البصرة في أربع رفاق، وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح الحطيم بن ضبيعة القيسي وابن المحرّش بن عبد بن عمرو الحنفي وعددهم كعدد أهل مصر، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي، سوى مَنْ تلاحق بهم من الناس. فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير.

فخرجوا وهم على الخروج جميع. وفي الناس شتى، لا تشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الآخرين؛ فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدّم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشب، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر، وتركوا عامتهم بذي المروة. ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم، وقالوا: لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد؛ فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا؛ فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلّوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد؛ وإن أمرنا هذا لباطل؛ وإن لم يستحلّوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لَنرجعن إليكم بالخبر.

قالوا: اذهبوا، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعلياً وطلحة والزبير، وقالوا: «إنما نأتم هذا البيت، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا، ما جئنا إلا لذلك، واستأذناهم للناس بالدخول، فكلهم أبى، ونهى وقال: بيّض ما يُفرّحن، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً ومن أهل البصرة نفر فأتوا

طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير؛ وقال كل فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم؛ ثم كررنا حتى نبغتهم؛ فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت؛ عليه حلة أفوافٍ معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلد السيف، ليس عليه قميص، وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه. فالحسن جالس عند عثمان، وعليّ عند أحجار الزيت، فسلم عليه المصريون وعرضوا له؛ فصاح بهم وأطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذو خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا صحبكم الله! قالوا: نعم، فانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب عليّ؛ وقد أرسل ابنه إلى عثمان، فسلم البصريون عليه وعرضوا له، فصاح بهم وأطردهم، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذو خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ.

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى؛ وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان، فسلموا عليه وعرضوا له، فصاح بهم وأطردهم، وقال: لقد عمل المسلمون أن جيش ذي المروة وذو خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، فخرج القوم وأزروهم أنهم يرجعون؛ فانفثوا عن ذي خشب والأعوص، حتى انتهوا إلى عساكرهم؛ وهي ثلاث مراحل؛ كي يفترق أهل المدينة، ثم يكرّوا راجعين. فافترق أهل المدينة لخروجهم. فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم، فبغتهم، فلم يفاجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم، وأحاطوا بعثمان، وقالوا: من كف يده فهو آمن.

وصلّى عثمان بالناس أياماً؛ ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم الناس فكلّموهم، وفيهم عليّ، فقال: ما ردّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون: فنحن نصر إخواننا ونمنعهم جميعاً؛ كأنما كانوا على ميعاد. فقال لهم عليّ: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر؛ وقد سرتهم مراحل؛ ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة! قالوا: فضعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا في الرّجل، ليعتزلنا. وهو في ذلك يصلي بهم، وهم يصلّون خلفه، ويغشي من شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب؛ وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام، وكانوا زُمراً بالمدينة، يمنعون الناس من الاجتماع.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدّهم: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمّا بعد؛ فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلغ عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه؛ وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس عليّ، على غير طلب مني ولا محبة؛ فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعا غير مستتبّع، متبعا غير مبتدع، مقتديا غير متكلف. فلما انتهت الأمور، وانتكت الشرّ بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجماع ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب؛ فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها؛ فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم

منذ سنين وأنا أرى وأسمع ؛ فازدادوا على الله عز وجل جرأة ، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعراب ؛ فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يُظهرون ؛ فمن قدر على اللحاق بنا فلْيَلْحَقْ .

فأتى الكتاب أهل الأمصار ، فخرجوا على الصعبة والذلول ؛ فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حُديج السُّكُوني ، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو .

وكان المحضّضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عُقبة بن عمرو وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة بن الربيع التميمي ، في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ . وكان المحضّضين بالكوفة من التابعين أصحاب عبد الله مسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وشريح بن الحارث ، وعبد الله بن عُكَيْم ؛ في أمثالهم ؛ يسرون فيها ويطوفون على مجالسها ؛ يقولون : يا أيها الناس ؛ إنّ الكلام اليوم وليس به غداً ؛ وإنّ النظر يحسن اليوم ويقبح غداً ، وإنّ القتال يحلّ اليوم ويحرم غداً ، انهضوا إلى خليفتم ، وعصمة أمركم .

وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك ، وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ يقولون مثل ذلك ، ومن التابعين كعب بن سُور وهريم بن حَيَّان العبدي ، وأشباههما يقولون ذلك ! وقام بالشَّام عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ يقولون مثل ذلك ؛ ومن التابعين شريك بن خُباشة الثُميري ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غَنَمٍ مثل ذلك ، وقام بمصر خارجة في أشباه له ؛ وقد كان بعض المحضّضين قد شهد قدومهم ، فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم .

ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجداً رسول الله ﷺ خرج عثمان فصلّى بالناس ثم قام على المنبر فقال : يا هؤلاء العدى ، الله الله ! فوالله ؛ إنّ أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ؛ فامحوا الخطايا بالصواب ؛ فإن الله عز وجل لا يحو السيء إلا بالحسن .

فقام محمد بن مسلمة ، فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حُكَيْم بن جبلة فأقعدته ، فقام زيد بن ثابت فقال : ابغني الكتاب ، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قُتَيْرة فأقعدته ؛ وقال فأفطع ؛ وثار القوم بأجمعهم ، فحَصَّبُوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صُرع عن المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل فأدخل داره ، وكان المصريون لا يطعمون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر ؛ فإنهم كانوا يرأسلونهم : محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حُذَيْفة ، وعمَّار بن ياسر ؛ وشمر أناس من الناس فاستقتلوا ؛ منهم سعد بن مالك ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علي ؛ فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا . فانصرفوا ، وأقبل عليّ عليه السلام حتى دخل على عثمان ، وأقبل طلحة حتى دخل عليه ، وأقبل الزبير حتى دخل عليه ؛ يعودونه من صرعته ؛ ويشكون بثّهم ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن الحسن ، قال : قلت له : هل شهدت حَصْرَ عثمان ؟ قال : نعم ؛ وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد ، فإذا كثر اللغط جثوث على ركبتي أوقمت ؛ فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله ؛ فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة ، يُعظمون ما صنعوا . وأقبلوا على أهل المدينة يتوعدونهم ؛ فبينما هم كذلك في لغطهم حَوْلَ الباب ، فطلع عثمان ؛ فكأنما كانت نارٌ طَفِئت ، فعمد إلى المنبر فصعد فحمد الله وأثنى عليه ، فثار رجل ، فأقعدته رجل ، وقام آخر فأقعدته آخر ، ثم ثار

القوم فحصبوا عثمان حتى صُرع، فاحتُمِل فأُدْخِل، فصلى بهم عشرين يوماً، ثم منعه من الصلاة.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: صلّى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً، ثم إنهم منعه الصلاة، فصلى بالناس أميرهم الغافقيّ، دان له المصريون والكوفيّون والبصريّون، وتفرّق أهل المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتهم، لا يخرج أحدٌ ولا يجلس إلّا وعليه سيفه يمتنع به من رَهَق القوم وكان الحصار أربعين يوماً، وفيهِنَّ كان القتل، ومن تعرّض لهم وضعوا فيه السلاح، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفّون.

وأما غيرُ سيف فإنّ منهم من قال: كانت مناظرة القوم عثمان وسبب حصارهم إيّاه ما حدّثني به يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا معتمر بن سليمان التيميّ، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاريّ. قال: سمع عثمان أنّ وفد أهل مصر قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم، وكان في قرية له خارجة من المدينة - أو كما قال - فلما سمعوا به، أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه - قال: وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحواً من ذلك - قال: فاتّوه، فقالوا له: ادعُ بالمصحف، قال: فدعا بالمصحف، قال: فقالوا له: افتح التاسعة - قال: وكانوا يسمون سورة يونس التاسعة - قال: فقرأها حتى أتى على هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (١). قال: قالوا له: قف، فقالوا له: أرايت ما حَمَيْت من الحمى؟ الله أذن لك أم على الله تفتري! قال: فقال: امضه؛ نزلت في كذا وكذا. قال: وأما الحمى فإنّ عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبلُ الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في إبل الصدقة، امضه. قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول: امضه، نزلت في كذا وكذا - قال: والذي يتولى كلام عثمان يومئذ في سنك، قال: يقول أبو نضرة، يقول ذاك لي أبو سعيد، قال أبو نضرة: وأنا في سنك يومئذ، قال: ولم يخرج وجهي يومئذ، لا أدري، ولعله قد قال مرة أخرى: وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة - ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج. قال: فعرفها، فقال: أستغفر الله وأتوب إليه. قال: فقال لهم: ما تريدون؟ قال: فأخذوا ميثاقه - قال: وأحسبه قال: وكتبوا عليه شرطاً - قال: وأخذ عليهم ألا يشقوا عصاً، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم - أو كما أخذوا عليه - قال: فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه وهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ. قال: فرضوا بذلك، وأقبلوا معه إلى المدينة راضين.

قال: فقام فخطب، فقال: إني ما رأيت والله وفداً في الأرض هم خير لحوباتي من هذا الوفد الذين قدموا عليّ. وقد قال مرة أخرى: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر، ألا من كان له زرع فليلحق بزرعه، ومن كان له ضرع فليحتلب؛ ألا إنه لا مال لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه وهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ. قال: فغضب الناس، وقالوا: هذا مكر بني أمية.

قال: ثم رجع الوفد المصريون راضين؛ فبينما هم في الطريق إذا هم براكب يتعرّض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم، ثم يفارقهم ويتبيّنهم. قال: قالوا له: مالك؟ إن لك لأمرأاً! ما شأنك؟ قال: فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر؛ ففتشوه؛ فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلّبهم أو

يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. قال: فأقبلوا حتى قديموا المدينة، قال: فأتوا علياً، فقالوا: ألم تر إلى عدو الله! إنه كتب فينا بكذا وكذا؛ وإن الله قد أحلّ دمه، قم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم؛ إلى أن قالوا: فلم كتبت إلينا؟ فقال: والله ما كتبت إليكم كتاباً قط؛ قال: فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون، أو لهذا تغضبون!

قال: فانطلق عليّ، فخرج من المدينة إلى قرية. قال: فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا! قال: فقال: إنما هما اثنتان: أن تقيموا عليّ رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت. قال: وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل، وقد ينقش الخاتم على الخاتم. قال: فقالوا: فقد والله أحلّ الله دمك، ونقضت العهد والميثاق. قال: فحاصروه.

وأما الواقدي فإنه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا حُشْب أموراً كثيرة، منها ما قد تقدّم ذكره؛ ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني لبشاعته. ومنها ما ذكر أن عبد الله بن جعفر حدّثه عن أبي عون مولى المسور، قال: كان عمرو بن العاص على مصر عاملاً لعثمان؛ فعزله عن الخراج، واستعمله على الصلاة، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج؛ ثم جمعهما لعبد الله بن سعد، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال: يا بن النابغة، ما أسرع ما قُبل جُربان جيتك! إنما عهدك بالعمل عاماً أول. أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر! والله لولا أكلّة ما فعلت ذلك. قال: فقال عمرو: إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولائهم باطل؛ فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيّتك! فقال عثمان: والله لقد استعملتكم على ظلعك، وكثرة القالة فيك. فقال عمرو: قد كنتُ عاملاً لعمر بن الخطاب، ففارقني وهو عني راض. قال: فقال عثمان: وأنا والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمّت؛ ولكني لنت عليك فاجترأت عليّ، أما والله لأنا أعزُّ منك نفراً في الجاهليّة؛ وقبل أن أليّ هذا السلطان. فقال عمرو: دع عنك هذا، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به؛ قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان، فوالله للعاص كان أشرف من أبيك. قال: فانكسر عثمان، وقال: ما لنا ولذكر الجاهليّة!

قال: وخرج عمرو ودخل مروان، فقال: يا أمير المؤمنين؛ وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أباك! فقال عثمان: دَع هذا عنك، مَنْ ذكر آباء الرجال ذكروا آباءه.

قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه، يأتي علياً مرة فيؤلّبه على عثمان، ويأتي الزبير مرة فيؤلّبه على عثمان، ويأتي طلحة مرة فيؤلّبه على عثمان، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر عثمان الأول؛ خرج من المدينة، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع؛ فنزل في قصر له يقال له العجلان؛ وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان!

قال: فبينما هو جالس في قصره ذلك، ومعه ابنه محمد وعبد الله؛ وسلامة بن رَوْح الجُداميّ، إذ مرّ بهم راكب، فناده عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة، قال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان، قال: تركته محصوراً شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبد الله؛ قد يضطرّ الغيّر والمكواة في النار. فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر، فناده عمرو: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان، قال: قُتل، قال: أنا أبو عبد الله؛ إذا حكّمت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرّض عليه؛ حتى إني لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. فقال له

سلامة بن روح: يا معشر قريش؛ إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نُخرج الحق من حافة الباطل، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء. وكانت عند عمرو أخت عثمان لأُمّه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ففارقها حين عزله.

قال محمد بن عمر: وحَدَّثني عبد الله بن محمد، عن أبيه، قال: كان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة بمصر يحرضان على عثمان، فقدم محمد بن أبي بكر وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر؛ فلما خرج المصريون خرج عبد الرحمن بن عُدَيْس البلَوِيّ في خمسمائة، وأظهروا أنهم يريدون العُمرة، وخرجوا في رَجَب، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً سار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان أنّ ابن عُدَيْس وأصحابه قد وُجَّهوا نحوه، وأنّ محمد بن أبي حذيفة شيعهم إلى عَجْرود، ثم رجع وأظهر محمد أن قال: خرج القوم عُمّاراً، وقال في السرّ: خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلا قتلوه؛ وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا حُشْب. وقال عثمان قبل قدومهم حين جاءه رسول عبد الله بن سعد: هؤلاء قوم من أهل مصر يريدون - بزعمهم - العُمرة، والله ما أراهم يريدونها؛ ولكن الناس قد دُخل بهم؛ وأسرعوا إلى الفتنة، وطال عليهم عمري؛ أما والله لئن فارقتهم ليمتُنن أن عمري كان طال عليهم مكان كل يوم بسنة مما يرون من الدماء المسفوكة، والإخن والأثرة الظاهرة، والأحكام المغيرة.

قال: فلما نزل القوم ذا حُشْب جاء الخبر أنّ القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع، وأتى رسولهم إلى عليّ ليلاً، وإلى طلحة، وإلى عُمّار بن ياسر. وكتب محمد بن أبي حذيفة معهم إلى عليّ كتاباً، فجأؤوا بالكتاب إلى عليّ، فلم يَظْهَرْ على ما فيه، فلما رأى عثمان ما رأى جاء عليّاً فدخل عليه بيته، فقال: يابن عمّ، إنه ليس لي مترك؛ وإن قرابتي قريبة؛ ولي حقّ عظيم عليك، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم، وهم مصبّحي؛ وأنا أعلم أنّ لك عند الناس قدراً، وأنهم يسمعون منك، فأنا أحبّ أن تترك إليهم فتردهم عني، فإني لا أحبّ أن يدخلوا عليّ؛ فإن ذلك جرأة منهم عليّ، وليسمع بذلك غيرهم. فقال عليّ: علام أردتهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به عليّ ورأيت لي؛ ولست أخرج من يدك؛ فقال عليّ: إني قد كنت كلمتك مرّة بعد مرّة، فكلّ ذلك نخرج فتكلّم، ونقول وتقول؛ وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية؛ أطعتهم وعصيتني. قال عثمان: فإني أعصيه وأطيعك.

قال: فأمر الناس، فركبوا معه: المهاجرون والأنصار. قال: وأرسل عثمان إلى عُمّار بن ياسر، يُكلّمه أن يركب مع عليّ فأبى، فأرسل عثمان إلى سعد بن أبي وقاص، فكلّمه أن يأتي عُمّاراً فيكلّمه أن يركب مع عليّ؛ قال: فخرج سعد حتى دخل على عُمّار، فقال: يا أبا اليقظان، ألا تخرج فيمن يخرج! وهذا عليّ يخرج فاخرج معه، واردد هؤلاء القوم عن إمامك، فإني لأحسب أنك لم تترك مركباً هو خير لك منه.

قال: وأرسل عثمان إلى كثير بن الصَّلْت الكِنديّ - وكان من أعوان عثمان - فقال: انطلق في إثر سعد فاسمع ما يقول سعد لعُمّار، وما يردّ عُمّار على سعد، ثم ائتني سريعاً.

قال: فخرج كثير حتى يجد سعداً عند عُمّار مُحلياً به، فألقم عينه جُحر الباب، فقام إليه عُمّار ولا يعرفه، وفي يده قضيب، فأدخل القضيب الجُحر الذي ألقمه كثير عينه، فأخرج كثير عينه من الجُحر، وولى مدبراً متقنعاً. فخرج عمار فعرّف أثره، ونادى: يا قليل ابن أمّ قليل! أعليّ تطلّع وتستمتع حديثي! والله لو دريت

قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعطى الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس؛ فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه؛ ولكني متّني نفسي وكذبتني، وضلّ عني رشدي؛ ولقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ زَلَّ فليتب، وَمَنْ أخطأ فليتب؛ ولا يتماد في الهلكة؛ إِنَّ مَنْ تَمَادَى فِي الْجَوْرِ كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ»، فأنا أول من أتعت؛ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب؛ فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم؛ فوالله لئن رَدَّني الحق عبداً لأستنّ بسنة العبد، ولأذلّن ذلّ العبد، ولأكوننّ المرقوق؛ إن مُلِكَ صبر، وإن عتِق شكر؛ وما عن الله مذهب إلا إليه؛ فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليّ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي.

قال: فرق الناس له يومئذ، وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ليس بواصل لك من ليس معك؛ الله الله في نفسك! فأتم على ما قلت. فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً من بني أمية؛ ولم يكونوا شهدوا الخطبة؛ فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين، أتكلّم أم أصمت؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة، امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل اصمت، فإنهم والله قاتلوه ومؤثّموه؛ إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان، فقال: ما أنت وذاك! فوالله لقد مات أبوك وما يُحسن يتوضأ، فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء، تُخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه! وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه؛ أما والله لولا أنه عمّه، وأنه يناله غمّه، أخبرتُك عنه ما لن أكذب عليه.

قال: فأعرض عنها مروان، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتكلّم أم أصمت؟ قال: بل تكلم، فقال مروان: بأبي أنت وأمي! والله لوددتُ أن مقالتيك هذه كانت وأنت تمتنع منيع فكنت أول من رضي بها، وأعان عليها؛ ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطّبيّن، وخلف السّيل الزّبي، وحين أعطى الخطّة الدّليّة الدّليل؛ والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تُخَوّف عليها؛ وإنك إن شئت تقرب بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة؛ وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم، فإني استحي أن أكلّمهم. قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهبي! شأهت الوجوه! كلّ إنسان آخذ بأذن صاحبه. ألا من أريد! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتونا ليمرنّ عليكم منّا أمر لا يسركم؛ ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم؛ فإننا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا.

قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليّاً فأخبره الخبر، فجاء عليّ عليه السلام مغضباً، حتى دخل على عثمان، فقال: أما رضيّت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به؛ والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه؛ وأيم الله إني لأراه سيورك ثم لا يصدرك؛ وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغلبت على أمرك. فلما خرج عليّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته، فقالت: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلمي؛ فقالت: قد سمعت قول عليّ لك؛ وإنه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك؛ ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة؛ وإنما تركك الناس لمكان مروان؛ فأرسل إلى عليّ فاستصلحه، فإن له قرابة منك، وهو لا يعصى. قال: فأرسل عثمان إلى عليّ، فأبى أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أنّي لست بعائد.

قال: فبلغ مروان مقالة نائلة فيه، قال: فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه، فقال: أتكلم أو أسكت؟ فقال: تكلم، فقال: إن بنت الفرافصة... فقال عثمان: لا تذكرها بحرف فأسوى لك وجهك، فهي والله أنصح لي منك. قال: فكفّ مروان.

قال محمد بن عمر: وحدثني شريحيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: سمعتُ عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم، قال: قَبِحَ الله مروان! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مُحْضَلَةً من الدَّمْعِ، وهو يقول: اللهم إني أتوب إليك؛ اللهم إني أتوب إليك؛ اللهم إني أتوب إليك؛ والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبداً قنّاً لأرضين به؛ إذا دخلتُ منزلي فادخلوا عليّ؛ فوالله لا أحتجب منكم، ولأعطينكم الرضا، ولأزيدنكم على الرضا، ولأنحين مروان وذويه. قال: فلما دخل أمر بالباب ففتح، ودخل بيته، ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى قتله عن رأيه؛ وأزاله عما كان يريد؛ فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياءً من الناس؛ وخرج مروان إلى الناس، فقال: شأهت الوجوه! ألا من أريد! ارجعوا إلى منازلكم؛ فإن يكن لأمر المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه، وإلا قرّ في بيته. قال عبد الرحمن: فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر، وأجد عنده عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع. قال: فأقبل عليّ عليّ، فقال: أحضرت خطبة عثمان؟ قلت: نعم، قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قلت: نعم، قال عليّ: عياذ الله، يا للمسلمين! إني إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرايتي وحقي؛ وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيقاً له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله ﷺ. قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم يزل حتى جاء رسول عثمان: ائتني، فقال عليّ بصوت مرتفع عالٍ مغضب: قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد. قال: فانصرف الرسول. قال: فلقيت عثمان بعد ذلك بليتين خائباً، فسألت ناتلاً غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند عليّ، فقال: عبد الرحمن بن الأسود: فغدتُ فجلست مع عليّ عليه السلام؛ فقال لي: جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إني غير عائد؛ وإني فاعل؛ قال: فقلت له: بعد ما تكلمت به على منبر رسول الله ﷺ وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتهم على بابك ويؤذيهم! قال: فرجع وهو يقول: قطعت رجلي وخذلتني، وجرأت الناس عليّ. فقلت: والله إني لأذّب الناس عنك، ولكني كلما جئتكم بهنة أظنها لك رضا جاء بأخرى؛ فسمعت قول مروان عليّ، واستدخلت مروان. قال: ثم انصرف إلى بيته. قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم أزل أرى عليّاً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل؛ إلا أني أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر في أن يدخل عليه الروايا، وغضب في ذلك غضباً شديداً، حتى دخلت الروايا على عثمان.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الله بن جعفر، عن إسماعيل بن محمد، أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل، فقال: أقم كتاب الله، فقال عثمان: اجلس، فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاتوا بالحصباء حتى ما ترى السماء؛ وسقط عن المنبر، وحمل فأدخل داره مغشياً عليه، فخرج رجل من حجاب عثمان، ومعه مصحف في يده وهو ينادي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْباً لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾^(١) ودخل عليّ بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما وهو مغشياً

عليه، وبنو أمية حوله، فقال: مالك يا أمير المؤمنين؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد، فقالوا: يا عليّ أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمر المؤمنين! أما والله لئن بلغت الذي تريد لثمرن عليك الدنيا. فقام عليّ مغضباً. وفي هذه السنة قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل:

قال أبو جعفر رحمه الله: قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوهم أنهم جعلوها ذريعة إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت إلى الإعراض عنها؛ ونذكر الآن كيف قُتل، وما كان بدء ذلك وافتتاحه، ومن كان المبتدئ به والمفتتح للجرأة عليه قبل قتله.

ذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة، عن أبيها، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسور بن مخرمة وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها، فقسما عبد الرحمن في الناس وعثمان في الدار.

قال محمد بن عمر: وحدثني محمد بن صالح، عن عبيد الله بن رافع بن نقاعة، عن عثمان بن الشريد، قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره، ومعه جامعة، فقال: يا نعثل؛ والله لأقتلنك، ولأحملنك على قلوب جرباء، ولأخرجنك إلى حرّة النار. ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه.

حدثني محمد، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل، عن أبيه، عن عامر بن سعد، قال: كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيئ جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في نديّ قومه، وفي يد جبلة بن عمرو جامعة، فلما مرّ عثمان سلّم، فردّ القوم، فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا! قال: ثم أقبل على عثمان، فقال: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانة! فوالله إني لأتخير الناس؛ فقال: مروان تخيرته! ومعاوية تخيرته! وعبد الله بن عامر بن كُريز تخيرته! وعبد الله بن سعد تخيرته! منهم من نزل القرآن بدمه، وأباح رسول الله ﷺ دمه.

قال: فانصرف عثمان، فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم.

قال محمد بن عمر: وحدثني ابن أبي الزناد، عن موسى بن عُبّة، عن أبي حبيبة، قال: خطب عثمان الناس في بعض أيامه، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنك قد ركبت نهاير وركبناها معك، فتبّنتب. فاستقبل عثمان القبلة وشهر يديه - قال أبو حبيبة: فلم أرى يوماً أكثر باكية ولا باكية من يومئذ - ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس، فقام إليه جهجاء الغفاري؛ فصاح: يا عثمان، ألا إن هذه شارف قد جئنا بها، عليها عباءة وجامعة؛ فانزل فلندركك العباءة، ولنطرحك في الجامعة؛ ولنحملك على الشارف؛ ثم نطرحك في جبل الدخان. فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به! قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك منه إلا عن ملأ من الناس؛ وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني أمية فحملوه فأدخلوه الدار.

قال أبو حبيبة: فكان آخر ما رأيته فيه.

قال محمد: وحدثني أسامة بن زيد الليثي، عن يحيى بن عبد الرحمن بن خاطب، عن أبيه، قال: أنا

أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي ﷺ التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال له جَهْجَاهُ: قم يا نَعْتَلُ؛ فانزل عن هذا المنبر، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت شظية منها فيها؛ فبقي الجرح حتى أصابته الأكلة، فرأيتها تدود، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها، فكانت مضربة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خُرْجَةً أو خُرْجَتَيْنِ حتى حُصِرَ فقتل.

حدثني أحمد بن إبراهيم؛ قال: حدّثنا عبد الله بن دريس، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، أن جَهْجَاهُ الغفاري، أخذ عصاً كانت في يد عثمان، فكسرها على ركبته، فرمى في ذلك المكان بأكله.

حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدّثنا عمرو، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني، عن عمّه عبد الرحمن بن يسار، أنه قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى من بالآفاق منهم - وكانوا قد تفرّقوا في الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ، تطلبون دين محمد ﷺ؛ فإنّ دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمد ﷺ. فأقبلوا من كلّ أفق حتى قتلوه. وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامله على مصر - حين تراجع الناس عنه، وزعم أنه نائب - بكتاب في الذين شخصوا من مصر، وكانوا أشدّ أهل الأمصار عليه: أمّا بعد؛ فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك؛ فانظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا - منهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم قوم من التّابعين - فكان رسوله في ذلك أبو الأعور بن سفيان السّلمي، حمله عثمان على جمل له، ثم أمره أن يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق، فسألوه: أين يريد؟ قال: أريد مصر؛ ومعه رجل من أهل الشام من خولان؛ فلما رأوه على جمل عثمان، قالوا له: هل معك كتاب؟ قال: لا، قالوا: فيم أرسلت؟ قال: لا علم لي، قالوا: ليس معك كتاب ولا علم لك بما أرسلت! إن أمرك لمريب! ففتشوه، فوجدوا معه كتاباً في إداوة يابسة، فنظروا في الكتاب، فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأموالهم. فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة، فبلغ الناس رجوعهم، والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها، وثار أهل المدينة.

حدثني جعفر، قال: حدّثنا عمرو وعليّ، قالوا: حدّثنا حسين، عن أبيه عن محمد بن السائب الكلبي، قال: قال: إنما ردّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، وأن يصلب بعضهم. فلما أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك، قال: غلامي انطلق بغير علمي، قالوا: جملك، قال: أخذه من الدار بغير أمري، قلت خاتمك، قال: نقش عليه، فقال عبد الرحمن بن عديس التّجيبّي حين أقبل أهل مصر:

أَقْبَلْنَ مِنْ بِلْبِيسٍ وَالصَّعِيدِ	خُوصاً كَأَمْثَالِ الْقَيْسِيِّ قُودِ
مُسْتَحْقَبَاتٍ حَلَقَ الْحَدِيدِ	يَطْلُبْنَ حَقَّ اللَّهِ فِي الْوَلِيدِ
وَعِنْدَ عُثْمَانَ وَفِي سَعِيدِ	يَا رَبِّ فَارْجِعْنَا بِمَا نَرِيدُ

فلما رأى عثمان ما قد نزل به، وما قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة؛ ونكثوا البيعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلّ صعب وذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب ترَبَّص به، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ؛ وقد علم اجتماعهم؛ فلما أبطل أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كُرْز، وإلى أهل الشام يستنفرهم ويُعظِّم حقَّه عليهم، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزَّ وجلَّ به من طاعتهم ومناصحتهم، ووعدهم أن ينجدهم جنداً أو بطانةً دون الناس، وذكرهم بلاءه عندهم، وصنيعه إليهم؛ فإن كان عندكم غياث فاعجِّل العجَل؛ فإن القوم مُعاجِلِيٌّ.

فلما قرىء كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كُرْز البَجَلِيّ ثم القَسْرِيّ؛ فحمِد الله وأثنى عليه، ثم ذكر عثمان، فعظَّم حقَّه، وحضَّهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه. فتابعه ناس كثير، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القري، بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه، فرجعوا.

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر؛ أن انذِب إلى أهل البصرة؛ نسخة كتابه إلى أهل الشام. فجمع عبد الله بن عامر الناس؛ فقرأ كتابه عليهم؛ فقامت خطباء من أهل البصرة يحضُّونه على نصر عثمان والمسير إليه؛ فيهم مجاشع بن مسعود السُّلَمِيّ؛ وكان أوَّل مَنْ تكَلَّمَ؛ وهو يومئذ سيّد قيس بالبصرة. وقام أيضاً قيس بن الهيثم السُّلَمِيّ، فخطب وحضَّ الناس على نصر عثمان؛ فسارع الناس إلى ذلك؛ فاستعمل عليهم عبدُ الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم؛ حتى إذا نزل الناس الرَبْدَة، ونزلت مقدَّمته عند صِرار - ناحية من المدينة - أتاهم قتل عثمان.

حدَّثني جعفر، قال: حدَّثنا عمرو وعليّ، قالَا: حدَّثنا حسين، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدنيّ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: كتب أهل مصر بالسُّقيا - أو بذي خُشب - إلى عثمان بكتاب؛ فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يرْده عليه شيئاً، فأمر به فأخرج من الدار؛ وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لهارؤوس أربعة، مع كلِّ رجل منهم لواء؛ وكان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بُذيل بن ورقاء الخُزاعيّ - وكان من أصحاب النبي ﷺ - وإلى عبد الرحمن بن عُدَيْس التَّجِيبِيّ؛ فكان فيما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمّا بعد، فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم؛ فالله الله! ثم الله الله! فإنك على دُنيا فاستتمَّ إليها معها آخرة، ولا تلبس نصيبك من الآخرة؛ فلا تسوغ لك الدنيا. واعلم أنا والله لله غضب، وفي الله نرضى؛ وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة مجلّحة مُبْلِجة؛ فهذه مقالتنا لك، وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك. والسلام.

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقِّ الله.

فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم، فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاؤهم حتى يأتيه أمداد؛ فقال: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل، وهم محمِّلِي عهداً؛ وقد كان مني في قَدَمَتهم الأولى ما كان؛ فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به! فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين، مقاربَتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القُرب، فأعطهم ما سألوك، وطاؤهم ما طاولوك؛ فإنما هم بغوا عليك، فلا عهد لهم.

فأرسل إلى عليّ فدعاه، فلما جاءه قال: يا أبا حسن؛ إنه قد كان من الناس ما قد رأيت، وكان مني ما قد

علمت؛ ولست آمنهم على قتل، فارددهم عني؛ فإن لهم الله عز وجل أن أعطيهم من كل ما يكرهون؛ وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري؛ وأن كان في ذلك سفك دمي. فقال له علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك؛ وإني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا، وقد كنت أعطيهم في قديمهم الأولى عهداً من الله: لترجعن عن جميع ما نقموا؛ فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغزني هذه المرة من شيء فإني معطيهم عليك الحق. قال: نعم، فأعطيهم، فوالله لأفين لهم. فخرج علي إلى الناس، فقال: أيها الناس؛ إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه؛ إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره؛ وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه وودكوا عليه. قال الناس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا، فإننا والله لا نرضى بقول دون فعل. فقال لهم علي: ذلك لكم. ثم دخل عليه فأخبره الخبر، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة، فإني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد، قال له علي: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك، قال: نعم؛ ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام. قال علي: نعم، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً، على أن يرُدَّ كل مظلِمة، ويعزل كل عامل كرهوه؛ ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفِي لهم بما أعطاهم من نفسه؛ فجعل يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح. وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس. فلما مضت الأيام الثلاثة - وهو على حاله لم يغير شيئاً مما كرهوه، ولم يعزل عاملاً - ثار به الناس. وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذي خُشب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من إحداثك، وراجع عما كرهنا منك؛ وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه! قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك؛ وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون. قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك؛ قال: أما الجمل فمسروق، وقد يشبه الخط الخط؛ وأما الخاتم فانتقش عليه، قالوا: فإنا لا نعجل عليك؛ وإن كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يئتهم على دماننا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا. قال عثمان: ما أراي إذا في شيء إن كنت أستعمل من هويتم، وأعزل من كرهتم، الأمر إذاً أمركم! قالوا: والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن؛ فانظر لنفسك أو دَع. فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله، فحصره أربعين ليلة، وطلحة يصلي بالناس.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عون، قال: حدثنا الحسن، قال: أنبأني وثاب - قال: وكان فيمن أدركه عتق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، قال: ورأيت بحلقه أثر طعنتين، كأنها كتبان طعنهما يومئذ يوم الدار - قال: بعثني عثمان، فدعوت له الأشر، فجاء - قال ابن عون: فأظنه قال: فطرح لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة - فقال: يا أشر؛ ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاثاً ليس من إحداهن بد؛ قال: ما هن؟ قال: يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقص من نفسك؛ فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك. فقال: أما من إحداهن بد؟ قال: ما من إحداهن بد، فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله عز وجل - قال: وقال غيره: والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع قميصاً قمصنيه الله وأترك أمة محمد ﷺ يعدو بعضها على بعض. قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه - وأما أن أقص من نفسي؛ فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كانا

يعاقبان وما يقوم بدني بالقصاص، وأما أن تقتلوني، فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبداً، ولا تصلون جميعاً بعدي أبداً، ولا تقتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً. قال: فقام الأشر فانطلق؛ فمكثنا أياماً. قال: ثم جاء رُوَيْجِلُ كأنه ذئب، فاطَّلَعَ من باب، ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمعت وَقَعَ أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك! قال: أرسِلْ يا ابن أخي، أرسِلْ لحيتي. قال: وأنا رأيته استعدي رجلاً من القوم بعينه، فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه. قلت: ثم مه؛ قال: تغاؤوا عليه حتى قتلوه.

وذكر الواقدي أن يحيى بن عبد العزيز حدثه عن جعفر بن محمود، عن محمد بن مسلمة، قال: خرجت في نفر من قومي إلى المصريين وكان رؤسائهم أربعة: عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِي، وسودان بن حُمران المرادي، وعمر بن الحَمِق الخزاعي. وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال: حَبِيس بن الحَمِق - وابن النُّبَاع. قال: فدخلت عليهم وهم في خِباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاً، قال: فعظمت حق عثمان وما في رقابهم من البيعة، وخوفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أن في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً؛ فلا تكونوا أول من فتحه، وأنه ينزع عن هذه الخصال التي نَقَمْتُم منها عليه، وأنا ضامن لذلك. قال القوم: فإن لم ينزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم. قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخليني فأخلاقني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك! إن هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دَمَك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك؛ لا بل هم يقوون عدوك عليك. قال: فأعطاني الرضا، وجزاني خيراً. قال: ثم خرجت من عنده، فأقمت ما شاء الله أن أقيم.

قال: وقد تكلم عثمان برجوع المصريين، وذكر أنهم جاؤوا لأمر، فبلغهم غيرُه فانصرفوا، فأردت أن آتيه فأعنفه بهما، ثم سَكَتَ فإذا قائل يقول: قد قدم المصريون وهم بالسويداء، قال: قلت: أحق ما تقول؟ قال: نعم، قال: فأرسل إلي عثمان.

قال: وإذا الخبر قد جاءه، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هؤلاء القوم قد رجعوا، فما الرأي فيهم؟ قال: قلت: والله ما أدري؛ إلا أني أظن أنهم لم يرجعوا لخير. قال: فارجع إليهم فارددهم، قال: قلت: لا والله ما أنا بفاعل، قال: ولم؟ قال: لأنني ضمنت لهم أموراً تنزع عنها فلم تنزع عن حرف واحد منها. قال: فقال: الله المستعان.

قال: وخرجتُ وقدم القوم وحلُّوا بالأسواف، وحصروا عثمان.

قال: وجاءني عبدُ الرحمن بن عُدَيْس ومعه سُودان بن حُمران وصاحباه، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ألم تعلم أنك كَلَمْتَنَا ورددتْنا وزعمت أن صاحبنا نازعٌ عما نكره؟ فقلت: بلى، قال: فإذا هم يُخرجون إليَّ صحيفة صغيرة. قال: وإذا قصبة من رصاص؛ فإذا هم يقولون: وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان، فأخذنا متاعه ففتشناه، فوجدنا فيه هذا الكتاب؛ فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد؛ فإذا قدم عليك عبدُ الرحمن بن عُدَيْس فأجلده مائة جلدة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتى يأتيك أمري؛ وعمر بن الحَمِق فافعل به مثل ذلك، وسُودان بن حُمران مثل ذلك؛ وعروة بن النُّبَاع الليثي مثل ذلك. قال: فقلت: وما يدريكم أن عثمان كتب بهذا؟ قالوا: فيفتات مروان على عثمان بهذا! فهذا شر؛ فيخرج نفسه من هذا الأمر.

ثم قالوا: انطلق معنا إليه، فقد كلمنا علياً، ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر. وجئنا سعد بن أبي وقاص، فقال: لا أدخل في أمركم. وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال مثل هذا؛ فقال محمد: فأين وعدكم علي؟ قالوا: وعدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه.

قال محمد: فصليت مع علي، قال: ثم دخلت أنا وعليّ عليه، فقلنا: إن هؤلاء المصريين بالباب، فأذن لهم - قال: ومروان عنده جالس - قال: فقال مروان: دعني جعلت فداك أكلمهم! قال: فقال عثمان: فض الله فاك! اخرج عني؛ وما كلامك في هذا الأمر! قال: فخرج مروان، قال: وأقبل عليّ عليه - قال: وقد أنهى المصريون إليه مثل الذي أنهوا إليّ - قال: فجعل عليّ يخبره ما وجدوا في كتابهم. قال: فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شور فيه. قال: فقال محمد بن مسلمة: والله إنه لصديق؛ ولكن هذا عمل مروان، فقال عليّ: فأدخلهم عليك، فليسمعوا عذرنا، قال: ثم أقبل عثمان على عليّ، فقال: إن لي قرابة ورحماً؛ والله لو كنت في هذه الحلقة لخللتها عنك؛ فاخرج إليهم، فكلّمهم؛ فإنهم يسمعون منك. قال عليّ: والله ما أنا بفاعل؛ ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم؛ قال: فادخلوا.

قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذ، فما سلّموا عليه بالخلافة، فعرفت أنه الشرّ بعينه؛ قالوا: سلام عليكم، فقلنا: وعليكم السلام، قال: فتكلّم القوم وقد قدّموا في كلامهم ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمة، وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين؛ فإذا قيل له في ذلك، قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة، وما خالف به صاحبيه. قال: فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع؛ فردنا عليّ ومحمد بن مسلمة، وضمين لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا فيه - ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة، فقالوا: هل قلت ذاك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم - ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ويكون حجة لنا بعد حجة حتى إذا كنا بالبؤيب أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد، تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمثل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا؛ وهذا كتابك.

قال: فحمد الله عثمان وأثنى عليه، ثم قال: والله ما كتبت ولا أمرت، ولا شورت ولا علمت. قال: فقلت وعليّ جميعاً: قد صدق. قال: فاستراح إليها عثمان، فقال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري، قال: أفيجترأ عليك فيبعث غلامك وجلّ من صدقات المسلمين، وينقش على خاتمك، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم! قال: نعم، قالوا: فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعتك الله منه. قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّ وجلّ. قال: وكثرت الأصوات واللغط، فما كنت أظنّ أنهم يخرجون حتى يواثبوه. قال: وقام عليّ فخرج، قال: فلما قام عليّ قمت، قال: وقال للمصريين، اخرجوا، فخرجوا. قال: ورجعت إلى منزلي ورجع عليّ إلى منزله، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه.

قال محمد بن عمر: وحديثي عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن سفيان بن أبي العوجاء، قال: قدم المصريون القدمة الأولى، فكلّم عثمان محمد بن مسلمة، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار، فأتوهم بذئ حشَب فردّهم، ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبؤيب، وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكروا، فانتبهوا إلى المدينة، وقد تخلف بها من الناس الأشتر وحكيم بن جبلة، فأتوا بالكتاب، فأنكر

عثمان أن يكون كتبه، وقال: هذا مفتعل، قالوا: فالكتاب كتابُ كاتبك! قال: أجل، ولكنه كتبه بغير أمري، قالوا: فإنَّ الرسول الذي وجدنا معه الكتابَ غلامُك، قال: أجل؛ ولكنه خرج بغير إذني، قالوا: فالجمل جملُك، قال: أجل؛ ولكنه أخذ بغير علمي، قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبت بطانتك؛ لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُفتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته. وقالوا له: إنك ضربت رجالاً من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحق عندما يستنكرون من أعمالك؛ فأقذ من نفسك من ضربته وأنت له ظالم، فقال: الإمام يخطيء ويصيب؛ فلا أقيد من نفسي؛ لأنني لو أقدت كل من أصبته بخطي آتي على نفسي؛ قالوا: إنك قد أحدثت أحداثاً عظيماً فاستحققت بها الخلع؛ فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها، ثم قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحق؛ ولأما فيك محمد بن مسلمة، وضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرتة فتبرأ منك، وقال: لا أدخل في أمره؛ فرجعنا أول مرة لنقطع حجتك ونبلع أقصى الإعذار إليك؛ نستظهر بالله عز وجلّ عليك؛ فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب. وزعمت أنه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخط كاتبك وعليه خاتمك، فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والأثرة في القسم والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس، والإظهار للتوبة، ثم الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يحدث مثل ما جربنا منك، ولم يقع عليه من الهمة ما وقع عليك؛ فاردد خلافتنا؛ واعتزل أمرنا؛ فإن ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك منا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد، فإنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء؛ أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عز وجلّ وأكرمني به، وخصني به على غيري؛ ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون؛ فإنني والله الفقير إلى الله الخائف منه. قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه؛ لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك؛ ولكنه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت، ولقد انصرفنا عنك في المرة الأولى، وما نخشى أن تكتب فينا، ولا من اعتلت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك. وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه؛ فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك من قومك وذوي رحم وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم؛ حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلتحق أرواحنا بالله. فقال عثمان: أما أن أتبرأ من الإمارة؛ فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجلّ وخلافته. وأما قولكم: تقتالون من قاتل دوني؛ فإنني لا أمر أحداً بقتالكم؛ فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال، أولحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق؛ فإله الله في أنفسكم أبقوا عليها إن لم تبقوا علي؛ فإنكم مجتلبون بهذا الأمر - إن قتلتموني - دماً. قال: ثم انصرفوا عنه وآذونه بالحرب، وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردّهم، فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرتين.

قال محمد بن عمر: حدّثني محمد بن مسلم، عن موسى بن عُقبة، عن أبي حبيبة، قال: نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قُتل عثمان؛ دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب؛ فقال له مروان: الآن تندم! أنت أشعرتي. فأسمع سعداً يقول: أستغفر الله، لم أكن أظنّ الناس يجترئون هذه الجرأة، ولا يطلبون دمه، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك، فزرع عن كلّ ما كره منه، وأعطى التوبة، وقال: لا أتمادى في الهلكة؛ إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق؛ فأنا أتوب وأنزع. فقال مروان: إن كنت تريد أن تذبّ عنه؛ فعليك بابن أبي طالب، فإنه متستّر، وهو لا يُجبه؛ فخرج سعد حتى أتى عليّاً وهو بين القبر والمنبر، فقال: يا أبا حسن؛ قم فذاك أبي وأمي! جئتُك والله بخير ما جاء به أحد قطّ إلى أحد، تصل رَجْمَ ابن عمّك، وتأخذ بالفضل عليه، وتحقّق دمه، ويرجع الأمر على ما نحبّ، قد أعطى خليفتك من نفسه الرضا. فقال عليّ: تقبّل الله منه يا أبا إسحاق! والله ما زلتُ أذبّ عنه حتى إني لأستحي؛ ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى؛ فإذا نصحتّه وأمرته أن ينحّيهم استغشّني حتى جاء ما ترى. قال: فبينما هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر، فسارّ عليّاً؛ فأخذ عليّ بيدي، ونهض عليّ وهو يقول: وأي خير توبته هذه! فوالله ما بلغت داري حتى سمعت الهائعة؛ أن عثمان قد قتل؛ فلم نزل والله في شرٍّ إلى يومنا هذا.

قال محمد بن عمر: وحدّثني شرجيل بن أبي عون، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، قال: لما خرج المصريون إلى عثمان رضي الله عنه، بعث عبدالله بن سعد رسولاً أسرع السير يعلم عثمان بمخرجهم، ويخبره أنهم يُظهرون أنهم يريدون العمرة. فقدم الرسول على عثمان بن عفان، يخبرهم فتكلم عثمان، وبعث إلى أهل مكة يحذّر من هناك هؤلاء المصريين، ويخبرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم. ثم إن عبدالله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين - وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له - فقدم ابن سعد، حتى إذا كان بأيلة بلغه أن المصريين قد رجعوا إلى عثمان، وأنهم قد حصروه، ومحمد بن أبي حذيفة بمصر؛ فلما بلغ محمداً حصر عثمان وخروج عبدالله بن سعد عنه غلب على مصر، فاستجابوا له، فأقبل عبدالله بن سعد يريد مصر، فمنعه ابن أبي حذيفة، فوجه إلى فلسطين، فأقام بها حتى قُتل عثمان رضي الله عنه، وأقبل المصريون حتى نزلوا بالأسواف، فحاصروا عثمان، وقدم حُكيم بن جبلة من البصرة في ركب، وقدم الأشتر في أهل الكوفة، فتوافوا بالمدينة، فاعتزل الأشتر؛ فاعتزل حُكيم بن جبلة، وكان ابن عُديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان، فكانوا خمسمائة، فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوماً، حتى قُتل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

قال محمد: وحدّثني إبراهيم بن سالم، عن أبيه عن بسر بن سعيد، قال: وحدّثني عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة، قال: دخلتُ على عثمان رضي الله عنه، فتحدّثت عنده ساعة، فقال: يا ابن عياش، تعال. فأخذ بيدي، فأسمعني كلام من على باب عثمان، فسمعنا كلاماً؛ منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع، فبينما أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيد الله؛ فوقف فقال: أين ابن عُديس؟ فقيل: ها هو ذا، قال: فجاءه ابن عُديس، فناجاه بشيء، ثم رجع ابن عُديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل؛ ولا يخرج من عنده. قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله. ثم قال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن عبيد الله، فإنه حمل عليّ هؤلاء وألبهم؛ والله إني لأرجو أن يكون منها صفرأ،

وَأَنْ يُسَفِّكَ دَمَهُ، إِنَّهُ انْتَهَكَ مِنِّي مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فَيُقْتَلُ، أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ فَيُرْجَمَ، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ »، فَنِيمَ أَقْتُلْ! قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ عَثْمَانُ. قَالَ ابْنُ عِيَّاشٍ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْرِجَ فَمَنْعُونِي حَتَّى مَرَّ بِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: خَلِّوْهُ، فَخَلَّوْنِي.

قال محمد: حدثني يعقوب بن عبد الله الأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، قال: رأيتُ اليوم الذي دُخِلَ فيه على عثمان، فدخلوا من دار عمرو بن حزم خوخة هناك حتى دخلوا الدار، فناوشوهم شيئاً من مناوشة ودخلوا، فوالله ما نسينا أن خرج سُودَانُ بنُ حمران، فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيد الله؟ قد قُتِلْنَا ابنَ عفان!

قال محمد بن عمر: وحدثني شُرَحْبِيلُ بنُ أَبِي عَوْنٍ، عن أبيه، عن أبي حفصة اليماني، قال: كنت لرجل من أهل البادية من العرب، فأعجبته - يعني مروان - فاشتراني واشترى امرأتي وولدي فاعتقنا جميعاً؛ وكنت أكون معه، فلما حُصِرَ عثمان رضي الله عنه، شمرتُ معه بنو أمية، ودخل معه مروان الدار. قال: فكنتُ معه في الدار، قال: فأنا والله أنشبت القتال بين الناس؛ رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته؛ وهو نيار الأسلمي، فنشِبَ القتال، ثم نزلت، فاقتتل الناس على الباب، وقاتل مروان حتى سقط فاحتملته، فأدخلته بيت عجوز، وأغلقت عليه، وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان، فاحترق بعضها، فقال عثمان: ما احترق الباب إلا لما هو أعظم منه، لا يجرُكَنَّ رجلٌ منكم يده؛ فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلوني، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري، وإني لصابر كما عهد إلي رسول الله ﷺ، لأُصرعنَ مصري الذي كتب الله عز وجل. فقال مروان: والله لا تقتل وأنا أسمع الصوت، ثم خرج بالسيف على الباب يتمثل بهذا الشعر:

قَدْ عَلِمْتُ ذَاتَ الْقُرُونِ الْمِيلِ وَالْكَفِّ وَالْأَنَامِلِ الطُّفُولِ
أَنْنِي أَرَوُّ أَوَّلَ الرَّعِيلِ بِفَارِهِ مِثْلَ قَطَا الشَّلِيلِ

قال محمد: وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن أبي حفصة، قال: لما كان يوم الخميس دَلَّيتُ حجراً من فوق الدار، فقتلت رجلاً من أسلم يقال له نيار، فأرسلوا إلى عثمان: أن أمكننا من قاتله. قال: والله ما أعرف له قاتلاً، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غَدَوْا، فأول مَنْ طلع علينا كنانة بن عتاب، في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخلت الشعل على أثره تُنْضَحُ بالنَّفْطِ؛ فقاتلناهم ساعة على الخشب، وقد اضطرم الخشب، واحترقت الأبواب، ومَنْ كانت لي عليه طاعة فليمسك داره؛ فإنما يريدني القوم، وسيندمون على قتلي؛ والله لو تركوني لظننت أني لا أحب الحياة؛ ولقد تَغَيَّرَتْ حالي، وسقط أسناني، ورقَّ عظمي.

قال: ثم قال لمروان: اجلس فلا تخرج، فعصاه مروان، فقال: والله لا تُقتل، ولا يُخلص إليك، وأنا أسمع الصوت، ثم خرج إلى الناس. فقلت: ما لمولاي مُتْرَك! فخرجت معه أذْبَ عنه، ونحن قليل، فأسمع مروان يتمثل:

قَدْ عَلِمْتُ ذَاتَ الْقُرُونِ الْمِيلِ وَالْكَفِّ وَالْأَنَامِلِ الطُّفُولِ

ثم صاح: مَنْ يبارز؟ وقد رفع أسفل درعه؛ فجعله في منطقته. قال: فيثب إليه ابن النُّبَّاع فضربه ضربة

على رقبته من خلفه فأثبتته؛ حتى سقط، فما ينبض منه عرق، فأدخلته بيت فاطمة ابنة أوس جدّة إبراهيم بن العديّ. قال: فكان عبد الملك وبنو أميّة يعرفون ذلك لآل العديّ.

حدّثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: حدّثني أبي، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس، عن ابن الحارث بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر بن الحارث بن هشام، قال: كأني أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو مسند ظهره إلى مسجد نبي الله ﷺ وعثمان بن عفان رضي الله عنه محصور، فخرج مروان بن الحكم، فقال: من يبارز؟ فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان بن عروة: قم إلى هذا الرجل، فقام إليه غلام شاب طوال؛ فأخذ رفرف الدرع فغرز في منطقتة، فأعور له عن ساقه، فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه، فكأني أنظر إليه حين استدار. وقام إليه عبيد بن رفاعة الزُرقيّ ليدف عليه، قال: فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جدّة إبراهيم بن عديّ - قال: وكانت أرضعت مروان وأرضعت له - فقالت: إن كنت إنما تريد قتل الرجل فقد قتل؛ وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح. قال: فكف عنه؛ فما زالوا يشكرونها لها، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد.

وقال ابن إسحاق: قال عبد الرحمن بن عديس البلوي حين سار إلى المدينة من مصر:

أُقبلن من بلبيس والصعيد
مستحقات خلّق الحديد
يطلبن حق الله في سعيد
حتى رجعن بالذي نريد

حدّثني جعفر بن عبد الله المحمديّ، قال: حدّثنا عمرو بن حماد عليّ بن حسين، قال: حدّثنا حسين بن عيسى، عن أبيه، قال: لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه، وأبى إلا الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم، فقام رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له نيار بن عياض - وكان شيخاً كبيراً - فنأى: يا عثمان؛ فأشرف عليه من أعلى داره؛ فناشده الله، وذكّره لما اعتزلهم! فبينما هو يراجع الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، وزعموا أنّ الذي رماه كثير بن الصلت الكندي؛ فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به، فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي؛ فلمّا رأوا ذلك ثاروا إلى بابهِ فأحرقوه؛ وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة، وخرج سعيد بن العاص في عصابة، وخرج المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة في عصابة؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ وكان الذي حادهم على القتال أنه بلغهم أن مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً - وهي من المدينة على ليلة - وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين، فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدار، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتججاً:

قد علّمت جاريةً عَطْبُولَ لها وشاحٌ ولها حُجُولُ
أنّي بنصّل السيف خَشَلِيلُ

فحمل عليه عبد الله بن بُذيل بن ورقاء الخزاعي، وهو يقول:

إنّ تك بالسيف كما تقول فائبت لقرنٍ ماجدٍ يصولُ
بمشرَفِيّ حُدّه مضقولُ

فضربه عبد الله فقتله، وحمل رفاعه بن رافع الأنصاري ثم الزرقاني على مروان بن الحكم، فضربه فصرعه، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله؛ وجرح عبد الله بن الزبير جراحات، وانهزم القوم حتى لجؤوا إلى القصر، فاعتصموا ببابه، فاقتتلوا عليه قتالا شديداً، فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان، ثم نادى الناس فأقبلوا عليه من داره، فقاتلوه في جوف الدار حتى انهزموا، وخلص لهم عن باب الدار؛ فخرجوا هرباً في طرق المدينة، وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه؛ وقتل عثمان رضي الله عنه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا معتمر بن سليمان التيمي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، قال: أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ذات يوم، فقال: السلام عليكم، قال: فما سمع أحداً من الناس ردّ عليه إلا أن يردّ رجل في نفسه، فقال: أنشدكم بالله هل علمتم أني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها، فجعلت رشائي منها كرشاء رجل من المسلمين! قال: قيل: نعم. قال: فما يمنعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر! قال: أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟ قيل: نعم، قال: فهل علمتم أحداً من الناس منع أن يصلي فيه قبلي! قال: أنشدكم الله، هل سمعتم نبي الله ﷺ يذكر كذا وكذا؛ أشياء بشأنه، وذكر الله أياه أيضاً في كتابه المفصل. قال: ففشا النهي.

قال: فجعل الناس يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين، قال: وفشا النهي. قال: وقام الأشر - قال: ولا أدري يومئذ أو في يوم آخر - فقال: لعله قد مكر به وبكم! قال: فوطئه الناس، حتى لقي كذا وكذا، قال: فرأيت أشرف عليهم مرة أخرى، فوعظهم وذكرهم، فلم تأخذ فيهم الموعظة. وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أول ما يسمعونها؛ فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم. قال: ثم إنه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه. قال: وذاك أنه رأى من الليل أن نبي الله ﷺ يقول: «أفطر عندنا الليلة».

قال أبو المعتمر: فحدثنا الحسن: أن محمد بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته. قال: فقال له: قد أخذت منا مأخذاً، وقعدت مني مقعداً ما كان أبو بكر ليقعده أولياً أخذه. قال: فخرج وتركه. قال: ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود. قال: فخنفه ثم خفقه. قال: ثم خرج فقال: والله ما رأيت شيئاً قط أليّن من حلقه؛ والله لقد خنفته حتى رأيت نفسه يتردد في جسده كنفس الجان. قال: فخرج.

قال في حديث أبي سعيد: دخل على عثمان رجل، فقال: بيني وبينك كتاب الله - قال: والمصحف بين يديه - قال: فيهي له بالسيف، فاتّقه بيده، فقطعها، فقال: لا أدري أبانها أم قطعها ولم يُينها. قال: فقال: أما والله إنها لأوّل كفّ خطّ المفصل. وقال في غير حديث أبي سعيد: فدخل عليه التّجبي، فأشعره مشقّصاً فانتضح الدّم على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١). قال: فإنها في المصحف ما حُكّت.

قال وأخذت ابنة الفرافصة - في حديث أبي سعيد - حليها فوضعتها في حجرها، وذلك قبل أن يقتل، قال: فلما أشعِر - أو قال: قتل - ناحت عليه. قال: فقال بعضهم: قاتلها الله! ما أعظم عجزيتها قال: فعلمت

أن عدوّ الله لم يرد إلّا الدنيا .

وأما سيف، فإنه قال - فيها كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عنه: ذُكر عن بدر بن عثمان، عن عمّه، قال: آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة: إنّ الله عزّ وجلّ إنّما أعطاكم الدنيا لتطلبوها الآخرة، ولم يعطكموها لتركوا إليها، إنّ الدنيا تفتنّ، والآخرة تبقى؛ فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية؛ فأثروا ما يبقى على ما يفنى؛ فإن الدنيا منقطعة؛ وإنّ المصير إلى الله. اتقوا الله جلّ وعزّ، فإنّ تقواه جنة من بأسه، ووسيلة عنده؛ واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله، قال: أخرجوا رجلكم الله فكونوا بالباب، وليجامعكم هؤلاء الذين حُسوا عني. وأرسل إلى طلحة والزبير وعليّ وعدة: أن ادنوا. فاجتمعوا فأشرف عليهم، فقال: يا أيّها الناس؛ اجلسوا، فجلسوا جميعاً؛ المحارب الطاريء والمسلم المقيم، فقال: يا أهل المدينة؛ إنّني أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي؛ وإنّي والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي الله فيّ قضاءه؛ ولأدعنّ هؤلاء وما وراء باي غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً في دين الله أو دنياً حتى يكون الله عزّ وجلّ الصانع في ذلك ما أحبّ. وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلّا الحسن ومحمد وأبن الزبير وأشباهاً لهم؛ فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم؛ وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة، قالوا: كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين، فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة، قدّم ركباً من الوجوه فأخبروا خبر من قد تبيّأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشام، ومعاوية من مصر، والقعقاع من الكوفة، ومجاشع من البصرة؛ فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان؛ ومنعوه كلّ شيء حتى الماء؛ وقد كان يدخل عليّ بالشيء مما يريد. وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة، فعثروا في داره بالحجارة ليرموا؛ فيقولوا: قوتلنا - وذلك ليلاً - فناداهم: ألا تتقون الله! ألا تعلمون أنّ في الدار غيري! قالوا: لا والله ما رميناك. قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله، قال: كذبتم؛ إنّ الله عزّ وجلّ لورمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا. وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه؛ فسرح ابناً لعمره إلى عليّ بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا. وإلى طلحة وإلى الزبير، وإلى عائشة رضي الله عنها وأزواج النبيّ ﷺ؛ فكان أولهم إنجاداً له عليّ وأمّ حبيبة؛ جاء عليّ في الغلس، فقال: يا أيّها الناس؛ إنّ الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين؛ لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة؛ فإنّ الروم وفارس لتأسر فطعم وتسقي؛ وما تعرّض لكم هذا الرجل؛ فبم تستحلّون حصره وقتله! قالوا: لا والله ولا نعمة عين؛ لا نتركه يأكل ولا يشرب؛ فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت فيما أنهضتني؛ فرجع. وجاءت أمّ حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة، فقيل: أم المؤمنين أم حبيبة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إنّ وصايا بني أمية إلى هذا الرجل، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل. قالوا: كاذبة،

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

وأهؤوا لها وقطعوا جبل البغلة بالسيف، فندت بأُم حبيبة، فتلقاها الناس، وقد مالت رحالتها، فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها. وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة، واستتبت أخاها، فأبى؛ فقالت: أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن.

وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر، فقال: يا محمد، تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها، وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحل فتتبعهم! فقال: ما أنت وذاك يا بن التميمية! فقال: يا بن الخثعمية؛ إن هذا الأمر إن صار إلى التغلب غلبتك عليه بنو عبد مناف، وانصرف وهو يقول:

عَجِبْتُ لِمَا يَخُوضُ النَّاسُ فِيهِ يُرْمُونَ الْخِلَافَةَ أَنْ تَزُولَا
وَلَوْ زَالَتْ لَزَالَ الْخَيْرُ عَنْهُمْ وَلَا قُوا بَعْدَهَا ذُلًّا ذَلِيلَا
وَكَانُوا كَالْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى سَوَاءٌ كُلُّهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَا

ولحق بالكوفة. وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر، وجاءها مروان بن الحكم فقال: يا أم المؤمنين؛ لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل، فقالت: أتريد أن يصنع بي كما صنع بأُم حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني! لا والله ولا أعير ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء! وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأُم حبيبة، فلزموا بيوتهم، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات، عليهم الرقباء، فأشرف عثمان على الناس، فقال: يا عبد الله بن عباس - فدعى له - فقال: اذهب فأنت على الموسم - وكان ممن لزم الباب - فقال: والله يا أمير المؤمنين لجهد هؤلاء أحب إلي من الحج؛ فأقسم عليه لينطلقن. فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة؛ ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته، فانصرف بها - وفي الزبير اختلاف: أأدرك مقتله أو خرج قبله - وقال عثمان: ﴿يَا قَوْمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ...﴾ (١) الآية، اللهم حل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فعل بأشياهم من قبل.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، قال: بعثت ليلى ابنة عُميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فقالت: إن المصباح يأكل نفسه، ويضيء للناس؛ فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأنس فيكما؛ فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً، فأتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم؛ فلجاً وخرجاً مغضبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان؛ وتقول: ما صنع بكما! ألا ألزما الله! فلقبهما سعيد بن العاص، وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء، فأنكره حين لقيه خارجاً من عند ليلى، فتمثل له في تلك الحال بيتاً:

اسْتَبَقِي وَدُكَّ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ فَيُثَا يَعْضُ بِخَاذِلٍ مُلْجَا

فأجابه سعيد متمثلاً:

تَرَوْنَ إِذَا ضَرْباً صَمِيماً مِنَ الَّذِي لَهُ جَانِبٌ نَاءٍ عَنِ الْجُرْمِ مُعَوَّرُ

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: فلما بويع الناس جاء السابق فقَدِمَ بالسلامة، فأخبرهم من الموسم أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياهم، وأنهم يريدون

أن يجمعوا ذلك إلى حجّهم ؛ فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار؛ أعلقهم الشيطان، وقالوا: لا يخرجنا عما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل ؛ فيشتغل بذلك الناس عنا، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله . فراموا الباب ؛ فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، واجتلدوا، فناداهم عثمان: الله الله! أنتم في حل من نصرتي فأبوا، ففتح الباب، وخرج معه الترس والسيف لينهضهم ؛ فلما رأوه أدبر المصريون، وركبهم هؤلاء، ونهضهم فتراجعوا وعظم على الفريقين، وأقسم على الصحابة ليدخلن، فأبوا أن ينصرفوا، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين - وقد كان المغيرة بن الأحنس بن شريق فيمن حجّ، ثم تعجل في نفر حجوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد المناوشة، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل ؛ وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت! فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن نجاً، يصلي وعنده المصحف ؛ فإذا أعياء جلس فقرأ فيه - وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة - وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب ؛ فلما بقي المصريون لا يمنعهم أحد من الباب ولا يقدرّون على الدخول جاءوا بنار، فأحرقوا الباب والسقيفة، فتأجج الباب والسقيفة ؛ حتى إذا احترق الخشب خرت السقيفة على الباب، فثار أهل الدار وعثمان يصلي ؛ حتى منعهم الدخول ؛ وكان أول من برز لهم المغيرة بن الأحنس، وهو يرتجز:

قد علّمت جاريةً عَطْبُولَ ذاتُ وشاحٍ ولها جَدِيلُ
أني بنصّل السيفِ خَنْشَلِيلُ لأمنعن منكم خَلِيلِي
بصارِمٍ ليس بذِي قُلُولِ

وخرج الحسن بن علي وهو يقول:

لا دينُهُم ديني ولا أنا مِنْهُمْ حتى أسيرَ إلى طَمَارِ شَمَامِ
وخرج محمد بن طلحة وهو يقول:

أنا ابنُ من حامى عليه بأُحُدٍ وردَ أحزاباً على رَغَمِ مَعَدٍ
وخرج سعيد بن العاص وهو يقول:

صَبَرْنَا غَدَاةَ الدَارِ وَالْمَوْتُ وَاقِبُ بأسِافنا دون ابنِ أَرْوَى نُضَارِبُ
وكنّا غَدَاةَ الرُّوعِ فِي الدَّارِ نُصْرَةُ نُشَافُهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْمَوْتُ ثَاقِبُ

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير؛ وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصية بما أراد، وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ؛ فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم ؛ فما زال يدعي بها، ويحدث الناس عن عثمان بأخر ما مات عليه .

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: وأحرقوا الباب وعثمان في الصلاة، وقد افتتح ﴿ طه ﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴿ ١ ﴾ - وكان سريع القراءة، فما كرّثه ما سمع، وما يخطيء وما يتتبع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه - ثم عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١).

وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه :

قد عَلِمْتُ ذَاتَ الْقُرُونِ الْمِيلِ وَالْحَلِيَّ وَالْأَنَامِلِ الطُّفُولِ
لِتَصْدُقَنَّ بَيْعَتِي خَلِيلِي بِصَارِمٍ ذِي رَوْنَقٍ مَصْقُولِ
لَا أَسْتَقِيلُ إِنْ أَقَلْتُ قِيلِي

وأقبل أبو هريرة، والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العُصبة، فدرسوا فاستقتلوا، فقام معهم، وقال: أنا إسوتكم؛ وقال هذا يوم طاب أمضرب - يعني أنه حلّ القتال وطاب، وهذه لغة حمير - ونادى: يا قوم، مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعوني إلى النار! وبادر مروان يومئذ ونادى: رجل رجل، فبرز له رجل من بني ليث يدعى النُّبَّاع؛ فاختلفا، فضربه مروان أسفل رجله، وضربه الآخر على أصل العُنق فقلبه، فانكب مروان، واستلقى، فاجتر هذا أصحابه، واجتر الآخر أصحابه؛ فقال المصريون: أما والله لولا أن تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير، فقال المغيرة: من يبارز؟ فبرز له رجل فاجتلد، وهو يقول:

أضربهم باليأس ضَرَبَ غلامٍ بئس
من الحياة آيس

فأجابه صاحبه . . . وقال الناس: قتل المغيرة بن الأخنس، فقال الذي قتله: إنا لله! فقال له عبد الرحمن بن عديس: مالك؟ قال: إني أتيت فيما يرى النائم، فقيل لي: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار؛ فابتليت به، وقتل قبّاث الكِنَانِي نيار بن عبد الله الأسلمي، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملأوها ولا يشعر الذين بالباب، وأقبلت القبائل على أبنائهم؛ فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم، وندبوا رجلاً لقتله، فانتدب له رجل، فدخل عليه البيت، فقال: اخلعها وندعك، فقال: ويحك! والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ؛ ولست خالعا قميصا كسانيه الله عز وجل، وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة، ويهين أهل الشقاء.

فخرج وقالوا: ما صنعت؟ فقال: علقنا والله؛ والله ما ينجيننا من الناس إلا قتله، وما يحل لنا قتله؛ فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث، فقال: ممن الرجل؟ فقال: ليثي؛ فقال: لست بصاحبي، قال: وكيف؟ فقال: ألسنت الذي دعا لك النبي ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فلن تضيع؛ فرجع وفارق القوم، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش، فقال: يا عثمان؛ إني قاتلك، قال: كلاً يا فلان، لا تقتلني، قال: وكيف؟ قال: إن رسول الله ﷺ استغفر لك يوم كذا وكذا؛ فلن تقارف دماً حراماً. فاستغفر ورجع، وفارق أصحابه فأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدارينهاهم عن قتله، وقال: يا قوم لا تسلبوا سيف الله عليكم؛ فوالله إن سللتموه لا تغمدوه، ويليكم! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرّة؛ فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف. ويليكم! إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله؛ والله لئن قتلتموه لتتركنها؛ فقالوا: يا بن اليهودية؛ وما أنت وهذا! فرجع عنهم.

قالوا: وكان آخر مَنْ دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك! أعلى الله تغضب! هل لي إليك جُرمٌ إلّا حقّه أخذته منك! فنكل ورجع.

قالوا: فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره، ثار قُتَيْبَةُ وسُودان بن حمران السَّكُونِيَّانِ والغافقيّ؛ فضربه الغافقي بحديدة معه، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف، فاستقرّ بين يديه؛ وسالت عليه الدماء؛ وجاء سُودان بن حمران ليضربه، فانكبّت عليه نائلة ابنة الفرافصة، واتقت السيف بيدها، فتعمّدها، ونفخ أصابعها، فأطنّ أصابع يدها وولّت؛ فغمز أوراكاها، وقال: إنها لكبيرة العجيزة، وضرب عثمان فقتله، ودخل غِلْمَةُ لعثمان مع القوم لينصروه - وقد كان عثمان أعتق مَنْ كَفَّ منهم - فلما رأوا سودان قد ضربه، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، ووثب قتيبة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت؛ وأخرجوا مَنْ فيه، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى. فلما خرجوا إلى الدار، وثب غلام لعثمان آخر على قتيبة فقتله، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا؛ حتى تناولوا ما على النساء، وأخذ رجل ملاءة نائلة - والرجل يدعى كلثوم بن نُجَيْب - فتنحت نائلة، فقال: ويح أُمّك من عَجِيزَةٍ ما أتمك! وبصر به غلام لعثمان فقتله وقيل، وتنادى القوم: أبصر رجل مَنْ صاحبه، وتنادوا في الدار: أدركوا بيت المال لا تُسَبِّقوا إليه؛ وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم؛ وليس فيه إلّا غرارتان، فقالوا: النّجاء؛ فإن القوم إنّما يحاولون الدنيا، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه، وماج الناس فيه، فالتأني يسترجع ويبكي، والطارىء يفرح. وندم القوم، وكان الزبير قد خرج من المدينة، فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتله، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحم الله عثمان. وانتصر له؛ وقيل: إنّ القوم نادمون؛ فقال: دَبَرُوا دَبَرُوا، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...﴾ (١) الآية. وأتى الخبرُ طلحة، فقال: رحم الله عثمان! وانتصر له وللإسلام؛ وقيل له: إنّ القوم نادمون، فقال تبّاً لهم! وقرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢). وأتى عليّ ف قيل: قُتِلَ عثمان، فقال رحم الله عثمان، وخلف علينا بخير! وقيل: ندم القوم، فقرأ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ...﴾ (٣)، الآية. وطُلب سعد، فإذا هو في حائطه وقد قال: لا أشهد قتله، فلما جاءه قتله قال: فررنا إلى المَدَنِيَّةِ تُدْنِينَا؛ وقرأ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٤). اللهم أدبهم ثم خذهم.

كتب إلى السَّريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، عن المغيرة بن شعبة، قلت لعليّ: إنّ هذا الرجل مقتول؛ وإنّه إن قُتِلَ وأنت بالمدينة اتَّخذوا فيك، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا؛ فإنك إن فعلت وكنت في غارٍ باليمن طلبك الناس؛ فأبى وحُصِرَ عثمان اثنتين وعشرين يوماً؛ ثم أحرقوا الباب؛ وفي الدار أناس كثير؛ فبهم عبد الله بن الزُّبير ومروان، فقالوا: ائذن لنا؛ فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ عهد إليّ عهداً، فأنا صابر عليه؛ وإنّ القوم لم يحرقوا باب الدار إلّا وهم يطلبون ما هو أعظم منه؛ فأخرج على رجل يستقبل ويقا تل؛ وخرج الناس كلهم؛ ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده، فقال: إنّ أباك الآن لفي أمر عظيم؛

(١) سورة سبأ: ٥٤.

(٢) سورة يس: ٥٠.

(٣) سورة الحشر: ١٦.

(٤) سورة الكهف: ١٠٤.

فأقسمت عليك لما خرجت! وأمر عثمان أبا كُرب - رجلاً من همدان - وآخر من الأنصار أن يقوموا على باب بيت المال؛ وليس فيه إلا غاراتان من ورق؛ فلما أطفئت النار بعد ما ناوشهم ابنُ الزبير ومروان، وتوعد محمد بن أبي بكر ابنُ الزبير ومروان؛ فلما دخل على عثمان هرباً. ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان؛ فأخذ بلحيته، فقال: أرسل لحييتي؛ فلم يكن أبوك ليتناولها. فأرسلها؛ ودخلوا عليه؛ فممنهم من يحوّه بنعل سيفه، وآخر يلكزه؛ وجاءه رجل بمشاقص معه، فوجأه في ترقوته، فسال الدّم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله؛ وكان كبيراً؛ وغشي عليه. ودخل آخرون فلما رأوه مغشياً عليه جرّوا برجله؛ فصاحت نائلة وبناته؛ وجاء التجيبي مخترباً سيفه ليضعه في بطنه، فوقته نائلة، فقطع يدها، وأتكا بالسيف عليه في صدره. وقُتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس، ونادى مناد: ما يحلّ دمه ويحرجُ ماله؛ فانتهبوا كل شيء، ثم تبادروا بيت المال، فألقى الرجال المفاتيح ونجّوا، وقالوا: الهرب الهرب! هذا ما طلب القوم.

وذكر محمد بن عمر، أن عبد الرحمن بن عبد العزيز حدّثه عن عبد الرحمن بن محمد، أن محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم، ومعه كنانة بن بشر بن عتاب، وسودان بن حمران، وعمرو بن الحمق؛ فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف في سورة البقرة، فتقدّمهم محمد بن أبي بكر؛ فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزأك الله يا نعث! فقال عثمان: لست بنعث؛ ولكني عبدُ الله وأمير المؤمنين. قال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان! فقال عثمان: يابن أخي، دَع عنك لحييتي؛ فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه. فقال محمد: لو رأيك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك؛ وما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك؛ قال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به. ثم طعن جبينه بمشقص في يده. ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده، فوجأ بها في أصلِ أذن عثمان، فمضت حتى دخلت في حلّقه، ثم علاه بالسيف حتى قتله؛ فقال عبد الرحمن: سمعت أبا عون يقول: ضُرب كنانة بن بشر جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد، فخرّ لجبينه، فضرّبه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرّ لجبينه فقتله.

قال محمد بن عمر: حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن الحارث، قال: الذي قتله كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي. وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج؛ وما علمنا لعثمان بقتل؛ حتى إذا كنّا بالعرج سمعنا رجلاً يتغنى تحت الليل:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قَتِيلُ التَّجِيبي الذي جاء من مِصْرٍ

قال: وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات. قال عمرو: فأما ثلاث منهنّ فإني طعنتهنّ إياه الله؛ وأما ستّ فإني طعنتهنّ إياه لما كان في صدري عليه.

قال محمد: وحدّثني إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، قال: رأيت غُروة بن شَيْم ضرب مروان يوم الدار بالسيف على رقبته، فقطع إحدى علباويه، فعاش مروان أَوْقَصَ؛ ومروان الذي يقول:

ما قُلْتُ يوم الدارِ للقومِ حاجِزوا رُوَيْدًا ولا اسْتَبَقُوا الحِياةَ على القَتْلِ
ولكنني قد قُلْتُ للقومِ ماصِعُوا بأسِافِكُمْ كَيْمَا يَصِلُنْ إِلَى الكَهْلِ

قال محمد الواقدي: وحدّثني يوسف بن يعقوب، عن عثمان بن محمد الأحنسي، قال: كان حصر عثمان

قبل قدوم أهل مصر، فقدم أهل مصر يوم الجمعة، وقتلوه في الجمعة الأخرى.

وحدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن حرملة بن عمران، قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب، قال: ولي قتل عثمان نهران الأصبحي، وكان قاتل عبد الله بن بسرة؛ وهو رجل من بني عبد الدار.

قال محمد بن عمر: وحدثني الحكم بن القاسم، عن أبي عون مولى المسور بن مخرمة، قال: ما زال المصريون كافين عن دمه وعن القتال؛ حتى قدمت أمداد العراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشام؛ فلما جاؤوا شجعوا القوم؛ وبلغهم أن البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد؛ ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك؛ كان هارباً قد خرج إلى الشام، فقالوا: نعالجه قبل أن تقدم الأمداد.

قال محمد: وحدثني الزبير بن عبد الله، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: أشرف عثمان عليهم وهو محصور؛ وقد أحاطوا بالدار من كل ناحية، فقال: أنشدكم بالله جلّ وعزّ؛ هل تعلمون أنكم دعوتكم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخير لكم، وأن يجمعكم على خيركم! فما ظنكم بالله! أنقولونه: لم يستجب لكم، وهنتم على الله سبحانه، وأنتم يومئذ أهل حقّه من خلقه، وجميع أموركم لم تتفرّق! أم تقولون: هان على الله دينه فلم يبال من ولّاه، والذين يومئذ يعبد به الله ولم يتفرّق أهله؛ فتوكلوا أو تحذّوا، وتعاقبوا! أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة؛ وإنما كابرتم مكابرة، فوكل الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا في الإمام، ولم تجتهدوا في موضع كراهته! أم تقولون: لم يذر الله ما عاقبه أمري؛ فكنْتُ في بعض أمري محسناً، ولأهل الدين رضاً، فما أحدثت بعد في أمري ما يسخط الله، وتسخطون مما لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسرلني سربال كرامته! وأنشدكم بالله، هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدّمه الله لي، وأشهدني من حقه! وجهاد عدوّه حقّ على كلّ من جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلها. فمهلاً، لا تقتلونني؛ فإنه لا يحلّ إلا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصائه، أو كفر بعد إسلامه، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها؛ فإنكم إن قتلتموني وضعت السيف على رقابكم؛ ثم لم يرفعه الله عزّ وجلّ عنكم إلى يوم القيامة. ولا تقتلونني فإنكم إن قتلتموني لم تصلّوا من بعدي جميعاً أبداً، ولم تقسموا بعدي شيئاً جميعاً أبداً، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً.

قالوا له: أمّا ما ذكرت من استخارة الله عزّ وجلّ الناس بعد عمر رضي الله عنه فيمن يولّون عليهم، ثم ولّوك بعد استخارة الله؛ فإن كلّ ما صنع الله الخيرة؛ ولكن الله سبحانه جعل أمرك بليّة ابتلى بها عباده. وأمّا ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله ﷺ، فإنك قد كنت ذا قدّم وسلف، وكنت أهلاً للولاية؛ ولكن بدلت بعد ذلك، وأحدثت ما قد علمت. وأمّا ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء؛ فإنه لا ينبغي ترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً. وأمّا قولك: إنه لا يحلّ إلا قتل ثلاثة؛ فإننا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت؛ قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه؛ وقد بغيت، ومنعت الحق، وحلت دونه؛ وكابرته عليه؛ تأي أن تقيّد من نفسك من ظلمت عمداً، وتمسكت بالإمارة علينا وقد جرت في حكمك وقسمك! فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه، وأن الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون بغير أمرك؛ فإنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة؛ فلو أنك

خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك .

ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه

حدثني زياد بن أيوب، قال: حدثنا هُشيم، قال: زعم أبو المقدام، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: دخلت المسجد؛ فإذا أنا بعثمان بن عفان متكئاً على رءائه، فأتاه سقاءان يختصمان، ففضى بينهما.

وفيا كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمارة بن القعقاع، عن الحسن البصريّ، قال: كان عمرُ بن الخطاب قد حَجَرَ على أعلام قُريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلّا بإذن وأجل، فشكوه فبلغه، فقام فقال: ألاّ إنّي قد سننت الإسلام سنّ البعير؛ يبدأ فيكون جَذَعاً، ثم ثَبِيّاً، ثم رَبَاعِيّاً، ثم سَدِيساً، ثم بَازِلاً، ألاّ فهل يُنتصر بالبازل إلاّ النقصان! ألاّ فإنّ الإسلام قد بَزَلَ. ألاّ وإنّ قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معوناتٍ دون عبادة، ألاّ فأما وابنُ الخطاب حيّ فلا؛ إني قائمٌ دون شعب الحرّة، آخذ بحلّاقيم قريش وحُجَزه أن يتهافتوا في النار.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: فلما وليّ عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا، ورآهم الناس، انقطع إليهم من لم يكن له طَوْل ولا مَزِيّة في الإسلام؛ فكان مغموماً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم وأملوهم، وتقَدّموا في ذلك فقالوا: يملكون فنكون قد عرفناهم، وتقَدّمنا في التقرب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أوّل وهنٍ دخل على الإسلام؛ وأوّل فتنه كانت في العامة، ليس إلّا ذلك.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، قال: لم يمِت عُمر رضي الله عنه حتى ملّته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة، فامتنع عليهم، وقال: إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد؛ فإن كان الرجل ليستأذنه مني الغزو - وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين؛ ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة - فيقول: قد كان في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلّغك؛ وخير لك من الغزو اليوم ألاّ ترى الدنيا ولا تراك، فلما وليّ عثمان خلّى عنهم، فاضطربوا في البلاد، وانقطع إليهم الناس، فكان أحبّ إليهم من عمر.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن سالم بن عبد الله، قال: لما وليّ عثمان حجّ سنواته كلها إلّا آخر حجّة، وحجّ بأزواج رسول الله ﷺ كما كان يصنع عمر؛ فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه؛ وجعل في موضع نفسه سعيد بن زيد؛ هذا في مؤخر القطار، وهذا في مقدّمه، وأمن الناس؛ وكتب في الأمصار أن يوافيه العمّال في كلّ موسم ومَن يشكونهم. وكتب إلى الناس إلى الأمصار؛ أن ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، ولا يُدِلّ المؤمن نفسه، فإني مع الضعيف على القويّ ما دام مظلوماً إن شاء الله. فكان الناس بذلك، فجرى ذلك إلى أن اتّخذ أقوامٌ وسيلةً إلى تفريق الأمة.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتّخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس، وثبتوا سبع سنين، كلّ قوم يحبّون أن يليّ صاحبهم. ثم إنّ ابن السوداء أسلم، وتكلّم وقد فاضت الدنيا، وطلعت الأحداث على يديه، فاستطالوا عُمر عثمان رضي الله عنه.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبيه، قال: أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا، وانتهى وسع الناس طيران الحمام والرّمي على الجلاهقات، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان، فدقّصها وكسر الجلاهقات.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن عمرو بن شعيب، قال: أول من منع الحمام الطيّارة والجلاهقات عثمان؛ ظهرت بالمدينة فأمر عليها رجلاً، فمنعهم منها.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، عن أبيه نحوه؛ وزاد: وحدث بين الناس النشؤ. قال: فأرسل عثمان طائفاً يطوف عليهم بالعصا، فمنعهم من ذلك، ثم اشتد ذلك فأفشى الحدود، ونبأ ذلك عثمان، وشكاه إلى الناس، فاجتمعوا على أن يجلدوا في النبذ، فأخذ نفر منهم فجلدوا.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن سالم بن عبد الله، قال: لما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين، وليدوا من العرب؛ فمنهم من أتى البصرة، ومنهم من أتى الكوفة، ومنهم من أتى الشام، فجمعوا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء الشام، فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلا من كان بالشام، فأخبروا عثمان بخبرهم؛ فقام عثمان في الناس خطيباً، فقال: يا أهل المدينة؛ أنتم أصل الإسلام؛ وإنما يفسد الناس بفسادكم، ويصلحون بصلاحكم؛ والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدث أحدثه إلا سيّره؛ ألا فلا أعرف أحدًا عرض دون أولئك بكلام ولا طلب، فإن من كان قبلكم كانت تقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له. وجعل عثمان لا يأخذ أحدًا منهم على شرّ أو شهر سلاح: عصاً فما فوقها إلا سيّره؛ فضجّ آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون: ما أحدث التسيير إلا أن رسول الله ﷺ سيّر الحكم بن أبي العاص، فقال: إن الحكم كان مكياً، فسيّره رسول الله ﷺ منها إلى الطائف، ثم رده إلى بلده؛ فرسول الله ﷺ سيّره بذنبه، ورسول الله ﷺ رده بعفوه. وقد سيّر الخليفة من بعده؛ وعمر رضي الله عنه من بعد الخليفة، وأيم الله لأخذن العفو من أخلاقكم، ولأبذلن لكم من خلقي؛ وقد دنت أمور، ولا أحب أن تحل بنا وبكم؛ وأنا على وجلٍ وحذر، فاحذروا واعتبروا.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيى بن سعيد، قالوا: سأل سائل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبي حذيفة: ما دعاه إلى الخروج على عثمان؟ فقال: كان يتيماً في حجر عثمان، فكان عثمان والي أيتام أهل بيته، ومحتمل كلهم؛ فسأل عثمان العمل حين ولي؛ فقال: يا بني، لو كنت رضا ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لست هناك! قال: فأذن لي فلا أخرج فلا طلب ما يقوتني، قال: اذهب حيث شئت؛ وجهزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما وقع إلى مصر فيمن تغير عليه أن منعه الولاية. قيل: فعمّار بن ياسر؟ قال: كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام، فضربها عثمان، فأورث ذلك بين آل عمّار وآل عتبة شراً حتى اليوم، وكفى عماً ضرباً عليه وفيه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، قال: فسألت ابن سليمان بن أبي حثمة، فأخبرني أنه تقاذف.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، قال: سألت سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر: ما دعاه إلى ركوب عثمان؟ فقال: الغضب والطمع، قلت: ما الغضب والطمع؟ قال: كان من الإسلام بالمكان الذي هو به، وغرّه أقوام فطمع. وكانت له دالة فلزمه حقّ، فأخذته عثمان من ظهره، ولم يُدهن؛ فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مذمّماً بعد أن كان محمّداً.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، عن سالم بن عبد الله، قال: لما وُلِّيَ عثمان لان لهم، فانتزع الحقوق انتزاعاً، ولم يعطل حقّاً، فأحبّوه على لينة، فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عزّ وجلّ.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم، قال: كان مما أحدث عثمان فرُضيَ به منه أنه ضرب رجلاً في منازعة استخفّ فيها بالعباس بن عبد المطلب، فقيل له، فقال: نعم، أيفخّم رسول الله ﷺ عمّه، وأرخّص في الاستخفاف به! لقد خالف رسول الله ﷺ مَنْ فعل ذلك، ومَنْ رضيَ به منه.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن رزق بن عبد الله الرازيّ، عن علقمة بن مرثد، عن حُمران بن أبان؛ قال: أرسلني عثمان إلى العباس بعد ما بويع، فدعوته إليه، فقال: مالك تعبدتني! قال: لم أكن قطّ أحوج إليك مني اليوم، قال: الزم خساً؛ لا. تنازعك الأمة خزائنها ما لزمتهما، قال: وما هنّ؟ قال: الصبر عن القتل، والتحبّب، والصفح، والمداراة، وكتمان السرّ.

وذكر محمد بن عمر، قال: حدّثني ابنُ أبي سبرة، عن عمرو بن أمية الضمريّ، قال: إن قريشاً كان من أسنّ منهم مولعاً بأكل الخزيرة؛ وإني كنت أتعشّي مع عثمان خزيراً من طَبَخ من أجود ما رأيت قطّ، فيها بطون الغنم، وأدمها اللبن والسمن، فقال عثمان: كيف ترى هذا الطعام؟ فقلت: هذا أطيب ما أكلتُ قطّ، فقال: يرحم الله ابنَ الخطّاب! أكلتُ معه هذه الخزيرة قطّ؟ قلت: نعم؛ فكادت اللقمة تفرّث في يدي حين أهوي بها إلى فمي؛ وليس فيها لحم؛ وكان أدمها السمن ولا لبنَ فيها. فقال عثمان: صدقت، إنّ عمرَ رضي الله عنه أتعب والله من تبع أثره؛ وإنه كان يطلب بثّنيه عن هذه الأمور ظلّفاً. أما والله ما آكله من مال المسلمين؛ ولكني آكله من مالي؛ أنت تعلم أني كنت أكثر قريش مالا، وأجدّهم في التجارة؛ ولم أزل آكل من الطعام ما لان منه؛ وقد بلغت سنّاً فأحبّ الطعام إليّ أليّته؛ ولا أعلم لأحد عليّ في ذلك تبعاً.

قال محمد: وحدّثني ابنُ أبي سبرة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر، قال: كنت أفطر مع عثمان في شهر رمضان؛ فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر، قد رأيت على مائدة عثمان الدّرَمَك الجيّد وصغار الضأن كلّ ليلة؛ وما رأيت عمر قطّ أكل من الدقيق منحولا، ولا أكل من الغنم إلّا مَسَانِها، فقلت لعثمان في ذلك، فقال: يرحم الله عمر! ومن يطيق ما كان عمر يطيق!

قال محمد: وحدّثني عبدُ الملك بن يزيد بن السائب، عن عبد الله بن السائب، قال: أخبرني أبي، قال: أوّل فسطاط رأيته بمنى فسطاط لعثمان، وآخر لعبد الله بن عامر بن كُريز، وأوّل من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزّوراء عثمان، وأوّل من نُخل له الدقيق من الولاة عثمان رضي الله عنه.

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: بلغ عثمان أنّ ابنَ ذِي الحَبْكة النهديّ يعالج نيرنجاً - قال محمد بن سلمة: إنما هو نيرج - فأرسل إلى الوليد بن عُقبة ليسأله عن ذلك؛ فإن أقرّ به فأوجعه، فدعا به فسأله، فقال: إنما هو رفق وأمر يعجب منه؛ فأمر به فعزّر، وأخبر الناس خبره، وقرأ

عليهم كتاب عثمان : إنه قد جُدَّ بكم ، فعليكم بالجدِّ ؛ وإياكم والهزال ؛ فكان الناس عليه ؛ وتعجبوا من وقوف عثمان على مثل خبره ، فغضب ، فنفر في الذين نفروا ، فضرب معهم ، فكتب إلى عثمان فيه ، فلما سیر إلى الشام مَنْ سیر ، سیر كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبد الله - وكان دينه كدينه - إلى دُنبَاوند ؛ لأنها أرض سَجرة ، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد :

لَعَمْرِي لئن طردتني ما إلى التي طمعت بها من سَقَطَتِي لَسَبِيلُ
رَجَوْتُ رُجوعي يابنَ أروى وَرَجَعَتِي إلى الحقِّ دَهْرًا غَالِ ذلكُ غَوْلُ
وإنَّ اغترابي في البلادِ وَجَفَوَتِي وَشَتَمِي في ذاتِ الإلهِ قَلِيلُ
وإنَّ دُعائي كلَّ يومٍ وَلَيْلَةٍ عليك بِدُنْبَاوَنِدِكُمْ لَطَوِيلُ

فلما ولي سعيد أقفله ، وأحسن إليه واستصلحه ، فكفره ، فلم يزد إلا فساداً . واستعار ضابئ بن الحارث البرجمي في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قَرَحان ، يصيد الطباء ، فحبسه عنهم ، فنافره الأنصاريون ، واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه ، فانتزعوه منه وردّوه على الأنصار ، فهجاهم وقال في ذلك :

تَحَشَّمْ دوني وَفَدُ قَرَحَانَ خِطَّةً تَضَلُّ لها الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ
فَبَاتُوا شِبَاعاً نَاعِمِينَ كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَيْتَ الْمَرْزُبَانِ أَمِيرُ
فَكَلْبُكُمْ لَا تَتْرُكُوا فَهَوَاءُكُمْ فَإِنَّ عَقْرَ الْأُمّهَاتِ كَبِيرُ

فاستعدوا عليه عثمان ، فأرسل إليه ، فعزّره وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين ، فاستثقل ذلك ، فما زال في الحبس حتى مات فيه . وقال في الفتك يعتذر إلى أصحابه :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ وَوَلَّيْتُ الْبُكَاءَ حَلَالُهُ
وَقَائِلَةٌ قَدْ مَاتَ فِي السَّجَنِ ضَابِئُ أَلَا مَنْ لَخَصْمٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُجَادِلُهُ !
وَقَائِلَةٌ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ ضَابِئاً فَنَعَمْ الْفَتَى تَخْلُو بِهِ وَتُحَاوِلُهُ

فلذلك صار عمير بن ضابئ سَبِيئاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير ، عن أخيه ، قال : والله ما علمت ولا سمعت بأحد غزا عثمان رضي الله عنه ، ولا ركب إليه إلّا قتل ؛ لقد اجتمع بالكوفة نفرٌ ، فيهم الأشتر وزيد بن صُوحان وكعب بن ذي الحبكة وأبو زينب وأبو مورّع وكُمَيْل بن زياد وعمير بن ضابئ ؛ فقالوا : لا والله لا يُرْفَعُ رأسُ ما دام عثمان على الناس ؛ فقال عمير بن ضابئ وكُمَيْل بن زياد : نحن نقتله . فركبا إلى المدينة ؛ فأما عمير فإنه نكل عنه ، وأما كُمَيْل بن زياد فإنه جسر وثاوره ؛ وكان جالساً يرصده حتى أتى عليه عثمان ، فوجأ عثمان وجهه ، فوقع على أسسته ، وقال : أوجعيني يا أمير المؤمنين ! قال : أَوَلَسْتَ بفاتك ! قال : لا والله الذي لا إله إلّا هو ؛ فحلف وقد اجتمع عليه الناس ، فقالوا نفتشه يا أمير المؤمنين ، فقال : لا ، قد رزق الله العافية ، ولا أشتهي أن أطلع منه على غير ما قال . وقال : إن كان كما قلت يا كميل فافتقد مني - وجثا - فوالله ما حسبتك إلّا تريدني ، وقال : إن كنت صادقاً فأجزل الله ، وإن كنت كاذباً فأذل الله . وقعد له على قدميه وقال : دونك ! قال : قد تركتُ . فبقيا حتى أكثر الناس في نجائهما ، فلما قدم الحجاج قال : مَنْ كان من بعث المهلب فليوافِ مكتبه ؛ ولا يجعل على نفسه سبيلاً . فقام إليه عمير ، وقال : إني شيخ ضعيف ، ولي ابنان قويان ، فأخرج أحدهما مكاني أو

كليهما، فقال: من أنت؟ قال: أنا عمير بن ضابيء، فقال: والله لقد عصيت الله عز وجل منذ أربعين سنة؛ والله لأنك لن بك المسلمين، غضبت لسارق الكلب ظالماً، إن أباك إذ غل لهم؛ وإنك هممت ونكلت، وإني أهم ثم لا أُنكل. فضربت عنقه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، قال: حدثنا رجل من بني أسد، قال: كان من حديثه أنه كان قد غزا عثمان رضي الله عنه فيمن غزاه؛ فلما قدم الحجاج ونادى بما نادى به، عرض رجل عليه ما عوَض نفسه، فقبل منه، فلما قال أسماء بن خارجة: لقد كان شأن عمير مما يهمني، قال: ومن عمير؟ قال: هذا الشيخ، قال:

ذكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا

أليس فيمن خرج إلى عثمان؟ قال: بلى، قال: فهل بالكوفة أحد غيره؟ قال: نعم، كُمَيْل، قال: عليّ بعمير، فضرب عنقه، ودعا بكُمَيْل فهرب؛ فأخذ النَّخَع به، فقال له الأسود بن الهيثم: ما تريد من شيخ قد كفاكه الكِبَر! فقال: أما والله لتحسبن عني لسانك أو لأحسَنَ رأسك بالسيف. قال: افعل. فلما رأى كُمَيْل ما لقي قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل، قال: الموت خير من الخوف إذا أخيف ألفان من سببي وحرّموا. فخرج حتى أتى الحجاج، فقال له الحجاج: أنت الذي أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين، ولم نرض حتى قعدته للقصاص إذ دفعك عن نفسه؟ فقال: على أيّ ذلك تقتلني! تقتلني على عفوه أو على عافيتي؟ قال: يا أدهم بن الحرز، اقتله؛ قال: والأجر بيني وبينك؟ قال: نعم، قال أدهم: بل الأجر لك؛ وما كان من إثم فعلي. وقال مالك بن عبد الله - وكان من المسيّرين:

مَضَتْ لَابِنِ أَرَوَى فِي كُمَيْلٍ ظِلَامَةٌ	عَفَاها لِهْ وَالْمُسْتَقِيدُ يُلَامُ
وَقَالَ لِهْ لَا أَقْبَحُ الْيَوْمَ مُثْلُهُ	عَلَيْكَ أبا عَمْرُو وَأَنْتَ إِمَامُ
رُؤَيْدِكَ رَأْسِي وَالَّذِي نَسَكَتْ لِهْ	قُرَيْشُ بِنَا عَلَى الْكَبِيرِ حَرَامُ
وَلِلْعَفْوِ أَمْنٌ يَعْرِفُ النَّاسُ فَضْلُهُ	وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْقَصَاصِ أَثَامُ
وَلَوْ عَلِمَ الْفَارُوقُ مَا أَنْتَ صَانِعُ	نَهَى عَنْكَ نَهْيًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامُ

حدثني عمر بن شبّة، قال: حدثنا عليّ بن محمد، عن سُحَيْمِ بْنِ حَفْصٍ، قال: كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريك عثمان في الجاهليّة، فقال العباس بن ربيعة لعثمان: اكتب لي إلى ابن عامر يُسَلِّفَنِي مِائَةَ أَلْفٍ؛ فكتب، فأعطاه مائة ألف وصلّه بها، وأقطعته داره؛ دار العباس بن ربيعة اليوم.

وحدثني عمر، قال: حدثنا عليّ، عن إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، قال: كان لعثمان عليّ طلحة خمسون ألفاً، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد، فقال له طلحة: قد تهيتاً مالك فاقبضه، قال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

وحدثني عمر، قال: حدثنا عليّ، عن عبد ربّه، عن نافع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ، قال: قال عليّ لطلحة: أنشدك الله ألا رددت الناس عن عثمان! قال: لا والله حتى تُعْطِيَ بنو أمية الحق من أنفسها.

وحدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا أبو بكر البكريّ، عن هشام بن حسان، عن الحسن؛ أنّ طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف، فحملها إليه، فقال طلحة: إنّ رجلاً تتسّق هذه عنده وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عزّ وجلّ لغريّر بالله سبحانه! فبات ورسوله يختلف بها في سيكك المدينة يقسمها حتى أصبح، فأصبح وما عنده منها درهم. قال الحسن: وجاءها هنا يطلب الدينار والدرهم - أو قال: الصفراء والبيضاء.

وحجّ بالناس في هذه السنة - أعني سنة خمس وثلاثين - عبد الله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ، عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن يحجّ بالناس في هذه السنة

ذكر محمد بن عمر الواقدي أنّ أسامة بن زيد حدّثه عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما حُصر عثمان الحُصْر الآخر، قال عكرمة: فقلت لابن عباس: أو كانا حَصْرَيْن؟ فقال ابن عباس: نعم، الحُصْر الأوّل، حُصر اثنتي عشرة - وقدم المصريون فلقِيَهُم عليّ بذِي حُشْب؛ فردّهم عنه؛ وقد كان والله عليّ له صاحب صدق، حتى أوغَر نفس عليّ عليه؛ جعل مروان وسعيد وذووهما يحملونه على عليّ فيتحمل؛ ويقولون: لو شاء ما كلّمك أحد؛ وذلك أن عليّاً كان يكلمه وينصحه ويغلظ عليه في المنطق في مروان وذويه، فيقولون لعثمان: هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمّه وابن عمتّه؛ فما ظنّك بما غاب عنك منه، فلم يزالوا بعليّ حتى أجمع ألاّ يقوم دونه؛ فدخلت عليه اليوم الذي خرجت فيه إلى مكة، فذكرت له أنّ عثمان دعاني إلى الخروج فقال لي: ما يريد عثمان أن ينصحه أحد؛ اتخذ بطانة أهل غشّ ليس منهم أحد إلّا قد تسبّب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستذلّ أهلها؛ فقلت: له: إنّ له رحماً وحقّاً؛ فإن رأيت أن تقوم دونه فعلت؛ فإنك لا تُعذّر إلاّ بذلك.

قال ابن عباس: فالله يعلم أنّي رأيت فيه الانكسار والرّقة لعثمان؛ ثمّ إني لأراه يؤقّ إليه عظيم. ثمّ قال عكرمة: وسمعت ابن عباس يقول: قال لي عثمان: يابنّ عباس، اذهب إلى خالد بن العاص وهو بمكة، فقال له: يقرأ عليك أمير المؤمنين السلام، ويقول لك: إني محصور منذ كذا وكذا يوماً، لا أشرب إلّا من الأجاج من داري، وقد مُنعتُ بثراً اشتريتها من صُلب مالي، رُومّة، فإنما يشربها الناس ولا أشرب منها شيئاً، ولا آكل إلّا مما في بيتي، منعت أن آكل مما في السوق شيئاً وأنا محصور كما ترى؛ فأمره وقل له: فليحجّ بالناس؛ وليس بفاعل؛ فإنّ أبي فاحجج أنت بالناس.

فقدّمت الحجّ في العشر، فجئت خالد بن العاص، فقلت له ما قال لي عثمان، فقال لي: هل طاقة بعداوة من ترى؟ فأبى أن يحجّ وقال: فحجّ أنت بالناس: فأنت ابن عمّ الرجل؛ وهذا الأمر لا يُفْضِي إلّا إليه - يعني عليّاً - وأنت أحقّ أن تحمل له ذلك، فحججت بالناس، ثمّ قفّلت في آخر الشهر، فقدّمت المدينة وإذا عثمان قد قتل؛ وإذا الناس يتواثبون على رقبة علي بن أبي طالب. فلما رآني عليّ ترك الناس، وأقبل عليّ فانتجاني، فقال: ما ترى فيما وقع؟ فإنه قد وقع أمر عظيم كما ترى لا طاقة لأحد به؛ فقلت: أرى أنه لا بدّ للناس منك اليوم؛ فأرى أنه لا يبايع اليوم أحدٌ إلّا اتهم بدم هذا الرجل، فأبى إلّا أن يبايع فأتهم بدمه.

قال محمد: فحدثني ابنُ أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عكرمة، قال: قال: ابنُ عباس: قال لي عثمان رضي الله عنه: إني قد استعملتُ خالد بن العاص بن هشام على مكة؛ وقد بلغ أهل مكة ما صنع الناس؛ فأنا خائف أن يمنعه الموقف فيأبى، فيقاتلهم في حرم الله جلّ وعزّ وأمنه. وإن قوماً جاؤوا من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم؛ فرأيت أن أولئك أمر الموسم. وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق من حصره. فخرج ابنُ عباس، فمرّ بعائشة في الصُّلُصُل؛ فقالت: يابنَ عباس؛ أنشدك الله - فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً - أن تخذل عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس؛ فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت، ورفعت لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حمّ؛ وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يلّ يسرّ بسيرة ابن عمه أبي بكر، قال: قلت يا أمة لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا. فقالت: إيهأ عنك! إني لست أريدُ مكابرتك ولا مجادلتك.

قال ابن أبي سبرة: فأخبرني عبد المجيد بن سهيل؛ أنه انتسخ رسالة عثمان التي كتب بها من عكرمة، فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين؛ سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو؛ أما بعد؛ فإني أذكركم بالله جلّ وعزّ الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، وأراكم البينات، وأوسع عليكم من الرزق، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمته؛ فإن الله عزّ وجلّ يقول وقوله الحق: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١). وقال عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ إلى قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢). وقال وقوله الحق: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(٣). وقال وقوله الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤). وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥). وقال وقوله الحق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ إلى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦). وقال وقوله الحق: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧). وقال وقوله الحق: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إلى ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٨). وقال وقوله الحق: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٩). وقال وقوله الحق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ إلى ﴿فَسِيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١٠).

أما بعد، فإن الله عزّ وجلّ رضي لكم السمع والطاعة والجماعة، وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف، ونبأتكم ما قد فعله الذين من قبلكم، وتقدّم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه،

(١) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٢) سورة النحل: ٩١ - ٩٦.

(٣) سورة المائدة: ٧.

(٤) سورة الحجرات: ٦ - ٨.

(٥) سورة آل عمران: ٧٧.

(٦) سورة الفتح: ١.

(٧) سورة آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥.

(٨) سورة المائدة: ٧.

(٩) سورة الحجرات: ٦ - ٨.

(١٠) سورة آل عمران: ٧٧.

فاقبلوا نصيحة الله عز وجل واحذروا عذابه؛ فإنكم لن تجدوا أمةً هلكت من بعد أن تختلف؛ إلا أن يكون لها رأس بجمعها، ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً، وسلط عليكم عدوكم، ويستحل بعضكم حرم بعض؛ ومتى يفعل ذلك لا يقيم الله سبحانه دين، وتكونوا شيعاً، وقد قال الله جل وعز لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١). وإني أوصيكم بما أوصاكم الله، وأحذركم عذابه؛ فإن شيعياً ﷺ قال لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ إلى قوله: ﴿رَجِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٢).

أما بعد؛ فإن أقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث، أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق، ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها؛ فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى؛ منهم أخذ للحق، ونازع عنه حين يعطاه؛ ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر، يريد أن يتزّه بغير الحق؛ طال عليهم عمري، وراثت عليهم. أمْلَهُمُ الإِمرَة؛ فاستعجلوا القدر؛ وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم؛ ولا أعلم أني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئاً؛ كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود، فقلت: أقيموها على من علمتم تعداها في أحد، أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد. قالوا: كتاب الله ينل، فقلت: فليتلّه من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب. وقالوا: المحروم يرزق، والمال يوفى لئسّن فيه السنّة الحسنة، ولا يعتدي في الخمس ولا في الصدقة، ويؤمّر ذو القوة والأمانة، وترد مظالم الناس إلى أهلها؛ فرضيت بذلك واصطبرت له؛ وجئت نسوة النبي ﷺ حتى كلمتهن، فقلت: ما تأمرني؟ فقلن: تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس وتندع معاوية؛ فإنما أمره أمير قبلك، فإنه مصلح لأرضه، راض به جنده؛ واردد عمرأ؛ فإن جنده راضون به، وأمره فليصلح أرضه؛ فكل ذلك فعلت. وإنه اعتدي عليّ بعد ذلك وعدي على الحق.

كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر؛ استعجلوا القدر، ومنعوا مني الصلاة، وحالوا بيني وبين المسجد، وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة.

كتبت إليكم كتابي هذا؛ وهم يخبروني إحدى ثلاث: إما يُقيدوني بكل رجل أصبته أو خطأ أو صواباً، غير متروك منه شيء؛ وإما أعتزل الأمر فيؤمّرون آخر غيري، وإما يرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرّؤون من الذي جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والطاعة. فقلت لهم: أما إقادي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطئ وتصيب؛ فلم يُستقد من أحد منهم؛ وقد علمت أنما يريدون نفسي؛ وأما أن أتبرأ من الإمارة فأن يكلموني أحب إليّ من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته. وأما قولكم: يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرّؤون من طاعتي؛ فلست عليكم بوكيل؛ ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة؛ ولكن أتوها طائعين، يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين؛ ومن يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضاة الله عز وجل والسنّة الحسنة التي استن بها رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده رضي الله عنهما؛ فإنما يجزي بذلك الله؛ وليس بيدي جزاؤكم؛ ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن في ذلك ثمن لدينكم؛ ولم يُغن عنكم شيئاً، فاتقوا

(١) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٢) سورة هود: ٨٩، ٩٠.

الله واحتسبوا ما عنده؛ فمن يرضَ بالنَّكثِ منكم فإني لا أَرْضاهُ له، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده. وأما الذي يَخَيِّرُونِي فإِنَّمَا كُلُّهُ النِّزْعُ والتَّأْمِيرُ. فمَلَكْتُ نَفْسِي وَمَنْ مَعِيَ؛ ونظرتُ حَكَمَ الله وتَغْيِيرَ النِّعْمَةِ مِنْ الله سبحانه، وكرهتُ سُنَّةَ السُّوءِ وَشِقَاقَ الْأُمَّةِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ؛ فإني أَنشُدُكُمْ بالله والإسلامَ ألا تأخذوا إلَّا الحقَّ وتعطوه مني وتركَ البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فإني أَنشُدُكُمْ الله سبحانه الذي جعل عليكم العهدَ والموازرةَ في أمرِ الله؛ فَإِنَّ الله سبحانه قال وقوله الحقُّ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١)، فَإِنَّ هَذِهِ مَعْدَرَةٌ إِلَى اللهِ وَلَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

أما بعد، فإني لا أبرئ نفسي، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، وإن عاقبت أقواماً فلما أبتغي بذلك إلَّا الخير، وإني أتوب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ عَمَلٍ عملته، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلَّا هو، إِنَّ رَحْمَةَ رَبِّي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلَّا الْقَوْمُ الضَّالُّونَ، وإنه يقبلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ. وأنا أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلفَ قلوبَ هذه الأمة على الخير، ويكرهَ إليها الفسق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيها المؤمنون والمسلمون.

قال ابن عباس: فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التَّروية بمكة بيوم.

قال: وحَدَّثني ابن أبي سَبْرَةَ، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ، عن ابن عباس، قال: دعاني عثمان، فاستعملني على الحجِّ. قال: فخرجت إلى مكة، فأقمتُ للنَّاسِ الحجَّ، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم؛ ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي.

ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان رضي الله عنه ومن صلى عليه

وولي أمره بعد ما قتل إلى أن فرغ من أمره ودفنه

حَدَّثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حَدَّثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حَدَّثنا حسين بن عيسى، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العبادي، قال: نَبَذَ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يُدْفَنُ؛ ثم إن حَكَمَ بن حزام القرشيَّ ثم أحد بني أسد بن عبد العزِّي، وجُبَيْر بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كلِّهما عليًّا في دفنه، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل، وأذن لهم علي، فلما سُمِعَ بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله؛ وهم يريدون به حائطاً بالمدينة، يقال له: حَشَّ كَوْكَب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم؛ فلما خرج به على الناس رجحوا سريره، وهموا بطرحه، فبلغ ذلك عليًّا، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفَّنَ عنه، ففعلوا، فانطلق حتى دفن رضي الله عنه في حَشَّ كَوْكَب؛ فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع؛ فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حَوْلَ قبره حتى اتَّصل ذلك بمقابر المسلمين.

وحَدَّثني جعفر، قال: حَدَّثنا عمرو وعلي: قالوا: حَدَّثنا حُسَيْن، عن أبيه، عن المجالد بن سعيد الهمداني، عن يسار بن أبي كَرْب، عن أبيه. - وكان أبو كَرْب عاملاً على بيت مال عثمان - قال: دفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب والعَتَمَةِ؛ ولم يشهد جنازته إلَّا مُروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة،

(١) سورة الإسراء: ٣٤.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة، وقالوا: نعتل! وكادت ترجم؛ فقالوا: الحائط الحائط؛ فدفن في حائط خارجاً.

وأما الواقدي فإنه ذكر أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان أنه قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه قال رجل: يدفن بدير سلع مقبرة اليهود، فقال حكيم بن حزام: والله لا يكون هذا أبداً وأحد من ولد قصي حي؛ حتى كاد الشر يلتحم، فقال ابن عديس البلوي: أيها الشيخ، وما يضرّك أين يدفن! فقال حكيم بن حزام: لا يدفن إلا ببقيع الغرقد حيث دفن سلفه وفرطه؛ فخرج به حكيم بن حزام في اثني عشر رجلاً، وفيهم الزبير، فصلّى عليه حكيم بن حزام. قال الواقدي: الثبت عندنا أنه صلى عليه جبير بن مطعم.

قال محمد بن عمر: وحدثني الضحاك بن عثمان، عن خزيمة بن سليمان الوالبي، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة ضحوة، فلم يقدروا على دفنه، وأرسلت نائلة ابنة الفرافصة إلى حويط بن عبد العزى وجبير بن مطعم وأبي جهم بن حذيفة وحكيم بن حزام ونيار الأسلمي، فقالوا: إننا لا نقدر أن نخرج به نهراً، وهؤلاء المصريون على الباب، فأمهلوا حتى كان بين المغرب والعشاء، فدخل القوم، فحبل بينهم وبينه، فقال أبو جهم: والله لا يحول بيني وبينه أحد إلا ميتّ دونه؛ احمّوه، فحمل إلى البقيع؛ قال: وتبعته نائلة بسراج استسرجته بالبقيع و غلام لعثمان، حتى انتهوا إلى نخلات عليها حائط؛ فدقوا الجدار، ثم قبروه في تلك النخلات، وصلى عليه جبير بن مطعم، فذهبت نائلة تريد أن تتكلم، فزبرها القوم، وقالوا: إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينبشوه، فرجعت نائلة إلى منزلها.

قال محمد: وحدثني عبد الله بن يزيد الهذلي، عن عبد الله بن ساعدة، قال: لبث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه، ثم حمله أربعة: حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، ونيار بن مكرم، وأبو جهم بن حذيفة؛ فلما وُضع ليصلّى عليه، جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه، فيهم أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي، وأبو حية المازني، في عدة؛ ومنعهم أن يدفن بالبقيع؛ فقال أبو جهم: ادفنوه، فقد صلى الله عليه وملائكته، فقالوا: لا والله، لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً، فدفنوه في حشّ كوكب. فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحشّ في البقيع، فهو اليوم مقبرة بني أمية.

قال محمد: وحدثني عبد الله بن موسى المخزومي، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه أرادوا حرق رأسه، فوُقت عليه نائلة وأم البنين، فمنعهم، وصحّ وضربن الوجوه، وخرقن ثيابهنّ، فقال ابن عديس: اتركوه؛ فأخرج عثمان ولم يُغسل إلى البقيع، وأرادوا أن يصلّوا عليه في موضع الجنائز؛ فأبت الأنصار، وأقبل عمير بن ضابئ وعثمان موضوع على باب، فنزا عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنّت ضابطاً حتى مات في السجن.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، قال: حدثني عمّ جدي الربيع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، قال: كنت أحد حملة عثمان رضي الله عنه حين قتل: حملناه على باب، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به؛ وإن بنا من الخوف لأمرأ عظيماً حتى واريناه في قبره في حشّ كوكب.

وأما سيف، فإنه روى فيما كتب به إلى السري، عن شعيب، عنه، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد

وطلحة؛ أن عثمان لما قُتل أرسلت نائلة إلى عبد الرحمن بن عُدَيْس، فقالت له: إنك أمس القوم رجماً، وأولاهم بأن تقوم بأمرى؛ أغرب عني هؤلاء الأموات. قال: فشتمها وزجرها؛ حتى إذا كان في جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان، فأتاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيد الله وعليّ والحسن وكعب بن مالك وعامة من ثم من صحابه، فتوافى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء؛ فأخرجوا عثمان فصلّى عليه مروان، ثم خرجوا به حتى انتهوا إلى البقيع، فدفنوه فيه مما يلي حشّ كوكب؛ حتى إذا أصبحوا أتوا أعبد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم فرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوا، فأدخلوهم حشّ كوكب؛ فلما أمسوا خرجوا بعبددين منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان، ومع كل واحد منهما خمسة نفر وامرأة؛ فاطمة أم إبراهيم بن عديّ، ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر، فقالوا: إنك أمس القوم بنا رجماً، فأمر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تُخرجا، فكلمهم في ذلك، فأبوا، فقال: أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لف لفهم، فأخرجوهما فارموا بهما؛ فجراً بأرجلهما فرمى بهما على البلاط، فأكلتها الكلاب؛ وكان العبدان اللذان قتلوا يوم الدار يقال لهما نُجيج وصُبيح؛ فكان اسماهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلائهما؛ ولم يحفظ الناس اسم الثالث، ولم يغسل عثمان، وكُفن في ثيابه ودماؤه ولا غُسل غلاماه.

وكتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: دفن عثمان رضي الله عنه من الليل، وصلى عليه مروان بن الحكم، وخرجت ابنته تبكي في أثره، ونائلة ابنة الفرافصة، رحمهم الله.

ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه

اختلف في ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل في ذي الحجة، فقال بعضهم: قتل لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة، فقال الجمهور منهم: قتل لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال إنه قتل في سنة ست وثلاثين:

حدّثني الحارث بن محمد، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن عثمان بن محمد الأحنسيّ، قال الحارث: وحدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن يعقوب بن زيد، عن أبيه، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً؛ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة.

وقال أبو بكر: أخبرنا مُصعب بن عبد الله، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر.

وقال آخرون: قتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين لثماني عشرة ليلة خلت منه.

ذكر من قال ذلك:

حدّثني جعفر بن عبد الله، قال: حدّثنا عمرو بن حماد وعليّ، قالوا: حدّثنا حسين، عن أبيه، عن المجالد بن سعيد الهمدانيّ، عن عامر الشعبيّ، أنه قال: حُصر عثمان بن عفان رضي الله عنه في الدار اثنتين

وعشرين ليلة، وقُتِلَ صُبْحَةَ ثُماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله ﷺ.

وحدَّثني أحمد بن ثابت الرازي، عمَّن حدَّثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمانٍ عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً.

وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمانٍ عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر رضي الله عنه.

وحدَّثت عن زكرياء بن عدي، قال: حدَّثنا عبيد الله بن عمرو، عن ابن عقيل، قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين.

وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة، قالوا: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه لثمانٍ عشرة ليلة خلت من ذي الحجة يوم الجمعة في آخر ساعة.

وقال آخرون: قُتِلَ يوم الجمعة ضحوً.

ذكر من قال ذلك:

ذكر عن هشام بن الكلبي، أنه قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه صبيحة الجمعة لثمانٍ عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام.

حدَّثنا الحارث، عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: حدَّثني الضحاك بن عثمان، عن مخزومة بن سليمان الوالي، قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة ضحوً لثمانٍ عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

وقال آخرون: قُتِلَ في أيام التشريق.

ذكر من قال ذلك:

حدَّثني أحمد بن زهير، قال: حدَّثنا أبي أبو خيثمة، قال: حدَّثنا وهب بن جرير، قال: سمعت أبي قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي، عن الزُّهري، قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه، فزعم بعض الناس أنه قُتِلَ في أيام التشريق.

وقال بعضهم: قُتِلَ يوم الجمعة لثمانٍ عشرة ليلة خلت من ذي الحجة.

ذكر الخبر عن قدر مدّة حياته

اختلف السلف قبلنا في ذلك، فقال بعضهم: كانت مدّة ذلك اثنتين وثمانين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، أن عثمان رضي الله عنه قُتِلَ وهو

ابن اثنتين وثمانين سنة.

قال محمد بن عمر: وحَدَّثني الضحاك بن عثمان، عن مخزومة بن سليمان الوالبي، قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة.

قال محمد: وحَدَّثني سعد بن راشد عن صالح بن كيسان، قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر.

وقال آخرون: قُتِلَ وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين.

ذكر من قال ذلك:

حُدِّثَ عن الحسن بن موسى الأشيب، قال: حَدَّثَنَا أبو هلال؛ عن قتادة: أَنَّ عثمان رضي الله عنه قُتِلَ وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة.

وقال آخرون: قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة؛ وذلك قولُ ذكر عن هشام بن محمد.

وقال بعضهم: قتل وهو ابن ثلاث وستين، وهذا قولُ نسبة سيف بن عمر إلى جماعة. كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف؛ أن أبا حارثة وأبا عثمان ومحمداً وطلحة، قالوا: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال آخرون: قُتِلَ وهو ابن ست وثمانين.

ذكر من قال ذلك:

حَدَّثني محمد بن موسى الحَرَشِيُّ، قال: حَدَّثَنَا معاذ بن هشام، قال: حَدَّثني أبي، عن قتادة، قال: قُتِلَ عثمان رضي الله عنه وهو ابن ست وثمانين.

ذكر الخبر عن صفة عثمان

حَدَّثني زياد بن أيوب، قال: حَدَّثَنَا هُشَيْم، قال: زعم أبو المقدام، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: دخلت المسجد؛ فإذا أنا بعثمان رضي الله عنه مَتَكِنًا على رداءه، فنظرت إليه؛ فإذا رجلٌ حسن الوجه، وإذا بوجهه نُكُتَات من جُدَرِيٍّ؛ وإذا شعره قد كسا ذراعيه.

حَدَّثني الحارث، قال: حَدَّثَنَا ابن سعد، قال: حَدَّثَنَا محمد بن عمر، قال: سألت عمرو بن عبد الله بن عَبْسَةَ وعروة بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن أبي الزناد عن صفة عثمان، فلم أَر بينهم اختلافًا، قالوا: كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، حسنَ الوجه، رقيقَ البشرة، كثَّ اللحية عظيمها؛ أسمر اللون، عظيم الكراديس؛ عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفّر لحيته.

وحَدَّثني أحمد بن زهير، قال: حَدَّثَنَا أبي، قال: حَدَّثَنَا وهب بن جرير بن حازم، قال: سمعت أبي يقول: سمعت يونس بن زيد الأيلي، عن الزُّهري، قال: كان عثمان رجلاً مربوعاً، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أرواح الرجلين.

ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: كان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. قال: وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية، ومعه فيها جميعاً امرأته رُقِيّة بنت رسول الله ﷺ.

ذكر الخبر عما كان يكتنّى به عثمان بن عفان رضي الله عنه

حدّثني الحارث بن محمد، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يكتنّى في الجاهلية أبا عمرو، فلما كان في الإسلام ولد له من رُقِيّة بنت رسول الله ﷺ غلاماً فسماه عبد الله، واكتنّى به، فكناه المسلمون أبا عبد الله؛ فبلغ عبد الله ست سنين، فنقره ديك على عينه، فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، فصلى عليه رسول الله ﷺ، ونزل في حُفْرته عثمان رضي الله عنه. وقال هشام بن محمد: كان يكتنّى أبا عمرو.

ذكر نسبه

هو عثمان بن عفان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وأمّه أَرْوَى ابنة كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمّها أم حَكِيم بنت عبد المطلب.

ذكر أولاده وأزواجه

رُقِيّة وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ؛ ولدت له رُقِيّة عبد الله.

وفاخته ابنة غَزْوَان بن جابر بن نُسَيْب بن وَهَيْب بن زيد بن مالك بن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر. ولدت له ابناً فسماه عبد الله؛ وهو عبد الله الأصغر، هَلَك.

وأمّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن حُمّة بن الحارث بن رفاعة بن سَعْد بن ثعلبة بن لُؤَيّ بن عامر بن غَنَم بن دُهْمَان بن مُنْهَب بن دَوْس، من الأزد؛ ولدت له عمراً وخالدًا وأبانًا وعمر ومريم. وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولدت له الوليد وسعيداً وأمّ سعيد، بني عثمان.

وأمّ البنين بنت عُيَيْنَة بن حِصّ بن حُذَيْفَة بن بدر الفزاري؛ ولدت له عبد الملك بن عثمان، هلك. ورملة ابنة شيبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي؛ ولدت له عائشة وأمّ أبان وأمّ عمرو، بنات عثمان.

ونائلة ابنة الفَرافصة بن الأَحْوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصْن بن ضَمْضم بن عدي بن جناب بن كلب؛ ولدت له مريم ابنة عثمان.

وقال هشام بن الكلبي: ولدت أمّ البنين بنت عَيْنَة بن حصن لعثمان عبد الملك وعتبة. وقال أيضاً: ولدت نائلة عنبة.

وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تدعى أم البنين بنت عثمان من نائلة، قال: وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

وقتل عثمان رضي الله عنه وعنده رملة ابنة شيبه ونائلة وأم البنين بنت عيينة وفاخنة ابنة غزوان؛ غير أنه - فيما زعم علي بن محمد - طلق أم البنين وهو محصور.

فهؤلاء أزواجه اللواتي كنّ له في الجاهلية والإسلام، وأولاده: رجالهم ونسأؤهم.

ذكر أسماء عمّال عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على البلدان

قال محمد بن عمر: قتل عثمان رضي الله عنه وعمّاله على الأمصار - فيما حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد - على مكة عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن مئبة، وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كرز - خرج منها فلم يولّ عليها عثمان أحداً - وعلى الكوفة سعيد بن العاص - أخرج منها فلم يُترك يدخلها - وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح - قدم على عثمان، وغلب محمد بن أبي حذيفة عليها. وكان عبد الله بن سعد استخلف على مصر السائب ابن هشام بن عمرو العامري، فأخرجه محمد بن أبي حذيفة - وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان.

وفما كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الشام معاوية، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور بن سفيان، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكنائي، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري. وعلى القضاء أبو الدرداء.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، قال: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الكوفة، على صلاتها أبو موسى، وعلى خراج السواد جابر بن عمرو المزني - وهو صاحب المسناة إلى جانب الكوفة - وسماك الأنصاري. وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى حلوان عتبة بن النهاس، وعلى ماه مالك بن حبيب، وعلى همدان النسير، وعلى الرّي سعيد بن قيس، وعلى إصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ما سبذان حبيش، وعلى بيت المال عتبة بن عمرو. وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت.

ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن محمد، عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: خطب عثمان الناس بعد ما بويع، فقال:

أما بعد؛ فإني قد جُملت وقد قبلت؛ ألا وإني متبع ولست بمبتدع؛ ألا وإنّ لكم عليّ بعد كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: أتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنّ سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ، والكفّ عنكم إلّا فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلّا من تركها.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن عثمان، عن عمّه، قال: آخر خطبة خطبها

عثمان رضي الله عنه في جماعة :

إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركوا إليها؛ إن الدنيا تفتى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فأثروا ما يبقى على ما يفنى؛ فإن الدنيا منقطعة؛ وإن المصير إلى الله. اتقوا الله جل وعز؛ فإن تقواه جنة من بأسه، ووسيلة عنده؛ واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً، ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١). إلى آخر القصة.

ذكر الخبر عمن كان يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ
حين حصر عثمان

قال محمد بن عمر: حدثني ربيعة بن عثمان: جاء المؤذن، سعد القرظ إلى علي بن أبي طالب في ذلك اليوم، فقال: من يصلي بالناس؟ فقال علي: ناد خالد بن زيد، فنادى خالد بن زيد، فصلّى بالناس - فإنه لأول يوم عرف أن أبا أيوب خالد بن زيد - فكان يصلي بهم أياماً، ثم صلى علي بعد ذلك بالناس.

قال محمد: وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: جاء المؤذن إلى عثمان فأذنه بالصلاة، فقال: لا أنزل أصلي؛ اذهب إلى من يصلي. فجاء المؤذن إلى علي، فأمر سهل بن حنيف، فصلّى اليوم الذي حصر فيه عثمان الحصر الآخر؛ وهو ليلة رثي هلال ذي الحجة، فصلّى بهم؛ حتى إذا كان يوم العيد صلى علي العيد، ثم صلى بهم حتى قتل رضي الله عنه.

قال: وحدثني عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: لما حصر عثمان صلى بالناس أبو أيوب أياماً، ثم صلى بهم علي الجمعة والعيد، حتى قتل رضي الله عنه.

ذكر ما رثي به من الأشعار

وتقاول الشعراء بعد مقتله فيه؛ فمن ماذح وهاج، ومن نائح باك، ومن سار فرح؛ فكان ممن يمدحه حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريان وتميم بن أبي بن مقبل في آخرين غيرهم. مما مدحه به وبكاه حسان وهجا به قاتله:

أتركتم غزو الدروب وراءكم	وغزوتمونا عند قبر محمد!
فلبس هذي المسلمين هديتكم	ولبس أمر الفاجر المتعمد!
إن تقدموا نجعل قري سرواتكم	حول المدينة كل لين مژود
أو تدبروا فلبس ما سافرتكم	ولمشل أمر أميركم لم يرشد
وكان أصحاب النبي عشيّة	بذن تدبّح عند باب المسجد
أبكي أبا عمرو لحسن بلائه	أمسى مقيماً في بقيع الغرقد

وقال أيضاً:

إِنْ تُمَسِّرِ دَارُ ابْنِ أَرْوَى مِنْهُ خَاوِيَةً
فَقَدْ يُصَادِفُ بَاغِي الْخَيْرِ حَاجَتَهُ
يَأْيُهَا النَّاسُ أَبَدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ
قَوْمُوا بِحَقِّ مَلِكِ النَّاسِ تَعْتَرِفُوا
فِيهِمْ حَبِيبُ شِهَابِ الْمَوْتِ يَقْدُمُهُمْ

بَابُ صَرِيحٍ وَبَابُ مُحَرَّقٍ خَرِبُ
فِيهَا وَيَهْوِي إِلَيْهَا الذِّكْرُ وَالْحَسَبُ
لَا يَسْتَوِي الصَّدَقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ
بِغَارَةِ عَصَبٍ مِنْ خَلْفِهَا عَصَبُ
مُسْتَلْتِمًا قَدْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ

وله فيه أشعار كثيرة. وقال كعب بن مالك الأنصاري:

بِالرَّجَالِ لِبَلْبِكَ الْمَخْطُوفِ
وَيَحُ لَأَمْرٍ قَدْ أَتَانِي رَائِعُ
قَتَلَ الْخَلِيفَةَ كَانَ أَمْرًا مُفْظِعًا
قَتَلَ الْإِمَامَ لَهُ النُّجُومُ خَوَاضِعُ
يَا لَهْفٍ نَفْسِي إِذْ تَوَلَّوْا غُدُوَّةَ
وَلَّوْا وَذَلُّوا فِي الضَّرِيحِ أَحَاثُهمُ
مِنْ نَائِلٍ أَوْ سُودِدٍ وَحِمَالَةٍ
كَمْ مِنْ يَتِيمٍ كَانَ يَجْبُرُ عَظْمَهُ
مَا زَالَ يَقْبَلُهُمْ وَيَرَأُبُ ظُلْمَهُمْ
أَمْسَى مُقِيمًا بِالْبَقِيعِ وَأَصْبَحُوا
النَّارَ مَوْعِدُهُمْ بِقَتْلِ إِمَامِهِمْ
جَمَعَ الْحِمَالَةَ بَعْدَ حِلْمٍ رَاجِحِ
يَا كَعْبُ لَا تَنْفَكْ تَبْكِي مَالِكًا
فَأَبْكِي أَبَا عَمْرٍو عَتِيقًا وَاصِلًا
وَلِيَّيْكِهِ عِنْدَ الْحِفَاطِ لِمُعْظَمِ
قَتْلُوكِ يَا عَثْمَانُ غَيْرُ مُدْنَسٍ

وَلِدْمَعِكَ الْمُتَرْقِرِ الْمَنْزُوفِ
هَذَا الْجِبَالُ فَأَنْقَضَتْ بِرُجُوفِ
قَامَتْ لِذَاكَ بَلِيَّةُ التَّخْوِيفِ
وَالشَّمْسُ بَاذِغَةً لَهُ بِكُسُوفِ
بِالنَّعْشِ فَوْقَ عَوَاتِقٍ وَكُتُوفِ!
مَاذَا أَجَنَّ ضَرِيحُهُ الْمُسْقُوفِ!
سَبَقَتْ لَهُ فِي النَّاسِ أَوْ مَعْرُوفِ
أَمْسَى بِمَنْزِلِهِ الضِّيَاعِ يَطُوفِ
حَتَّى سَمِعْتُ بِرَنَةِ التَّلْهِيفِ
مُتَفَرِّقِينَ قَدْ أَجْمَعُوا بِخُفُوفِ
عَثْمَانُ ظَهَرَ فِي الْبِلَادِ عَفِيفِ
وَالْخَيْرُ فِيهِ مُبَيَّنٌ مَعْرُوفِ
مَا دُمْتُ حَيًّا فِي الْبِلَادِ تَطُوفِ
وَلِوَاءِهِمْ إِذْ كَانَ غَيْرَ سَخِيفِ
وَالْخَيْلُ بَيْنَ مَقَانِبٍ وَصُفُوفِ
قَتْلًا لَعَمْرُكَ وَاقِفًا بِسَقِيفِ

وقال حسان:

مِنْ سَرَّةِ الْمَوْتِ صِرْفًا لَا مِزَاجٍ لَهُ
مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَاضِي قَدْ شَفِيعَتْ
صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ
فَقَدْ رَضِينَا بِأَهْلِ الشَّامِ نَافِرَةً
إِنِّي لَمِنْهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا
لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكَأً فِي دِيَارِهِمْ
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي

فَلِيَّاتٍ مَأْسَدَةً فِي دَارِ عُثْمَانَ
قَبْلَ الْمَخَاطِمِ يَبْضُ زَانَ أَبْدَانَا
قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي الْمَكْرُوهِ أحيانَا
وَبِالْأَمِيرِ وَبِالْإِخْوَانِ إِخْوَانَا
مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا سُمِّيتُ حَسَّانَا
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عَثْمَانَ
مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا!

وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط يحرّض عُمارة بن عَقبة:

قَتِيلُ التَّجِييِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرٍ
عُمَارَةَ لَا يَطْلُبُ بِذَخْلٍ وَلَا وَتَرٍ
مَخِيْمُهُ بَيْنَ الْخَوْرَنْقِ وَالْقَصْرِ

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ
فَإِنْ يَكُ ظَنِّي بِأَبْنِ أُمِّي صَادِقًا
يَبِيْتُ وَأَوْتَارُ ابْنِ عَقَانَ عِنْدَهُ

فأجابه الفضل بن عباس:

وَأَيْنَ ابْنُ ذَكْوَانَ الصَّفُورِيِّ مِنْ عَمْرٍو
وَتَنَسَّى أَبَاهَا إِذْ تُسَامَى أُولَى الْفَخْرِ
وَصِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى عِنْدَ ذِي الذِّكْرِ
وَأَوَّلُ مَنْ أَرْدَى الْغَوَاةَ لَدَى بَذْرِ
لَكَانُوا لَهُ مِنْ ظُلْمِهِ حَاضِرِي النَّصْرِ
وَأَنْ يُسَلِّمُوهُ لَأَحَابِيشٍ مِنْ مِصْرٍ

أَتَطْلُبُ ثَارًا لَسْتُ مِنْهُ وَلَا لَهُ
كَمَا أَتَصَلَّتْ بِنْتُ الْجِمَارِ بِأُمِّهَا
أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى وَصَنُو نَبِيِّهِ
فَلَوْ رَأَتْ الْأَنْصَارُ ظُلْمَ ابْنِ عَمِّكُمْ
كَفَى ذَاكَ عَيْيًّا أَنْ يَشِيرُوا بِقَتْلِهِ

وقال الحُباب بن يزيد المجاشعي، عم الفرزدق:

لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا
وَحَلَّى ابْنُ عَقَانَ شَرًّا طَوِيلًا
فَسِيرِي إِلَى اللَّهِ سِيرًا جَمِيلًا

لَعَمْرُ أَبِيكَ فَلَا تَجْزَعَنَّ
لَقَدْ سَفِهَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ
أَعَاذِلْ كُلَّ امْرِئٍ هَالِكٍ

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وفي هذه السنة بويع لعلي بن أبي طالب بالمدينة بالخلافة.

ذكر الخبر عنبيعة من بايعه، والوقت الذي بويع فيه

اختلف السلف من أهل السير في ذلك، فقال بعضهم: سأل علياً أصحاب رسول الله ﷺ أن يتقلد لهم وللمسلمين، فأبى عليهم؛ فلما أبوا عليه، وطلبوا إليه، تقلد ذلك لهم.

ذكر الرواية بذلك عمن رواه:

حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين، قالوا: حدثنا حسين عن أبيه، عن عبد الملك بن أبي سليمان الفزاري، عن سالم بن أبي الجعد الأشجعي، عن محمد بن الحنفية، قال: كنت مع أبي حين قُتل عثمان رضي الله عنه، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك؛ لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً؛ فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتى تُبايعك؛ قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفيّاً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين. قال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يُشَغَب عليه؛ وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس.

وحدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العبادي، قال: كنت بالمدينة حين قُتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة

والزبير، فأتوا علياً فقالوا: يا أبا حسن؛ هلم نبائعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضى به، فاختاروا والله فقالوا: ما نختار غيرك؛ قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضي الله عنه مراراً، ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلّا بأمرة، وقد طال الأمر، فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم، وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال: إني كنت كارهاً لأمركم، فأبيتُم إلّا أن أكون عليكم؛ ألا وإنه ليس لي أمرٌ دونكم، إلّا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضىتم؟ قالوا: نعم؛ قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك.

قال أبو بشير: وأنا يومئذ عند منبر رسول الله ﷺ قائم أسمع ما يقول.

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر الهذلي، عن أبي المليح، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه، خرج علي إلى السوق، وذلك يوم السبت لثمانى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، فأتبعه الناس وبهشوا في وجهه، فدخل حائط بني عمرو بن مبدول، وقال لأبي عمرة بن عمرو بن محصن: أغلق الباب، فجاء الناس فقرعوا الباب، فدخلوا، فيهم طلحة والزبير، فقالا: يا علي أبسط يدك: فبايعه طلحة والزبير، فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع، فقال: أول من بدأ بالبيعة يد شلاء؛ لا يتم هذا الأمر! وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خز، ونعلاه في يده، متوكئاً على قوس؛ فبايعه الناس. وجاؤوا بسعد، فقال علي: بايع، قال: لا أبايع حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس؛ قال: خلوا سبيله. وجاؤوا بابن عمر، فقال: بايع، قال: لا أبايع حتى يبايع الناس، قال: ائتني بحميل، قال: لا أرى حميلاً، قال الأشر: خل عني أضرب عنقه، قال علي: دعوه، أنا حميله، إنك - ما علمت - لسيء الخلق صغيراً وكبيراً.

وحدثني محمد بن سنان القرّاز، قال: حدثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حميد، عن الحسن، قال: رأيت الزبير بن العوام بايع علياً في حش من حشّان المدينة.

وحدثني أحمد بن زهير، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: سمعتُ أبي، قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، قال: بايع الناس علي بن أبي طالب، فأرسل إلى الزبير وطلحة فدعاهما إلى البيعة، فتلكأ طلحة، فقام مالك الأشر وسل سيفه وقال: والله لتبايعن أو لأضربن به ما بين عينيكم، فقال طلحة: وأين المهرب عنه! فبايعه، وبايعه الزبير والناس. وسأل طلحة والزبير أن يؤمّرها على الكوفة والبصرة، فقال: تكونان عندي فأتحمل بكما، فإني وحش لفراقكما. قال الزهري: وقد بلغنا أنه قال لهما: إن أحببتا أن تبايعا لي وإن أحببتا بايعتكما، فقالا: بل نبايعك؛ وقال بعد ذلك: إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا، وقد عرفنا أنه لم يكن ليّبايعنا. فظهرا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر.

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو مخنف، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن الحنفية، قال: كنت أمسي مع أبي حين قُتل عثمان رضي الله عنه حتى دخل بيته، فأتاه ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بد من إمام للناس، قال: أو تكون شورى؟ قالوا: أنت لنا رضى، قال: فالمسجد إذاً يكون عن رضى من الناس. فخرج إلى المسجد فبايعه من

بإياعه؛ وبايعت الأنصار علياً إلا نُفَيْراً يسيراً، فقال طلحة: ما لنا من هذا الأمر إلا كِحْسَةِ أنف الكلب.

وحدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: أخبرنا شيخ من بني هاشم، عن عبد الله بن الحسن، قال: لما قُتِلَ عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار علياً إلا نُفَيْراً يسيراً، منهم حَسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخُدْرِي، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفُضالة بن عُبيد، وكعب بن عُجْرة، كانوا عثمانيّة. فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبي هؤلاء بيعة علي! وكانوا عثمانيّة. قال: أما حَسَّان فكان شاعراً لا يُبالي ما يصنع؛ وأما زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوانَ وبيتَ المال، فلما حُصِرَ عثمان، قال: يا معشر الأنصار، كونوا أنصاراً لله... مرّتين، فقال أبو أيوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العُضدان. فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مُزَيّنة وترك ما أخذ منهم له.

قال: وحدثني مَنْ سمع الزهري يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة. وقال آخرون: إنما بايع طلحة والزبير علياً كرهاً. وقال بعضهم: لم يُبايعه الزبير.

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: حدثني هشام بن أبي هشام مولى عثمان بن عفان، عن شيخ من أهل الكوفة، يحدثه عن شيخ آخر، قال: حُصِرَ عثمان وعليّ بخيبر، فلما قَدِمَ أرسل إليه عثمان يدعوه، فانطلق، فقلت: لأنطلقنّ معه ولأسمعنّ مقالتهما، فلما دخل عليه كلمه عثمان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن لي عليك حقوقاً؛ حقّ الإسلام، وحقّ الإخاء - وقد علمت أن رسول الله ﷺ حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك - وحقّ القرابة والصُّهر، وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق، فوالله لو لم يكن من هذا شيء ثم كنّا إنمّا نحن في جاهليّة، لكان مُبْطَأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تميم مُلْكهم.

فتكلم عليّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فكلّ ما ذكرت من حقك عليّ على ما ذكرت، أما قولك: لو كنّا في جاهليّة لكان مُبْطَأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تميم مُلْكهم فصدقت، وسيأتيك الخبر. ثم خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالساً، فدعاه، فاعتمد على يده، فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته، فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي دِحَّاس من الناس، فقام إليه، فقال: يا طلحة، ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟ فقال: يا أبا حسن، بعد ما مسّ الحزام الطُّبِين! فانصرف عليّ ولم يُجِرْ إليه شيئاً حتى أتى بيت المال، فقال: افتحوا هذا الباب، فلم يقدر على المفاتيح، فقال: اكسروه؛ فكسر باب بيت المال، فقال: أخرجوا المال، فجعل يُعْطِي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع عليّ، فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده. وبلغ الخبر عثمان، فسُرَّ بذلك، ثم أقبل طلحة يمشي عائداً إلى دار عثمان، فقلت: والله لأنظرنّ ما يقول هذا؛ فتبعته، فاستأذن على عثمان، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين، أستغفر الله وأتوب إليه، أردتُ أمراً فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائباً، ولكنك جئت مغلوباً، الله حسيك يا طلحة!

وحدَّثني الحارث، قال: حدَّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن سعد، قال: قال طلحة: بايعتُ والسيف فوق رأسي - فقال سعد: لا أدري والسيف على رأسه أم لا، إلّا أني أعلم أنه بايع كارهاً - قال: وبايع الناس علياً بالمدينة، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه؛ منهم: سعد بن أبي وقاص، ومنهم ابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن وقش، وأسامة بن زيد، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلّا بايع فيما نعلم.

وحدَّثنا الزبير بن بكار، قال: حدَّثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: حدَّثني أبي عبد الله بن مصعب، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال: لما قتل الناس عثمان رضي الله عنه وبايعوا علياً، جاء عليٌّ إلى الزبير فاستأذن عليه، فأعلمته به، فسَلَّ السيف ووضعهُ تحت فراشه، ثم قال: ائذن له، فأذنت له، فدخل فسَلَّم على الزبير وهو واقفٌ بنحرة، ثم خرج. فقال الزبير: لقد دخلَ المرء ما أقصاه، قُم في مقامه فانظر هل ترى من السيف شيئاً؟ فقمْتُ في مقامه فرأيت ذباب السيف، فأخبرته فقال: ذاك أعجلَ الرجل. فلما خرج عليٌّ سأله الناس، فقال: وجدتُ أبر ابن أختٍ وأوصله. فظنَّ الناس خيراً، فقال عليٌّ: إنه بايعه.

وما كتب به إلى السري عن شعيب، عن سيف بن عمر، قال: حدَّثنا محمد بن عبد الله بن سواد بن نؤيرة، وطلحة بن الأعلم، وأبو حارثة، وأبو عثمان، قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام، وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، يأتي المصريون علياً فيختبئ منهم ويلوذُ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقاتلهم مرّة بعد مرّة؛ ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً، فباعدهم وتبرأ من مقاتلهم؛ ويطلب البصريون طلحةً فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقاتلهم مرّة بعد مرّة؛ وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهوون، فلما لم يجدوا ممالئاً ولا مجيئاً جمعهم الشرّ على أول من أجابهم، وقالوا: لا نؤلي أحداً من هؤلاء الثلاثة، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع، فاقدّم نبايعك، فبعث إليهم: إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال؛ وتمثل:

لا تَخِلْطَنَ خَبِيثَاتٍ بِطَيِّبَةٍ واخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَاَنْجُ عُريَانَا

ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله، فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرض له، فالتمسوا غيري. فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: كانوا إذا لقوا طلحةً أبي وقال:

وَمَنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ وَالْدَّهْرِ أَنَّنِي بَقِيتُ وَحِيداً لَا أَمِرُّ وَلَا أَحِلِي

فيقولون: إنك لتوعدنا. فيقومون فيتركونه، فإذا لقوا الزبير وأرادوه أبي وقال:

مَتَى أَنْتَ عَنْ دَارٍ بِفَيْحَانٍ رَاحِلٌ وَبَاحَتَهَا تَخُونُ عَلَيْكَ الْكَتَائِبُ

فيقولون: إنك لتوعدنا! فإذا لقوا علياً وأرادوه أبي، وقال:

لَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ أَمَرْتُهُمْ أَمراً يُدِيخُ الْأَعَادِيَا

فيقولن: إنك لتوعدنا! فيقومون ويتركونه.

وحَدَّثني عمر بن شُبَّة، قال: حَدَّثنا أبو الحسن المدائني، قال: أخبرنا مسلمة بن محارب، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: لما قَتَلَ عثمان رضي الله عنه أتى الناسُ علياً وهو في سوق المدينة، وقالوا له: ابسط يدك نبايعك، قال: لا تعجلوا فإنَّ عمر كان رجلاً مباركاً، وقد أوصى بها شوري، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون. فارتدَّ الناس عن علي؛ ثم قال بعضهم: إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يَقم بعده قائمٌ بهذا الأمر لم نأمن اختلافَ الناس وفساد الأمة، فعادوا إلى علي، فأخذ الأشرُّ بيده فقبضها علي، فقال: أبعد ثلاثة! أما والله لئن تركتها لتقصرنَّ غنيتك عليها حيناً، فبايعته العامة. وأهل الكوفة يقولون: إنَّ أول من بايعه الأشر.

وكتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه، جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً والزبير خارجين، ووجدوا طلحة في حائط له، ووجدوا بني أمية قد هربوا إلّا من لم يُطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج، وتبعهم مروان، وتتابع على ذلك مَنْ تتابع، فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلاً تنصبونه، ونحن لكم تبع. فقال الجمهور: علي بن أبي طالب نحن به راضون.

وأخبرنا علي بن مسلم، قال: حَدَّثنا حَبَّان بن هلال، قال: حَدَّثنا جعفر بن سليمان، عن عوف، قال: أما أنا فأشهد أني سمعتُ محمد بن سيرين يقول: إنَّ علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك، فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، قال: فبسط علي يده فبايعه.

وكتب إليَّ السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: فقالوا لهم: دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلنَّ غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً. فغشى الناس علياً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام؛ وما ابتلينا به من ذوي القربى، فقال علي: دعوني والتمسوا غيري فإنما مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: نشدك الله ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تحاف الله! فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم؛ وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلّا أني أسمعكم وأطوِّعكم لمن وليتموه أمركم. ثم افترقوا على ذلك واتَّعدوا الغد. وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت. فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً، وقالوا: احذر لاتحاده - وكان رسولهم حُكَيْم بن جبلة العبدِّي في نفر - فجاؤوا به يحدونه بالسيف. وإلى طلحة كوفياً وقالوا له: احذر لاتحاده، فبعثوا الأشر في نفر فجاؤوا به يحدونه بالسيف. وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً لأهل مصر وجشوة فيهم، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير، غيظاً، فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد، وجاء علي حتى صعد المنبر، فقال: يا أيُّها الناس - عن ملاءٍ وإذن - إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حقٌ إلّا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلّا فلا أجد على أحد. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس. وجاء القوم بطلحة فقالوا: بايع، فقال: إني إنما أبايع كرهاً، فبايع - وكان به شلل - أول

الناس، وفي الناس رجل يعتاف، فنظر من بعيد، فلما رأى طلحة أول من بايع قال: إن الله وإنا إليه راجعون! أول يد بايعت أمير المؤمنين يدُ شلاء، لا يتم هذا الأمر! ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع - وفي الزبير اختلاف - ثم جيء بقوم كانوا قد تخلّفوا فقالوا: نُبائع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد، والعزیز والدليل، فبايعهم؛ ثم قام العامة فبايعوا.

كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي زهير الأزديّ، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع الناس على عليّ، ذهب الأشتر فجاء بطلحة، فقال له: دعني أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه وجاء به يتلّه تلاً عنيفاً، وصعد المنبر فبايع.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن الحارث الوالبيّ، قال: جاء حُكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع؛ فكان الزبير يقول: جاءني لصّ من لُصوص عبد القيس فبايعت واللّج على عنقي.

وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وبايع الناس كلهم.

قال أبو جعفر: وسمح بعد هؤلاء الذين اشتروا الذين جيء بهم، وصار الأمر أمر أهل المدينة، وكانوا كما كانوا فيه، وتفرّقوا إلى منازلهم لولا مكان النزاع والغوغاء فيهم.

اتّساق الأمر في البيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام

وبويع عليّ يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة - والناس يحسبون من يوم قتل عثمان رضي الله عنه - فأول خطبة خطبها عليّ حين استُخلف - فيما كتب به إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن عليّ بن الحسين - حمد الله وأثنى عليه، فقال:

إنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتاباً هادياً بينَ فيه الخير والشرّ، فخذوا بالخير ودعوا الشرّ. الفرائض أدّوها إلى الله سبحانه يؤدّكم إلى الجنة إنّ الله حرّم حُرماً غير مجهولة، وفضّل حُرمة المسلم على الحرّم كلّها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين. والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحقّ، لا يحلّ أذى المسلم إلّا بما يجب. بادروا أمر العامة، وخاصّة أحدكم الموت، فإنّ الناس أمامكم، وإنّ ما من خلفكم الساعة تحذوكم. تحفّفوا تلحقوا، فلما ينتظر الناس أخراهم. اتّقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عزّ وجلّ ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فدعوه، ﴿واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُستَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (١).

ولما فرغ عليّ من خطبته وهو على المنبر قال المصريون:

خُذْهَا... وَاحْذَرَا أَبَا حَسَنٍ إِنَّا نَمِيرُ الْأَمْرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ

ولما الشعر:

خذها إليك واحذراً أبا حَسَنٍ

فقال عليٌّ مجيباً: .

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً مَا أَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكْبِسُ بَعْدَهَا وَأُسْتَمِرُّ

وكتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: ولما أراد عليٌّ الذهاب إلى بيته قالت السَّبِيَّةُ:

خُذْهَا إِلَيْكَ واحْذَرَا أَبَا حَسَنٍ إِنَّا نُمِرُّ الْأَمْرَ إِمْرَارَ الرُّسَنِ
صَوْلَةٌ أَقْوَامٍ كَأَسْدَادِ السُّفُنِ بِمَشْرِفِيَّاتٍ كَغُذْرَانِ اللَّبَنِ
وَنُطْعِنُ الْمُلْكَ بِلَيِّنٍ كَالشُّطْنِ حَتَّى يُمَرَّنَ عَلَى غَيْرِ عَنَنٍ

فقال عليٌّ وذكر تركهم العسكر والكيونة على عِدَّة ما مُنُوا حين غمزوهم ورجعوا إليهم، فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى . . .

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً لَا أَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكْبِسُ بَعْدَهَا وَأُسْتَمِرُّ
أَرْفَعُ مِنْ ذِيْلِي مَا كُنْتُ أَجْرُ وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتِيتَ الْمُتَشِيرُ
إِنْ لَمْ يُشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُتَنَصِّرُ أَوْ يَتْرُكُونِي وَالسَّلَاحُ يُبْتَدَرُ

واجتمع إلى عليٍّ بعد ما دخل طلحة والزبير في عِدَّة من الصَّحابة، فقالوا: يا عليٍّ، إِنَّا قد اشترطنا إقامة الحدود، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قد اشتركوا في دم هذا الرَّجُل وأحلَّوا بأنفسهم. فقال لهم: يا إخواناه، إِنِّي لست أَجْهَلُ ما تعلمون، ولكني كيف أَصْنَعُ بقوم يملكوننا ولا نملكهم! ها هُمْ هَؤُلَاءِ قد ثارت معهم عُبدَانُكُمْ، وثابت إليهم أعرابُكُمْ، وهم خِلَالَكُمْ يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لِقُدْرَةٍ على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إِلَّا رَأْيَا ترونه إِنْ شاء الله؛ إِنْ هذا الأمرُ أمرٌ جاهليَّة، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مادَّة؛ وذلك أَنَّ الشَّيْطَانَ لم يشرع شريعة قطَّ فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً. إِنْ الناس من هذا الأمرِ إن حُرِّكَ على أمور: فِرْقَةٌ ترى ما ترون، وفِرْقَةٌ ترى ما لَا ترون، وفِرْقَةٌ لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوبُ مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتِيكُمْ، ثمَّ عودوا.

واشتدَّ على قريش؛ وحال بينهم وبين الخروج على حالٍ، وإغما هيَّجه على ذلك هربُ بني أُمَيَّة. وتفرَّق القوم؛ وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمرُ لا قدرنا على انتصار من هَؤُلَاءِ الأشرار؛ لتركُ هذا إلى ما قال عليٌّ أمثل. وبعضهم يقول: نقضي الَّذي علينا ولا نُؤخِّره، والله إِنْ عَلَيًّا لمستغنٍ برأيه وأمره عنا، ولا نراه إِلَّا سيكون على قريش أشدَّ من غيره. فذكر ذلك لعليٍّ فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إِلَّا ذلك، والأجر من الله عزَّ وجلَّ عليه، ونادى: برئت الذمَّة من عبدٍ لم يرجع إلى مواليه. فتذامرت السَّبِيَّة والأعراب، وقالوا: لنا غداً مثلها، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء.

وكتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: خرج عليٌّ في اليوم الثالث على الناس، يا أَيُّهَا النَّاس، أخرجوا عنكم الأعراب. وقال: يا معشر الأعراب، الحقوا بميَاهِكُمْ. فأبَت السَّبِيَّةُ وأطاعهم الأعراب. ودخل عليٌّ بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعِدَّة من أصحاب النبي ﷺ، فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه، فقالوا: عَشَوْا عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى. وقال:

لو أن قومي طاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ أَمَرْتُهُمْ أَمْرًا يُدِيخُ الْأَعَادِيَا

وقال طلحة : دعني فلات البصرة فلا يفجئك إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك . وقال الزبير : دعني آت الكوفة فلا يفجئك إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك ؛ وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه ، فقال : إن لك حق الطاعة والنصيحة ، وإن الرأي اليوم تُحرز به ما في غد ، وإن الضياع اليوم تضییع به ما في غد ؛ أقرّر معاوية على عمله ، وأقر ابن عامر على عمله ، وأقر العمال على أعمالهم ، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . قال : حتى أنظر .

فخرج من عنده وعاد إليه من الغد ، فقال : إني أشرت عليك بالأمس برأي ، وإن الرأي أن تعاجلهم بالنزوع ، فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك ؛ ثم خرج وتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل ، فلما انتهى إلى عليّ قال : رأيت المغيرة خرج من عندك ففيم جاءك ؟ قال : جاءني أمس بذية وذية ، وجاءني اليوم بذية وذية ، فقال : أما أمس فقد نصحك ، وأما اليوم فقد غشك . قال : فما الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج حين قُتل الرجل أو قبل ذلك ، فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك ، فإن كانت العرب جائلة مضطربة في أثرك لا تجد غيرك ؛ فأما اليوم فإن في بني أمية من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر ، ويشبهون على الناس ، ويطلبون مثل ما طلب أهل المدينة ، ولا تقدر على ما يريدون ولا يقدر على ، ولو صارت الأمور إليهم حتى يصيروا في ذلك أموت لحقوقهم ؛ واترك لها إلا ما يعجلون من الشبهة . وقال المغيرة : نصحته والله ، فلما لم يقبل غششته . وخرج المغيرة حتى لحق بمكة .

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، عن الواقدي ، قال : حدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : دعاني عثمان فاستعلمني على الحج ، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج ، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم ، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعليّ ؛ فأتيته في داره فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به ، فحبسني حتى خرج من عنده ، فقلت : ماذا قال لك هذا ؟ فقال : قال لي قبل مرّته هذه : أرسل إلى عبد الله بن عامر وإلى معاوية وإلى عمال عثمان بعهودهم تُقرهم على أعمالهم ويباعون لك الناس ، فإنهم يهدّثون البلاد ويسكنون الناس ؛ فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت : والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يؤلّي .

قال : ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنني مخطيء ؛ ثم عاد إليّ الآن فقال : إني أشرت عليك أول مرّة بالذي أشرت عليك وخالفني فيه ، ثم رأيت بعد ذلك رأياً ، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به ، فقد كفى الله ، وهم أهون شوكة مما كان . قال ابن عباس : فقلت لعليّ : أما المرّة الأولى فقد نصحك ، وأما المرّة الأخيرة فقد غشك ؛ قال له عليّ : ولم نصحني ؟ قال ابن عباس : لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى تشبههم لا يبالوا بمن وليّ هذا الأمر ، ومتى تعزلهم يقولوا : أخذ هذا الأمر بغير شوري ، وهو قتل صاحبنا ؛ ويؤلبون عليك فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق ، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرّا عليك . فقال عليّ : أمّا ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحها ، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحداً أبداً ؛ فإن أقبلوا فذلك خير لهم : وإن أدبروا بذلت لهم السيف . قال ابن عباس : فأطعني وادخل دارك ، والحق بمالك بينع ، وأغلق بابك عليك ، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك ، فإنك والله لئن نهضت مع

هؤلاء اليوم لِيَحْمَلَنَّكَ الناسَ دَمَ عثمانَ غدًا. فأبى عليّ، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتَها؛ فقال ابن عباس: ما هذا برأي؛ معاوية رجلٌ من بني أمية وهو ابنُ عمِّ عثمان وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عُقْبَى لعثمان، أو أذن ما هو صانعٌ أن يجسني فيتحكّم عليّ. فقال له عليّ: ولم؟ قال: لقراءة ما بيني وبينك، وإنَّ كلَّ ما حمل عليك حمل عليّ، ولكن اكتب إلى معاوية فمَنه وعده. فأبى عليّ وقال: والله لا كان هذا أبدًا.

قال محمد: وحدثني هشام بن سعد، عن أبي هلال، قال: قال ابن عباس: قَدِمْتُ المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيام، فجئتُ عليًّا أدخل عليه، فقيل لي: عنده المغيرة بن شعبة؛ فجلستُ بالباب ساعة، فخرج المغيرة فسَلَّمَ عليّ فقال: متى قَدِمْتَ؟ فقلت: الساعة. فدخلتُ على عليّ فسَلَّمْتُ عليه، فقال لي: لقيتَ الزبير وطلحة؟ قال: قلت: لقيتهما بالنواصف. قال: مَنْ معها؟ قالت: أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش. فقال عليّ: أما إنهم لن يَدْعُوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان؛ والله نعلم أنهم قتلوا عثمان. قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن شأن المغيرة، ولمَ خلا بك؟ قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين، فقال لي: أخليني، ففعلت؛ فقال: إنَّ النصح رخيص وأنت بقيتَ الناس، وإني لك ناصح، وإني أشير عليك برَدِّ عمال عثمان عامك هذا؛ فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأنَّ الأمرُ لك عزَلْتُ من أحببت وأقررت من أحببت. فقلتُ: والله لا أدْهِن في ديني ولا أعطي الدَّين في أمري. قال: فإن كنت قد أبيتَ عليّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإن لمعاوية جُرْأَة، وهو في أهل الشام يُسمع منه، ولك حُجَّة في إثباته؛ كان عمر بن الخطاب قد ولّاه الشام كلها، فقلتُ: لا والله، لا أستعمل معاوية يومين أبدًا. فخرج من عندي على ما أشار به، ثم عاد فقال لي: إني أشرتُ عليك بما أشرتُ به فأبيتَ عليّ، ثم نظرتُ في الأمر فإذا أنت مصيبٌ، لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون في أمرك دُلْسَة. قال: فقال ابن عباس: فقلتُ لعليّ: أمّا أول ما أشار به عليك فقد نصّحتك، وأمّا الآخر فَعَشْتُك؛ وأنا أشيرُ عليك بأن تُثبِت معاوية، فإن بايع لك فعليّ أن أقْلَعُه من منزله. قال عليّ: لا والله، لا أعطيه إلّا السيف. قال: ثم تمثّل بهذا البيت:

ما ميتة إن مُتْها غيرَ عاجزٍ بَعَارٍ إذا ما غَالَتْ النفسَ غولُها

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أنت رجلٌ شجاع لست بأرب بالحرب، أمّا سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «الحرب خُدعة!» فقال عليّ: بلى، فقال ابن عباس: أمّا والله لئن أظَعْتَنِي لأصدُرَنَّ بهم بعد وِرْدٍ، ولأتركَنهم ينظرون في دُبُرِ الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، في غير نُقصانٍ عليك ولا إثم لك. فقال: يا ابن عباس، لستُ من هُنِيئاتك وهنِئات معاوية في شيء، تُشير عليّ وأرى، فإذا عصيتُك فأطعني. قال: فقلت: أفعل، إن أيسر ما لك عندي الطاعة.

مسيرُ قُسطنطين ملك الروم يُريد المسلمين

وفي هذه السنة - أعني سنة خمس وثلاثين - سار قسطنطين بن هرقل - فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن الغاز، عن عبادة بن نسي - في ألف مَرَكَب يُريد أرضَ المسلمين، فسَلَطَ الله عليهم قاصِفاً من الرِّيح ففرَّقهم، ونجا قسطنطين بن هرقل، فأق صِقْلِيَّة، فصنعوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه: وقالوا: قتلنا رجالنا.

فهرس موضوعات المجلد الثاني

٣	ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ
	ذكر ما كان من الأمور في أول سنة من الهجرة:
٧	خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة بالمدينة
١٤	السنة الثانية
١٤	غزوة ذات العشيرة
١٥	سرية عبد الله بن جحش
٢٠	ذكر وقعة بدر الكبرى
٤٨	غزوة بني قينقاع
٥٠	غزوة السويق
٥٢	السنة الثالثة
٥٢	خبر كعب بن الأشرف
٥٢	غزوة ذي أقر
٥٤	غزوة القردة
٥٥	مقتل أبي رافع اليهودي
٥٨	غزوة أحد
٧٤	غزوة حمراء الأسد
٧٧	السنة الرابعة
٧٧	غزوة الرجيع
٧٩	ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري حين وجهه رسول الله ﷺ لقتل أبي سفيان بن حرب
٨٠	ذكر خبر بثر معونة
٨٣	ذكر خبر جلاء بني النضير
٨٥	غزوة ذات الرقاع
٨٧	غزوة السويق
٨٩	السنة الخامسة
٨٩	زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش
٩٠	غزوة دومة الجندل

٩٠	غزوة الخندق
٩٨	غزوة بني قريظة
١٠٥	السنة السادسة
١٠٥	غزوة بني لحيان
١٠٥	غزوة ذي قرد
١٠٩	غزوة بني المصطلق
١١٠	حديث الإفك
١١٥	ذكر الخبر عن عمرة النبي ﷺ التي صده المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية
١٢٦	خبر إرسال عكاشة بن محصن إلى الغمر
١٢٦	سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة
١٢٦	سرية زيد بن حارثة بالجموم
١٢٦	سرية زيد بن حارثة إلى العيص
١٢٦	سرية زيد بن حارثة إلى الطرف
١٢٦	سرية زيد بن حارثة إلى جسمى
١٢٦	سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى
١٢٦	سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
١٢٧	سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة
١٢٧	سرية كُرز بن جابر الفهري إلى العرنين
١٢٨	ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك
١٣٥	السنة السابعة
١٣٥	غزوة خيبر
١٣٨	ذكر غزوة رسول الله ﷺ وادي القرى
١٣٩	أمر الحجاج بن علاط السلمي
١٤٠	ذكر مقاسم خيبر وأموالها
١٤١	حوادث متفرقة
١٤٢	عمرة القضاء
١٤٤	السنة الثامنة
١٤٤	خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح
١٤٥	إسلام عمرو بن العاص
١٤٦	غزوة ذات السلاسل
١٤٧	غزوة الحَبْط
١٤٨	حوادث متفرقة
١٤٩	غزوة مؤتة
١٥٢	فتح مكة
١٦٢	حوادث متفرقة

١٦٤	مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك
١٦٥	غزوة هوازن بحنين
١٧١	غزوة الطائف
١٧٣	أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها
١٧٧	عمرة رسول الله من الجعرانة
١٧٩	السنة التاسعة
١٧٩	أمر ثقيف وإسلامها
١٨١	ذكر الخبر عن غزوة تبوك
١٨٦	أمر طيء وعدي بن حاتم
١٨٨	قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات
١٩١	قدوم رسول ملوك حير على رسول الله بكتابهم
١٩١	حوادث متفرقة
١٩٢	قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد
١٩٤	السنة العاشرة
١٩٤	سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وإسلامهم
١٩٦	حوادث متفرقة
١٩٦	قدوم وفد الأزد
١٩٧	سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن
١٩٧	قدوم وفد زبيد
١٩٨	قدوم فروة بن مسيك المرادي
١٩٩	قدوم الجارود في وفد عبد القيس
٢٠٠	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة
٢٠٠	حوادث متفرقة
٢٠١	قدوم رفاعة بن زيد الجذامي
٢٠٢	وفد بني عامر بن صعصعة
٢٠٣	قدوم زيد الخيل في وفد طيء
٢٠٣	كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه
٢٠٤	خروج الأمراء والعمال على الصدقات
٢٠٤	حجة الوداع
٢٠٦	ذكر جملة الغزوات
٢٠٧	ذكر جملة السرايا والبعوث
٢٠٩	حوادث متفرقة
٢١٠	ذكر الخبر عن حج رسول الله ﷺ
٢١٠	ذكر الخبر عن أزواج رسول الله ﷺ
٢١٥	ذكر من خطب النبي ﷺ من النساء ثم لم ينكحهن

٢١٦	ذكر سراري رسول الله ﷺ
٢١٦	ذكر موالي رسول الله (ص)
٢١٨	ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ
٢١٨	أسماء خيل رسول الله ﷺ
٢١٨	ذكر أسماء بغال رسول الله ﷺ
٢١٩	ذكر أسماء إبله ﷺ
٢١٩	ذكر أسماء لقاح رسول الله ﷺ
٢٢٠	ذكر أسماء منائح رسول الله ﷺ
٢٢٠	ذكر أسماء سيوف رسول الله ﷺ
٢٢٠	ذكر أسماء قسيه ورماحه ﷺ
٢٢٠	ذكر أسماء دروعه ﷺ
٢٢٠	ذكر ترسه ﷺ
٢٢١	ذكر أسماء رسول الله ﷺ
٢٢١	ذكر صفة النبي ﷺ
٢٢٢	ذكر خاتم النبوة التي كانت به ﷺ
٢٢٢	ذكر شجاعته وجوده ﷺ
٢٢٢	ذكر صفة شعره ﷺ وهل كان يخضب أم لا؟
٢٢٣	ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله ﷺ
٢٢٤	السنة الحادية عشرة
٢٢٤	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٢٣٢	ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته
٢٣٤	حديث السقيفة
٢٣٨	ذكر جهاز رسول الله ودفنه
٢٤١	ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفي فيهما رسول الله ﷺ
٢٤١	ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة
٢٤٤	ذكر أول أمر أبي بكر في خلافته
٢٤٧	بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي
٢٥٣	حوادث متفرقة
٢٥٧	كتاب أبي بكر إلى قبائل العرب المرتدة ووصيته للأمرء
٢٥٣	ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة
٢٦٤	ذكر ردة هوازن وسليم وعامر
٢٦٨	ذكر خبر بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد
٢٧٢	ذكر البطاح وخبره
٢٧٥	ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه
٢٨٥	ذكر خبر أهل البحرين وردة الحطم

٢٩١	ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن
٢٩٢	ذكر خبر مهرة بالنجد
٢٩٣	ذكر خبر المرتدين باليمن
٢٩٤	خبر الأخابث من عك
٢٩٦	ردة أهل اليمن ثانية
٢٩٩	ذكر خبر طاهر حين شخص مدداً لفيروز
٣٠٠	ذكر خبر حضرموت في ردتهم
٣٠٦	حوادث متفرقة
٣٠٧	السنة الثانية عشرة
٣٠٧	مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة
٣١١	ذكر واقعة المذار
٣١٢	ذكر واقعة الوجلة
٣١٣	خبر أليس ، وهي على صُلب الفرات
٣١٥	حديث أمغيشيا
٣١٥	حديث يوم المقر وفم فرات بأدقل
٣١٨	خبر ما بعد الحيرة
٣٢٢	حديث الأنبار - وهي ذات العيون - وذكر كلواذى
٣٢٤	خبر عين التمر
٣٢٥	خبر دومة الجندل
٣٢٦	خبر حُصيد
٣٢٦	الحنافس
٣٢٦	مصيخ بني البرشاء
٣٢٧	الثني والزُميل
٣٢٨	حديث الفراض
٣٢٨	حجة خالد
٣٢٩	حوادث متفرقة
٣٣٠	السنة الثالثة عشرة
٣٣٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٣٥	خبر اليرموك
٣٤٥	ذكر وقعة أجنادين
٤١٩	ذكر خبر مرض أبي بكر ووفاته
	ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذي كفن فيه ، ومن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه ،
٣٤٨	والوقت الذي توفي فيه
٣٥٠	ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله
٣٥٠	ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يعرف به

٣٥١	ذكر أسماء نسب أبي بكر الصديق رحمه الله
٣٥١	ذكر أسماء قضاته وعماله على الصدقات
٣٥٢	ذكر بعض مناقبه
٣٥٢	ذكر استخلافه عمر بن الخطاب
٣٥٤	حال أبي بكر قبل الخلافة وبعدها
٣٥٥	ذكر غزوة فُحْل وفتح دمشق
٣٦٠	ذكر بَيْسان
٣٦٠	طبرية
٣٦٠	ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيدة بن مسعود
٣٦٢	خبر النمارق
٣٦٤	السقاطية بكسكر
٣٦٦	وقعة القرقس
٣٦٩	خبر أليس الصغرى
٣٦٩	البويب
٣٧٦	خبر الخنافس
٣٧٨	ذكر الخبر عما هيج أمر القادسية
٣٨١	السنة الرابعة عشرة
٣٨١	ذكر ابتداء أمر القادسية
٤٠٦	يوم أرمات
٤١٢	يوم أغواث
٤١٧	يوم عماس
٤٢٤	ليلة القادسية
٤٣٢	ذكر أحوال أهل السواد
٤٣٨	ذكر بناء البصرة
٤٤٣	السنة الخامسة عشرة
٤٤٣	ذكر الوقعة بمرج الروم
٤٤٤	ذكر فتح خُصص
٤٤٥	حديث قنسرين
٤٤٥	خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية
٤٤٦	ذكر فتح قيسارية وحصر غَزّة
٤٤٧	ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين
٤٤٨	ذكر فتح بيت المقدس
٤٥٢	ذكر فرض العطاء وعمل الديوان
٤٥٥	خبر يوم برس
٤٥٥	يوم بابل

٤٥٦	حديث بهر سير في قول سيف
٤٥٧	ذكر حج عمر بن الخطاب في هذه السنة
٤٥٨	السنة السادسة عشرة
٤٥٨	ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بهر سير
٤٦٠	حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى
٤٦٤	ذكر ما جمع من فيء أهل المدائن
٤٦٦	ذكر صفة قسم الفيء الذي أصيب بالمدائن بين أهله
٤٦٨	ذكر الخبر عن وقعة جلولا الواقعة
٤٧٤	ذكر فتح تكريت
٤٧٥	ذكر فتح ماسبذان
٤٧٥	ذكر وقعة قرقيسياء
٤٧٥	أخبار متفرقة
٤٧٧	السنة السابعة عشرة
٤٧٧	ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن الى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة
٤٨١	إعادة تعريف الناس
٤٨٢	فتوح المدائن قبل الكوفة
٤٨٢	ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم
٤٨٣	ذكر فتح الجزيرة
٤٨٥	خروج عمر بن الخطاب إلى الشام
٤٨٧	خبر طاعون عمواس
٤٩٠	ذكر خبر عزل خالد بن الوليد
٤٩٢	ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه
٤٩٢	ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى
٤٩٤	فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى
٤٩٦	فتح تستر
٤٩٧	غزو المسلمين فارس من قبل البحرين
٥٠٠	فتح رامهرمز وتستر
٥٠٣	فتح السوس
٥٠٥	ذكر مصالحة أهل جندي سابور
٥٠٦	أخبار متفرقة
٥٠٧	السنة الثامنة عشرة
٥٠٧	ذكر الأحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة
٥٠٧	ذكر القحط وعام الرمادة
٥١١	السنة التاسعة عشرة
٥١١	ذكر الأحداث التي كانت في هذه السنة

٥١٢	السنة العشرون
٥١٢	ذكر الخبر عن فتح مصر والإسكندرية
٥١٦	أخبار متفرقة
٥١٨	السنة الحادية والعشرون
٥١٨	ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند
٥٣١	ذكر الخبر عن أصبهان
٥٣٤	أخبار متفرقة
٥٣٥	السنة الثانية والعشرون
٥٣٥	ذكر فتح همذان
٥٣٧	فتح الري
٥٣٨	فتح قومس
٥٣٨	فتح جرجان
٥٣٨	فتح طبرستان
٥٣٩	فتح أذربيجان
٥٤٠	فتح الباب
٥٤٢	أخبار متفرقة
٥٤٣	ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة
٥٤٤	ذكر عزل عمّار عن الكوفة
٥٤٦	ذكر مصير يزيد جرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك
٥٥١	السنة الثالثة والعشرون
٥٥١	ذكر الخبر عن فتح توج
٥٥٢	فتح إصطخر
٥٥٤	ذكر فتح كرمان
٥٥٤	ذكر فتح سجستان
٥٥٥	فتح مكران
٥٥٥	خبر بيروذ من الأهواز
٥٥٧	ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد
٥٥٩	ذكر الخبر عن وفاة عمر رضي الله عنه
٥٦١	ذكر نسب عمر رضي الله عنه
٥٦٢	تسميته بالفاروق
٥٦٢	ذكر صفته
٥٦٢	ذكر مولده ومبلغ عمره
٥٦٣	ذكر أسبائه ولده ونسائه
٥٦٥	ذكر وقت إسلامه
٥٦٥	ذكر بعض سيره

٥٦٩	تسمية عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين
٥٦٩	وضعه التاريخ
٥٧٠	حملة الدرة وتدوينه الدواوين
٥٧٢	ذكر بعض خطبه رضي الله عنه
٥٧٥	من ندب عمر ورثاه - ذكر بعض ما رثي به
٥٧٥	شيء من سيره مما لم يمض ذكره
٥٨٠	قصة الشورى
٥٨٧	عمال عمر رضي الله عنه على الأمصار
٥٨٩	السنة الرابعة والعشرون
٥٨٩	ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة
٥٨٩	خطبة عثمان وقتل عبيد الله بن عمر المهرمزان
٥٩٠	ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة
٥٩٠	كتب عثمان رضي الله عنه إلى عماله وولاته والعامه
٥٩١	غزو أذربيجان وأرمينية
٥٩٢	إجلاء الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة
٥٩٤	السنة الخامسة والعشرون
٥٩٤	ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها
٥٩٤	أخبار متفرقة
٥٩٥	السنة السادسة والعشرون
٥٩٥	ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة
٥٩٥	أخبار متفرقة
٥٩٥	ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعداً واستعماله عليها الوليد
٥٩٧	السنة السابعة والعشرون
٥٩٧	ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها
٦٠٠	السنة الثامنة والعشرون
٦٠٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة
٦٠٤	السنة التاسعة والعشرون
٦٠٤	ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة
٦٠٤	ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة
٦٠٦	أخبار متفرقة
٦٠٧	السنة الثلاثون
٦٠٧	ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة
٦٠٧	ذكر الخبر عن غزو سعيد بن العاص طبرستان
٦٠٨	ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها
٦١٤	ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر أريس

٦١٥	أخبار أبي ذرّ رحمه الله تعالى
٦١٧	ذكر هرب يزيدجرد إلى خراسان
٦١٨	السنة الحادية والثلاثون
٦١٨	ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة
٦١٨	غزوة الصواري
٦٢٠	ذكر الخبر عن مقتل يزيدجرد ملك فارس
٦٢٥	شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح
٦٢٧	السنة الثانية والثلاثون
٦٢٧	ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة
٦٢٩	ذكر الخبر عن وفاة أبي ذرّ
٦٣٠	فتح مرو الروذ والطالقان والجوزجان وطخارستان
٦٣٢	ذكر صلح الأحنف مع أهل بلخ
٦٣٤	السنة الثالثة والثلاثون
٦٣٤	ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة إليها
٦٣٩	ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من أهل البصرة إلى الشام
٦٤١	السنة الرابعة والثلاثون
٦٤١	ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة
٦٤١	ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان
٦٤٧	السنة الخامسة والثلاثون
٦٤٧	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٦٤٧	ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من أهل العراق
٦٦١	ذكر الخبر عن قتل عثمان رضي الله عنه
٦٧٩	ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه
٦٨٤	ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر عثمان عبد الله بن العباس أن يحج بالناس في هذه السنة
	ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان رضي الله عنه ومن صلى عليه وولي أمره بعد
٦٨٧	ما قتل إلى أن فرغ من أمره ودفنه
٦٨٩	ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه
٦٩٠	ذكر الخبر عن قدر مدة حياته
٦٩١	ذكر الخبر عن صفة عثمان
٦٩٢	ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته
٦٩٢	ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضي الله عنه
٦٩٢	ذكر نسبه
٦٩٢	ذكر أولاده وأزواجه
٦٩٣	ذكر أسماء عمال عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على البلدان
٦٩٣	ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه

- ٦٩٤ ذكر الخبر عمن كان يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ حين حصر عثمان
- ٦٩٤ ذكر ما رثي به من الأشعار
- ٦٩٦ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
- ٦٩٦ ذكر الخبر عن بيعة من بايعه والوقت الذي بويع فيه
- ٧٠١ اتساق الأمر في البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام
- ٧٠٤ مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين

